

نَمَطُ النُّجُومِ الْعَوَالِي فِي أَنْبَاءِ الْأَوَائِلِ وَالتَّوَالِي

تأليف
عبد الملك بن حسين بن عبد الملك
الشافعي العاصمي للكي
المتوفى سنة ١١١١ هـ

تحقيق وتعليق
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معوض

الجزء الثاني

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب
العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة
أو إعادة تخزين الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة
كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات
ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٢٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١ ٠٠)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2615-6



9 782745 126153

<http://www.al-ilmiyah.com.lb/>
e-mail : baydoun@dm.net.lb

الباب السادس من المقصد الثانى

فى ذكر مواليه وخدامه وكتابه وأمرائه ومؤذنيه وخطبائه
وجداته وشعرائه وخيله وسلاحه وغنمه ولقاحه وما يتبع ذلك

أما مواليه ﷺ فمنهم: أسامة، حب رسول الله ﷺ، ابن زيد، وأبوه زيد بن حارثة، أعتقه عليه الصلاة والسلام وزوجه مولاته أم أيمن، واسمها بركة، فولدت له أسامة، وكان زيد قد أسر فى الجاهلية فاشتره حكيم بن حزام لعمته خديجة فاستوبه عليه الصلاة والسلام منها. ذكر قصته محمد بن إسحاق فى السيرة^(١)، وأن أباه وعمه أتيا مكة فوجداه، فطلبوا أن يفدياه، فخيره النبي ﷺ بين أن يدفع لهما أو يبقى عنده، فاختر أن يبقى عنده عليه الصلاة والسلام. وفى رواية الترمذى قال: يارسول الله، لا أختار عليك أحدا أبدا. واستشهد فى غزوة مؤتة، رضى الله عنه. ومات ابنه أسامة هذا بالمدينة - أو بوادى القرى - سنة أربع وخمسين^(٢). ومنهم: ثوبان، لازم رسول الله ﷺ، ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين^(٣).

وأبو كبشة أوس - ويقال: سليم - من مولدى مكة، شهد بدر^(٤). ومنهم: شقران - بضم الشين - واسمه صالح الحبشى، ويقال: فارسى، شهد بدر^(٥)، وهو مملوك ثم عتق، قاله الحافظ ابن حجر. قال: وأظنه مات فى خلافة عثمان^(٥).

(١) ينظر السيرة النبوية (٢٨٣/١) تاريخ الطبري (٣١٤/٢) نهاية الأرب (١٨٢/١٦) عيون الأثر (٩٤/١).

(٢) ينظر ترجمته فى الاستيعاب (٢١) أسد الغابة (٨٤)، الإصابة (٨٩)، تهذيب التهذيب (١/٢٠٨)، الطبقات الكبرى (٤/٦١)، المعارف لابن قتيبة (١٤٤، ١٤٥، ١٦٤، ١٦٦).

(٣) ينظر: الثقات (٤٨/١)، تجريد أسماء الصحابة (٧٠/١)، تهذيب الكمال (١٧٦/١)، (٤/٤١٣)، حلية الأولياء (٣٥٠/١)، الجرح والتعديل (٤٦٩/٢)، مشاهير علماء الأنصار (٣٢٤).

(٤) ينظر: الاستيعاب (٣١٨٤)، أسد الغابة (٦١٩٥)، تلقيح فهوم أهل الأثر (٣٥)، تاريخ دمشق (٣٠٥/٢)، الإصابة (١٠٤٤٩).

(٥) ينظر: أسد الغابة (٢٤٤٦)، الاستيعاب (١٢٠٥)، الثقات (١٨٩/٣)، التقريب (١/٣٥٤)، تهذيب الكمال (٥٨٧/٢)، تجريد أسماء الصحابة (٢٥٩/١).

ومنهم: رباح - بفتح الراء وبالموحدة - الأسود، وكان يأذن عليه أحيانًا إذا انفرد، وهو الذى أذن لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى المشربة^(١).
ويسار الراعى، وهو الذى قتله العرنيون^(٢).

ومنهم: زيد، أبو يسار - وليس زيد بن حارثة والد أسامة - ذكره ابن الأثير^(٣).
ومنهم: مدغم - بكسر الميم وفتح العين - عبد أسود كان لرفاعة بن زيد الضُّببى - بضم الضاد - المعجمة وبالباء المفتوحة على صيغة التصغير - فأهداه رفاعة إلى رسول الله ﷺ^(٤).

ومنهم: أبو رافع واسمه أسلم القبطى، وكان للعباس فوهبه للنبي ﷺ. فلما بشر النبي ﷺ بإسلام عمه العباس أعتقه. توفى قبل عثمان بيسير^(٥).
ومنهم: ابن زيد الجذامى^(٦).

ومنهم: سفينة بوزن كبيرة. واختلف فى اسمه فقيل: طهمان، وقيل: كيسان، وقيل: مهران. سماه رسول الله ﷺ سفينة لأنهم كانوا حملوه شيئًا كثيرًا فى السفر^(٧).

ومنهم: مأبور القبطى، أخو مارية القبطية الذى أهدى إليه معها^(٨).

ومنهم: واقد أو أبو واقد^(٩).

ومنهم: سلمان الفارسى أبو عبد الله، ويقال له: سلمان الخير، أصله من

(١) ينظر: أسد الغابة ت (١٦٠٧)، الاستيعاب ت (٧٤٨) (١٢٨/٣)، تجريد أسماء الصحابة (١٧٥/١)، التحفة اللطيفة (٥٤/٢)، الطبقات الكبرى (٦٦/٩).

(٢) ينظر: تاريخ دمشق (٢٩٧/٢)، التلخيص (٣٥)، الإصابة (٩٣٦١).

(٣) ينظر: أسد الغابة (١٨٨٠)، والإصابة (٢٩٦٠).

(٤) ينظر: الاستيعاب (٢٥٦٧)، وأسد الغابة (٤٨١٣)، والإصابة (٧٨٧٣).

(٥) ينظر: تجريد أسماء الصحابة (١٦٤٢)، والاستيعاب (٢٩٨٩)، أسد الغابة (٥٨٧٤)، والإصابة (٩٨٨٨).

(٦) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٤٠٧/١١).

(٧) ينظر: أسد الغابة ت (٢١٣١)، الاستيعاب (١١٤٠)، أنساب الأشراف (٤٩٠/١)، حلية الأولياء (٣٦٨/١)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٢٥/١). أما سبب تسميته بذلك فأخرجه أحمد (٢٢١، ٢٢٠/٥).

(٨) ينظر: أسد الغابة (٤٥٥٠)، تاريخ دمشق (٢٩٠/٢)، والإصابة (٧٥٩٧).

(٩) ينظر: الاستيعاب (٢٧٥٣) وأسد الغابة (٥٤٨٣)، وتجريد أسماء الصحابة (١٢٦/٢)، تاريخ دمشق (٢٩٥/٢)، والإصابة (٩١١٨).

« أصفهان »، وقيل: من « رامهرمز »، أول مشاهدته الخندق، وهو المشير بعمله على رسول الله ﷺ مات سنة أربع وثلاثين، يقال: بلغ من العمر ثلاثمائة سنة^(١). ومنهم: سمعون بن زيد، قال ابن حجر: حليف الأنصار، ويقال: مولى رسول الله ﷺ. شهد فتح دمشق، وقدم مصر، وسكن بيت المقدس^(٢). ومنهم: أبو بكرة، نفع بن الحارث^(٣)، سمي بذلك لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلى النبي ﷺ بعد قوله ﷺ: « من نزل إلينا فهو حر »^(٤). ومن النساء: أم أيمن الحبشية^(٥)، وسلمى أم رافع^(٦)، ومارية^(٧)، وريحانة^(٨)، وسيرين أخت مارية^(٩)، وغير ذلك.

قال ابن الجوزي: مواله ثلاثة وأربعون، وإماؤه إحدى عشرة^(١٠). وأما خدامه ﷺ فمنهم: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد، الأنصاري، الخزرجي، يكنى أبا حمزة^(١١)، خدم النبي ﷺ تسع أو عشر سنين، ودعا له ﷺ

(١) ينظر: أسد الغابة ت (٢١٥٠)، الاستيعاب ت (١٠١٩)، الطبقات الكبرى (٥٤/٤)، طبقات خليفة (١٨٩/٧)، الجرح والتعديل (٢٩٦/٤، ٢٩٧)، تهذيب الأسماء واللغات (١/٢٢٦-٢٢٨)، دول الإسلام (١/٣١، ٣٤٤).

(٢) ينظر: أسد الغابة ت (٢٤٥٠)، الاستيعاب ت (١٢٠٩)، الثقات (١٨٩/٣)، تهذيب الكمال (٢/٥٨٨)، تجريد أسماء الصحابة (١/٢٥٩)، الطبقات الكبرى (١/٥٣).

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى (١٥/٧)، التاريخ الكبير (٨/١١٢)، طبقات خليفة (٥٤)، الثقات لابن حبان (٣/٤١١)، أنساب الأشراف (١/٤٩٠)، البداية والنهاية (٨/٥٧).

(٤) سيأتي في غزوة الطائف.

(٥) ينظر: أسد الغابة ت (٧٣٧١)، الاستيعاب ت (٣٥٧٩)، تجريد أسماء الصحابة (٢/٣١٣)، الكاشف (٣/٤٨٥)، تهذيب الكمال (٣/١٧٠٠)، الجرح والتعديل (٩/٤٦١)، العبر (١/١٣).

(٦) ينظر: أسد الغابة ت (٧٠٠٥)، تاريخ دمشق (٢/٣١٢)، الإصابة (١١٣٣١).

(٧) ينظر: الاستيعاب (٣٥٤٣)، أسد الغابة (٧٢٧٦)، الإصابة (٧٢٧٦).

(٨) ينظر: الاستيعاب (٣٣٩٦)، أسد الغابة (٦٩٤٢)، الإصابة (١١٢٠٣).

(٩) ينظر: الثقات (٣/١٨٥)، أعلام النساء (٢/٢٧٨)، تجريد أسماء الصحابة (٢/٢٨٠)، الاستيعاب (٣٤٤٣)، أسد الغابة (٧٠٤٠)، الإصابة (١١٣٦٦).

(١٠) ينظر: تليق فهم أهل الأثر (٣٤-٣٥).

(١١) ينظر: الطبقات الكبرى (١٧/٧)، المعرفة والتاريخ (١/٥٠٦)، الأخبار الطوال (١١٨)، الثقات (٣/٤)، رجال صحيح البخاري (١/٨٦)، رجال صحيح مسلم (١/٦٥)، مروج الذهب (١٧٥٦)، عيون الأخبار (١/٢٤٦).

فقال: « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة »^(١). فقيل: بلغت أولاده المائة. قال أبو هريرة: ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله ﷺ منه. توفى سنة ثلاث وتسعين - وقيل: اثنتين، وقيل: إحدى - وقد جاوز مائة سنة. ومنهم: ربيعة بن كعب الأسلمى، صاحب وضوئه عليه الصلاة والسلام، توفى سنة ثلاث وستين^(٢).

ومنهم: أيمن بن أم أيمن، صاحب مطهرته ﷺ استشهد يوم حنين^(٣). ومنهم: عبد الله بن مسعود بن غافل - بالعين والفاء - ابن حبيب الهذلى، أحد السابقين الأولين شهد بدرا والمشاهد كلها، كان صاحب وسادة رسول الله ﷺ وسواكه ونعليه وطهوره، كان يلى ذلك كله، وكان إذا قام النبى ﷺ ألبسه نعليه، وإذا جلس جعلهما فى ذراعه حتى يقوم. وكان قصيرا طوله ذراع، توفى بالمدينة، وقيل: بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث^(٤).

ومنهم: عقبة بن عامر بن قيس بن عمرو الجهنى، وكان صاحب بغلته، يقودها به فى الأسفار^(٥)، روينا عنه أنه قال: بينما أنا أقود برسول الله ﷺ فى نقب من تلك النقاب، إذ قال لى: يا عقبة اركب، فأجللت رسول الله ﷺ أن أركب مركبه، ثم أشفقت أن يكون معصية. قال: فركبت هنية ثم نزلت، ثم ركب النبى ﷺ وقدت، ثم قال لى: يا عقبة، ألا أعلمك من خير سورتين قرأهما الناس؟ فقلت: بلى، بأبى أنت وأمى يارسول الله. فقال ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] ، و ﴿ قُلْ

(١) أخرجه مسلم (١٤٣/٢٤٨١)، وأحمد (٢٤٨، ١٩٤/٣)، والبخارى فى الأدب المفرد (٦٥٣)، وأبو يعلى (٣٣٢٨، ٤٢٣٦، ٤٢٢١)، وابن حبان (٧١٧٧)، والبيهقى (٥٣/٣-٥٤) من طرق عن أنس وأخرجه البخارى (٦٣٧٨، ٦٣٧٩)، ومسلم (٢٤٨٠)، والترمذى (٣٨٢٩) من حديث أم سليم.

(٢) ينظر: أسد الغابة ت(١٦٦٠)، الاستيعاب ت(٧٦٧)، الثقات (١٢٨/٣)، تجريد أسماء الصحابة (١٨١/١)، الكاشف (٣٠٧/١)، الطبقات الكبرى (٣١٣/٤)، (٦٧/٩).

(٣) ينظر: الاستيعاب ت(١٣١)، معرفة الصحابة (٣٧٢/٢)، تجريد أسماء الصحابة (٢/٣٧٢).

(٤) ينظر: الاستيعاب ت(١٦٧٧)، أسد الغابة ت(٣١٨٢)، الثقات (٢٠٨/٣)، الجرح والتعديل (١٤٩/٥).

(٥) ينظر: أسد الغابة ت(٣٧١١)، الاستيعاب ت(١٨٤٣)، الطبقات الكبرى (٤/٣٤٤، ٣٤٤)، الجرح والتعديل (٣١٣/٦)، الإصابة ت(٥٦١٧).

أَعُوذُ بِرَبِّ الْنَّاسِ ﴿[الناس: ١] الحديث^(١). رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وكان عقبة عالمًا بكتاب الله والفرائض، فصيحًا شاعرًا مفوهًا، ولاه معاوية مصر سنة أربع وأربعين، ثم صرفه عنها بمسلمة بن مخلد، وتوفي سنة ثمان وخمسين.

ومنهم: أسلع بن شريك صاحب راحلته عليه السلام^(٢)، في الطبراني. ومنهم سعد مولى أبي بكر، وقيل سعيد، ولم يثبت^(٣). وروى عنه ابن ماجه. ومنهم: أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، أسلم قديمًا، وتوفي بالربذة، وستأتي قصته مع عثمان رضى الله عنه فى خلافته، توفي سنة إحدى وثلاثين^(٤)، وصلى عليه ابن مسعود، ثم مات ابن مسعود بعده فى ذلك اليوم، قال ابن الأثير وابن حجر: سنة اثنتين وثلاثين.

ومنهم: مهاجر مولى أم سلمة^(٥).

ومنهم: حنين والد عبد الله مولى ابن عباس، وكان يخدمه - عليه الصلاة والسلام - ثم وهبه لعمه العباس.

ومنهم: نعيم بن ربيعة الأسلمى.

ومنهم: أبو الحمراء، مولاه عليه السلام وخادمه، واسمه هلال بن الحارث وابن ظفر. توفي بحمص، رضى الله عنه.

ومنهم: أبو السمع، خادمه عليه الصلاة والسلام، واسمه إياد.

ومن النساء: بركة، أم أيمن الحبشية، وهى والدة أسامة بن زيد كما تقدم.

ومنهن: خولة، جدة حفص.

ومنهن: سلمى، أم رافع، زوج أبى رافع.

(١) أخرجه أحمد (١٤٤/٤، ١٤٩، ٥٣)، وأبو داود (١٤٦٢)، والنسائي (٢٥٢/٨)، وابن خزيمة (٥٣٤، ٥٣٥) من طريق القاسم مولى معاوية عن عقبة بن عامر، به.

(٢) ينظر تجريد أسماء الصحابة (١٥/١) الوافي بالوفيات (٤٩/١) وحديثه عن الطبراني في الكبير (٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧)، وينظر: المجمع (٢٦٥/١).

(٣) ينظر: الثقات (١٥٤/٣)، الإصابة ت (٣٢٢٨)، تجريد أسماء الصحابة (٢١٢/١)، تهذيب الكمال (٤٧٥/١)، الكاشف (٣٥٤/١).

(٤) ينظر: الاستيعاب (٢٩٨٥)، أسد الغابة (٥٨٦٩)، والإصابة (٩٨٧٧).

(٥) ينظر: الاستيعاب (٢٥٣٤)، أسد الغابة (٥١٣٧)، الجرح والتعديل (٢٥٩/٨)، تجريد أسماء الصحابة (٩٧/٢)، الإصابة (٨٢٧٥).

ومنهن: ميمونة بنت سعد.

ومنهن: أم عياش، مولاة رقية بنته ﷺ.

وأما كتابه: فالخلفاء الأربعة رضى الله تعالى عنهم^(١).

وأول من كتب له بمكة عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشى العامري^(٢)، أحد بنى عامر بن لؤى، أسلم وكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين بمكة، فلما فتحها رسول الله ﷺ أهدر دمه فيما أهدر من الدماء، فجاء إلى عثمان فغيبه ثم أتى به إلى النبي ﷺ بعد أن اطمأن أهل مكة، واستأمن له رسول الله ﷺ فصمت عليه الصلاة والسلام طويلاً ثم قال: نعم. فلما انصرف عثمان قال النبي ﷺ: ماصمت إلا لتقتلوه. فقال رجل: هلاً أو مات إلينا يا رسول الله؟ فقال: ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين، ثم أسلم ذلك اليوم وحسن إسلامه، ولم يظهر منه بعد ذلك ما ينكر.

وهو أحد الفضلاء الكرماء من قریش، عرف فضله وجهاده. وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر، ولاء عثمان رضى الله عنه مصر سنة خمس وعشرين ففتح الله على يده إفريقية، وكان فتحاً عظيماً بلغ سهم الفارس فيه ثلاثة آلاف مثقال، وكان معه عبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير. وغزا بعد إفريقية السواد من أرض النوبة سنة إحدى وثلاثين، وغزوة السوارى فى بحر الروم، واعتزل الفتنة حين قتل عثمان، فأقام بعسقلان وقيل: بالرملة، ودعا الله عز وجل أن يقبضه ويعجل وفاته وختم عمره بالصلاة، فسلم من صلاة الصبح التسليمة الأولى، ثم هم بالتسليمة الثانية فتوفى سنة ست وثلاثين وهو الصحيح، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة تسع وخمسين. قال خليفة بن خياط: ووه من عدّ والده أبا سرح فى كتابه. ومنهم: طلحة بن عبيد الله^(٣)، أحد العشرة، استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ومنهم: الزبير بن العوام بن خويلد^(٤)، أحد العشرة - أيضاً - قتل كذلك سنة

(١) ستأتي تراجمهم بتوسع فى مواضعها.

(٢) تنظر ترجمته فى أسد الغابة ت(٢٩٧٦)، والاستيعاب ت(١٥٧١)، والإصابة ت(٤٧٢٩).

(٣) تنظر ترجمته فى أسد الغابة ت(٢٦٢٧)، الاستيعاب ت(١٢٨٧)، الإصابة ت(٤٢٨٥).

(٤) تنظر ترجمته فى أسد الغابة ت(١٧٣٢)، والاستيعاب ت(٨١١)، الإصابة ت(٢٧٩٦).

ست وثلاثين يوم الجمل.

ومنهم: أبى بن كعب - ^(١) بضم الهمزة وفتح الباء - هو أبى بن كعب بن المنذر ابن قيس، الخزرجى، الأنصارى، أبو المنذر، أو أبو الطفيل، سيد القراء. شهد العقبة الثانية وبدراً وما بعدها، وهو أحد فقهاء الصحابة وأقرؤهم لكتاب الله عز وجل، وقال له رسول الله ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ [البينة: ١]** لأن فيها **﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِیمَةٌ﴾** ^(٢) [البينة: ٢، ٣] روى ابن أبى شيبة وخيثمة ذلك. وهو أول من كتب الوحي بن يدي رسول الله ﷺ بالمدينة، كناه رسول الله ﷺ أبا المنذر، وكناه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا الطفيل بولده الطفيل بن أبى. مات أبى سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، وقيل: اثنتين وعشرين، وقيل سنة ثلاثين فى خلافة عثمان رضى الله عنه. ومنهم الأرقم بن أبى الأرقم، عبد مناف بن أسد بن جندب المخزومى، كان من السابقين إلى الإسلام، هاجر وشهد بدراً وما بعدها، ثم توفى وله خمس وثلاثون سنة. ومنهم: ثابت بن قيس رضى الله تعالى عنه، وهو ثابت بن قيس بن شماس بن مالك، الأنصارى، الخزرجى، أبو عبد الله، وقيل: أبو محمد، خطيب رسول الله ﷺ وشهد له بالجنة. شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، قتل يوم اليمامة شهيدًا فى أيام أبى بكر سنة إحدى عشرة، وكان خرج مع خالد بن الوليد إلى قتال مسيلمة بها، فلما التقوا انكشفوا، فقال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ. ثم حفر كل واحد منهما لنفسه حفرة وثبتا وقاتلا حتى قتلا، وعلى ثابت درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها، فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت فى منامه فقال له: **إِنِّى أَوْصِيكَ، فَيَاكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا حَلَمٌ فَتُضَيِّعَهَا، إِنِّى لَمَّا قَتَلْتُ أَسْمَ بْنَ مَرْبَى رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَخَذْتُ دَرْعِي، وَمَنْزَلُهُ فِي أَقْصَى النَّاسِ، وَعِنْدَ خَبَائِهِ فَرَسٌ يَسْتَنُّ فِي طَوْلِهِ، وَقَدْ كَفَأَ عَلَى الدَّرْعِ بَرْمَةٌ. فَاتَّ خَالِدًا فَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَهَا، فَإِذَا قَدَمْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ عَلِيَّ مِنَ الدِّينِ**

(١) ينظر: الاستيعاب (٦)، تاريخ خليفة (١٦٧)، التاريخ الكبير (٣٩/٢ - ٤٠)، والجرح والتعديل (٢٩٠/٢)، تاريخ الإسلام (٢٧/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٥٩، ٣٨٠٨)، ومسلم (٢٤٦/٧٩٩)، والترمذي (٣٨٩٢)، والنسائي فى التفسير (٧١١) من حديث أنس.

كذا وكذا، وفلان من رقيقى عتيق. فأتى الرجل خالدًا فأخبره، فبعث إلى الدرع فأتى بها. وحديث أبا بكر فأجاز وصيته، ولا يعلم أحد أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت هذا.

ومنهم: خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن سعيد، القرشى، الأموى، أسلم قديمًا، وقيل: إنه أول من كتب « بسم الله الرحمن الرحيم » قيل: إنه أسلم بعد أبى بكر فكان ثلث الإسلام، وقيل غير ذلك. هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وأقام بها بضع عشر سنين، وأهدى لرسول الله ﷺ خاتمه الذى نقش عليه « محمد رسول الله » الذى وقع فى بئر أريس.

ومنهم: زيد بن ثابت - رضى الله عنه - وهو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى النجارى، كان هو ومعاوية ألزمهم لذلك. وروى البخارى أن رسول الله ﷺ أمره أن يتعلم كتاب يهود ليقراه على النبى ﷺ إذا كتبوا إليه، فتعلمه فى خمسة عشر يومًا^(١) وروى ابن أبى هاشم عنه قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ، فإنى لواضع القلم على أذنى فأمر بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه، إذ جاء أعمى فقال: كيف بك يا رسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾^(٢) [النور: ٦١]. قدم على رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة، شهد أحدًا وما بعدها، وقيل أول مشاهدته الخندق، وهو أحد فقهاء الصحابة والذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وكان أفكه الناس إذا خلا فى منزله وأزهمهم إذا جلس مع القوم. مات سنة ست وخمسين. وروى الإمام أحمد وأبو داود عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة ذهب إليه فأعجب بى، فقيل: يا رسول الله هذا غلام من بنى النجار، ومعه مما أنزل عليك بضع عشرة سورة. فأعجب ذلك رسول الله ﷺ فقال: يا زيد، تعلم كتاب يهود، فإنى والله ما آمن يهود على كتابى. فما مر بى نصف شهر حتى نقلته وحذقته، فكنت أكتب إليهم وأقرأ له كتبهم^(٣). كان يكتب للنبي ﷺ الوحي ويكتب له أيضًا المراسلات. وكان يكتب

(١) أخرجه أحمد (١٨٦/٥)، والبخاري (٧١٩٥)، وأبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥).

(٢) ذكره السيوطي فى الدر المنثور (٦٧/٦)، وعزاه للطبراني، وقال: إسناده حسن.

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى خلافتهما، وقد قال فيه ﷺ « أفرضكم زيد »^(١). وكان عمر رضى الله عنه يستخلفه إذا حج، وكان معه حين قدم الشام، وهو الذى تولى قسم غنائم اليرموك. وكان عثمان أيضًا يستخلفه إذا حج، وكان على بيت المال لعثمان. توفى بالمدينة سنة أربع وقيل سنة ست وقيل إحدى وثلاثين وقيل خمس وخمسين وقيل سنة أربعين وقيل إحدى وثلاث وأربعين. رضى الله تعالى عنه.

ومنهم السجل رضى الله عنه. روى أبو داود والنسائي عن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقول فى هذه الآية ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] قال: السجل كاتب للنبي ﷺ^(٢). وروى ابن مردويه وابن منده من طريق حمدان بن سعيد عن ابن نمير عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كان للنبي ﷺ كاتب يقال له السجل، فأنزل الله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ...﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، والسجل هو الرجل بالحبشية^(٣)، ورواه أبو نعيم لكن قال: حمدان بن على، ووهب ابن منده فى قوله ابن سعيد. قال ابن منده: تفرد به حمدان. قال الحافظ: فإن كان هو ابن على فهو ثقة وهو معروف، واسمه محمد بن على مهران من أصحاب أحمد، ولكن رواه الخطيب فى ترجمة حمدان بن سعيد فترجحت رواية ابن منده. ونقل الخطيب عن البرقانى أن الأزدي قال: تفرد به ابن نمير من كبار الثقات. فهذا الحديث صحيح بهذه الطرق، وغفل من زعم أنه موضوع. نعم إنه ورد ما يخالفه، فروى الربعى والعوفى عن ابن عباس قال فى هذه الآية: كطى الصحيفة على الكتاب. وكذلك قال مجاهد وغيره^(٤). قال الحافظ ابن كثير: وعرضت هذا الحديث - أى حديث ابن عباس السابق - على الحافظ المزى فأنكره جدًا، وأخبرته أن ابن تيمية كان يقول:

(١) أخرجه أحمد (١٨٤/٣)، والترمذي (٣٧٩١)، والنسائي فى فضائل الصحابة (١٣٨، ١٨٢)، وابن ماجه (١٥٤، ١٥٥) من طريق أبى قلابه عن أنس به وأخرجه الترمذي (٣٧٩٠) من طريق قتادة عن أنس.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٣٥)، والنسائي كما فى تحفة الأشراف (٥٣٦٥) من طريق أبى الجوزاء عن ابن عباس.

(٣) ذكره الحافظ فى الإصابة (٢٨/٣) وعزاه لابن مردويه وابن منده.

(٤) ينظر الإصابة (٢٨/٣-٢٩).

إنه حديث موضوع وإن كان فى سنن أبى داود، قال المزى: وأنا أقوله. انتهى. قال الحافظ: وهذه مكابرة.

ومنهم معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية القرشى الأموى العبشمي^(١)، ولى لعمر رضى الله عنه الشام، وأقره عثمان. قال ابن إسحاق: وكان أميراً عشرين سنة وخليفة عشرين سنة. وروى فى مسند الإمام أحمد من طريق العرياض بن سارية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم علّم معاوية الكتاب والحساب، وقه العذاب »^(٢). وهو مشهور بكتابة الوحى. وروى الإمام أحمد ووصله أبو يعلى فقال عن معاوية، والطبرانى، ورجال الأولين رجال الصحيح عن سعيد بن عمر بن سعد ابن أبى وقاص أن أبا هريرة اشتكى، وأن معاوية أخذ الإداوة، فبينما هو يوضئ رسول الله ﷺ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال: يا معاوية إن وليت أمراً فاتق واعدل^(٣). ولفظ الصغير للطبرانى برجال وثقوا وفيهم خلاف وفى سنده انقطاع عن مسلمة بن مخلد أن رسول الله ﷺ قال لمعاوية « اللهم علمه الكتاب والحساب، وقه العذاب، ومكن له فى البلاد »^(٤). مات فى رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين.

ومنهم شريحيل - بضم الشين المعجمة وفتح الراء [وسكون الحاء المهملة] بعدها باء مكسورة فتحية ساكنة - ابن حسنة وهى أمه.
ومنهم خالد بن الوليد^(٥) سيف الله، أسلم بين الحديبية والفتح، مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين.

(١) ينظر ترجمته فى أسد الغابة ت(٤٩٨٤)، الاستيعاب ت(٢٤٦٤)، والإصابة ت(٨٠٨٧) ومعرفة الرجال (١٧٧/٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٦/٤، ١٢٧).

(٣) أخرجه أحمد (١٠١/٤)، وأبو يعلى (٧٣٨٠) وقال الهيثمي فى المجمع (٣٥٨-٣٥٩): رواه أحمد واللفظ له وهو مرسل ورواه أبو يعلى فوصله فقال فيه عن معاوية... ورواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ورجال أحمد وأبى يعلى رجال الصحيح.

(٤) ذكره الهيثمي فى المجمع (٣٥٩-٣٦٠) وقال: رواه الطبرانى من طريق جبلة بن عطية عن مسلمة بن مخلد وجبلة لم يسمع من مسلمة فهو مرسل ورجاله وثقوا وفيهم خلاف.

(٥) ينظر: الجرح والتعديل (٣/٣٥٦)، مشاهير علماء الأمصار ت(١٥٧)، تهذيب الأسماء واللغات (١٠/١٧٢-١٧٤)، شذرات الذهب (١/٢٣٢)، أسد الغابة ت(١٣٩٩)، الاستيعاب ت(٦٢١).

ومنهم عمرو بن العاص^(١)، أسلم عام الحديبية، ولى إمرة مصر مرتين وهو الفاتح لها، ومات بها سنة نيف وأربعين وقيل بعد الخمسين.
ومنهم المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم قبل الحديبية، ولى إمرة البصرة ثم الكوفة. مات سنة خمسين على الصحيح.

وأما أمراؤه عليه الصلاة والسلام فمنهم: باذان بن سامان من ولد بهرام، أمره ﷺ على اليمن، وهو أول أمير فى الإسلام، وأول من أسلم من ملوك العجم. وأمر ﷺ على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص، وولى زياد بن ليلى الأنصارى حضرموت، وولى أبا موسى الأشعرى زيد وعدن، وولى معاذ بن جبل الجند، وولى أبا سفيان بن حرب نجران، وولى ابنه يزيد تيماء، وولى عتاب بن أسيد - بفتح العين المهملة وتشديد المثناة فوق وفتح الهمزة وكسر السين المهملة - مكة وإقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان من الهجرة وهو عام فتحها، وولى على ابن أبى طالب القضاء باليمن، وولى عمرو بن العاص عُمان.

وأما مؤذنوه عليه الصلاة والسلام فأربعة: اثنان بالمدينة: بلال وسعد بن عائد أو ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظ أو القرظى، واثنان بمكة عمرو بن أم مكتوم وأبو محذورة.

أما بلال فهو ابن رباح وأمه حمامة، مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه. وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ ولم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء، إلا أن عمر رضى الله عنه لما قدم الشام حين فتحها أذن بلال فتذكر الناس النبى ﷺ قال أسلم مولى عمر رضى الله عنه: فلم أر أكثر باكيا من يومئذ. وتوفى بلال سنة سبع عشرة أو عشرين بـ « داريا » ودفن بباب كيسان وله بضع وستون سنة، وقيل دفن بحلب، وقيل بدمشق.
وأما سعد بن عائد أو ابن عبد الرحمن القرظى مولى عمار فأذن له عليه الصلاة والسلام بقاء. وبقي إلى ولاية الحجاج على الحجاز وذلك سنة أربع وسبعين من الهجرة.

(١) ينظر: أسد الغابة ت(٣٩٧١)، الإصابة ت(٥٨٩٧)، الطبقات الكبرى (٢٥٤/٤)، (٧/٤٩٣)، تاريخ البخاري (٣٠٣/٦)، تاريخ الطبري (٥٥٨/٤)، الكامل (٢٧٤/٣)، شذرات الذهب (٥٣/١).

وأما عمرو بن أم مكتوم القرشى الأعمى فأسلم وأذن له عليه الصلاة والسلام وهاجر إلى المدينة.

وأما أبو محذورة بالحاء المهملة والذال المعجمة واسمه أوس الجمحى المكى أبو معير- بكسر الميم وسكون العين وتحريك التحتية - مات بمكة سنة تسع وخمسين وقيل تأخر إلى بعد ذلك قال فى الروض الأنف: وأبو محذورة الجمحى واسمه سلمة بن معير وقيل سمرة - : فإنه لما سمع الأذان وهو مع فتية من قريش خارج مكة أقبلوا يستهزئون ويحكون صوت المؤذن غيظا، فكان أبو محذورة هذا من أحسنهم صوتا فرفع صوته مستهزئا بالأذان، فسمعه رسول الله ﷺ فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول، فمسح رسول الله ﷺ ناصيته وصدره بيده الشريفة، قال: فامتأ قلبي والله إيمانا و يقينا، وعلمت أنه رسول الله ﷺ، فألقى عليه رسول الله ﷺ الأذان وعلمه إياه، فأمره أن يؤذن لأهل مكة وهو ابن ست عشرة سنة، فكان مؤذنهم حتى مات، ثم عقبه بعده يتوارثون الأذان^(١).

وكان هؤلاء المؤذنون المذكورون منهم من يرجع الأذان ويشنى الإقامة، وبلال لا يرجع ويفرد الإقامة، فأخذ الشافعى بإقامة بلال، وأهل مكة أخذوا بأذان أبى محذورة وإقامة بلال، وأخذ أبو حنيفة وأهل العراق بأذان بلال وإقامة أبى محذورة، وأخذ أحمد بأذان بلال وإقامته، وخالفهم مالك فى الموضوعين إعادة التكبير وتثنية لفظ الإقامة.

وكان خطيبه عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس بن شماس- بمعجمة وميم مشددة وآخره سين مهملة، وهو خزرجى، شهد له النبى ﷺ بالجنة، وكان خطيبه وخطيب الأنصار، واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتى عشرة، وقد تقدم ذكره.

وأما شعراؤه ﷺ فمدحه بالشعر جماعة من رجال الصحابة ونسائهم، جمعهم الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس فى قصيدة ثم شرحها فى مجلدة سماها « فتح المدح » ورتبهم على حروف المعجم قارب بهم المائتين.

وأما شعراؤه الذين كانوا بسبب المناضلة عنه والهجاء لكفار قريش - فإنهم ثلاثة: حسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام الأنصارى، وكان يقبل بالهجو

(١) ينظر: الروض الأنف (٤/١١٤).

على أنسابهم، دعا له عليه الصلاة والسلام فقال « اللهم أيده بروح القدس »^(١) فيقال إنه أعانه جبريل عليه السلام بسبعين بيتاً. وفى الحديث « إن جبريل مع حسان ما نافع »^(٢) أى دافع، والمراد هجاء المشركين ومجاوبتهم على أشعارهم. ولما جاءه عليه الصلاة والسلام بنو تميم وشاعرهم الأقرع بن حابس - فنادوه: يامحمد اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك، فإن مدحنا زين وذمنا شين - فلم يزد عليه الصلاة والسلام على أن قال: ذلك الله إذا مدح زان وإذا ذم شان، إني لم أبعث بالشعر ولم أؤمر بالهجر، ولكن هاتوا. فأمر عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس خطيبه أن يجيب على خطبتهم، فخطب ثابت فغلبه، فقام شاعرهم الأقرع بن حابس فقال: [من الطويل]

أَتَيْنَاكَ كَيْمًا يَغْرِفُ النَّاسُ فَضَلَّنَا إِذَا خَالَفُونَا عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
وَأَنَا رُءُوسُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَعْشَرٍ وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كِدَارِمِ
فأمر - عليه الصلاة والسلام - حساناً أن يجيبه فقال: [من الطويل]

بَنَى دَارِمِ لَا تَفْخَرُوا إِنَّ فَخْرَكُمْ يَعُودُ وَيَلَا عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
هَبَلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ لَنَا حَوْلٌ مَا بَيْنَ ظَهْرٍ وَخَادِمِ^(٣)

وكان أول من أسلم شاعرهم، عاش حسان مائة وعشرين سنة: ستين منها فى الجاهلية وستين فى الإسلام. وكذا عاش أبوه ثابت وجده المنذر وجد أبيه حرام، كل واحد منهم مائة وعشرين سنة. وتوفى حسان سنة أربع وخمسين من الهجرة. قلت: وهؤلاء الوفد الذين أنزل فى شأنهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا... ﴾ [الحجرات: ٥٤] الآية والله أعلم.

وعبد الله بن رَوَاحَة، وكان يعير قريشا بالكفر.

وكعب بن مالك، وكان يخوفهم بالحرب. وكانوا لا يبالون قبل الإسلام بأهاجى ابن رَوَاحَة ويألمون من أهاجى حسان. فلما دخل من دخل منهم الإسلام وجد أهاجى ابن رَوَاحَة أشد وأشق. قال فى زاد المعاد: وكان أشدهم على الكفار حسان

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٢)، ومسلم (٢٤٨٥)، والنسائي (٤٨/٢)، وأحمد (٢٢٢/٥)، والحميدي (١١٠٥)، وابن خزيمة (١٣٠٧)، وابن حبان (١٦٥٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩٠) وابن حبان (٧١٤٧) والبيهقي من حديث عائشة.

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢٠٩/٤).

ابن ثابت وكعب بن مالك يعيرهم بالشرك والكفر.

وأما خُداته فأربعة: أنجشة - بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة - كان عبداً أسود حسن الحداء يحدو بالنساء، فحدا بأمهات المؤمنين في حجة الوداع فأسرعت الإبل، فقال عليه الصلاة والسلام: «رويدك يا أنجشة، رفقا بالقوارير»^(١). رواه الشيخان. وفي صحيح مسلم: وكان لرسول الله ﷺ حاد حسن الصوت فقال له رسول الله ﷺ: «رويدك يا أنجشة لا تكسر القوارير» يعنى ضعفة النساء^(٢). وفي المواهب: كان يحدو وينشد القريض والرجز، فقال عليه الصلاة والسلام له ذلك القول، يشبههن بالقوارير من الزجاج؛ لأنه يسرع إليهن الكسر، فلم يأمن عليهن أن يصيبهن أو يقع في قلوبهن حداؤه فأمره بالكف، وفي المثل: الغناء رقية الزنا. وقيل أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرع في المشى واشتدت فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك بقوله: «رفقا بالقوارير» لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة. هذه عبارته. قلت: لا ريب أن هذا هو المراد من الحديث، والعلة

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧/١٠) كتاب الأدب باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفان رقم (٦٢٠٢)، ومسلم (١٨١١/٤) كتاب الفضائل باب رحمة النبي للنساء رقم (٧١،٧٠/٢٣٢٣)، وابن حبان (١١٨/١٣) كتاب الحظر والإباحة باب ذكر الإباحة للمرأة استعمال الكناية في كلامه... رقم (٥٨٠٠)، (١١٩/١٣) رقم (٥٨٠٢)، وأحمد (١١٧/٣)، والبيهقي (١٠٩٩، ٢٠٠) كتاب الشهادات باب من سمى المرأة قارورة...، والدارمي (٢/٢٩٥، ٢٩٦) كتاب الاستئذان باب «في المزاح».

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩/١٠) في الأدب باب المعارض مندوحة عن الكذب (٦٢١١)، ومسلم (١٨١٢/٤) في الفضائل باب رحمة النبي للنساء (٢٣٢٣/٧٣)، وأحمد (٣/٢٥٢) من طرق عن همام، به. وأخرجه مسلم (٢٣٢٣/٧٣)، والبخاري في شرح السنة (٥٢٩/٦) برقم (٣٤٧١) بتحقيقنا من طريقين عن هشام بن عبد الله عن قتادة، به. وأخرجه البخاري (٦٢١٠، ٦٢٠٩)، باب ما جاء في قول الرجل «ويلك» (٦١٦١)، ومسلم (٢٣٢٣)، وأحمد (٣/١٧٢، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٢٧، ٢٥٤)، والبيهقي (١٠٩٩-٢٠٠)، والبخاري (٣٤٧٢، ٣٤٧٣) من طريقين عن ثابت عن أنس. وأخرجه البخاري (٥٥٤/١٠) في الأدب باب ما يجوز من الشعر والرجز (٦١٤٩)، وباب ما جاء في قول الرجل ويلك (٦١٦١)، وباب المعارض مندوحة عن الكذب (٦٢١٠)، ومسلم (٧٠-٧١/٢٣٢٣)، وأحمد (٣/٢٢٧) وأبو يعلى (٢٨٠٩) من طرق عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس. وأخرجه مسلم (٧٢-٢٣٢٣)، وأحمد (٣/١١١، ١١٧، ١٧٦)، والحميدي برقم (١٢٠٩) من طرق عن سليمان التيمي أنه سمع أنسا. وأخرجه أحمد (٣/١٠٧) من طريق ابن أبي عدي عن حميد عن أنس.

فى النهى لا سواه . يؤيده ما رواه ابن سعد عن مجاهد عن طاوس قال : كان رسول الله ﷺ فى سفر ، فبينما هو يسير بالليل ومعه رجل يسايره إذ سمع حاديا يحدو وقوم أمامه ، فقال لصاحبه : « لو أتينا حادى القوم » . فقربنا حتى غشنا القوم ، فقال رسول الله ﷺ « ممن القوم ؟ » فقالوا : من مضر . فقال عليه الصلاة والسلام : « وأنا من مضر . دنا حاديننا يسمع حاديكم فسمعنا حاديكم فأتيناكم » . زاد طاوس : « نسمع حداة » . فقالوا : يا رسول الله ، أما إن أول من حدا منا رجل فى سفر ، ضرب غلاما له على

يده بعضا فانكسرت يده فجعل الغلام يقول وهو يشير : يا يداه يا يداه . فسارت الإبل على صوته وقطعت أودية بسرعة^(١) . ويؤيده أيضا قول الشاعر : [من مجزوء الكامل]

إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ أَنَّ فِي الْـ أَلْحَانِ تَأْثِيرًا وَنَفْعًا
فَانْظُرْ إِلَى الْإِبِلِ الَّتِي لَا شَكَّ أَغْلَظَ مِنْكَ طَبْعًا
تُضْغِي إِلَى صَوْتِ الْحَدَاةِ فَتَقْطَعُ الْمَلَوَاتِ قَطْعًا

والعجب من صاحب المواهب كيف جعل المعنى الأول هو المراد من الحديث فجعل علة النهى خوف أن يصيبهن أو يقع فى قلوبهن حداؤه . وأردفه بإيراد المثل الذى أورده فليته لم يورده ، وهو معنى غير لائق التعليل به فى آحاد حرائر نساء المسلمين ، فكيف يعلل به فى المحدود بهن فى الواقع وهن أمهات المؤمنين . على أن تشبيه النساء بالقوارير من الزجاج فى الضعف وسرعة الكسر إليها إنما يلائم المعنى الثانى الذى حكاه بصيغة التمريض ، فما مريضه هو الصحيح ، وما صححه فقدمه هو المريض ، إذ لا تمكن صحته إلا بضرب من المجاز ، مع أنك أيها المنصف لو نظرت إليه فى جادة الشرع وجدته قريباً من عدم الجواز . والله أعلم . وعامر بن الأكوع - بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الواو وبالعين المهملة - هو عم سلمة بن الأكوع . وفي البخارى من حديث سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع النبى ﷺ إلى خيبر ، فسرنا ليلاً . فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ، ألا تسمعنا من هنياتك ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً ، فنزل يحدو بالقوم : [من الرجز]
تَالِهٍ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (١٩/١) .

أخرجه البخارى (٤١٩٦) ، وأحمد (٤٧/٤ ، ٤٨ ، ٥٠) من حديث سلمة بن الأكوع .

فَاغْفِرْ فِدَاءَ لَكَ مَا أَتَيْنَا وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَا قَيْنَا
وَالْقَيْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّا إِذَا صَبَحَ بِنَا أَتَيْنَا
وَبِالصَّبَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

وفى رواية فى هذا الرجز زيادة:

إِنَّ الَّذِينَ قَدْ بَعَّوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَعْنَيْنَا

فقال عليه الصلاة والسلام: من هذا السائق ؟ قالوا: عامر بن الأكوع. قال: يرحمه الله. فقال رجل من القوم: وجبت يارسول الله، لو أمتعتنا به. وفى رواية أحمد: فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب. وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل من السير ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو فى تلك الحال. وقوله عليه الصلاة والسلام: من هذا السائق ؟ فقالوا: عامر بن الأكوع، فقال: يرحمه الله، فقال رجل من القوم: وجبت. أى ثبتت له الشهادة، وستقع قريباً. وكان معلوماً عندهم أن من دعا له ﷺ بهذا الدعاء فى مثل هذا الموطن استشهد، فلذلك قالوا: هلاً أمتعتنا به ؟ أى وددنا أنك أخرت الدعاء له بهذا إلى وقت آخر؛ لنتمتع بمصاحبته ورؤيته مدة. واستشهد رضى الله عنه يوم خيبر.

وعبد الله بن رَواحة كان يحدو بين يديه عليه الصلاة والسلام فى السفر، روى الترمذى فى الشمائل من حديث أنس أنه ﷺ دخل مكة فى عمرة القضاء وابن رَواحة أخذ بزمام راحلته يرتجز فيقول: [من الرجز]

خَلُّوا بَنَى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ قَدْ أُنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ
بِأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ أَلْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
يَا رَبِّ إِنِّى مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ إِنِّى رَأَيْتُ الْحَقَّ فِي قَبُولِهِ^(١)

والبراء بن مالك: قال أنس: كان البراء بن مالك يحدو بالرجال، وأنجشة يحدو بالنساء.

ومن حراسه أبو قتادة الأنصارى حارس رسول الله ﷺ وفى اسمه أقوال: أشهرها

(١) ينظر السيرة النبوية (٧/٤).

الحارث بن ربعى. شهد أحدا والمشاهد كلها. وروى عن رسول الله ﷺ مائة وسبعين حديثا. قيل إنه شهد بدرًا ولم يصح.

ومنهم أبو ريحانة رجل من الأنصار، روى الإمام أحمد برجال ثقات، والطبرانى عنه رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة، فأتينا ذات ليلة على شرف فبتنا عليه، فأصابنا عليه برد شديد، حتى رأيت من يحفر فى الأرض حفرة فيدخل فيها ويلقى عليه جحفته يعنى الترس. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك بالناس قال: من يحرسنى الليلة وأدعو الله دعاء يكون فيه فضلا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يارسول الله. ففتح عليه الصلاة والسلام بالدعاء فأكثر منه. قال أبو ريحانة: فلما سمعت ما دعا به رسول الله ﷺ قلت: أنا رجل آخر. فقال: ادنه فدنوت. فقال: من أنت؟ فقلت: أنا أبو ريحانة. فدعا لى بدعاء دون دعائه للأنصارى^(١).

ومنهم سعد بن معاذ يوم بدر حين نام فى العريش، ذكره ابن عبد قيس. ومنهم المغيرة بن شعبة حين وقف على رأسه بالسيف يوم الحديبية وعروة بن مسعود الثقفى يكلمه عليه الصلاة والسلام ويلمس لحيته، فضرب المغيرة يده بنعل السيف وقال: اكفف يدك عن لحية رسول الله ﷺ. وكان إذ ذاك عروة لم يسلم. ومنهم محمد بن مسلمة، حرسه يوم أحد.

ومنهم الزبير بن العوام يوم الخندق. ومنهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى بوادى القرى. ذكره ذكوان بن عبد قيس. ومنهم أبو أيوب الأنصارى وقت دخوله بصفية بخير أو ببعض الطرق، فدعا له عليه الصلاة والسلام فقال له: حرسك الله يا أبا أيوب كما بت تحرس نبيه. قال السهيلي فى الروض الأنف: فحرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة، حتى أن الروم لتحرس قبره ويستسقون به، وذلك أنه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين من الهجرة، فلما بلغوا القسطنطينية توفى أبو أيوب هناك شهيدا. وكان قد أوصى إلى يزيد أن يدفنه فى أقرب موضع من مدينة الروم، فركب المسلمون ومشوا به حتى إذا لم يجدوا مساغا دفنوه، فسألتهم الروم عن شأنهم فأخبروهم أنه كبير من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ فقالت الروم ليزيد بن معاوية: ما أحملك وأحمق من

(١) أخرجه أحمد (١٣٤/٤)، والدارمي (٢٠٣/٢)، والنسائي (١٥/٦) من حديث أبي ريحانة.

أرسلك، أأمنت أن ننبشه بعدك فنحرق عظامه ؟ فأقسم لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليهدمن كل كنيسة لهم بأرض العرب، وينبش قبورهم. فحيثئذ حلفوا له بدينهم ليكرمن قبره وليحرسنه ما استطاعوا، فذلك أثر دعوته عليه الصلاة والسلام^(١).

ومنهم سعد بن أبى وقاص بواذى القرى، روى أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز اللغوى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: بات رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: ليت رجلا صالحا يحرسنى. قالت: إذ سمعت: السلام عليكم. فقال: « من هذا؟ » قال: أنا سعد بن أبى وقاص، أنا أحرسك يا رسول الله. قالت: فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيته^(٢).

ومنهم عباد بن بشر، وهو الذى كان على حرسه، فلما نزلت آية ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنْ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] خرج عليه الصلاة والسلام فأخبرهم وصرف الحرس. وأما خيله عليه الصلاة والسلام: فالكسب - بفتح السين وسكون الكاف - يقال فرس سكب أى كثير الجرى كأنما يصب جريه صبا، وأصله من سكب الماء يسكبه. وهو أول فرس ملكه، اشتراه عليه الصلاة والسلام بعشر أواق، وكان أغر محجلا طلق اليمنى كميثا. وقال ابن الأثير: كان أدهم^(٣).

والمرتجز: سمي به لحسن صهيله، مأخوذ من الرجز الذى هو ضرب من الشعر. وكان أبيض، وهو الذى شهد فيه خزيمة بن ثابت فجعل عليه الصلاة والسلام شهادته بشهادة رجلين وقال: من شهد له خزيمة كفى. أو كما قال ﷺ. والظرب - بالطاء المعجمة آخره موحدة - : واحد الظراب للجبل الصغير، سمي به لكبره وسمنه، وقيل: لقوته وصلابة رجله، أهده له فروة بن عمرو الجذامى^(٤).

واللحييف - بالمهملة والفاء -: أهده له ربيعة بن أبى البراء. سمي لسمنه وكبره، كأنه يلحف الأرض أى يغطيها بذيله لطوله، فعيل بمعنى فاعل، يقال لحفت الرجل باللحاف طرخته عليه. ويروى بالجيم وبالحاء المعجمة، رواه البخارى ولم يتحققه،

(١) ينظر الروض الأنف (٤/٦٥).

(٢) أخرجه البخارى برقم (٢٨٨٥)، ومسلم (٣٩/٢٤١٠)، والترمذي (٣٧٥٦)، وأحمد (٦/١٤١).

(٣) ينظر: أسد الغابة (١/١٤٠)، تلقيح فهوم أهل الأثر (٣٩).

(٤) ينظر أسد الغابة (١/١٤٠) تلقيح فهوم أهل الأثر (٣٩).

والمعروف بالحاء المهملة قاله ابن الأثير فى النهاية.

واللزاز سُمى به لتلززه واجتماع خَلقه، لز به الشيء لزق به كأنه يلزق بالمطلوب لسرعته، وهذا أهده له المقوقس.

والورد: قال ابن سعد: أهده له تميم الدارى رضى الله تعالى عنه، فأعطاه عمر فحمل عليه فى سبيل الله، ثم وجده يباع برخص فاشتراه.

وسبحة- بالضم والموحدة؛ من قولهم فرس سابح إذا كان حسن مد اليدين فى الجرى-: قال ابن التين: هى فرس شقراء اشتراها من أعرابى من جهينة بعشر من الإبل. فهذه سبعة متفق عليها. وذكر ابن بنين فيما حكاه الحافظ الدميلى: البحر فى خيله عليه الصلاة والسلام، قال: وكان اشتراه من تجر قدموا من اليمن فسبق عليه مرات، فجثا عليه الصلاة والسلام على ركبتيه ومسح وجهه وقال: ما أنت إلا بحر، فسمى بحرا. قال ابن الأثير: وكان لونه كميثا.

والسجل - بكسر السين المهملة وسكون الجيم- ذكره على بن محمد بن الحسين ابن عبدوس الكوفى، ولعله مأخوذ من قولهم سجلت الماء فانسجل إذا صبته فانصب.

وذو لملة - بكسر اللام وشد الميم - ذكره ابن حبيب.

وذو العُقار- بضم العين وشد القاف - وحكى بعضهم تخفيفها.

والسرحان - بكسر السين المهملة وسكون الراء - ذكره ابن خالويه.

والطرف - بكسر الطاء وسكون الراء بعدها - ذكره ابن قتيبة فى المعارف، وذكر أن فى رواية أنه هو الذى اشتراه عليه الصلاة والسلام من الأعرابى وشهد له خزيمة ابن ثابت فيه.

والمرتجل - بكسر الجيم - ذكره ابن خالويه، من قولهم ارتجل الفرس ارتجالاً إذا خلط العنق بشيء من الهملجة.

والمرواح - بكسر الميم - من أبنية المبالغة كالمطعام، مشتق من الريح لسرعته، أو من الرواح لتوسعه فى الجرى، أهده له قوم من مذحج، ذكره ابن سعد.

وملاوح - بضم الميم وكسر الواو - ذكره ابن خالويه.

والمندوب: ذكره بعضهم فى خيله ﷺ وكان دفئا سرجه من ليف.

وأما سلاحه عليه الصلاة والسلام فكان له تسعة أسياف:

مأبور: وهو أول سيف ملكه عليه الصلاة والسلام، وهو الذى يقال: إنه قدم به إلى المدينة فى الهجرة.

العضب - بعين مهملة وضاد معجمة - ومعناه القاطع، أرسله إليه سعد بن عباد حن سار إلى غزوة بدر.

ذو الفقار: لأنه كان وسطه مثل فقار الظهر، ويجوز فى فائه الفتح والكسر، وصار إليه يوم بدر، وكان للعاصى بن منبه بن الحجاج الجمحى، فكان هذا السيف لا يفارقه عليه الصلاة والسلام يكون معه فى كل حرب يشهدها، وكانت قائمته وقبعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة، وهو الذى صار إلى الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه قليل: لاسيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.

القلعى - بضم القاف وفتح اللام - وهو الذى أصابه من قلع؛ موضع بالبادية البتار أي: القاطع.

الحنف: وهو الموت.

المخزم: وهو القاطع.

الرسوب، أى: الذى يمضى فى الضربة ويغيب فيها، وهو فعول من رسب يرسب إذا ذهب إلى أسفل، وإذا ثبت أصاب عليه الصلاة والسلام المخزم. والرسوب من الفلس بضم الفاء وسكون اللام اسم صنم كان لطفى. وكان له سيف اسمه... (١)

وأرماحه عليه الصلاة والسلام: المثوى، قال ابن الأثير: سمي بذلك لأنه يثوى المطعون به من الثوى وهو الإقامة. والمثنى، ورمحان آخران.

وكان له عليه الصلاة والسلام حربة كبيرة اسمها البيضاء، وحربة صغيرة دون الرمح شبه العكازة يقال لها العترة، وكانت تركز أمامه ويصلى إليها فى السفر، وبذلك اغتر بعض العنزيين فقال: صلى النبى ﷺ إلينا، ظنا منه أنها القبيلة التى هو منها، وإنما هى العكازة كما رأيت.

وأما أذراعه عليه الصلاة والسلام فسبع: ذات الفضول بالضاد المعجمة لطولها، أرسلها إليه سعد بن عباد حين سار إلى بدر، وهى التى رهنها عليه الصلاة والسلام

عند أبى الشحم اليهودى على ثلاثين صاعًا من شعير، وكان الدّين إلى سنة. وذات
الوشاح، وذات الحواشى، والسغدية - بالسّين المهملة والغين المعجمة - وهى
درع عكبراء لقينقاعى، قيل: وهى درع داود عليه الصلاة والسلام التى لبسها حين
قتل جالوت. وفضة وكان أصابها من بنى قينقاع، والبتراء لقصرها، والخرنق باسم
ولد الأرنب، وكان عليه - عليه الصلاة والسلام - يوم أحد درعان: ذات الفضول
وفضة. وكان عليه يوم خيبر درعان: ذات الفضول والسغدية.

وأما أقواسه عليه الصلاة والسلام فكانت ستة: الأولى الزوراء، وثلاث من سلاح
بنى قينقاع: الروحاء والصفراء وشوحت. والكتوم كسرت يوم أحد فأخذها قتادة.
والسداد.

وكانت له جعبة تسمى الكافور.

وكانت له منطقة من أديم فيها ثلاث حلق من فضة والإيزيم من فضة والطرف من
فضة وأما أتراسه فكان له عليه الصلاة والسلام ترس اسمه الزلوق، يزلق عنه السلاح
وترس يقال له العتق.

وترس أهدى إليه فيه صورة عقاب أو كبش، فوضع يده عليه فأذهب الله تلك
الصورة.

وأما غنمه ولقاحه فكانت له مائة شاة. وكانت له سبع أعنز ترعاهن أم أيمن جاريته
الحبشية. وكانت له من اللقاح: القصوى وهى التى هاجر عليها إلى المدينة.
والعضباء، والجدعاء ولم يكن بهما غضب ولا جدع وإنما سميتا بذلك. وقيل: كان
بأذنها غضب. وقيل العضباء والجدعاء واحدة. والعضباء هى التى كانت لا تسبق،
فجاء أعرابى على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين، فقال عليه الصلاة
والسلام: إن حقا على الله ألا يرفع شيئًا من هذه الدنيا إلا وضعه^(١). وغنم عليه
الصلاة والسلام يوم بدر جملا لأبى جهل فى أنفه بُرة من فضة فأهداه إلى الكعبة يوم

(١) أخرجه البخاري (٦/١٦٥-الفتح) كتاب الجهاد والسير باب ناقة الرسول ﷺ رقم (٢٨٧٢)،
والنسائي (٦/٢٢٧)، وأبو داود (٤٨٠٣)، وأحمد (٣/١٠٣)، والبيهقي (١٠/١٧)، من
حديث أنس - رضي الله عنه - قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى (العضباء) لا تُسَبَق قال حميد
(الراوي عن أنس): أو لا تكاد تُسَبَق، فجاء أعرابى على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين،
حتى عرفه، فقال: حق على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه، وهذا لفظ البخاري.

الحديبية ليغيظ بذلك المشركين. وكانت له خمسة وأربعون لقحة أرسل بها إليه سعد ابن عباد. وكان له عليه الصلاة والسلام من البغال خمس: الأولى شهباء أهدها له المقوقس مع مارية وأختها فيما أهدها إليه عليه الصلاة والسلام. والثانية فضة أهدها له فروة بن عمرو الجذامي. والثالثة أهدها له ابن العكماء صاحب أيلة. الرابعة: من دومة الجندل. الخامسة أهدها له النجاشي. وقيل إنهن ست والسادسة أهدها له كسرى. قال في المواهب: وفيه نظر. وكان له عليه الصلاة والسلام من الحمير عفير أهدها له المقوقس. وكان له آخر يسمى يعفور. أخرج ابن عساكر عن أبي منظور قال: لما فتح رسول الله ﷺ خير أصاب حمارا أسود، فكلم رسول الله ﷺ الحمار فكلمه الحمار، فقال له رسول الله ﷺ: ما اسمك؟ فقال يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدى ستين حمارًا كلهم لا يركبهم إلا نبي، وقد كنت أتوقعك أن تركبني لم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الأنبياء غيرك، قد كنت قبلك لرجل يهودى وكنت أتعتز به عمدًا فكان يجيع بطنى ويضرب ظهري. فقال له عليه الصلاة والسلام: فأنت يعفور، فكان رسول الله ﷺ يبعثه إلى باب الرجل فيأتى الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أو مأ إليه أن أجب رسول الله ﷺ فلما قبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر كانت لأبى الهيثم بن التيهان الأنصارى فتردى فيها جزعًا على رسول الله ﷺ فمات^(١)، رواه أبو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه.

وكان له عليه الصلاة والسلام فسطاط يسمى الكن وكان له محجن قدر ذراع أو أكثر يمشى ويركب به يعلقه بين يديه على بعير. وكانت له مخصرة تسمى العرجون، وكان له قضيب من الشوحط يسمى المشوق. وكان له قدح يسمى الريان، وآخر يسمى مغيثا، وآخر مضيب بسلسلة من فضة فى ثلاثة مواضع منه، وآخر من عيدان بفتح العين اسم شجرة معروفة، وآخر من زجاج، وتور من حجارة بالتاء المثناة فوق يسمى المخضب، وركوة تسمى الصادرة، ومخضب من نحاس، ومغتسل من صفر، ومدهن، وربعة إسكندرية تجعل فيها المرأة، ومشط من عاج وهو الذبل، ومكحلة يكتحل منها عند النوم. وكان فى الربعة أيضًا المقراض والسواك. وهذه الربعة أهدها له المقوقس صاحب إسكندرية مع مارية وما معها

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/٤٢٠) مختصرا.

وكانت له قصعة تسمى الغراء بأربع حلق، وكان له صاع ومد وقطيفة وسرير قوائمه من ساج وفراش من آدم حشوه ليف، وخاتم من فضة ملوى بفضه، وخاتم فضة فضه منه يجعله في يمينه، وقيل كان أولاً في يمينه ثم حوله إلى يساره منقوش عليه « محمد رسول الله »^(١) ثلاثة أسطر. قال الإمام الإسنوي: في حفظي أن أول الأسطر قرأت « محمد »، ثم فوقه « رسول »، ثم فوقه « الله ». فسطر اسم الله الأعلى.

وأهدى له النجاشي خفين سادجين فلبسهما.

وكان له عليه الصلاة والسلام ثلاث جبات يلبسهن في الحرب، وجبة سندس أخضر وجبة ممالسة، وعمامة يقال لها السحاب وأخرى سوداء. صلوات الله وسلامه عليه.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (١٩)، والترمذي (١٧٤٦)، وابن ماجه (٣٠٣)، والبيهقي (٩٥/١)، والبخاري في شرح السنة (٢٨٦/١-بتحقيقنا)، من حديث أنس قال: كان نقش خاتم رسول الله ﷺ: محمد رسول الله، فكان إذا دخل الخلاه وضعه.

الباب السابع من المقصد الثاني

في الحوادث، من أول سنى هجرته إلى وفاته، عليه الصلاة والسلام. لما دخل - عليه الصلاة والسلام - «المدينة» الشريفة، أقام بها عشر سنين، وقبض في الحادية عشرة؛ تتجدد له في كل سنة أمور وشرائع لا تنحصر؛ فلنذكر شيئاً من ذلك على الترتيب، نبدأ بما في كل سنة من غزوة، ثم من سرية، ثم من غيرهما .

حوادث السنة الأولى من الهجرة

لما استقر - عليه الصلاة والسلام - «المدينة» واجتمع عليه أصحابه وقاموا بنصره، وصارت «المدينة» لهم دار إسلام، ومعقلاً وملجأ يلجئون إليه - شرع الله تعالى جهاد الأعداء؛ فبعث البعوث والسرايا، وغزا وقاتل هو وأصحابه؛ حتى دخل الناس في دين الله أفواجا أفواجا، وكان عدد مغازيه التي خرج فيها بنفسه: سبعا وعشرين، قاتل في تسع منها بنفسه: بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقریظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف؛ وهذا على قول من قال: إن مكة فتحت عنوة. وكانت سراياه التي بعث بها: سبعا وأربعين سرية، وقيل: إنه قاتل في بني النضير. قال في «فتح الباري»^(١): السرية - بفتح السين، وكسر الراء، وتشديد التحتية - هي التي تخرج بالليل، والسارية: هي التي تخرج بالنهار. وقيل: سميت بذلك؛ لأنها تخفي ذهابها، وهذا يقتضى أنها أخذت من «السر»، ولا يصح؛ لاختلاف المادة.

وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه، وهي من مائة إلى خمسمائة، فما زاد على خمسمائة، يقال له: «منسر» بالنون ثم السين المهملة، فإن زاد على الثمانمائة سمى: جيشاً^(٢)، فإن زاد على أربعة آلاف سمى: جحفاً^(٣)، والخميس: الجيش العظيم، وما افترق من السرية يسمى: بَعْثًا، والكتيبة: ما اجتمع ولم ينتشر.

(١) ينظر الفتح (٨/ ٣٨٠) مع اختلاف في السياق.

(٢) زاد في الفتح: وما بينهما يسمى هبطة.

(٣) زاد في الفتح: فإن زاد فجيش جرار.

وكان أول بعوثة - عليه الصلاة والسلام - على رأس سبعة أشهر في رمضان، بعث حمزة بن عبد المطلب، مرة على ثلاثين رجلا من المهاجرين، وقيل: من الأنصار، وفيه نظر؛ لأنه لم يبعث أحدا من الأنصار حتى غزا بهم بدرًا^(١).

خرج حمزة - رضى الله عنه - ومن معه يعترضون عيرا لقريش، فيهم أبو جهل اللعين، فلقى في ثلاثمائة راكب، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص، فلما تصافوا حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى، وكان - عليه الصلاة والسلام - قد عقد له لواء أبيض.

واللواء: هو العلم الذي يحمل في الحرب؛ يعرف به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش نفسه، وقد يدفعه لمقدم العسكر، وقد صرح جماعة من أئمة اللغة بترادف اللواء والراية؛ لكن روى أحمد والترمذي، عن ابن عباس: «كَانَتْ رَايَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُدَاءً وَلِوَاؤُهُ أَبْيَضٌ»^(٢) ومثله عند الطبراني عن بريدة^(٣)، وعند ابن عدي عن أبي هريرة، وزاد فيه: مكتوب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»^(٤)، وهو ظاهر في التغاير؛ فلعل التفرقة بينهما عرفية.

وذكر ابن إسحاق وكذا أبو الأسود عن عروة، أن أول ما حدثت الرايات يوم خيبر، وما كانوا يعرفون قبل ذلك إلا الألوية^(٥)، انتهى.

ثم فيها سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب إلى «بطن رابغ» في شوال في ستين رجلا، وعقد له - عليه الصلاة والسلام - لواء أبيض، حمله مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب، فلقى أبا سفيان بن حرب وكان على المشركين - وقيل: مكرز بن

(١) وهذه السرية هي سرية سيف البحر. وينظر: السيرة النبوية (٢/٢٣٧-٢٣٨)، تاريخ الطبري (٢/٤٠٤)، المغازي للواقدي (٩/١)، الكامل في التاريخ (٢/١١٢)، البداية والنهاية (٣/٢٨٦)، تاريخ الإسلام (٤٥-جزء المغازي). وفي سيرة ابن هشام: وليس فيهم من الأنصار أحد.

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٨١)، وابن ماجه (٢٨١٨) من طريق لاحق بن حميد عن ابن عباس به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/٢٢) رقم (١١٦١) من طريق حيان بن عبيد الله ثنا ابن بريدة عن أبيه، وذكره الهيثمي في المجمع (٥/٣٢٤) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني وفيه حيان ابن عبيد الله، قال الذهبي بيض له ابن أبي حاتم وهو مجهول وبقيّة رجال أبي يعلى ثقات.

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/٦٥٨) وضعفه ابن عدي. وله طريق آخر عنده أيضا (٣/٩٠١)، وفيه خالد بن عمرو القرشي وهو متروك.

(٥) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٥/١٢٠).

حفص، وقيل: عكرمة بن أبي جهل - في مائتين من المشركين، ولم يكن بينهم قتال؛ إلا أن سعد بن أبي وقاص رَمَى بسهم؛ فكان أول سهم رمى به في سبيل الله في الإسلام^(١).

قال ابن إسحاق: وكانت رايةً عبيدة أول راية عقدت في الإسلام^(٢)، وقد تقدم أن أول راية عقدت لحمزة؛ وإنما أشكل أمرهما؛ لأنه ﷺ بعثهما معا فاشتبه ذلك على الناس.

وهذا يشكل بقولهم: إن بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر؛ لكن يحتمل أن يكون - عليه الصلاة والسلام - عقد رايتهما معاً، ثم تأخر خروج أبي عبيدة إلى رأس الثمانية؛ لأمر اقتضاه.

ثم فيها سرية سعد بن أبي وقاص إلى «الخرار»^(٣) - بناء معجمة فراءين مهملتين - وهو: وإد يصب بـ«الحجاز» في «الجحفة»، كان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر، وعقد له لواء أبيض، حملة المقداد بن الأسود^(٤)، في عشرين رجلاً، يعترض عيراً لقريش، فخرجوا على أقدامهم فصبحوا صبح خامسة، فوجدوا العير قد مرت بالأمس^(٥).

ثم فيها - غير ما سبق قريباً من بناء المسجد والمسكن - دعاؤه ﷺ بنقل وباء «المدينة» إلى مهيعة برية مسبعة، وهي «الجحفة»؛ وسبب ذلك وَغْكَ أبى بكر - رضي الله عنه - وغيره من الصحابة، وذلك أنه روى أن هواء «المدينة» كان عَفِئاً وخمّاً يكون فيه الوباء، وكانت مشهورة بالوباء في الجاهلية؛ فإذا دخلها غريب نهق نهيق الحمار؛ يسمونه: التعشير، يقال له: إذا أردت أن تسلم من الوعك والوباء،

(١) ينظر الطبقات الكبرى (٤/٢)، والمغازي للواقدي (١٠، ٢/١)، الروض الأنف (٢٥/٣) - (٢٦)، الكامل في التاريخ (١١١/٢)، تاريخ الخميس (٤٠٢/١)، تاريخ الطبري (٢/٤٠٤)، البداية والنهاية (٢٨٧/٣)، تاريخ الإسلام (٤٦-المغازي).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢٣٧/٢).

(٣) موضع بالحجاز يقال: هو قرب الجحفة، وقيل واد من الأودية، وقيل ماء بالمدينة. ينظر: معجم البلدان (٣٥٠/٢).

(٤) في الطبقات: المقداد بن عمرو البهراني، وهو المقداد بن الأسود، وهذا اسم أبيه.

(٥) ينظر تاريخ الطبري (٤٠٦/٢)، الطبقات الكبرى (٥، ٤/٢)، الكامل في التاريخ (١١٢/٢) - (١١٣/٢)، المغازي للواقدي (١١/١)، البداية والنهاية (٢٨٧/٣)، تاريخ الإسلام (٤٨-المغازي).

فانهق نهيق الحمار، فإذا فعل سلم؛ فاستوخم المهاجرون هواء «المدينة» ولم يوافق أمزجتهم، فمرض كثيرٌ منهم، وضعفوا حتى لم يقدرُوا على الصلاة قيامًا. وفي «سنن النسائي» و«سيرة ابن هشام»: أن الصديق لما قدم «المدينة» أخذته الحمى وعامر بن فهيرة وبلاّ، قالت عائشة: فدخلت عليهم وهم في بيت واحد، قبل أن يضرب علينا الحجاب، فقلت: يا أبت، كيف أصبحت؟ فقال: [من الرجز] كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ فقلت: إنا لله، إن أبي ليهذى! فقلت لعامر بن فهيرة: كيف تجدك؟ فقال: [من الرجز]

لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ وَالْمَرْءُ يَأْتِي مَوْتَهُ مِنْ فَوْقِهِ
كُلُّ امْرِئٍ مُجَاهِدٌ بِطَوْقِهِ كَالثَّوْرِ يَحْمِي أَنْفَهُ بِرَوْقِهِ^(١)
قالت فقلت: هذا- والله- لا يدري ما يقول!. ثم قلت لبلا: كيف أصبحت؟ وكان بلا إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته، ويقول: [من الطويل]
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بَفُخٍّ وَحَوْلِي إِذْخَرُ وَجَلِيلُ؟^(٢)
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاةَ مَجَنَّةٍ وَيَبْدُو لِعَيْنِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ؟^(٣)
ثم يقول: اللهم العن عتبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف؛ كما أخرجونا إلى أرض الوباء. قالت عائشة: فدخلت على رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: اللهم حبب إلينا «المدينة» كحبنا «مكة» أو أشد حبا، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدّها، وانقل حماها إلى مهيعة^(٤)، فأجاب الله دعاءه، فجعل هواءها صحيحا موافقا لأمزجة الغرباء، ونقل وباءها وحماها وعفونة هوائها إلى «الجحفة» وهي- يومئذ- كانت دار اليهود ولم يكن بها مسلم؛ يقال: كانت لا يدخلها الطير إلا حَمَ. عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «رأيت امرأة نائرة

(١) الرُّوقُ: قرن الدابة. ويضرب هذا الشطر مثلاً. المعجم الوسيط (روق).

(٢) الجليل: الثمام، وهو نبت ضعيف يحشى به خصائص البيوت. لسان العرب (جلل).

(٣) شامة وطفيل: جبلان. وقيل: عينان. والأول أكثر. ومجنة: موضع قريب من مكة كانت تقام به سوق في الجاهلية. انظر: اللسان (شيم).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨٩، ٣٩٢٦، ٥٦٥٤، ٥٦٧٧، ٦٣٧٢)، وفي الأدب المفرد (٥٢٥)، ومسلم (١٣٧٦/٤٨٠) مختصراً، وأحمد (٥٦/٦، ٨٢، ٢٣٩، ٢٦٠)، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٧١٥٨/١٢) من حديث عائشة، ورواياته مطولة ومختصرة.

الرأس خرجت من «المدينة» حتى نزلت «مهيعة»^(١).
قال صاحب «الخميس» نقلاً عن «الصفوة»: مهيعة - ك«معيشة» كلتاهما بالمشاة -
التحتية - : اسم للجحفة.

قلت: المشهور: أنها بسكون الهاء وفتح الياء التحتية؛ بوزن «مَسْبُعة» كما تقدم.
وفي «تشويق الساجد إلى أشرف المساجد»: الجحفة - بضم الجيم، وسكون
الحاء - قرية تسمى «مهيعة» على خمس مراحل من «مكة»، وهي ميقاُ أهل «مصر»
و«المغرب»، وهي بقرب «رابغ» محاذية له على يسار الذهاب إلى «مكة»، بينها وبين
البحر ستة أميال.

و«غدير خم» على ثلاثة أميال من «الجحفة» يُسرة عن الطريق، وهذا الغدير تصب
فيه عين، وحوله شجر كثير ملتف، وهي الغيضة التي تسمى «خم»، وبهذا الغدير
قال - عليه الصلاة والسلام - في خطبته هنالك: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم
وال من والاه...» إلى آخره، وذلك مُنْصَرَفُهُ من حجة الوداع، يوم ثامن من ذي
الحجة الحرام.

وفيهما وَآخَى بعد مقدمه إلى «المدينة» بخمسة أشهر، بين المهاجرين والأنصار -
وكانوا تسعين؛ كل طائفة خمسة وأربعون - على الحق والمساعدة والتوارث، وكانوا
كذلك؛ حتى نزل بعد بدر قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾
[الأنفال: ٧٥]، وكتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار.
وفيهما وادع اليهود، وأقرهم، واشترط عليهم ولهم.
ذكر السبب في كون اليهود ب«المدينة»:

قال السهيلي في «روضة»: السبب في ذلك - مع أن «المدينة» وسط أرض
العرب، واليهود أصلهم من أرض «كنعان» - هو أن بني إسرائيل كانت تغير عليهم
العمالق من أرض «الحجاز»، وكانت منازلهم: «يثرب» و«الجحفة» إلى «مكة»،
فشكّت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى - عليه وعلى نبينا وسائر النبيين أفضل الصلاة
والسلام - فوجه إِلَيْهِمْ جيشاً، وأمرهم أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحداً، ففعلوا،

(١) أخرجه البخاري (٧٠٣٨، ٧٠٣٩، ٧٠٤٠)، وأحمد (١٠٧/٢، ١١٧، ١٣٧)، والترمذي
(٢٢٩٠)، وابن ماجه (٣٩٢٤) من طريق موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه.

وتركوا منهم ابن ملك لهم كان غلامًا حسنًا؛ فرقوا له، يقال للملك: الأرقم بن أبي الأرقم- فيما ذكره الزبير بن بكار- ثم رجعوا إلى «الشام» وموسى قد مات، فقالت لهم بنو إسرائيل: قد عصيتم وخالفتم؛ فلا نؤويكم، فقالوا: نرجع إلى البلاد التي غلبنا عليها فنكون بها، فرجعوا إلى «يثرب» فاستوطنوها وتناسلوا بها، إلى أن نزلت عليهم الأوس والخزرج ابنا ثعلبة بن قيس، بعد سيل العرم وتفرقهم من بلاد «اليمن» به؛ ذكر ذلك أبو الفرج الأصفهاني في كتابه «الأغاني».

والذي قاله غيره: أن طائفة من بني إسرائيل لحقت بأرض «الحجاز» حين دَوَّخ بخت نصر البابلي بلادهم، وجاس هو وقومه خلال ديارهم؛ فحيثما لحق من لحق منهم بـ«الحجار» كـ«قريظة» و«النضير»، وسكنوا «خير» و«المدينة».

وأما «يثرب» فاسم رجل من العماليق، أول من نزل بها، وقد تقدم ذكر هذا في المقصد الأول من هذا الكتاب^(١).

وفيها أرى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأذنان، ووافقه جَمْعٌ في رؤياه^(٢).

وبعد شهر من مقدمه زيد في صلاة الحضر؛ على قول من قال: أول ما فرضت ركعتين، وهو الذي صح من حديث عائشة^(٣)، والأكثر على: أنها فرضت تامة، ثم خفت بالقصر في السفر؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١] الآية.

فيؤول حديث عائشة: إما بأن المعنى: أول ما فرضت ركعتين بعدهما تشهد وسلام، أى: وقبل ذلك كانت الأربع بلا تشهد أول، ويكون معنى قولها: «أقرت في السفر» أى: من غير زيادة ركعتين آخرين، وقيل: في التأويل- أيضا- غير ذلك.

وفيها بعد دخوله- عليه الصلاة والسلام- «المدينة» أسلم عبد الله بن سلام، وكان

(١) ينظر: الروض الأنف (٢/ ٢٥٠-٢٥١).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ١٤٩)، الطبقات الكبرى (١/ ٢٤٦-٢٤٨)، نهاية الأرب (١٦/ ٣٩٩)، البداية والنهاية (٣/ ٢٨٤-٢٨٦)، المنتظم (٣/ ٧٧-٨٠).

(٣) أخرجه مالك (١/ ١٤٦) كتاب قصر الصلاة في السفر باب قصر الصلاة الحديث (٨)، والبخاري (٧/ ٢٦٧) كتاب المناقب الحديث (٣٩٣٥)، ومسلم (١/ ٤٧٨) كتاب صلاة المسافرين باب صلاة المسافرين الحديث (١/ ٦٨٥)، وأبو داود (٢/ ٥) كتاب الصلاة باب صلاة المسافرين الحديث (١١٩٨٠)، والنسائي (١/ ٢٢٥-٢٢٦) كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة، والبيهقي (١/ ٣٦٢-٣٦٣) كتاب الصلاة باب عدد ركعات الصلوات.

اسمه: الحصين، فسماه- عليه الصلاة والسلام- عبد الله، وهو من ولد يوسف الصديق بن يعقوب، عليهما السلام^(١).

وفيها كان ابتداء خدمة أنس للنبي ﷺ. وفيها أسلم سلمان الفارسي^(٢).

وفيها ولد عبد الله بن الزبير، جاءت أمه أسماء بنت أبي بكر حاملا به بعد الهجرة، فنفسَتْ به في «قباء»، في شوال من السنة المذكورة وهي الأولى^(٣)، وقال الذهبي: في السنة الثانية من الهجرة^(٤)؛ وفي «المواهب» و«تاريخ الياقعي» و«أسد الغابة»: ولد بـ«المدينة» على رأس عشرين شهرا من الهجرة^(٥)، وقيل: في السنة الأولى^(٦). وقال الحافظ ابن حجر: المعتمد أنه ولد في السنة الأولى؛ للحديث المتفق عليه^(٧).

ومحل بسط أحوال هذه الحوادث كتب السير المدونة لذلك؛ المتناولة المشهورة المسالك؛ لكننا أردنا التبرك بنفح غيرها، والتكفف بيسيرها عن تيسيرها.

(١) وقصة إسلام عبد الله بن سلام عند البخاري (٣٩٣٨) من حديث أنس. وينظر: الطبقات الكبرى (٣٥٢/٢-٣٥٣)، صفة الصفوة (٣٠١/١-٣٠٢)، تاريخ الإسلام (٣٢-المغازي).
(٢) قصة إسلام سلمان الفارسي ينظر لها تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٦٤٨/١-٦٤٩)، حلية الأولياء (١٨٥/١-٢٠٨)، أخبار أصبهان (٤٨/١-٥٧)، تاريخ الطبري (٩٣/١)، تاريخ بغداد (١٦٣/١-١٧١)، الكامل في التاريخ (٢٨٧/٣)، الروض الأنف (٢٥٠/١-٢٥١)، صفة الصفوة رقم (٥٩)، أسد الغابة (٤١٧/٢)، تاريخ الإسلام (٩٥-جزء السيرة)، سير أعلام النبلاء (٥٠٥-٥٥٨)، السيرة النبوية (٢٤١/١-٢٤٩).

(٣) قال العلامة ابن كثير: وممن ولد في هذه السنة المباركة -وهي الأولى من الهجرة- عبد الله بن الزبير فكان أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتي الصديق - رضي الله عنهما -، ومن الناس من يقول: ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر، فعلى هذا يكون ابن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين، ومن الناس من يقول إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة، والظاهر الأول كما قدمنا بيانه ولله الحمد والمنة. البداية والنهاية (٢٨٨/٣). وينظر الاستيعاب (١٥٥٣)، أسد الغابة (٢١٢/٣)، الإصابة (٤٧٠)، الحلية (٣٢٩-٣٣٧)، تجريد أسماء الصحابة (١/٣١١)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٦٦/١)، سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٣)، تاريخ الخلفاء (٢١١).

(٤) تاريخ الإسلام (١٢٧-المغازي)، السير (٣/٣٦٣).

(٥) ينظر: أسد الغابة (٢٩٤٩).

(٦) ينظر: الفتح (٦٦١/٧).

(٧) أخرج البخاري (٣٩٠٩)، ومسلم (٢١٤٦/٢٦)، وأحمد (٣٤٧/٦) عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة قالت: فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء... الحديث.

حَوَادِثُ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ

فيها كانت غزوة «الأبواء»؛ خرج- عليه الصلاة والسلام- في صفر، وهي أول مغازيه؛ كما ذكره ابن إسحاق^(١). وهي من «ودان» على ستة أميال أو ثمانية مما يلي «المدينة»؛ ولتقاربهما أطلق عليها غزوة «ودان» أيضا. و«ودان»: قرية من أمهات القرى، وقيل: واد في الطريق، يقطعه المصعدون من حجاج «المدينة».

روى أنه- عليه الصلاة والسلام- استخلف على «المدينة» سعد بن عباد؛ فيما قاله ابن هشام^(٢)، وخرج في صفر في ستين رجلا من أصحابه؛ يعترض غير قريش وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فلما بلغ «الأبواء» تلقى سيد بني ضمرة مخشى بن عمرو الضمري، فصالحه على ما سيذكر؛ فانصرف- عليه الصلاة والسلام- إلى «المدينة» بعد ما وادع مخشى بن عمرو وصالحه، وكانت المواعدة والمصالحة على أن بني ضمرة لا يغزونه، ولا يكثرّون عليه جمعا، ولا يعينون عدوا، ولم يلق كيذا، أي: حربا^(٣).

وفيها غزوة «بواط» اسم جبل لجهينة، على أربعة برد من «المدينة» في ربيع الأول من السنة المذكورة؛ يعترض غيرا لقريش فيها أمية بن خلف، فرجع ولم يلق كيذا^(٤). «بواط»: بفتح الباء والواو، والطاء المهملة.

وفي «الخلاصة»: «رَضَوَى» كـ «سكرى» جبل على يوم من «ينبع» وأربعة أيام من «المدينة» ذو شعاب وأودية، وبه مياه وأشجار، وهذا هو المعروف، ومنه تقطع

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٣٣)، الطبقات الكبرى (٢/٨)، تاريخ الطبري (٢/٤٧٠)، الروض الأنف (٣/٢٥)، الكامل في التاريخ (٢/١١١)، المغازي للواقدي (١/٢، ١١-١٢)، تاريخ الإسلام (٤٥-المغازي).

(٢) ينظر السيرة النبوية (٢/٢٣٣)، المنتظم (٣/٨٨-٨٩)، تاريخ الإسلام (٤٥-المغازي).

(٣) ينظر: المصادر السابق ذكرها في التعليق السابق وقبل السابق.

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٤٠)، الطبقات الكبرى (٢/٨-٩)، تاريخ خليفة (٥٧)، تاريخ الطبري (٢/٤٠٧)، المغازي للواقدي (١/١٢)، الكامل في التاريخ (٢/١١٢)، المنتظم (٣/٨٩)، تاريخ الإسلام (٤٧-المغازي)، البداية والنهاية (٣/٣٠١)، تلقيح فهوم أهل الأثر (٤٩)، الروض الأنف (٣/٢٧).

حجارة المسان، وهو أول «تِهامة»، وهو مما وقع بـ «المدينة» من الجبل الذي تجلى الله- سبحانه وتعالى- فصار لهيبته جبلا^(١)، و«رضوى»: من جبال الجنة، وفي رواية: «من الجبال التي بنى منها البيت»، وفي الحديث: «رضوى رضى الله عنه، وقدس قدسه الله، وأحد جبل يحبنا ونحبه».

وتزعم الكيسانية المنسوبون إلى كيسان- وهو لقب للمختار بن أبي عبيد الثقفي- داعية محمد بن الحنفية، أنه مقيم بـ «رضوى» حتى يرزق، وينشدون لذلك أبياتا لدعبل فيه، سيأتي ذكرها عند ذكره، رضى الله عنه.

خرج- عليه الصلاة والسلام- في هذه الغزوة في مائتي رجل من قريش، وكان في العير ألفان وخمسمائة بعير، فسار فلم يلق كيذا فرجع إلى «المدينة».

وفيها غزوة بدر الأولى في ربيع الأول؛ لطلب كرز بن جابر الفهري؛ لما أغار على سرح «المدينة» بـ «شغر» بلغ سفوان فلم يلحق كرزاً، وتسمى بدرا الأولى^(٢)؛ لقرب سفوان المذكور من بدر؛ هكذا ذكرها الشمس البرماوي قبل غزوة العشيرة، وذكرها صاحب «المواهب» و«الخميس» مؤخرة عن غزوة العشيرة، مؤرخة بعدها بعشرة أيام^(٣).

قال ابن هشام: واستعمل على «المدينة» زيد بن حارثة، وحمل اللواء على بن أبي طالب^(٤).

وفيها غزوة العشيرة؛ بالشين المعجمة، والتصغير، آخرها هاء؛ لم يختلف أهل المغازي في ذلك^(٥).

(١) أخذ المصنف هذا الكلام من حديث موضوع، أخرجه ابن الأعرابي في المعجم (١٦٨٢) عن أنس مرفوعاً: لما تجلى الله للجبل طارت لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة فوقع بالمدينة أحد ورضوى وورقان، ووقع بمكة ثبير وحراء وثور. وقال الألباني في الضعيفة (١٩٣/١): موضوع.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢٤٣/٢)، الطبقات الكبرى (٩/٢)، المغازي للواقدي (١٢/١)، تاريخ الطبري (٤٠٧/٢)، الكامل في التاريخ (١١٢/٢)، المتظم (٨٩/٣-٩٠)، أنساب الأشراف (٢٨٧/١)، تاريخ الإسلام (٤٨-المغازي)، البداية والنهاية (٣٠٣-٣٠٤).

(٣) وهكذا ذكرها ابن إسحاق بعد غزوة العشيرة وكذا الذهبي، وذكرها ابن الجوزي في المتظم (٩٠-٨٩/٣) قبل غزوة العشيرة.

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢٤٣/٢)، (٢٥٥).

(٥) ينظر: السيرة النبوية (٢٤٠-٢٤١)، الطبقات الكبرى (١٠٠٩/٢)، تاريخ الطبري =

وفي البخاري: العشير، والعسيرة^(١) بالتصغير، والأولى بالمعجمة بلا هاء، والثانية بالمهملة وبالهاء.

وأما غزوة العسرة- بالمهملة من غير تصغير- فهي غزوة تبوك، وستأتي.
ونسبت هذه الغزوة إلى المكان الذي وصلوا إليه، وهو موضع لبني مدلج بـ«ينبع».

قلت: أفادني بعض مشايخي من أهل «مصر» أن محلها هو محطة الحاج المصري الآن بـ«ينبع» جاثيًا وذهابًا.

خرج إليها ﷺ في جمادى الأولى، وقيل: الأخرى، في مائة وخمسين رجلاً، وقيل: في مائتين، ومعهم ثلاثون بعيراً يعتقبونها، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب؛ خرج يريد قريشاً حالَ صدورها من «مكة» إلى «الشام» بالتجارة، فخرج إليها ليغنمها، فوجدها قد مضت.

ووادع بني مدلج من كنانة، وكانت نسخة المودة فيما ذكره غير ابن إسحاق: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من محمد رسول الله لبني مدلج؛ فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصر على من رامهم، على ألا يحاربوا في دين الله ما بلّ بحر صوفة، وأن النبي ﷺ إذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله».

واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي^(٢).

وقال ابن إسحاق- يعني: على مقتضى رواية من قدم غزوة العشيرة على بدر الأولى:- لما رجع ﷺ من غزوة العشيرة، لم يبق بـ«المدينة» إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر، وبلغها صاحب «المواهب» فقال: عشر ليال، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح «المدينة»^(٣).

= (٢/ ٤٨٠)، المغازي للواقدي (١/ ١٢)، الكامل في التاريخ (٢/ ٢١٢)، البداية والنهاية (٣/ ٣٠٢)، المنتظم (٣/ ٩٠)، تاريخ الإسلام (٤٧-المغازي).

(١) ينظر: الفتح (٣/ ٨) كتاب المغازي.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٠)، المغازي (١/ ١٢)، البداية والنهاية (٣/ ٣٠٢)، تاريخ الإسلام (٤٧-المغازي).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٣).

و«شغر» ك«زفر»: جبل بأصل جماء أم خالد، وسفوان- بفتحات-: وادٍ من ناحية بدر، وبه سميت هذه الغزوة بدرًا الأولى.

وفيهما في رجب- كما في «المواهب» و«الخميس»- كانت سرية عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي، إلى «بطن نخلة»، على ليلة من «مكة»^(١).

ونخلة- بلفظ مفردة النخل-: موضعٌ على يوم وليلة من «مكة»، وهى التى ينسب إليها «بطن نخلة»، الوارد فيها حديث استماع جنّ «نصيبين» لقراءته ﷺ في صلاة الصبح بها سورة الجن، المعنيين بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩] سبعة أو ثمانية: شاصر، وماص، ومنشي، وناشي، والأحقب، وعمر بن جابر، وزوبعة، وسُرْق؛ والأصح أنهم سبعة وأن الأحقب صفة لأحدهم^(٢). وهما نخلتان: شامية ويمانية، فالشامية: تنصب من «الغمير»، واليمانية من بطن «قرن المنازل»، وهو طريق «اليمن» إلى «مكة»، فإذا اجتمعا فكانا واحدا فهو السد، ثم يضمهما «بطن مَرّ».

بعثه- عليه الصلاة والسلام- في ثمانية من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد وقيل: اثنا عشر رجلا-: سعد بن أبي وقاص الزهري، وعكاشة بن محصن الأسدي، وعتبة بن غزوان بن جابر السلمي، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة العبشمي، وسهيل بن بيضاء الحارثي، وعامر بن ربيعة الوائلى العنزي، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف التميمي، وخالد بن البكير الليثي؛ كل اثنين منهم يعتقبان بغيرا.

وكتب له- عليه الصلاة والسلام- كتابًا وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به، ولا يستكره أحدا من أصحابه على المسير معه؛ فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب؛ فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل «نخلة» بين «مكة» و«الطائف»، فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم» وفي رواية: فإذا فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فسر على بركة الله بمن تبعك

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٤٣)، الطبقات الكبرى (٢/١٠-١١)، تاريخ الطبري (٢/٤١٠)،

المغازي (١٣/١)، الكامل في التاريخ (٢/١١٣-١١٥)، المستظم (٣/٩١)، البداية والنهاية

(٢/٣٠٤)، تاريخ الخميس (١/٤٠٢)، تاريخ الإسلام (٤٨-المغازي).

(٢) اختلف في عددهم وأسمائهم على أقوال. وينظر: الدر المنثور (٦/١٦-١٧).

من أصحابك؛ حتى تنزل بطن «نخلة» فترصد بها عير قريش؛ لعلك أن تأتي لنا بخبر».

فلما نظر في الكتاب قال: سمعا وطاعة، ثم قال لأصحابه: «قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى «نخلة»؛ لترصد بها قريشا؛ حتى آتى إليه بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم؛ فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، وأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ».

فمضى ومضى معه أصحابه؛ لم يتخلف منهم أحد، وسلك على «المجاز» حتى إذا كان فوق الفرع بمحل يقال له «بحران» أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا؛ فتخلفا في طلبه، وحبسهما ابتغاؤه، ومضى عبد الله بن جحش في بقية أصحابه.

وفي «الوفاء»: مضى العشرة حتى نزلوا «نخلة»، فمرت بهم عير قريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة لقريش، فمنهم عمرو بن الحضرمي - واسم الحضرمي: عبد الله - والحكم بن كيسان، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان، فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم، فقال عبد الله: إن القوم قد رعبوا منكم، فاحلقوا رأس رجل منكم فليعرض لهم، فحلقوا رأس عكاشة فأشرف عليهم، فلما رأوه أمنوا، وقالوا: قوم عمار لا بأس عليكم منهم، وتشاور القوم فيهم - وذلك آخر يوم من رجب - فقالوا: لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم، وليمتنعن عليكم به؛ ولئن قتلتموهم لنقتلنهم في الشهر الحرام^(١).

وفي «الكشاف»^(٢): كان ذلك اليوم أول يوم من رجب، وهم يظنون من جمادى الأخرى، فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم؛ فرمى واقد بن عبد الله الليثي عمرو ابن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسروا عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، وأعجزهم الباقون هربا.

وأقبل عبد الله بن جحش بالعين والأسيرين، وقد عزل عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ خمس تلك الغنيمة، وقسم باقيها بين أصحابه، وذلك قبل أن يفرض الله

(١) ينظر: البداية والنهاية (٣/٣٠٥).

(٢) ينظر: الكشاف (١/٢٥٨).

الخمس من الغنائم لرسول الله ﷺ، فلما أحل الله الفئء بعد ذلك، فأمر بقسمه، وفرض الخمس فيه- وقع على ما كان صنعه عبد الله بن جحش في تلك العير. فلما قدموا على رسول الله ﷺ، قال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام»، فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، سَقَطَ في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدماء، وأخذوا الأموال، وأسروا الرجال، وعَيَّرَ بذلك أهل «مكة» مَنْ فيها من المسلمين، وقالوا: يا معشر الصَّبَاة، قد استحلتم الشهر الحرام، وقاتلتم فيه، وكتبوا في ذلك تشنيعاً وتعيراً.

قال ابن إسحاق: فقال مَنْ يرد عليهم من المسلمين ممن كان بـ«مكة»: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان^(١).

قلت: قول ابن إسحاق هذا، يرد قول «الكشاف» السابق قريباً، أن ذلك اليوم أول يوم من رجب، ويرده أيضاً قول أصحاب عبد الله بن جحش: «لئن تركتم القوم... إلى آخره»؛ إذ تمحيض تعليلهم عدم تركهم إلى غد، بتخوف امتناعهم بدخول الحرم قاضٍ بما قاله ابن إسحاق حملاً لكلام فرسان الكلام على التقسيم الصرف الغير المتداخل، ولا يستقيم إلا إذا كان ذلك اليوم آخر يوم من رجب، لا أول يوم [من شعبان]، وإن جاز خلافه، والله أعلم.

وقالت اليهود: نفاءل على رسول الله: عمرو بن الحضرمي قتله واقد؛ عمرو: عمرت الحرب، والحضرمي: حضرت الحرب، وواقد: وقدت الحرب؛ فجعل الله ذلك عليهم لا لهم؛ فلما كثر الناس في ذلك؛ أنزل الله تعالى على رسوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧] أى: إن أنكرتموه في الشهر الحرام، فقد كان صدودكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم أهله- أكبر عند الله من قتل من قُتِلَ منكم، والفتنة أكبر من القتل، وكانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه؛ فذلك

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٤٥).

أكبر عند الله من القتل.

فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله عن المسلمين ما هم فيه من المشاق قبض- عليه الصلاة والسلام- العير والأسيرين، وبعثت إليه قريش في فك عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، فقال- عليه الصلاة والسلام-: لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان؛ فإننا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبكم، فقدم سعد وعتبة فأفادهما رسول الله ﷺ منهم، فأما الحكم بن كيسان: فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عنده- عليه الصلاة والسلام- حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما ابن عبد الله: فلحق بـ«مكة» فمات كافراً.

فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه؛ حين نزل القرآن- طمعوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨] فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء (١).

قال ابن هشام: وهى أول غنيمة غنمها المسلمون.

قال: وقال عبد الله بن جحش في ذلك: [من الطويل]

تَعْدُونَ قَتْلِي فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً	وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدُ
صُدُّوْكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ	وَكُفِّرُ بِهِ، وَاللَّهُ رَأَى وَشَاهِدُ
وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلُهُ	لِئَلَّا يُرَى لِلَّهِ فِي الْبَيْتِ سَاجِدُ
فَلِنَا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ	وَأَرْجَفَ بِالإِسْلَامِ بَاغٌ وَحَاسِدُ
سَقَيْنَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا	بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَاقِدُ
وَسَارَ (٢) ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانُ بَيْنَنَا	يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقِدِّ عَائِدُ (٣)

وفيها في نصف شعبان- وقيل: في نصف رجب- يوم الاثنين، وقيل: في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء بعد ستة عشر شهراً من مقدمه «المدينة»، وقيل: سبعة

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٤٦-٢٤٧).

(٢) في ط: دما. والمثبت من السيرة، والبداية والنهاية، وهو أصوب.

(٣) ينظر السيرة النبوية (٢/٢٤٧)، والبداية والنهاية (٣/٣٠٨)، وفي البداية والنهاية: غل من القيد عائد. والقيد: شرك من جلد.

عشر، وقيل: ثمانية عشر- حولت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة^(١). وقال الحربي: قدم- عليه الصلاة والسلام- «المدينة» في ربيع الأول فصلى إلى بيت المقدس إلى تمام السنة، وصلى في سنة اثنتين من الهجرة ستة أشهر، ثم حولت القبلة.

روي أنه ﷺ زار أم بشر، أم البراء بن معرور، في بني سلمة فصنعت له طعامًا، فتغدى هو وأصحابه، وجاءت صلاة الظهر، فصلى بأصحابه في مسجد القبلتين ركعتين من الظهر نحو الشام، ثم أُمِرَ أن يستقبل الكعبة وهو راكع في الركعة الثالثة، فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب، ودارت الصفوف خلفه، ثم أتم الصلاة؛ فسمى: مسجد القبلتين^(٢).

قال ابن سعد: قال الواقدي: هذا أثبت من قول من قال: إنها في مسجده، عليه الصلاة والسلام^(٣).

وقيل: إن الصلاة كانت صلاة العصر؛ يشهد له حديث البراء في البخاري^(٤).

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٤٨)، البدء والتاريخ (٤/١٨٤)، تاريخ الطبري (٢/٤١٥)، الكامل في التاريخ (٢/١١٥)، المنتظم (٣/٩٣)، نهاية الأرب (١٦/٣٩٧)، المعرفة والتاريخ (٣/٢٧٥)، والبداءة والنهاية (٣/٣٠٨-٣١١)، تاريخ الإسلام (٥٠-المغازي).

(٢) ينظر: المنتظم (٣/٩٣).

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى (١/١٨٦).

(٤) أخرجه البخاري (١/٥٩٨)، كتاب الصلاة: باب التوجه نحو القبلة حيث كان حديث (٣٩٩)، (٨/٢٤) كتاب التفسير باب ولكل وجهة هو موليها حديث (٤٤٩٢)، (١٣/٢٤٥)، كتاب أخبار الآحاد باب ما جاء في إجازة خبر الواحد حديث (٧٢٥٢)، ومسلم (١/٣٧٣)، كتاب المساجد باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة حديث (١٢/٥٢٥)، والترمذي (٥/١٩١)، كتاب التفسير باب سورة البقرة حديث (٢٩٦٢)، والنسائي (١/٢٤٢-٢٤٣)، كتاب الصلاة باب فرض القبلة حديث (٤٨٨)، وابن ماجه (١/٣٢٢-٣٢٣) كتاب الصلاة باب القبلة حديث (١٠١٠)، وأبو عوانة (٢/٨١-٨٢)، وأحمد (٤/٢٨٣، ٢٨٨-٢٨٩، ٣٠٤)، وأبو داود الطيالسي (٧١٩)، وابن الجارود في المنتقى (١٦٥)، وابن خزيمة (١/٢٢٢، ٢٢٦)، وابن حبان (١٧١٦)، وابن أبي شيبة (١/٣٣٤)، وابن سعد (١/٢٤٢-٢٤٣)، والدارقطني (١/٢٧٣-٢٧٤)، والبيهقي (٢/٣-٢) كتاب الصلاة والبغوي في شرح السنة (٢/٩٥-بتحقيقنا) من طرق كثيرة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب به وفيه: فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأما أهل قباء: فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما في الصحيحين^(١)؛ وهذا دليل على أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به وإن تقدم نزوله؛ لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء، والله أعلم.

وفيهما كان فرض صيام رمضان، بعد تحويل القبلة بشهر، في شعبان؛ على رواية من روى أن تحويل القبلة كان في رجب^(٢).

وفيهما فرضت زكاة الفطر قبل العيد بيومين، وذلك قبل أن تفرض زكاة الأموال، وقيل: إن الزكاة فرضت فيها، وقيل: قبل الهجرة، والله أعلم^(٣).

وفيهما غزوة بدر الكبرى، وتسمى: العظمى، والثانية، وبدر القتال^(٤). وهى قرية مشهورة، نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة أول من نزلها، وقيل: نسبت لبدر بن الحارث حافر بئرها، وقيل: بَدْر: اسم للبئر التى بها سميت بدرا؛ لاستدارتها ولصفائها ورؤية البدر فيها^(٥).

قال ابن كثير: وهو يوم الفرقان الذى أعز الله فيه الإسلام وأهله، ووضع فيه الشرك وخرب محله؛ هذا مع قلة عدد المسلمين، وكثرة العدو مع ما كانوا عليه: من سوابغ الحديد، والعدة الكاملة، والخيول المسومة، والخيلاء الزائد، فأعز الله رسوله، وأظهر وحيه وتزيله، وبيض وجه النبي وقيله، وأخزى الشيطان وجيله؛ ولهذا قال ممتنا على عباده المتقين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] أى: قليل عددكم؛ لتعلموا أن النصر من عند الله لا بكثرة العدد والعدد، فقد كانت هذه الغزوة أعظم الغزوات في الإسلام^(٦).

(١) ينظر السابق.

(٢) ينظر المنتظم (٩٥/٣)، تاريخ الطبري (٤١٧/٢)، الطبقات الكبرى (١٩١-١٩٢)، البداية والنهاية (٣١١-٣١٢).

(٣) ينظر المصادر السابقة.

(٤) ينظر السيرة النبوية (٢٤٩/٢)، المغازي (١٩/١)، المغازي لعروة (١٣١-١٦٠)، الطبقات الكبرى (٢٧-١١/٢)، تاريخ الطبري (٤٢١-٤٧٩)، البدء والتاريخ (١٨٥-١٩٥)، الكامل في التاريخ (١١٦/٢)، المنتظم (٩٧/٣)، جوامع السيرة (١٠٧)، تاريخ الإسلام (٥٠-المغازي)، البداية والنهاية (٣١٣/٣)، عيون التواريخ (١١١-١٤٠).

(٥) ينظر: الطبقات الكبرى (٢٧-١١/٢)، والمنتظم (٩٧/٣).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤٠٠/١).

وحكى الواقدى- بعد أن ذكر الأقوال في سبب تسميتها بدرأ- إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بنى غفار؛ قالوا: إنما هى مأوانا ومنازلنا، وما ملكها أحد قط يقال له: بدر، وإنما هى علم عليها كغيرها من البلاد، وهى على ثمانية وعشرين فرسخًا من «المدينة»^(١).

قال ابن هشام في «السيرة»: إن رسول الله ﷺ لما سمع بأبي سفيان صخر بن حرب، مقبلاً من «الشام» في غير لقريش عظيمة، فيها أموال لهم وتجارة من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون، منهم: أبو سفيان بن حرب، ومخرمة بن نوفل بن أمية بن عبد مناف بن زهرة، وعمرو بن العاص بن وائل، وهى العير التى كان خرج إليها- عليه الصلاة والسلام- فوصل إلى العشيرة حال إقبالها من «مكة» فلم يدركها، فرجع إلى «المدينة»، فأخبره جبريل بقول العير من الشام، فأخبر النبي ﷺ أصحابه المسلمين، فقال: «هذه عير قريش قد أقبلت، فيها أموالهم؛ فاخرجوا إليها؛ لعل الله أن يفلحكموها» فانتدب المسلمون، فخف بعضهم، وثقل بعضهم؛ وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً، وكانت العير زهاء ألف، وفى أحمالها: من التمر والشعير والبر والزبيب، وغير ذلك.

وكان أبو سفيان بن حرب، حين دنا من الحجاز، يتجسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان؛ تخوفاً عن أمر الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى «مكة»، وأمره أن يأتي قريشاً؛ فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم، فقبل وصول ضمضم إلى مكة بثلاث، رأت عاتكة بنت عبد المطلب رؤيا أفزعها، وهى الرؤيا التى تقدم ذكرناها في ذكر أعمامه وعماته- عليه الصلاة والسلام- بما أغنى عن إعادتها هنا^(٢).

وكان خروج النبي ﷺ والمسلمين من «المدينة» لاثنتى عشرة ليلة مضت من رمضان؛ كذا في «المواهب».

وقال ابن هشام: لثمان ليال^(٣)، وكان القتال يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من

(١) ينظر: الطبقات الكبرى (٢/٢٠)، والمتنظم (٢/٩٧).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٤٩-٢٥٠).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥٥).

رمضان، وقيل: التاسع عشر منه؛ والأول أصح.

ولما وصل ضمضم إلى «مكة» وفعل ما فعل، وحثهم على الخروج فقال: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث! طلع أبو جهل على ظهر الكعبة فنادى: النجاء النجاء!، على كل صعب وذلول، غيركم وأموالكم؛ إن أصابها محمد لن تفلحوا إذن أبدًا. فتجهز الناس سرعًا، وقالوا: أیظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟! كلا والله، ليعلمن غير ذلك!.

وقولهم: «كعير ابن الحضرمي»، يشيرون بذلك إلى العير التي غنمها عبد الله بن جحش في سرية إلى بطن «نخلة» المتقدم ذكرها في حوادث السنة الأولى قبل هذه السنة (١).

فكانوا بين رجلين: إما خارج، أو باعث مكانه، وأوعبت قريش، ولم يتخلف من أشرفها أحد، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة؛ كانت له عليه أربعة آلاف درهم أفلس بها، فاستأجره بها على أن يجزى عنه (٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح، أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود، وكان شيخا جليلا جسيما، فأتاه عقبه بن أبي معيط، وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه، بمجمرة يحملها فيها نار، حتى وضعها تحت ثوبه، ثم قال له: يا أبا صفوان، استجمر؛ فإنما أنت من النساء. فقال: قبحك الله وقبح ما جئت به! ثم تجهز وخرج مع الناس.

ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا على المسير، ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب والعداوة، وقالوا: نخشى أن يأتونا من خلفنا؛ وكاد ذلك أن يشبطهم ويشنيهم، فتمثل لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم- وكان من أشرف كنانة- وقال لهم: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم

(١) ينظر: سرية عبد الله بن جحش في حوادث السنة الأولى.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥٢-٢٥٣)، وتاريخ الطبري (٢/٤٢٨-٤٢٩)، ودلائل النبوة (٣/٢٩-٣٠).

بشيء تكرهونه، فساروا^(١).

وفي «الافتكا» لأبي بكر الكلاعي: أنهم كانوا يرونه في كل منزل على صورة سراق لا ينكرونه، حتى كان يوم بدر والتقى الجمعان، وكان في صف المشركين أخذًا بيد الحارث بن هشام، أو بيد أخيه أبي جهل بن هشام، ورأى الملائكة نزلت من السماء، ورأى جبريلَ معتجراً ببرد يمشى بين يديه عليه الصلاة والسلام وبيده اللجام يقود الفرس، وما ركب بعد، وعلم أنه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه مولياً هارباً، فقال له الحارث: إلى أين، أفراراً من غير قتال، أتخذلنا في هذه الحالة؟! فقال: إني أرى ما لا ترون، ودفع في صدر الحارث فانطلق؛ فانهزم الناس.

ولما قدموا «مكة» قالوا: هزمَ الناسَ سراقَةً، فبلغ ذلك سراقَةً فقال: بلغني أنكم تقولون: إني هزمت الناس، فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم! فقالوا: أما أتيتنا يوم كذا وكذا؟! فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان! (٢).

وروى عن السدي والكلبي أنهما قالاً: كان المشركون حين خرجوا من «مكة» أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أهدى الفئتين، وأعلى الجندين، وأكرم الحزبين، وأفضل الدينين؛ ففيه نزلت: ﴿إِنْ تَسْتَفِئِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩] (٣).

وكان عدة المسلمين: ثلاثمائة وثلاثة عشر، وفي «البخاري» (٤) و«الكشاف» (٥): ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً.

وفي الحديث: قال- عليه الصلاة والسلام- لأصحابه يوم بدر: «أنتم اليوم كعدد المرسلين، وأصحاب طالوت يوم عبروا النهر» (٦): سبعة وسبعون منهم من

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥٣-٢٥٤)، تاريخ الطبري (٢/٤٣٠)، والبداية والنهاية (٣/٣١٥).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥٥)، وتاريخ الطبري (٢/٤٣١)، والبداية والنهاية (٣/٣١٨).
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٨٥٤) عن السدي. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٣١٩) وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) ينظر: الفتوح (١٧/٨) وسيأتي حديث البراء بن عازب في ذلك.

(٥) ينظر: الكشاف (١/٤١١).

(٦) أخرجه البخاري (٣٩٥٧، ٣٩٥٨، ٣٩٥٩)، وأحمد (٤/٢٩٠)، والترمذي (١٥٩٨)، =

المهاجرين، ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار، معهم ثلاثة أفراس: فرس المقداد ابن الأسود- والأسود، تبناه، واسم أبيه الحقيقي: عمرو- وفرس الزبير بن العوام، واسمه: اليعسوب، وفرس مَرثد بن أبي مرثد الغنوي. وكان معهم من الدروع: تسعة، وفي رواية: ستة، ومن السيوف: ثمانية أسياف، ومن الظهر: سبعون بعيرا. وثمانية من المسلمين لم يشهدوها لعذر؛ إنما ضرب لهم- عليه الصلاة والسلام- بأجرهم وسهمهم، فكانوا كمن حضرها:

ثلاثة من المهاجرين: عثمان بن عفان: تخلف؛ لتمرير رقية زوجته- رضي الله عنه- بنته- عليه الصلاة والسلام- في مرضها الذي ماتت فيه في غيبته- عليه الصلاة والسلام- في هذه الغزوة.

والثاني والثالث: طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد؛ بعثهما- عليه الصلاة والسلام- عيين يتجسسان خبر العير، فسارا حتى بلغا «الخرار» فكنا هناك فمرت بهما العير، فبلغه- عليه الصلاة والسلام- الخبر فخرج من «المدينة»، ورجعا إلى «المدينة» ولم يعلما بخروجه- عليه الصلاة والسلام- فقدماها بخبر العير فلم يجدها، وفي رواية: كان قدومهما «المدينة» في اليوم الذي كانت فيه الواقعة، فرجعا إليه فلقياه منصرفا من بدر، فضرب لهما بسهمهما وأجرهما؛ فكانا كمن حضر. وخمسة من الأنصار.

أبو لبابة: رده من الطريق إلى «المدينة» بخلافة «المدينة».
وعاصم بن عدي العجلاني: استعمله على أهل العوالي، وحارثة بن حاطب: بعثه من «الروحاء» إلى بني عمرو بن عوف.
والرابع والخامس: الحارث بن الصمة، وخوات بن جبير؛ سقطا من البعير فأصابهما بعض كسر؛ فردهما من الطريق.
وأما عدد المشركين: فكانوا ألفا، وقيل: تسعمائة وخمسون رجلا، معهم من الخيل: مائة، ومن الظهر: سبعمائة، ومعهم القيان والدفوف.

= وابن ماجه (٢٨٢٨) من طريق أبي إسحاق عن البراء وقال: حديث حسن صحيح ولفظه مختلف، واللفظ الذي أورده المصنف قريب منه عند سعيد بن منصور في سننه رقم (٢٨٧٤).

ولما نظر- عليه الصلاة والسلام- إلى أصحابه، ورأى قلة عددهم وعددهم، قال: «اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم، اللهم إنهم عالة فأغنهم»^(١)؛ فاستجيبت دعوته- عليه الصلاة والسلام- ففتح الله عليه؛ فما منهم رجل إلا رجع بخير، وجمل أو جملين، واكتسوا وشبعوا. ودفع- عليه الصلاة والسلام- اللواء- وكان أبيض- إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أمامه- عليه الصلاة والسلام- رايتان سوداوان: أحدهما مع علي بن أبي طالب يقال لها: العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار.

وكانوا يعتقبون السبعين البعير؛ فكان رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي- يعتقبون بعيرا^(٢).

وفي «الكشاف» يعتقب النفر منهم البعير الواحد^(٣)، وفي الحديث: «إذا كان عقبة النبي ﷺ يقولان له: اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك، فيقول لهما: «ما أنتما بأقوى على المسير مني، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما»^(٤).

قال ابن إسحاق: فسلك طريقه من «المدينة» إلى «مكة» على نقب «المدينة» ثم على «العقيق» ثم على «ذى الحليفة» ثم على «أولات الجيش»- قال ابن هشام: «ذات الجيش»- ثم مر على «تربان» ثم على «ملل» ثم على «عميس الحمام» [ثم] على «صخيرات اليمام» ثم على «السيالة» ثم على «فج الروحاء» ثم على «شوكة» وهى على الطريق المعتدلة.

حتى إذا كان بـ«عرق الظبية» لقوا رجلا من الأعراب، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا، فقال له الناس: سَلِّمْ على رسول الله ﷺ فقال: أَوْ فيكم رسول الله؟!!

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٤٧) من طريق عبد الله بن وهب ثنا حيي عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥١).

(٣) ينظر الكشاف (١/٤١١).

(٤) أخرجه أحمد (١/٤١١، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٤)، وابن حبان (٤٧٣٣)، والبخاري (١٧٥٩-كشاف)، والحاكم (٣/٢٠)، والبيهقي (٥/٢٥٨) من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبد الله بن مسعود. وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/٦٨-٦٩): رواه أحمد والبخاري وفيه عاصم بن بهدلة وحديثه حسن وبقيته رجاله رجال الصحيح.

فقالوا: نعم، فسلم عليه، ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه؛ فقال له سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري: لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل إليّ أنا أخبرك عن ذلك: نزوت عليها؛ ففى بطنها سخلة؛ فقال له- عليه الصلاة والسلام-: «أفحشت على الرجل». ثم أعرض عن سلمة. ثم نزل «سجسج» وهى بثر «الروحاء».

وأخذ عليه الصلاة والسلام بـ«الروحاء» عينا له من جهينة حليفا للأنصار، يدعى: ابن الأريقط، فأتاه بخبر القوم، وسبقت العير رسول الله ﷺ.

ثم ارتحل من الروحاء حتى إذا كان بـ«المنصرف» ترك طريق «مكة» بيسار، وسلك ذات اليمين على «النازية» يريد بدرًا، فسلك في ناحية منها حتى جزع واديا يقال له: «صفان» بين «النازية» وبين «مضيق الصفراء» ثم على المضيق ثم انصب به، حتى إذا كان قريبا من «الصفراء» بعث بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة، وعدي بن أبي الزغباء الجهني إلى بدر؛ يتجسسان له الأخبار عن أبي سفيان وعيره، فمضى العينان حتى نزلا بدرًا فأناخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذا شئًا لهما فاستقيا فيه، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء، فسمعا جاريتين من جوارى الحاضرة يتلازمان على الماء، والملزومة تقول للزامة: إنما ترد العير غدا أو بعد غد، فأعمل لهما، ثم أقضيك الذي لك. فقال مجدي بن عمرو صدقت، ثم خلص بينهما. فلما سمع عدي وبسبس ذلك، جلسا على بعير لهما ثم انطلقا؛ حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه، ثم تقدم أبو سفيان العير حذرا، حتى ورد الماء، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست أحدا؟ قال: ما رأيت أحدا؛ إلا أن راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا في شئ لهما، ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيرهما ففتته؛ فإذا فيه كسرات النوى، فقال: هذه والله علائف «يثرب»، فرجع إلى أصحابه سريعا، فصرف وجهه عيره عن الطريق، فساحل بها وترك «بدرًا» بيسار، وانطلق حتى أسرع^(١).

قال ابن إسحاق: ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدم العينان، فلما استقبل «الصفراء»- وهى قرية بين جبلين- سأل عن اسم جليلهما؛ فقالوا: اسم أحدهما: مسلح، والآخر: مخرى، وسأل عن أهلها؟ فقليل له: يسمون: بني النار، وبني

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥١-٢٥٣).

حراق، بطنان من غفار، فكرهما والمرور بينهما، فتركهما و«الصفراء» بيسار، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له «ذفران»^(١).

وفي «خلاصة الوفا»: ذفران: واد معروف، قبل «الصفراء» بيسير يصب سيله فيها من المغرب، يسلكه الحاج المصري في رجوعه إلى «ينبع»، فيأخذ ذات اليمين كما فعله - عليه الصلاة والسلام - في ذهابه إلى غزوة بدر، وبه مسجد يتبرك به على يسار السالك إلى «ينبع»، وأظنه مسجد «ذفران».

وفي «القاموس»^(٢): ذفران - بكسر الفاء - : واد قرب «الصفراء». قال: ولما نزل «ذفران» أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش^(٣).

وفي «الكشاف»: لما كان رسول الله ﷺ بـ«ذفران» نزل عليه جبريل فقال: «يا محمد، إن الله وعدك إحدى الطائفتين: إما العير وإما قريش؛ فحيثنذا استشار أصحابه فقال: «ما تقولون؟ إن القوم قد خرجوا من «مكة» على كل صعب وذلول، فالعير أحب إليكم أم النفير؟» قالوا: العير أحب إلينا من لقاء النفير، فتغير وجهه - عليه الصلاة والسلام - ثم رد عليهم فقال: «إن العير قد مضت من ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل». قالوا: يا رسول الله، عليك بالعير ودع العدو. فقام عند غضب النبي ﷺ أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر وأحسن، ثم قام سعد بن عباد فقال: انظر أمرك وامض لما أمرت؛ فوالله! لو سرت إلى «عدن أبين»^(٤) ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله؛ فنحن معك، والله! ما نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَأَذْهَبَ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، ما دامت منا عين تطرف، نقاتل عن يمينك وعن يسارك، ومن بين يديك ومن خلفك، فوالذي بعثك بالحق! لو سرت بنا إلى «برك الغماد»^(٥)

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥٣).

(٢) ينظر: ترتيب القاموس (٢/٢٦٠) (ذفر).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥٣).

(٤) عَدَن أبين: مدينة مشهورة على ساحل بحر اليمن. مراصد الاطلاع (٢/٩٢٣).

(٥) برك الغماد: بكسر الغين المعجمة هو الأشهر وابن دريد يضمها، وهو موضع وراء =

لجالدنا معك دونه حتى تبلغه.

فضحك رسول الله ﷺ وقال له خيرا، ثم قال- عليه الصلاة والسلام-: «أشيروا علي»، وإنما يريد الأنصار؛ وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا؛ نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا؛ فكان- عليه الصلاة والسلام- يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرة إلا ممن دهمه «المدينة» من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو بعيد عن بلادهم؛ فلما قال ذلك قال له سعد بن معاذ: كأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل». قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك موثيقنا على السمع والطاعة؛ فامض- يا رسول الله- لما أردت؛ فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق! لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا؛ وإنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك؛ فسر بنا على بركة الله. فقال: «سيروا وأبشروا؛ فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله! لكأنى أنظر الآن إلى مصارع القوم!»^(١).

ثم ارتحل- عليه الصلاة والسلام- من «ذفران» فسلك على ثنایا يقال لها: «الأصافر»، ثم انحط منها إلى بلد يقال له: «الدبة» بفتح الدال المهملة، وتشديد الباء الموحدة؛ وفي «القاموس»: «الدبة»: موضع قرب «بدر».

قال ابن إسحاق: وترك «الحنان» بيمين، وهو: كتيب عظيم كالجبل؛ ثم نزل قريبا من «بدر» فركب هو ورجل من أصحابه^(٢) (قال ابن هشام: الرجل: هو أبو بكر الصديق)^(٣) وسار حتى نزل على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه، فقال لهما الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما، فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك». قال: وذاك بذاك؟ قال: «نعم» قال الشيخ: فإنه بلغني

= مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن، وهو أقصى حجر باليمن. مرادد الاطلاع (١٨٧/١).

(١) ينظر: الكشف (١٩٨/٢).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢٥٤/٢)، والبداية والنهاية (٣١٩/٣-٣٢١).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢٥٤/٢).

أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدقني الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا- للمكان الذي به [رسول الله ﷺ] - وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه^(١) قريش. فلما فرغ من خبره، قال: ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرفا عنه. قال: يقول الشيخ: ما «من ماء»؟ من «ماء العراق»؟ أراد- عليه الصلاة والسلام- أن يوهمه أنه من العراق، وكان «العراق» يسمى: ماء؛ لكثرة الماء فيه، وإنما أراد- عليه الصلاة والسلام- أنه خلق من نقطة من ماء.

ثم رجع- عليه الصلاة والسلام- إلى أصحابه، فلما أمسى بعث على بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص- في نفر من أصحابه- إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر، فأصابوا راوية لقريش، فيها غلام أسود لبني الحجاج، اسمه: أسلم، وغلام لبني العاص بن سعيد عريض بن يسار، وفر الباقون وكانوا كثيراً، وأول من بلغ قريشا من الفرار: رجل اسمه عجير، فبلغهم خبر رسول الله ﷺ وقال: يا آل غالب، هذا ابن أبي كبشة مع أصحابه، قد أخذوا راويتكم مع غلامين منا أيها الوزاد، فوقع في جيشهم انزعاج واضطراب وخوف، فلما أتوا رسول الله ﷺ بالغلامين سألوهما، وهو- عليه الصلاة والسلام- يُصلى، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان صاحب العير، فضربوهما، فلما أذلقوهما قالوا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما، وسلم- عليه الصلاة والسلام- من صلاته فقال: «إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله! إنهما لقريش، أخبراني عن قريش» قالوا: هم والله وراء هذا الكتيب العقنقل^(٢)، فقال لهما: «كم القوم؟» فقالا: كثير. قال: «كم عدتهم؟» قالوا: ما ندري. قال: «كم ينحرون كل يوم من الإبل؟» قالوا: يوماً تسعا، ويوماً عشرا. فقال- عليه الصلاة والسلام-: القوم بين التسعمائة والألف». ثم قال لهما: «فمن فيهم من أشرف قريش؟» قالوا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن

(١) سقط في ط. والمثبت من السيرة.

(٢) الكتيب العقنقل: الوادي العظيم المتسع، المتداخل الرمل. الوسيط (عقنقل).

نوفل، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمّية ابن خلف، ونُبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو بن عبد ود العامري؛ فأقبل - عليه الصلاة والسلام - على الناس قائلاً: «هذه - والله - «مكة» قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها»^(١).

قال ابن إسحاق ولما أقبلت قريش ونزلوا «الجحفة» رأى جهيم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا؛ فقال: إني أرى فيما يرى النائم وإنّي لبين النائم واليقظان؛ إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس، حتى وقف ومعه بعير له، ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمّية بن خلف، وفلان، وفلان فعد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش - ثم رأيت ضرب في لبة بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه، فبلغت هذه الرؤيا أبا جهل، فقال: وهذا - أيضا - نبي من بني المطلب، سيعلم غدا من المقتول؛ إن نحن التقينا! ^(٢).

قال ابن هشام: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز غيره، أرسل إلى قريش: «إنكم إنما خرجتم؛ لتمنعوا رجالكم وأموالكم وعيركم، فارجعوا. فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا وكانت بدر موسما من مواسم العرب، يجتمع لهم بها سوق في كل عام - فنقيم عليها ثلاثا، فننحر الجزر ونطعم الطعام، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان بالدفوف، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا؛ فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها، فامضوا. فوافوها فُسُقوا كئوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان! .

وقال أبي بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - وكان حليفا لبني زهرة - : يا بني زهرة، قد نجى الله لكم أموالكم، وخلص لكم صاحبكم مخزومة بن نوفل، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله، فاجعلوا على عارها وارجعوا؛ فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في ضيعة، لا تسمعوا ما يقول هذا - يعني: أبا جهل - فرجعوا فلم يشهدوا زُهرى ^(٣).
وقيل: إن سبب رجوعه بهم: أنه خلا بأبي جهل حين تراءى الجمعان، فقال:

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥٥-٢٥٦)، تاريخ الطبري (٢/٤٣٦)، ودلائل النبوة (٣/٤٢-٤٣)، والبداية والنهاية (٣/٣٢٣-٣٢٤).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥٧).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥٨).

يا أبا الحكم، أترى أن محمداً يكذب؟ فقال أبو جهل: كيف يكذب على الله، وقد كنا نسميه الأمين؛ لأنه ما كذب قط، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف: السقاية، والرفادة، والحجابه، والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة، فأى شيء بقي لنا؟! فحينئذ انخنس أبى بنى زهرة- وكانوا ثلاثمائة رجل- فسمي الأخنس من ذلك؛ لذلك فلم يشهد بدرا زهرى، فأطاعوه وكان فيهم مطاعاً؛ كذا في «الروض الأنف»^(١).

ولم يبق بطن من قريش إلا وقد نفر منه ناس؛ إلا بني عدي بن كعب لم يخرج منهم أحد؛ فلم يشهد بدرا من هاتين القبيلتين: بنى زهرة وبني عدي- أحد.

وروى أن أبا سفيان لقي بنى زهرة، فقال: يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير؟! وهو أول من قالها؛ قالوا: أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع.

ولما بلغ أبا سفيان قول أبى جهل: والله، لا نرجع... إلى آخر ما قاله- قال: واقوماه! هذا عمّل عمرو بن هشام، يعني: أبا جهل.

ولما بلغ أبو سفيان العير إلى مكة لحق بقريش، فمضى معهم وشهد بدرا، وجرح- يومئذ- جراحات، وأفلت هارباً ولحق به «مكة» راجلاً.

قال ابن إسحاق: ومضى القوم، وكانت بين طالب بن أبى طالب- وكان في القوم- وبين بعض قريش محاورة، فقالوا: والله، لقد عرفنا يا بني هاشم- وإن خرجتم معنا- أن هواكم لمع محمد ﷺ، فرجع طالب إلى «مكة» مع من رجع، وقال تلك الأبيات المتقدم ذكرها:

لاهم إما يغزون طالب... إلى آخره.

ومضت قريش حتى نزلوا به «العدوة القصوى» من الوادي خلف «العقنقل»، ونزل- عليه الصلاة والسلام- بطن الوادي، وهو «يليل» بين «بدر» وبين «العقنقل» الذي خلفه قريش في «العدوة الدنيا» أى: القربى إلى «المدينة» من بطن «يليل»، وبعث الله السماء وكان الوادي دهساً، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه، ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم المسير، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدرُوا معه أن يرتحلوا، فخرج- عليه الصلاة والسلام- ييادهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء به «بدر» فنزل به^(٢).

(١) ينظر: الروض الأنف (٨٢/٣).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥٩)، وتاريخ الطبري (٢/٤٣٧-٤٣٨)، والبداية والنهاية (٣/٣٢٥-٣٢٤).

روى أنه في الليلة السابقة على يوم الحرب، غلب النوم والأمنة على المسلمين؛ بحيث لم يقدروا أن يكونوا أيقاظا، روى عن الزبير أنه قال: سلط على النوم، بحيث كلما أردت أن أجلس يلقيني النوم على الأرض، وكذا كان النبي ﷺ وأصحابه. قال سعد بن أبي وقاص: رأيتني تقع ذقني بين يدي، فلما أنتبه أسقط على جنبي. وكان مشركو قريش بقرب منهم، وقد غلبهم الخوف، فبعث- عليه الصلاة والسلام- عمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود إليهم، فرجعا وقالوا: يا رسول الله، غلب على المشركين الخوف؛ حتى إذا صهلت خيلهم، ضربوا وجوهها من شدة الخوف.

وروى أن المسلمين قاموا، فاحتلم أكثرهم وأجنبوا، وقد غلب المشركون على الماء، فتمثل لهم الشيطان فوسوس إليهم، وقال: كيف تُنصرون وقد غلبتم على الماء، وأنتم تظنون محدثين مجننين (والحال أن آية التيمم لم تنزل بعد) وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله؟! فأشفقوا، فأرسل الله عليهم السماء حتى سال الوادي، فاتخذوا الحياض، وشربوا وسقوا الركاب، واغتسلوا وتوضئوا، وملئوا الأسقية، وانظفأ الغبار، وتلبدت لهم الأرض؛ حتى ثبتت عليها الأقدام ولم يمنع السير، وزالت عنهم الوسوسة وطابت النفوس؛ كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغُصَا أَمْنًا مِّنْهُ...﴾ الآية [الأنفال: ١١].

ولما كانت «العدوة القصوى» مناخ قريش أرضا سهلة لينة، لم تبلغ أن تكون رملا، وليس هو بتراب- أصابهم ما لم يقدروا أن يرتحلوا معه؛ فبادر- عليه الصلاة والسلام- حتى نزل على ماء من بدر، فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله، أهذا منزل أنزلكه الله؟ ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟! فقال- عليه الصلاة والسلام-: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». قال: يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل؛ فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني لك حوضا فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم؛ فنشرب ولا يشربون. فقال- عليه الصلاة والسلام-: «لقد أشرت بالرأي». فانهض- عليه الصلاة والسلام- بالناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبنى حوضا على القلب الذي نزل عليه، فملئ ماء، ثم قذفوا

فيه الآنية (١).

وكان نزوله عشاء ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان؛ كما مر.
ولما نزل، قام مع جماعة من أصحابه يسير في عرصة بدر، ويضع يده على الأرض، ويقول: «هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان»؛ يرى أصحابه مصارع صناديد قريش، فوالله ما تجاوز أحد منهم الموضع الذي عين له.
وقال سعد بن معاذ: «يا رسول الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى قعدت على ركائبك؛ فلحققت بمن وراءنا من قومنا؛ فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبا لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك».
فأثنى عليه رسول الله ﷺ ودعاه له بخير، ثم بنى لرسول الله ﷺ عريشا فكان فيه (٢).
وفى «الخلاصة» للسيد السمهودي: «مسجد بدر» مكان العريش الذي بني لرسول الله ﷺ يوم بدر عنده، وهو معروف عند النخيل، والعين قريب منه، وبقربه في جهة القبلة مسجد آخر تسميه العامة: «مسجد النصر» لم أقف فيه على شيء.
قال ابن إسحاق: وارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها- عليه الصلاة والسلام- تصوب من الكثيب إلى الوادي، قال: «اللهم، هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها وحديدها؛ تحاذك وتكذب رسولك؛ اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة».
ثم قال- وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل أحمر-: «إن يكن في أحد من القوم خير، ففي راكب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا».
وكان رجل من غفار يدعى: خفاف بن رحضة، بعث إلى قريش- حين مروا به- ابنا له بجزائر أهداها عليهم، وقال: إن أحببتكم أمدكم بسلاح ورجال، فأرسلوا إليه: أن وصلتك رحم؛ فقد قضيت الذي عليك، ولعمري! إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم، ولئن كنا إنما نقاتل الله، كما يزعم محمد وأصحابه؛ فما لأحد بالله من قبل.

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٥٩-٢٦٠)، وتاريخ الطبري (٢/٤٤٠)، ودلائل النبوة (٣/٣٥)، وأسد الغابة (١/٦٦٥)، والبداءة والنهاية (٣/٣٢٦-٣٢٧).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٦٠)، وسبل الهدى والرشاد (٤/٣٠).

فلما نزل الناس أقبل ناس من قريش حتى وردوا حوضه - عليه الصلاة والسلام - فيهم حكيم بن حزام، فقال - عليه الصلاة والسلام - : «دعوهم». فما شرب أحد منه إلا قتل يومه، ما عدا حكيم بن حزام؛ فإنه لم يقتل، ثم أسلم بَعْدُ، فحسن إسلامه، فكان إذا حلف واجتهد في يمينه قال: والله الذي نجاني من ماء بدر^(١).

ولما اطمأنَّ القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي، فقالوا: احزر لنا أصحاب محمد، فدار بفرسه حول العسكر، ثم رجع فقال: ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلا أو ينقصونه؛ ولكن أمهلوني حتى أنظر ألقوم كمين أو مدد؟ فضرب في بطن الوادي، حتى أبعد فلم ير شيئا، فرجع فقال: ما رأيت شيئا؛ ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلاءيا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل السم الناقع، قوم لا منعة لهم ولا ملجأ إلا سيوفهم! والله، ما أرى أن يُقتل منهم رجلٌ حتى يُقتل منكم رجل؛ فإن أصابوا أعدادهم منكم، فلا خير في العيش بعد ذلك؛ فَرَوْا رأيكم.

ولما سمع حكيم بن حزام كلام عمير، مشى في الناس، فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيدها المطاع؛ هل لك في التي لا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر؟! قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي، قال عتبة: قد فعلت، أنت على بذلك؛ إنما هو حليفي فعلي عقله، وما أصيب من ماله، فائت ابن الحنظلية - يعني: أبا جهل، واسم أمه: أسماء بنت مخزومة إحدى بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة - فإني لا أخشى أن يُشجر أمر الناس غيره؛ ثم قام عتبة خطيبا فقال: يا معشر قريش، إنكم - والله - ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا، والله! لئن أصبتموهم لا يزال الرجل ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته، فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك كفاكم ولم تتعرضوا لما يكره.

قلت: وهذا مصداق قوله - عليه الصلاة والسلام - : «إن يكن في أحد من القوم خير، ففي راكب الجمل الأحمر؛ إن يطيعوه يرشدوا»^(٢).

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٦٠-٢٦١)، وتاريخ الطبري (٢/٤٤٠-٤٤١)، ودلائل النبوة (٣/١١١٢)، والبداية والنهاية (٣/٣٢٧-٣٢٨)، وسبل الهدى والرشاد (٤/٣١).
(٢) تقدم تخريج هذه الرواية.

قال حكيم بن حزام: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نثل درعاً له من جرابها فهو يهيئها، فقلت: يا أبا الحكم، إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا- للذي قاله عتبة- فقال أبو جهل: انتفخ- والله- سحر عتبة، حين رأى محمداً وأصحابه، كلا- والله- لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعثة ذاك؛ ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور، وفيهم ابنه؛ فقد تخوفكم عليه؛ يعني: أبا حذيفة ابن عتبة، وكان قد أسلم قبل، وكان في أصحاب النبي ﷺ يومئذ^(١).

وفي رواية عن حكيم: فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه، وهو يقول: قد فسخت عقدي من بني عبد شمس، وعقدي إلى بني مخزوم. قال حكيم: فجئت إلى عتبة وهو متكئ على خفاف بن رحضة الغفاري- المهندي الجزر السابق ذكرها- فأخبرته بمقالة أبي جهل، فقال عتبة: سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو؟!

وانتفاخ السحر: تقوله العرب للجبان؛ كناية عن الفزع. و«مصفر استه»: إنما قاله عتبة؛ لأن أبا جهل كان به بعض برص في أليته، فكان يردعه بالزعران.

فغضب أبو جهل وطلع في وجهه الشر؛ فسل سيفه وضرب به متن فرسه، فقال له خفاف بن رحضة: بشس الفأل تفاءلت به.

ثم بعث أبو جهل إلى ابن الحضرمي فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت تأزك بعينك؛ فقم وانشد خفرتك ومقتل أخيك.

فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صاح: واعمره ! واعمره ! فحميت الحرب، وحقب أمر الناس، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد أبو جهل على الناس الرأي، الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة.

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي- وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق- فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه أو لأموتن دونه؛ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة، فأطن قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض؛ فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٦٢-٢٦٣).

يريد برّ يمينه، فأتبعه حمزة فضربه؛ حتى قتله في الحوض.

ثم التمس عتبة بن ربيعة بيضةً ليدخلها في رأسه، فما وجد في الجيش بيضة تسعه؛ لعظم هامته أو انتفاخها، فلما رأى ذلك اعتجر بيرد له على رأسه، ثم خرج بين أخيه شيبة ابن ربيعة وولده الوليد بن عتبة بن ربيعة، حتى إذا نصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه ثلاثة من الأنصار: عوف ومعوذ ابنا الحارث، وعبد الله بن رواحة، فقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة^(١).

وقال ابن إسحاق: إن عتبة قال للثلاثة من الأنصار حين انتسبوا له: أكفأ كرام؛ إنما نريد من قومنا^(٢)، ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج لنا أكفأنا من قومنا؛ فقال- عليه الصلاة والسلام-: «قم يا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، قم يا حمزة بن عبد المطلب، قم يا علي بن أبي طالب» فلما دنوا منهم قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي، قالوا: نعم، أكفأ كرام، فبارز عبيدة وكان أسن القوم- عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد بن عتبة.

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي على عتبة فذففا عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

قال ابن إسحاق: ثم تراخف الناس، ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: «إن اكتنقكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل». ورسول الله ﷺ في العريش، معه أبو بكر الصديق- رضي الله عنه^(٣)- فكانت وقعة بدر يوم الجمعة، صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان^(٤)؛ كما تقدم.

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٦٣-٢٦٥)، وتاريخ الطبري (٢/٤٤٢)، والبداية والنهاية (٣/٣٢٩-٣٣٠).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٦٥)، وتاريخ الطبري (٢/٤٤٦).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٦٦)، وتاريخ الطبري (٢/٤٤٦)، ولفظ: «إذا اكتنقكم القوم...» قد ورد موصولاً من حديث حمزة بن أبي أسيد عن أبيه، أخرجه البخاري (٢٩٠٠)، وأبو داود (٢٦٦٣)، والحاكم (٢/٩٦)، والطبراني (١٩/٢٦٢) رقم (٥٨١، ٥٨٢)، والبيهقي في الدلائل (٣/٧٠)، وفي السنن (٩/١٥٥)، والبغوي في شرح السنة (٥/٥٨٣).

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٦٦)، وتاريخ الطبري (٢/٤٤٦).

قال ابن إسحاق: وحدثني حبان بن واسع بن حبان، عن أشياخ من قومه؛ أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قذح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزيرة حليف بني عدي بن النجار، قال ابن هشام^(١): وهو مستنصل من الصف، فطعن في بطنه بالقدح وقال: «استو يا سواد». فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل؛ فأقذني. قال: فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: «استقد». قال: فاعتقه وقبل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟» قال: يا رسول الله، حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك، أن يمس جلدي جلدك؛ فدعا له رسول الله ﷺ بخير^(٢).

قال ابن إسحاق: ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف، ورجع إلى العرش، فدخله ومعه فيه أبو بكر، ليس معه فيه غيره، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر؛ يقول- فيما يقول: «اللهم، إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد»؛ وأبو بكر يقول: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدهك! ^(٣). وقد خفق رسول الله خفقة وهو في العرش، ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر، أتاك

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٦٦).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢/٤٤٦-٤٤٧)، وابن الأثير في أسد الغابة (٢/٥٩٠) ترجمة سواد رقم (٢٣٣٣)، وابن حجر في الإصابة (٣/١٨١) ترجمة رقم (٣٥٩٥) كلهم من طريق ابن إسحاق به، وقال الحافظ في الإصابة: «روى عبد الرزاق عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ «كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزيرة الأنصاري...» فذكر القصة. اهـ.

(٣) أخرجه مسلم (٦/٣٢٧-نووي) كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر الحديث (١٧٦٣)، وأبو داود (٣/٦١) كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير الحديث (٢٦٩٠)، والترمذي (٥/٢٦٩) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأنفال الحديث (٣٠٨١)، والبيهقي في شرح السنة (٧/١١٩) الحديث رقم (٣٦٧١)، والبيهقي في الدلائل (٣/١٣٧)، والطبري في تاريخه (٢/٤٤٧) كلهم من طريق عكرمة بن عمار حدثني سماك الحنفي حدثني عبد الله بن عباس حدثنا عمر بن الخطاب قال: نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض...»، ورواه البخاري نحوه (٩/٦٠٣) كتاب التفسير باب قوله: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» الحديث (٤٨٧٥)، وأحمد في المسند (١/٣٢٩) وغيرهما من حديث عكرمة عن ابن عباس نحو حديث عمر.

نصر الله؛ هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثنياه النقع !»^(١).

قال ابن إسحاق: وقد رُمي مهجع، مولى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بسهم فقتل؛ فكان أول قتل من المسلمين، ثم رمي حارثة بن سراقة أحد بني عدي ابن النجار، وهو يشرب من الحوض، فأصاب نحره فقتل^(٢).

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم، وقال: «والذي نفس محمد بيده ! لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر؛ إلا أدخله الله الجنة» قال: فقام عمير بن الحُمام أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن، فقال: بخ بخ، فما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! قال: فقذف التمرات من يده، وأخذ السيف بيده فقاتل القوم حتى قتل^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، أن عوف بن الحارث وهو ابن عفراء قال: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «غمسه يده في العدو حاسراً». قال: فتزع درعاً كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم، حتى قتل^(٤).

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٤٤٨/٢) وأورده ابن كثير نقلاً عن ابن إسحاق، وروى ابن أبي شيبة (٣٥٤/٧): حدثنا الثقفى عن خالد عن عكرمة أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»، وروى البيهقي في الدلائل (٥٤/٣) من حديث عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرس عليه أداة الحرب». اهـ.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٤٤٨/٢) بسنده إلى ابن إسحاق، وانظر: طبقات ابن سعد (٢/١٢)، وأسد الغابة (٢٦٨/٥) ترجمة (٥١٤٠)، والإصابة للحافظ ابن حجر (١٨٢/٦) ترجمة مهجع (٨٢٧٨)، والاستيعاب رقم (٢٦١١) (ثلاثهم بتحقيقنا) وقد روى ابن أبي شيبة بسنده عن سعيد بن المسيب قال: «قتل يوم بدر خمسة رجال من المهاجرين من قريش: مهجع مولى عمر يحمل يقول: أنا مهجع، وإلى ربي أرجع، وقتل ذو الشمالين وابن بيضاء وعبيدة بن الحارث وعامر بن أبي وقاص». اهـ.

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه (٤٤٨/٢) بسنده إلى ابن إسحاق وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٢٧٨/٤) ترجمة (٤٠٧٢)، وابن حجر في الإصابة (٥٩٣/٤) رقم (٦٠٤٥) - بتحقيقنا. وانظر: الاستيعاب (ت ٢٠٠٤)، والطبقات لابن سعد (١٢/٢)، وأورده ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية (٣٣٧/٣). كلهم نقلاً عن ابن إسحاق. وله شاهد من حديث أنس أخرجه مسلم في صحيحه (٥٢/٧) كتاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد الحديث (١٩٠١)، وأحمد في المسند (١٣٦-١٣٧)، والحاكم في المستدرک (٤٢٦/٣)، والبيهقي في سننه (٩٩/٩) كتاب السير باب جواز انفراد الرجل والرجل بالغزو في بلاد العدو، ورواه أبو داود (٣٩-٣٨/٣) كتاب الجهاد باب بعث العيون الحديث (٢٦١٨) مختصراً.

(٤) أخرجه ابن جرير في تاريخه (٤٤٨-٤٤٩) بسنده إلى ابن إسحاق، ورواه أيضاً البيهقي =

قال ابن إسحاق: وقد حدثني محمد بن مسلم الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعيير العذري، حليف بني زهرة، أنه حدثه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض، قال أبو جهل: «اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة» فكان هو المستفتح على نفسه^(١).

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصباء، فاستقبل بها قريشاً، ثم قال: «شاهت الوجوه». ثم نفحهم بها، فأمر أصحابه فقال: «شدوا» فكانت الهزيمة، فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشrafهم. فلما وضع القوم أيديهم يأسرون، ورسول الله ﷺ في العريش، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ، متوشح بالسيف، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ، يخافون عليه كرة العدو- رأى رسول الله ﷺ في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس، فقال له رسول الله ﷺ: «والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم؟! فقال: «أجل يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان في القتل أحب إلي من الاستبقاء للرجال»^(٢).

= في سنته (٩٩/٩-١٠٠) بسنده إلى ابن إسحاق بهذا الإسناد وهو مرسل، وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد مراراً. وانظر: أسد الغابة (٢٩٩/٤-٣٠٠) ترجمة (٤١٢٨).

(١) أخرجه أحمد (٤٣١/٥)، والطبري في تفسيره (٢٠٦/٦) رقم (١٥٨٥٢)، والنسائي في تفسيره (٥١٨/١) رقم (٢٢١)، والحاكم في مستدركه (٣٢٨/٢)، وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي والواحدي في أسباب النزول ص (٢٣٧) رقم (٤٧٤)، والبيهقي في الدلائل (٧٤/٣)، وابن أبي شيبة (٣٥٥/٧) (٣٦٦٧٤)، ونسبه السيوطي في الدر (٣/٣١٨) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن منده وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٤٤٩/٢) والبيهقي في الدلائل (٨١/٣) نقلاً عن ابن إسحاق، وانظر: البداية والنهاية (٣٤٧/٣)، وأخرج الطبراني في الكبير (٢٢٧/٣) رقم (٣١٢٨) عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصباء فاستقبلنا به فرمانا بها وقال: «شاهت الوجوه» فانهزمتنا وأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، وقال الهيثمي في المجمع (٨٤/٦) إسناده حسن، ورواه الطبراني (٢٢٧/٣) رقم (٣١٢٧)، وابن جرير في التفسير بلفظ عن حكيم بن حزام قال «سمعنا صوت حصاة في طست ورمى رسول الله ﷺ بتلك الحصاة فانهزمتنا» وحسن الهيثمي إسناده أيضاً في المجمع (٨٤/٦)، وروى الطبراني أيضاً في معجمه (٢٨٥/١١) رقم (١١٧٥٠) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال لعلي: «ناولني كفاً من حصباء» فنأوله فرمى به وجوه القوم فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء فنزلت الآية، قال الهيثمي في المجمع (٨٤/٦): «ورجاله رجال الصحيح». اهـ.

قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس؛ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم، قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختری بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله؛ فإنه إنما خرج مستكرهاً». قال فقال أبو حذيفة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس؛ والله! إن لقيته لألحمته بالسيف» قال ابن هشام: ويقال لألجمته.

قال ابن إسحاق: فبلغت رسول الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: «يا أبا حفص (فقال عمر: والله، إنه لأول يوم كنتاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص) أ يضرب وجه عم رسول الله؟!» فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلاضرب عنقه بالسيف؛ فوالله لقد نافق.

قال: فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً، إلا أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيداً^(١). قال ابن إسحاق: وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختری بن هشام؛ لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بـ «مكة» فكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبها قريش على بني هاشم وبني المطلب، فلقبه المجنذر بن زياد البلوي حليف الأنصار من بني سالم بن عوف، فقال المجنذر لأبي البختری: إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك- ومع أبي البختری زميل له قد خرج معه من «مكة»، وهو: جنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسد، وجنادة: من بني ليث واسم أبي البختری: العاصي قال: وزميلي؟ فقال له المجنذر: لا والله، ما نحن بتاركي زميلك؛ وما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك. قال: لا والله إذن لأموتن أنا وهو جميعاً؛ لا تحدث عني نساء «مكة» أني تركت زميلي حرصاً على الحياة. فقال أبو البختری- حين نازله المجنذر وأبى إلا القتال-

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/٤)، والطبري في تاريخه (٢/٤٤٩-٤٥٠)، والبيهقي في الدلائل (٣/١٤٠-١٤١) كلهم من طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد، ورواه الحاكم (٣/٢٢٣) في المستدرک عن العباس بن معبد عن أبيه عن ابن عباس. وانظر البداية والنهاية (٣/٣٤٧-٣٤٨)، والسيرة (٢/٢٧٠).

يرتجز:

لَنْ يُسْلِمَ ابْنُ حُرَّةَ زَمِيلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ
 فاقتتلا، فقتله المجذر بن زياد، وقال المجذر في قتله أبا البختري:
 إِمَّا جَهَلْتُ أَوْ نَسِيتَ نَسَبِي فَأَثَبْتَ النُّسْبَةَ أَتَى مِنْ بَلِي
 أَلْطَّاعِينَ بِرِمَاحِ الْيَزْنِي وَالضَّارِبِينَ الْكَبْشَ حَتَّى يَنْخَنِي
 بَشْرٌ يَيْتُمُ مِنْ أَبِيهِ الْبَخْتَرِي أَوْ بَشْرٌ يَمْثِلُهَا مِثِّي بَنِي
 أَنَا الَّذِي يُقَالُ: أَصْلِي مِنْ بَلِي أَطْعُنُ بِالصَّغْدَةِ^(١) حَتَّى تَنْثَنِي
 وَأَعْطِ الْقِرْنَ بِعَضْبٍ مَشْرِفِي أَرْزِمُ لِلْمَوْتِ كِازِمَ الْمَرِي^(٢)
 فَلَا تَرَى مُجَذَّرًا يَفْرِي فَرِي^(٣)

المري: الناقة التي يستنزل لبنها على عسر.

قال ابن إسحاق: ثم أتى المجذر رسول الله ﷺ فقال: «والذي بعثك بالحق، لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به، فأبى إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته»^(٤).

قال: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، وحدثني أيضًا عبد الله بن أبي بكر وغيرهما، عن عبد الرحمن بن عوف، قال: كان أمية بن خلف صديقًا لي بـ «مكة» وكان اسمي: عبد عمرو، فسميت حين أسلمت: عبد الرحمن، فكان يلقاني فيقول: يا عبد عمرو، أرغبت عن اسم سماكه أبوك؟! فأقول: نَعَمْ فيقول: إني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئًا أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول؛ وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف، قال: فكان إذا دعاني: يا عبد عمرو، لم أجبه. قال: فقلت له: يا أبا علي، اجعل ما شئت. قال: فأنت عبد الإله. قال، فقلت: نعم. قال: فكنت إذا مررت به فيقول: يا عبد الإله فأجيبه، فأحدثت معه؛ حتى إذا كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه علي بن

(١) الصعدة: الرمح المستوي. ينظر: الوسيط (صعد).

(٢) أعبط: أرمى، الوسيط (عبط). والقرن: الشجاع المقاوم الشديد في الحرب، الوسيط (قرن). والعضب: السيف القاطع، اللسان (عضب). وأرزم: أجن، الوسيط (رزم).

(٣) مجذرا: هو المجذر بن زياد. يفري فري: يعمل عملي. يقال: فلان يفري الفري: إذا أجاد عمله وأتى فيه بالعجب الوسيط (فري).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢/٤٥٠-٤٥١)، والبيهقي في الدلائل (٣/١٤١) من طريق ابن إسحاق. وانظر: البداية والنهاية (٣/٣٤٨-٣٤٩)، والسيرة (٢/٢٧١).

أمية أخذ بيده، ومعني أذراع قد استلبتها، فلما رأي قال: يا عبد عمرو، فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت: نعم. فقال: هل لك في، فأنا خير لك من هذه الأذراع. قلت: نعم، ها الله إذن! فطرح الأذراع وأخذت بيده ويد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كالיום قط، أما لكم حاجة في اللبن^(١)؟ قال ابن هشام: أراد باللبن: أن من أسرني اقتديت منه بالإبل الكثيرة اللبن^(٢).

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الواحد بن أبي عون، عن سعيد بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال لي أمية بن خلف - وأنا بينه وبين ابنه - أخذ بأيديهما - يا عبد الإله، من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال عبد الرحمن: فوالله، إني لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي، وكان هو الذي يعذب بلالاً بـ «مكة» على ترك الإسلام، فيخرجه إلى رمضاء «مكة» إذا حميت، فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد، فيقول بلال: «أحد أحد». فلما رآه بلال قال: «رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوث إن نجا». قال: فأحاطوا بنا حتي جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه. قال: فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوق، قال: وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، قال: فقلت له: انج بنفسك ولا نجاء بك، فوالله ما أغني عنك شيئاً. قال: فهبروهما بأسيا فهم حتى فرغوا منهما.

قال: فكان عبد الرحمن بن عوف يقول: «يرحم الله بلالاً، ذهبت أذراعي، وفجعني بأسيري»^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث عن ابن عباس، قال: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لي، حتى أصعدنا في جبل

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٤٥١/٢-٤٥٢)، والبيهقي في الدلائل (٩١/٣) بسنديهما إلى ابن إسحاق به. وانظر البداية والنهاية لابن كثير (٣/٣٤٩)، وقد أخرج البخاري (٥/٢٤٧) كتاب الوكالة، باب إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب الحديث (١/٢٣٠)، والبيهقي في الدلائل (٣/٩٠)، والحاكم (٣/٣٠٧) مختصراً.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٧٢).

(٣) ينظر: التعليق قبل السابق. وينظر أيضاً السيرة النبوية (٢/٢٧٢-٢٧٣).

يشرف على بدر، ونحن مشركان؛ نتظر الوقعة: على من تكون الدائرة؛ فنتهب مع من ينتهب، قال: فبينما نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حممة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: «أقدم حيزوم». فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه؛ فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت^(١). وحيزوم: اسم فرس جبريل.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدة، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة- وكان قد شهد بدرًا- قال بعد أن ذهب بصره. لو كنت اليوم ببدر ومعني بصري، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أتمارى^(٢).

قال: وحدثني أبي، إسحاق بن يسار، عن رجال من بني مازن بن النجار، عن أبي داود المازني- وكان شهد بدرًا- قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر؛ لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه، سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري^(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس، قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر، عمائم بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم، ويوم حنين: عمائم حمراء^(٤).

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم أن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-

(١) أخرجه ابن جرير في تاريخه (٤٥٣/٢) بسنده إلى ابن إسحاق به. وفيه عبد الله بن أبي بكر ابن حزم لم يذكر أحد أنه روى عن ابن عباس انظر التهذيب (٣٤٩/١٤) (ت ٣١٩٠). وانظر: البداية والنهاية (٣٤١/٣)، والسيرة النبوية (٢٧٤/٢).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٨١/٣) بسنده إلى ابن إسحاق به، ورواه ابن الأثير في أسد الغابة (٢١/٥) ترجمة رقم (٤٥٩٣)، وانظر السيرة النبوية (٢٧٤/٢، ٢٧٥)، والبداية والنهاية (٣٤٢، ٣٤١/٣).

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه (٤٥٣/٢)، والبيهقي في الدلائل (٥٦/٣) بسنديهما إلى ابن إسحاق به وفيه جهالة شيوخ إسحاق بن يسار، وروى البيهقي في الدلائل أيضًا من طريق أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة قال حدثني أبو أمامة بن سهل قال: قال لي أبي: «يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه». اهـ. ورواه الطبري (٤٥٤/٢) في تاريخه. انظر البداية والنهاية (٣٤٣/٣)، والسيرة النبوية (٢٧٤/٢).

(٤) أخرجه ابن جرير في تاريخه (٤٥٤/٢)، والبيهقي في الدلائل (٥٧/٣) بسنديهما إلى ابن إسحاق قال: حدثني الحسن بن عمار عن الحكم بن عتيبة عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس. والحسن بن عمار قال الحافظ في التقریب (١٦٩/١): =

قال: العمائم: تيجان العرب، وكان سيما الملائكة يوم بدر: عمائم بيضاء قد أرخوها على ظهورهم، إلا جبرئيل، فإنه كانت عليه عمامة صفراء^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن مقسم، عن ابن عباس: ولم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا لا يضربون.

قال ابن إسحاق: وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز؛ يقاتل وهو يقول:
 مَا تَنْقُمُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مِنِّي بَازِلُ عَامَيْنِ حَدِيثِ سِنِّي^(٢)
 لِمِثْلِ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر: «أحد أحد»^(٣).

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه، أمر بأبي جهل بن هشام أن يلتبس في القتلى، وكان أول من لقي أبا جهل، كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن أبي بكر أيضًا قد حدثني ذلك قالا: قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة: سمعت القوم، وأبو جهل في مثل الحرجة (قال ابن هشام^(٤)): الحرجة: الشجر الملتف؛ وفي الحديث: عن عمر بن الخطاب، أنه سأل أعرابيًا عن الحرجة؟ فقال: هي شجرة بين الأشجار لا يصل راع إليها) وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، قال: فلما سمعتها جعلتها من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنتني حملت عليه، فضربته ضربة أطنت قدمه من نصف ساقه، فوالله ما شبهتها حين طاحت؛ إلا بالنواة تطيح من تحت مِرْضَخَةٍ^(٥) النوى حين يضرب بها. قال: وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي.

= متروك. وانظر ترجمته في الميزان (٢/٢٦٥) رقم (١٩٢١)، وانظر الحديث في البداية والنهاية (٣/٣٤٣)، والسيرة النبوية (٢/٢٧٤).

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٧٤).

(٢) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد مرة انظر: اللسان (عون) وفي البداية والنهاية: (الحرب الشموس). بازل: يقال: بزل الرجل: كملت تجربته فهو بازل، وأصله: من بزل البعير إذا طلع نابه وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة فهو (بازل). ينظر: الوسيط (بزل).

(٣) ينظر السيرة النبوية (٢/٢٧٤-٢٧٥)، وانظر الشعر أيضًا في البداية والنهاية (٣/٣٤٦).

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٧٥).

(٥) المِرْضَخَةُ أو المرضاخ: حجر يرضخ به النوى، أي: يرض ويكسر. الوسيط (رضخ).

وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلتُ عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما أذنتي وضعت عليها قدمي، ثم وطئت بها عليها، حتى طرحتها.

قال ابن إسحاق ^(١): ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان.

ثم مر بأبي جهل - وهو عقير - معوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبتته، فتركه وبه رمق، وقاتل معوذ حتى قتل. فمر عبد الله بن مسعود بأبي جهل، حين أمر به رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى، وقد قال لهم رسول الله ﷺ - فيما بلغني - «انظروا - إن خفي عليكم في القتلى - إلى أثر جرح في ركبته، إني ازدحمت أنا وهو يوماً على مائدة لعبد الله بن جُدعان ونحن غلامان، فكنت أسنُّ منه بيسير، فدفعته فوق علي ركبتيه؛ فجحشت إحداهما جحشاً لم يزل أثره به.

قال عبد الله بن مسعود: فوجدته بآخر رمق فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه، قال: وقد كان ضبث بي مرة بـ «مكة» فأذاني ولكزني، ثم قلت له: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال: وبما أخزاني، أعمد من رجل قتلتموه - وفي رواية: أعظم من رجل قتله قومه - أخبرني لمن الدبرة اليوم (والدبرة: الغلبة والظفر) قال: قلت: لله ولرسوله ^(٢).

قال ابن إسحاق: فزعم رجلٌ من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول: قال لي: لقد ارتقيت يا رويحي الغنم مرتقى صعباً، قال: ثم احتزرت رأسه، ثم جئت به رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدو الله أبي جهل بن هشام. قال: فقال رسول الله ﷺ: «آله الذي لا إله غيره؟» قال: وكانت يمين رسول الله. قال: قلت: نعم، والله الذي لا إله غيره، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ؛ فحمد الله ^(٣).

(١) القول لابن هشام وليس لابن إسحاق.

(٢) أخرجه ابن جرير (٤٥٤-٤٥٥)، والبيهقي في الدلائل (٨٤-٨٥/٣) بسنديهما إلى ابن إسحاق قال: حدثني ثور بن زيد مولى بني الدليل عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس. وانظر البداية والنهاية (٣٥٠-٣٥١)، والسيرة النبوية (٢/٢٧٦). ورواه البيهقي من طريق ابن إسحاق أيضاً حدثني عبد الله بن أبي بكر به مراسلاً.

(٣) أخرجه الطبري (٤٥٥/٢)، والبيهقي في الدلائل (٨٦/٣). وانظر: البداية والنهاية (٣/٣٥١)، والسيرة (٢/٢٧٧)، وأخرج البخاري (٨/٢١) كتاب المغازي باب قتل أبي جهل الحديث (٣٩٦٢) وأطرافه في (٣٩٦٣، ٤٠٢٠)، ومسلم (٦/٤٠٠) كتاب الجهاد والسير باب قتل أبي جهل الحديث (١٨٠٠) وغيرهما من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: =

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي، أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص - ومربه -: إني أراك كأن في نفسك شيئاً، أراك تظن أنني قتلت أباك؛ إني لو قتلت لم أعتذر إليك من قتله، ولكنني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة، فأما أبوك فأني مررت به، وهو يبحث بحث الثور بروقه، فحدث عنه، وقصد له ابنُ عمه عليٌّ فقتله (١).

قال ابن إسحاق: وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي حليف بني عبد شمس ابن عبد مناف، يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جزلاً من حطب، فقال: «قاتل بهذا يا عكاشة». فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه؛ فعاد سيفاً في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد، فقاتل به حتى فتح الله به على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى: العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ، حتى قتل يوم الردة وهو عنده؛ قتله طلحة بن خويلد الأسدي (٢).

قال ابن هشام: ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن - وهو يومئذ مع المشركين -: أين مالي يا خبيث؟ فقال عبد الرحمن: [من السريع] لَمْ يَبْقَ غَيْرُ شِكَّةٍ وَيَغْبُوبٌ وَصَارِمٌ يَقْتُلُ ضَلَّالَ الشَّيْبِ (٣)

= «من ينظر لنا ما صنع أبو جهل؟» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برك، قال: فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟! فقال: وهل فوق رجل قتلتموه (أو قال: قتله قومه)، وروى أحمد (٤٤٤/١)، والطبراني في الكبير (٨١/٩) رقم (٨٤٦٩، ٨٤٧٠، ٨٤٧١، ٨٤٧٢، ٨٤٧٣)، والبيهقي في الكبرى (٦٢/٩) من طرق عن أبي عميرة عن ابن مسعود. وأصل الحديث عن ابن مسعود رواه البخاري (٢١/٨) كتاب المغازي باب قتل أبي جهل الحديث (٣٩٦١) عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه أتى أبا جهل وبه رمق يوم بدر فقال أبو جهل: «هل أعمد من رجل قتلتموه». اهـ.

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٧٧)، والبداية والنهاية (٣/٣٥٤).
(٢) ذكره البيهقي في الدلائل (٣/٩٨) نقلاً عن ابن إسحاق وابن كثير في البداية والنهاية (٣/٣٥٤-٣٥٥)، وانظر السيرة النبوية (٢/٢٧٨). وروى البيهقي في الدلائل (٣/٩٩) بسنده إلى الواقدي قال: حدثني عمر بن عثمان الجحش عن أبيه عن عمته قالت: قال عكاشة بن محصن: «انقطع سيفي يوم بدر فأعطاني رسول الله ﷺ عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل، وقاتلت حتى هزم الله المشركين» فلم يزل عنده حتى هلك. وهو في المغازي للواقدي (١/٩٣) والواقدي متروك كما تقدم مراراً، وانظر أسد الغابة (٤/٦٥) ترجمة (٣٧٣٨)، والسير (١/٣٠٨)، والإصابة ترجمة (٥٦٤٨) بتحقيقنا، والاستيعاب (ت١٨٥٦).
(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٧٩)، والبداية والنهاية (٣/٣٥٦). والشكة: ما يحمل أو يلبس من السلاح. الوسيط (شكك). اليعُوب: الفرس السريع الطويل. ترتيب القاموس (يعب).

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب، طرحوا فيه؛ إلا ما كان من أمية بن خلف، فإنه انتفخ في درعه فذهبوا ليحركوه فتزائل، فأقروه وألقوا عليه ما غييه من التراب والحجارة. فلما ألقوهم في القليب، وقف عليهم رسول الله ﷺ فقال: «يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا». قال فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتكلّم قومًا موتى؟! فقال لهم: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق». قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم؛ فإنما قال رسول الله ﷺ: «لقد علموا»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك؛ قال: سمع أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ من جوف الليل، وهو يقول: «يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبه بن ربيعة، يا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام (فعدد من كان منهم في القليب) هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا». فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي أقوامًا قد جيفوا؟! فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم؛ ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا»^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال- يوم قال هذه المقالة-: «يا أهل القليب، بشس عشيرة النبي كنتم لنبيكم! كذبتُموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتُموني ونصرني الناس». ثم قال: «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟» للمقالة التي قالها^(٣).

(١) أخرجه ابن جرير (٤٥٦/٢) في تاريخه من طريق ابن إسحاق به، ورواه البخاري (٣١/٨) كتاب المغازي باب قتل أبي جهل الحديث (٣٩٧٨، ٣٩٧٩)، ومسلم (٩٣٢)، والنسائي (١١٠/٤) كتاب الجنائز باب أرواح المؤمنين وغيرهم، والحاكم (٢٢٤/٣) من طريق آخر عن عائشة، رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٢/٩-٢٢٣) كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار الحديث (٢٨٧٣)، والنسائي (١٠٩/٤) كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين وغيرهم، وابن أبي عاصم في السنة (٤٢٥/٢) كلهم من حديث أنس، ورواه الطبري في تاريخه (٢/٤٥٦)، والبيهقي في الدلائل (٤٨/٣) بسنديهما إلى ابن إسحاق به.

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٨٠).

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت: [من الوافر]

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكُثِيبِ كَخَطِّ الْوُحْيِ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ^(١)
تَدَاوَلَهَا الرِّيحُ وَكُلُّ جَوْنٍ مِنْ الْوَسْمِيِّ مِنْهُمْ سَكُوبِ^(٢)
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلْقًا وَأَمْسَتْ يَبَابًا بَعْدَ سَاكِنِهَا الْحَبِيبِ^(٣)
فَدَغَ عَنْكَ التَّذَكُّرُ كُلُّ يَوْمٍ وَرَدَّ حَرَارَةَ الصُّدْرِ الْكُثِيبِ
وَحَبَزَ بِالَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ بِصِدْقٍ غَيْرِ إِبْخَارِ الْكَذُوبِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِكُ عِدَّةَ بَذْرِ لَنَا فِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
عِدَّةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حِرَاءَ بَدَتْ أَرْكَائُهُ جُنْحَ الْغُرُوبِ
فَلَاقَيْنَاهُمْ مِثْلًا بِجَمْعٍ كَأْسِدِ الْعَابِ مُرْدَانٍ وَشَيْبِ
أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ وَازَرُوهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي لَفْحِ الْحُرُوبِ
بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُزْهَفَاتٍ وَكُلُّ مَجْرَبٍ خَاطِي^(٤) الْكُعُوبِ
بَنُو الْأَوْسِ الْغَطَارِفُ^(٥) وَازَرْتَهَا بَنُو النَّجَّارِ فِي الدِّينِ الصَّلِيبِ
فَعَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيْعًا وَعُتْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ
وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا فِي رِجَالٍ ذَوِي حَسَبٍ إِذَا نُسِبُوا حَسِيبِ
يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَدَفْتَاهُمْ كَبَاكِبَ^(٦) فِي الْقَلِيبِ
أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
فَمَا نَطَقُوا؟ وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا: صَدَقْتُ، وَكُنْتُ ذَا رَأْيٍ مُصِيبِ^(٧)

(١) الكُثِيب: التل من الرمل وهو موضع بساحل بحر اليمن، ترتيب القاموس (كثب). والوحي: الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة، ترتيب القاموس (وحي). والقشيب: الجديد والأبيض والتنظيف. ترتيب القاموس (قشب) قال السهيلي: أراد حسان بالقشيب هنا: الذي خالطه ما يفسده إما من دنس وإما من قدم.

(٢) الْجَوْن: النبات يضرب إلى السواد من خضرته، ترتيب القاموس: (جون). وهو من الأضداد وهو يطلق على السواد والبياض. ينظر لسان العرب (١٣/١٠١) والوسمي: مطر الربيع الأول، ترتيب القاموس (وسم).

(٣) الرِّسْم: الأثر الباقي من الدار بعد أن عفت. الوسيط (رسم). والياباب: الخراب والخالى لا شيء فيه. الوسيط (يبب).

(٤) الخاطي: الغليظ الصلب. اللسان (خطا).

(٥) الغطريف: السيد الشريف، والجمع: غطارفة. ترتيب القاموس (غطرف).

(٦) كباكب: جماعات.

(٧) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٨٠-٢٨٢)، والبداية والنهاية (٣/٣٥٩).

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله ﷺ بهم أن يلقوا في القليب، أخذ عتبة بن ربيعة فسحب إلى القليب، فنظر رسول الله ﷺ - فيما بلغني - إلى وجه ابنه أبي حذيفة بن عتبة، فإذا هو كئيب قد تغير، فقال: «يا أبا حذيفة، لعلك قد داخلك من شأن أبيك شيء» أو كما قال ﷺ. فقال: لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا؛ وكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجوه له؛ أحزنتني ذلك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيرا^(١).

وكان الفتية الذين قتلوا ببدر، ونزل فيهم من القرآن - فيما ذكر لنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكَافِرِينَ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُمْ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] فتية مسلمين: من بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الحارث بن زمعة؛ ومن بني مخزوم: أبو قيس ابن الفاكه، وقيس بن الوليد بن المغيرة؛ ومن بني جمح: علي بن أمية بن خلف، ومن بني سهم: العاص بن منبه؛ وذلك أنهم كانوا أسلموا ورسول الله ﷺ بـ «مكة»، فلما هاجر إلى «المدينة» حبسهم آبائهم وعشائره بـ «مكة» وفتنوه، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر، فأصيبوا به جميعا.

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر مما جمع الناس، فجمع، فاختلف فيه المسلمون: فقال من جمعه: هو لنا، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه، ولنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم! وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ: مخافة أن يخلص إليه العدو. والله ما أنتم بأحق به منا، لقد رأينا أن نقاتل العدو إذ منحنا الله أكتافهم، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكن خفنا على رسول الله ﷺ كره العدو فقمنا دونه؛ فما أنتم بأحق به منا^(٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٢٤/٣)، والطبري في تاريخه (٤٥٧/٢) بسنديهما إلى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وانظر: السيرة النبوية (٢/٢٨٣)، والبداءة والنهاية (٣/٣٥٩).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٨٣، ٢٨٤)، تاريخ الطبري (٢/٤٥٧، ٤٥٨)، والبداءة والنهاية (٣/٣٦٠).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره، عن سليمان بن موسى، عن مكحول، عن أبي أمامة الباهلي - واسمه: صدي بن عجلان - قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال؟ فقال: فينا - أصحاب بدر - نزلت، حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه [الله] من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء؛ يقول: على سواء (١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: حدثني بعض بني ساعدة، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، قال: أصبت سيف بني عائذ المخزوميين [الذي يسمى:] المرزبان يوم بدر، فلما أمر رسول الله ﷺ أن يردوا ما في أيديهم من النفل، أقبلت حتى ألقيته في النفل، قال: فكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئاً يسأله فعرفه الأرقم بن أبي الأرقم، فسأله رسول الله ﷺ فأعطاه إياه (٢).

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبد الله بن رواحة، بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر - حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ، التي كانت عند عثمان بن عفان، كان رسول الله ﷺ خلفني عليها مع عثمان بن عفان - أن زيد بن حارثة قد قدم، قال: فجئته وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس، وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام،

(١) أخرجه ابن جرير في تاريخه (٤٥٨/٢)، وفي تفسيره (١٧٢/٦) رقم (١٥٦٦٧)، والبيهقي في سننه (٢٩٢/٦) كتاب قسم الفيء، باب بيان مصرف الغنيمة في ابتداء الإسلام ورواه في (٣١٥/٦) (٥٧/٩)، والحاكم (٣٢٦/٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، ورواه أحمد في المسند (٣١٩/٥) والدارمي في سننه (٢٢٨/٢)، (٢٢٩) كتاب السير باب في أن ينفل في البدأة الربع وفي الرجعة الثلث، وعزاه في الدرر (٢٩٢/٣) إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ وابن مردويه، وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه أبو داود (٧٧/٣) كتاب الجهاد باب في النفل الحديث (٢٧٣٧، ٢٧٣٨)، والنسائي في التفسير (٥١٥/١) رقم (٢١٧)، وابن حبان في صحيحه رقم (١٧٤٣-موارد)، والحاكم في المستدرک (١٣١-١٣٢)، والبيهقي في الدلائل (١٣٦-١٣٥/٣)، وابن جرير في تفسيره (١٧٢/٦) رقم (١٥٦٦٤)، وعزاه السيوطي في الدرر (٢٩٣/٣) إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه. وانظر السيرة النبوية (٢٨٤/٢).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٧٣/٦) في تفسيره رقم (١٥٦٧٢) ورقم (١٥٦٧٤)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢٨٣/٢)، وانظر السيرة النبوية (٢٨٤/٢).

وزمعة بن الأسود، وأبو البختری العاص بن هشام، وأمیه بن خلف، ونبیه ومنبه ابنا الحجاج، قال قلت: يا أبت، أحق هذا؟ قال: نعم، والله يا بني (١).

ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى «المدينة» ومعه الأسارى من المشركين، وفيهم: عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث بن كلدة، واحتمل رسول الله ﷺ معه النفل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف ابن مبدول بن عمرو بن غنم بن مالك بن النجار، فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام: يقال: هو عدي بن أبي الزغباء: [من الرجز]

أَقِمْ لَهَا صُدُورَهَا يَا بَسْبَسُ لَيْسَ بِذِي الطَّلَحِ لَهَا مُعَرَّسُ (٢)
وَلَا بِصُخْرَاءِ غُمَيْرٍ مَخْبِسُ إِنَّ مَطَايَا الْقَوْمِ لَا تُحْبِسُ
فَحَمَلَهَا عَلَى الطَّرِيقِ أَكْبَسُ قَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَقَرَّ الْأَخْنَسُ

ثم أقبل رسول الله ﷺ، حتى إذا خرج من «مضيق الصفراء» نزل على الكتيب بين المضيق وبين «النازية» يقال له «سَيْر» إلى سرحة به، فقسم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين، على السواء.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ حتى إذا كان بـ «الروحاء» لقيه المسلمون يهتونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة - كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، ويزيد بن رومان - : ما الذي تهتونا به؟! فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن المعلقة، فنحنراها، فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «أي ابن أخي، أولئك الملا» (٣).

قال ابن هشام: يريد بالملا: الأشراف والرؤساء (٤).

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٤٥٨/٢) بسنده إلى ابن إسحاق به، ورواه الحاكم (٢١٧/٣) - (٢١٨) بسنده إلى ابن إسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر وصالح بن أبي أمامة عن أبيه، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وروى البيهقي في الدلائل (١٣٠-١٣١) عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم خلف عثمان بن عفان وأسامة بن زيد على رقية بنت رسول الله ﷺ أيام بدر فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله بالبشارة... الحديث. وانظر السيرة النبوية (٢/٢٨٥).

(٢) الْمُعَرَّس: الذي يسير نهاره ويعرس - أي: ينزل - أول الليل. اللسان (عرس).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٨٥-٢٨٦)، وتاريخ الطبري (٢/٤٥٨-٤٥٩)، والبداية والنهاية (٣/٣٧١-٣٧٢).

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٨٦).

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان رسول الله ﷺ بـ «الصفراء» قتل النضر بن الحارث صبرًا، قتله علي بن أبي طالب؛ كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل «مكة».

قال ابن إسحاق: ثم خرج حتى إذا كان بـ «عرق الظبية» قتل عقبة بن أبي معيط.

قال ابن إسحاق: والذي أسر عقبة عبدُ الله بن سلمة أحد بني العجلان، فقال عقبة- حين أمر رسول الله ﷺ بقتله-: فمن للصبية يا محمد؟! قال: «النار». فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، أخو بني عمرو بن عوف؛ كما حدثني أبو عبيدة بن عمار بن ياسر^(١).

قال ابن هشام: ويقال قتله علي بن أبي طالب، فيما ذكره ابن شهاب الزهري وغيره^(٢).

ولقى رسول الله ﷺ بذلك الموضع أبو هند مولى فروة بن عمرو البياضي.

قال ابن هشام: وقد كان تخلف عن بدر، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان حجام رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إنما أبو هند امرؤ من الأنصار، فأنكحوه وانكحوها إليه»^(٣) ففعلوا.

قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم «المدينة» قبل الأسارى بيوم^(٤).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أن يحيى بن عبد الله بن

(١) أخرجه ابن جرير (٤٥٩/٢) في تاريخه، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٢٣/٦) كتاب قسم الفء والغنيمة باب ما جاء في قتل من رأى الإمام منهم، وانظر البداية والنهاية (٣٧٢/٣)، والسيرة (٢٨٧/٢). وروى البيهقي في الكبرى (٦٤/٩-٦٥) كتاب السير بسند فيه محمد ابن عمر الواقدي وهو متروك - كما تقدم - من حديث سهل بن أبي حثمة، وروى عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٦/٥) رقم (٩٣٩٤) من حديث ابن عباس، وقال الهيثمي في المجمع (٨٩/٦): رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات، وروى أبو داود (٣/٦٠) كتاب الجهاد، باب في قتل الأسير صبرًا الحديث (٢٦٨٦)، والبيهقي في الكبرى (٣٢٣/٦) كتاب قسم الفء، باب ما جاء في قتل من رأى الإمام منهم، وقال الهيثمي في المجمع (٨٩/٦): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. اهـ.

(٢) ينظر: السيرة (٢٨٧/٢).

(٣) ينظر: السيرة (٢٨٦/٢، ٢٨٧)، وأخرجه ابن جرير (٤٦٠/٢) في تاريخه عن ابن إسحاق، وانظر أسد الغابة (٣١٦/٦) ترجمة (٦٣٢٩-بتحقيقنا)، والإصابة (٣٦٣/٧) ترجمة (١٠٦٨٣) بتحقيقنا، وانظر أيضًا الاستيعاب ترجمة رقم (٣٢٥٣)، والبداية والنهاية (٣٧٣/٣).

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢٨٧/٢).

عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال: قدم بالأسارى، حين قدم بهم، وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مناخهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، قال: وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب

قال: تقول سودة: والله إني لعندهم، إذ أتينا فقبل: هؤلاء الأسارى قد أتى بهم، قالت: فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية من الحجرة، مجموعة يده إلى عنقه، قالت: فلا والله ما ملكت نفسي، حين رأيت أبا يزيد كذلك، أن قلت: أي أبا يزيد، أعطيتهم بأيديكم، ألا متم كراماً؟! فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت: «يا سودة، أعلى الله وعلى رسولك تحرضين؟!». قالت: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، ما ملكت نفسي، حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه، أن قلت ما قلت (١).

قال ابن إسحاق: وحدثني نبيه بن وهب، أخو بني عبد الدار؛ أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى، فرقهم بين أصحابه، وقال: استوصوا بالأسارى خيراً. قال: فكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه، في الأسارى، فقال أبو عزيز: مرّ بي أخي مصعب بن عمير، ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شدّ يدك به؛ فإن أمه ذات متاع؛ لعلها تفديه منك. قال: وكنت في رهط من الأنصار، حتى أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم، خصوني بالخبز وأكلوا التمر؛ لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، فما تقع في يد رجل كسرة من الخبز إلا نفحنى بها. قال: فأستحي فأردها عليه، فيردها علي ما يمسه (٢).

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/٤٦٠)، والحاكم في المستدرک (٣/٢٢)، وانظر السيرة النبوية (٢/٢٨٨).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/٤٦٠) بسنده إلى ابن إسحاق، وانظر السيرة النبوية (٢/٢٨٨)، والبدایة والنهاية (٣/٣٧٣)، وأخرج الطبراني في الكبير (٢٢/٣٩٣) رقم (٩٧٧) من طريق ابن إسحاق: حدثني نبيه بن وهب عن أبي عزيز بن عمير أخى مصعب بن عمير قال: كنت في الأسارى يوم بدر فقال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالأسارى خيراً» وكنت في نفر من الأنصار، وكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني الخبز بوصية رسول الله ﷺ إياهم. قال الهيثمي في المجمع (٦/٨٩) «رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن». اهـ. قلت: بل فيه انقطاع بين نبيه بن وهب وأبي عزيز بن عمير، وقال الحافظ في الإصابة (٧/٢٢٩) ترجمة رقم (١٠٢٥٢): «قال ابن منده، لما ترجم له في الصحابة: روى عنه نبيه بن وهب ولا يعرف له سند...».

قال ابن إسحاق: وكان أبو عزيز صاحبَ لواء المشركين بعد النضر بن الحارث. قال ابن إسحاق: فلما قال أخوه مصعب لأبي اليسر - وهو الذي أسره - ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وصاتك بي؟! فقال أخوه مصعب: إنه أخي دونك، قال فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي؟ ف قيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها^(١).

قال ابن إسحاق: وكان أول من قدم «مكة» بمصাব قريش، الحيسمان بن عبد الله الخزاعي، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم ابن هشام، وأمّية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبية ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام. فلما جعل يعدد أشراف قريش، قال صفوان بن أمّية - وهو قاعد في الحجر - : والله، إن يعقل هذا فاسأله عني، فقالوا: ما فعل صفوان بن أمّية؟ قال: هو ذاك جالسًا في الحجر، وقد - والله - رأيت أباه وأخاه حين قتلا^(٢). قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: ناحت قريش على قتلاها، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه؛ فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم؛ لا يارب عليكم محمد وأصحابه في الفداء. وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن الأسود، وعقيل ابن الأسود، والحارث بن زمعة بن الأسود، وكان يحب أن يبكي على بنيه، قال: فبينما هو كذلك، إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له - وقد ذهب بصره: - انظر هل أحلّ النحب؟! هل بكت قريش على قتلاها؟! لعلى أبكي على أبي حكيمة! (يعني: زمعة) فإن جوفي قد احترق. قال: فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هي امرأة تبكي على بغير لها أضلته.

قال: فذاك حين يقول الأسود: [من الوافر]

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ؟!
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ، وَلَكِنْ عَلَى بَذْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ
عَلَى بَذْرِ سَرَاةٍ بَنَى هُصَيْنِصٍ وَمَخْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَكِّي إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأُسُودِ

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٨٨-٢٨٩).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٨٩)، تاريخ الطبري (٢/٤٦١)، والبداية والنهاية (٣/٣٧٥).

وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسْمِي (١) جَمِيعًا وَمَا لِأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدٍ
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ وَلَوْلَا يَوْمٌ بَذَرَ لَمْ يَسُودُوا (٢)

قال ابن إسحاق: وكان في الأسارى: أبو وداعة بن ضبيرة السهمي، فقال رسول الله ﷺ: «إن له بـ «مكة» ابنا كيسا تاجرا ذا مال، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه». فلما قالت قريش: «لا تعجلوا في فداء أسراكم؛ لا يارب عليكم محمد وأصحابه» قال المطلب بن أبي وداعة- وهو الذي كان رسول الله ﷺ عني-: صدقتم لا تعجلوا، وانسل من الليل فقدم «المدينة» فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به، ثم بعث قريش في فداء الأسارى، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم، أخو بني سالم بن عوف، فقال: [من المتقارب]

أَسْرْتُ سُهَيْلًا فَلَا أَبْتَغِي أَسِيرًا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَمَمِ
وَجِنْدُفٌ تَعْلَمُ أَنَّ الْفَتَى فَتَاهَا سُهَيْلٌ إِذَا يُظْلَمُ
ضَرَبْتُ بِذِي الشَّفْرِ حَتَّى انْتَنَى وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ذِي الْعَلَمِ (٣)
وكان سهيل أعلم؛ وهو المشقوق من الشفة العليا.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدخشم (٤). قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء، أخو بني عامر بن لؤي، أن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، انزع ثنيتي سهيل بن عمرو؛ يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبًا في موضع أبدًا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثل به؛ فيمثل الله بي؛ وإن كنت نبيا». قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر- في هذا الحديث: «إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تدمه» (٥). وقد ذكر هذا المقام ابن هشام.

(١) أراد: لا تسمي؛ فنقل حركة الهمزة إلى السين.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (٢/٤٦٣-٤٦٤)، والسيرة النبوية (٢/٢٩١، ٢٩٢)، والبداية والنهاية (٣/٣٧٧).

(٣) ينظر: تاريخ الطبري (٢/٤٦٤-٤٦٥)، والسيرة النبوية (٢/٢٩٣)، والبداية والنهاية (٣/٣٧٨).

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٩٣).

(٥) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/٤٦٥) بسنده إلى ابن إسحاق. وانظر: السيرة النبوية (٢/٢٩٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/٣٧٨) وقال ابن كثير: هذا حديث مرسل بل معضل =

قال ابن إسحاق: فلما قاولهم فيه مكرز، وانتهى إلى رضاهم، قال: هات الذي لنا. قال: اجعلوا رجلي مكان رجله، وخلوا سبيله؛ حتى يبعث إليكم بفدائه. فخلوا سبيل سهيل، وحبسوا مكرزاً عندهم، فقال مكرز: [من الطويل]

فديتُ بأذوادِ ثَمَانٍ سَبَا فَتَى يَنَالُ الصِّمِيمَ غُرْمُهَا لَا المَوَالِيَا
رَهْتُ يَدِي والمَالُ أَيْسَرُ مِنْ يَدِي عَلَيَّ وَلَكِنِّي خَشِيتُ المَخَازِيَا
وَقُلْتُ سُهَيْلٌ خَيْرُنَا فَادْهَبُوا بِهِ لَأُبْنَأِنَا حَتَّى نُدِيرَ الأَمَانِيَا^(١)

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: كان عمرو بن أبي سفيان بن حرب (قال ابن هشام: أم عمرو بنت أبي عمرو: أخت أبي معيط بن أبي عمرو)- أسيراً في يدي رسول الله ﷺ من أسارى بدر.

قال ابن هشام: أسره علي بن أبي طالب، رضي الله عنه ^(٢).

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: قيل لأبي سفيان: افد عمرا ابنك، فقال: أيجمع عليّ دمي ومالي؟! قتلوا حظلة وأفدى عمراً؛ دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم. قال: فيينا هو كذلك محبوس بـ «المدينة» عند رسول الله ﷺ، إذ خرج سعد بن النعمان بن أكال، أخو بني عمرو بن عوف، ثم أحد بني معاوية- معتمراً ومعه مرية له، وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالبقيع، فخرج من هنالك معتمراً ولا يخشى الذي صنع به، لم يظن أنه يحبس بـ «مكة» إنما جاء معتمراً، وقد كان عهد قريش لا يعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير، فعدا عليه أبو سفيان ابن حرب فحبسه بابه عمرو، ثم قال أبو سفيان: [من الطويل]

أَرْهَطُ ابْنَ أَكَالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ تَعَاقَدْتُمْ لَا تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَا
فَإِنَّ بَنِي عَمْرٍو لِنَامٍ أَذْلَةٌ لَئِنْ لَمْ يَفْكَوْا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَبْلَا
فأجابه حسان بن ثابت: [من الطويل]

لَوْ كَانَ سَعْدٌ يَوْمَ مَكَّةَ مُطْلَقًا لَأَكْثَرَ فِيكُمْ قَبْلَ أَنْ يُوسَرَ الْقَتْلَا

= ورواه الحاكم (٣/٢٨٢)، وعنه البيهقي في الدلائل (٦/٣٦٧) من طريق سفيان عن عمر عن الحسن بن محمد قال: قال عمر ... فذكره. وانظر: الإصابة للحافظ (٣/١٧٧-١٧٨) ترجمة (٣٥٨٦).

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٢/٤٦٥)، والسيرة (٢/٢٩٤)، وابن كثير في البداية (٣/٣٧٨) نقلًا عن ابن إسحاق.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٩٤).

بِعُضْبِ حُسَامٍ أَوْ بِصَفْرَاءَ نَبْعَةٍ تَجْنُ إِذَا مَا أُنبِضْتُ تحفز الثبلا
ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره، وسأله أن يعطيهم
عمرو بن أبي سفيان؛ يفكوا به صاحبهم، ففعل رسول الله ﷺ، فبعثوا به إلى أبي
سفيان فخلى سبيل سعد^(١).

قال ابن إسحاق: وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن
جمح، وكان محتاجاً ذا بنات، فكلم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، لقد عرفت
ما لي من مال، وإني لذو حاجة وذو عيال، فامنن عليّ، فمن عليه رسول الله ﷺ
وأخذ عليه ألا يظهر عليه أحداً أبداً، فقال أبو عزة في ذلك؛ يمدح رسول الله ﷺ
ويذكر فضله في قومه: [من الطويل]

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الرَّسُولُ مُحَمَّداً بِأَنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكَ حَمِيدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى عَلَيْنِكَ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ بُوِثَتْ فِيْنَا مَبَاءَةٌ لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصَعُودُ
فَلِإِنَّكَ مَنْ حَارَبْتَهُ لِمَحَارَبٍ شَقِيٍّ وَمَنْ سَالَمْتَهُ لِسَعِيدُ
وَلَكِنْ إِذَا دُكِّرْتَ بَدْرًا وَأَهْلَهُ تَأَوَّبَ مَا بِي حَسْرَةً وَقُعُودُ^(٢)

قال ابن هشام: وكان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم؛ إلا من لا شيء له
فمن عليه رسول الله ﷺ^(٣).

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن
محمد بن إسحاق المطلبي، قال: فلما انقضى أمر بدر، أنزل الله - عز وجل - فيه
من القرآن «الأنفال» بأسرها، وكان مما أنزل فيها من اختلافهم في النفل، حين
اختلفوا فيه: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ
بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١] فكان عبادة بن الصامت -
فيما بلغني - إذا سئل عن «الأنفال» قال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا

(١) ينظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٦٦-٤٦٧)، والسيرة النبوية (٢/ ٢٩٥)، والبداءة والنهاية (٣/ ٣٧٩-٣٧٨).

(٢) في ط: حرة وتعود. وينظر السيرة النبوية (٢/ ٣٠٥-٣٠٦)، والبداءة والنهاية (٣/ ٣٨٠-٣٨١).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٠٦).

في النفل يوم بدر، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا، فردّه على رسول الله ﷺ، فقسمه بيننا عن بواء (يقول: على السواء) وفي ذلك تقوى الله وطاعته، وطاعة رسوله، وصلاح ذات البين^(١). ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله ﷺ حين عرف القوم أن قريشًا ساروا إليهم، وإنما خرجوا يريدون العير طمعًا في الغنيمة، فقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ مُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَرْظُئُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥، ٦٦] أي: كراهيةً للقاء القوم، وإنكارًا لمسير قريش حين ذكروا لهم ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَوَدُّوكَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] أي: الغنيمة دون الحرب ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَائِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧] أي: بالوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يومئذ؛ تأييدا لدين الحق، دين رسول الله ﷺ^(٢).

قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من شهد «بدرًا» من المسلمين، ثم من قريش، ثم من بني هاشم بن عبد مناف، وبني المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة: محمد رسول الله ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وحمزة بن عبد المطلب بن هاشم أسد الله وأسد رسوله عم رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وزيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي^(٣)، أنعم الله عليه ورسوله عليه السلام.

قال ابن إسحاق: وأنس مولى رسول الله ﷺ، وأبو كبشة مولى رسول الله ﷺ، وأبو مرثد كنان بن حصين بن يربوع، وابنه مرثد بن أبي مرثد حليفًا حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وأخواه طفيل والحصين ابنا الحارث، ومسطح واسمه: عوف بن أثانة بن عباد بن المطلب.

ومن عبد شمس: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه، قال: وأجرى

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٧٢/٦) رقم (١٥٦٦٧)، والسيرة النبوية (٣١٣/٢).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٣١٢/٢-٣٢٤).

(٣) قال ابن هشام: شراحيل.

يا رسول الله؟! قال: «وأجرك»، وأبو حذيفة بن [ربيعة بن عبد شمس]^(١)، وسالم مولى أبي حذيفة، واسم أبي حذيفة هذا: مهشم. وسالم: سائبة لثيثة بنت يعار بن زيد، سيته فانقطع إلى أبي حذيفة فتناه.

قال ابن إسحاق: وزعموا أن صبيحًا مولى أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، تجهز للخروج مع رسول الله ﷺ، ثم مرض فحمل على بغيره أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

وشهد بدرًا من حلفاء بني عبد شمس، ثم من بني أسد بن خزيمة: عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وعكاشة بن محصن، وشجاع بن وهب بن ربيعة، وأخوه عقبة بن وهب، ويزيد بن رقيش بن رثاب، وأبو سنان بن محصن، وابنه سنان بن أبي سنان، ومحرز بن نضلة ابن عبد الله، وربيعة بن أكتم أخي عكاشة بن محصن بن سخبرة بن عمرو بن لكيز ابن عامر بن غنم بن دودان بن أسد.

ومن حلفاء بني كبير بن غنم بن دودان بن أسد: ثقف بن عمرو، وأخواه: مالك ابن عمرو، ومدلج.

قال ابن هشام: مدلاج بن عمرو، وهم من بني حجر آل بني سليم. وأبو مخشي حليف لهم. قال ابن هشام: أبو مخشي: طائي، واسمه: سويد بن مخشي.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان بن جابر من بني قيس بن عيلان، وخباب مولى عتبة بن غزوان.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الزبير بن العوام، وحاطب بن أبي بلتعة، وسعد مولى حاطب.

قال ابن هشام: حاطب بن أبي بلتعة لخمى، وسعد مولاه كلبى. ومن بني عبد الدار بن قصي: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وسويط بن سعد بن حريملة.

(١) في ط: عتبة. والمثبت من السيرة، والبداية والنهاية.

ومن بني زهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث ابن زهرة، وسعد بن أبي وقاص، وأخوه عمير بن أبي وقاص.
ومن حلفائهم: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن قضاة.
قال ابن إسحاق: وعبد الله بن مسعود من هذيل، ومسعود بن ربيعة من القارة.
قال ابن هشام: القارة: لقب لهم يقال: قد أنصف القارة من رامها، وكانوا رماة.

وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة من خزاعة، وإنما قيل له: ذو الشمالين؛ لأنه كان أعسر، واسمه: عمير. وخباب بن الأرت من بني تميم، ويقال: من خزاعة.

ومن بني تيم من مرة: أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - واسمه: عتيق، وقيل: عبد الله، ولقب بعتيق، لحسن وجهه وعتقه؛ وبلال بن رباح مولى أبي بكر، مولد من مولدي بني جمح، لا عقب له. وعامر بن فهيرة، مولى أبي بكر - رضي الله عنه - مولد من مولدي الأسد، لا عقب له. وصهيب بن سنان من النمر بن قاسط، ويقال: مولى عبد الله بن جُدعان، ويقال: إنه رومي، وقيل: كان أسيرًا في الروم فاشترى منهم، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «صهيب سابق الروم»^(١). وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، كان بـ «الشام» قدم بعد رجوع رسول الله ﷺ من «بدر» فكلمه فضرب له بسهمه، فقال: وأجري يا رسول الله؟ قال: «وأجرك»^(٢).

ومن بني مخزوم بن يقظة: أبو سلمة بن عبد الأسد، وشماس بن عثمان بن الشريد، والأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد، وعمار بن ياسر (قال ابن هشام: عنسي من مذحج) ومعتب بن عوف بن عامر من خزاعة، حليف لهم، وهو الذي

(١) ذكره الهيثمي في المجمع (٣٠٨/٩) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «السباق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم...» الحديث. وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زاذان وهو ثقة وفيه خلاف. وروي هذا أيضًا من حديث أبي أمامة ذكره الهيثمي في المجمع (٣٠٨/٩) وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٣٢٩/٢)، وأسد الغابة (٨٥/٣)، والاستيعاب (١٢٨٧)، والإصابة (٤٣٠/٣).

يقال له: معتب بن حمراء.

ومن بني عدي بن كعب: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي، وأخوه زيد ابن الخطاب، ومهجع مولى عمر - رضي الله عنه - من أهل «اليمن» أول من قتل بين الصفيين رمى بسهم (قال ابن هشام: مهجع من عك) وعمرو بن سراقه، وأخوه عبد الله بن سراقه، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين^(١) بن ثعلبة بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف لهم، وخولى بن أبي خولى، ومالك ابن أبي خولى؛ حليفان لهم، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عنز بن وائل، وعامر بن البكير بن عبد ياليل، وعافل بن البكير، وخالد بن البكير، وإياس بن البكير حلفاء بني عدي بن كعب، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: قدم بعد «بدر» فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه، قال: وأجرى يا رسول الله؟ قال: «وأجرك». ومن بني جمح: عثمان بن مظعون، وابنه السائب، وأخوه: قدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون، ومعمر بن الحارث بن معمر^(٢).

ومن بني سهم: خنيس بن حذافة بن قيس.

ومن بني عامر بن لؤي، ثم من بني مالك بن حسل بن عامر: أبو سبرة بن أبي رهم، وعبد الله بن مخزومة بن عبد العزي، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، خرج مع أبيه سهيل بن عمرو، فلما نزل الناس «بدرًا» فر إلى رسول الله ﷺ فشهدا معه، وعمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو، وسعد بن خولة حليف لهم. قال ابن هشام: سعد بن خولة من «اليمن».

ومن بني الحارث بن فهر: أبو عبيدة، وهو: عامر بن عبد الله بن الجراح، وسهيل بن وهب بن ربيعة، وأخوه صفوان بن وهب، وهما ابنا يضاء، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة، وعمرو بن الحارث بن زهير؛ الخمسة من هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث.

فجميع من شهد بدرًا من المهاجرين، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره - ثلاثة وثمانون رجلاً.

(١) في السيرة: عمر.

(٢) في السيرة: معمر بن حبيب بن وهب. والمثبت موافق لما في البداية والنهاية.

قال ابن هشام: وكثير من أهل العلم - غير ابن إسحاق - يذكرون في المهاجرين بـ«بدر» من قريش، ثم من بني هاشم: العباس بن عبد المطلب عمه - عليه الصلاة والسلام - وفي بني عامر بن لؤي: وهب بن سعد بن أبي سرح، وحاطب بن عمرو، وفي بني الحارث بن فهر: عياض بن أبي زهير.

قال ابن إسحاق: وشهد «بدرًا» مع رسول الله ﷺ من المسلمين من الأنصار، ثم من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبد الأشهل بن جشم ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس - سعد بن معاذ بن النعمان ابن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وعمرو بن معاذ بن النعمان، [والحارث ابن أوس بن معاذ بن النعمان]^(١) والحارث بن أنس بن رافع بن امرئ القيس.

ومن بني عبيد بن كعب بن عبد الأشهل: سعد بن زيد بن مالك بن عبيد، ومن بني زاعوراء بن عبد الأشهل (ويقال: زعوراء، فيما قاله ابن هشام): سلمة بن سلامة ابن وقش بن زغبة بن زاعوراء، وعباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زاعوراء، وسلمة ابن ثابت بن وقش، ورافع بن يزيد بن كرز بن سكن بن زاعوراء، والحارث بن خزيمة ابن عدي، ويقال: خزيمة بن عدي، حليف لهم من بني عوف بن الخزرج، ومحمد ابن مسلمة بن خالد، حليف لهم من بني حارثة؛ وسلمة بن أسلم بن حريش، حليف لهم من بني حارثة.

قال ابن إسحاق: وأبو الهيثم بن التيهان، وعبيد بن التيهان.

قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التيهان.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن سهل.

قال ابن هشام: عبد الله بن سهل: أخو بني زعوراء، ويقال: من غسان.

قال ابن إسحاق: ومن بني ظفر، ثم من بني سواد بن كعب (قال ابن هشام: ظفر ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس): قتادة بن النعمان ابن زيد بن عامر بن سواد، وعبيد بن أوس بن مالك بن سواد، وهو الذي يقال له: مقرن؛ لأنه قرن أربعة أسرى في يوم بدر، وهو الذي أسر عقيل بن أبي طالب يومئذ.

(١) المثبت من السيرة، والبداية والنهاية.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبد بن رزاح بن كعب: نصر بن الحارث بن عبد، ومعتب بن عبيد^(١)، ومن حلفائهم من بليّ عبد الله بن طارق ثلاثة نفر، ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مسعود بن سعد بن عامر بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة (قال ابن هشام: ويقال: مسعود بن عبد سعد) وأبو عيس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم، ومن حلفائهم من بليّ: أبو بردة بن نيار من بني عمرو بن الحاف بن قضاة.

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ثم من بني ضبيعة: عاصم بن ثابت بن قيس، وقيس أبو الأكلح بن عصمة بن مالك، ومعتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطف بن ضبيعة، وأبو مليل بن الأزعر بن زيد بن العطف بن ضبيعة، وعمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطف بن ضبيعة (قال ابن هشام: عمير بن معبد) وسهل بن حنيف بن واهب بن العكيم من بني عمرو، الذي يقال له: بحزج ابن حنش^(٢) بن عوف.

ومن بني أمية بن زيد بن مالك: مبشر بن عبد المنذر بن زهير بن زيد بن أمية، ورفاعة بن عبد المنذر، وسعد بن عبيد بن النعمان، وعويم بن ساعدة، ورافع ابن عنجدة- وعنجدة: أمه- وعبيد بن أبي عبيد، وثعلبة بن حاطب. وزعموا أن أبا لبابة ابن عبد المنذر، والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله ﷺ فرجعهما، وأمر أبا لبابة على «المدينة» فضرب لهما بسهمين مع أصحاب «بدر».

قال ابن هشام: ردهما من الروحاء؛ قال ابن هشام: وحاطب بن عمرو بن عبيد ابن أمية، واسم أبي لبابة: بشير.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبيد بن زيد بن مالك: أنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد، ومن حلفائهم من بليّ: معن بن عدي بن الجد بن العجلان بن ضبيعة، وثابت بن أقرم بن ثعلبة، وعبد الله بن سلمة بن مالك، وزيد بن أسلم بن ثعلبة، وربيع بن رافع بن زيد، وخرج عاصم بن عدي بن الجد بن عجلان، فردّه رسول الله ﷺ وضرب له بسهمه مع أصحاب «بدر».

(١) في السيرة: عبد. والمثبت موافق لما في البداية والنهاية.

(٢) في السيرة: حنش.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: عبد الله بن جبير بن النعمان، وعاصم بن قيس بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وسالم بن عمير بن ثابت، وأبو ضياح بن ثابت بن النعمان، والحارث بن النعمان بن أمية، وخوات بن جبير بن النعمان: ضرب له رسول الله ﷺ بسهم مع أهل «بدر».

ومن بني جحجج بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف: منذر بن محمد بن عقبة ابن أحيحة بن الجلاح.

ومن حلفائهم من بني أنيف: أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: ومن بني غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس: سعد بن خيثمة بن الحارث، ومنذر بن قدامة، ومالك بن قدامة بن عرفة. قال ابن إسحاق: والحارث بن عرفة.

قال ابن هشام: عرفة بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم.

قال ابن إسحاق: وتميم مولى بني غنم.

ومن بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف: جبر بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية، ومالك بن نميلة حليف لهم من مزينة، والنعمان بن عصر حليف لهم من بلى.

فجميع من شهد «بدرًا» من الأوس مع رسول الله ﷺ، ومن ضرب له بسهمه وأجره - أحد وستون رجلاً.

قال ابن إسحاق: وشهد «بدرًا» مع رسول الله ﷺ من المسلمين، ثم من الأنصار، ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني الحارث ابن الخزرج، ثم من بني امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج - خارجة بن زيد بن أبي زهير، وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير، وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس، وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ابن حارثة بن امرئ القيس.

ومن بني زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاص بن زيد، وأخوه سماك بن سعد؛ قال ابن هشام

ويقال: جلاس ، وهو عندنا خطأ.

ومن بني عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: سبيع بن قيس بن عيشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي، وعباد بن قيس بن عيشة أخوه. قال ابن إسحاق: وعبد الله بن عباس.

ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر.

ومن بني جشم بن الحارث بن الخزرج، وزيد بن الحارث بن الخزرج، وهما التوءمان-: خبيب بن أساف بن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم، وعبد الله ابن زيد بن ثعلبة، وأخوه حريث بن زيد بن ثعلبة، زعموا، وسفيان بن بشر.

قال ابن هشام: سفيان بن نسر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد.

قال ابن إسحاق: ومن بني جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج: تميم بن يعار بن قيس بن عدي بن أمية بن جدارة، وعبد الله بن عمير بن عدي بن أمية بن جدارة، وزيد بن المزين بن قيس، وعبد الله بن عرفطة بن عدي بن أمية بن جدارة. ومن بني الأبجر، وهم بنو خُدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج: عبد الله بن ربيع بن قيس بن عمرو بن عباد بن الأبجر.

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، وهم بنو الحبلى (قال ابن هشام: الحبلى سالم بن غنم؛ سمي به لعظم بطنه)-: عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد، وسلول أم أبي، وأوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث بن عبيد.

ومن بني جزء بن عدي بن مالك بن سالم: زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء، وعقبة بن وهب بن كلدة، حليف لهم من بني عبد الله بن غطفان، ورفاعة بن عمرو بن زيد، وعامر بن سلمة بن عامر، حليف لهم من «اليمن» وأبو خميصه معبد ابن عباد^(١) بن قشير بن المقدم^(٢) بن سالم بن غنم، وعامر بن البكير حليف لهم. ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، ثم من بني العجلان بن

(١) في السيرة: أبو خميصه معبد بن عبادة.

(٢) في البداية والنهاية: القدم.

زيد بن غنم بن سالم: نوفل بن عبد الله بن نضلة بن مالك بن العجلان.
ومن بني أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف: عبادة بن الصامت بن
قيس بن أصرم، وأخوه أوس بن الصامت.
ومن بني دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم: النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد،
والنعمان الذي يقال له: قوقل.
ومن بني قربوش^(١) بن غنم بن أمية بن لوزان بن سالم: ثابت بن هزال بن عمرو
ابن قربوش، ويقال: قربوس بالمهملة.
ومن بني مرضخة بن غنم: مالك بن الدخشم قال ابن إسحاق: ومن بني لوزان
ابن غنم بن سالم: ربيع بن إياس بن عمرو بن غنم بن أمية بن لوزان، وأخوه ورقة
ابن إياس، وعمرو بن إياس حليف لهم من أهل «اليمن».
قال ابن هشام: ويقال عمرو أخو ربيع وورقة.
قال ابن إسحاق: ومن حلفائهم من بلي، ثم من بني غصينة (وغصينة: أمهم؛
كما قال ابن هشام، وأبوهم: عمرو بن عمارة): المجذر بن زياد، واسم المجذر:
عبد الله بن عمرو بن زمزعة، وعباد، ويقال: عبادة بن الخشخاش بن عمرو بن
زمزعة، ونحاب بن ثعلبة بن خزيمة، ويقال: نحات^(٢) بن ثعلبة، وعبد الله بن ثعلبة
ابن خزيمة بن أصرم.
قال ابن هشام: وزعموا أن عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية حليف لهم من
«بهراء» قد شهد «بدرًا».
قال ابن هشام: عتبة بن بهز من بني سليم.
ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، ثم من بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة:
أبو دجانة سمالك بن أوس بن خرشة بن لوزان، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة
ابن لوزان.
ومن بني البدى بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة:
أبو أسيد مالك بن ربيعة بن البدى، ومالك بن مسعود وهو إلى البدى.

(١) في السيرة: قريوش.

(٢) في البداية والنهاية: بحاث.

ومن بني طريف بن الخزرج بن ساعدة: عبد ربه بن حق بن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طريف، ومن حلفائهم من جهينة: كعب بن حمار بن ثعلبة (قال ابن هشام: ويقال: كعب بن جماز) وهو من غبشان وضمرة وزياد وبسبس بنو عمرو، ويقال: ضمرة وزياد ابنا بشر، وعبد الله بن عامر من بلي.

ومن بني جشم بن الخزرج، ثم من بني سلمة بن سعد، ثم من بني حرام بن كعب بن غنم: خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح، والحباب بن المنذر بن الجموح، وعمير بن الحمام بن الجموح، وتميم مولى خراش بن الصمة، وعبد الله بن عمرو بن حرام، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عمرو بن الجموح، وخلاذ بن عمرو بن الجموح، وعقبة بن عامر بن نايي، وخبيب بن الأسود مولى لهم، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام، وثعلبة الذي يقال له: الجذع، وعمير بن الحارث بن ثعلبة.

قال ابن هشام: وكل ما كان- هاهنا- الجموح، فهو: الجموح بن زيد بن حرام، إلا ما كان من جد الصمة؛ فإنه الجموح بن حرام.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة، ثم من بني خنساء بن سنان بن عبيد: بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء، والطفيل بن مالك بن خنساء، والطفيل بن النعمان بن خنساء، وعبد الله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء، وسنان بن صيفي بن صخر بن خنساء، وعتبة بن عبد الله بن صخر ابن خنساء، وجبار بن صخر، وخارجة بن حمير، وعبد الله بن حمير حليفان لهم من أشجع، من بني دهمان.

قال ابن هشام: ويقال: جبار بن صخر بن أمية بن خناس.

قال ابن إسحاق: تسعة نفر.

ومن بني خناس بن سنان بن عبيد: يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس، ومعلل ابن المنذر بن سرح، وعبد الله بن النعمان بن بلدمة، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد، وسواد بن زريق بن ثعلبة بن عبيد (قال ابن هشام: ويقال: سواد بن رزن بن زيد بن ثعلبة) ومعبد بن قيس بن صخر بن حرام، وعبد الله بن قيس بن صخر بن حرام.

ومن بني النعمان بن سنان بن عبيد: عبد الله بن عبد مناف بن النعمان، وجابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان، وخليدة بن قيس بن النعمان، والنعمان بن سنان مولى لهم.

ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة، ثم من بني حديدة بن عمرو بن غنم ابن سواد: أبو المنذر، وهو يزيد بن عامر بن حديدة، وسليم بن عمرو بن حديدة، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعترة مولى سليم بن عمرو.

قال ابن هشام: عترة: من بني سليم بن منصور ثم من بني ذكوان. ومن بني عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم: عيس بن عامر بن عدي، وثعلبة بن غنمة بن عدي، وأبو اليسر، وهو: كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد، وسهل بن قيس بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد، وعمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم، ومعاذ بن جبل بن عمرو. قال ابن هشام: إنما نسب ابن إسحاق معاذ بن جبل في بني سواد، وليس منهم؛ لأنه فيهم.

قال ابن إسحاق: والذين كسروا آلهة بني سلمة: معاذ بن جبل، وعبد الله بن أنيس، وثعلبة بن غنمة، وهم في بني سواد بن غنم.

قال ابن إسحاق: ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، ثم من بني مخلد بن عامر بن زريق، ويقال: عامر بن الأزرق: قيس بن محصن بن خالد بن مخلد، وأبو خالد، وهو: الحارث بن قيس ابن خالد بن مخلد، وجبير بن إياس بن خالد بن مخلد، وأبو عبادة، وهو: سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد، وأخوه عقبة بن عثمان بن خلدة بن مخلد، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد، ومسعود بن خلدة بن عامر بن مخلد.

ومن بني خلدة^(١) بن عامر بن زريق: أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلدة، والفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة.

قال ابن هشام: بسر بن الفاكه، ومعاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة، وأخوه عائد ابن ماعص بن قيس بن خلدة، ومسعود بن سعد بن قيس بن خلدة.

(١) في السيرة: خالدة.

ومن بني العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق: رفاعه بن رافع بن مالك بن العجلان، وأخوه خلاد بن رافع بن مالك بن العجلان، وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان.

ومن بني بياضة بن عامر بن زريق: زياد بن لييد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة، وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة، ورجيلة- بالمعجمة- وعطية بن نويرة بن عامر بن عطية بن عامر بن بياضة، وخليفة ابن عدي بن عمرو بن مالك بن عامر بن فهيرة بن بياضة. قال ابن هشام: ويقال: عليفة.

ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج: رافع بن المعلی بن لوزان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب. ومن بني النجار، وهو: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني غنم ابن مالك بن النجار، ثم من بني ثعلبة بن عبد عوف بن غنم: أبو أيوب خالد بن زيد ابن كليب بن ثعلبة.

ومن بني عسيرة بن عبد عوف بن غنم: ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة. قال ابن هشام: ويقال: عشيرة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عبد بن عوف بن غنم: عمارة بن حزم بن زيد بن لوزان بن عمرو، وسراقة بن كعب بن عبد العزى بن غزية بن عمرو. ومن بني عبيد بن ثعلبة بن غنم: حارثة بن النعمان بن زيد بن عبيد، وسليم بن قيس بن قهد، واسمه: خالد بن قيس بن عبيد.

ومن بني عائذ بن ثعلبة بن غنم، ويقال: عابد، بالموحدة والمهمله-: سهيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ، وعدي بن أبي الزغباء، حليف لهم من جهينة. ومن بني زيد بن ثعلبة بن غنم: مسعود بن أوس بن زيد، وأبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد.

ومن بني سواد بن مالك بن غنم: عوف ومعوذ ومعاذ، بنو الحارث بن رفاعه بن سواد؛ بنو عفراء، والنعمان بن عمرو بن رفاعه بن سواد (ويقال: نعيمان؛ فيما قال ابن هشام). وعامر بن مخلد بن الحارث بن سواد، وعبد الله بن قيس بن خالد بن

خلدة بن الحارث بن سواد، وعصيمة حليف لهم من أشجع، ووديعة بن عمرو حليف لهم من جهينة، وثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سواد، وزعموا أن أبا الحمراء مولى الحارث بن عفراء شهد «بدرًا».

ومن بني عامر بن مالك بن النجار، وعامر مبذول، ثم من بني عتيك بن عمرو بن مبذول: ثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو العتكي، وسهل بن عتيك بن عمرو^(١) ابن النعمان، والحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك، كسره في الروحاء، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره.

ومن بني عمرو بن مالك بن النجار، وهم: بنو حديلة، ثم من بني قيس بن عبيد ابن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار: أبي بن كعب بن قيس، وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس.

ومن بني عدي بن عمرو بن مالك بن النجار: أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام ابن عمرو بن زيد مناة بن عدي، وأبو شيخ بن أبي ثابت بن المنذر بن حرام؛ أخو حسان بن ثابت، وأبو طلحة، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام.

ومن بني عدي بن النجار، ثم من بني عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار: حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر، وعمرو بن ثعلبة ابن وهب بن عدي، وهو أبو حكيم، وأبو سليط: وهو أسيرة بن قيس بن عمرو، وعمرو أبو خارجة بن قيس بن مالك بن عدي بن عامر، وثابت بن خنساء بن عمرو ابن مالك بن عدي بن عامر، وعامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك بن عدي ابن عامر، ومحرز بن عامر بن مالك بن عدي، وسواد بن غزية بن أهيب، حليف لهم من بلي، ويقال: سواد.

قال ابن إسحاق: ومن بني حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار: أبو زيد قيس بن سكن بن قيس بن زعوراء بن حرام، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عيس بن حرام، وسليم بن ملحان، وحرام بن ملحان.

ومن بني مازن بن النجار، ثم من بني عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن ابن النجار: قيس بن أبي صعصعة، واسم أبي صعصعة: عمرو بن زيد بن عوف،

(١) في ط: عمرو بن عتيك. والمثبت من السيرة والبداية والنهاية.

وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف، وعصيمة حليف لهم من بني أسد بن خزيمة.
ومن بني خنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن: أبو داود عمير بن عامر بن
مالك بن خنساء، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء.
ومن بني ثعلبة بن مازن بن النجار: قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب
ابن الحارث بن ثعلبة.

ومن بني دينار بن النجار، ثم من بني مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار
ابن النجار: النعمان بن عبد عمرو بن مسعود، والضحاك بن عبد عمرو بن مسعود،
وسليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن دينار، وهو أخو الضحاك،
والنعمان ابني عبد عمرو، لأمهما؛ وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة،
وسعد بن سهيل بن عبد الأشهل.

ومن بني قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار: كعب بن زيد بن
قيس، وبجير بن أبي بجير، حليف لهم من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، ثم
من بني جذيمة بن رواحة.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد «بدر» من الخزرج: مائة وسبعون رجلاً.
قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم يذكر في الخزرج بـ«بدر» في بني العجلان بن زيد
ابن غنم: عتب بن مالك بن عمرو بن العجلان، ومليل بن وبرة بن خالد بن
العجلان، وعصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان.

وفي بني حبيب بن عبد: حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، وهم
من بني زريق، وهلال بن المعلى بن لؤذان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة بن
مالك بن زيد مائة بن حبيب.

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد «بدر» من المسلمين من المهاجرين والأنصار،
ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً؛ ثلاثة وثمانون من
المهاجرين، ومن الأوس واحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً.

واستشهد من المسلمين يوم «بدر» مع رسول الله ﷺ:

من قريش، ثم من بني المطلب بن عبد مناف: عبيدة بن الحارث بن المطلب:
قتله عتبة بن ربيعة، قطع رجله فمات بـ«الصفراء».

ومن بني زهرة بن كلاب: عمير بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة؛ أخو سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة، حليف لهم من خزاعة.

ومن بني عدي بن كعب بن لؤى: عاقل بن البكير؛ حليف لهم من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ومهجع مولى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. ومن بني الحارث بن فهر: صفوان بن بيضاء.

ومن الأنصار، ثم من [بني] عمرو بن عوف: سعد بن خيثمة، ومبشر بن عبد المنذر ابن زنبر، ويقال: مرة بن زنبر.

ومن بني الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث، وهو الذي يقال له: ابن فسحم.

ومن بني سلمة، ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة: عمير بن الحمام.

ومن بني حبيب بن عبد حارثة: رافع بن المعلى، ومن بني النجار: حارثة بن سراقة بن الحارث، ومن بني غنم بن مالك بن النجار: عوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد، وهما ابنا عفراء^(١).

نقل صاحب «تاريخ الخميس» العلامة حسين بن محمد الديار بكرى، عن الجلال الدواني، عن كبار مشايخه - أن الدعاء مستجاب عند ذكر أصحاب بدر، رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم.

تسمية من قتل من المشركين يوم بدر^(٢):

من قريش، ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف: حنظلة بن أبي سفيان بن حرب

(١) ينظر تسمية أصحاب بدر في المصادر الآتية: السيرة النبوية (٢/٣٢٤-٣٥٤)، المغازي للواقدي (١/١٥٢-١٧٢)، المغازي لعروة (١٤٧-١٥٩)، جوامع السيرة (١١٤-١٤٦)، تلقيح فهوم أهل الأثر (٤٢٤-٤٣٧)، مجمع الزوائد (٦/٩٧-١٠٢)، فتح الباري (٨/٦٣-٦٧)، الدرر في اختصار المغازي والسير (١١٧-١٣٣)، البداية والنهاية (٣/٣٨٣)، تاريخ الإسلام (١٢٢-المغازي)، سبل الهدى والرشاد (٤/٩١-١٢٤).

(٢) ينظر السيرة النبوية (٢/٣٥٥-٣٦٤)، المغازي للواقدي (١/١٤٧-١٥٢)، أنساب الأشراف (١/٢٩٦-٣٠١)، الدرر (١١٣-١١٤)، الطبقات الكبرى (٢/١٨)، تاريخ الإسلام (١٢٥-المغازي)، عيون الأثر (١/٢٨٥).

ابن أمية بن عبد شمس: قتله زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ويقال: اشترك فيه حمزة، وعلي، وزيد؛ قاله ابن هشام. وعتبة بن ربيعة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وأخوه شيبه بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة. والحارث وعامر ابنا الحضرمي حليفان لهم: قتل عامرا عمار بن ياسر، وقتل الحارث النعمان بن عاصر، حليف الأوس؛ فيما قال ابن هشام.

وعمير بن أبي عمير وابنه موليان لهم: قتل عميرا سالم مولى أبي حذيفة. قال ابن إسحاق: وعبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس: قتله الزبير ابن العوام، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية: قتله علي بن أبي طالب، وعقبة بن أبي معيط: قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف - صبرا. قال ابن هشام: ويقال: علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعتبة بن ربيعة: قتله عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب. قال ابن هشام: اشترك فيه هو وحمزة وعلي. قال ابن إسحاق: وشيبه بن ربيعة: قتله حمزة بن عبد المطلب. والوليد بن عتبة ابن ربيعة: قتله علي بن أبي طالب. وعامر بن عبد الله، حليف لهم من بني أنمار ابن بغيض: قتله علي بن أبي طالب.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: الحارث بن عامر بن نوفل: قتله - فيما يذكرون - خبيب بن أساف، أخو بني الحارث بن الخزرج. وطعيمة بن عدي بن نوفل: قتله علي بن أبي طالب، ويقال: حمزة بن عبد المطلب.

ومن بني أسد بن عبد العزي: زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، قال ابن هشام: قتله ثابت بن الجذع، أخو بني حرام، ويقال: اشترك فيه علي وحمزة وثابت.

قال ابن إسحاق: والحارث بن زمعة: قتله عامر بن ياسر؛ فيما قال ابن هشام. وعقيل بن الأسود بن المطلب: قتله حمزة وعلي. وأبو البختري العاصي بن هشام: قتله المجذر بن زياد البلوي. ونوفل بن خويلد بن أسد، وهو ابن العدوية عدي خزاعة، أخو خديجة - رضي الله عنها - وكان من شياطين قريش، وهو الذي قرن أبا بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله، حين أسلما؛ فكانا يسميان: القرينين

لذلك، قتله علي بن أبي طالب.

ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار: قتله علي بن أبي طالب صبوا، عند عود رسول الله ﷺ بـ«الصفراء» فيما يذكرون (قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة) وزيد بن مليس، مولي عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار: قتله بلال بن رباح مولي أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- وقيل قتله المقداد بن عمرو.

قال ابن إسحاق: ومن تيم بن مرة: عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم: قتله علي بن أبي طالب، ويقال: قتله عبد الرحمن بن عوف. وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن كعب: قتله صهيب بن سنان.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو جهل بن هشام، واسمه: عمرو بن هشام ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح، ففقط رجله، وضرب ابنه [عكرمة] ^(١) يد معاذ فطرحها، ثم ضربه معوذ بن عفراء؛ حتى أثبتته وتركه وبه رمق، ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود، واحتز رأسه حين أمر رسول الله ﷺ به أن يلتمس في القتلى.

والعاصي بن هشام بن المغيرة: قتله عمر بن الخطاب.

وزيد بن عبد الله حليف لهم من بني تميم. (قال ابن هشام: ثم أحد بني عمرو ابن تميم)، وكان شجاعا قتله عمار بن ياسر. قال ابن إسحاق: وأبو مسافع الأشعري حليف لهم؛ قتله أبو دجانة الساعدى. وحرملة بن عمر حليف لهم: قتله خارجة بن زيد بن أبي زهير، أخو بني الحارث بن الخزرج، ويقال: قتله علي بن أبي طالب؛ قالهما ابن هشام.

وحرملة من بني الأسد، ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة: قتله علي بن أبي طالب، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة: قتله عمار بن ياسر، ويقال: علي بن أبي طالب؛ ورفاعه بن أبي رفاعه بن عائذ ^(٢) بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم: قتله سعد ابن الربيع، أخو بلحارث بن الخزرج، فيما قال ابن هشام.

(١) الميثب من السيرة النبوية.

(٢) في السيرة: عابد

والمنذر بن أبي رفاعه بن عائذ: قتله معن بن عدي بن الجعد بن العجلان حليف لهم. وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعه بن عائذ: قتله علي بن أبي طالب، والسائب ابن أبي السائب بن عائذ.

قال ابن هشام: والسائب بن أبي السائب: شريك رسول الله ﷺ الذي جاء في الحديث فيه، عن رسول الله ﷺ: «نعم الشريك السائب؛ لا يشارى ولا يمارى»^(١) وكان أسلم فحسن إسلامه فيما بلغنا.

قال: وذكر ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس: أن السائب بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ممن بايع رسول الله ﷺ من قريش، وأعطاه يوم «الجعرانة» من غنائم «حنين»، وذكر غير ابن إسحاق أن الذي قتله: الزبير بن العوام.

قال ابن إسحاق: والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم: قتله حمزة بن عبد المطلب. وحاجب بن السائب قتله علي بن أبي طالب. وعويمر بن السائب بن عويمر: قتله النعمان بن مالك القوقلي مبارزة، (فيما قال ابن هشام) وعمر بن سفيان وجابر بن سفيان، حليفان لهم من طيء: قتل عمر يزيد بن رقيش، وقتل جابرا أبو بردة بن نيار.

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى: منبه بن الحجاج بن عامر ابن حذيفة بن سعد بن سهم، قتله أبو اليسر أخو بني سلمة، وابنه العاصي بن منبه بن الحجاج: قتله علي بن أبي طالب. ونبيه بن الحجاج: قتله حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن أبي وقاص؛ اشتركا فيه (فيما قاله ابن هشام) وأبو العاص بن قيس بن عدي ابن سعيد بن سهم: قتله علي بن أبي طالب، ويقال: النعمان بن مالك القوقلي، ويقال: أبو دجانة. وعاصم بن أبي عوف بن صبيبة^(٢) بن سعيد بن سعد بن سهم: قتله أبو اليسر أخو بني سلمة.

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى: أمية بن خلف بن وهب

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٦٨/٢) رقم (٢٢٨٧)، وأحمد (٤٢٥/٣)، والطبراني في الكبير (٧/١٦٥) رقم (٦٦١٨، ٦٦١٩)، ولفظ ابن ماجه والطبراني: عن قائد السائب عن السائب قال للنبي ﷺ: كنت شريكي في الجاهلية فكنت خير شريك؛ كنت لا تداريني ولا تعاريني.
(٢) في السيرة: عاصم بن عوف بن صبيبة.

ابن حذافة بن جمح: قتله رجل من الأنصار من بني مازن، وقيل: قتله معاذ بن عفراء، وخارجة بن زيد، وخبيب بن أساف؛ اشتركوا فيه. وابنه علي بن أمية بن خلف: قتله عمار بن ياسر. وأوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح: قتله علي ابن أبي طالب، ويقال: قتله الحصين بن الحارث بن المطلب، وعثمان بن مظعون؛ اشتركا فيه، فيما قاله ابن هشام.

ومن بني عامر بن لؤي: معاوية بن عامر، حليف لهم من عبد القيس: قتله علي ابن أبي طالب، ويقال: عكاشة بن محصن. ومعبد بن وهب، حليف لهم من بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث: قتله خالد وإياس ابنا البكير، ويقال: أبو دجانة.

قال ابن إسحاق: فجميع من أحصى لنا من قتلى قريش يوم «بدر»: خمسون رجلا.

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى، عن أبي عمرو؛ أن قتلى «بدر» من المشركين كانوا سبعين رجلا، والأسرى كذلك، وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب، وفي كتاب - الله عز وجل: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] يقول لأصحاب «أحد» وكان من استشهد منهم سبعين رجلا، يقول: قد أصبتم يوم «بدر» مثلي من استشهد منكم بـ«أحد» سبعين قتيلًا وسبعين أسيرا.

قال: وأنشدني أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك: [من الكامل]
فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعْطَنِ مِنْهُمْ سَبْعُونَ عُتْبَةً مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ
قال ابن هشام: يعنى قتلى «بدر». وهذا البيت في قصيدة له في حديث يوم «أحد»، سأذكرها في موضعها؛ إن شاء الله تعالى.

وممن لم يذكر ابن إسحاق من هؤلاء السبعين القتلى من بني عبد شمس بن عبد مناف: وهب بن الحارث من بني أنمار بن بغيض حليف لهم، وعامر بن زيد حليف لهم من «اليمن».

ومن بني أسد بن عبد العزى: عقبة بن زيد حليف لهم من «اليمن»، وعمير مولى لهم.

ومن بني عبد الدار بن قصي: نبيه بن زيد بن مليص، وعبيد بن سليط، حليف لهم من قيس.

ومن بني تيم بن مرة: مالك بن عبيد الله بن عثمان، أسرفمات في الأسارى فعد في القتلى، ويقال: وعمر بن عبد الله بن جُدعان.

ومن بني مخزوم بن يقظة: حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة؛ قتله سعد بن أبي وقاص، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة: قتله صهيب بن سنان، وزهير بن أبي رفاع: قتله أبو أسيد مالك بن ربيعة، والسائب بن أبي رفاع: قتله عبد الرحمن بن عوف، وعائذ بن السائب بن عويمر: أسر ثم اقتدى، فمات في الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبد المطلب، وعمر حليف لهم من طيء وخيار حليف لهم من القارة.

ومن بني جمح بن عمرو: سبرة بن مالك حليف لهم.
ومن بني سهم بن عمرو: الحارث بن منبه بن الحجاج: قتله صهيب بن سنان، وعامر بن أبي عوف بن صبيدة، أخو عاصم: قتله عبد الله بن سلمة العجلاني، ويقال: أبو دجانة^(١).

تسمية من أسر من المشركين يوم «بدر»:

قال ابن إسحاق: وأسر من المشركين من قريش يوم بدر، ثم من بني هاشم بن عبد مناف: عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب.
ومن بني المطلب بن عبد مناف: السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، ونعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: عمرو بن أبي سفيان بن حرب، والحارث بن أبي وجرة^(٢) بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، ويقال: ابن أبي وجرة - بالحاء المهملة - وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس، وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى ابن عبد شمس؛ ومن حلفائهم: أبو ريشة بن أبي عمرو، وعمر بن الأزرق، وعقبة ابن عبد الرحمن^(٣) بن الحضرمي.

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٥٥-٣٦٤).

(٢) في السيرة: وجرة.

(٣) في السيرة عبد الحارث.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل، وعثمان بن عبد شمس ابن أخي غزوان بن جابر، حليف لهم من بني مازن بن منصور؛ وأبو ثور حليف لهم.

ومن بني عبد الدار بن قصي: أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، والأسود بن عامر حليف لهم، ويقولون: نحن بنو الأسود بن عامر بن عمرو بن الحارث بن السباق.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد، والحويث بن عباد بن عثمان بن أسد. قال ابن إسحاق: وسالم بن شماخ حليف لهم.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وصيفي ابن أبي رفاعه بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وأبو المنذر بن أبي رفاعه بن عائذ، وأمّية بن أبي حذيفة بن المغيرة، وأبو عطاء عبد الله بن أبي السائب بن عائذ، والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم، وخالد بن الأعم حليف لهم، وهو - فيما يذكر - كان أول من ولى فاراً منهزماً، وهو الذي يقول: [من الطويل]

لَسْنَا عَلَى الْأَذْبَارِ تَذْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقْطُرُ الدَّمُ
قال ابن هشام ويروى: ولسنا على الأعقاب. وخالد بن الأعم: من خزاعة، ويقال: عقيلى.

قال ابن إسحاق: ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: أبو وداعة بن صبيبة بن سعيد بن سعد بن سهم، كان أول أسير افتدى من أسارى بدر، افتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة. وفروة بن قيس بن عدى بن حذافة بن سعد بن سهم، وحنظلة بن قبيصة بن حذافة، والحجاج بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد. ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص: عبد الله بن أبي خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح، وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح، والفاكه مولى أمّية بن خلف، وهو يزعم أنه من بني شماخ بن محارب بن فهر،

ووهب بن عمير بن وهب، وربيعة بن دراج بن العنيس بن أهبان بن وهب.
ومن بني عامر بن لؤى: سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن
مالك بن حسان ^(١) بن عامر أسره مالك بن الدخشم، أخو بني سالم بن عوف.
وعبد بن زمعة بن قيس بن عبد شمس.

ومن بني الحارث بن فهر: الطفيل بن أبي قنيع، وعتبة بن عمرو بن جحدم.
فجميع من حفظ لنا من الأسارى بـ«بدر» ثلاثة وأربعون رجلاً.
قال ابن هشام: وبقي ^(٢) من جملة العدد رجل لم أذكر اسمه، وممن لم يذكر ابن
إسحاق من الأسرى:

من بني هاشم بن عبد مناف: عتبة حليف لهم من بني فهر، ومن بني المطلب بن
عبد مناف: عقيل بن عمرو، حليف لهم، وأخوه تميم بن عمرو وابنه.
ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: خالد بن أسيد بن أبي العيص، وأبو العريض
يسار مولى العاص بن أمية.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: نبهان مولى لهم.
ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث.
ومن بني عبد الدار: عقيل حليف لهم من اليمن.
ومن بني تميم بن مرة: مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن
تيم، وجابر بن الزبير حليف لهم.

ومن بني مخزوم: قيس بن السائب.
ومن بني جمح بن عمرو: عمرو بن أبي بن خلف، وأبو رهم بن عبد الله،
حليف لهم؛ وحليف لهم آخر ذهب عنى اسمه، وموليان لأمية بن خلف، أحدهما:
نسطاس، وأبو رافع غلام أمية بن خلف.

ومن بني سهم بن عمرو: أسلم ^(٣) مولى نبيه بن الحجاج.
ومن بني عامر بن لؤى حبيب بن جابر، والسائب بن مالك.

(١) في السيرة: حسل.

(٢) في السيرة: وقع.

(٣) في ط: أسمر. والمثبت من السيرة.

قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن فهر: شافع وشفيع حليفان لهم من اليمن^(١). قلت: العجب من ابن هشام أنه لم يذكر العباس بن عبد المطلب في جملة الأسرى، وقد ذكره غيره ويدل له الحديث الشريف: «إني لم أبت من أنين العباس فاحللوها من وثاقه» أو كما قال ﷺ^(٢).

وكان مما قيل في «بدر» من الشعر، وتراذ به القوم بينهم لما كان فيه، قول حمزة ابن عبد المطلب- يرحمه الله- قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها: [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَمْرًا كَانَ مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ قَوْمًا أَفَادَهُمْ
عَشِيَّةً رَاحُوا نَحْوَ بَذْرِ بَجْمَعِهِمْ
وَكُنَّا طَلَبْنَا الْعِيرَ لَمْ نَبْغِ غَيْرَهَا
فَلَمَّا التَّقَيْنَا لَمْ تَكُنْ مَثْنَوِيَّةً
وَضُرِبَ بِيضٍ يَخْتَلِي الْهَامَ حَدَّهَا
وَنَحْنُ تَرَكْنَا عُثْبَةَ الْغَيِّ ثَاوِيَا
وَعَمَرُو ثَوَى فِيمَنْ ثَوَى مِنْ حُمَاتِهِمْ
جُبُوبُ نِسَاءٍ مِنْ لُؤَى بِنِ غَالِبٍ
أُولَئِكَ قَوْمٌ قُتِلُوا فِي ضَلَالِهِمْ
لِوَاءِ ضَلَالٍ قَادَ إِبْلِيسُ أَهْلَهُ
وَقَالَ لَهُمْ إِذْ عَايَنَ الْأَمْرَ وَاضِحًا:
فَإِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَإِنِّي

وَلِلْحَيْنِ أَسْبَابٌ مُبَيَّنَّةُ الْأَمْرِ
فَخَانُوا تَوَاصَوْا بِالْعُقُوقِ وَبِالْكُفْرِ^(٣)
فَكَانُوا زُهُونًا لِلرِّكْيَةِ مِنْ بَذْرِ
فَسَارُوا إِلَيْنَا فَالتَقَيْنَا عَلَى قَدْرِ
لَنَا غَيْرَ طَعْنٍ بِالْمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ
مُشْهَرَّةِ الْأَلْوَانِ بَيْنَةَ الْأَثَرِ
وَشَيْئَةٍ فِي قَتْلَى تَجَرَّجَمَ فِي الْجَفْرِ^(٤)
فَشَقَّتْ جُيُوبُ النَّائِحَاتِ عَلَى عَمْرٍو
كَرَامَ تَفَرَّغْنَ الذَّوَائِبَ مِنْ فُهِرٍ
وَحَلُّوا لِيَوَاءَ غَيْرِ مُخْتَصِرِ النَّصْرِ
فَخَاسَ بِهِمْ إِنَّ الْخَبِيثَ إِلَى غَدْرِ
بَرِئْتُ إِلَيْكُمْ مَا بَى الْيَوْمَ مِنْ صَبْرِ
أَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ، وَاللَّهُ ذُو قَسْرِ

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٣٦٤، ٣٦٧)، المغازي للواقدي (١/١٣٨-١٤٤)، أنساب الأشراف (١/٣٠١-٣٠٤)، عيون الأثر (١/٢٨٦-٢٨٧)، سبل الهدى والرشاد (٤/٧٧-٧٨)، تاريخ الإسلام (١١٤، ١٢٢-المغازي).

(٢) تقدم تخريجه في فضائل العباس.

(٣) في البداية والنهاية:

... فخافوا تواص ...

(٤) تجرجم: سقط، والجفر: البثر الواسعة. الوسيط (جرجم)، (جفر) وفي ط: تجرجر. والمثبت من السيرة.

فَقَدَّمَهُمْ لِلْحَيْنِ حَتَّى تَوَرَّطُوا
فَكَانُوا عِدَّةَ الْبِئْرِ أَلْفًا وَجَمَعْنَا
وَفِينَا جُنُودَ اللَّهِ حِينَ يَمِدُّنَا
فَشَدَّ بِهِمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا
فَأَجَابَهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، فَقَالَ [مَنْ الطَّوِيلُ]:

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلصَّبَابَةِ وَالْهَجْرِ
وَلِلدَّمْعِ مِنْ عَيْنَيْ جُودَا كَأَنَّهُ
عَلَى الْبَطْلِ الْخُلُوشِ السَّمَائِلِ إِذْ تَوَى
فَلَا تَبْعَدَنَّ يَا عَمْرُو مِنْ ذِي قَرَابَةِ
فَإِنَّ يَكُ قَوْمٌ صَادَفُوا مِنْكَ دَوْلَةً
فَقَدْ كُنْتُ فِي صَرْفِ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى
فَإِنَّ لَا أُمْتَ يَا عَمْرُو أَتْرَكَكَ نَائِرًا
وَأَقْطَعُ ظَهْرًا مِنْ رِجَالٍ بِمَعْشَرٍ
أَعْرَهُمْ مَا جَمَعُوا مِنْ وَشِيظَةٍ
فَيَالِ لَوْىِ ذَبَبُوا عَنْ حَرِيمِكُمْ
تَوَارَتْهَا أَبَاؤُكُمْ وَوَرِثُكُمْ
فَمَا لِحَلِيمٍ قَدْ أَرَادَ هَلَكَكُمْ-
وَجِدُّوا لِمَنْ عَادَيْتُمْ وَتَوَارَزُوا
لَعَلَّكُمْ أَنْ تَتَأَرَّزُوا بِأَخِيكُمْ
بِمُطَرِدَاتٍ فِي الْأَكْفِ كَأَنَّهَا
كَأَنَّ مَدْبُ الدَّرِّ فَوْقَ مُثُونِهَا

وَلِلْحُزَنِ مِئِّي وَالْحَرَارَةِ فِي الصَّدْرِ
فَرِيدَ هَوَى مِنْ سِلْكَ نَاطِلِهِ يَجْرِي
رَهِينَ مَقَامٍ لِلرَّكِيَّةِ مِنْ بَذْرِ
وَمِنْ ذِي نَدَامٍ كَانَ ذَا خُلُقٍ عَمِرٍ
فَلَا بُدَّ لِلْأَيَّامِ مِنْ دَوْلِ الدَّهْرِ
تُرِيهِمْ هَوَانًا مِنْكَ ذَا سُبُلٍ وَغَرٍ
وَلَا أَتَقِي بَقِيَا فِي إِخَاءٍ وَلَا صَهْرٍ
كَرَامَ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا قَطَعُوا ظَهْرِي
وَنَخْنُ الصِّمِيمِ فِي الْقَبَائِلِ مِنْ فِهْرِ؟!
وَالْهَيْةَ لَا تَتْرُكُوهَا لِذِي الْفَخْرِ
أَوَاسِيَهَا وَالْبَيْتَ ذَا السَّقْفِ وَالسُّرِّ
فَلَا تَعْلِزُوهُ آلَ غَالِبٍ- مِنْ عُدْرِ
وَكُونُوا جَمِيعًا فِي النَّاسِي وَفِي الصَّبْرِ
وَلَا شَيْءَ إِنْ لَمْ تَتَأَرَّزُوا بِذَوِي عَمْرُو
وَمِيضُ نُطِيرِ الْهَامِ بَيِّنَةُ الْأَثَرِ
إِذَا جُرَدَتْ يَوْمًا لِأَعْدَائِهَا الْخُزْرِ^(١)

قال ابن هشام: أبدلنا في هذه القصيدة كلمتين مِمَّا رَوَى ابن إسحاق، وهما «الفخر» في آخر البيت [العاشر]، و«فَمَا لِحَلِيمٍ» في أول البيت [الثاني عشر]؛ لأنه نال فيهما من النبي ﷺ.

(١) ينظر: السيرة النبوية (٣٦٨/٢-٣٧٠)، والبداية والنهاية (٤٠٣/٣-٤٠٤)، وسبل الهدى والرشاد (١٢٥/٤).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٣٧٠-٣٧٢)، البداية والنهاية (٤٠٤/٣).

قال ابن هشام: ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتها، وإنما كتبناها؛ لأنه يقال: إن عمرو بن عبد الله بن جدعان قتل يوم «بدر»، ولم يذكره ابن إسحاق في القتلى، وذكره في هذا الشعر^(١).

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب: [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَبْلَى رَسُولَهُ بَلَاءَ عَزِيزٍ ذِي اقْتِدَارٍ وَذِي فَضْلٍ؟!
بِمَا أَنْزَلَ الْكُفَّارَ دَارَ مَذَلَّةٍ فَلَاقُوا هَوَانًا مِنْ إِسَارٍ وَمِنْ قَتْلِ
فَأَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ قَدْ عَزَّ نَصْرُهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلَ بِالْعَدْلِ
فَجَاءَ بِفِرْقَانٍ مِنَ اللَّهِ مُنْزِلٍ مُبَيِّنَةٍ آيَاتِهِ لِذَوِي الْعَقْلِ
فَأَمَّنَ أَقْوَامٌ بِذَلِكَ وَآيَقَنُوا فَأَمْسُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مُجْتَمِعِي الشَّمْلِ
وَأَتَكَرَّ أَقْوَامٌ فَرَاغَتْ قُلُوبُهُمْ فَرَادَهُمْ ذُو الْعَرْشِ خَبَلًا عَلَى خَبْلِ
وَأَمَكَنَّ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ رَسُولَهُ وَقَوْمًا غَضَابًا فَعَلَّاهُمْ أَحْسَنُ الْفَعْلِ
بَأَيْدِيهِمْ بِيضَ خِفَافٍ عَصَوْا بِهَا وَقَدْ حَادَّثُوهَا بِالْجَلَاءِ وَبِالصُّفْلِ
فَكَمْ تَرَكُوا مِنْ نَاشِئٍ ذِي حِمِيَّةٍ صَرِيحًا وَمِنْ ذِي نَجْدَةٍ مِنْهُمْ كَهْلٍ
تَبَيَّتْ عُيُونُ النَّائِحَاتِ عَلَيْهِمْ تَجُودُ بِإِسْبَالِ الرِّشَاشِ وَبِالْوَبْلِ
نَوَائِحُ تَنْعَى عُثْبَةَ الْعَيِّ وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ تَنْعَى أَبَا جَهْلٍ
وَذَا الرَّجُلِ تَنْعَى وَابْنَ جُدَعَانَ فِيهِمْ مُسَلَّبَةَ حَرَى مُبَيِّنَةَ الثُّكُلِ
ثَوَى مِنْهُمْ فِي بَثْرِ بَدْرٍ عَصَابَةٌ ذَوُ نَجْدَاتٍ فِي الْحُرُوبِ وَفِي الْمَخْلِ^(٢)
دَعَا الْعَيِّ مِنْهُمْ مَنْ دَعَا فَأَجَابَهُ وَلِلْعَيِّ أَسْبَابُ مُرْمَقَةٍ^(٣) الْوَصْلِ
فَأُضْحُوا لَدَى دَارِ الْجَحِيمِ بِمَعَزِلٍ عَنِ الشَّعْبِ وَالْعُدُوانِ فِي أَشْغَلِ الشُّغْلِ^(٤)

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال [من الطويل]:

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ تَعْنَى سَفِيهِهِمْ بِأَمْرِ سَفَاهِ ذِي اغْتِرَاضٍ وَذِي بُطْلِ
تَعْنَى يَقْتُلِي يَوْمَ بَدْرٍ تَتَابَعُوا كِرَامَ الْمَسَاعِي مِنْ غُلَامٍ وَمِنْ كَهْلٍ

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٧٣).

(٢) المخل: الشدة. الوسيط (محل).

(٣) مرمقة: ضعيفة. قال في الوسيط: ارمق: ضعف وفسد.

(٤) في البداية والنهاية: (في أسفل السفلى).

مَصَالِيْتُ يَبِضُّ مِنْ ذُؤَابَّةٍ غَالِبٍ
أُصِيبُوا كِرَامًا لَمْ يَبِيعُوا عَشِيرَةً
كَمَا أَصْبَحَتْ عَسَانُ فِيكُمْ بِطَانَةٌ
عُقُوقًا وَإِنَّمَا بَيْنَا وَقَطِيعَةٌ
فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ قَدْ مَضُوا لِسَبِيلِهِمْ
فَلَا تَفْرَحُوا أَنْ تَقْتُلُوهُمْ فَقَتْلُهُمْ
فِي أَنْتُمْ لَنْ تَبْرَحُوا بَعْدَ قَتْلِهِمْ
يَفْقِدُ ابْنُ جُدَعَانَ الْحَمِيدِ فَعَالُهُ
وَسَبِيَّةٌ فِيهِمْ وَالْوَلِيدُ فِيهِمْ
أُولَئِكَ فَأَبْكَ ثُمَّ لَا تَبْكُ غَيْرُهُمْ
وَقُولُوا لِأَهْلِ الْمَكْتَنِينَ تَحَاشَدُوا
جَمِيعًا وَحَاشُوا آلَ كَعْبٍ وَذَبَبُوا
وَالْأَقْبِيثُوا خَائِفِينَ وَأَصْبَحُوا
عَلَى أَنْبِي، وَاللَّاتِ، يَا قَوْمَ فَاعْلَمُوا
سِوَى جَمْعِكُمْ لِلْسَّابِغَاتِ وَلِلْقَنَا

مَطَاعِينَ فِي الْهَنْجَا مَطَاعِيمُ فِي الْمَحَلِ
يَقُومُ سِوَاهُمْ نَارِجِي الدَّارِ وَالْأَصْلِ
لَكُمْ بَدَلًا مِنَّا قِيَا لَكَ مِنْ فِعْلِ
يَرَى جُورَكُمْ فِيهَا ذُوو الرُّأْيِ وَالْعَقْلِ
وَحَزِيرُ الْمَنَايَا مَا يَكُونُ مِنَ الْقَتْلِ
لَكُمْ كَائِنٌ خَبَلًا مُقِيمًا عَلَى خَبْلِ
شَتِيًّا هَوَاكُمْ غَيْرَ مُجْتَمِعِي الشُّمْلِ
وَعُتْبَةٌ وَالْمَذْعُو فِيكُمْ أَبَا جَهْلٍ
أُمِيَّةٌ مَاوَى الْمُقْتَرِينَ وَذُو الرَّجْلِ
نَوَائِحُ تَدْعُو بِالرِّزْيَةِ وَالشُّكْلِ
وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرَبِ ذِي النُّخْلِ
بِخَالِصَةِ الْأَلْوَانِ مُخَدَّدَةِ الصُّقْلِ
أَذَلَّ لِبُوطَةِ الْوَاطِئِينَ مِنَ النُّغْلِ
بِكُمْ وَاتَّقِ أَلَا تَقِيمُوا عَلَى تَبْلِ
وَلِلْيَبِضِّ وَالْيَبِضِّ الْقَوَاطِعِ وَالتَّبْلِ^(١)

وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس، أخو بني محارب بن فهر: [من الطويل]
عَلَيْهِمْ عَدَا، وَالذَّهْرُ فِيهِ بَصَائِرُ
أُصِيبُوا بِبَذْرِ كُلِّهُمْ ثُمَّ صَابِرُ
فَلِنَا رَجَالًا بَعْدَهُمْ سَنَعَادِرُ
بَنِي الْأَوْسِ حَتَّى يَشْفَى النَّفْسُ ثَائِرُ
لَهَا بِالْقَنَا وَالْدَّارِعِينَ زَوَافِرُ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْأَمَانِيُّ نَاصِرُ

وَتَرْدِي بَنَا الْجُرْدُ الْعَنَاجِيحُ^(٢) وَسَطُكُمْ
وَوَسَطُ بَنِي النَّجَارِ سَوْفَ نَكْرُهَا
فَتَشْرُكُ صَرْعَى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٧٣-٣٧٦)، البداية والنهاية (٣/ ٤٠٤)، سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٢٥-١٢٦).

(٢) تَرْدِي: ردي الفرس رديًا ورديانًا: رجعت الأرض بحوافرها أو هو بين العدو والمشي، ترتيب القاموس (ردي). الجرد: فرس أجرد قصير الشعر رقيقه، ترتيب القاموس (جردي). العناجيج: جمع: العُنْجُوج؛ وهو الرائع من الخيل، وقيل: العَجَوَازُ. اللسان (عنج).

وَتَبْكِيهِمْ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ نِسْوَةً
وَذَلِكَ أَنَا لَا تَزَالُ سُيُوفُنَا
فَإِنْ تَطَفَّرُوا فِي يَوْمٍ بَذَرٍ فَإِنَّمَا
وَبِالنَّفَرِ الْأَخْيَارِ هُمْ أَوْلِيَاؤُهُ
يُعَدُّ أَبُو بَكْرٍ وَحَمْزَةُ فِيهِمْ
أَوَّلُكَ لَا مَنْ تَنَجَّثَ فِي دِيَارِهَا
وَلَكِنْ أَبَوُهُمْ مِنْ لُؤْيٍ بَنِ غَالِبٍ
هُمْ الطَّاعِنُونَ الْخَيْلَ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سلمة؛ فقال: [من الطويل]

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَاللَّهُ قَادِرٌ
قَضَى يَوْمَ بَذَرٍ أَنْ نُلَاقِي مَعَشَرًا
وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَنْفَرُوا مَنْ يَلِيهِمْ
وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا تُحَاوِلُ غَيْرَنَا
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ، وَالْأَوْسُ حَوْلُهُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَّارِ تَحْتَ لَوَائِهِ
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ، وَكُلُّ مُجَاهِدٍ
شَهِدَنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
وَقَدْ عُرِيتَ بِيضُ خِفَافٍ كَأَنَّهَا
بِهِنَّ أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ فَتَبَدَّدُوا
فَكَبَّ أَبُو جَهْلٍ صَرِيعًا لَوَجْهِهِ
وَشَيْبَةً وَالتَّيْمِيُّ عَادَزَنَ فِي الْوَعَى

(١) مائر: سائل؛ مار الدمع والدم: سال. ينظر: اللسان (مور).

(٢) ويروى بعده في ابن هشام:

ويُدْعَى أَبُو حَفْصٍ وَعُثْمَانُ مِنْهُمْ وَسَعْدٌ إِذَا مَا كَانَ فِي الْحَرْبِ حَاضِرٌ

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٣٧٧/٢ - ٣٧٨).

(٤) في السيرة وفي البداية والنهاية: يمشون. والمآذي: الدروع البيض اللينة السهلة، وقد تطلق على السلاح كله.

فَأَمْسُوا وَفُودَ النَّارِ فِي مُسْتَقَرِّهَا وَكُلُّ كُفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرٌ
تَلْطَى عَلَيْهِمْ وَهَى قَدْ شَبَّ حَمِيهَا بِزُرِّ الْحَدِيدِ وَالْجَحَازَةِ سَاجِرٌ
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ: أَقْبِلُوا قُولُوا، وَقَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ سَاجِرٌ
لِأَمْرِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكُوا بِهِ وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَهُ اللَّهُ زَاجِرٌ^(١)

وقال عبد الله بن الزبير السهمي؛ يبكي قتلى بدر- قال ابن هشام: وتروى
للأعشى بن زرارة بن النباش، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم، حليف بني نوفل بن
عبد مناف؛ قال بن إسحاق: حليف بني عبد الدار- [من الكامل]

مَاذَا عَلَى بَذْرِ وَمَاذَا حَوْلَهُ مَنْ فِتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامِ
تَرَكُوا نُبْيَهَا خَلْفَهُمْ وَمُنْبَهَا وَابْنِي رِبِيعَةَ خَيْرَ خَضَمٍ فِئَامِ
وَالْحَارِثُ الْفَيَاضُ يَبْزُقُ وَجْهَهُ كَالْبَذْرِ جَلَى لَيْلَةَ الْإِظْلَامِ
وَالْعَاصِي بْنُ مُنْبِهِ ذَا مِرَّةٍ رُمَحًا تَمِيمًا غَيْرَ ذِي أَوْصَامِ^(٢)
تَسْمِي بِهِ أَغْرَاقُهُ وَجُدُودُهُ وَمَآئِرُ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ
وَإِذَا بَكَى بَاكِ فَأَعْوَلَ شَجْوَهُ فَعَلَى الرَّئِيسِ الْمَاجِدِ ابْنِ هِشَامِ
حَيَّا إِلَهَ أَبَا الْوَلِيدِ وَرَهْطَهُ رَبُّ الْأَنْامِ وَخَصَّهُ بِسَلَامِ^(٣)

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري فقال: [من الكامل]

إِنَّكَ بَكَتَ عَيْنَاكَ ثُمَّ تَبَادَرْتَ بِدَمٍ يَعْلُ غُرُوبَهَا سَجَامِ
مَاذَا بَكَيْتَ بِهِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا؟! هَلَّا ذَكَرْتَ مَكَارِمَ الْأَقْوَامِ!
وَذَكَرْتَ مِنَّا مَا جِدَّا ذَا هِمَّةٍ سَمَحَ الْخَلَائِقِ صَادِقِ الْإِفْدَامِ
أَغْنِي النَّبِيُّ أَحَا الْمَكَارِمِ وَالْتَدَى وَأَبْرُ مَنْ يُوَلِّي عَلَى الْأَقْسَامِ
فَلَمِثْلُهُ وَلَمِثْلُ مَا يَدْعُو لَهُ كَانَ الْمَمْدَحُ ثُمَّ غَيْرَ كَهَامِ

وقال حسان بن ثابت - أيضًا - : [من الكامل]

تَبَلَّتْ فُؤَادُكَ فِي الْمَتَامِ خَرِيدَةً تَشْفِي الضُّجِيعَ بِبَارِدِ بَسَامِ

(١) ينظر: السيرة النبوية (٣٧٨/٢-٣٨٠)، البداية والنهاية (٤٠٤-٤٠٥)، سبل الهدى
والرشاد (١٢٦/٤).

(٢) ذا مرة: صاحب قوة. والتميم: الشديد. والأوصام: العيوب.

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٣٨٠/٢-٣٨١).

كَالْمِسْكِ تَخْلُطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ
تُفْجُ الْحَقِيبَةَ بَوْضَهَا مُتَنَضِّدٌ
بُنِيَتْ عَلَى قَطْنٍ أَجَمٌ كَأَنَّهُ
وَتَكَادُ تَكْسُلُ أَنْ تَجِيءَ فِرَاشَهَا
أَمَّا النَّهَارُ فَلَا أَفْتَرُ ذِكْرَهَا
أَقْسَمْتُ أَنْسَاهَا وَأَتْرُكُ ذِكْرَهَا
يَا مَنْ لِعَادِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً
بَكَرَتْ عَلَى بِسْخَرَةٍ بَغْدَ الْكَرَى
زَعَمْتُ بِأَنَّ الْمَرْءَ يُكْرِبُ عُمْرَهُ
إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي
تَرَكَ الْأَجَبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ
يَذُرُ الْعَنَاجِيحَ الْجِيَادَ بِقَفْرَةٍ
مَلَأَتْ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَازْمَدَتْ بِهِ
وَبَثُو أَبِيهِ وَزَهَطُهُ فِي مَعْرِكَ
طَحَنَتْهُمْ، وَاللَّهِ يُنْفِذُ أَمْرَهُ
لَوْلَا إِلَهِهُ وَجَزِيئُهَا لَتَرَكْنَهُ
مِنْ بَيْنِ مَأْسُورٍ يُشَدُّ وَثَاقُهُ
وَمُجَدِّلٍ لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةٍ
بِالْعَارِ وَالذُّلِّ الْمُبِينِ إِذْ رَأَى
يَبْدَى أَعْرَى إِذَا انْتَمَى لَمْ يُخْزِهِ
يَبِضُّ إِذَا لَاقَتْ حَدِيدًا صَمَمَتْ

أَوْ عَاتَيْتِ كَدَمَ الذَّبِيحِ مُدَامٍ
بَلْهَاءَ غَيْرُ وَشِيكَةِ الْأَقْسَامِ
فُضْلًا إِذَا قَعَدْتَ مَذَاكُ رُخَامٍ
فِي جِسْمِ خَزْعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامٍ
وَاللَّيْلِ تُوزِعُنِي بِهَا أَخْلَامِي
حَتَّى تُعَيِّبَ فِي الضَّرِيحِ عِظَامِي
وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَلَى الْهَوَى لَوَامِي
وَتَقَارِبُ مِنْ حَادِثِ الْأَيَّامِ
عَدَمَ لِمُغْتَكِرٍ مِنَ الْأَضْرَامِ
فَتَجَوَّزْتُ مَنَجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ
مَرَّ الدَّمُوكُ بِمُخَصَّدٍ وَرِجَامٍ
وَتَوَى أَحَبُّهُ بِشَرِّ مُقَامٍ
نَصَرَ إِلَهِهُ بِهِ ذَوِي الْإِسْلَامِ
حَزَبٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بِضِرَامٍ
جَزَرَ السَّبَاعَ وَدُسْنُهُ بِحَوَامٍ
صَفِيرٌ إِذَا لَاقَى الْأَسِنَّةَ حَامِي
حَتَّى تَزُولَ شَوَامِخُ الْأَعْلَامِ
يَبِضُّ الشُّيُوفُ تَسُوقُ كُلُّ هُمَامٍ
نَسَبُ الْقِصَارِ سَمِينَدَعٍ مِقْدَامٍ
كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلَامٍ كُلِّ غَمَامٍ^(١)

فأجابه الحارث بن هشام - فيما ذكر ابن هشام - فقال: [من الكامل]

الله أعلم ما تركت قتالهم حتى حبوا مهري بأشقر مزيد

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٣٨١-٣٨٥)، البداية والنهاية (٣/٤٠٧-٤٠٨)، سبل الهدى والرشاد (٤/١٢٦-١٢٧).

وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يَنْكِحِي عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجْبَةُ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدٍ
قال ابن إسحاق: قالها الحارث؛ يعتذر من فراره يوم بدر وتركه أخاه أبا جهل بن
هشام^(١).

قلت: رأيت في كتاب «ألف با» للبلوي نقلاً عن الأصمعي وجماعات: أحسن ما
قيل في الاعتذار عن الفرار: قول الحارث بن هشام هذه الثلاثة الأبيات. وخالفه من
أئمة اللغة والأدب خلف الأحمر ومن تبعه، فقال: أحسن ما قيل في الاعتذار عن
ذلك: قول هبيرة بن أبي وهب المخزومي، زوج أم هانئ بنت أبي طالب؛ حيث
يقول [من الطويل]:

لَعَمْرُكَ مَا وَلَّيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ جُبْنًا وَلَا خِيفَةَ الْقَتْلِ
وَلَكَيْتَنِي قَلْبْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَجِدْ لِسِيْفِي مَصَالًا إِنْ ضَرَبْتُ وَلَا تَبْلَى
وَقَفْتُ فَلَمَّا خِفْتُ ضَيْعَةَ مَوْقِفِي فَرَزْتُ لِعَوْدِ كَالْهَزْبِ إِلَى السَّبْلِ
ولعمري! كلتا القطعتين غايتان في المعنى المراد؛ ما لبليغ إلى أفضل منهما
متنجم ولا مراد؛ إلا أن الذي يحدوني إليه فكري وذوقي؛ ويجذبني بردني وطوقي:
هو ما ذهب إليه الأصمعي؛ فهل أنت أيها الناظر معي؛ فإن معي على ذلك شهوداً
معدله؛ تثبت لعبد الملك الفخر له^(٢).

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت - أيضاً: [من الوافر]

لَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشَ يَوْمَ بَدْرٍ	عَدَاةَ الْأَسْرِ وَالْقَتْلِ الشَّدِيدِ
بِأَنَّ حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي	حُمَاةَ الْحَرْبِ يَوْمَ أَبِي الْوَلِيدِ
قَتَلْنَا ابْنَ رَبِيعَةَ يَوْمَ سَارَا	إِلَيْنَا فِي مَضَاعِفَةِ الْحَدِيدِ
وَفَرَّ بِهَا حَكِيمٌ يَوْمَ جَالَتْ	بَنُو النَّجَارِ تَخْطُرُ كَالْأَسُودِ
وَوَلَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ جُمُوعٌ فَهَرِ	وَأَسْلَمَهَا الْخَوْبِرُثُ مِنْ بَعِيدِ
لَقَدْ لَأَقَيْتُمْ ذُلًّا وَقَتْلًا	جَهِيْزًا نَافِذًا تَحْتَ الْوَرِيدِ
وَكُلُّ الْقَوْمِ قَدْ وَلَّوْا جَمِيعًا	وَلَمْ يَلُؤُوا عَلَى الْحَسَبِ التَّلِيدِ ^(٣)

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٨٥)، وسبل الهدى والرشاد (٤/ ١٢٧).

(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٢٧-١٢٨).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٣٨٥)، والبداية والنهاية (٣/ ٤٠٩).

وقال طالب بن أبي طالب؛ يمدح رسول الله ﷺ، ويبكي أصحاب القليب:

[من الطويل]

أَلَا إِنَّ عَيْنِي أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا سَكْبًا
أَلَا إِنَّ كَغْبًا فِي الْحُرُوبِ تَخَاذَلُوا
وَعَامِرُ تَبْكِي لِلْمِلْمَاتِ غُدْوَةً
هُمَا أَخَوَايَ لَنْ يُعَدَا لِعَيْتٍ
فَيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَتَوَفَّلَا
وَلَا تُضْبِحُوا مِنْ بَعْدِ وَدٍّ وَالْفَلَّةِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ
فَقُلُوبًا دِفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ
فَمَا إِنَّ جَنَّتَنَا فِي قُرَيْشٍ عَظِيمَةٍ
أَخَا ثِقَةٍ فِي الثَّائِبَاتِ مُرَزًّا
يُطِيفُ بِهِ الْعَافُونَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ
فَوَاللَّهِ لَا تَنْفُكُ نَفْسِي حَزِينَةٍ

وقال ضرار بن الخطاب الفهري؛ يرثي أبا جهل: [من الطويل]

أَلَا مَنْ لِعَيْنٍ بَاتَتْ اللَّيْلَ لَمْ تَنْمِ
كَأَنَّ قَدَى فِيهَا وَلَيْسَ بِهَا قَدَى
فَبَلِّغْ قُرَيْشًا أَنَّ خَيْرَ نَدِيَّهَا
ثَوَى يَوْمَ بَذَرِ رَهْنٍ خَوْصَاءَ رَهْنِهَا
فَالَيْتُ لَا تَنْهَلُ عَيْنِي بِعَبْرَةٍ
عَلَى هَالِكٍ أَشْجَى لَوْيَ بْنَ غَالِبٍ
تَرَى كِسَرَ الْخَطَى فِي نَحْرِ مُهْرِهِ
وَمَا كَانَ لَيْتُ سَاكِنَ بَطْنٍ بَيْشَةٍ
بِأَجْرٍ مِنْهُ حِينَ تَخْتَلِفُ الْقَنَا
فَلَا تَجْزَعُوا آلَ الْمَغِيرَةِ وَاضْبِرُوا

وَجِدُّوْا؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ مَكْرُمَةً لَّكُمْ وَمَا بَعْدَهُ فِي آخِرِ الْعَيْشِ مِنْ نَّدَمٍ
وَقَدْ قُلْتُ: إِنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةً لَّكُمْ وَعِزُّ الْمَقَامِ غَيْرُ شَكٍّ لِّذِي فَهَمٍ^(١)
قال ابن إسحاق: وقال أمية بن أبي الصلت؛ يرثى من أصيب من قريش يوم بدر:

[من مجزوء الكامل]

أَلَا بَكَيتَ عَلَى الْكَرَا مَ بَنِي الْكَرَامِ أُولِي الْمَمَادِخِ
كُبْكَا الْحَمَامِ عَلَى فُرُو عِ الْإِيكَ فِي أَلْعَصَنِ الْجَوَانِخِ
يَبْكِيْنَ حَرَى مُسْتَكِيْبِ نَاتٍ يَرْحَنَ مَعَ الزَّوَانِخِ
أَمْثَالُهُنَّ الْبَاكِيا ثُ الْمُغُولَاتُ مِنَ الثَّوَانِخِ
مَنْ يَبْكِيْهِمْ يَبْكِيْ عَلَى حُزْنٍ وَيَضْطُقُّ كُلُّ مَا دِخِ
مَاذَا بِبَذْرِ وَالْعَقْدِ قَلٍ مِنْ مَرَاذِيَةِ جَحَاجِخِ
فَمَدَافِعِ الْبَرْقِينَ قَالَ حَتَّانٍ مِنْ طَرْفِ الْأَوَاشِخِ
شُمُطٍ وَ شُبَّانٍ بِهَا لَيْلٍ مَغَاوِيرٍ وَحَاوِخِ
أَلَا تَرَوْنَ لِمَا أَرَى وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَامِخِ
أَنْ قَدْ تَغَيَّرَ بَطْنُ مَكَّةَ فَهِيَ مُوَحِّشَةُ الْأَبَاطِخِ
مِنْ كُلِّ بِطْرِيقٍ لِبِطٍ رِيْقٍ نَقِيٍّ اللَّوْنِ وَاضِحِ
دُغْمُوصِ أَنْوَافِ الْمُلُوكِ لِكِ وَجَائِبِ لِلْخَرْقِ فَاتِخِ
مِنَ السَّرَاطِمَةِ الْخَلَا جِمَّةِ الْمَلَاوِثَةِ الْمَنَاجِخِ
الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِينَ نَ الْآمِرِينَ بِكُلِّ صَالِحِ
أَلَمْ تُطْعِمِينَ الشَّخْمَ فَوْ قِ الْخُبْزِ شَخْمًا كَالْأَنَافِخِ
تُقَلِّ الْجَفَانَ مَعَ الْجَفَا نِ إِلَى جَفَانٍ كَالْمَنَاضِخِ
لَيْسَتْ بِأَصْفَارٍ لِمَنْ يَغْفُو وَلَا رُحٌ رَحَارِخِ^(٢)
لِلضَّيْفِ ثُمَّ الضَّيْفِ بَعْدَ مَدِ الضَّيْفِ وَالْبُسْطِ السَّلَاطِخِ^(٣)
وَهَبِ الْمِثِينَ مِنَ الْمِثِ نَ إِلَى الْمِثِينَ مِنَ الْوَاقِخِ

(١) ينظر: السيرة النبوية (٣٩٧-٣٩٩)

(٢) الأصفار: الآنية. روح رحارح: أي واسعة من غير عمق.

(٣) السلاطخ: الطوال العراض.

سَوَقَ الْمُؤَبِّلَ لِلْمُؤَبِّ
لِكِرَامِهِمْ فَوْقَ الْكِرَا
كَتَّافِلِ الْأَرْطَالِ بِأَلْ
خَذَلْتُهُمْ فِتْنَةً وَهُمْ
الضَّارِبِينَ التَّفْدِيمِ
وَلَقَدْ عَنَانِي صَوْتُهُمْ
لِلَّهِ دُرٌّ بَنِي عَلَى
إِنْ لَمْ يُغَيِّرُوا غَارَةً
بِالْمُقَرَّبَاتِ الْمُبْعِدَا
مُزْدَا عَلَى جُزْدٍ إِلَى
وُيْلَاقٍ قِرْنٌ قِرْنُهُ
بِزَهَاءِ أَلْفٍ ثُمَّ أَلْ

بَلِ صَادِرَاتٍ عَنْ بِلَادِي^(١)
مَ مَزِيَّةً وَزُنَّ الرُّوَاجِحِ
قِسْطَاسٍ فِي الْأَيْدِي الْمَوَائِجِ^(٢)
يَخْمُونَ عَوْرَاتِ الْفَضَائِحِ
يَةً بِالْمُهَنْدَةِ الصَّفَائِحِ
مِنْ بَيْنِ مُسْتَسْقٍ وَصَائِحِ
يَ أَيُّمٍ مِنْهُمْ وَنَاكِخِ
شَعْوَاءَ تَجْجِرُ كُلُّ نَابِخِ
بِ الطَّامِحَاتِ مَعَ الطَّوَامِخِ
أُسْدٍ مُكَالِبَةٍ كَوَالِخِ
مَشْيِ الْمُصَافِحِ لِلْمُصَافِحِ
فَ بَيْنَ ذِي بَدَنٍ وَرَامِخِ^(٣)

وقال أمية بن أبي الصلت؛ ييكي زمعة بن الأسود، وقتلى بني أسدة: [من الخفيف]
عَيْنُ بَكِّي بِالْمُسْبِلَاتِ أَبَا الْحَا
إِبْكِي عَقِيلَ بَنٍ أَسْوَدَ أَسَدَ الْبَاءِ
فَعَلَى مِثْلِ هُلُكِهِمْ خَوَاتِ الْجَوِ
وَهُمُ الْأُسْرَةُ الْوَسِيطَةُ مِنْ كَغِ
أَتَبَتُوا مِنْ مَعَاشِيرِ شَعَرَ الرَّأِ
فَبَنُوا عَمَّهُمْ إِذَا حَضَرُوا الْبَاءِ
وَهُمُ الْمُطْعِمُونَ إِنْ قَحَطَ الْقَطْ

رِثٌ لَا تَذْخِرِي عَلَى زَمَعَةٍ
سِ لِيَوْمِ الْهَبَاجِ وَالْدَفْعَةِ
زَاءٌ لَا خَائَةَ وَلَا خَدَعَةٍ
بِ وَفِيهِمْ كَذِرْوَةُ الْقَمَعَةِ
سِ وَهُمْ أَلْحَقُوهُمْ الْمَنَعَةِ
سِ عَلَيْهِمْ أَكْبَادُهُمْ وَجَعَةٍ
رُ وَحَالَتْ فَلَا تَرَى قَرْعَةً^(٤)

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث بن سعد بن
ضبيعة بن مازن بن عدي بن جشم بن معاوية، حليف بني مخزوم. قال ابن هشام:
وكان مشركاً، وكان مر بهيرة بن أبي رهم، وهم منهزمون يوم بدر وقد أعيا هيرة،

(١) المؤبل: الإبل الكثيرة. وبلاذخ: اسم موضع.

(٢) الموائج: المتمايلة لثقل ما ترفعه.

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٠١-٤٠٥)، والبداية والنهاية (٣/٤١٣-٤١٤).

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٠٦-٤٠٧).

فقام وألقى عنه درعه وحمله ومضى به، قال ابن هشام: وهذه أصح أشعار أهل بدر: [من الوافر]

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْقَوْمَ خَفُّوا
وَأَنْ تُرِكَتْ سَرَاةُ الْقَوْمِ صَرَغَى
وَكَانَتْ جَمَّةٌ وَافَتْ حَمَامًا
نَصْدُ عَنِ الطَّرِيقِ وَأَذْرَكُونَا
وَقَالَ الْقَائِلُونَ: مَنْ ابْنُ قَيْسٍ؟
أَنَا الْجُشَمِيُّ كَيْمَا يَعْرِفُونِي
فَإِنْ تَكُ فِي الْعَلَاصِمِ ^(١) مِنْ قُرَيْشٍ
فَأَبْلِغْ مَالِكًا لَمَّا غَشِينَا
وَأَبْلِغْ إِنْ عَرَضْتَ الْقَوْمَ عَنَّا
بِأَنِّي إِنْ دَعَيْتُ إِلَى أَقْنِيدِ
عَشِيَّةً لَا يُكْرَ عَلَى مُضَافٍ
فَدُونَكُمْ بَنِي لَأَى ^(٢) أَخَاكُمْ
فَلَوْلَا مَشْهَدِي قَامَتْ عَلَيْهِ
دَفُوعٌ لِلْقُبُورِ بِمَنْكَبَيْنِهَا
فَأَقْسِمُ بِالَّذِي قَدْ كَانَ رَبِّي
لَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا حَسْبِي إِذَا مَا
فَمَا إِنْ خَادِرٌ مِنْ أَسَدٍ تَرَجَ
فَقَدْ أَحْمَى الْأَبَاءَ مِنْ كُلاَفٍ ^(٣)
بِخُلٍ تَعَجَزَ الْحُلَفَاءُ عَنْهُ

وَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ لِنَفْرِ
كَأَنَّ خِيَارَهُمْ أَذْبَاحُ عَشْرِ
وَلَقَيْنَا الْمَنَايَا يَوْمَ بَذْرِ
كَأَنَّ زُهَاءَهُمْ غَطِيَانُ بَحْرِ
فَقُلْتُ: أَبُو أَسَامَةَ غَيْرَ فَخْرٍ
أُبَيِّنُ نِسْبَتِي نَقْرًا بِنَقْرِ
فَلِإِنِّي مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ
وَعِنْدَكَ - مَالٍ - إِنْ تَبَأَتْ خُبْرِي
هُبَيْرَةٌ وَهَوَ دُوْ عِلْمٍ وَقَدْرِ
كَرَزْتُ وَلَمْ يَضُقْ بِالْكَرِّ صَدْرِي
وَلَا ذِي هِمَّةٍ مِنْهُمْ وَصَهْرٍ
وَدُونِكَ مَالِكًا يَا أُمَّ عَمْرٍو
مُوقِفَةُ الْقَوَائِمِ أُمَّ أَجْرٍ ^(٤)
كَأَنَّ بَوَاجِهَا تَخْمِيمَ قَدْرِ
وَأَنْصَابٍ لَدَى الْجَمَرَاتِ مُغْرِ
تَبَدَّلَتْ الْجُلُودُ جُلُودَ نَمْرِ
مُدُلٌّ عَنَسٌ فِي الْغِيلِ مَجْرَى ^(٥)
فَمَا يَذْنُو لَهُ أَحَدٌ بِنَفْرِ
يَوَائِبُ كُلِّ هَجْهَجَةٍ ^(٦) وَزَجْرِ

(١) الغلاصم: الأعالى.

(٢) بنى لآى: هم بنى لؤى.

(٣) أجر: جمع جرو؛ وهو ولد الكلب.

(٤) الخادر: الأسد في خدره. وترج: جبل بالحجاز. والعنيس: العابس الوجه. والغيل: الشجر الملتف والمجرى: ذو جراء، أي؛ ذو أشبال.

(٥) الأباءة: أجمة الأسد. وكلاف: وإد من أعمال المدينة. مراصد الاطلاع (٣/ ١١٧٤).

(٦) الخل: الطريق في الرمل. والههجة: زجر الأسد بأن يقال له: هج هج.

بَأَوْشَكَ سَوْرَةَ مِنِّي إِذَا مَا
 بَبِيضٍ كَالْأَسِنَّةِ مُزْهَفَاتٍ
 وَأَكْلَفٌ^(٣) مَجْنَأٌ مِنْ جِلْدِ ثَوْرٍ
 وَأَبْيَضٌ كَالْغَدِيرِ ثَوَى عَلَيْهِ
 أَرْقُلُ فِي حَمَائِلِهِ وَأَمْشِي
 يَقُولُ لِي الْفَتَى سَعْدٌ هَدِيًّا
 وَقُلْتُ: أَبَا عَدِيٍّ لَا تَطْرَهُمْ
 كَدَابِهِمْ بِفَرَوَةٍ إِذْ أَتَاهُمْ

وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة، ترثي أباها يوم بدر: [من المتقارب]

أَعَيْنِي جُودًا بِدَمْعٍ سَرِبَ
 تَدَاعَى لَهُ رَهْطُهُ غُدْوَةً
 يُذِيقُونَهُ حَدًّا أَسْيَافَهُمْ
 يَجْرُونَهُ وَعَفِيرُ الثَّرَابِ
 وَكَانَ لَنَا جَبَلًا رَاسِيَا
 فَأَمَّا بُرِّي فَلَمْ أَغْنِهِ
 وقالت هند- أيضًا-: [من الطويل]

يَرِيبُ عَلَيْنَا دَهْرُنَا فَيَسُوءُنَا
 أَبْعَدَ قَتِيلٍ مِنْ لَوْيِ بْنِ غَالِبٍ

- (١) السورة: الحدة. والقرقرة والهدر: من أصوات فحول الإبل.
 (٢) الظبابة: جمع ظبة، وهي حد السيف والسنان والخنجر، وما أشبهها. الوسيط (٥٨١/٢).
 (٣) الأكلف: الترس. والمجنأ: الترس لا حديد فيه
 (٤) السبطر: الطويل. والأسد السبطر: الذي يمتد عند الوثبة. الوسيط (سبطر) (٤١٥/١).
 (٥) ينظر: السيرة النبوية (٤٠٨/٢-٤١٢).
 (٦) خندف: نسب إلى قبيلة، يقال: إنه اسم امرأة إلياس بن مضر بن نزار، واسمها: ليلي، وإليها ينسب كل ولد إلياس، وهي أهمهم. وسميت بذلك؛ لأنها خندفت (أسرعت) في أثر زوجها، فقال لها: أنت خندف، فذهب لها اسمًا ولولدها نسبا، وسميت بها القبيلة. ينظر: اللسان (خندف).
 (٧) ينظر: السيرة النبوية (٤١٤/٢-٤١٥).

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ قَدْ رَزِئْتُ مُرَرًا
فَأَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي مَالِكًا
فَقَدْ كَانَ حَرْبٌ يَسْعُرُ الْحَرْبَ^(١)؛ إِنَّهُ
لِكُلِّ امْرِئٍ فِي النَّاسِ مَوْلَى يُطَالِيهِ

قال ابن إسحاق: وقالت- أيضًا-: [من مجزوء الكامل]

لِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى
يَا رُبَّ بَاكِ لِي عَدَا
كَمْ غَادَرُوا يَوْمَ الْقَلْبِ
مِنْ كُلِّ غَيْثٍ فِي السَّنِي
قَدْ كُنْتُ أَخْذَرُ مَا أَرَى
قَدْ كُنْتُ أَخْذَرُ مَا أَرَى
بَلْ رُبَّ قَائِلَةٍ غَدَا:
يَا وَنَحْ أُمُّ مُعَاوِيَةَ^(٢)

وقالت أيضًا: [من الرجز]

يَا عَيْنُ بَكِي عُتْبَةَ
يُطْعِمُ يَوْمَ الْمُسْتَعْبَةِ
إِنِّي عَلَيْهِ حَرَبَةٌ
لِنَهْطُنَّ يَثْرِبَةَ
شَيْخًا شَدِيدَ الرُّقْبَةِ
يَذْفَعُ يَوْمَ الْمَغْلَبَةِ
مَلْهُوْفَةٌ مُسْتَلْبَةِ
بَغَارَةٍ مُنْشَعْبَةِ
فِيهَا الْخِيُولُ مَقْرِبَةٌ
كُلُّ جَوَادٍ سَلْهَبَةٍ^(٣)

وقالت صفية بنت مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس؛ تبكي أهل القلب

الذين أصيبوا يوم بدر من قريش-: [من البسيط]

يَا مَنْ لِعَيْنٍ قَدَّاهَا عَائِرُ الرَّمْدِ
أُخْبِرْتُ أَنَّ سَرَاةَ الْأَكْرَمِينَ مَعَا
وَقَرَّ بِالْقَوْمِ أَصْحَابُ الرِّكَابِ وَلَمْ
قَوْمِي صَفِيٍّ وَلَا تَنْسَى قَرَابَتَهُمْ
حَدَّ النَّهَارِ وَقَرْنُ الشَّمْسِ لَمْ يَقْدِ
قَدْ أَخْرَزَتْهُمْ مَتَابَاهُمْ إِلَى أَمْدٍ
تَغْطِفُ غَدَاتِيذَ أُمِّ عَلَى وَلَدٍ
وَلِنْ بَكَيْتِ فَمَا تَبْكِينَ مِنْ بُعْدٍ

(١) «حرب» الأول هو والد أبي سفيان. شعر الحرب يسعرها: هيجها، وأثارها. الوسيط (سعر).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٤١٦/٢).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٣٨٤/٢).

فَأَضْبَحَ السَّقْفَ ^(١) مِنْهَا غَيْرَ ذِي عُمْدٍ

كَانُوا سُقُوبَ سَمَاءِ الْبَيْتِ فَانْقَصَفَتْ

وَقَالَتْ صَفِيَّةٌ - أَيْضًا -: [من الهزج]

تَبْكِي دَمْعَهَا فَإِنْ

أَلَا يَا مَنْ لَعِينٍ لِلشَّ

خِلَالِ الْغَيْثِ الدَّانِ

كَغَرْبِي دَالِجٍ يَسْقِي

أَطَافِيرَ وَأَسْنَانِ

وَمَا لَيْتُ غَرِيفَ دُو

شَدِيدِ الْبَطْشِ غَرثَانِ ^(٢)

أَبُو شِبْلَيْنِ وَثَابِ

وَجُوهُ الْقَوْمِ أَلْوَانِ

كَجَبِي إِذْ تَوَلَّى وَ

رَمَ أَبْيَضُ ذُكْرَانِ

وَبِالْكَفِّ حُسَامَ صَا

ءٍ مِنْهَا مُزِيدُ آنِ ^(٣)

وَأَنْتَ الطَّاعِنُ النُّجَلَا

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب، تراثي عبيدة بن

الحارث بن المطلب: [من الطويل]

وَجَلَمًا أَصِيلًا وَافِرَ اللَّبِّ وَالْعَقْلِ

لَقَدْ ضُمِّنَ الصُّفْرَاءُ ^(٤) مَجْدًا وَسُودَدَا

وَأَرْمَلَةٌ تَهْوِي لِأَشْعَثِ كَالْجَذْلِ

عُبَيْدَةٌ فَبَنِكَيهِ لِأَضْيَافِ غُرْبَةٍ

إِذَا اخْمَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ مِنَ الْمَحَلِّ

وَبَنِكَيهِ لِلْأَقْوَامِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ

وَتَشْيِيبٍ قَدَرٍ طَالَمَا أَزِيدَتْ تَغْلِي ^(٥)

وَبَنِكَيهِ لِلْإِيْتَامِ، وَالرَّيْحُ زَفْرٌ

فَقَدْ كَانَ يَذْكِيهِنَّ بِالْحَطْبِ الْجَزْلِ

فَإِنْ تُصْبِحَ النَّيرَانُ قَدْ مَاتَ ضَوْؤُهَا

وَمُسْتَنْجٍ أَضْحَى لَدَيْهِ عَلَى رَسْلِ ^(٦)

لِطَارِقٍ لَيْلٍ أَوْ لِمُلْتَمِسِ الْقَرَى

وقالت قتيلة بنت الحارث، أخت النضر بن الحارث: [من الكامل]

مِنْ صَبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مَوْفُوقُ

يَا رَاكِبًا إِنْ الْأَثِيلُ مَظْنَةٌ

مَا إِنْ تَرَّالُ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفُوقُ

أَبْلَغُ بِهَا مَيْتًا بِأَنَّ تَحِيَّةَ

جَادَتْ بِوَإِكْفِهَا وَأُخْرَى تَخْنُوقُ

مِنْنِي إِلَيْكَ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ

(١) في السيرة: السَّمَك.

(٢) غرثان: جوعان.

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤١٧، ٤١٨).

(٤) الصفراء: اسم موضع.

(٥) في السيرة: والريح زفرة، وهي الشديدة. والزفر: السريعة. والتشييب: إيقاد النار تحت القدر. وفي ط: تشيت. وأزبدت: رمت بالزبد وهو الرغوة.

(٦) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤١٨-٤١٩).

هل يسمعني النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيْتٌ لَا يَنْطِقُ؟!
 أُمَحَمَّدٌ يَا خَيْرَ ضَنْءٍ كَرِيمَةٍ فِي قَوْمِهَا، وَالْفَعْلُ فَحْلٌ مُغْرَقٌ
 مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا مِّنَ الْفَتَى، وَهُوَ الْمَغِيْطُ الْمَحْنَقُ
 أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيَنْفَقَنَّ بِأَعَزِّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفَقُ
 فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنَ أُسْرَتْ قَرَابَةً وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِثْقُ يَعْتَقُ
 ظَلَلْتُ سُيُوفَ بَنِي أَبِيهِ تَنَوُّشُهُ لِّلْهِ أَزْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ
 صَبْرًا يُقَادُّ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا رَسَفَ الْمُقَيِّدُ وَهُوَ عَانٍ مُّوثَقُ

قال ابن هشام: فيقال- والله أعلم:- إن رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر، قال: «لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه»^(١).

قال ابن إسحاق: وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر عقب شهر رمضان، فلما قدم المدينة لم يقيم بها إلا سبع ليال، حتى غزا بنفسه يريد بني سليم^(٢).

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري أو ابن أم مكتوم^(٣).

قال ابن إسحاق فبلغ ماء من مياههم، يقال له: الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيذا، فأقام بها شوال وذا القعدة، وأفدى في إقامته تلك جل الأسارى من قريش^(٤).

* * *

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤١٩-٤٢١)، وسبل الهدى والرشاد (٤/٨٧) ونقل الصالحى عن أبي عمر قوله: ليس معنى هذا الندم لأنه ﷺ لا يقول ولا يفعل إلا حقا ولكن معناه لو شفعت عندي بهذا القول لقبلت شفاعتها.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٢١) المغازي للواقدي (١/١٨٢) تاريخ الطبري (٢/٤٨٢-٤٨٣)، الكامل في التاريخ (٢/١٣٩)، الروض الأنف (٣/١٤٢)، البداية والنهاية (٣/٤١٥)، عيون التواريخ (١/١٤٢)، البدء والتاريخ (٤/١٩٦)، تاريخ الإسلام (١٣٧-المغازي)، سبل الهدى والرشاد (٤/١٧٢).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٢١).

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٢١-٤٢٢) والدرر (١٤٥)، وتاريخ الطبري (٢/٤٨٢-٤٨٣)، ودلائل النبوة (٣/١٦٣)، والبداية والنهاية (٣/٤١٥).

أمر بني قينقاع^(١)

قينقاع- بضم النون في الأشهر، ويجوز فتحها وكسرها-: بطن من اليهود لهم شجاعة وصبر.

خرج ﷺ يوم السبت نصف شوال، على رأس عشرين شهرًا من الهجرة، حاصرهم خمس عشرة ليلة، فكدف الله في قلوبهم الرعب؛ فنزلوا على حكمه ﷺ، وعلى أن له أموالهم، ولهم النساء والذرية، فلحقوا بـ«أذرعات». وأخذ من حصنهم سلاحًا كثيرًا.

وقد كانت الكفار- بعد الهجرة- مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام:
قسم: وادعهم- عليه السلام- على ألا يحاربوه ولا يؤلبوا عليه عدوًا، وهم طوائف اليهود الثلاث: قريظة، والنضير، وبنو قينقاع.
وقسم: حاربوه ونصبوا له العداوة؛ كقريش.

وقسم: تركوه وانتظروا ما يثول إليه أمره؛ كطوائف من العرب: فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة، وبالعكس كبنى بكر، ومنهم من كان معه ظاهرًا ومع عدوه باطنًا، وهم المنافقون.

وكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع، فحاربهم- عليه الصلاة والسلام- في شوال بعد وقعة بدر.

قال الواقدي: بشهر^(٢)، وأغرب الحاكم؛ فزعم أن إجلاء بنى قينقاع وبنى النضير، كان في زمن واحد، ولم يوافق على ذلك؛ لأن إجلاء بنى النضير كان بعد بدر بستة أشهر- على قول عروة- أو بعد ذلك بمدة طويلة؛ على قول ابن إسحاق^(٣).

وكان من أمر بنى قينقاع: أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ يهودي، فراودها

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٢٦)، المغازي للواقدي (١/١٧٦-١٨٠) تاريخ الطبري (٢/٤٧٩-٤٨١) البدء والتاريخ (٤/١٩٥-١٩٦)، الكامل في التاريخ (٢/١٣٧-١٣٩)، نهاية الأرب (١٧/٦٧-٧٠) الروض الأنف (٣/١٤٣)، عيون التواريخ (١/١٤٠-١٤١)، البداية والنهاية (٤/٤)، تاريخ الإسلام (١٤٥-المغازي).

(٢) ينظر: المغازي (١/١٧٦)، وتاريخ الإسلام (١٤٥-المغازي).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٢٦).

على كشف وجهها فأبت؛ فعمد إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا منها؛ فصاحت؛ فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله؛ فشدت اليهود على المسلم فقتلوه؛ ووقع الشر بين المسلمين وبين بنى قينقاع، فسار إليهم النبي ﷺ بعد أن استخلف أبا لبابة بن عبد المنذر، فحاصروهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ على أن له أموالهم، ولهم النساء والذرية؛ فأمر- عليه الصلاة والسلام- المنذر بن قدامة بتكثيفهم، وكلم عبد الله بن أبي ابن سلول رسول الله ﷺ فيهم، وألح عليه من أجلهم؛ فأمر- عليه الصلاة والسلام- أن يجلو وتركهم من القتل، وأمر بأن يجلو من «المدينة» فلحقوا به «أذرعاً»، فما كان أقل بقاءهم فيها! . وأخذ من حصنهم سلاحاً وآلة كثيرة.

وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله ابن سلول وعبادة بن الصامت، فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم، فقال: «يا رسول الله، أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار ولايتهم، ففيهم وفي عبد الله أنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾... إلى قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَاقِلُونَ﴾»^(١) [المائدة: ٥١-٥٦].

ثم غزوة السويق: سميت بذلك؛ لأنه كان أكثر زاد المشركين، وتسمى أيضاً: «غزوة الكُدر» بضم الكاف وسكون الدال المهملة؛ اسمٌ لماء هناك.

وهم مائتا راكب فيهم أبو سفيان، خرج ﷺ لهم يوم الأحد، خامس ذي الحجة، على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة^(٢).

وقال ابن إسحاق: في صفر في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار، وقيل: في ثمانين راكباً.

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٠)، والسيرة النبوية (٢/ ٤٢٧-٤٢٩)، والدلائل (٣/ ١٧٤)، والبدية والنهاية (٤/ ٥).

(٢) ينظر المغازي (١/ ١٨١-١٨٢)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٣-٤٨٥)، دلائل النبوة (٢/ ٤٣٣)، الكامل في التاريخ (٢/ ١٣٩-١٤٠)، نهاية الأرب (١٧/ ٧٠-٧١)، عيون التواريخ (١/ ١٤٢-١٤٣)، المغازي لمرو (١٦١)، الدرر (١٤٧)، البدء والتاريخ (٤/ ١٩٦)، البداية والنهاية (٣/ ٤١٥-٤١٦)، تاريخ الإسلام (١٣٨-المغازي).

وكان سبب هذه الغزوة: أن أبا سفيان حين رجع بالغير من بدر إلى مكة، نذر ألا يمس النساء والدهن، حتى يغزو محمدًا - عليه الصلاة والسلام - فخرج فى مائتى راكب من قريش؛ ليبرز يمينه، حتى أتوا «العريض» ناحية من «المدينة» على ثلاثة أميال، فحرقوا نخلا وقتلوا رجلا من الأنصار، فرأى أبو سفيان أن قد انحلت يمينه، فانصرف بقومه راجعين، وخرج - عليه الصلاة والسلام - فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار، وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب السوق - وهى عامة أزوادهم - يتخفون للهرب؛ فيأخذها المسلمون، فلم يلحقهم - عليه الصلاة والسلام - فرجع إلى «المدينة»، وكانت غيبته خمسة أيام^(١).
وفى ذى الحجة صلى رسول الله ﷺ العيد، وأمر بالأضحية^(٢).
وفيه مات عثمان بن مظعون^(٣).
وفى هذه السنة تزوج على بفاطمة، رضى الله عنهما^(٤).

حوادث السنة الثالثة

فيها غزوة غطفان، وهى «غزوة ذى أمر» بفتح الهمزة والميم^(٥)، وسماها الحاكم: غزوة أنمار، وهى بناحية نجد، وكانت لثتى عشرة مضت من ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة.

وسببها: أن جمعا من ثعلبة ومحارب، تجمعوا يريدون الإغارة، جمعهم دعثور ابن الحارث المحاربى - وسماه الخطيب: غورث، وغيره غورك - وكان شجاعا؛ فندب ﷺ المسلمين، وخرج فى أربعمائة وخمسين فارسا، واستخلف على المدينة

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٢٢-٤٢٤)، وتاريخ الإسلام (١٤٠-المغازي).

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (٢/٤١٨)، والمتنظم (٣/٩٦).

(٣) قال الطبري فى تاريخه (٢/٤٨٥) ومات فى هذه السنة أعني اثنتين من الهجرة فى ذى الحجة عثمان بن مظعون فدفته رسول الله ﷺ بالبيع وجعل عند رأسه حجرا علامة لقبره.

(٤) ينظر: تاريخ خليفة (٦٥)، وتاريخ الطبري (٢/٤٨٥-٤٨٦)، وتاريخ الإسلام (١٤١-المغازي).

(٥) ينظر السيرة النبوية (٢/٤٢٥)، المغازي للواقدي (١/١٩٣-١٩٦)، تاريخ خليفة (٦٥)، تاريخ الطبري (٢/٤٨٧)، الطبقات الكبرى (٢/٣٤-٣٥)، نهاية الأرب (١٧/٧٧-٧٩)، الدرر (١٤٨)، الدلائل (٣/١٦٧)، عيون التواريخ (١/١٤٧-١٤٨) البدء والتاريخ (٤/١٩٧-١٩٨)، المتنظم (٣/١٥٧)، البداية والنهاية (٤/٣-٤)، تاريخ الإسلام (١٤٣-المغازي)، سبل الهدى والرشاد (٤/١٧٦).

عثمان بن عفان فلما سمعوا بمهبطه ﷺ هربوا في رءوس الجبال، فأصابوا رجلاً منهم من بنى ثعلبة، فأدخل على رسول الله ﷺ، فدعاه إلى الإسلام وضمه إلى بلال.

وأصاب النبي ﷺ مطراً؛ فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة؛ ليجفأ، واضطجع تحتها وهم ينظرون، فقالوا لدعشور: قد انفرد محمد فعليك به، فأقبل ومعه سيف، حتى قام على رأسه ﷺ فقال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال ﷺ: «الله». فدفع جبريل في صدره فوق السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ فقال: «من يمنعك مني؟» قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام، وأنزل الله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ...﴾ [المائدة: ١١] الآية (١).

ويقال: كان ذلك في ذات الرقاع، ثم رجع ﷺ ولم يلق كيدا، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

وفيها غزوة نجران، وتسمى: «غزوة بنى سليم» (٢) من ناحية الفرع: بفتح الفاء والراء؛ كما قيده السهيلي (٣)، وقال في «القاموس» (٤): ونجران وتضم: موضع بناحية الفرع، كما رأيته بخطه، بضم الفاء لا غير.

وسببها: أنه بلغه- عليه الصلاة والسلام- أن بها جمعا كثيرا من بنى سليم، فخرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه، فوجدوهم قد تفرقوا في مياههم، فرجعوا ولم يلق كيدا، وكان قد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم؛ كما قاله ابن هشام، وكانت غيبته عشر ليال (٥).

وفيها سرية زيد بن حارثة إلى القردة بفتح القاف وسكون الراء؛ كما ضبطه ابن الفرات، اسم ماء من مياه نجد (٦).

(١) سيأتي الكلام على هذه القصة في موضعه عند الكلام على غزوة ذات الرقاع.

(٢) ينظر: المغازي (١/١٩٦)، تاريخ الطبري (٢/٤٨٧).

(٣) ينظر: الروض الأنف (٣/١٤٢-١٤٣).

(٤) ينظر: ترتيب القاموس (نجر).

(٥) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٢٥-٤٢٦)، وتاريخ الطبري (٢/٤٨٧)، الدرر (١٤٩)، والدلائل (٣/٦٧)، والبداية والنهاية (٤/٤).

(٦) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٢٩-٤٣٠)، وتاريخ الطبري (٢/٤٩٢-٤٩٣)، والطبقات الكبرى (٢/٢٧)، والمغازي (١/١٩٧-١٩٨)، دلائل النبوة (٣/١٧٠-١٧١)، تاريخ الإسلام (١٥٤-المغازي) البداية والنهاية (٤/٥-٦).

وسببها- كما قال ابن إسحاق-: أن قريشا خافوا من طردهم التي يسلكون منها إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان؛ فسلخوا طريق العراق، فخرج معهم تجار منهم أبو سفيان بن حرب، ومعهم فضة كثيرة^(١).

وعند ابن سعد بعثه ﷺ لهلال جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة، في مائة راكب؛ يعترض عيرا لقريش فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى، ومعهم مال كثير وآتية، فأصابوها وقدموا بالغير على رسول الله ﷺ، وخمسها، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم^(٢). وعند مغلطاي: خمسة وعشرين ألف درهم، وذكرها ابن إسحاق قبل قتل ابن الأشرف.

ومن حوادثها: سرية محمد بن مسلمة وأربعة معه إلى كعب بن الأشرف اليهودي، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة^(٣). روى أبو داود والترمذي، من طريق الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، أن كعب بن الأشرف كان شاعرا يهجو رسول الله ﷺ بالشعر، فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذاه، أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه. وفي رواية قال- عليه الصلاة والسلام-: «من لنا بابن الأشرف؟» (وفي أخرى: «من لكعب بن الأشرف؟» أي: من ينتدب لقتله)؛ فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا، وقد خرج إلى قريش، وجمعهم إلى قتالنا، وقد أخبرني الله بذلك». ثم قرأ على المسلمين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾^(٤) [النساء: ٥١، ٥٢] وفي «الإكليل»: فقد آذانا بشعره وقوى المشركين.

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٢٩-٤٣٠)، البداية والنهاية (٤/٥-٦).

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى (٢/٢٧-٢٨).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٣٠-٤٣٧)، المغازي للواقدي (١/١٨٤)، المغازي لعروة (١٦٢-١٦٣)، الطبقات الكبرى (٢/٣١-٣٤)، تاريخ الطبري (٢/٤٨٩-٤٩٠)، البدء والتاريخ (٤/١٩٧)، الكامل في التاريخ (٢/١٤٣-١٤٤)، الدلائل (٣/١٨٧-١٩٠)، البداية والنهاية (٤/٦-٨)، تاريخ الإسلام (١٥٧-المغازي).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٠٠٠) من طريق الزهري به والحديث لم يخرج به الترمذي كما زعم المصنف. ينظر: تحفة الأشراف (١١٥٢) والحديث في الصحيحين عند البخاري (٣٠٣١)، ومسلم (١١٩/١٨٠١)، من حديث جابر.

وفى رواية ابن إسحاق: فقال محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الأشهل: أنا له يا رسول الله، أنا أقتله، قال: فافعل إن قدرت على ذلك، قال: يا رسول الله، إنه لا بدّ لنا أن نقول، قال: قولوا ما بدا لكم، فأنتم فى حل من ذلك، فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة، وأبو نائلة- بنون وبعد الألف تحثانية- سلكان بن سلامة، وكان أخا كعب من الرضاعة، وعبادة بن بشر، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عيس بن جبر، وهؤلاء الخمسة من الأوس^(١).

وفى رواية ابن سعد: فلما قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا، وقد قام عليه السلام تلك الليلة يصلى، فلما سمع تكبيرهم، كبر وعرف أنهم قد قتلوه، ثم انتهوا إليه فقال: أفلحت الوجوه، قالوا: وجهك يا رسول الله، ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله^(٢).

وفى كتاب «شرف المصطفى»: إن الذين قتلوا كعباً حملوا رأسه فى مخلاة إلى المدينة، ف قيل: إنه أول رأس حمل فى الإسلام^(٣).

وأصاب ذباب السيف الحارث بن أوس، فجرح ونزفه الدم، فتفل عليه الصلاة والسلام على جرحه، فلم يؤذ بعد^(٤).

وفى غزوة أحد يوم السبت تاسع شوال^(٥)، حين جمعت قريش لقتاله ثلاثة

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٤٣٦-٤٣٧)، ودلائل النبوة (٣/١٩٩)؛ والبداية والنهاية (٤/٨).

(٢) ينظر الطبقات الكبرى (٢/٢٤-٢٦).

(٣) ينظر تاريخ الطبري (٢/٤٩١).

(٤) أخرجه أحمد (١/٢٦٦)، والحاكم (٢/٩٨)، وإسحاق بن راهويه فى مسنده كما فى المطالب العالية رقم (٤٣١١)، والطبراني فى الكبير (١١/٢٢١)، رقم (١١٥٥٤)، وقال الهيثمي فى المجمع (٦/١٩٦): وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح. قلت: وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث وهو فى السيرة (٢/٤٣٨-٤٣٩) حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس، به.

(٥) ينظر: المغازي لعروة (١٦٨-١٧٣)، وللواقدي (١/١٩٩-٣٠٠)، الطبقات الكبرى (٢/٢٨-٣٧)، تاريخ خليفة (٦٧-٦٨)، تاريخ الطبري (٢/٤٩٩-٥٣٣)، المعرفة والتاريخ (٣/٢٥٧-٢٥٨)، الدرر فى اختصار المغازي والسير (١٥٣)، جوامع السيرة (١٥١٦)، الكامل فى التاريخ (٢/١٤٨-١٦٣)، نهاية الأرب (١٧/٨١-١٢٥)، البدء والتاريخ (٤/١٩٨-٢٠٨)، عيون التواريخ (١/١٥٣-١٦٧) الروض الأنف (٣/١٥٨-١٨٠)، المتظم (٣/١٦١-١٧٢)، البداية والنهاية (٤/١١-٥٥)، تاريخ الإسلام (١٦٥-المغازي)، سبل الهدى والرشاد (٤/١٨٢-٢٣١).

آلاف، فيهم سبعمائة دارع، ومائتا فارس، وثلاثة آلاف بعير، وخمس عشرة امرأة، والمسلمون ألف رجل، وقال ﷺ للرؤماة: لا تتغيروا، فلما تغيروا انهزموا، وقتل من المسلمين سبعون، ومنهم حمزة، وشج جبينه ﷺ، وكسرت رباعيته، ودخل في وجته حلقتان من المغفر، وشقت شفته، وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون، وثبت ﷺ معه أربعة عشر رجلاً، ونصره الله عليهم، فرجع من يومه آخر النهار (١).

وكان سببها؛ كما ذكره ابن إسحاق، عن شيوخه، وموسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وأبو الأسود، عن عروة وابن سعد، قالوا: ومن قال منهم ما حاصله: إن قريشاً لما رجعوا من بدر إلى مكة، وقد أصيب أصحاب القلب، ورجع أبو سفيان بعيره، قال عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وجماعة ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم وأبناءهم يوم بدر: يا معشر قريش، إن محمداً قد وترككم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حرب- يعنون عير أبي سفيان. ومن كانت له في تلك العير تجارة- لعلنا أن ندرك منه ثأراً، فأجابوه لذلك، فباعوها، وكانت ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار، وفيهم- كما قال ابن إسحاق وغيره- أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

واجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ، وكتب العباس بن عبد المطلب كتاباً يخبر رسول الله ﷺ بخبرهم، وسار بهم أبو سفيان حتى نزل بهم بطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة، وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر، وأرى ﷺ ليلة الجمعة رؤيا، فلما أصبح قال: واللّه، لقد رأيت خيراً، رأيت بقراً تذبج، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأما البقر: فناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي رأيت في سيفي: فهو رجل من أهل بيتي يقتل (٢).

وقال ابن عقبة: ويقول رجال: كان الذي بسيفه ما قد أصاب وجهه؛ فإن العدو

(١) ينظر هذا الإجمال في المصادر السابق ذكرها.

(٢) قوله: رأيت بقرة تذبج أصله في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أخرجه البخاري (٤٠٨٠)، ومسلم (٢٢٧٢)، وابن ماجه (٣٩٢١)، والبغوي في شرح السنة (٣٢٢/٦)، من حديث أبي موسى.

أصابوا وجهه الشريف يومئذ، وكسروا رِباعيته، وجرحوا شفته (١). وفي رواية قال- عليه الصلاة والسلام-: «وأولت الدرع الحصينة بالمدينة، فامكثوا فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم، ورُموا من فوق البيوت» فقال أولئك القوم: يا رسول الله، كنا نتمنى هذا اليوم، اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جنبنا عنهم، فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة، ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، ففرح الناس بذلك، ثم صلى بالناس العصر، وقد حشدوا، وحضر أهل العوالي، ثم دخل- عليه الصلاة والسلام- بيته ومعه صاحبه أبو بكر وعمر- فعمماهم وألبساه، وصف الناس ينتظرون خروجه- عليه الصلاة والسلام- فقال لهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج، فردوا الأمر إليه، فخرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته- وهى بالهمز، وقد يترك تخفيفاً، الدرع- وتقلد سيفه، فندموا جميعاً على ما صنعوا، فقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنَعْ ما شئت، فقال: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه (٢).

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي والطبراني وصححه الحاكم نحو حديث ابن إسحاق، وفيه إشارة النبي ﷺ ألا يبرحوا من المدينة، وإيثارهم بالخروج لطلب الشهادة، ولبسه اللأمة وندامتهم على ذلك، وقوله ﷺ: «لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل»، وفيه: «إني رأيت أنى في درع حصينة...» الحديث (٣).

وعقد- عليه الصلاة والسلام- ثلاثة ألوية؛ لواء للأوس بيد أسيد بن الحضير، ولواء للمهاجرين بيد علي بن أبي طالب، وقيل: بيد مصعب بن عمير، ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر، وقيل: بيد سعد بن عباد، وفي المسلمين مائة

(١) ينظر: دلائل النبوة (٣/٢٠٤)، رواية موسى بن عقبة، والبداية والنهاية (٤/١٤-١٥).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٣/٧-٨).

(٣) أخرجه من طريق ابن عباس الحاكم (٢/١٢٩)، (٣/٣٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/٣٠٤)، (٧/٤١)، ومن طريق جابر أخرجه أحمد (٣/٣٥١)، والدارمي (٢/١٧٣)، وعلقه البخاري (١٥/٢٨٣-الفتح) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، عند رقم (٧٣٦٩). وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/١٣)، والحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٣/٢٧٣)، رقم (١٥٤٨)، واللأمة: الدرع.

دارع، وخرج السعدان أمامه يعدوان، سعد بن معاذ وسعد بن عباد دارعين، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة، وأدلج- عليه الصلاة والسلام- في السحر، وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم، منهم أسامة، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، والنعمان ابن بشير^(١)، قال مغلطاي: وفيه نظر.

وكان المسلمون ألف رجل، ويقال: تسعمائة، والمشركون ثلاثة آلاف رجل، فيهم سبعمائة دارع، ومائتا فرس، وثلاثة آلاف بعير، وخمس عشرة امرأة، ونزل- عليه السلام- بأحد، ورجع عنه عبد الله بن أبي في ثلاثمائة ممن تبعه من قومه من أهل النفاق. ويقال: إن النبي ﷺ أمرهم بالانصراف لكفرهم، بمكان يقال له الشوط، ويقال: بأحد، ثم صف المسلمون بأصل أحد، وصف المشركون بالسبخة^(٢).

قال ابن عقبة: وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل^(٣)، وجعل ﷺ على الرماة- وهم خمسون رجلاً- عبد الله بن جبير، وقال: لو رأيتمونا يتخطفنا الطير؛ فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنّا القوم ووطئناهم؛ فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم؛ كذا في البخاري من حديث البراء^(٤).

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والطبراني والحاكم؛ أنه ﷺ أقامهم في موضع، ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا، فلا تشركونا^(٥).

وقال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه

(١) رد سيدنا عبد الله بن عمر ورد في حديث عند البخاري برقم (٢٦٦٤)، ومسلم برقم (١٨٦٨)، وأبو داود (٢٩٥٧)، والترمذي (١٧١١)، والنسائي (١٥٥/٦)، وابن ماجه (٢٥٤٣)، وأما رد الباقيين، فينظر: تاريخ الطبري (٥٠٥/٢)، وزاد هناك في الذين ردهم رسول الله ﷺ عرابة بن أوس.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٨/٣)، والبداية والنهاية (١٦-١٥/٤).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (١١/٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٤٣)، وأبو داود (٢٦٦٢)، والبيهقي في الدلائل (٢٦٦-٢٦٩/٣).

(٥) تقدم تخريجه من حديث ابن عباس.

رجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سماك، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحنى، قال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله، فأعطاه إياه، وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، فلما رآه- عليه الصلاة والسلام- يتبختر قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن^(١)، قال الزبير بن العوام- فيما قال ابن هشام-: فقلت: والله، لأنظرنَّ ما يصنع أبو دجانة، فاتبعته، فأخذ عصابة حمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج عصابة الموت، فخرج وهو يقول: [من الرجز]

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى التَّخِيلِ
أَلَّا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ أَضْرَبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ
فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا مِنَ الْمَشْرِكِينَ إِلَّا قَتَلَهُ^(٢).

وقوله: «الْكَيْوَل»- بفتح الكاف، وتشديد المثناة التحتية-: مؤخر الصفوف، وهو فيعمل من كَالِ الزند يَكِيلُ كَيْلًا: إذا كبا، ولم يخرج نازًا، فشبه مؤخر الصف به؛ لأن من كان فيه لا يقاتل. قال أبو عبيدة: ولم يسمع إلا في هذا الحديث.
وقتل شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف، والتقى حنظلة الغسيل وأبو سفيان،

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٥١١/٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٣٣/٣-٢٣٤) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال: قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر... فذكره. وقصة من يأخذ هذا السيف بحقه وردت من حديث أنس وقد أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٢/٨) كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة (٢٥) (٢٤٧٠)، وأحمد في مسنده (١٢٣/٣)، والحاكم في مستدركه (٢٣٠/٣) والبيهقي في دلائل النبوة (٢٣٢/٣)، وابن أبي شيبه في مصنفه (٣٦٩/٧) رقم (٣٦٧٧٢) كلهم من طريق حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أحد فقال «من يأخذ مني هذا...» الحديث.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٥١٠/٢)، والحاكم في مستدركه (٢٣٠/٣-٢٣١)، والبيهقي في الدلائل (٢٣٢-٢٣٣/٣) كلهم من طريق عمرو بن عاصم الكلابي قال حدثنا عبيد الله بن الوازع عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير: عرض رسول الله ﷺ سيفًا في يده وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي قلت: وفي ذلك نظر فإن عمرو بن عاصم الكلابي وهو أبو عثمان البصري صدوق في حفظه شيء كما في التقريب (٧٢/٢) (٦١٣) والعللة ليست فيه وإنما في جده عبيد الله بن الوازع الكلابي، قال الذهبي في الميزان (٢٢/٥) (٥٤٠٩): ما علمت له راويًا غير حفيده وقال الحافظ في التقريب (١/٥٤٠) (١٥١٧): مجهول.

فضربه شداد بن أوس فقتله، فقال ﷺ: «إن حنظلة لتغسله الملائكة»، فسألوا امرأته جميلة أخت عبد الله بن أبيي، فقالت: خرج وهو جُنُبٌ. فقال:- عليه الصلاة والسلام:- «لذلك غسلته الملائكة»^(١) وبذلك تمسك من قال من العلماء: بأن الشهيد يغسل إذا كان جنبًا.

(١) ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن الزبير، وابن عباس حديث عبد الله بن الزبير أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/٢٠٤-٢٠٥)، وعنه البيهقي في السنن الكبرى (٤/١٥) كتاب الجنائز باب الجنب يستشهد في المعركة. وابن حبان في صحيحه (١٥/٤٩٥-٤٩٦) (٢٥٠٧) كلهم من طريق ابن إسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله ﷺ يقول... فذكر القصة وفيه «إن صاحبكم حنظلة تغسله الملائكة فسلوا صاحبته...» وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي. قلت: وهذا مرسل صحابي، فإن عبد الله بن الزبير لم يشهد هذه القصة، ولكن مراسيل الصحابة حجة كما قرر ذلك أهل العلم، وسنده حسن فإن ابن إسحاق صدوق. حديث عبد الله بن عباس أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٣٩١) (١٢٠٩٤) وقال الهيثمي في المجمع (٣/٢٦) إسناده حسن وله طريق آخر عنده (١١/٣٩٥) (١٢١٠٨) وأخرجه البيهقي أيضًا (٤/١٥) كلاهما من طريق أبي شيبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: أبصر رسول الله ﷺ حنظلة بن الراهب وحمزة تغسلهما الملائكة. وقال البيهقي وأبو شيبة ضعيف قلت: أبو شيبة وهو إبراهيم بن عثمان العسبي ليس ضعيفًا فحسب وإنما هو متروك فقال فيه البخاري في تاريخه الكبير (١/٣١٠) سكتوا عنه. وقال أبو داود: ضعيف الحديث، وقال الترمذي: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك وقال أبو حاتم في الجرح والتعديل (١/١١٥) ضعيف الحديث، سكتوا عنه وتركوا حديثه وقال الحافظ في التقريب (١/٣٩) (٢٤١) متروك الحديث وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٢٤٦) وفي السنن الكبرى (٤/١٥) من طريق ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ قال «إن صاحبكم لتغسله...» قلت: وهذا مرسل، ووصله أبو نعيم في الحلية (١/٣٥٧) ترجمة حنظلة بن أبي عامر من طريق عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد أن حنظلة بن أبي عامر أخى بني عمرو بن عوف التقى هو وأبو سفيان... فذكر الحديث وفيه «إن صاحبكم - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة...» ووقع في المطبوع من الحلية «محمود بن لبيد عن حنظلة بن أبي عامر...» والصحيح ما أثبتناه قلت: ومحمود بن لبيد ولد في حياة النبي ﷺ وذكره ابن حبان في الصحابة، وقال: له صحبة مات سنة ثلاث وتسعين، وأكثر ما يروى سمعه من أصحاب رسول الله ﷺ، وقال الحافظ في التقريب (٢/٢٣٣): صحابي صغير، وجل روايته عن الصحابة. قلت: فحديثه من مراسيل الصحابة وهي حجة كما تقدم. وفي الباب مراسيل عن عروة والزهرري أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/١٠) (٣٤٨٦-٣٤٨٧)، وينظر تلخيص الحبير لابن حجر (٢/٢٣٩) (٧٦١) وله شاهد من حديث أنس بن مالك ذكره الشيخ الألباني في الصحيحة (١/٥٨١) (٣٢٦) وعزاه لابن عساكر.

وقتل على طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين، ثم حمل لواءهم عثمان ابن أبي طلحة، فحمل عليه حمزة، فقطع يده وكتفه، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة، فولى الكفار لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينهبون العسكر، ويأخذون ما فيه من الغنائم.

وفي البخاري: قال البراء: فقال أصحاب عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟! قالوا: والله لئنأين الناس فلنصيبن من الغنائم، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين^(١).

وفي حديث عائشة عند البخاري- أيضًا-: لما كان يوم أحد، هزم المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليس: عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت مع أخراهم^(٢). وعند أحمد والحاكم، من حديث ابن عباس: أنهم لما رجعوا، اختلطوا بالمشركين، والتبس العسكران، فلم يتميزا، فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض^(٣).

وفي رواية غيرهما: ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله، فكَرَّ بالخيـل، وتبعه عكرمة بن أبي جهل، فحملوا على من بقى من النفر الرماة، فقتلوهم وأميرهم عبد الله بن جبير.

وفي البخاري: أنهم لما اصطفوا للقتال، خرج سباع، فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فشد عليه فكان كأمس الذاهب، وكان وحشى كامئًا تحت الصخرة، فلما دنا منه رماه بحربه حتى خرجت من بين وركيه، فكان آخر العهد به^(٤) انتهى.

وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله ﷺ، وكان الذي قتله ابن قمئة، وهو

(١) تقدم تخريجه من حديث البراء.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٥) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) قصة قتل حمزة - رضي الله عنه - أخرجه البخاري في صحيحه (١١٤/٨-١١٥) كتاب المغازي (٦٤) باب قتل حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - (٤٠٧٢)، وأحمد في مسنده (٥٠١-٥٠٠/٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٤١/٣-٢٤٢)، كلهم من طريق حجين بن المثنى ثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة عن عبد الله بن الفضل عن =

يظنه أنه رسول الله ﷺ، فصاح ابن قمئة: إن محمداً قتل، ويقال: كان ذاك أرب العقبة^(١)، ويقال: بل إبليس لعنه الله، تصوّر في صورة جعال، وقال: أئ عباد الله، أخراكم! أئ: احترزوا من جهة أخراكم، فعطف المسلمون وقتل بعضهم بعضاً، وهم لا يشعرون، وانهزم طائفة منهم إلى جهة المدينة، وتفرق سائرهم، ووقع القتل فيهم.

وقال ابن عقبة: ولما فقد- عليه الصلاة والسلام- قال رجل منهم: إن رسول الله ﷺ قد قتل، فارجعوا إلى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم؛ فإنهم داخلو البيت، وقال رجل منهم: إن كان رسول الله ﷺ قتل، أفلا تقتلون على دينكم، وعلى ما كان عليه نبيكم، حتى تلقوا الله عز وجل شهداء، منهم أنس بن مالك بن النضر، شهد له بها عند رسول الله ﷺ سعد بن معاذ، قال في «عيون الأثر»: كذا وقع في هذا الخبر أنس بن مالك، وإنما هو أنس بن النضر عم أنس بن مالك بن النضر. انتهى.

وثبت رسول الله ﷺ حين انكشفوا عنه، وثبت معه من أصحابه أربعة عشر رجلاً من المهاجرين، فيهم أبو بكر الصديق وسبعة من الأنصار.

وفي البخاري: لم يبق معه- عليه الصلاة والسلام- إلا اثنا عشر رجلاً، فأصابوا منا سبعين. وكان- عليه الصلاة والسلام- وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة. سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أئ القوم محمد؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أئ القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أئ القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء، فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك فقال: يوم بيوم^(٢).

وتوجه ﷺ يلتمس أصحابه، فاستقبله المشركون، فرموا وجهه، فأدموه وكسروا رباعيته، والذي جرح وجهه عبد الله بن قمئة، وعتبة بن أبي وقاص أخو سعد هو

= سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري... فذكره وفيه قصة والقصة ذكرها أيضاً الطبري في تاريخه (٥١٦-٥١٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢٠/٤).

(١) ينظر: السيرة النبوية (١٨/٣).

(٢) تقدم تخريجه وهو جزء من حديث البراء بن عازب.

الذي كسر رباعيته؛ ومن ثم لم يولد له ولد من نسله فيبلغ الحنث، إلا وهو أبخر أو أهشم، أى: مكسور الثنايا من أصلها يعرف ذلك في عقبه.

وقال ابن هشام، في حديث أبي سعيد الخدري: إن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وإن عبد الله بن هشام الزهري شجه في جبهته، وإن ابن قمئة جرح وجنته، فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته، ووقع ﷺ في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكد بها للمسلمين.

وفي رواية: وهشموا البيضة على رأسه - أى: كسروا الخوذة - ورموه بالحجارة حتى سقط في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر، فأخذه على يده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً، ونشبت حلقتا المغفر في وجنته، وامتنص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته، ثم ازدرده، فقال - عليه الصلاة والسلام - من أصاب دمي دمه، لم تصبه النار^(١)؛ وسيأتى إن شاء الله تعالى حكم دمه، عليه السلام.

وفي الطبراني من حديث أبي أمامة قال: رمى عبد الله بن أبي قمئة رسول الله ﷺ يوم أحد، فشج وجهه وكسر رباعيته، فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ: أقماك الله - وهو يمسح الدم عن وجهه - فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة^(٢).

وروى ابن إسحاق، عن حميد الطويل، عن أنس قال: كسرت رباعيته ﷺ يوم أحد، وشج وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسحه ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟! فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ورواه أحمد والترمذي والنسائي من طريق حميد^(٣).

(١) ينظر: البداية والنهاية (٢٧/٤).

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع (١٢٠/٦) وقال: رواه الطبراني وفيه حفص بن عمر العبدري وهو ضعيف.

(٣) ذكره البخاري تعليقاً في صحيحه (١٢٢/٨) كتاب المغازي (٦٤) باب (٢٢) وأخرجه الترمذي (٢٢٦/٥) كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب «ومن سورة آل عمران» حديث رقم =

وعند ابن عائذ من طريق الأوزاعي: بلغنا أنه لما جرح ﷺ يوم أحد، أخذ شيئاً ينشف دمه وقال: لو وقع منه شيء على الأرض، لنزل عليهم العذاب من السماء، ثم قال: اللهم، اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون^(١).

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري قال: ضُربَ وجهُ النبي ﷺ يومئذ بالسيف سبعين ضربة، ووقاه الله شرّها كلها، قال في فتح الباري: وهذا مرسل قوي، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة. انتهى^(٢).

وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فيما قاله ابن هشام^(٣)، فخرجت أول النهار حتى انتهت إلى رسول الله ﷺ، قالت: فقامت بأبشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراحة، إلى أن أصابني ابن قمئة - أقماه الله! - لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ، أقبل يقول: دلوني على محمد، فلا نجوتُ إن نجا. قالت: فاعترضتُ له فضرِبني هذه الضربة، ولكن

= (٣٠٠٣، ٣٠٠٢) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٣٣٦/٢) كتاب الفتن (٣٦) باب (٢٣) حديث (٤٠٢٧)، وأحمد في مسنده (٩٩/٣، ١٧٨، ١٧٩، ٢٠١، ٢٠٦)، والنسائي في الكبرى (٣١٤/٦) كتاب التفسير باب (٦٧) حديث (١١٠٧٧)، وأبو يعلى في مسنده (٦/٣٩١) (٣٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (٥٣٦/١٤) (٦٥٧٤) والبغوي في شرح السنة (٧/٩٣-٩٤) (٣٦٤٢). والطبري في تاريخه (٥١٥/٢)، وفي تفسيره (٤٣١/٣) (٧٨٠٤، ٧٨٠٥، ٧٨٠٦، ٧٨٠٧) والواحدي في أسباب النزول ص (١٢٣) رقم (٢٤٢) كلهم من طرق عن حميد عن أنس قال... قلت: وحميد الطويل مدلس وقد عنعن. وقال أبو عبيدة عن شعبة: لم يسمع حميد من أنس إلا أربعة وعشرين حديثاً، والباقي سمعها من ثابت أو ثبته فيها ثابت ينظر تهذيب الكمال (٣٦٠/٧) (١٥٢٥) قلت: ولذا قال الحافظ العلائي في جامع التحصيل ص ١٦٨ ترجمة ١٤٤ فعلى تقدير أن يكون مراسيل قد تبين الواسطة فيها وهو ثقة محتج به وقد جاء الحديث من طريق ثابت عن أنس ذكره البخاري في صحيحه معلقاً (١١٢/٨) كتاب المغازي (٦٤) باب (٢٢) وأخرجه مسلم في صحيحه (٣٨٩/٦) كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب غزوة أحد (٣٧) (١٧٩١)، وأحمد (٢٥٣/٣) (٢٨٨، ٢٨٩)، وأبو يعلى (٥٥-٥٦) (٣٣٠١)، وابن حبان في صحيحه (٥٣٧/١٤) (٦٥٧٥)، وعبد ابن حميد ص ٣٦٢ (١٢٠٤)، وأبو عوانة (٣٠٩/٤)، والبيهقي في الدلائل (٢٦٢/٣)، والبغوي في شرح السنة (٩٤/٧)، والواحدي في أسباب النزول (٢٤٤/١٢٥) من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس به، وللحديث شواهد بدون ذكر الآية.

(١) ذكره الحافظ في الفتح (١٢٣/٨) وعزاه لابن عائذ عن الأوزاعي.

(٢) ينظر: الفتح (١٢٤/٨).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢٩/٣).

ضربته ضرباتٍ على ذلك، ولكن عدو الله عليه درعان، قالت أم سعد بن الربيع: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور (١).

وترسّ دون رسول الله ﷺ - فيما قاله ابن إسحاق - أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو ينحني عليه حتى كثر عليه النبل وهو لا يتحرك (٢).

ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ، قال سعد: فلقد رأيته يناولني النبل، ويقول: ارم سعد، فذاك أبي وأمي، حتى إنه يناولني السهم ما له نصل، فيقول: ارم به، فيعود منصلاً (٣).

وأصيب عین قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجته، فأتى بها إلى رسول الله ﷺ، فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردها إلى موضعها، وقال: اللهم، اكسه جماًلاً، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً. ورواه الدارقطني بنحوه (٤).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٠٣/٨) من طريق محمد بن عمر حدثنا يعقوب بن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: قالت أم عمارة ... فذكره قلت: ومحمد بن عمر - هو الواقدي - متروك. والخبر ذكره الذهبي في السير (٢/٢٧٩)، وابن حجر في الإصابة (٤٤٢/٨) ت (١٢١٨٢).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٣٠/٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣-١٠٤) كتاب المغازي باب ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ حديث (٤٠٥٧-٤٠٥٩)، ومسلم (٨/١٩٧-النوي) كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حديث (٢٤١١/٤١).

(٤) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١٢٠/٣) (١٥٤٩) وعنه ابن الأثير في أسد الغابة (٤/٣٧١)، من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني ثنا عبد الرحمن بن سليمان بن غسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه يعني عن قتادة بن النعمان أنه أصيب عينه يوم بدر، فسالت حدقته. قلت: ويحيى بن عبد الحميد، قال البخاري: كان أحمد وعلى يتكلمان في يحيى الحماني وقال في موضع آخر رماه أحمد بن حنبل وابن نمير. التاريخ الكبير (٨/٣٥٣٧)، والصغير (٢/٣٥٧) وعن ابن نمير في رواية أنه قال: ثقة. وعن ابن معين: صدوق ثقة. وقال النسائي في الضعفاء ت (٦٢٥) ضعيف، وقال ابن عدي: ليحيى الحماني مسند صالح، ولم أر في مسنده وأحاديثه أحاديث مناكير، وأرجو أنه لا بأس به. تهذيب الكمال (٣١/٤٣٣) ت (٦٨٦٨)، وقال الحافظ في التقريب (٢/٣٥٢) حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقه الحديث قلت: ووجدت متابعا ليحيى أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/٢٥١-٢٥٢) من طريق مالك بن إسماعيل قال: حدثنا ابن الغسيل به ومالك بن إسماعيل النهدي أبو غسان ثقة متقن صحيح الكتاب كما في التقريب (٢/٢٢٣) لكن ابن الغسيل واسمه عبد الرحمن بن سليمان أبو سليمان الداراني صدوق يخطئ (١/٤٨٢) ووقع هنا أن ذلك كان في غزوة =

ورمى أبو رهم الغفاري كلثوم بن الحصين بسهم، فوقع في نحره، فبصق عليه ﷺ فبرئ.

وانقطع سيف عبد الله بن جحش، فأعطاه ﷺ عرجوناً، فعاد في يده سيفاً فقاتل به، وكان ذلك السيف يُسمى العرجون^(١)، ولم يزل يتوارث حتى بيع من بَغَا التركي من أمراء المعتصم بالله في بغداد بمائتي دينار. وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر، إلا أن سيف عكاشة كان يسمى العَوْن.

واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم، ويقطعون الآذان والأنوف والفروج، ويقررون البطون، وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله ﷺ وأشرف أصحابه، وكان أول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك، قال: عرفت عينيه تزهرا من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، هذا رسول الله ﷺ، فلما عرفوه، نهضوا ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر وعمر وعلى ورهط

= بدر ولكن سياطي روايات أخرى تثبت أن ذلك وقع يوم أحد. قلت: أخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (١٢/٨/١٩) وعنه أبو نعيم في الدلائل (٤٨٤/٢) رقم (٤١٧) من حديث قتادة ابن النعمان قال: أهدى إلى رسول الله ﷺ قوس فدفعها يوم أحد. وقال الهيثمي في المجمع (١١٦/٦) فيه من لا أعرفه وأخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات (٣/٤٦٦)، والطبري في تاريخه (٥١٦/٢)، والبيهقي في الدلائل (٣/٢٥١)، وابن الأثير في أسد الغابة (٤/٣٧١) كلهم من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى... قلت: وهذا إسناد ضعيف لإرساله وعننة ابن إسحاق وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٣٧)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٨) من طريق مالك بن أنس عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة ابن النعمان قال أصيبت عينا ي يوم بدر... وقال أبو نعيم: غريب من حديث مالك تفرد به محمد بن أبي عثمان، وإنما يعرف من حديث ابن إسحاق وابن الغسيل عن عاصم ابن عمر بن قتادة عن أبيه وقال ابن إسحاق: يوم أحد اه. وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣/٢٥٣) من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة يحدث عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد به قلت: وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك كما في التقريب (١/٥٩) (ت٤١٥) وله شاهد آخر من حديث عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد عن جده. أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (٤/٣٧١) وفي سنده: عبد العزيز بن عمران قال الحافظ في التقريب (١/٥١١) (١٢٤٢) متروك وفي الباب حديث عن جابر بن عبد الله أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه... ذكره ابن كثير في البداية (٤/٣٨) ولم أقف عليه، والقصة ذكرها الحاكم أيضاً في مستدركه بدون إسناد (٣/٢٩٥). قلت: فالقصة بهذه الطرق التي أوردناها حسنة إن شاء الله لا سيما وأن الطريق الأول إسناده حسن.

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/٣٠٧-٣٠٨) وفي الدلائل (٣/٢٥٠).

من المسلمين، فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب، أدركه أبي بن خلف وهو يقول: أين محمد؟! لا نجوت إن نجا، فقالوا: يا رسول الله، يعطف عليه رجل منا؟! فقال ﷺ: دعوه، فلما دنا، تناول- عليه الصلاة والسلام- الحرية من الحارث بن الصِّمَّة، فلما أخذها- عليه الصلاة والسلام- انتفض بها انتفاضةً تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله- عليه الصلاة والسلام- فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه، ولم يخرج له دم، فكسر ضلعًا من أضلاعه، فلما رجع إلى قريش قال: قتلني محمد والله، قالوا: ليس عليك يا أبا علي من بأس، فقال: أليس كان قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله، لو بصق على لقتلني.

قلت: نعم قد كان أبي هذا يلاقي النبي ﷺ بمكة، فيقول له: إن معي فرسًا أعلفه كل يوم فرقًا من ذرة أقتلك عليه، فيقول- عليه الصلاة والسلام- له: بل أنا أقتلك عليه، فذلك قول أبي: أليس قد قال لي... إلى آخره. فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة. رواه البيهقي وأبو نعيم، ولم يذكر: فكسر ضلعًا من أضلاعه^(١).

قال الواقدي: وكان ابن عمر يقول: مات أبي بن خلف بيطن رابع؛ فإني لأسير بيطن رابع بعد هويٍّ من الليل إذ نار تأجج لي فهبتها، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجذبها يصيح: العطش! وإذا رجل يقول: لا تسقه؛ فإن هذا قتل رسول الله ﷺ؛ هذا أبي بن خلف. ورواه البيهقي^(٢).

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب، ملأ على بن أبي طالب درقته من المهراس- وهو صخرة منقورة تسع كثيرًا من الماء. فجاء به إلى رسول الله ﷺ، وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه^(٣)، وصلى النبي- عليه الصلاة والسلام- يومئذ الظهر قاعدًا من الجراح

(١) ينظر: الدلائل (٢٥٨-٢٥٩/٣)، وسبل الهدى والرشاد (٢٠٨/٤).

(٢) ينظر: المغازي للواقدي (٢٥٠/١) ودلائل النبوة (٢٥٩/٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٢/٨) كتاب المغازي (٦٤) باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد رقم (٤٠٧٤، ٤٠٧٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٦٢/٣) من طريق عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: اشتد غضب... وأخرجه أحمد (١/٢٨٨)، والحاكم (٢/٢٩٦-٢٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/٣٦٥) (١٠٧٣١) من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن =

التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعودًا.

قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يخلعن الآذان والأنوف، ويقرت عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها (١).

ولما أراد أبو سفيان الانصراف، أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال؛ إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر، اغلُ هبل، اغلُ هبل، وكان أبو سفيان حين أراد الخروج إلى أحد، كتب على سهم: «نعم»، وعلى الآخر: «لا»، وأجالهما عند هبل، فخرج سهم، «نعم»، فخرج إلى أحد، ولما قال: اعل هبل، أى: زد علواً، قال رسول الله ﷺ لعمر: «أجبه»، فقال: الله أعلى وأجل، لا سواء؛ قتلانا في الجنة، وقتلاك في النار، فقال: إن لنا غزى ولا غزى لكم، فقال- عليه الصلاة والسلام-: «قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم».

ولما انصرف أبو سفيان وأصحابه، نادى أبو سفيان بأعلى صوته: إن موعدكم بدر العام القابل، فقال:- عليه الصلاة والسلام- لرجل من أصحابه: قل له: نعم، هو بيننا وبينكم موعد (٢).

وذكر الطبراني: أنه لما انصرف المشركون، خرج النساء إلى الصحابة يعنّهم، فكانت فاطمة فيمن خرج، فلما لقيت النبي ﷺ، اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم، فلما رأت ذلك، أخذت شيئاً من حصير، فأحرقته بالنار، وكمدته به حتى لصق بالجرح، فاستمسك الدم، ثم أرسل- عليه الصلاة والسلام- محمد بن مسلمة- كما ذكره الواقدي- فنادى في القتلى: يا سعد بن الربيع- مرة بعد أخرى- فلم يجبه، حتى قال: إن رسول الله ﷺ أرسلني أنظر ما صنعت؟ فأجاب بصوتٍ

= عبد الله عن ابن عباس فذكره وفيه قصة طويلة وقال الهيثمي في المجمع (١١٤/٦) رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد وثق على ضعفه وقال ابن كثير في التفسير (٤١٢/١) هذا حديث غريب وسياق عجيب وهو من مراسلات ابن عباس فإنه لم يشهد أحدًا ولا أبوه... . ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها. اهـ. قلت: وله شاهد من حديث الزبير بن العوام، أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٣٦/١٥) (٦٩٧٩) وعزاه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢٢٠/٤) (٤٣١٦) لإسحاق بن راهويه. وصححه سننه البوصيري.

(١) ينظر السيرة النبوية (٤١/٣).

(٢) هذا جزء من حديث البراء بن عازب وقد تقدم تخريجه وينظر السيرة النبوية (٤٥/٣).

ضعيف، فوجدته جريحاً في القتلى وبه رمق، فقال سعد: أبلغ رسول الله ﷺ مني السلام وقل له: يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عنى السلام، وقل لهم: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف، ثم مات (١).

وقتل أبو جابر، فما عرف إلا بينانه، أى: أصابعه، وقيل: أطرافها، واحداها بنانة.

وخرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة، فوجده بطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثّل به، فجدع أنفه وأذناه، فظفر - عليه الصلاة والسلام - إلى شيء لم ينظر إلى شيء أوجع لقلبه منه، فقال: رحمة الله عليك، لقد كنت فعولاً للخير، وصولاً للرحم، أما والله، لأمثلن بسبعين منهم مكانك، قال: فنزلت عليه خواتيم سورة النحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا...﴾ إلى آخر الآية [النحل: ١٢٦] فصبر، وكفر

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٥٢٨/٢)، والحاكم في مستدركه (٢٠١/٣) وعنه البيهقي في الدلائل (٢٨٥/٣)، وذكره الذهبي في السير (٣١٨/١) وابن حجر في الإصابة (٤٩/٣) ت (٣١٦٠)، وابن كثير في البداية (٤٤/٤) كلهم من طريق محمد بن إسحاق أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني به وسكت عنه الحاكم، وقال الذهبي مرسل وقال الحافظ في الإصابة: وفي الصحيح من حديث أنس ما يشهد لبعضه. وله شاهد من حديث زيد بن ثابت: أخرجه الحاكم (٢٠١/٣) من طريق مخزومة بن بكير عن أبيه عن أبي حازم عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لطلب سعد بن الربيع ومخزومة بن بكير: قال النسائي: ليس به بأس، وضعفه يحيى بن معين وقال حديثه عن أبيه كتاب ولم يسمعه منه، وقال أحمد بن حنبل: هو ثقة ولم يسمع من أبيه شيئاً إنما يروى من كتاب أبيه. تهذيب الكمال (٣٢٤/٢٧) ت (٥٨٢٩) وقال الحافظ في التقريب (٢٣٤/٢) (٩٧٢) صدوق، وروايته عن أبيه وجادة من كتابه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وفيه نظر. فالحديث بإسناده السابق حسن فحسب. وله شاهد مرسل: أخرجه مالك (٢١/٢) الجهاد باب الترغيب في الجهاد، عن يحيى ابن سعيد، ومن طريق مالك أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣٩٦/٣) وابن الأثير في أسد الغابة (٤٣٢/٢ - ٤٣٣)، وهو في الاستيعاب (١٤٥/٤، ١٤٦) وقال ابن عبد البر: هكذا ذكر مالك هذا الخبر، ولم يسم الرجل الذي ذهب ليأتي بخبر سعد بن الربيع وهو أبي بن كعب... وقال: ولا أعرفه مسنداً وهو محفوظ عند أهل السير. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤٤/٤): كان الرجل الذي التمس سعداً في القتلى محمد بن سلمة فيما ذكره محمد بن عمر الواقدي... وقال الشيخ أبو عمر في الاستيعاب: كان الرجل الذي التمس سعداً أبي بن كعب. فالله أعلم.

عن يمينه، وأمسك عما أراد (١) .

وممن مثل به كما مثل بحمزة: عبد الله بن جحش ابن أخت حمزة، ولذا يعرف بالمجدّع في الله، وكان حين قتل ابن بضع وأربعين سنة، ودفن مع حمزة في قبر واحد .

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٥٢٩/٢) وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤٤/٤ ، ٤٥) من طريق ابن إسحاق قال: أخبرني بريدة بن سفيان به قلت: وهذا إسناد ضعيف، فإن بريدة بن سفيان: قال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي، ليس بالقوى في الحديث، وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث، وقال الدارقطني متروك، تهذيب الكمال (٥٥/٤ - ٥٦) (٦٦٢) وللحديث طرق أخرى عن ابن عباس: أخرجه الطبراني في الكبير (٦٢/١١) (١١٠٥١)، قال الهيثمي في المجمع (١٢٣/٦) وفيه أحمد بن أيوب بن راشد وهو ضعيف وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢٨٨/٣) وفيه يحيى بن عبد الحميد متهم بسرقة الحديث. وللحديث شاهد من حديث أبي بن كعب: أخرجه الترمذي (٢٩٩/٥) كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٧) رقم (٣١٢٩)، وقال: حديث حسن غريب، وأحمد (١٣٥/٥) والنسائي في الكبرى (٣٨٦/٦) كتاب التفسير سورة النحل (١١٢٧٩) وابن حبان في صحيحه (٢٣٩/٢) (٤٨٧)، والحاكم في مستدركه (٣٥٩/٢) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي والبيهقي في الدلائل (٢٨٩/٣) والطبراني في الكبير (١٥٧/٣) (٢٩٣٧) كلهم من طريق الربيع بن أنس حدثني أبو العالية عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد، أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً... وزاد نسبه في الدر المنثور (٢٥٥/٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. وأبو العالية هو ربيع بن مهران ثقة كما في التقريب (٢٥٢/١) (١٠٥)، والربيع بن أنس البكري، قال العجلي صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو حاتم صدوق تهذيب الكمال (٦١/٩) ت (١٨٥٣) وقال الحافظ في التقريب (٢٤٣/١) صدوق له أوهام. قلت: فمثل هذا حديثه حسن إن شاء الله لاسيما وللحديث شواهد تقويه تقدمت ومنها أيضاً حديث أبي هريرة أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٨٨/٣)، والواحد في الوسيط (٩١/٣) وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢/٦) للبخاري والطبراني وقال: وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف. ١. هـ ووقع تصحيف في المجمع "صالح بن بشير المزني" والصحيح ما أثبتناه قلت: وبعد ثبوت صحة حديث أبي بن كعب وما سقناه من الشواهد، يعلم أن قول ابن كثير في البداية والنهاية (٤٥/٤) هذه الآية مكية؛ أي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَءَفْجًا﴾ وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين فكيف يلتم ذلك - فيه نظر - فليتبته وقال القرطبي في تفسيره (٢٠١/١٠): أطبق جمهور أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة يوم أحد وقال الواحدي في الوسيط (٩١/٣): نزلت لما نظر النبي - صلى الله عليه وسلم إلى حمزة يوم أحد، وقد مثل به فقال والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي - صلى الله عليه وسلم - واقف بعد، بخواتيم سورة النحل فصبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمسك عما أراد، وهذا قول عامة المفسرين ١. هـ.

ولما أشرف - عليه الصلاة والسلام - على القتلى قال: أنا شهيد على هؤلاء، ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه، اللون لون الدم، والريح ريح المسك^(١).

وفي رواية عبد الله بن ثعلبة: قال - عليه الصلاة والسلام - لقتلى أحد: زملوهم بجراحهم^(٢).

وروى أبو بكر بن مردويه: أن رسول الله ﷺ قال: يا جابر، ألا أخبرك؟ ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحا فقال: سلني أعطك، قال: أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال الرب عز وجل: إنه سبق مني أنهم لا يرجعون إلى الدنيا، قال: أي رب، فأبلغ من ورائي، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ...﴾^(٣) الآية [آل عمران: ١٦٩].

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكّل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا؛ لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، قال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا...﴾ [آل عمران: ١٦٩] رواه أحمد^(٤).

(١) أخرجه أحمد (٤٣١/٥) والبيهقي في الدلائل (٢٩٠/٣) من طريق ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن ضَعَفَر، به. قلت: وهذا إسناد حسن وابن إسحاق صرح بالتحديث وعبد الله بن ثعلبة ويكنى أبا محمد وهو جليف بني زهرة صحابي جليل ولد قبل الهجرة بأربع سنوات. ينظر ترجمته في الإصابة ت (٤٥٩٤)، والاستيعاب ت (١٤٩٦) وأسد الغابة لابن الأثير ت (٢٨٤٩). والحديث عن أبي هريرة عند مسلم في الإمامة رقم (١٨٧٦/١٠٥).

(٢) ينظر السابق.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠١٠) وابن ماجه (١٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٦٠٢) والبيهقي في الدلائل (٢٩٨/٣ - ٢٩٩) من حديث جابر وقال الترمذي: حسن غريب وحسنه أيضا الألباني.

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٦/١) وأبو داود (٢٥٢٠) من طريق محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، به وأخرجه أحمد (٢٦٥/١) وعبد بن حميد (٦٧٩) من طريق محمد بن إسحاق عن إسماعيل عن أبي الزبير عن ابن عباس ليس فيه ذكر لسعيد بن جبير.

قال بعض من تكلم على هذا الحديث: قوله ثم: «تأوي إلى قناديل» مصداقه قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩] وإنما تأوي إلى تلك القناديل ليلاً، وتسرح نهاراً، وبعد دخول الجنة في الآخرة لا تأوي إلى تلك القناديل، وإنما ذلك في البرزخ.

وقال مجاهد: الشهداء يأكلون من ثمار الجنة. وقد ورد هذا القول؛ ويشهد له: ما وقع في مسند ابن أبي شيبة وغيره؛ أن رسول الله ﷺ قال: الشهداء بنهر - أو على نهر - يقال له: بارق، عند باب الجنة في قباب خضر، يأتيهم رزقهم منها بكرة وعشيا^(١).

قال الحافظ عماد الدين بن كثير: الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون متبهي سيرهم إلى هذا النهر، فيجتمعون هنالك، ويغذى عليهم برزقهم هناك ويراح. قال: وقد روي في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه بشرى لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة - أيضاً - وتسرح فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة. قال: وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه غير واحد من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتسعة؛ فإن الإمام أحمد رواه عن الشافعي، عن مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك، عن أبيه يرفعه: «نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»^(٢)، وقوله «تعلق» أي: تأكل؛ وفي هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة. وأما أرواح الشهداء ففي حواصل طير خضر، فهي كالراكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها؛ فنسأل الله الكريم المنان أن يميّتنا على الإيمان.

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦/١) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٠/٥) والطبراني (٤٠٥/١٠) رقم (١٠٨٢٥) والحاكم (٧٤/٢) وابن حبان (١٦١١ - موارد) من طريق محمد بن إسحاق حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري عن محمود بن لبيد عن ابن عباس وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي ومحمد بن إسحاق لم يحتج به مسلم وقال الهيثمي في المجمع (٢٩٨/٥): رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.

(٢) أخرجه مالك (٢٤٠/١) رقم (٤٩) وأحمد (٤٥٦/٣) والنسائي (١٠٨/٤) وابن ماجه (٤٢٧١) وابن حبان (٧٣٤) من حديث كعب بن مالك وهو حديث صحيح.

وقد استشهد يوم أحد من المسلمين سبعون؛ فيما قاله مغلطاي وغيره، وقيل: خمسة وستون أربعة من المهاجرين، وروى ابن منده من حديث أبي بن كعب قال: استشهد من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة، وصححه ابن حبان من هذا الوجه (١).

وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلاً، وقتل - عليه السلام - بيده أبي بن خلف، وحضرت الملائكة يومئذ، ففي حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم في صحيحه: أنه رأى عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض، قال: ما رأيتهما قبل ولا بعد - يعني جبريل وميكائيل - يقاتلان كأشد القتال (٢)، وفيه كما قدمناه في غزوة بدر أن قتال الملائكة معه ﷺ لا يختص يوم بدر؛ خلافاً لمن زعمه؛ كما نص عليه النووي في شرح مسلم (٣) كما قدمته، والله أعلم.

ولما بكى المسلمون على قتلاهم سُرَّ المنافقون وظهر فسق اليهود. تنبيه: ذكر القاضي عياض في الشفاء، عن القاضي أبي عبد الله بن المرابط من المالكية؛ أنه قال: من قال: «إن النبي ﷺ هزم» يستتاب، فإن تاب وإلا قتل لأنه تنقصه؛ إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته؛ إذ هو على بصيرة من أمره ويقين عصمته انتهى. وهذا موافق لمذهبنا، لكن قال العلامة البساطي من المالكية: هذا القائل إن كان يخالف في أصل المسألة - أعني: حكم التائب - فله وجه، وإن وافق على أن التائب لا تقبل توبته، فمشكل. انتهى (٤).

وقد كان في قصة أحد: وما أصيب به المسلمون من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة: منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، وشؤم ارتكاب المنهي؛ لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ ألا يبرحوا منه. ومنها عادة الرسل أن تبلى وتكون لهم العاقبة، والحكمة أن لو انتصروا دائماً،

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٥٤) ومسلم (٤٦، ٤٧، ٢٣٠٦) وأحمد (١٧١/١) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٣) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي (٧٣/٨ - ٧٤).

(٤) ينظر الشفاء (٩٤٣/١) نحوه.

لدخل في المسلمين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة، فافتضت الحكمة الجمع بين الأمرين؛ ليميز الصادق من الكاذب، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفياً عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة، وأظهر أهل النفاق ما أظهروا من الفعل والقول، عاد التلويح تصريحاً، وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم، واستعدوا لهم وتحرزوا منهم.

ومنها: أن في تأخير النصر في بعض المواطن هَضْماً للنفس وكسراً لشماختها، فلما ابتلى المسلمون، صَبَرُوا وجزع المنافقون.

ومنها: أن الله تعالى هياً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها.

ومنها: أنه أراد هلاك أعدائه، فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه، فمحص ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين.

وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد قول هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ ابن [عبد بن عمران] ^(١) بن مخزوم، قال ابن هشام: عائذ بن [عمران] ^(٢) بن مخزوم: [من البسيط]

مَا بَالُ هَمْ عَمِيدٍ بَاتَ يَطْرُقُنِي	بِالْوُدِّ مِنْ هِنْدَ إِذْ تَعْدُو عَوَادِيهَا
بَاتَتْ تُعَاتِبُنِي هِنْدَ وَتَعْدِلُنِي	وَالْحَزْبُ قَدْ شَغَلَتْ عَنِّي مَوَالِيهَا
مَهْلًا فَلَا تَعْدِلِينِي؛ إِنَّ مِنْ خُلُقِي	مَا قَدْ عَلِمْتُ، وَمَا إِنْ لَسْتُ أَخْفِيهَا
مُسَاعِفٌ لِنَبِي كَغِبٍ بِمَا كَلَفُوا	حَمَالُ عِبءٍ وَأَثْقَالٍ أَعَانِيهَا
وَقَدْ حَمَلْتُ سِلَاحِي فَوْقَ مُشْتَرَفٍ	سَاطِ سَبُوحٍ إِذَا يَجْرِي يُبَارِيهَا
كَأَنَّهُ إِذْ جَرَى عَيْرٌ بِفَقْدَةٍ	مُكَدَّمٌ لِأَحَقِّ بِالْعَوْنِ يَخْمِيهَا
مِنْ آلِ أَعْوَجَ يَزْتَاخُ اللَّيْثُ لَهُ	كَجَذَعِ شُغْرَاءَ مُسْتَغْلٍ مَرَايِيهَا
أَعْدَتْهُ وَرَقَاقَ الْحَدِّ مُنْتَخَلًا	وَمَارِنًا لِخُطُوبٍ قَدْ أَلَايِيهَا

(١) في ط: عبد الرحمن بن عمرو والمثبت من السيرة .

(٢) في ط: عمرو. والمثبت من السيرة وهو الصواب. وينظر نسب قريش لأبي مصعب (٣٩)،

هَذَا وَيَيْضَاءَ مِثْلَ النَّهْيِ مُحْكَمَةً
 سُقْنَا كِنَانَةً مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنٍ
 قَالَتْ كِنَانَةُ: أَلَيْ تَذْهَبُونَ بِنَا؟
 نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِّ مِنْ أَحَدٍ
 هَابُوا ضِرَابًا وَطَعْنَا صَادِقًا خَدِمًا
 ثُمَّتْ رُحْنًا كَأَنَّا عَارِضٌ بَرْدٌ
 كَأَنَّ هَامَهُمْ عِنْدَ الْوَعَى فُلَقٌ
 أَوْ حَنْظَلٌ زَعَزَعَتْهُ الرِّيحُ فِي غُصْنٍ
 قَدْ تَبَذَّلَ الْمَالُ سَحًا لَا حِسَابَ لَهُ
 وَلَيْلَةٌ يَضْطَلِّي بِالْفَرْثِ جَارِزَهَا
 وَلَيْلَةٌ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَّةٍ
 لَا يَنْبُحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ
 أَوْقَدْتُ فِيهَا لِذِي الضَّرَاءِ جَاحِمَةً
 أَوْرَثَنِي ذَاكُمُ عَمْرُو وَوَالِدُهُ
 كَانُوا يُبَارُونَ أَتَوَاءَ النُّجُومِ فَمَا

فأجابه حسان بن ثابت فقال: [من البسيط]

سُقْتُمْ كِنَانَةً جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ
 أَوْرَدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً
 جَمَعْتُمُوهُمْ أَحَابِيْشًا بِلَا حَسَبٍ
 أَلَا اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلَتْ
 كَمَ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلَا تَمَنٍ

قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك، قال: وبيت هيرة

ابن أبي وهب وهو: [من البسيط]

(١) في السيرة: نيطت عَلَى.

(٢) ينظر السيرة النبوية (٨٣/٣ - ٨٧) والبداية والنهاية (٦٠/٤ - ٦١).

(٣) ينظر السيرة النبوية (٨٧/٣ - ٨٨) والبداية والنهاية (٦١/٤) وسبل الهدى والرشاد (٤/

وَلَيْلَةٍ يَضْطَلِّي بِالْفَرْثِ جَارِهَا يَخْتَصِرُ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَائِعِيهَا
يروى لجنوب أخت عمرو ذي الكلب الهذلي في أبيات لها في غير يوم أحد (١).

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك، يجيب هبيرة بن أبي وهب: [من الطويل]

أَلَا هَلْ أَتَى غَسَّانَ عَنَّا وَدُونَهُمْ
صَحَارٍ وَأَعْلَامَ كَأَنَّ قَتَامَهَا
تَظَلُّ بِهِ الْبَزْلُ الْعَرَامِيْسُ رُزْحًا
بِهِ جَيْفُ الْحَسْرَى يَلُوحُ صَلِيْبُهَا
بِهِ الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِيْنَ خِلْفَةً
مَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلِّ فَخْمَةٍ
وَكُلِّ صَمُوتٍ فِي الصَّوَانِ كَأَنَّهَا
وَلَكِنْ يَبْدُرُ سَائِلُوا مَنْ لَقِيْتُمْ
وَلِنَّا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا
إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ
فَمَهْمَا يُهْمُ النَّاسَ مِنَّا يَكِيدُنَا
فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ أَلْ
تُجَالِدُ لَا تَبْغِي عَلَيْنَا قَبِيلَةً
وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعِزِّ قَالِ سَرَاتِنَا
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَشْبَعُ أَمْرُهُ
تَذَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَضَرْنَا
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَا لَنَا:
وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقْرُبَا
وَلَكِنْ خُذُوا مِيثَاقَكُمْ وَتَوَكَّلُوا
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ

مِنَ الْأَرْضِ خَزَقَ سَيْرُهُ مُتَّغِيْعٌ؟
مِنَ الْبُعْدِ نَفَعَ هَامِدٌ مُتَقَطِّعٌ
وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السَّيْنِ قَيْمِرُ
كَمَا لَاحَ كَتَانُ التَّجَارِ الْمَوْضِعُ
وَبِيضُ نَعَامٍ قَيْنُضُهُ يَتَفَلَّعُ
مُذْرَبَةٌ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْمَعُ
إِذَا لُبِسَتْ نَهَى مِنَ الْمَاءِ مُتَرَعٌ
مِنَ النَّاسِ، وَالْأَنْبَاءُ بِالْغَيْبِ تَنْفَعُ
سَوَانَا لَقَدْ أَجَلُوا بِلَيْلٍ فَأَقْشَعُوا
أَعْدَاؤَا لِمَا يُرْجَى ابْنُ حَزْبٍ وَيَجْمَعُ
فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
بَرِيَّةٌ قَدْ أَعْطَوْا يَدَا وَتَوَرَّعُوا
مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُهَانُوا وَيَفْطَعُوا
عَلَامٌ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ الْعِرْضَ نَزْرَعُ؟!
إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا نَنْظَلُّعُ
يُنْزَلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ وَيَرْفَعُ
إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ
ذَرُّوا عَنْكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
إِلَى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْهِ وَيَرْجِعُ
عَلَى اللَّهِ؛ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا نَتَّخِشُ

إِذَا ضَرَبُوا أَفْدَامَهَا لَا تَوَرُّعُ
 أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمَقْنَعُ
 ثَلَاثُ مِثْمِينَ إِنْ كَثُرْنَا فَازْبِعُ
 نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَايَا وَنُشْرِعُ
 وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَنْثَرِيُّ الْمَقْطُوعُ
 يُدْرُ عَلَيْهَا السَّمُ سَاعَةً تُصْنَعُ
 تَمْرٌ بِأَعْرَاضِ الْبِصَارِ تَقْعَقُعُ
 جَرَادٌ صَبَا فِي قَرَّةٍ يَتَرَبَّعُ
 وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّهَ اللَّهُ مَذْفَعُ
 كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُصْرَعُ
 كَأَنَّ ذَكَانَا حَرُّ نَارٍ تَلْقَعُ
 جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلِعُ
 أُسُودٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْبِشَةٌ ضُلْعُ
 فَعَلْنَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ
 وَقَدْ جَعَلُوا كُلَّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ
 عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الدَّمَارَ وَيَمْنَعُ
 عَلَى هَالِكٍ عَيْنَا لَنَا الدَّهْرُ تَدْمَعُ
 وَلَا نَحْنُ مِمَّا جَرَّتِ الْحَزْبُ نَجْرَعُ
 وَلَا نَحْنُ مِنْ أَظْفَارِهَا نَتَوَجَّعُ
 وَيَفْرُجُ عَنْهُ مَنْ يَلِيهِ وَيَسْفَعُ
 لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُتْبِعُ
 مِنَ النَّاسِ: مَنْ أَخْزَى مَقَامًا وَأَشْنَعُ؟
 وَمَنْ خَذَهُ يَوْمَ الْكَرْيَةِ أَضْرَعُ؟
 عَلَيْكُمْ، وَأَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ شُرْعُ

بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السَّتَوْرُ وَالْقَنَا
 فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ
 ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ (١)
 نَعَاوِرُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
 تَهَادَى قِسَى الثَّبَعِ فِينَا وَفِيهِمْ
 وَمَنْجُوفَةٌ حِزْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ
 تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةٌ
 وَخَيْلٌ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
 فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرِّحَا
 ضَرَبْنَاهُمْ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَائِهِمْ
 لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَفْقْنَا عَشِيَّةً
 وَرَاحُوا سِرَاعًا مُوجَّعِينَ كَأَنَّهُمْ
 وَرُخْنَا وَأَخْرَانَا بِطَاءٍ كَأَنَّا
 فَنِلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرَبَّمَا
 وَدَارَتْ رَحَانًا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ
 وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
 جِلَادٌ عَلَى رَبِيبِ الْحَوَادِثِ لَا نَرَى
 بَنُو الْحَزْبِ لَا نَغْيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ
 بَنُو الْحَزْبِ إِنْ نَظَفَرْ فَلَسْنَا بِفَحْشٍ
 وَكُنَّا شِهَابًا يَتَّقِي النَّاسُ حَرَّهُ
 فَخَرَّتْ عَلَى ابْنِ الزَّبْعَرَى وَقَدْ سَرَى
 فَسَلْ عَنْكَ فِي عَلِيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا
 وَمَنْ هُوَ لَمْ تَتْرُكْ لَهُ الْحَزْبُ مَفْخَرًا؟
 شَدَدْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَالنُّصْرِ شَدَّةً

(١) في ط: عصابة. والمثبت من السيرة، والبداية والنهاية. ونصية: خيار القوم.

فَكُرُّ الْقَنَا فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا عَمَدَنَا إِلَى أَهْلِ اللَّوَاءِ وَمَنْ يَطْرُقَ فَحَاثُوا وَقَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَحَاذَلُوا

عَزَالَى مَزَادِ مَاؤُهَا يَتَهَزَّعُ بِذِكْرِ اللَّوَاءِ فَهُوَ فِي الْحَمْدِ أَسْرَعُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَمْرُهُ وَهُوَ أَصْنَعُ^(١)

قال ابن هشام: وكان كعب قد قال: «مجالدنا عن جذمنا كل فخمة»^(٢)، فقال رسول الله ﷺ: «أصلح أن تقول: مجالدنا عن ديننا؟» فقال كعب: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «فهو أحسن» فقال كعب: «مجالدنا عن ديننا»^(٣).

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبيري في يوم أحد: [من الرمل]

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ إِنَّا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلَ

وَكِلَا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبْلُ وَسَوَاءٌ قَبْرُ مُثَرٍّ وَمُقِلْ

وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ فَقَرِيضُ الشَّعْرِ يَشْفِي ذَا الْغُلِّ

وَأَكْفُ قَدْ أُتِرْتُ وَرَجُلٌ عَنْ كُمَاةٍ أَهْلِكُوا فِي الْمُنْتَرَلِ

مَاجِدِ الْجَدَّيْنِ مِقْدَامَ بَطْلٍ غَيْرِ مُلْتَاثٍ لَدَى وَقَعِ الْأَسْلِ

بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلِ جَزَعُ الْخَزَرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلِ

وَاسْتَحَرَ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَسْلِ رَقَصَ الْحَقَانِ يَغْلُو فِي الْجَبَلِ

وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَذْرِ فَاغْتَدَلْ لَوْ كَرَزْنَا لَفَعَلْنَا الْمُفْتَعَلْ

وَالْعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَنَا^(٤) كُلُّ عَيْشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ

أَبْلَغًا حَسَانٌ عَنِّي آيَةٌ كَمْ تَرَى بِالْجَرِّ مِنْ جُمُجْمَةٍ

وَسَرَابِيلَ حَسَانٍ عَرِيثٍ كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ

صَادِقِ التَّجْدَةِ قَرَمٍ بَارِعٍ فَسَلِ الْمِهْرَاسَ مَا سَاكِنُهُ

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَذْرِ شَهْدُوا حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءٍ بَرْكَهَا

ثُمَّ خَفُّوا عِنْدَ ذَاكُم رُقْصًا فَقَتَلْنَا الضَّغَفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ

لَا أَلُومُ النَّفْسَ إِلَّا أَنَّنَا

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٨٨ - ٩٥) والبداية (٤/ ٦١ - ٦٣) وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٢٣٢)

(٢) جذمنا: أصلنا. والفخمة: الكتبية الضخمة.

(٣) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٩٥ - ٩٦) وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٢٣٣).

(٤) في البداية والنهاية: بينهم.

بَسُيُوفِ الْهِنْدِ تَغْلُو هَامَهُمْ
فَأَجَابَهُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ: [من الرمل]
ذَهَبَتْ يَابْنَ الزُّبَيْرِ وَقَعَةٌ
وَلَقَدْ نِلْتُمْ وَنَلْنَا مِنْكُمْ
نَضَعُ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ
نُخْرِجُ الْأَضْبَحَ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ
إِذْ تَوَلُّونَ عَلَى أَغْقَابِكُمْ
إِذْ شَدَدْنَا شِدَّةً صَادِقَةً
بِخَنَاطِيلٍ كَأَشْدَافٍ^(٢) الْمَلَا
ضَاقَ عَنَّا الشُّعْبُ إِذْ نَجَزَعُهُ
بِرِجَالٍ لَسْتُمْ أَمْثَالَهُمْ
وَعَلَوْنَا يَوْمَ بَذْرِ بِالثَّقَى
وَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمْ
وَتَرَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً
وَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا شَاهِدٌ
فِي قُرَيْشٍ مِنْ جُمُوعٍ جَمَعُوا
نَحْنُ لَا أَمْثَالَكُمْ وَلَدَ اسْتِهَا

عَلَّا تَغْلُوهُمْ بَعْدَ نَهْلٍ^(١)
كَانَ مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلْ
وَكَذَلِكَ الْحَزْبُ أَحْيَانًا دُونَ
حَيْثُ نَهَوَى عَلَّا بَعْدَ نَهْلٍ
كَسَلَحِ النِّيبِ يَأْكُلْنَ الْعَصْلُ
هَرَبًا فِي الشُّعْبِ أَشْبَاهَ الرُّسُلِ
فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ
مَنْ يُلَاقُوهُ مِنَ النَّاسِ يُهْلُ
وَمَلَانَا الْفُرْطَ مِنْهُ وَالرَّجُلُ
أَيَّدُوا جَنْبِرِلَ نَضْرًا فَنَزَلَ
طَاعَةَ اللَّهِ وَتَضَدِّقَ الرُّسُلِ
وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ رَفَلَ
يَوْمَ بَذْرِ وَأَحَادِيثَ الْمَثَلِ
يَوْمَ بَذْرِ وَالتَّنَابِيلُ الْهُبْلُ
مِثْلُ مَا يُجْمَعُ فِي الْخِضْبِ الْهَمْلُ
نَحْضُرُ الْبَاسَ إِذَا الْبَاسُ نَزَلَ^(٣)

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصاري: «وأحاديث المثل»، والبيت الذي قبله. وقوله: «في قريش من جموع جمعوا» عن غير ابن إسحاق^(٤).
قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يبيكي حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد

- (١) ينظر: السيرة النبوية (٩٦/٣، ٩٧)، والبدية والنهاية (٦٣/٤ - ٦٤).
(٢) في ط، والبدية: أشداق. والمثبت كما في السيرة. ويروى: كأمذاق. والخناطيل: الجماعات. والأمذاق: أخلاط الناس. والأشداق: الفرس العظيم. والملا: ما اتسع من الأرض.
(٣) ينظر السيرة النبوية (٩٨/٣ - ١٠٠) والبدية والنهاية (٦٤/٤ - ٩٥) وسبل الهدى والرشاد (٢٣٤/٤ - ٢٣٥).
(٤) ينظر السيرة النبوية (١٠٠/٣).

من المسلمين: [من المتقارب]

وَكُنْتَ مَتَى تَذَكِّرُ تَلَجَّجِ
أَحَادِيثُ فِي الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
مِنَ الشُّوقِ وَالْحُزَنِ الْمُتَضَجِّ
كَرَامُ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ
لِوَاءِ الرُّسُولِ بِذِي الْأَضْوَجِ
جَمِيعًا بَنُو الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ
عَلَى الْحَقِّ ذِي الثُّورِ وَالْمُنْهَجِ
وَيَمْضُونَ فِي الْقَسْطِ الْمُزْهَجِ
إِلَى جَنَّةِ دَوْحَةِ الْمَوْلَجِ
عَلَى مِلَّةِ اللَّهِ لَمْ يَخْرَجِ
بِذِي هَبَّةٍ صَارِمٍ سَلَجَجِ
يُبْرِزُ كَالْجَمَلِ الْأَذْعَجِ
تَلَهَّبُ فِي اللَّهَبِ الْمُوهَجِ
وَحَنَظَلَةُ الْخَيْرِ لَمْ يُخْنَجِ
إِلَى مَنْزِلِ فَأَخِرِ الزُّبْرَجِ
مِنَ النَّارِ فِي الدَّرَكِ الْمُزْتَجِ^(١)

نَشَجَتْ وَهَلْ لَكَ مِنْ مَنَشَجِ
تَذَكَّرَ قَوْمَ أَتَانِي لَهُمْ
فَقَلْبُكَ مِنْ ذِكْرِهِمْ خَافِقُ
وَقَتْلَاهُمْ فِي جَنَانِ النُّعِيمِ
بِمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللُّوَاءِ
غَدَاةَ أَجَابَتْ بِأَسْيَافِهَا
وَأَشْيَاعَ أَحْمَدَ إِذْ شَايَعُوا
فَمَا بَرَحُوا يَضْرِبُونَ الْكُمَاةَ
كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُمْ مَلِيكَ
فَكُلُّهُمْ مَاتَ حُرَّ الْبَلَاءِ
كَحَمَزَةٍ لَمَّا وَفَى صَادِقًا
فَلَأَقَاهُ عَبْدُ بَنِي نُوْفَلٍ
فَأَوْجَرَهُ حَزْبَةً كَالشُّهَابِ
وَتُعَمَّانُ أَوْفَى بِمِيثَاقِهِ
عَنِ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوْحُهُ
أَوْلَشَكَ لَا مَنْ ثَوَى مِنْكُمْ

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهري: [من المتقارب]

وَيَبْكِي مِنَ الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ!
تَرْوَحُ فِي صَادِرٍ مُخْنَجِ
يُعْجِعُ قَسْرًا وَلَمْ يُخْدَجِ
وَلِلْنِيِّ مِنْ لَخِيمِهِ يَنْضَجِ
مِنَ الْخَيْلِ ذِي قَسْطٍ مُزْهَجِ
وَعُثْبَةً فِي جَمْعِنَا السُّوْرَجِ
بِقَتْلَى أَصِيبَتْ مِنَ الْخَزْرَجِ

أَيَجْزَعُ كَغَبٍ لِأَشْيَاعِهِ
عَجِيجُ الْمُذَكِّي رَأَى إِلْفَهُ
فَرَّاحَ الرُّوَايَا وَغَادَرْنَهُ
فَقُولًا لِكَغِبٍ: يُثْنُ الْبُكََا
لِمَضْرَعِ إِخْوَانِهِ فِي مَكْرٍ
فَيَا لَيْتَ عَمْرًا وَأَشْيَاعَهُ
فَيَشْفُوا النُّفُوسَ بِأَوْتَارِهَا

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٠٠ - ١٠٢) والبداية والنهاية (٤/ ٦٥ - ٦٦).

وَقَتْلَى مِنَ الْأَوْسِ فِي مَغْرِكٍ
وَمَقْتَلِ حَمْزَةٍ تَحْتَ اللَّوَاءِ
وَحَيْثُ انْتَنَى مُضَعَبٌ ثَاوِيَا
بِأَخِيذٍ، وَأَسْيَافُنَا فِيهِمْ
عَدَاةٌ لِقَيْنَاكُم فِي الْحَدِيدِ
بِكُلِّ مُجْلَحَةٍ كَالْعُقَابِ
فَدُسَّاهُمْ ثُمَّ حَتَّى انْتَنَوْا
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُ هَذَا لَضَرَارٍ، وَقَوْلُ كَعْبٍ: «ذِي
النُّورِ وَالْمَنْهَجِ» عَنْ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي يَوْمٍ أَحَدٍ: [مِنْ الطَّوِيلِ]
وَقَدْ بَانَ مِنْ خَبْلِ الشَّبَابِ قُطُوعُ؟!
نَوَى الْحَيَّ دَارَ بِالْحَبِيبِ فَجُوعُ
وَإِنْ طَالَ تَذَرَأُفُ الدُّمُوعِ رُجُوعُ
أَحَادِيثُ قَوْمِي، وَالْحَدِيثُ يَشِيعُ
عَنَاجِيحَ مِنْهَا مُثَلَّدٌ وَتَزْيِيعُ
ضُرُورُ الْأَعَادِي لِلصَّدِيقِ نَفُوعُ
عَدِيرٌ بِضُجُجِ الْوَادِيَيْنِ نَقِيعُ
وَعَايِنَهُمْ أَمْرٌ هُنَاكَ فَظِيعُ
بِهِمْ وَصُبُورُ الْقَوْمِ ثُمَّ جَزُوعُ
حَرِيقُ تَرْقَى فِي الْأَبَاءِ سَرِيعُ
وَمِنْهَا سِمَامٌ لِلْعَدُوِّ ذَرِيعُ
ضِبَاعٌ وَطَيْرٌ يَغْتَفِينِ وَقُوعُ
بِأَبْدَانِهِمْ مِنْ وَقْعِهِنَّ نَجِيعُ
وَلَكِنْ عَلَا، وَالسَّمْهَرِيُّ شَرُوعُ
وَفِي صَدْرِهِ مَاضِي الشَّبَاةِ وَقِيعُ

وَتُعْمَانُ قَدْ غَادَرْنَ تَحْتَ لَوَائِهِ عَلَى لَحْمِهِ طَيْرٌ يَحْفَنُ وَفُوعٌ
بِأَخِيهِ وَأَزْمَاحُ الْكُمَاةِ يَرُدُّنَهُمْ كَمَا غَالِ أَشْطَانُ الدَّلَاءِ نَزُوعٌ^(١)

فأجابه حسان بن ثابت فقال: [من الطويل]

أَشَاقَكَ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ رُبُوعٌ بَلَاقِعُ مَا مِنْ أَهْلِيهِنَّ جَمِيعُ؟
عَفَاهُنَّ صَنِيفِي الرِّيَّاحِ وَوَائِفُ مِنَ الدَّلُورِ رَجَافُ السَّحَابِ هُمُوعُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَوْقِدُ النَّارِ حَوْلَهُ رَوَاكِدُ أَمْثَالِ الْحَمَامِ كَنُوعُ
فَدَعِ ذِكْرَ دَارٍ بَدَدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا نَوَى لِمَتَيْنَاتِ الْحَبَالِ قَطُوعُ
وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمٌ بِأَخِيهِ يَعْدُهُ سَفِيهَةٌ فَإِنَّ الْحَقَّ سَوْفَ يَشِيعُ
فَقَدْ صَابَرْتَ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلُّهُمْ وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعُ
وَحَامِي بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَصَابِرُوا وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي اللَّقَاءِ جَزُوعُ
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَخْذُلُونَهُ لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعُ
وَقَوُوا إِذْ كَفَرْتُمْ - يَا سَخِينِ - بِرَبِّكُمْ وَلَا يَسْتَوِي عَبْدٌ وَفَى وَمُضِيعُ
بِأَيْدِيهِمْ بَيْضٌ إِذَا حَمَشَ الْوَعَى فَلَا بُدَّ أَنْ يَزْدَى لَهُنَّ صَرِيعُ
كَمَا غَادَرْتَ فِي النَّقْعِ عُتْبَةَ ثَاوِيَا وَسَعْدَا صَرِيعَا، وَالْوَشِيجُ شُرُوعُ
وَقَدْ غَادَرْتَ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ مُسْنَدَا أُبَيَّا وَقَدْ بَلَ الْقَمِيصِ نَجِيعُ
بَكَفَ رَسُولِ اللَّهِ حَيْثُ تَنْصَبَتْ عَلَى الْقَوْمِ مِمَّا قَدْ يُثْزَنُ نَفُوعُ
أُولَئِكَ قَوْمٌ سَادَةٌ مِنْ قُرُوعِكُمْ وَفِي كُلِّ قَوْمٍ سَادَةٌ وَفُرُوعُ
بِهِنَّ نُعِزُّ اللَّهَ حَتَّى يُعِزَّنَا وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ - يَا سَخِينِ - فَطِيعُ
فَلَا تَذْكُرُوا قَتْلِي وَحَمَزَةَ فِيهِمْ قَتِيلٌ ثَوَى لِلَّهِ وَهُوَ مُطِيعُ
فَإِنْ جَنَّانَ الْخُلْدِ مَنَزَلَةٌ لَهُ وَأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيعُ
وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ حَمِيمٌ مَعَا فِي جَوْفِهَا وَضَرِيعُ^(٢)

قال ابن إسحاق: وقال عمرو بن العاص في يوم أحد: [من الطويل]

خَرَجْنَا مِنَ الْفِيْفَا عَلَيْهِمْ كَأَنَّا مَعَ الصُّبْحِ مِنْ رَضْوَى الْحَبِيكَ الْمَنْطِقُ
تَمَنَّتْ بَنُو النَّجَّارِ جَهْلًا لِقَاءَنَا لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ، وَالْأَمَانِيُّ تَصْدُقُ

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٠٤ - ١٠٧).

(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٠٧ - ١١٠).

فَمَا رَاعَهُمْ بِالشَّرِّ إِلَّا فُجَاءَةً كَرَادِيْسُ خَيْلٍ فِي الْأَرْقَةِ تَمْرُقُ
أَرَادُوا لِكَيْمَا يَسْتَبِيحُوا قِبَابَنَا وَدُونَ الْقِيَابِ الْيَوْمَ ضَرْبَ مُحْرَقُ
وَكَانَتْ قِيَابًا أَوْمَتْ قَبْلَ مَا تَرَى إِذَا رَامَهَا قَوْمٌ أُبِيحُوا وَأُخْنِقُوا
كَانَ رَعُوسُ الْخَزْرَجِيِّينَ غُدُوَّةً وَأَيْمَانُهُمْ بِالْمَشْرِفِيَّةِ بَزَوْقُ^(١)

فأجابه كعب بن مالك فيما ذكر ابن هشام فقال: [من الطويل]

أَلَا أُبَلِّغُا فَهْرًا عَلَى نَأْيِ دَارِهَا وَعِنْدَهُمْ مِنْ عِلْمِنَا الْيَوْمَ مَصْدُقُ
بِأَنَّا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ بَطْنٍ يَثْرِبُ صَبَرْنَا، وَرَايَاتِ الْمَنِيَّةِ تَخْفِقُ
صَبَرْنَا لَهُمْ وَالصَّبْرُ مِثْلًا سَجِيَّةً إِذَا طَارَتِ الْأَبْرَامُ نَسْمُو وَتَرْتُقُ
عَلَى عَادَةٍ تِلْكَمُ جَرَيْنَا بِصَبْرِنَا وَقَدَمَا لَدَى الْعَايَاتِ نَجْرِي فَتَسْبِقُ
لَنَا حَوْمَةً لَا تُسْتَطَاعُ يَقُودُهَا نَبِيٌّ أَتَى بِالْحَقِّ عَفْ مُصْدَقُ
أَلَا هَلْ أَتَى أَقْنَاءَ فَهْرِ بْنِ مَالِكٍ مُقَطَّعُ أَطْرَافٍ وَهَامٌ مُفْلَقُ؟^(٢)

وقال عمرو بن العاص: [من مجزوء الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَنْدُ زَوَّ شَرَّهَا بِالرُّضْفِ نَزَوَا
وَتَنَازَلْتُ^(٣) شَهْبَاءَ تَلْدُ حَوَّ النَّاسِ بِالضَّرَاءِ لِحَوَا
أَيَقْنَتُ أَنَّ الْمَوْتَ حَقُّ قَى، وَالْحَيَاءُ تَكُونُ لَغَوَا
حَمَلْتُ أَثْوَابِي عَلَى عَتَدٍ يَبْذُ الْخَيْلَ رَهَوَا
رَبِذٍ كَيَغْفُورِ الصَّرِيبِ حَمَّةَ رَاعَهُ الرَّامُونَ دَحَوَا
شَنِجَ نَسَاهُ ضَابِطُ لِلْحَيْلِ إِزْخَاءَ وَعَدَوَا
فَفِدَى لَهُمْ أُمِّي عَدَا هَ الرُّوعِ إِذْ يَمْشُونَ قَطَوَا
سَيْرًا إِلَى كَبْشِ الْكَتَبِ بَيَّةَ إِذْ جَلَّتْهُ الشَّمْسُ جَلَّوَا^(٤)

قال ابن إسحاق: فأجابه كعب بن مالك فقال: [من البسيط]

أُبَلِّغُ قُرَيْشًا وَخَيْرَ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَالصَّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَقْبُولُ
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتِكُمْ أَهْلَ اللَّوَاءِ فَفِيمَا يَكْثُرُ الْقَيْلُ

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١١٠ - ١١١).

(٢) ينظر المصدر السابق (٣/ ١١١ - ١١٢).

(٣) في السيرة: وتناولت.

(٤) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١١٦، ١١٧).

وَيَوْمَ بَدَرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ
 إِن تَقْتُلُونَا فِدِينُ الْحَقِّ فِطَرْتَنَا
 وَإِنْ تَرَوْا أَمْرَنَا فِي رَأْيِكُمْ سَفَهَا
 فَلَا تَمْنُوا لِقَاحَ الْحَرْبِ وَاقْتَعِدُوا
 إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تُرَاحُ لَهُ
 إِنَّا بَنُو الْحَرْبِ نَعْمَرُهَا وَنَتَّجُهَا
 إِنْ يَنْجُ مِنْهَا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَ مَا بَلَغَتْ
 فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ جِلْمًا وَمَوْعِظَةً
 وَلَوْ هَبَطْتُمْ بِبَطْنِ السَّيْلِ كَافَحَكُمْ
 تَلْقَاكُمْ غَضَبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَهُمْ
 مِنْ جِذْمِ غَسَّانٍ مُسْتَرْخٍ حَمَائِلُهُمْ
 يَمْشُونَ تَحْتَ عِمَائَاتِ الْقِتَالِ كَمَا
 أَوْ مِثْلُ مَشْيِ أَسُودِ الطَّلِّ أَلْفَقَهَا
 فِي كُلِّ سَابِغَةٍ كَالنَّهْيِ مُحْكَمَةٍ
 تَرُدُّ حَدَّ قِرَانِ النَّبْلِ خَاسِئَةً
 وَلَوْ قَذَفْتُمْ بِسَلْعٍ عَنْ ظُهُورِكُمْ
 مَا زَالَ فِي الْقَوْمِ وَثَرٌ مِنْكُمْ أَبَدًا
 عَبْدٌ وَحُرٌّ كَرِيمٌ مُوْتَقٌ قَنَصًا
 كُنَّا نُوْمِلُ أَخْرَاكُم فَاَعَجَلَكُم
 إِذَا جَنَى فِيهِمُ الْجَانِي فَقَدْ عَلِمُوا
 مَا يَجْنِي لَا يَجْنِي (١) مِنْ إِثْمٍ مُجَاهَرَةٍ

وَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ يَذْكُرُ عِدَّةَ أَصْحَابِ اللِّوَاءِ يَوْمَ أَحَدَ [مِنْ الْخَفِيفِ]:

مَنْعَ النَّوْمِ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ وَخَيْالٌ إِذَا تَغَوَّرَ النُّجُومُ
 مِنْ حَيْبٍ أَصَابَ (٢) قَلْبَكَ مِنْهُ سَقَمٌ فَهُوَ دَاخِلٌ مَكْتُومُ

(١) في ط: ما نحن لا نحن والمثبت كما في السيرة.

(٢) ينظر السيرة النبوية (١١٧/٣ - ١٢١).

(٣) في السيرة: أضاف.

وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَثُومٌ؟
رِعْلَيْنِهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ
هَآ لَجِينٌ وَلَوْلُؤُ مَنْظُومُ
عَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ
لَآنَ [عِنْدَ الثُّغْمَانِ حِينَ يَقُومُ
يَوْمَ ثُغْمَانَ فِي الْكُبُولِ سَقِيمٌ]^(١)
يَوْمَ رَاحَا وَكَبَلُهُ مَخْطُومُ
كُلُّ كَفٍّ جُزْءٌ لَهَا مَقْسُومُ
كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيمُ
صِلْ يَوْمَ التَّقَتِّ عَلَيْهِ الْخُصُومُ
خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومُ
لِ، وَجَهْلٍ غَطَى عَلَيْهِ النَّعِيمُ!
مَ لَدَهْرٌ هُوَ الْعَتُوُ الزَّئِيمُ
إِنَّ سَبِيَّ مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ
أَمْ لِحَايِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَثِيمُ
أُسْرَةٌ مِنْ بَنِي قُصَيٍّ صَمِيمُ
فِي رِعَاعٍ مِنَ الْقَنَاءِ مَخْزُومُ
فِي مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومُ
أَنْ يُقِيمُوا إِنَّ الْكَرِيمَ كَرِيمُ
وَالْقَنَاءُ فِي نُحُورِهِمْ مَخْطُومُ
أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْخُلُومُ
إِنَّمَا يَحْمِلُ اللِّوَاءُ الثُّجُومُ^(٢)

يَا لَقَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي
لَوْ يَدِبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الدَّرْ
شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَعْلُو
لَمْ تَقْتُلْهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ
إِنَّ خَالِي خَطِيبُ جَابِيَةِ الْجَوِ
وَأَنَا الصَّفْرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَلَمَى
فَأَبَى وَوَاقِدٌ أَطْلَقَا لِي
وَرَهْنَتَ الْيَدَيْنِ عَنْهُمْ جَمِيعًا
وَسَطْتُ نِسْبَتِي الذَّوَاتِبَ مِنْهُمْ
وَأَبِي فِي سُمَيْحَةِ الْقَائِلِ الْفَا
تِلْكَ أَفْعَالُنَا وَفَعْلُ الزَّبْعَرَى
رُبَّ جِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا
إِنَّ دَهْرًا يَبُورُ فِيهِ ذَوُو الْعِلْدِ
لَا تَسُبُّنِي فَلَسْتُ بِسَبِي
مَا أَبَالِي أَتَبَّ بِالْحَزَنِ تَيْسُ
وَلِي النَّأْسُ مِنْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ
تَسْعَةً تَحْمِلُ اللِّوَاءَ وَطَارَتْ
وَأَقَامُوا حَتَّى أُبِيحُوا جَمِيعًا
بِدَمِ عَائِنِكَ وَكَانَ حِفَظًا
وَأَقَامُوا حَتَّى أُزِيرُوا شُعُوبًا
وَقُرَيْشٌ تَفَرُّ مِنَّا لِوَآذَا
لَمْ تَطِقْ حَمْلَهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ

قال ابن هشام: وأنشدني أبو عبيدة للحجاج بن علاط السلمي يمدح علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ويذكر قتله طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار صاحب لواء المشركين يوم أحد: [من الكامل]

(١) المثبت من السيرة .

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٣/ ١٢١ - ١٢٥).

لله أَيُّ مُدْبِبٍ عَنْ حُرْمَةٍ أَغْنِي ابْنَ فَاطِمَةَ الْمُعِمَّ الْمُخُولَا
سَبَقَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ تَرَكْتَ طَلِيحَةَ لِلْجَبِينِ مُجَدَّلَا
وَشَدَدَتْ شِدَّةً بِأَسِلٍ فَهَزَمْتَهُمْ (١) بِالْجَرِّ إِذْ يَهُوُونَ أَخُولَ أَخُولَا (٢)

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة بن عبد المطلب، ومن أصيب من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد [من مجزوء الكامل]:

يَا مَيِّ قَوْمِي قَائِدِينَ نَّ بِسُخْرَةٍ شَجَوَ النَّوَائِخِ
كَالْحَامِلَاتِ الْوَقْرَ بِالنَّ ثِقُلِ الْمُلْحَاتِ الدَّوَالِخِ
الْمُغُولَاتِ الْخَامِشَا بَ وَجُوهَ حُرَاتِ صَحَائِخِ
وَكَأَنَّ سَيْلَ دُمُوعِهَا الـ أَنْصَابَ تُخَضَّبُ بِالذَّبَائِخِ
يَنْقُضْنَ أَشْعَارَا لَهُنَّ نَ هُنَاكَ بِإِدِيَةِ الْمَسَائِخِ
وَكَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْدٍ لِي بِالضُّحَى شُمْسِ رَوَائِخِ
مِنْ بَيْنِ مَشْرُورٍ وَمَجْدٍ زُورٍ يُدْعَدُّعُ بِالْبَوَارِخِ
يَنْكِيْنَ شَجَوَ مُسَلِّبَا بَ كَدَحْتَهُنَّ الْكَوَادِخِ
وَلَقَدْ أَصَابَ قُلُوبَهَا مَجَلَّ لَهُ جُلْبُ قَوَارِخِ
إِذْ أَقْصَدَ الْجِدَثَانُ مَنْ كُنَّا نُرْجِي إِذْ نَشَائِخِ (٣)
أَصْحَابَ أَخِي غَالَهُمْ دَهْرُ أَلَمَ لَهُ جَوَارِخِ
مَنْ كَانَ فَارِسًا وَحَا مِينَا إِذَا بُعِثَ الْمَسَالِخِ
يَا حَمَزَ، لَا وَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا صُرَّ اللَّقَائِخِ
لِمُنَاخِ أَيْتَامٍ وَأَضْ يَافٍ وَأَزْمَلَةٍ تُلَامِخِ
وَلَمَّا يَنْوُبُ الدَّهْرُ فِي حَرْبٍ لِحَرْبٍ وَهَى لَاقِخِ
يَا فَارِسَا يَا مِذْرَهَا يَا حَمَزَ قَدْ كُنْتَ الْمُصَامِخِ
عَنَّا شَدِيدَاتِ الْخُطُوبِ بَ إِذَا يَنْوُبُ لَهُنَّ قَادِخِ
ذَكَّرْتَنِي أَسَدَ الرَّسُوبِ لِي وَذَاكَ مِذْرَهَنَا الْمُتَافِخِ
عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذْ عُدَّ الشَّرِيفُونَ الْجَحَاجِخِ

(١) في السيرة: فكشفتهم.

(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/١٢٥).

(٣) نشايخ: نحلر.

يَعْلُو الْقَمَاقِمَ جَهْرَةً
لَا طَائِشَ رَعِشَ وَلَا
بَحْرَ فَلَيْسَ يُغِبُّ جَا
أَوْدَى شَبَابٍ أُولِي الْحَقَا
الْمُطْعِمُونَ إِذَا الْمَشَا
لَحْمَ الْجِلَادِ وَفَوْقَهُ
لِيَدْفَعُوا عَنْ جَارِهِمْ
لَهْفِي لَشَبَابٍ رَزَقَ
شُمَّ بَطَارِقَةٍ غَطَا
الْمُشْتَرُونَ الْحَمْدَ بِأَلْ
وَالْجَامِزُونَ بِلَحْمِهِمْ
مَنْ كَانَ يُزْمَى بِالثُّوَا
مَا إِنْ تَزَالَ رِكَابُهُ
رَاحَتْ تَبَارَى وَهُوَ فِي
حَتَّى تَثُوبَ لَهُ الْمَعَا
يَاحْمَزَ، قَدْ أَوْحَدْتَنِي
أَشْكُو إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ الذِّ
مِنْ جُنْدِلٍ يُلْقِيهِ قَوْ
فِي وَاسِعٍ يَخْثُونَهُ
فَعَزَاؤُنَا أَنَا نَقُومُ
مَنْ كَانَ أَمْسَى وَهُوَ عَمَدٌ
فَلْيَأْتِنَا فَلْتَبْكِ عَيْنُ
أَلْقَائِلِينَ الْفَاعِلِينَ
مَنْ لَا يَزَالُ نَدَى يَدَيْهِ

سَبَطَ الْيَدَيْنِ أَعْرَ وَاضِحَ
دُو عِلَّةٍ بِالْحَمْلِ آخِ
رَا مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مَنَادِخِ
يُظِ وَالْثَّقِيلُونَ الْمَرَاجِحِ
تِي مَا يُصَفِّقُهُنَّ نَاضِحِ
مِنْ شَحْمِهِ شُطْبٌ شَرَائِحِ
مَا رَامَ دُو الضَّغْنِ الْمُكَاشِحِ
نَاهُمْ كَأَنَّهُمْ الْمَصَابِخِ
رِفَةٍ خَضَارِمَةٍ مَسَامِخِ
أَمْوَالٍ إِنَّ الْحَمْدَ رَابِخِ
يَوْمًا إِذَا مَا صَاحَ صَائِخِ
قِرٍ مِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِحِ
يَزِيْمُنْ فِي غَيْرِ صَحَاصِخِ
رَكِبَ صُدُورُهُمْ رَوَاشِخِ
لِي لَيْسَ مِنْ قَوْزِ السَّفَائِخِ
كَالْعُودِ شَذْبُهُ الْكَوَاخِ
تُرْبُ الْمُكُورُ وَالصَّفَائِخِ
قَكَ إِذْ أَجَادَ الضَّرْحَ ضَارِخِ
بِالتُّرْبِ سَوْنُهُ الْمَمَاسِخِ
لُ وَقَوْلُنَا بَرْخُ بَوَارِخِ:
مَا أَوْقَعَ الْجِدَثَانُ جَانِخِ
نَاهُ لِهَلْكَائِيَا الثُّوَاخِ
نَ ذَوِي السَّمَاحَةِ وَالْمَمَادِخِ
لَهُ طَوَالَ الدَّهْرِ مَائِخِ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان، وبيته: «المطعمون إذا المشاتي»، وبيته: «والجامزون بلحمهم»، وبيته: «من كان يرمى بالنواقر» عن غير

ابن إسحاق (١).

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت - أيضًا - يكي حمزة بن عبد المطلب:

[من السريع]

أَتَغْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمَهَا
 بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأُذْمَانِي
 سَأَلْتُهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَمَتْ
 دَغَ عَنْكَ دَارًا قَدْ عَفَا رَسْمُهَا
 أَلْمَالِي الشَّيْزَى إِذَا أَغْصَفَتْ
 وَالتَّارِكِ الْقِرْنَ لَدَى لِبْدَةٍ
 وَاللَّابِسِ الْخَيْلِ إِذَا أَحْجَمَتْ
 أَبْيَضُ فِي الذُّوْءِ مِنْ هَاشِمٍ
 مَالٌ شَهِيدًا بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ
 أَيُّ امْرِئٍ عَادَرَ فِي آلِهِ
 أَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِفَقْدَانِهِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي جَنَّةٍ
 كُنَّا نَرَى حَمْزَةَ جِزْرًا لَنَا
 وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ ذَا تُنْذِرَا
 لَا تَفْرَجِي يَا هِنْدُ وَاسْتَجْلِي
 وَابْكِي عَلَى عُثْبَةٍ إِذْ قَطَعُ
 إِذْ خَرَّ فِي مَشِيخَةٍ مِنْكُمْ
 أَرْدَاهُمْ حَمْزَةً فِي أَسْرَةٍ
 غَدَاةَ جَبْرِيلَ وَزِيرَ لَهُ

بَعْدَكَ صَوْبُ الْمُسْبِلِ الْهَاطِلِ
 فَمَذْفَعُ الرُّوحَاءِ فِي حَائِلِ
 لَمْ تَذِرْ مَا مَرْجُوعَةُ السَّائِلِ
 وَابْنُكَ عَلَى حَمْزَةٍ ذِي النَّائِلِ
 غَبْرَاءُ فِي ذِي الشَّيْمِ الْمَاحِلِ
 يَغْثُرُ فِي ذِي الْخُرُصِ الدَّابِلِ
 كَاللَيْثِ فِي غَابَتِهِ الْبَاسِلِ
 لَمْ يَمِرْ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
 شَلَّتْ يَدَا وَخَشِي مِنْ قَاتِلِ
 مَطْرُوزَةٍ مَارِنَةِ الْعَامِلِ
 وَأَسْوَدَ ثَوْرُ الْقَمَرِ النَّاصِلِ
 عَالِيَةِ مُكْرَمَةِ الدَّاحِلِ
 فِي كُلِّ أَمْرٍ نَابِنَا نَازِلِ
 يَكْفِيكَ فَقَدْ الْقَاعِدِ الْخَازِلِ
 دَمْعًا وَأَذْرِي عَبْرَةَ الثَّائِلِ
 بِالسَّيْفِ تَحْتَ الرَّهْجِ الْجَائِلِ
 مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَلْبُهُ جَاهِلِ
 يَمْشُونَ تَحْتَ الْحَلْقِ الْفَاضِلِ
 نَعَمْ وَزِيرُ الْفَارِسِ الْحَامِلِ (٢)

وقال كعب بن مالك يكي حمزة بن عبد المطلب: [من الكامل]

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالْرُقَادُ مُسْهَدُ
وَجَزِغْتَ أَنْ سُلِخَ السَّبَابُ الْأَعْيَدُ

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٢٦ - ١٣٢).

(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٣٢ - ١٣٥). وسبل الهدى والرشاد (٤/ ٢٣٨).

فَهَوَاكَ غَوْرِيَّ وَصَحْبُكَ مُنْجِدُ
 قَدْ كُنْتُ فِي طَلَبِ الْعَوَايَةِ تُفْنِدُ
 أَوْ تَسْتَفِيْقُ إِذَا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ
 ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تُزَعْدُ
 لَرَأَيْتُ رَاسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ
 حَيْثُ السُّبُوءُ وَالنَّدَى وَالسُّوْدُدُ
 رِيْحُ يَكَاذُ الْمَاءِ مِنْهَا يَجْمُدُ
 يَوْمَ الْكَرِيْهِةِ وَالْقَنَا يَتَفَقَّدُ
 دُوْ لِبَدَةِ شَتْنُ الْبَرَائِنِ أَزِيدُ
 وَرَدَ الْحِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرِدُ
 نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشْهِدُ
 لِيُثِمَّتْ دَاخِلَ عُصَّةٍ لَا تَبْرُدُ
 يَوْمًا تَغَيَّبَ فِيْهِ عَنْهَا الْأَسْعَدُ
 جَنْبِرِلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
 قِسْمَيْنِ: نَقُتْلُ مَنْ نَشَاءُ وَنَنْظُرُ
 سَبْعُونَ عُتْبَةً مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ
 فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزِيدُ
 عَضْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مَهْدُ
 - وَالْخَيْلُ تُثْفُنُهُمْ - نَعَامُ شُرْدُ
 أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِي الْجَنَانِ مُخْلَدُ^(١)

وقال كعب - أيضا - يكي حمزة بن عبد المطلب: [من المتقارب]

وَبِكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَمْرَةٍ
 عَلَى أَسَدِ اللَّهِ فِي الْهَرَّةِ
 وَلَيْتَ الْمَلَا حِمٍ فِي الْبِرَّةِ

وَدَعَتْ فُؤَادَكَ لِلْهَوَى ضَمْرِيَّةُ
 فَدَعِ التَّمَادِي فِي الْعَوَايَةِ سَادِرَا
 وَلَقَدْ أَتَى لَكَ أَنْ تَنَاهَى طَائِعَا
 وَلَقَدْ هِدَدَتْ لِفَقْدِ حَمْرَةٍ هَدَّةُ
 وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ
 قِرْمٌ تَمَكَّنَ فِي دُؤَابَةِ هَاشِمِ
 وَالْعَاقِرُ الْكُومِ الْجِلَادِ إِذَا غَدَتْ
 وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ الْكَمِيِّ مُجَدَّلَا
 وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ
 عَمُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيَّةُ
 وَأَتَى الْمَنِيَّةَ مُغْلَمًا فِي أُسْرَةٍ
 وَلَقَدْ إِخَالَ بِذَاكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ
 مِمَّا صَبَحْنَا بِالْعَقْنَقِلِ قَوْمَهَا
 وَبِشْرِ بَذْرِ إِذْ يَرُدُّ وُجُوْهُهُمْ
 حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَائِهِمْ
 فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعْطَنِ مِنْهُمْ
 وَابْنُ الْمُغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً
 وَأُمَيَّةُ الْجُمَحِيِّ قَوْمَ مَيْلِهِ
 فَأَتَاكَ قُلُ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ
 شَتَّانَ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ نَاوِيَا

صَفِيَّةُ قُومِي وَلَا تَعْجِزِي
 وَلَا تَسْأَمِي أَنْ تُطِيلِي الْبُكََا
 فَقَدْ كَانَ عِزًّا لِأَيْتَامِنَا

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/١٣٦-١٣٩) وسبل الهدى والرشاد (٤/٢٣٨-٢٣٩).

يُرِيدُ بِذَلِكَ رِضًا أَحْمَدٍ وَرِضْوَانٌ ذِي الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ^(١)
 وقال كعب - أيضًا - فى يوم أحد: [من المتقارب]

إِنَّكَ عَمَرَ أَبِيكَ الْكَرِيمِ حَإِنْ تَسْأَلِي عَنْكَ مَنْ يَجْتَدِينَا
 فَإِنْ تَسْأَلِي ثُمَّ لَا تُكْذِبِي يُخْبِرُكَ مَنْ قَدْ سَأَلَتِ الْيَقِينَا
 بَأْسًا لِيَالِي ذَاتِ الْعِظَا مَ كُنَّا ثِمَالًا لِمَنْ يَغْتَرِينَا
 تَلَوْدُ النَّجُودِ بِأَذْرَائِنَا مِنْ الضَّرِّ فِي أَرْمَاتِ السُّنِينَا
 بِجَذَوِي فَضُولِ أُولِي وَجْدِنَا وَبِالصَّبْرِ وَالْبَذْلِ فِي الْمُعْدِمِينَا
 وَأَبْقَتْ لَنَا جَلَمَاتِ الْحُرُو بَ مِمَّا تُوَاوِي لَدُنْ أَنْ بُرِينَا
 مَعَاطِنَ تَهْوِي إِلَيْهَا الْحُقُو قُ يَحْسَبُهَا مَنْ رَأَاهَا الْفَقِينَا
 تُخَيِّسُ فِيهَا عِتَاقُ الْجَمَا لِ صُحْمًا دَوَاجِنَ حُمْرًا وَجُونَا
 وَدُقَاعَ رَجُلٍ كَمَوْجِ الْفُرَا تَ يَفْقَدُ جَأَوَاءَ جُولَا طَحُونَا
 تَرَى لَوْنَهَا مِثْلَ لَوْنِ الثُّجُو مَ رَجْرَاجَةً تُبْرِقُ النَّاطِرِينَا
 فَإِنْ كُنْتَ عَنْ شَأْنِنَا جَاهِلًا فَسَلْ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مِمَّنْ يَلِينَا
 بِنَا كَيْفَ نَفْعَلُ إِنْ قَلَصَتْ عَوَانَا ضُرُوسًا عَضُوسًا حَجُونَا
 أَلْسِنَا نَشْدُ عَلَيْهَا الْعِصَا بَ حَتَّى تَدِرَ وَحَتَّى تَلِينَا؟
 وَيَوْمَ لَهُ زَهَجٌ دَائِمٌ شَدِيدِ التَّهَوُّلِ حَامِي الْإِرِينَا
 طَوِيلِ شَدِيدِ أَوَارِ الْقِتَا لِ تَنْفِي قَوَاجِزُهُ الْمُفْرِفِينَا
 تَخَالُ الْكُمَاةَ بِأَعْرَاضِهِ ثِمَالًا عَلَى لَذَّةِ مُثْرِفِينَا
 تَعَاوَزَ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ كُثُوسَ الْمَنَايَا بِحَدِّ الطَّبِينَا
 شَهِدْنَا فَكُنَّا أُولِي بَأْسِهِ وَتَحْتَ الْعِمَايَةِ وَالْمُعَلِّمِينَا
 بِخُزْسِ الْحَسِيسِ حِسَانِ رِوَاءِ وَبُضْرِيَّةٍ قَدْ أَجْمَنَ الْجُفُونَا
 فَمَا يَنْفَلِلْنَ وَمَا يَنْحَنِينَ وَمَا يَنْتَهِينِ إِذَا مَا تُهِينَا
 كَبِرْزِ الْخَرِيفِ بِأَيْدِي الْكُمَاةِ يُفَجِّعْنَ بِالظِّلِّ هَامَا سُكُونَا
 وَعَلَمْنَا الضَّرْبَ أَبَاؤُنَا وَسَوْفَ نَعْلَمُ أَيْضًا بَنِينَا
 جِلَادَ الْكُمَاةِ وَبَذَلَ الثَّلَا دَ عَنْ جُلِّ أَحْسَابِنَا مَا بَقِينَا

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٣٩ - ١٤٠).

إِذَا مَرَّ قِرْنٌ كَفَى نَسْلُهُ وَأَوْرَثُهُ بَعْدَهُ آخِرِينَا
 نَشِبٌ وَتَهْلِكُ آبَاؤُنَا وَبَيْنَا نُرَبِّي بَيْنَنَا فَنِينَا
 سَأَلْتُ بِكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَلَمْ أَنْبَأَكَ فِي الْقَوْمِ إِلَّا هَجِينَا
 خَبِيثًا تُطِيفُ بِكَ الْمُنْدِيَّاتُ مُقِيمًا عَلَى اللُّؤْمِ حِينًا فَحِينَا
 تَبَجَّسْتَ تَهْجُو رَسُولَ الْمَلِيقِ لِكَ قَاتَلَكَ اللَّهُ جَلْفًا لَعِينَا
 تَقُولُ الْخَنَا ثُمَّ تَزْمِي بِهِ نَقِي الثِّيَابِ تَقِيًا أَمِينَا
 قال ابن هشام: أنشدني بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذي يليه، والبيت الثالث
 منه، وصدر الرابع منه، وقوله: «نشب وتهلك آبأؤنا»، والبيت الذي يليه، والثالث
 منه - أبو زيد الأنصاري (١).

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك - أيضًا - في يوم أحد [من البسيط]:
 سَائِلُ قُرَيْشًا عَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ أُحُدٍ مَاذَا لَقِينَا وَمَا لَاقُوا مِنَ الْهَرَبِ؟!
 كُنَّا الْأُسُودَ وَكَانُوا الثُّمَرِ إِذْ رَحَقُوا مَا إِنْ تُرَاقِبُ مِنْ إِلٍّ وَلَا نَسَبِ
 فَكَمْ تَرَكْنَا بِهَا مِنْ سِيدٍ بَطَلٍ حَامِي الدَّمَارِ كَرِيمِ الْجَدِّ وَالْحَسَبِ
 فِينَا الرُّسُولُ شِهَابٌ ثُمَّ نَتَّبَعُهُ نُورٌ مُضِيءٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهُبِ
 أَلْحَقُ مَنْطِقُهُ وَالْعَدْلُ سِيرَتُهُ فَمَنْ يُجِبُهُ إِلَيْهِ يَنْجُ مِنْ تَبَبِ
 نَجْدِ الْمَقْدَمِ مَاضِي الِهْمِ مُعْتَزِمِ حِينَ الْقُلُوبِ عَلَى رَجْفٍ مِنَ الرُّعْبِ
 يَمْضِي وَيَذْمُرُنَا مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ كَأَنَّهُ الْبَذَرُ لَمْ يُطْبَغْ عَلَى الْكَذِبِ
 بَدَا لَنَا فَاتَّبَعْنَاهُ نُصَدِّقُهُ وَكَذَّبُوهُ فَكُنَّا أَسْعَدَ الْعَرَبِ
 جَالُوا وَجَلْنَا فَمَا قَاءُوا وَلَا رَجَعُوا وَنَحْنُ تَفْنِيهِمْ لَمْ نَأَلْ فِي الطَّلَبِ
 لَيْسَا سَوَاءً وَشَتَّى بَيْنَ أَمْرِهِمَا حِزْبُ الْإِلَهِ وَأَهْلُ الشَّرِكِ وَالْثُّصْبِ
 قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «نمضي ويذمرنا» إلى آخرها - أبو زيد (٢).

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن رَوَاحَةَ ييكى حمزة بن عبد المطلب - قال ابن
 هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك - [من الوافر]
 بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بُكَاهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/ ١٤٠ - ١٤٦).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٣/ ١٤٦ - ١٤٧).

عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةٌ قَالُوا
أَصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا
أَبَا يَغْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ
عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جَنَانٍ
أَلَا يَا هَاشِمُ الْأَخْيَارُ صَبْرًا
رَسُولُ اللَّهِ مُضْطَبَّرٌ كَرِيمٌ
أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي لَوْثًا
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا
نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلْبٍ بَذَرِ
غَدَاةٌ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيحًا
وَعُثْبَةُ وَابْنُهُ خَرَا جَمِيعًا
وَمَشْرُكُنَا أُمِّيَّةٌ مُجْلَعِبَا
وَهَامَ بَنِي رَبِيعَةَ سَائِلُوهَا
أَلَا يَا هِنْدُ لَا تُبْدِي شَمَاتَا
أَلَا يَا هِنْدُ فَاكِكِي لَا تَمْلِي

قال ابن إسحاق: وقال كعب أيضًا [من المتقارب]:

أَبْلَغُ قُرَيْشًا عَلَى نَائِيهَا
فَخَزْتُمْ بِقَتْلَى أَصَابَتْهُمْ
فَحَلُّوا جَنَانًا وَأَبَقُوا لَكُمْ
ثُقَاتِلُ عَنْ دِينِهَا وَسَطَهَا
رَمَتْهُ مَعَدُّ بِغُورِ الْكَلَامِ

قال ابن إسحاق: وقال ضرار بن الخطاب في يوم أحد: [من البسيط]
مَا بَالُ عَيْنِكَ قَدْ أَرَزَى بِهَا السُّهُدُ
أَمِنْ فِرَاقٍ حَبِيبٍ كُنْتَ تَأْلَفُهُ
كَأَنَّمَا جَالَ فِي أَجْفَانِهَا الرَّمْدُ
قَدْ حَالَ مِنْ دُونِهِ الْأَعْدَاءُ وَالْبُعْدُ؟!

(١) ينظر السيرة النبوية (١٤٨/٣ - ١٤٩) والبداية والنهاية (٦٨/٤).

(٢) ينظر السيرة النبوية (١٤٩/٣).

إِذَا الْحُرُوبُ تَلَطَّتْ نَارَهَا تَقْدُ؟
وَمَا لَهُمْ مِنْ لُؤَى وَيَحَهُمْ عَضْدُ
فَمَا تَرُدُّهُمْ الْأَرْحَامُ وَالنَّشْدُ
وَاسْتَخَصَّدَتْ بَيْنَنَا الْأَضْغَانُ وَالْحِقْدُ
قَوَانِسُ الْبَيْضِ وَالْمَحْبُوكَةُ السُّرْدُ
كَأَنَّهَا جَدًّا فِي سَبْرِهَا تُؤْدُ
كَأَنَّهُ لَيْثٌ غَابَ هَاصِرٌ حَرْدُ
فَكَانَ مِنَّا وَمِنْهُمْ مُلْتَقَى أُحْدُ
كَالْمَغْرِزِ أَضْرَدَهُ بِالصَّرْدَحِ الْبَرْدُ
وَمُضْضَبٌ مِنْ قَنَانَا حَوْلَهُ قِصْدُ
تُكَلَّى وَقَدْ خُزَّ مِنْهُ الْأَتْفُ وَالْكَبْدُ
تَحْتَ الْعَجَاجِ وَفِيهِ ثَغْلَبٌ جَسِدُ
كَمَا تَوَلَّى التَّعَامُ الْهَارِبُ الشُّرْدُ
رُغْبًا فَتَنَجَّتْهُمْ الْعَوْصَاءُ وَالْكُؤْدُ
مِنْ كُلِّ سَالِبَةٍ أَثَوَابُهَا قِدْدُ
وَلِلضَّبَاعِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ تَفْدُ^(١)

وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب [من الطويل]:

بَنَاتُ أَبِي مِنْ أَعْجَمٍ وَخَبِيرِ
وَزِيرُ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرُ وَزِيرِ
إِلَى جَنَّةٍ يَخْيَا بِهَا وَسُرُورِ
لَحْمَزَةَ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ مَصِيرِ
بُكَاءَ وَحُزْنًا مَحْضَرِي وَمَسِيرِي
يَذُودُ عَنِ الْإِسْلَامِ كُلَّ كُفُورِ
لَدَى أَضْبُعِ تَغْتَاذِنِي وَنُسُورِ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَخٍ وَنَصِيرِ

أَمْ ذَاكَ مِنْ شَعْبِ قَوْمٍ لَا جَدَاءَ بِهِمْ
مَا يَنْتَهُونَ عَنِ الْغَى الَّذِي رَكِبُوا
وَقَدْ نَشَدْنَاَهُمْ بِاللَّهِ قَاطِبَةً
حَتَّى إِذَا مَا أَبَوْا إِلَّا مُحَارَبَةً
سِرْنَا إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ فِي جَوَانِبِهِ
وَالْجُرْدُ تَزْفُلُ بِالْأَبْطَالِ شَارِبَةً
جَيْشٌ يَفُودُهُمْ صَخْرٌ وَيزَاسُهُمْ
فَأَبْرَزَ الْحَيْنُ قَوْمًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ
فَعُودِرَتْ مِنْهُمْ قَتْلَى مُجْدَلَةٌ
قَتْلَى كِرَامٍ بَنُو التَّجَارِ وَسَطُهُمْ
وَحَمَزَةُ الْقَرْمِ مَضْرُوعٌ تُطِيفُ بِهِ
كَأَنَّهُ حِينَ يَكْبُو فِي جَدِيَّتِهِ
حَوَارُ نَابٍ وَقَدْ وَلَّى صَحَابَتُهُ
مُجْلَحِينَ وَلَا يَلُوُونَ قَدْ مُلِثُوا
تَبْكِي عَلَيْهِمْ نِسَاءً لَا بُعُولَ لَهَا
وَقَدْ تَرَكَنَاهُمْ لِلطَّيْرِ مَلْحَمَةً

وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب [من الطويل]:
أَسَائِلُهُ أَصْحَابَ أُحُدٍ مَخَافَةً
فَقَالَ الْخَبِيرُ: إِنَّ حَمَزَةَ قَدْ ثَوَى
دَعَاهُ إِلَهُ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةً
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نُرْجِي وَنَرْتَجِي
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
عَلَى أَسَدِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مِذْرَاهَا
فَيَا لَيْتَ شِلُويَ عِنْدَ ذَاكَ وَأَعْظَمِي
أَقُولُ وَقَدْ أَعْلَى النَّعِيِّ عَشِيرَتِي:

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قولها: «بكاء وحزنا محضرى ومسيرى»^(١).

وقالت نعم امرأة شماس بن عثمان تبكي شماساً، وأصيب يوم أحد، فقالت [من البسيط]:

يَا عَيْنَ جُودِي بِفَيْضٍ غَيْرِ إِنْسَاسٍ عَلَى كَرِيمٍ مِنَ الْفَتَيَانِ لِبَاسٍ^(٢)
صَغْبِ الْبَدِيهَةِ مَيْمُونٍ نَقِيبَتُهُ حَمَالِ الْوَيْةِ رَكَّابِ أَفْرَاسِ
أَقُولُ لَمَّا أَتَى النَّاعِي لَهُ جَزَعًا: أَوْدَى الْجَوَادُ وَأَوْدَى الْمُطْعِمُ الْكَاسِي
وَقُلْتُ لَمَّا خَلْتُ مِنْهُ مَجَالِسُهُ: لَا يُبْعِدُ اللَّهُ عَنَّا قُرْبَ شَمَاسِ

فأجابها أخوها وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال: [من البسيط]

إِقْنِي حَيَاءَكَ فِي سِتْرِ وَفِي كَرَمٍ فَإِنَّمَا كَانَ شَمَاسٌ مِنَ النَّاسِ
لَا تَقْتُلِي النَّفْسَ إِذْ حَانَتْ مَيِّتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَوْمَ الرُّوْعِ وَالْبَاسِ
قَدْ كَانَ حَمَزُهُ لَيْثَ اللَّهِ فَاصْطَبِرِي فَذَاقَ يَوْمَيْدٍ مِنْ كَأْسِ شَمَاسِ

وقالت هند بنت عتبة حين انصرف المشركون عن أحد: [من الطويل]

رَجَعْتُ وَفِي نَفْسِي بَلَابِلُ جَمَّةٍ وَقَدْ فَاتَنِي بَعْضُ الَّذِي كَانَ مَطْلَبِي
مِنْ أَصْحَابِ بَدْرِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْهُمْ وَمِنْ أَهْلِ يَثْرِبِ
وَلَكِنِّي قَدْ نِلْتُ شَيْئًا وَلَمْ يَكُنْ كَمَا كُنْتُ أَرْجُو فِي مَسِيرِي وَمَرْكَبِي^(٣)

قال ابن هشام: أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قولها: «وقد فاتني بعض الذي كان مطلبى» وبعضهم ينكرها لهند^(٤).

* * *

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/١٥٦ - ١٥٧) وسبل الهدى والرشاد (٤/٢٣٩) والبداية والنهاية (٤/٦٨ - ٦٩).

(٢) صيغة مبالغة من «اللبس» تريد أنه يلبس أداة الحرب.

(٣) تنظر السيرة النبوية (٣/١٥٨ - ١٥٩) والبداية والنهاية (٤/٦٩).

(٤) ينظر السيرة النبوية (٣/١٥٩).

ومنها: غزوة (حراء الأسد)^(١)

أقام بها يطلب العدو الاثنين والثلاثاء، ورجع بعد خمس للمدينة، وهى على ثمانية أميال عن المدينة عن يسار الطريق إذا أردت الحليفة، وكانت صبيحة يوم أحد لست عشرة مضت، أو لثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرًا من الهجرة؛ لطلب عدوهم بالأمس، ونادى مؤذن رسول الله ﷺ ألا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، أى: من شهد أحدًا. وإنما خرج - عليه السلام - مرهبًا للعدو؛ ليلبغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم، وظفر - عليه الصلاة والسلام - في مخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، فأمر بضرب عنقه صبرًا^(٢).

قال الحافظ مغلطاى: وحرمت الخمر في شوال، ويقال: سنة أربع. انتهى.
قال أبو هريرة، فيما رواه أحمد: حرمت الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله ﷺ المدينة، وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما؟ فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ...﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ٢١٩]، فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال فيهما إثم كبير، وكانوا يشربون الخمر حتى كان يومًا من الأيام، صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه فى المغرب، فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلظ منها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، وكان الناس يشربون، ثم نزلت آية أغلظ من ذلك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَقُّرُ وَالْمَيْسِرُ...﴾ إلى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتْلُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، قالوا: انتهينا ربنا^(٣). والميسر: القمار وغيره.

(١) ينظر: المغازي للواقدي (١/٣٣٤ - ٣٤٠) تاريخ الطبري (٢/٥٣٤ - ٥٣٦) المغازي لعروة (١٧٤) الطبقات الكبرى (٢/٣٧) الدرر (١٦٧) جوامع السيرة (١٧٥) الكامل في التاريخ (٢/١٦٤ - ١٦٥) نهاية الأرب (١٧/١٢٦ - ١٢٧) البدء والتاريخ (٤/٢٠٥) الروض الأنف (٣/١٨٠) المتنظم (٣/١٧٢) تاريخ الإسلام (٢٢٣ - المغازي) سبل الهدى والرشاد (٤/٣٠٨ - ٣١٦).

(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/٥٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢/٣٥١) قال: حدثنا سريج بن النعمان ثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة به وقال الهيثمي في المجمع (٥/٥٤): رواه أحمد وأبو وهب مولى أبي هريرة لم يجرحه أحد ولم يوثقه أحد وأبو نجيع ضعيف لسوء حفظه وقد وثقه غير =

وولد الحسن بن على في هذه السنة^(١).
ومنها: سرية محمد بن مسلمة في أربعة إلى كعب بن الأشرف اليهودى الشاعر
رابعَ عَشَرَ ربيع، فقتله الله في داره ليلاً^(٢).
وسرية زيد بن حارثة هلال جمادى الآخرة في مائة راكب إلى القردة؛ يعترض
عيراً لقريش، فيها صفوان بن أمية، فأصابوها، فبلغ خمسها عشرين ألف درهم^(٣).

* * *

= واحد، وسريج ثقة.

(١) ينظر تاريخ الطبري (٥٣٧/٢).

(٢) تقدم الكلام على قتل كعب بن الأشرف.

(٣) تقدم الكلام على هذه الغزوة في حوادث السنة الثالثة.

حوادث السنة الرابعة

فيها غزوة بني النضير - بفتح النون، وكسر الضاد المعجمة المبسوطة - : قبيلة كبيرة من اليهود، في ربيع الأول سنة أربع، وذكرها ابن إسحاق في الثالثة (١). قال السهيلي: وكان ينبغي أن يذكرها بعد بدر؛ لما روى عقيل بن خالد وغيره، عن الزهري قال: كانت غزوة بني النضير بعد بئر معونة، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٦] (٢)، قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: وهو استدلال وإيه؛ فإن الآية نزلت في شأن بني قريظة؛ فإنهم الذين ظاهروا الأحزاب، وأما بنو النضير، فلم يكن لهم في الأحزاب ذكر، بل كان من أعظم الأسباب في جمع الأحزاب ما ذكر من إجلائهم؛ فإنه كان من رءوسهم حُيَيُّ بن أخطب، وهو الذي حَسَّنَ لبني قريظة الغدر وموافقة الأحزاب، حتى كان من هلاكهم ما كان؛ فكيف يصير السابق لاحقاً؟! انتهى (٣).

وقد تقدم أن عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية، لما قتل أهل بئر معونة، عن رقة عن أمه، فخرج عمرو إلى المدينة، فصادف رجلين من بني عامر معهما عقْدٌ وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو، فقال لهما عمرو: من أنتما؟ فذكرا له أنهما من بني عامر، فتركهما حتى ناما، فقتلهما عمرو، وظن أنه ظفر ببعض ثأر أصحابه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: لقد قتلت قتيلين [لأديتَهُمَا] (٤).

قال ابن إسحاق: وخرج - عليه الصلاة والسلام - إلى بني النضير يستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية للجوار الذي كان ﷺ عقده لهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم - عليه السلام - يستعينهم في ديتهما، قالوا: يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال - وكان رسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم - قالوا: من رجل يعلو هذا البيت، فيلقي هذه الصخرة عليه، فيقتله ويريحنا منه؟! فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب،

(١) ينظر السيرة النبوية (١٩١/٣).

(٢) ينظر الروض الأنف (٢٥٠/٣).

(٣) ينظر الفتح (٦٨/٨ - ٦٩).

(٤) ذكره الهيثمي في المجمع (١٣٢/٦) وعزاه للطبراني وقال: رجاله ثقات.

فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه الصخرة - ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى - رضي الله عنهم^(١) - قال ابن سعد: فقال سلام بن مشكم لليهود لا تفعلوا، والله ليُخْبِرَنَّ بما هممتم، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه^(٢). قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام - عليه الصلاة والسلام - مظهرًا أنه يقضي حاجة، وترك أصحابه في مجلسهم، ورجع مسرعًا إلى المدينة. واستبطأ النبي ﷺ أصحابه، فقاموا في طلبه حتى انتهوا إليه، فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به^(٣).

قال ابن عقبة: ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ...﴾ الآية [المائدة: ١١]^(٤). قال ابن إسحاق: فأمر - عليه الصلاة والسلام - بالتهيو لحربهم والمسير إليهم، قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ثم سار بالناس حتى نزل بهم، فحاصرهم ست ليال.

قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه بالحصون، فقطع النخل وحرقتها وخرّب، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعييه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتخريبها؟!^(٥).

قال السهيلي: قال أهل التأويل: وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء، حتى أنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ...﴾ الآية [الحشر: ٥]، والليسة ألوان التمر ما عدا العجوة والبرني؛ ففي هذه الآية: أنه ﷺ لم يقطع من نخلهم إلا ما ليس بقوت للناس، وكانوا يقاتون العجوة، وفي الحديث: «العجوة من الجنة، وتمرها يغذو أحسن غذاء»^(٦)، والبرني - أيضًا - كذلك؛ ففي قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/١٩١).

(٢) ينظر الطبقات الكبرى (٢/٤٢).

(٣) ينظر السيرة النبوية (٣/١٩١ - ١٩٢) المغازي للواقدي (١/٣٥٣) تاريخ الطبري (٢/٥٥٠ - ٥٥٥) البداية والنهاية (٤/٨٥ - ٨٧).

(٤) ينظر دلائل النبوة (٣/١٧٦ ، ٣٥٤ - ٣٥٥).

(٥) ينظر السيرة النبوية (٣/١٩٢).

(٦) أخرجه أحمد (٢/٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٤٨٨) والترمذي (٢٠٦٨) وابن ماجه (٣٤٥٥) من حديث أبي هريرة.

لَيْسَنَّهُ... ﴿[الحشر: ٥] - ولم يقل: «من نخلة» على العموم - : تنبيه على كراهة قطع ما يقتات، ويغذو من شجر العدو إذا رجي أن يصل إلى المسلمين (١).

قال ابن إسحاق: وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله بن أبي ابن سلول بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا؛ فإننا لن نسلمكم، إن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم، خرجنا معكم، فتربصوا، فقفد الله في قلوبهم الرعب، فلم ينصروهم، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم عن أرضهم، ويكف عن دمائهم (٢).

وعن ابن سعد: أنهم حين هموا بغدره ﷺ، وأعلمه الله بذلك بعث إليهم محمد ابن مسلمة أن اخرجوا من بلدي، فلا تسكنوني بها وقد هممت بما هممت من الغدر، وقد أجلتكم عشراً، فمن رثى منكم بعد ذلك، ضربت عنقه، فمكثوا على ذلك أياماً يتجهزون، وتكاروا من الناس إيلاً، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي أن لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم؛ فإن معي ألفين من قومي من العرب يدخلون حصنكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان. فطمع حُيَيُّ بما قال ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك. فأظهر ﷺ التكبير وكَبَّرَ المسلمون بتكبيره، وسار إليهم - عليه الصلاة والسلام - في أصحابه، فصلى العصر بفناء بني النضير، وعلئ يحمل رايته. فلما رأوا رسول الله ﷺ، قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة، واعتزلهم ابن أبي ولم يعنهم، وكذا حلفاؤهم من غطفان، فيئسوا من نصرهم، فحاصروهم ﷺ وقطع نخلهم، وقال لهم - عليه السلام -: « اخرجوا منها، ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة » وهي بإسكان اللام، قال في القاموس: الدرع. فنزلت اليهود على ذلك.

وكان حاصروهم خمسة عشر يوماً، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم، ثم أجلاهم عن المدينة.

قال محمد بن مسلمة: وحملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فلحقوا بخيبر، وحزن المنافقون عليهم حزناً شديداً، وقبض ﷺ الأموال، ووجد من الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفاً، وكانت بنو النضير

(١) ينظر الروض الأنف (٣/٢٥٠).

(٢) ينظر السيرة النبوية (٣/١٩٢).

صفيًا لرسول الله ﷺ حبسًا لنوائبه، ولم يسهم منها لأحد من المسلمين؛ لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، وإنما قذف الله في قلوبهم الرعب، وجلوا من منازلهم إلى خير، ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم، فقسمها - عليه الصلاة والسلام - بين المهاجرين؛ ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار؛ إذ كانوا قد قاسموهم الأموال والديار، غير أنه أعطى أبا دجانة، وسهل بن حنيف لحاجتهما^(١)، وفي الإكليل: وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق، وكان سيفًا له ذُكِّرَ عندهم.

غزوة بدر الأخيرة^(٢)

وهي الصغرى، وتسمى: بدر الموعد، وكانت في شعبان بعد ذات الرقاع؛ كذا في المواهب.

قال الحافظ شرف الدين البرماوى: هلال ذي القعدة؛ وذلك أن أبا سفيان قال يوم أحد: الموعدُ بيننا وبينكم رأس الحول، فقال النبي ﷺ: نعم، فخرج، ومعه ألف وخمسمائة، فأقاموا بها ثلاثة أيام، وباعوا ما معهم من التجارة، فربحوا الدرهم درهمين، وخرج أبو سفيان إلى مر الظهران، فرجع؛ لأنه كان عام جذب، فنزل في حق المؤمنين: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ...﴾ الآية [آل عمران: ١٧٤].

قال ابن إسحاق^(٣): لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة ذات الرقاع، أقام بها جمادى الأولى إلى آخر رجب، ثم رجع في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان، ويقال: كانت في هلال ذي القعدة، فخرج - عليه السلام - ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه، وعشرة أفراس، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، وأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان، وخرج أبو سفيان حتى نزل مَجَنَّةَ من ناحية مر

(١) ينظر الطبقات الكبرى (٢/٤٤ - ٤٥).

(٢) ينظر المغازي لعروة (١٨٣) وللواقدي (١/٣٨٤ - ٣٩١) والدرر (١٧٧) جوامع السيرة

(١٨٤) تاريخ الطبري (٢/٥٥٩) البدء والتاريخ (٤/٢١٣ - ٢١٤) الكامل في التاريخ (٢/

١٧٥) نهاية الأرب (١٧/١٥٤ - ١٥٧) تاريخ الإسلام (٢٤٩ - المغازي) البداية والنهاية

(٤/١٠٠ - ١٠٢) سبل الهدى والرشاد (٤/٣٣٧).

(٣) ينظر السيرة النبوية (٣/٢٢١ - ٢٢٢).

الظهران، ويقال: عسفان، ثم بدا له الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عامٌ خصبٌ ترعون في الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عامٌ جذب، وإني راجع فارجعوا، فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتهم تشربون السويق، وأقام - عليه الصلاة والسلام - ببدر ثمانية أيام، وباعوا ما معهم من التجارة، فربحوا الدرهم درهمين، وأنزل الله في المؤمنين: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِنَّ سَوَاءٌ...﴾ الآية [آل عمران: ١٧٢: ١٧٤]، والصحيح أن هذه الآية نزلت في حمراء الأسد؛ كما نصَّ عليه العماد بن كثير^(١).

وفيها غزوة ذات الرقاع عاشر المحرم^(٢)؛ لما بلغه ﷺ أن أنمار جمعوا الجموع، فخرج في أربعمئة، فوجدوا أعراباً هربوا في الجبال، وغاب خمسة عشر يوماً، وصلى بها صلاة الخوف.

واختلف فيها متى كانت؟ فعند ابن إسحاق: بعد بني النضير، سنة أربع، في شهر ربيع وبعض جمادى^(٣)، وعند ابن سعد وابن حبان في المحرم سنة خمس^(٤)، وجزم أبو معشر بأنها بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس، فتكون ذات الرقاع في آخر السنة وأول التي تليها.

وقد جنح البخاري^(٥) إلى أنها كانت بعد خيبر؛ واستدل لذلك بأمر، ومع ذلك ذكرها قبل خيبر؛ فلا أدري هل تعتمد ذلك؛ تسليمًا لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها، أو أن ذلك من الرواة عنه، وأشار إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسمًا لغزوتين مختلفتين؛ كما أشار البيهقي إليه^(٦).

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم (٤٣٠/١).

(٢) ينظر المغازي للواقدي (٣٩٥ - ٤٠٢) تاريخ الطبري (٥٥٥ - ٥٥٩) الطبقات الكبرى (٤٦/٢ - ٤٧) البدء والتاريخ (٢١٣/٤) الكامل في التاريخ (١٧٤/٢ - ١٧٥) نهاية الأرب (١٥٨ - ١٥٩) الروض الأنف (٢٥٣/٣ - ٢٥٨) وتاريخ الإسلام (٢٤٦ - المغازي).

(٣) ينظر السيرة النبوية (٢١٤/٣).

(٤) ينظر الطبقات الكبرى (٤٦/٢ - ٤٧).

(٥) ينظر الفتوح (١٧٩/٨).

(٦) ينظر دلائل النبوة (٣٦٩/٣ - ٣٧٢).

على أن أصحاب المغازي مع جزمهم بأنها كانت قبل خير مختلفون في زمانها. انتهى.

والذي جزم به ابن عقبة تقدمها، لكن تردد في وقتها، فقال: لا ندري كانت قبل بدر أو بعدها، أو قبل أحد أو بعدها. وهذا التردد لا حاصل له، بل الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة؛ إذ صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في ذات الرقاع؛ فدل على تأخيرها بعد الخندق.

ثم قال عند قول البخاري: وهي بعد خير؛ لأن أبا موسى جاء بعد خير، وإذا كان كذلك وثبت أن أبا موسى شهد غزوة ذات الرقاع، لزم أنها كانت بعد خير، قال: وعجيب من ابن سيد الناس كيف قال: جعل البخاري حديث أبي موسى هذا حجة في أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خير، قال: وليس في خبر أبي موسى ما يدل على شيء من ذلك. انتهى كلام ابن سيد الناس^(١).

قال: وهذا النفي مردود، والدلالة من ذلك واضحة.

قال: وأما الدمياطي، فادعى غلط الحديث الصحيح، وأن جميع أهل السير على خلافه، وقد تقدم أنهم مختلفون في زمانها، فالأولى الاعتماد على ما ثبت في الحديث الصحيح.

وأما قول الغزالي: إنها آخر الغزوات، فهو غلط واضح، وقد بالغ ابن الصلاح في إنكاره، وقال بعض من انتصر للغزالي: لعله أراد آخر غزوة صليت فيها صلاة الخوف، وإنما أسلم أبو بكر بعد غزوة الطائف بالاتفاق. انتهى.

وأما تسميتها بذات الرقاع: فلأنهم رقعوا فيها راياتهم؛ قاله ابن هشام^(٢).

وقيل: الشجرة في ذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع^(٣).

وقيل: الأرض التي نزلوا بها فيها بقع سود ويقع بيض؛ كأنها مرقعة برباق مختلفة، فسميت ذات الرقاع لذلك، وقيل: إن خيلهم كان بها سواد وبياض؛ قاله ابن حبان^(٤).

(١) ينظر عيون الأثر (٧٢/٢).

(٢) ينظر السيرة النبوية (٢١٤/٣).

(٣) ينظر المصدر السابق.

(٤) ينظر الفتح (١٨١/٨).

وقال الواقدي: سميت بجبل هناك فيه بقع^(١).
قال الحافظ ابن حجر: وهذا لعله مستند ابن حبان، ويكون قد تصحف عليه
بخيل. قال: وأغرب الداودي، فقال: سميت ذات الرقاع؛ لوقوع صلاة الخوف
فيها؛ فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها. انتهى^(٢).
قال السهيلي^(٣): وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري عن أبي موسى
الأشعري قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، ونحن ستة نفر، بيننا بغير
نعتقه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدمائنا، وسقطت أظفارنا، فكنا نلف على أرجلنا
الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع؛ لما نعصب من الخرق على أرجلنا^(٤).
وكان من خبر هذه الغزوة - كما قاله ابن إسحاق - أنه ﷺ غزا نجدًا، يريد: بني
محارب وبني ثعلبة - بالمثلثة - من غطفان بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة؛
لأنه - عليه الصلاة والسلام - بلغه أنهم جمعوا الجموع، فخرج في أربعمئة من
أصحابه، وقيل: سبعمائة، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان، وقيل: أبا ذر
الغفاري، حتى نزل نخلًا - بالخاء المعجمة، موضعًا من نجد من أراضي
غطفان^(٥) - قال ابن سعد: فلم يجد في محالهم إلا نسوة فأخذهن^(٦). وقال ابن
إسحاق: فلقي جمعا منهم، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد أخاف
الناس^(٧) بعضهم بعضًا حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف
الناس.

قال ابن سعد: وكان ذلك أول ما صلاها، وقد رويت صلاة الخوف من طرق
كثيرة - وسيأتي الكلام، إن شاء الله تعالى، على ما تيسر منها - وكانت غيبته ﷺ
في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة^(٨).

(١) ينظر المغازي للواقدي (١/٣٩٥).

(٢) ينظر الفتوح (٨/١٨١ - ١٨٢).

(٣) ينظر الروض الأنف (٣/٢٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٨/١٧٩) كتاب المغازي: باب غزوة ذات الرقاع حديث (٤١٢٨).

(٥) ينظر السيرة النبوية (٣/٢١٤).

(٦) ينظر الطبقات الكبرى (٢/٤٧).

(٧) ينظر السيرة النبوية (٣/١٥٥).

(٨) ينظر الطبقات الكبرى (٢/٤٧).

وفي البخاري: عن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة، تركناها للنبي ﷺ، فجاء رجل من المشركين وسيف النبي ﷺ معلق بالشجرة، فاختارطه - يعنى: سَلَّه من غمده - فقال: تخافني؟ قال: لا، قال: من يمنعك مني؟ قال: الله، وفي رواية أبي اليمان عند البخاري في الجهاد قال: من يمنعك مني؟ ثلاث مرات، وهو استفهام إنكاري، أى: لا يمنعك مني أحد، وكان الأعرابي قائماً على رأسه والسيف في يده والنبي ﷺ جالس لا سيف معه (١).

ويؤخذ من مراجعة الأعرابي له في الكلام: أن الله سبحانه منع نبيه، وإلا فما الذي أحوجه إلى مراجعته مع احتياجه إلى الخطوة عند قومه بقتله. وفي قوله ﷺ: «الله يمنعني منك» إشارة إلى ذلك؛ ولذلك لما أعادها الأعرابي، لم يزده على ذلك الجواب. وفي ذلك غاية التَّهْكُم وعدم المبالاة به.

وذكر الواقدي (٢) في نحو هذه القصة: أنه أسلم، ورجع إلى قومه، فاهتدى به خلق كثير. وقال فيه: إنه رمى بالزُّلْخَة حين همَّ بقتله ﷺ، فندر السيف من يده، وسقط إلى الأرض. والزُّلْخَة - بضم الزاى المشددة، وتشديد اللام، والخاء المعجمة - : وجع يأخذ في الصلب.

وقال البخاري: قال مسدد، عن أبي عوانة، عن أبي بشر: اسم الرجل غورث بن الحارث (٣)، أى: على وزن جعفر. وحكى الخطابي فيه «غويرث» بالتصغير، وقد تقدم في غزوة غطفان، وهى غزوة ذى أمر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور، وأنه قام على رأسه ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ فقال - عليه الصلاة والسلام - : الله. ودفع جبريل صدره، فوقع السيف من يده، وأنه أسلم. قال في عيون الأثر: والظاهر أن الخبرين واحد. وقال غيره من المحققين: والصواب أنهما قصتان في غزوتين.

وفي هذه القصة فرط شجاعته، وقوة يقينه، وصبره على الأذى، وحلمه على

(١) تقدم تخريجه، وهو عند البخاري (٤١٣٦).

(٢) ينظر المغازي (١٩٤/١ - ١٩٥).

(٣) علقه البخاري بعد رقم (٤١٣٦) وعزاه الحافظ في الفتح (١٩٣/٨) إلى الحربي في غريب الحديث.

الجهال^(١).

وفي انصرافه ﷺ من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله، فنخسه - عليه الصلاة والسلام - فانطلق متقدماً بين يدي الركاب، ثم قال: أتبيعني؟ فابتاعه منه، وقال: لك ظهره إلى المدينة، فلما وصلها، أعطاه الثمن وأرجح، ووهب له الجمل. والحديث أصله في البخاري^(٢)؛ ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط؛ لما وقع فيه من الاضطراب، وقيل غير ذلك مما يطول ذكره.

وفيها غزوة دومة الجندل لخمس بقين من ربيع الأول^(٣)؛ لما بلغه أن بها جمعاً كثيراً يظلمون الناس، فلم يجدوا بها إلا نعماً وشاء، فأصاب من ذلك وأقام أياماً. وهى بضم الدال، مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال، وبُعدها من المدينة خمس عشرة، أو ست عشرة ليلة.

قال أبو عبيدة والبكري: سُمِّيَتْ بدوم بن إسماعيل كان نزلها^(٤)، وكانت على رأس تسعة وأربعين شهراً من الهجرة.

وكان سببها أنه بلغه ﷺ أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مرٍّ بهم، فخرج - عليه الصلاة والسلام - لخمس ليال بقين من ربيع، في ألف من أصحابه؛ فكان يسير الليل، ويكمن النهار، واستخلف على المدينة سباع بن عرفة، فلما دنا منهم لم يجد إلا النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب في كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة، فتفرقوا. ونزل - عليه الصلاة والسلام - بساحتهم، فلم يلتق بها أحداً، فأقام بها أياماً وبث السرايا وفرّقها، فرجعوا

(١) ينظر الفتح (٨/١٩٣)، وما بين المعكوفين من الفتح ووقع في ط: غزوتان في قصتين، والمثبت من الفتح أنسب وأصوب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٤٥) كتاب البيوع، باب شراء الإمام الحوائج بنفسه، الحديث (٢٠٩٧) من طريق وهب بن كيسان عن جابر قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فأبطأ بي جملي وأعيا... الحديث ومن هذه الطريق أخرجه مسلم في صحيحه (٢/١٠٨٩) رقم (٥٧/١٤٦٦) وأحمد في المسند (٣/٣٧٥) والحديث ورد من طرق عن جابر بعضها مطول وبعضها مختصر.

(٣) ينظر عن الغزوة: الطبقات الكبرى (٢/٦٢ - ٦٣)، مغازي الواقدي (١/٤٠٢ - ٤٠٤) تاريخ الطبري (٢/٥٦٤)، الكامل في التاريخ (٢/١٧٧)، وعيون التواريخ (١/١٩٤)، والبداية والنهاية (٤/١٠٥).

(٤) ينظر: الروض الأنف (٣/٢٧٦).

ولم يصب منهم أحد.

ودخل المدينة في العشرين من ربيع الآخر.

وفيها سرية أبي سلمة هلال المحرم إلى قطن^(١)، في مائة وخمسين، يطلب طليحة، وسلمة ابني خويلد، فلم يجدوهما ووجدوا إبلاً وشاء، فأصابوا منها، ولم يلق كيداً.

وعبد الله بن أنيس وجهه إلى سفيان بن خالد الهذلي بعرة^(٢)، وهو وادي عرفة، خامس المحرم؛ لما بلغه ﷺ أنه يجمع لحربه، فقال له عبد الله: جئتكَ لأكون معك. ثم اغتره فقتله.

والمندر بن عمرو إلى بثر معونة في صفر^(٣)، ومعه القراء، وهم سبعون، فقتلهم رِغْلٌ وذكوان وعُصَيَّةٌ فقتل ﷺ يدعو عليهم شهراً^(٤)

ومرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى الرجيع بين مكة وعسفان في صفر في عشر أو ستة على الخلاف، لما سأله عضل والقارة أن يرسل معهم من يعلمهم شرائع الإسلام، فأرسل مرثداً، وعاصم بن ثابت، وخبيب ابن عدي، وزيد بن الدثنة، وخالد بن أبي البكير، وعبد الله بن طارق، وأخاه لأمه مغيث بن عبيد، فغدروا بهم فقتلوهم، إلا خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، فأسروهما وباعوهما في مكة، فقتلوهما، وصلى خبيب قبل أن يقتل ركعتين، فهو أول من سن ذلك. وفيها رجم اليهودي واليهودية للذين زنيا^(٥).

(١) ينظر: مغازي الواقدي (٣٤٠/١)، والطبقات (٣٨/٢).

(٢) ينظر الطبقات الكبرى (٣٩/٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤٠/٤) والبداية والنهاية (١٦٠/٤).

(٣) ينظر طبقات ابن سعد (٣٩/٢ - ٤٠)، مغازي الواقدي (٣٤٦/١) تاريخ الطبري (٥٤٥/٢ - ٥٥٠)، ودلائل النبوة (٣٣٨/٣) والمتنظم (١٩٨/٣) وعيون التواريخ (١٨٤/١) وتاريخ الإسلام (ص ٢٣٥ - مغازي) والبداية والنهاية (٨١/٤)، وما بعدها.

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٤٣)، وأحمد (٣٠١/١ - ٣٠٢)، من حديث ابن عباس وعند مسلم نحوه من حديث أنس برقم (٣٠٤ / ٦٧٧).

(٥) أخرجه مالك (٨١٩/٢) كتاب الحدود: باب ما جاء في الرجم حديث (١) والبخاري (٦/ ٦٣١) كتاب المناقب: باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ...﴾ حديث (٣٦٣٥) ومسلم (١٣٢٦/٣) كتاب الحدود: باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى حديث (١٦٩٩/٢٦) وأبو داود (٥٥٨/٢) كتاب الحدود: باب في رجم اليهوديين حديث (٤٤٤٦) والترمذي (٤٣/٤) كتاب الحدود: باب ما جاء في رجم أهل الكتاب حديث (١٤٣٦) =

وقصرت الصلاة إن قلنا: كان فرضها أربعاً.
وفرض التيمم: لكن نصّ الشافعي في «الأم» أنه في المصطلق، وذلك إما في
الخامسة أو السادسة أو الرابعة.
وخسف القمر، وزلزلت المدينة، وسابق بين الخيل ^(١).



= وابن ماجه (٨٥٤/٢) كتاب الحدود: باب رجم اليهودي واليهودية حديث (٢٥٥٦) والدارمي
(١٧٨/٢ - ١٧٩) كتاب الحدود: باب في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلى حكام
المسلمين، والشافعي (٨١/٢) كتاب الحدود: باب الزنا حديث (٢٦٤) وأحمد (٥/٢)،
٧، ١٧، ٦٢، ٦٣، ٧٦، ١٢٦) وعبد الرزاق في المصنف (٣١٨/٧) رقم (١٣٣٣١)،
(١٣٣٣٢) وابن الجارود في المنتقى رقم (٨٢٢) وأبو داود الطيالسي (٣٠١/١ - منحة) رقم
(١٥٣٠) والحميدي (٣٠٦/٢) رقم (٦٩٦) والبيهقي (٢٤٦/٨) كتاب الحدود: باب
ما جاء في حد الذميين، والبغوي في شرح السنة (٤٦٢/٥ - بتحقيقنا) كلهم من طريق نافع
عن ابن عمر قال: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً
منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تجدون في التوراة في شأن
الرجم؟ قالوا: نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام: كذبتُم إن فيها لآية الرجم فأتوا
بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله بن
سلام ارفع يدك فإذا فيها آية الرجم فقال: صدقت يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرجما قال عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقبها
الحجارة قال الترمذي حسن صحيح.

(١) ذكر ابن الجوزي في المنتظم (٢٤٠/٣) في حوادث سنة خمسة في حوادث شهر ذي الحجة
من هذه السنة قال: وفي هذا الشهر: رجفت المدينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن
الله مستعتبكم فأعتبوا».

حوادث السنة الخامسة

فيها غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق^(١)، ثاني شعبان، خرج ﷺ ومعه كثير بشر، وثلاثون فرساً، فحملوا على القوم حملة واحدة، فما انفك منهم إنسان، بل قتل عشرة وأسر سائرهم، وغاب ثمانية وعشرين يوماً. وكان فيها قصة الإفك، والنهي عن العزل.

قال في المواهب: والمُصْطَلِقُ: بضم الميم، وسكون الصاد المهملة، وفتح الطاء المشالة المهملة، وكسر اللام بعدها قاف، وهو لقب، واسمه جذيمة بن سعد ابن عمرو بطن من خزاعة. وكانت يوم الاثنين، لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس. وفي البخاري: قال ابن إسحاق: سنة ست. وقال موسى بن عقبة: سنة أربع^(٢). انتهى.

وسببها: أنه بلغه - عليه الصلاة والسلام - أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب، فدعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فأجابوه وتهيئوا للمسير، فبعث - عليه الصلاة والسلام - بريدة بن الخصيب الأسلمي يعلم علم ذلك، فأتاهم، ولقي الحارث بن أبي ضرار، فكلّمه ورجع إلى رسول الله ﷺ. وخرج - عليه الصلاة والسلام - مسرعاً في بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثلها، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وقادوا الخيل، وكانت ثلاثين فرساً، وخرجت عائشة وأم سلمة. وبلغ الحارث ومن معه مسيره - عليه الصلاة والسلام - فسيء بذلك هو ومن معه، وخافوا خوفاً شديداً، وتفرّق عنهم من كان معهم من العرب، وبلغ - عليه الصلاة والسلام - المريسيع، وصف أصحابه، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر، وراية الأنصار إلى سعد بن عباد، وتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر - عليه الصلاة والسلام - فحملوا حملة رجل واحد، وقتلوا عشرة، وأسروا سائرهم، وسبوا النساء والرجال والذرية، والنعم والشاء، ولم يقتل من

(١) ينظر: مغازي الواقدي (٤٠٤/١)، طبقات ابن سعد (٤٨/٢) وسيرة ابن هشام (٢٣٥/٣) وتاريخ الطبري (٦٠٤/٢) والكامل في التاريخ (١٩٥/٢ - ١٩٩) وتاريخ الإسلام للذهبي (ص ٣٤٩ - مغازي) والمنتظم (٢١٨/٣) والبداية والنهاية (١٧٨/٤).

(٢) ينظر صحيح البخاري مع فتح الباري (١٩٤/٨).

المسلمين إلا رجل واحد. كذا ذكره ابن إسحاق (١).

والذي في صحيح البخاري، من حديث ابن عمر: يدل على أنه أغار عليهم على حين غفلة منهم، فأوقع بهم؛ ولفظه: أغار على بني المصطلق، وهم غارون، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلهم، وسبى ذراريهم وهم على الماء (٢)، فيحتمل أن يكون حين الإيقاع بهم سبوا قليلاً، فلما كثر عليهم القتال، انهزموا بأن يكون لما دهمهم وهم على الماء، وتضافوا، ووقع القتال بين الطائفتين، ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم.

قيل: وفي هذه الغزوة نزلت آية التَّيْمِمْ، قال في «فتح الباري» قوله: «في بعض أسفاره»، قال ابن عبد البر في «التمهيد»: يقال: إنه كان في غزوة بني المصطلق، وجزم بذلك في «الاستذكار»، وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان.

وغزوة المصطلق هي غزوة المريسيع، وفيها كانت قصة الإفك لعائشة، وكان ابتداء ذلك بسبب وقوع عقدها أيضاً، فإن كان ما جزموا به ثابتاً، حمل على أنه سقط منها في تلك السفرة مرتين؛ لاختلاف القصتين؛ كما هو بين في سياقهما.

قال: واستبعد بعض شيوخنا ذلك؛ لأن المريسيع من ناحية مكة بين قُديد والسَّاحِل؛ وهذه القصة كانت من ناحية خيبر؛ لقولها في الحديث: «حتى إذا كنا في البيداء، أو بذات الجيش» (٣)، وهما بين المدينة (٤) وخيبر؛ كما جزم به النووي.

(١) ينظر سيرة ابن هشام (٣/٢٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥/١٧٠) كتاب العتق باب من ملك من العرب رقيقاً حديث (٢٥٤١) ومسلم (٣/١٣٥٦): كتاب الجهاد والسير باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة حديث (١/١٧٣٠) من حديث ابن عمر قال أغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث، وأخرجه مالك (٢/٤٦٨): كتاب الجهاد باب ما جاء في الخيل والمسابقة حديث (٤٨) وأحمد (٣/١٦٣ - ١٦٤) والبخاري (٦/١١١) كتاب الجهاد باب دعاء النبي الناس إلى الإسلام حديث (٢٩٤٥) ومسلم (٣/١٤٢٧): كتاب الجهاد باب غزوة خيبر حديث (١٢١/١٣٦٥) من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى خيبر، أتاهم ليلاً وكان إذا أتى قوماً ليل لم يغر حتى يصبح. فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا: محمد والله محمد والخميس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٣٤)، ومسلم (١٠٨/٣٦٧).

(٤) في ط: مكة. والمثبت من الفتح، وهو الصواب.

قال: وما جزم به مخالف لما جزم به ابن التين؛ فإنه قال: «البيداء هو ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة، وذات الجيش وراء ذي الحليفة». وقال أبو عبيد البكري في «معجمه»: أدنى إلى مكة من ذي الحليفة، ثم ساق حديث عائشة هذا، ثم قال: وذات الجيش من المدينة على بريد، قال: وبينها وبين العقيق سبعة أميال، والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر، فاستقام ما قاله ابن التين^(١).

وقد قال قوم بتعدد ضياع العقد، ومنهم: محمد بن حبيب الإخباري، فقال: سقط عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع، وفي غزوة بني المصطلق.

واختلف أهل المغازي في أي هاتين الغزوتين كانت أولاً، قال الداودي: كانت قصة التيمم في غزاة الفتح. ثم تردّد في ذلك. وروى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت آية التيمم لم أذر كيف أصنع؛ فهذا يدلُّ على تأخرها عن غزوة بني المصطلق؛ لأن إسلام أبي هريرة كان في السنة السابعة وهي بعدها بلا خلاف، وكان البخاري يرى أن غزوة ذات الرقاع كانت بعد قدوم أبي موسى، وقدومه كان وقت إسلام أبي هريرة. ومما يدلُّ على تأخر القصة - أيضاً - عن قصة الإفك: ما رواه الطبراني، من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان، وقال أهل الإفك ما قالوا، خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى، فسقط عقدي حتى حبس الناس على التماسه، فقال لي أبو بكر: يا بنية، في كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس؟! فأنزل الله الرخصة في التيمم، فقال أبو بكر: إنك لمباركة^(٢). وفي إسناده محمد بن حميد الرازي، وفيه مقال.

وفي سياقه من الفوائد بيان عتاب أبي بكر الذي أبهم في حديث الصحيح، والتصريح بأن ضياع العقد كان مرتين في غزوتين. انتهى.

(١) ينظر فتح الباري (١/٥٧٤ - ٥٧٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢١/٢٣ - ١٢٢) رقم (١٥٩) حدثنا القاسم بن عباد الخطابي ثنا محمد بن حميد الرازي ثنا سلمة بن الفضل وإبراهيم بن المختار عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد به كما حكاها المصنف، ومحمد بن حميد الرازي فيه كلام كثير قال الحافظ (٥٨٧١) حافظ ضعيف وكان ابن معين حسن الرأي فيه، قال الذهبي في الميزان (١٢٦/٦): من بحور العلم وهو ضعيف.

وفي هذه الغزوة قال ابن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجن الأعز منها الأذل، فسمعه زيد بن أرقم ذو الأذن الواعية، فحدث رسول الله ﷺ بذلك، فأرسل إلى ابن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِّقُونَ...﴾ [المنافقون: ١] فقال له رسول الله ﷺ: إن الله صدقك يا زيد (١)، رواه البخاري.

وكانت غيبته في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوماً. ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة - رضي الله عنها -: [من الطويل]

حَصَانُ رَزَانُ مَا تُزْنُ بِرَيْبَةٍ وَتُضْبِحُ غَزْنِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ
عَقِيلَةُ حَيٍّ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى أَنَامِلِي
وَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيْثُ وَتُضَرَّتِي لِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ الْمُحَافِلِ
لَهُ رَتَبَ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ تَقَاصَّرَ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَايِطٍ وَلَكِنَّهُ قَوْلُ امْرِئٍ بِي مَاجِلِ

قال ابن هشام: بيته «عقيلة حي»، والبيت الذي بعده، وبيته: «له رتب عال» عن أبي زيد الأنصاري.

وحدثني أبو عبيدة: أن امرأة مدحت بنت - أو بيت - حسان بن ثابت عند عائشة، فقالت: [من الطويل]

حَصَانُ رَزَانُ مَا تُزْنُ بِرَيْبَةٍ وَتُضْبِحُ غَزْنِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ
فقالت عائشة: لكن أبوها (٢).

فمن روى «بيت حسان» يقول: «أبوها»، أي: أبوا هذه الصفة أن يقولوها

(١) ذكره البخاري في صحيحه تعليقا بعد حديث (٤٩٠٢) ووصله في كتاب التفسير (٤٩٠٢)، (٤٩٠٣) ومسلم في صحيحه (٢٧٧٢) والترمذي (٣٣١٢، ٣٣١٣، ٣٣١٤) والنسائي في التفسير (٦١٤) وأحمد في مسنده (٣٧٣/٤، ٣٦٨، ٣٧٠) وعبد بن حميد (٢٦٢) - منتخب) والطبراني في الكبير (٤٩٧٩) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٣٥/٦) وزاد نسبه إلى ابن سعد وابن جرير الطبري وابن المنذر وابن مردويه.
(٢) ينظر سيرة ابن هشام (٣/٣٥٢ - ٣٥٣) والبداية والنهاية (٤/١٨٧).

حيثُتد، ومن روى « بنت حسان » فمعنى « أبوها » أنه ليس مثلها.
قال ابن إسحاق: وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه في فريتهم
على عائشة: [من الطويل]

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلُهُ وَحَمْنُهُ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمِسْطَحُ
تَعَاظُوا بِرَجْمِ الْغَيْبِ زَوْجِ نَبِيهِمْ وَسَخَطَةُ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَبْرَحُوا
وَأَذُوا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا فَجُلِّلُوا مَخَازِي تَبْقَى عَمُّوَهَا وَفُضِّحُوا
وَصُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُخَصَّدَاتُ كَأَنَّهَا شَائِبُ قَطْرِ مِنْ دُرَى الْمُرِّ تَسْفَحُ^(١)

وفيها غزوة الخندق وهي الأحزاب في ذي القعدة^(٢). كان المسلمون ثلاثة
آلاف، والمشركون عشرة آلاف مع أبي سفيان، فحفر ﷺ وأصحابه الخندق بإشارة
سلمان الفارسي على عادة بلاده، وتداعوا للبراز نحو أربعة عشر يومًا، فأرسل الله
ريحًا هزمت الكفار.

فلما انصرف، جاءه جبريل، فقال: إن الملائكة ما وضعت السلاح بعد، وإن الله
يأمرُك أن تسير إلى بني قريظة، فمضى فحاصرهم خمسة عشر يومًا، فنزلوا على
حكم سعد بن معاذ، وكان ضعيفًا، فحكم بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء،
فقال ﷺ: حكمت فيهم بحكم الله. وفرغ من ذلك خامس ذي الحجة.
وفيها فرض الحج، أو في السادسة، ورجع أو في الثامنة، أو التاسعة، أو
العاشرة، أو قبل الهجرة، أو غير ذلك: أقوال.
وفيها نزلت آية الحجاب.

قال في المواهب: هي الأحزاب، جمع حزب، أي طائفة، فأما تسميتها
بالخندق، فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمره - عليه الصلاة والسلام -
ولم يكن اتخاذ الخندق من شأن العرب، ولكنه من مكاييد الفرس، وكان الذي أشار

(١) ينظر الآيات في سيرة ابن هشام (٢٥٣/٣) ونقلها أيضا ابن كثير في البداية والنهاية (٤/١٨٦).

(٢) ينظر عن الغزوة: مغازي الواقدي (٤٤٠ - ٤٩٦)، والطبقات الكبرى (٥٠/٢) وما بعدها
وسيرة ابن هشام (١٦٥/٣)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/٣٩٢) وما بعدها، والمتنظم (٣/٢٦٧)،
وتاريخ الإسلام للذهبي (ص ٢٨٣ - مغازي)، والبداية والنهاية (١٠٦/٤)، وعيون
التواريخ (١٩٤/١).

بذلك سلمان الفارسي، فقال: يا رسول الله، إنا كنا بفارس إذا حُصِرْنَا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفره، وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين.
فأما تسميتها بالأحزاب، فلاجتماع طوائف المشركين على حرب المسلمين، وهم قريش وغطفان واليهود ومن معهم، وقد أنزل الله فيه هذه القصة صدرًا من سورة الأحزاب.

واختلف في تاريخها، فقال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع^(١)، وقال ابن إسحاق: في شوال سنة خمس^(٢)، وبذلك صرح غيره من أهل المغازي، ومال البخاري إلى قول موسى بن عقبة، وقواه بقول ابن عمر: إن رسول الله ﷺ عرضه يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة؛ فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة، فأجازه^(٣)؛ فيكون بينهما سنة واحدة. وأُخذت سنة ثلاث؛ فيكون الخندق سنة أربع، ولا حجة فيه إذا ثبت لنا أنها كانت سنة خمس؛ لاحتمال أن يكون ابن عمر في أحد كان أول ما طعن في الرابعة عشرة، وكان في الأحزاب استكمل الخمس عشرة؛ وبهذا أجاب البيهقي^(٤)، وقال الشيخ ولي الدين بن العراقي: والمشهور أنها في السنة الرابعة.

وكان من حديث هذه الغزوة: أن نفرًا من يهود خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله. فاجتمعوا لذلك، واستعدوا له،

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٣٩٣).

(٢) سيرة ابن هشام (٣/١٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧/٣٩٢) كتاب المغازي: باب غزوة الخندق حديث (٤٠٩٧) ومسلم (٣/١٤٩٠) كتاب الإمامة: باب بيان سن البلوغ حديث (١٨٦٨/٩١) وأبو داود (٤/٥٦١) كتاب الحدود باب الغلام يصيب الحد حديث (٤٤٠٦) والترمذي (٤/٢١١) كتاب الجهاد: باب حد بلوغ الرجل حديث (١٧١١) وابن ماجه (٢/٨٥٠) كتاب الحدود: باب من لا يجب عليه الحد حديث (٢٥٤٣) وأحمد (٢/١٧) من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه.

(٤) قال البيهقي في الدلائل (٣/٣٩٦): «فيحتمل أن ابن عمر كان قد طعن في الرابعة عشر يوم أحد فلم يجزه في القتال حين عرض عليه وكان قد استكمل خمس عشرة سنة وزاد عليها عام الخندق فأجازه حين عرض عليه إلا أنه نقل الخمس عشرة لتعلق الحكم بها دون الزيادة...» اهـ.

ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غَطَفَانَ من قيس عيلان، فدعوههم إلى حربه - عليه الصلاة والسلام - وخبروهم أنهم سيكونون معهم عليهم، وأن قريشاً قد بايعوهم على ذلك، واجتمعوا معهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عُيَيْنَةُ بن حصن في فَزَاةَ، والحارث بن عوف المري في مرة، وكانت عدتُهُم فيما ذكره ابن إسحاق عشرة آلاف، والمسلمون ثلاثة آلاف^(١)، وقيل غير ذلك.

وذكر ابن سعد: أنه كان مع المسلمين ست وثلاثون فرساً. ولما سمع رسول الله ﷺ بالأحزاب، وبما أجمعوا عليه من الأمر، ضرب على المسلمين الخندق، فعمل فيه - عليه الصلاة والسلام - ترغيباً للأجر، وعمل معه المسلمون، فدأب ودأبوا، وأبطأ على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين في عملهم ذلك ناسٌ من المنافقين، وجعلوا يورون بالضعف عن العمل.

وفي البخاري: عن سهل بن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ في الخندق، وهم يحفرون، ونحن ننقل التراب على أكتادنا، فقال رسول الله ﷺ:

اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَأَغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ
والأُكْتَاد - بالمشاة الفوقية - : جمع كَتَد، بفتح أوله وكسر المشاة، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر، وفي بعض نسخ البخاري: أكبادنا بموحدة، وهو موجه على أن يكون المراد به ما يلي الكبد من الجنب^(٢).

وفي البخاري - أيضاً - عن أنس: فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من التعب والجوع قال:
اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَأَغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ
فقالوا مجيبين له: [من الرجز]

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا^(٣)

(١) ينظر سيرة ابن هشام (١٦٧/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٩٧)، (٣٠٩٨)، (٦٤١٤) ومسلم في صحيحه (١٨٠٤) والنسائي في فضائل الصحابة رقم (٢٠٧) وأحمد (٣٣٢/٥) من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد ... به.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٣٤) وأطرافه في (٢٨٣٥، ٢٩٦١، ٣٧٩٥، ٤٠٩٩، ٤١٠٠، ٦٤١٣، ٧٢٠١) ومسلم (١٨٠٥) والترمذي (٣٨٥٧) والنسائي في فضائل الصحابة =

قال ابن بطال: وقوله: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» هو من قول ابن رَوَاحَةَ
تمثل به - عليه الصلاة والسلام - وعند الحارث بن أبي أسامة من مرسل طاوس
زيادة في آخر الرجز: [من الرجز]

وَالْعَنَ إِلَهِي عُضْلًا وَالْقَارَةَ هُمْ كَلَّفُونَا ثِقْلَ الْحَجَارَةِ
وفي البخاري من حديث البراء قال: لما كان يوم الأحزاب، وخندق ﷺ، رأيت
ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعت
يرتجز بشعر ابن رَوَاحَةَ وهو ينقل التراب ويقول: [من الرجز]

اللهم لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا
وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا

قال: يمد بها صوته. وفي رواية له أيضًا:

إِنَّ الْأَلَى قَدْ بَغَّوْا عَلَيْنَا
إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا^(١)

وفي حديث سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، أنه ﷺ حين ضرب في
الخندق، قال:

بِسْمِ الْإِلَهِ وَبِهِ بَدِينَا
وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا
حَبْذًا رَبًّا وَحَبْذًا دِينًا^(٢)

قال في «النهاية»: يقال: بَدَيْتَ بِالشَّيْءِ - بكسر الدال - أى: ابتدأت به، فلما

= (٢٠٩ - ٢١٣) وأحمد في مسنده (١٦٩/٣، ١٧٠، ١٨٧، ٢٠٥، ١٦، ٢٧٦، ٢٨٨)
من طرق عن أنس به بألفاظ متقاربة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨٣٧) وأطرافه في (٢٨٣٦، ٣٠٣٤، ٤١٠٤، ٤١٠٦،
٦٦٢٠، ٧٢٣٦) ومسلم (١٨٠٣) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٨٧٥)
وفي عمل اليوم والليلة (٥٣٣) وأحمد (٢٨٢/٤، ٢٨٥، ٢٩١).

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٤١٤/٣) من طريق زياد بن زياد عن أبي عثمان عن سلمان أن
النبي صلى الله عليه وسلم ضرب في الخندق وقال: باسم الله وبه هدينا ولو عبدنا غيره
شقيننا. فأحب ربنا وأحب ديننا).

خففت الهمزة كُسِرَت الدال فانقلبت الهمزة ياءً، وليست من بنات الياء^(١)، انتهى.

وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام نبوته - عليه الصلاة والسلام -.

منها: ما في الصحيح عن جابر، قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة - وهي بضم الكاف وتقديم الدال المهملة على التحتانية، وهي: القطعة الصلبة - فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقام وبطنه مشدود بحجر، ولنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب، فعاد كثيرًا أهيل، أو: أهيم؛ كذا بالشك من الراوى^(٢).

وفى رواية الإسماعيلي باللام من غير شك^(٣).

والمعنى: أنه صار رملاً يسيل فلا يتماسك، وأهيم: بمعنى أهيل، وقد قيل في قوله: ﴿فَشَرُّوْنَ شُرَبَ الْيَمْرِ﴾ [الواقعة: ٥٥] المراد: الرمال التي لا يرويه الماء.

وقد وقع عند أحمد والنسائي، في هذه القصة، زيادة بإسناد حسن، من حديث البراء قال: لما أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكيها ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء فأخذ المعول فقال: «باسم الله»، فضرب ضربة فنثر ثلثها، وقال: «الله أكبر! أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة!» ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر، فقال: «الله أكبر! أعطيت مفاتيح فارس، وإني والله لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن» ثم ضرب الثالثة فقال: «باسم الله»، فقطع بقية الحجر فقال: «الله أكبر! أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة!»^(٤).

ومن أعلام نبوته ﷺ: ما ثبت في الصحيح في حديث جابر، من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق؛ كما سيأتى، إن شاء الله تعالى.

وقد وقع عند موسى بن عقبة، أنهم أقاموا في عمل الخندق قريبًا من عشرين

(١) النهاية لابن الأثير (١/١٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٠١).

(٣) ينظر فتح الباري (٨/١٥٣).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠٣/٤) والنسائي في الكبرى (٥/٢٦٩ - ٢٧٠) رقم (٨٨٥٨) من طرق عن عوف عن ميمون عن البراء بن عازب به وحسن الحافظ إسناده في فتح الباري (٨/١٥٤).

ليلة، وعند الواقدي: أربعًا وعشرين، وفي «الروضة» للنووي: خمسة عشر يومًا، وفي «الهدى النبوي» لابن القيم: أقاموا شهرًا.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجمع السيول، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة، ونزل عيينة بن حصن في غطفان، ومن تبعهم من أهل نجد إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع، وكانوا ثلاثة آلاف رجل، وضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم؛ وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد بن عباد؛ وكان ﷺ يبعث الحرس إلى «المدينة» خوفًا على الذراري من بني قريظة.

قال ابن إسحاق: وخرج عدو الله حُيى بن أخطب، حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده، فأغلق كعب دونه باب حصنه، وأبى أن يفتح له، وقال: ويحك يا حبي، إنك امرؤ مشثوم، وإني قد عاهدتُ محمدًا؛ فلستُ بناقض ما بيني وبينه؛ فإني لم أر منه إلا وفاء وصدقًا. فقال: ويلك افتح! فلم يزل به حتى فتح له، فقال: يا كعب، جئتُك بعز الدهر، جئتُك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال، ومن دونهم غطفان، وقد عاهدوني على ألا يبرحوا؛ حتى يستأصلوا محمدًا ومن معه. فلم يزل به حتى نقض عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ^(١).

وعن عبد الله بن الزبير، قال: كنت يوم الأحزاب أنا وعمرو بن أبي سلمة، مع النساء في أطم حسان، فنظرتُ فإذا الزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف. قال: رأيتني يا بني؟ قلت: نعم. قال: كان رسول الله ﷺ قال: «من يأتي بني قريظة فيأتيهم بخبرهم»، فانطلقتُ، فلما رجعتُ جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: «فذاك أبي وأمي». أخرجه الشيخان^(٢)، وقال الترمذي: حديث حسن.

(١) ينظر: سيرة ابن هشام مختصرا (١٧٢/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٢٠) ومسلم (٢٤١٦) والترمذي (٣٧٤٣) وابن ماجه (١٢٣) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١) وفي فضائل الصحابة (١١٠، ١٠٩).

وفى رواية أصحاب المغازى: فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث سعد بن معاذ وسعد بن عباد، ومعهما ابن رواحة وخوات بن جبير؛ ليعرفوا الخبر، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم: نالوا من رسول الله ﷺ وتبرؤوا من عقده وعهده، ثم أقبل السعدان، ومن معه على رسول الله ﷺ وقالوا: عضل والقارة، أى: كخدرهما بأصحاب الرجيع، فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم؛ حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، وأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] الآيات، وقال رجال ممن معه: ﴿يَتَأَهَّلَ يَتَرَبَّ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الأحزاب: ١٣]، وقال أوس بن قيطى: إن بيوتنا عورة من العدو؛ فأذن لنا نرجع إلى ديارنا فإنها خارج المدينة^(١).

قال ابن عائد: وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس له؛ ليوثبه الخندق، فوقع فى الخندق فقتله الله، وكبر ذلك على المشركين، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: إنا نعطيكم الدية على أن تدفعوه إلينا فدفنوه، فرد إليهم ﷺ: «إنه خبيث الدية فلعنه الله ولعن دينه ولا نمنعكم أن تدفنوه، ولا أرب لنا فى دينه»^(٢). وأقام - عليه الصلاة والسلام - والمسلمون، وعدوهم يحاصروهم، ولم يكن بينهم قتال؛ إلا مراماة بالنبل؛ لكن كان عمرو بن عبد ود العامرى اقتحم هو ونفر معه، بخيولهم من ناحية ضيقة من الخندق، حتى صاروا بالسبخة، فبارزه على فقتله، وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير، وقيل: قتله على^(٣)، ورجعت بقية الخيول منهزمة، ورُمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكل وهو - بفتح الهمزة والمهملة، بينهما كاف ساكنة - عِرْقٌ فى وسط الذراع؛ قال الخليل: هو عرق الحياة، يقال: إن فى كل عضو منه شعبة، فهو فى اليد: الأكل، وفى الظهر: الأبر، وفى الفخذ: النسا؛ إذا قطع لم يرق الدم. وكان الذى رَمَى سعداً ابنُ العرق

(١) ينظر سيرة ابن هشام (١٧٣/٣) وتاريخ الإسلام للذهبي (ص ٢٨٨ - ٢٨٩ - مغازي) وينظر أيضاً دلائل النبوة للبيهقي (٤٣٠/٣).

(٢) أخرجه البيهقي فى الدلائل (٤٣٧/٣) ونقله ابن كثير فى البداية والنهاية (١٢٣/٤).

(٣) راجع مقتل عمرو بن عبد ود فى سيرة ابن هشام (١٧٦/٣)، ودلائل النبوة (٤٣٧/٣) - (٤٣٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (ص ٢٩٠ - مغازي) والبدية والنهاية (١٢١/٤ - ١٢٢).

أحد بنى عامر بن لؤى، قال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرق الله وجهك فى النار. ثم قال سعد: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش فأبقنى لها؛ فإنى لا قَوْمَ أحب إلى أن أجاهد، من قوم آذوا رسولك وكذبوه [وأخرجوه] (١).

وأقام - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه بضعة عشرة ليلة، فمشى نعيم بن مسعود الأشجعى وهو مخف إسلامه، فنبط قومًا عن قوم، وأوقع بينهم شرًا؛ لقوله له - عليه الصلاة والسلام - : «الحرب خدعة» فاختلفت كلمتهم.

وروى الحاكم عن حذيفة، قال: لقد رأيتنا - ليلة الأحزاب - وأبو سفيان ومن معه من قومنا وقريظة أسفل منا، نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة أشد ظلمة ولا ريحا منها، فجعل المنافقون يستأذنون، ويقولون: بيوتنا عورة؛ فمر بى النبی ﷺ وأنا جاث على ركبتى، ولم يبق معه إلا ثلاثمائة فقال: «اذهب فَأَتْنِي بخبر القوم». قال: فدعنا لى؛ فأذهب الله عنى القر والفرع، فدخلت عسكرهم، فإذا الريح فيه تجاوز شبرا، فلما رجعت رأيت فوارس فى طريقى، فقالوا: أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم.

وفى رواية: أن حذيفة لما أرسله - عليه الصلاة والسلام - ليأتيه بالخبر، سمع أبا سفيان يقول: يا معشر قريش، إنكم - والله - ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الخف والكراع، واختلفنا وبنو قريظة، ولقينا من هذه الريح ما ترون؛ فارتحلوا فإنى مرتحل، ووئب على جملة، فما حل عقال يده إلا وهو قائم (٢).

(١) روى ابن إسحاق قصة مقتل سعد كما فى سيرة ابن هشام (٣/١٧٧) حدثني أبو ليلى عبد الله ابن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري أخو بني حارثة: أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من أحرز حصون المدينة قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن، فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب: فمر سعد وعليه درع له مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفى يده حربته يرفل بها ويقول:

لَبْتُ قَلِيلًا يشهد الهيجا جمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

قال: فقالت له أمه: الحق أي بني فقد والله أخت... القصة وعنه نقلها الذهبي فى تاريخ الإسلام (ص ٢٩١ - مغازي)، وابن كثير فى البداية والنهاية (٤/١٢٣ - ١٢٤).

(٢) أخرجه البيهقي فى دلائل النبوة (٣/٤٥١ - ٤٥٢) عن الحاكم به ولم أقف عليه فى المستدرک بهذا اللفظ وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (٤/١٣١) وعزاه إلى الحاكم والبيهقي فى الدلائل ورواه ابن إسحاق فى السيرة (٣/١٨٢) حدثني يزيد بن زياد عن محمد =

ووقع فى البخارى: أنه - عليه الصلاة والسلام - قال يوم الأحزاب: «من يأتينا بخبر القوم» فقال الزبير: أنا. ثم قال: «من يأتينا بخبر القوم؟» فقال الزبير: أنا؛ قالها ثلاثاً^(١).

وقد أشكل ذكر الزبير فى هذه، فقال ابن الملقن: وقع هنا أن الزبير هو الذى ذهب، والمشهور: أنه حذيفة بن اليمان.

قال الحافظ ابن حجر: هذا الحصر مردود؛ فإن القصة التى ذهب [الزبير] لكشفها، غير القصة التى ذهب حذيفة لكشفها؛ فقصة الزبير كانت لكشف بنى قريظة، هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين، ووافقوا قريشاً على محاربة المسلمين؟ وقصة حذيفة كانت لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق، وتمالأت عليه الطوائف، ثم وقع بين الأحزاب الاختلاف، وحذرت كل طائفة من الأخرى، وأرسل الله عليهم الريح واشتد البرد تلك الليلة فانتدب - عليه الصلاة والسلام - من يأتيه بخبر قريش؛ فانتدب له حذيفة بعد تكراره طلب ذلك، وقصته فى ذلك مشهورة، لما دخل بين قريش فى الليل وعرف قصتهم^(٢).

وفى البخارى، من حديث عبد الله بن أبى أوفى، قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب، فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»^(٣).

وروى أحمد عن أبى سعيد، قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله، هل من شيء نقوله؛ فقد بلغت القلوب منا الحناجر؟ قال: نعم «اللهم استر عوراتنا، وآمن

= بن كعب القرظي قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان . . . فذكره، ومن طريق ابن إسحاق رواه الطبري فى تاريخه (٢/ ٥٧٩ - ٥٨٠)، ونقله أيضاً الذهبى فى تاريخ الإسلام (ص ٢٩٥ - مغازي) عن ابن إسحاق وقصة حذيفة هذه رواها أيضاً الحاكم (٣/ ٣١) والبيهقي فى الدلائل (٣/ ٤٥٠ - ٤٥١) من طريق بلال العبسي عن حذيفة به .

(١) أخرجه البخاري فى صحيحه (٤١١٣).

(٢) ينظر فتح الباري (٨/ ١٦٧).

(٣) أخرجه البخاري فى صحيحه (٢٩٣٣)، (٢٩٦٥)، (٣٠٢٥)، (٤١١٥)، (٦٣٩٢)،

(٧٤٨٩) ومسلم (٢١، ٢٢/ ١٧٤٢)، والترمذي (١٦٧٨)، والنسائي فى عمل اليوم والليلة

(٦٠٢) وابن ماجه (٢٧٩٦) وابن خزيمة (٢٧٧٥) من طريق إسماعيل بن أبى خالد عن

عبد الله بن أبى أوفى به .

روعاتنا» قال: وضرب الله وجوه أعدائنا بالريح^(١).

وفى «ينبوع الحياة» لابن ظفر: قيل: إنه ﷺ دعا فقال: «يا صريخ المكروبين، يا مجيب المضطرين، اكشف همى وغمى وكربى، فإنك ترى ما نزل بى وبأصحابى». فأتاه جبريل فبشره بأن الله يرسل عليهم ريحا وجنودا، فأعلم أصحابه ورفع يديه قائلاً: «شكراً شكراً». وهبت ريح الصبا ليلاً، فقلعت الأوتاد، وألقت عليهم الأبنية، وكفأت القدور، وسفت عليهم التراب، ورمتهم بالحصباء، وسمعوا فى أرجاء عسكرهم التكبير وقعقة السلاح؛ فارتحلوا هرباً فى ليلتهم، وتركوا ما استقلوه من متاعهم؛ قال: فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا...﴾ [الأحزاب: ٩].

وفى البخارى: عن على، أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق: «ملا الله بيوتهم وقبورهم نازاً؛ كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»^(٢) ومقتضى هذا: أنه استمر اشتغاله بقتال المشركين حتى غابت الشمس. ويعارضه ما فى «صحيح مسلم» عن ابن مسعود، أنه قال: حبس المشركون

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٣/٣) حدثنا أبو عامر حدثنا الزبير بن عبد الله حدثني ربيع بن أبي سعيد عن أبيه به قال الهيثمي فى مجمع الزوائد (١٠/١٣٩): رواه أحمد والبخاري وإسناد البخاري متصل ورجاله ثقات وكذلك رجال أحمد إلا أن فى نسختي من المسند عن ربيع بن أبي سعيد عن أبيه وهو فى البخاري (٦/١٢٤) فى الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة (٢٩٣١)، (٧/٤٦٧) فى المغازي، باب غزوة الخندق (١١١/٤)، (٨/٤٣) فى التفسير، باب ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ (٤٥٣٣)، (١١/١٩٧) فى الدعوات، باب الدعاء على المشركين (٦٣٩٦) ومسلم فى المساجد، باب التغليظ فى نفوت صلاة العصر (٦٢٧)، وأبو داود (١/١٦٥) فى الصلاة، باب فى وقت صلاة العصر (٤٠٩)، والدارمي (١/٢٨٠) فى الصلاة، باب فى الصلاة الوسطى، وأبو يعلى (٣٨٥) عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق: «شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس ملا الله بيوتهم وقبورهم نازاً» وكذا أخرجه أحمد (١٢٢/١٤٤). وأخرجه مسلم فى المساجد، باب الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر (٢٠٣/٦٢٧)، والترمذي (٥/٢٠٢) فى التفسير، باب «ومن سورة البقرة» (٢٩٨٤)، والنسائي (١/٢٣٦) فى الصلاة، باب المحافظة على صلاة العصر، وأحمد (١/٧٩، ١٣٥، ١٣٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤)، وأبو يعلى (٣٨٤) عن قتادة عن أبي حسان الأعرج عن عبيدة السلماني عن على... وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

رسول الله ﷺ عن صلاة العصر، حتى احمرت الشمس أو اصفرت، فقال رسول الله ﷺ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى...»^(١) الحديث. ومقتضى هذا: أنه لم يخرج الوقت بالكلية.

قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد - مشيراً إلى الجمع بين ما في «البخارى» وما في «مسلم» -: فلا تعارض، الحبس انتهى ذلك الوقت إلى الحمرة ولم تقع الصلاة إلا بعد المغرب، انتهى.

وفى البخارى: عن عمر بن الخطاب، أنه جاء يوم الخندق بعدما [غربت الشمس، فجعل يسب كفار قريش، وقال: ما كدتُ أصلى العصر حتى] كادت الشمس تغرب، فقال رسول الله ﷺ: «والله ما صليتها». فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب^(٢)، وقد يكون ذلك للاشتغال بأسباب الصلاة وغيرها.

ومقتضى هذه الرواية المشهورة: أنه لم يفت غير العصر، وفى «الموطأ»: الظهر والعصر، وفى «الترمذى» عن ابن مسعود: أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق، وقال: ليس بإسناده بأس؛ إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله^(٣)، فمال ابن العربى إلى الترجيح وقال: الصحيح أن التى اشتغل عنها ﷺ

(١) أخرجه مسلم (٤٣٧/١) كتاب المساجد باب التغليظ في تفويت صلاة العصر (٦٢٨)، والترمذى (٣٤٠/١) في أبواب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الوسطى أنها العصر (١٨١)، وفي التفسير (٢٠٣/٢) باب «ومن سورة البقرة» (٢٩٨٥)، وابن ماجه (٦٨٦)، وأحمد (١/٣٩٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٥٦)، والطيالسي (٧١/١) برقم (٢٨٠)، وأبو يعلى (٥٠٤٤)، والبيهقى (٩/٤٦٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٧٥)، وابن حبان (١٧٣٧) عن محمد بن طلحة عن زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى اصفرت الشمس - أو احمرت - فقال: «شغلونا عن صلاة الوسطى ملاء الله أجوافهم وقبورهم نارا»، أو حشا الله أجوافهم وقبورهم نارا» وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. وله طريق آخر عن ابن مسعود عند الخطيب في تاريخ بغداد (٦٦/١٤).

(٢) أخرجه البخارى رقم (٤١١٢).

(٣) أخرجه أحمد (١/٣٧٥)، والترمذى (١١٥/١) كتاب الصلاة، باب الرجل تفوته الصلوات، الحديث (١٧٩)، (١٧/٢)، كتاب الأذان، باب الاجتزاء للفائت من الصلوات بأذان واحد، والبيهقى (١/٤٠٣)، كتاب الصلاة، باب الأذان والإقامة للجمع بين الصلوات الفائتات، من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب من الليل ما شاء، فأمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر، ثم =

واحدة، وهى العصر.

وقال النووي: طريق الجمع بين هذه الروايات: أن وقعة الخندق بقيت أيامًا، فكان هذا فى بعض الأيام وهذا فى بعضها.

قال: وأما تأخيره - عليه الصلاة والسلام - صلاة العصر حتى غربت الشمس، فكان قبل نزول صلاة الخوف.

قال العلماء: يحتمل أنه أخرها نسيانًا لا عمدًا؛ وكان السبب فى النسيان الاشتغال بأمر العدو. ويحتمل أنه أخرها عمدًا للاشتغال بالعدو؛ فكان هذا عذرًا فى تأخير الصلاة قبل نزول صلاة الخوف، وأما اليوم فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها بسبب العدو والقتال؛ بل يصلى صلاة الخوف على حسب الحال.

وقد اختلف فى المراد بالصلاة الوسطى، وجمع الحافظ الدمياطى فى ذلك مؤلفًا مفرّدًا سماه «كشف المغطى، عن الصلاة الوسطى» فبلغ تسعة عشر قولاً، وهى: الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، أو جميع الصلوات - وهو يتناول الفرائض والنوافل، واختاره ابن عبد البر - والجمعة - وصححه القاضى حسين فى صلاة الخوف من تعليقته - والظهر فى الأيام والجمعة يوم الجمعة، والعشاء؛ لأنها بين صلاتين لا تقصران، والصبح والعشاء، أو الصبح والعصر؛ لقوة الأدلة: فظاهر القرآن: الصُّبْح، ونص السنة: العصر، وصلاة الجماعة، أو الوتر وصلاة الخوف، أو صلاة عيد الأضحى، أو الفطر، أو صلاة الضحى، أو واحدة من الخمس غير معينة، أو الصبح أو العصر على التردد، وهو غير القول السابق، أو التوفيق، انتهى.

= أقام فصلى العصر ثم أقام فصلى المغرب ثم أقام فصلى العشاء. وقال الترمذى: حديث عبد الله ليس بإسناده بأس إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله. اه. وللحديث طريق آخر عن ابن مسعود أيضًا أخرجه أبو يعلى (٣٩/٥) رقم (٢٦٢٨) من طريق يحيى بن أبي أنيسة عن زبيد الأيامي عن أبي عبد الرحمن السلمى عن عبد الله بن مسعود قال: شغل المشركون رسول الله ﷺ عن الصلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى ذهب ساعة من الليل ثم أمر رسول الله ﷺ بلالا فأذن وأقام ثم صلى الظهر ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء. والحديث ذكره الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٧/٢) وقال: رواه أبو يعلى وفيه يحيى بن أبي أنيسة وهو ضعيف عند أهل الحديث إلا أن ابن عدي قال: وهو مع ضعفه يكتب حديثه. اه. ويحيى روى له الترمذى وقال الحافظ فى «التقريب» (٣٤٣/٢): ضعيف.

وانصرف ﷺ من غزوة الخندق، يوم الأربعاء، لسبع ليال بقين من ذى القعدة، وكان قد أقام بالخندق خمسة عشر يومًا، وقيل: أربعة وعشرين يومًا، وقال - عليه الصلاة والسلام - : «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا» وفي ذلك علم من أعلام النبوة؛ فإنه - عليه الصلاة والسلام - اعتمر في السنة السادسة فصدته قريش عن البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها، وكان ذلك سبب فتح مكة، فوقع الأمر كما قال - عليه الصلاة والسلام - وسيأتى ذلك، إن شاء الله تعالى.

وقد أخرج البزار من حديث جابر، بإسناد حسن، شاهدًا لهذا، ولفظه: «أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب - وقد جمعوا له جموعًا كثيرة - : «لا يغزونكم بعدها أبدًا، ولكن أنتم تغزونهم»^(١).

ولما دخل ﷺ «المدينة» يوم الأربعاء هو وأصحابه، ووضعوا السلاح، جاءه جبريل - عليه السلام - معتمرًا بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها قطيفة ديباج، وفي البخاري، من حديث عائشة: أنه لما رجع ﷺ ووضع السلاح، اغتسل، وأتاه جبريل، فقال: «قد وضعت السلاح؟! والله ما وضعناه؛ اخرج إليهم» وأشار إلى بني قريظة^(٢).

وعند ابن إسحاق: «إن الله يأمرك، يا محمد، بالمسير إلى بني قريظة، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم»، فأمر رسول الله ﷺ مؤذنا فأذن في الناس: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة^(٣).

وعند ابن عائد: «قم فشد عليك سلاحك؛ فوالله لأدقنهم دق البيض على الصفا». وبعث يومئذ مناديا ينادى: يا خيل الله، اركبي.

-
- (١) أخرجه البزار في مسنده كما في كشف الأستار (١٨١٠) حدثنا محمد بن عمر بن هياج ثنا يحيى بن عبد الرحمن الأرحبي ثنا عبيدة بن الأسود عن مجالد عن عامر عن جابر بن عبد الله به قال البزار: قد اختلفوا في إسناده فرواه زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي عن الحارث بن البرصاء وقال: مجالد عن الشعبي عن جابر ولا نعلم أحدا رواه عن جابر إلا عبيدة والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٢/٦) وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات». اهـ.
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤١١٧) (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩)، وأبو داود (٣١٠١)، والنسائي (٤٥/٢)، وأحمد في مسنده (١٣١، ٥٦/٦)، وعبد بن حميد (١٤٨٨).
- (٣) ينظر سيرة ابن هشام (١٨٣/٣-١٨٤)، ورواه ابن جرير الطبري في تاريخه (٥٨١/٢) بإسناده إلى ابن إسحاق وقد نقله ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية (١٣٣/٤-١٣٤).

وعند الحاكم والبيهقي: وبعث عليا على المقدمة، وخرج ﷺ في أثره^(١).
وعند ابن سعد^(٢): ثم سار إليهم في المسلمين، وهم ثلاثة آلاف، والخيل ستة وثلاثون فرسا. قال: وذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، واستعمل على «المدينة» ابن أم مكتوم، على ما قاله ابن هشام، ونزل - عليه الصلاة والسلام - على بئر من آبار بني قريظة، وتلاحق به الناس، فأتى رجال بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر؛ لقوله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»^(٣) فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله تعالى بذلك ولا عنفهم به رسول الله ﷺ.

وفي البخاري، عن ابن عمر: أدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: «لا نصلي حتى نأتيها»، وقال بعضهم: «بل نصلي، لم يرد منا ذلك». فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم.

كذا وقع في جميع النسخ من البخاري أنها العَصْرُ، واتفق جميع أهل المغازي، ووقع في مسلم أنها الظُّهْرُ، مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد؛ ووافق مسلما أبو يعلى وآخرون^(٤).

وجمع بين الروایتين: باحتمال أن يكون بعضهم - قبل الأمر - كان صلى الظهر

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٤/٤) عن الحاكم به وفيه «... فرجع رسول الله ﷺ فلبس لأمته وأذن بالخروج وأمرهم أن يأخذوا السلاح ففزع الناس للحرب فبعث على بن أبي طالب - رضي الله عنه - على المقدمة ودفع إليه اللواء وأمره أن ينطلق حتى يقف بهم إلى حصن بني قريظة ففعل وخرج رسول الله ﷺ على آثارهم ...» وقد أشار إليه ابن كثير في البداية والنهاية (١٣٧/٤).

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد (٥٧/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦/٢) في الخوف باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء (٩٤٦)، (٤٧١/٧) في المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (٤١١٩)، ومسلم (١٣٩١/٣) في الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو (١٧٧٠/٦٩)، والبيهقي في السنن (١١٩/١٠)، وفي الدلائل (٧/٤)، والبيهقي (١٣٤/٧) برقم (٣٦٩٢) عن عبد الله بن محمد بن أسماء نا جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم: بل نصلي؛ لم يرد منا ذلك. فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم. واللفظ للبخاري أما عند الآخرين: أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة.

(٤) ينظر: الفتح (٤٧١-٤٧٢).

وبعضهم لم يصلها، فقليل لمن لم يصلها: لا يصلين أحد الظهر، ولمن صلاها: لا يصلين أحد العصر.

وجمع بعضهم: باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة، فقليل للطائفة الأولى: الظهر للطائفة التي بعدها: العصر، والله أعلم.

قال ابن إسحاق: وحاصروهم - عليه الصلاة والسلام - خمساً وعشرين ليلة، حتى أجهدهم الحصار^(١) وعند ابن سعد: خمس عشرة^(٢)، وعند ابن عتبة: بضع عشرة ليلة^(٣) - وقذف الله في قلوبهم الرعب، فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا، فقال لهم: «يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنى أعرض إليكم خلافاً ثلاثاً؛ فخذوا أيها شتمتم»، قالوا: «وما هي؟» قال: «نبأى هذا الرجل ونصده؛ فوالله لقد تبين أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم» فأبوا.

قال: «فإذا أبيتم على هذه، فهلمّ نقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف، لم نترك وراءنا ثقيلاً؛ حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ما نخشى عليه». فقالوا: «أى عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟!».

قال: «فإن أبيتم على هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب [من] محمد وأصحابه غرة». قالوا: «نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا، إلا من علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ؟!».

وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: «أن ابعث إلينا أبا لبابة - وهو رفاة بن عبد المنذر - نستشره في أمرنا»؛ فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان ليكون في وجهه، فرق لهم وقالوا: «يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟» قال: «نعم». وأشار بيده أنه الذبيح.

(١) ينظر: السيرة (١٨٦/٣).

(٢) ينظر: الطبقات (٥٧/٢).

(٣) نقل ذلك عنه اليهودي في الدلائل (١٣/٤).

قال أبو لبابة: فوالله «ما زالت قدماى من مكانهما، حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله!».

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، فلم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمدته، وقال: «لا أبرح من مكانى هذا، حتى يتوب الله علىّ مما صنعت». وعاهد الله: «ألا يطأ بنى قريظة أبداً، ولا أرى فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً».

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره - وكان قد استبطأه - قال: «أما لو جاءنى لاستغفرت له، وأما إذ فعل ما فعل، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه». قال: وأقام أبو لبابة^(١).

وقال أبو عمر: وروى وهب، عن مالك، عن عبد الله بن أبى بكر: أن أبا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة، حتى ذهب سمعه فكاد لا يسمع، وكاد يذهب بصره، وكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة، أو أراد أن يذهب لحاله؛ فإذا فرغ أعادته.

وعن عبد الله بن قسط أن توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله ﷺ وهو فى بيت أم سلمة، قالت أم سلمة: فسمعتُ رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك، قالت: فقلت: «مّمّ تضحك، أضحك الله سنك؟! قال: «تيب على أبى لبابة». قالت: «أفلا أبشره، يا رسول الله؟! قال: «بلى، إن شئت». قال: فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يضرب الحجاب - فقالت: «يا أبا لبابة، أبشر! فقد تاب الله عليك». قالت: «فثار الناس إليه ليطلقوه» فقال: «لا والله، حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنى بيده». فلما مر عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه^(٢).

وروى البيهقى فى دلائله، بسنده عن مجاهد، فى قوله تعالى: ﴿اعْتَرَفُوا

(١) ينظر: سيرة ابن هشام (٣/١٨٦-١٨٧)، والبداية والنهاية (٤/١٣٨).

(٢) رواه ابن إسحاق فى السيرة (٣/١٨٧-١٨٨) حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط به ومن طريقه أخرجه ابن جرير الطبري فى تاريخه (٢/٥٨٥) والبيهقى فى الدلائل (٤/١٧) وعن ابن إسحاق نقله أيضاً الذهبي فى تاريخ الإسلام (٣١٣-مغازي) وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (٤/١٣٨)، ونقله أيضاً الصالحى فى سبل الهدى (٥/٩-بتحقيقنا) وينظر الاستيعاب لابن عبد البر (٤/٣٠٤).

يَذُوبُهُمْ... ﴿[التوبة: ١٠٢] قال: هو أبو لبابة؛ إذ قال لقريظة ما قال، وأشار إلى حلقه بأن محمداً يذبح إن نزلتم على حكمه.

وقد روينا عن ابن عباس، ما دل على أن ارتباطه بسارية المسجد، كان بتخلفه عن غزوة تبوك - كما قال ابن المسيب - قال: وفى ذلك نزلت هذه الآية^(١).

ولما اشتد الحصار بينى قريظة أذعنوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فحكم فيهم سعد بن معاذ، وكان قد جعله فى خيمة فى المسجد الشريف لامرأة من أسلم، يقال لها: ربيعة، وكانت تداوى الجرحى، فلما حكمه أتاها قومُه فحملوه على حمارة وقد وطئوا له بوسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين قال - عليه الصلاة والسلام - «قوموا إلى سيدكم». فأما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار، وأما الأنصار فيقولون: عم بها رسول الله ﷺ المسلمين، فقالوا: إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم. فقال سعد: «فإنى أحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذرارى والنساء»؛ فقال - عليه الصلاة والسلام - : «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»^(٢). والرقيع: السماء، سميت بذلك؛ لأنها رُقعت بالنجوم.

ووقع فى البخارى قال: «قضيت فيهم بحكم الله». وربما قال: «بحكم المليك» بكسر اللام.

وفى رواية محمد بن صالح: «لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذى حكم به من فوق سبع سموات».

وفى حديث جابر، عن ابن عائذ فقال: «احكم فيهم يا سعد». فقال: «الله

(١) ينظر: البيهقي فى الدلائل (٢٧١/٥)، وينظر أيضاً الاستيعاب (٣٠٤/٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٩١/٦)، كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل، رقم (٣٠٤٣)، ومسلم (١٣٨٩/٣)، كتاب: الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم رقم (١٧٦٨)، وأحمد (٣/٢٢-٧١)، وأبو داود فى السنن (٧٧٦/٢) كتاب: الأدب، باب ما جاء فى القيام رقم (٥٢١٦-٥٢١٥)، وابن حبان (٤٩٦/١٥) كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة باب ذكر سعد بن معاذ الأنصاري رقم (٧٠٢٦).

ورسوله أحق بالحكم». قال: «قد أمرك الله أن تحكم فيهم»^(١). وفي هذه القصة جواز الاجتهاد في زمنه ﷺ، وهى مسألة اختلف فيها أهل أصول الفقه، والمختار: الجواز، سواء كان في حضرته أم لا؛ وإنما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع إمكان القطع، ولا يضر ذلك؛ لأنه بالتقرير يصير قطعياً؛ وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته ﷺ؛ كما في هذه القصة وغيرها. وانصرف ﷺ يوم الخميس لسبع ليال - كما قاله الدمياطى أو لخمس، كما قاله مغلطاي - خلون من ذى الحجة.

وأمر - عليه الصلاة والسلام - بنى قريظة فأدخلوا «المدينة»، وحفر لهم أخدود في السوق، وجلس - ﷺ - ومعه أصحابه، وأخرجوا إليه فضربت أعناقهم، فكانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة.

وقال السهيلي: المكثّر يقول: إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة^(٢). وفي حديث جابر، عند الترمذى والنسائى وابن حبان، بإسناد صحيح: إنهم كانوا أربعمائة مقاتل، فيحتمل - في طريق الجمع - أن يقال: إن الباقي كانوا أتباعاً، واصطفى ﷺ لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها، وقيل: كان يطؤها بملك اليمين، وأمر بالغنائم فجمعت، فأخرج الخمس من المتاع والسبي، ثم أمر بالباقي فبيع ممن يريده، وقسمه بين المسلمين؛ فكانت على ثلاثة آلاف واثنتين وسبعين سهماً، للفرس سهمان، ولصاحبه سهم، وصار الخمس إلى محمية بن جزء الزبيدي، فكان النبى ﷺ يعتق منه ويهب ويخدم منه من أراد، وكذلك بما صار إليه من الرثة، وهو: السقط من المتاع.

وانفجر جرحُ سعد بن معاذ، فمات شهيداً. وفي البخارى: أنه دعا: «اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك، من قوم كذبوا رسولك، اللهم إني

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦٣/٥)، كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن معاذ حديث (٨٢٢٣)، والبيهقي (٦٣/٩) كتاب السير: باب ما يفعله بذراري من ظهر عليه، من طريق محمد بن صالح التمار عن سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن سعد ابن معاذ حكم على بني قريظة أن يقتل منهم كل من جرى عليه المواسى وأن تقسم أموالهم وذرائعهم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لقد حكم اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات».

(٢) ينظر: الروض الأنف (٣/٢٧٠)، وهناك القول لابن إسحاق في السيرة.

أظن أنك قد وضعت الحرب، فافجرها واجعل موتى فيها، فانفجرت من ليلته، فلم يرعهم إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: «يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا جرح سعد يغذو - أى: يسيل، يقال غذا الجرح: إذا سال ما فيه دما - فمات منها^(١)».

وقد كان ظنُّ سعد مصيبا، ودعاؤه في هذه القصة مجابا؛ وذلك أنه لم يقع بين المسلمين وبين قريش - من بعد وقعة الخندق حربٌ يكون ابتداء القصد فيها من المشركين؛ فإنه ﷺ تجهز إلى العمرة فصدوه عن دخول «مكة»، وكاد الحرب أن يقع بينهم، فلم يقع؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]. ثم وقعت الهدنة واعتمر - عليه الصلاة والسلام - من قابل، واستمر ذلك إلى أن نقضوا العهد، فتوجه إليهم غازيا ففتحت «مكة» فعلى هذا فالمراد بقوله: «أظن أنك قد وضعت الحرب» أى: لن يقصدونا محاربين، وهو كقوله - عليه الصلاة والسلام - : «تغزونهم ولا يغزونكم» كما تقدم.

وقد بين سبب انفجار جرح سعد، في مرسل حميد بن هلال عند ابن سعد، ولفظه: أنه مرت به عنز وهو مضطجع، فأصاب ظلفها موضع النحر، فانفجرت حتى مات^(٢). وحضر جنازته سبعون ألف ملك، واهتز لموته عرش الرحمن؛ رواه الشيخان^(٣).

قال النووي: اختلف العلماء في تأويله، فقالت طائفة: هو على ظاهره، واهتزاز العرش: تحركه فرحا بقدوم روح سعد، وجعل الله تعالى في العرش تمييزا حصل به هذا، ولا مانع منه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وهذا القول هو ظاهر الحديث، وهو المختار.

قال المازري^(٤): قال بعضهم: وهو على حقيقته وإن العرش تحرك لموته؛ قال:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤١٢٢)، ومسلم في صحيحه رقم (١٧٦٩/٦٧).

(٢) تنظر وفاة سعد في الطبقات الكبرى (٣/٣٢٥-٣٢٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦)، وابن ماجه (١٥٨)، وأحمد (٣/٣١٦) من حديث جابر.

(٤) فى ط: الماوردي، وهو تصحيف، والمثبت من شرح النووي على مسلم

وهذا لا ينكر من جهة العقل؛ لأن العرش جسم من الأجسام؛ يقبل الحركة والسكون، قال: لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك؛ إلا أن يقال: إن الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته.

وقال آخرون: المراد بالاهتزاز: الاستبشار والقبول، ومثله قول العرب: فلان يهتز للمكارم، لا يريدون: اضطراب جسمه وحركته، وإنما يريدون: ارتياحه إليها وإقباله عليه.

قال الحربى: وهو كناية عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء، فيقولون: أظلمت لموت فلان الأرض، وقامت له القيامة.

وقال جماعة: المراد: اهتزاز سرير الجنائز، وهو النعش، وهذا القول باطل يردّه صريح الروايات التى ذكرها مسلم، والله أعلم، انتهى^(١).

وقيل: المراد باهتزاز العرش: اهتزاز حَمَلَة العرش، وصحح الترمذى من حديث أنس، قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ، قال المنافقون: ما أخف جنازته، فقال النبى ﷺ: «إن الملائكة كانت تحمله»^(٢).

وعن البراء قال: أهديت لرسول الله ﷺ حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال ﷺ: «أتعجبون من لين هذه؟ لَمَنَادِيلُ سعد بن معاذ فى الجنة خير منها وألين»^(٣). هذا لفظ رواية أبى نعيم فى مستخرجه على مسلم. والمناديل: جمع منديل - بكسر الميم فى المفرد - وهو معروف.

قال العلماء: هذه إشارة إلى عظم منزلة سعد فى الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه؛ لأن المنديل أدنى الثياب؛ لأنه معد للوسخ والامتهان، فغيره أفضل منه، انتهى. وأخرج ابن سعد وأبو نعيم، من طريق محمد بن المنكدر، عن محمد بن شرحبيل بن حسنة، قال: قبض إنسان يومئذ من تراب قبره قبضة، فذهب بها، ثم

(١) ينظر شرح النووي (٢٦١/٨)، والروض الأنف (٣/٢٨٥، ٢٨٦).

(٢) أخرجه الترمذى (٣٨٤٩)، وعبد بن حميد (متنخب ١١٩٥) من طريق عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس به.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (٣٨٠٢)، ومسلم (٢٤٦٨)، والترمذى (٣٨٤٧)، والنسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف (١٨٥٠)، وأحمد (٤/٢٨٩، ٢٩٤، ٣٠١، ٣٠٢) من طرق عن أبى إسحاق به.

نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مسك. قال: فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله! سبحان الله! حتى عُرفَ ذلك في وجهه. فقال: «الحمد لله! لو كان أحد ناجيًا من ضمة القبر لنجا منها، ضُم ضَمَّةٌ ثم فرج الله عنه»^(١).

وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد، قال: كنت فيمن حفر لسعد قبره، فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا^(٢).

قال الحافظ مغلطاي، وغيره: في هذه السنة فُرِضَ الحج. وقيل: سنة ست، وصححه غير واحد، وهو قول الجمهور. وقيل: سنة سبع. وقيل: سنة ثمان، ورجحه جماعة من العلماء، وسيأتى البحث في ذلك، إن شاء الله تعالى.



(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٣٢٩) موقوفًا على محمد بن شرحبيل أن رجلًا أخذ قبضة من تراب قبر سعد يوم دفن ففتحها بعد فإذا هي مسك ولم أجد الحديث عند أبي نعيم في الحلية فقلعه في غيرها من مصنفات أبي نعيم - رحمه الله - وينظر البداية والنهاية (٤/١٤٧).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٣٢٩) أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني سعيد بن محمد ابن أبي زيد عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال: كنت أنا ممن حفر لسعد قبره بالبقيع وكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قبرة من تراب حتى انتهينا إلى اللحد. وربيح بن عبد الرحمن مقبول كما قال الحافظ في التقريب (١٨٩١) وأبوه ثقة كما في التقريب (٣٨٩٩)، لكن شيخ ابن سعد في هذا الإسناد هو الواقدي وهو متروك عند المحدثين.

حَوَادِثُ السَّنَةِ السَّادِسَةِ

فيها غزوة بنى لحيان فى ربيع الأول^(١)، انتهى فيها ﷺ إلى غَرَان - وادٍ عند عسفان - فى مائتى رجل فهربوا، فأقام يوماً أو يومين، يبعث السرايا لكل ناحية فلم يجدوا أحداً، فرجع للمدينة بعد تسعة عشر يوماً قائلاً: «آيئون تائبون لربنا حامدون».

وفى «المواهب»: لحيان؛ بكسر اللام وفتحها؛ لغتان - فى ربيع الأول سنة ست من الهجرة. وذكرها ابن إسحاق فى جمادى الأولى فى رأس ستة أشهر من قريظة. قال ابن حزم: الصحيح أنها فى الخامسة.

قالوا وَجَدَ رسول الله ﷺ على عاصم بن ثابت وأصحابه وَجداً شديداً، فأظهر أنه يريد «الشام»، وعسكر فى مائتى رجل، ومعهم عشرون فرساً، واستخلف على «المدينة» عبد الله بن أم مكتوم، ثم أسرع المسير؛ حتى انتهى إلى «بطن غران» - واد بين «أمج» و«عسفان» - وبينها وبين «عسفان» خمسة أميال، حيث مصاب أصحاب الرجيع الذين قتلوا بـ«بئر معونة»، فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت به بنو لحيان، فهربوا فى زءوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوماً أو يومين يبعث السرايا فى كل ناحية، ثم خرج؛ حتى أتى «عسفان»، فبعث أبا بكر فى عشرة فوارس؛ لتسمع به قريش فيذعرهم، فأتوا «كراع الغميم»، ثم رجعوا، ولم يلقوا أحداً، وانصرف ﷺ ولم يلق كيذاً؛ وهو يقول: «آيئون تائبون عابدون، لربنا حامدون».

وغاب عن «المدينة» أربع عشرة ليلة.

وقيل: سبع عشرة ليلة.

وفىها غزوة «الغابة»^(٢)؛ وهى غزوة «[ذى] قَرَدٍ» فى ربيع الأول فى خمسمائة؛

(١) ينظر عن الغزوة: مغازي الواقدي (٢/٥٣٥-٥٣٧)، وابن سعد فى الطبقات (٢/٦٠) وابن هشام فى السيرة (٣/٢٢٥) وابن جرير فى تاريخه (٢/٥٩٥)، والبيهقي فى الدلائل (٣/٣٦٤)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٤٥-٢٤٥ مغازي) والروض الأنف (٣/٣٠٥)، وعيون التواريخ (١/٢٢٣-٢٢٤) وسبل الهدى والرشاد (٥/٣٠)، والبداية والنهاية (٤/١٧٠).
(٢) ينظر: مغازي الواقدي (٢/٥٣٧-٥٤٩)، والطبقات الكبرى (٢/٦١-٦٥)، وتاريخ الطبري (٢/٥٩٦-٦٠٤)، وسيرة ابن هشام (٣/٢٢٧)، والكامل فى التاريخ (٢/١٨٨-١٩١)، وعيون التواريخ (١/٢٢٤-٢٢٧) وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٣٣-٣٤٠)، وابن كثير فى البداية والنهاية (٤/١٧٠)، والروض الأنف (٤/١٤-١٧).

غاب خمس ليل، وصلى صلاة الخوف أيضًا.

وَقَرَدَ بفتح القاف والراء، وبالدال المهملة، وهو ماء على يَرِيد من «المدينة»، قبل «الحديبية».

وعند البخاري: أنها كانت قبل «خير» بثلاثة أيام، وفي مسلم نحوه^(١).

قال مغلطاي: وفي ذلك نظر؛ لإجماع أهل السير على خلافها. انتهى.

قال القرطبي شارح مسلم: لا يختلف أهل السير؛ أن غزوة «ذى قرد» كانت قبل «الحديبية».

وقال الحافظ ابن حجر: ما في الصحيح من التاريخ لغزوة «ذى قرد» أصح مما ذكره أهل السير. انتهى^(٢).

وسببها: أنه كان لرسول الله ﷺ عشرون لقعة؛ وهى ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة؛ ترعى بالغابة، وكان ابن أبى ذرٍّ فيها، فأغار عليهم عيينة بن حصن الفِزَارِي ليلة الأربعاء فى أربعين فارسًا، فاستاقوها، وقتلوا ابن أبى ذر.

وقال ابن إسحاق: كان فيهم رجلٌ من غفار وامرأة، فقتلوا الرجل، وسبوا المرأة، فركبت ناقة ليلاً حين غفلتهم؛ تريد النبي ﷺ، ونذرت؛ لئن نجت، لتحرنها، فلما قدمت على النبي ﷺ أخبرته بذلك، فقال: «لا نذر فى معصية، ولا لأحد فيما لا يملك»^(٣).

ونودى: يا خيل الله اركبى، وكان أول ما نودى بها.

وركب رسول الله ﷺ فى خمسماية، وقيل: سبعمائة، واستخلف على «المدينة»

(١) ينظر صحيح البخاري مع الفتح (٢٣٣/٨) قال البخاري: «وهى الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي ﷺ قبل خير بثلاث» ولم أجد مثل هذا في صحيح مسلم والإمام مسلم رحمه الله لم يضع تراجم لأبواب كتابه.

(٢) ينظر: فتح الباري (٢٣٤/٨).

(٣) ينظر: السيرة (٢٢٧/٣). والحديث أخرجه أحمد (٤٣٠/٤، ٤٣٣، ٤٣٤)، ومسلم (٦/١١١-نووي) كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله حديث (١٦٤١/٨). وأبو داود (٢٣٩/٣) كتاب الأيمان والنذور، باب في النذر فيما لا يملك حديث (٣٣١٦)، والشافعي (١٢١-١٢٢) في كتاب الجهاد. والحميدي (٣٦٥-٣٦٦) برقم (٨٢٩)، وابن الجارود برقم (٩٣٣). وسعيد بن منصور (٣٩٦-٣٩٧) برقم (٢٩٦٧)، والبيهقي (١٠/٧٥) كتاب النذور باب ما يوفى به من النذر وما لا يوفى.

ابن أم مكتوم، وخلف سعد بن عباد في ثلاثمائة يحرسون «المدينة»، وقد كان عقد للمقداد بن عمرو لواء في رمحه، وقال له: «امض؛ حتى تلحقك الخيول، وأنا على أثرك»، فأدرك أخريات العدو، وقتل أبو قتادة مسعدة^(١) فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه، وقتل عكاشة بن محصن أبان بن عمرو، وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة.

وأدرك سلمة بن الأكوع القوم؛ وهو على رجله، فجعل يرميهم بالنبل، ويقول:
[من الرجز]

خذها وانا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

يعنى: يوم هلاك اللثام،

من قولهم: لثيم راضع؛ أى: رضع اللؤم في بطن أمه.

وقيل: معناه: اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره، وتدرّب بها، ويعرف غيره.

ولحق رسول الله ﷺ الناس والخيول عشاء.

قال سلمة: فقلت: يا رسول الله؛ إن القوم عطاش، فلو بعثتني في مائة رجل؛ استنقذت ما في أيديهم من السرح، وأخذت بأعناق القوم، فقال ﷺ: «ملكك فأسجج»؛ وهى بهمزة قطع، ثم سين مهملة، ثم جيم مكسورة، ثم حاء مهملة؛ أى: فارفق وأحسن، والسَّجَّاحَةُ السَّهولة؛ أى: لا تأخذ بالشدة، بل ارفق، فقد حصلت النكاية في العدو، والله الحمد. ثم قال: «إنهم الآن ليقرون في غطفان». وذهب الصريخ إلى بنى عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد، فلم تزل الخيل تأتي، والرجال على أقدامهم، وعلى الإبل؛ حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بـ«ذى قرد»، فاستنقذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بما بقى؛ وهى عشر، وصلى رسول الله ﷺ بـ«ذى قرد» صلاة الخوف، وأقام يوماً وليلة، ورجع وقد غاب خمس ليل، وقسم في كل مائة من أصحابه جُزُورًا ينحرونها^(٢).

(١) في ط: سعد. والصواب ما أثبت وينظر سبل الهدى والرشاد (١٠١/٥).

(٢) ينظر القصة في صحيح مسلم رقم (١٨٠٦/١٣١)، والسبل (٩٨/٥، ٩٩)، والبداية والنهاية (١٧٣-١٧٢/٤).

وفيه غزوة «الحديبية»^(١)؛ هلال ذى القعدة فى ألف وأربعمائة، ويابح «بيعة الرضوان» تحت الشجرة على الموت؛ حين أرسل عثمان، فحبسوه فى «مكة» ثلاثة أيام، ثم جاء سهيل بن عمرو فى الصلح، فواعدهم ﷺ عشر سنين، فأقام بضعة عشر يوماً هناك؛ وهو معتمر، فتحلل من عمرته ورجع، فنزلت عليه فى الطريق سورة «الفتح».

وفى «المواهب»: «الحديبية» - بتخفيف الياء، وتشديدها - بئر سمي المكان بها.

وقيل: شجرة وقال المحب الطبري: قرية قريبة من «مكة» أكثرها فى الحرم، وهى على تسعة أميال من «مكة»، خرج - عليه السلام - من «المدينة» يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة، وأخرج معه زوجته أم سلمة، فى ألف وأربعمائة، ويقال: وخمسائة، وقيل: ألف وثلاثمائة، والجمع بين هذه الأقوال أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال: ألف وخمسائة، جبر الكسر، ومن قال: وأربعمائة، ألغاه، ويؤيده رواية البراء: «ألف وأربعمائة أو أكثر»، واعتمد على هذا الجمع النووي^(٢).

وأما رواية: «ألف وثلاثمائة»؛ فيمكن حملها على ما اطلع عليه، واطلع غيره على زيادة مائتين؛ لم يطلع هو عليهم، والزيادة من الثقة مقبولة. وأما قول ابن إسحاق: «إنهم كانوا سبعمائة»؛ فلم يوافقه أحدٌ عليه؛ قاله استنباطاً من قول جابر: «نحرنَا البدنة عن عشرة، وكانوا نحروا سبعين بدنة»؛ وهذا لا يدل على أنهم لم ينحروا غير البدن، مع أن بعضهم لم يكن أحرم أصلاً. وجزم موسى بن عقبة؛ أنهم كانوا ألفاً وستمائة^(٣). وعند ابن أبي شيبة من حديث سلمة بن الأكوع: «ألف وسبعمائة»^(٤).

(١) ينظر: مغازي الواقدي (٢/ ٥٧١-٦٣٣)، وطبقات ابن سعد (٢/ ٧٢ وما بعدها) وسيرة ابن هشام (٣/ ٢٥٥ وما بعدها)، وفتح الباري (٨/ ٢٠٦). وتاريخ الطبري (٢/ ٦٢٠-٦٣٩)، والكمال (٢/ ٢٠٠-٢٠٦) وعيون التواريخ (١/ ٢٣٨-٢٤٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٦٣-٣٩٣) والبداية والنهاية (٤/ ١٨٨-٢٠٢)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٣-٦٩).

(٢) ينظر: السبل (٥/ ٦٩).

(٣) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٧١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة فى المصنف (٧/ ٣٨٤) (٣٦٨٤٦) من طريق إياس بن سلمة عن أبيه =

وحكى ابن سعد ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين^(١). واستخلف على «المدينة» ابن أم مكتوم، ولم يخرج معه سلاح، إلا سلاح المسافر؛ السيوف فى القرب. وفى «البخارى» فى «المغازى»: عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم قال: خرج رسول الله ﷺ عام «الحديبية» فى بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما كان ب«ذى الحليفة» قلد الهدى وأشعر، وأحرم منها.

وفى رواية: «أحرم منها بعمره، وبعث عيناً له من خزاعة»، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بغدير «الأشطاط» أتاه عينه، فقال: إن قريشاً جمعوا لك جمعوا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت ومانعوك. فقال: «أشيروا على أيها الناس؛ أترون أن أميل إلى عيالهم، وذراى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت؟»^(٢) فقال أبو بكر: يا رسول الله؛ خرجت عامداً لهذا البيت؛ لا تريد قتال أحد، ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه، قاتلناه. قال: «امضوا على اسم الله»^(٣). وروى أحمد: كان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ.

وفى رواية للبخارى: حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبى ﷺ: «إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين»^(٤). فوالله ما شعر بهم خالد؛ حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها، بركت راحلته، فقال الناس: حل حل. فألحت، يعنى: تمادى على عدم القيام، فقالوا: خلأت القصوى، خلأت القصوى. فقال النبى ﷺ: «ما خلأت القصوى»^(٥)، وما ذاك لها بخلق، ولكن

= قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة الحديبية فنحر مائة بدنة ونحن سبع عشرة مائة ومعهم عدة السلاح والرجال والخيل...» الحديث.

(١) ينظر الطبقات (٧٣/٢)، وانظر السبل (٧١/٥).
(٢) بعدها فى البخارى: «فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عنا من المشركين وإلا تركناهم محرومين...».

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (١٦٩٤، ١٦٩٥)، (١٨١١) (٢٧١١، ٢٧١٢)، (٢٧٣٢، ٢٧٣١)، (٤١٥٨، ٤١٥٧)، (٤١٧٩، ٤١٨٠، ٤١٨١).

(٤) فى البخارى: ذات الغميم.

(٥) فى البخارى: القصواء.

حبسها حابس الفيل؛ أى: حبسها الله عن دخول «مكة»؛ كما حبس الفيل عن دخولها^(١).

ومناسبة ذلك: أن الصحابة لو دخلوا «مكة» على تلك الصورة، وصدهم قريش - لوقع بينهم القتال المفضى إلى سفك الدماء، ونهب الأموال؛ كما لو قدر دخول الفيل، لكن سبق فى علم الله؛ أنه سيدخل فى الإسلام منهم خلق كثير، وسيخرج من أصلابهم ناسٌ مسلمون ويجاهدون.

ثم قال ﷺ: «والذى نفسى بيده، لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمت الله، إلا أعطيتهم إياها». ثم زجرها، فوثبت.

قال: فعدل عنهم؛ حتى نزل بأقصى «الحديبية» على ثمد قليل الماء - يعنى: حفرة فيها ماء قليل - يتبرضه الناس تبرضاً؛ أى: يأخذونه قليلاً قليلاً، فلم يلبث الناس؛ حتى نزحوه، وشكّى إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهمًا من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش بالرى؛ حتى صدروا عنه.

فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى ثَمَرٍ من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة نصح لرسول الله ﷺ من أهل «تهامة»، فقال: إني تركت كعب بن لؤى، وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه «الحديبية» معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلون وصادوك عن البيت. والعوذ - بالذال المعجمة - : جمع عائد؛ وهى الناقة ذات اللبن، والمطافيل: الأمهات التى معها أطفالها؛ يريد: أنهم خرجوا لهم بدوات الألبان من الإبل؛ ليرووا بألبانها، ولا يرجعوا؛ حتى يمنعوه، أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال، والمراد: أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم؛ لإرادة طول المقام؛ ليكون أدعى إلى عدم الفرار، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نأت لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، فأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة، ويخلّوا بينى وبين الناس، فإن أظهر؛ فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس، فعلوا، وإلا فقد جموا - يعنى: استراحوا - وإن أبوا، فوالذى نفسى بيده؛ لأقاتلنهم على أمرى؛ حتى تنفرد سالفتى - أى: صفحة العتق؛ كنى بذلك عن القتل - أو لينفذن الله أمره». فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق؛ حتى أتى

(١) ينظر الحديث قبل السابق.

قريشًا، فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً؛ فإن شئتم أن نعرضه عليكم، فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته. فقال: سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال النبي ﷺ.

فقام عروة بن مسعود، فقال: أى قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهمونى؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون؟ أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على - أى: تمنعوا من الإجابة - جئتكم بأهلى وولدى، ومن أطاعنى. قالوا: بلى. قال: إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد - أى: خصلة خير وصلاح - اقبلوها، ودعونى آته. فأتاه؛ فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحوًا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أى محمد؛ أرايت إن استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أصله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإنى والله لا أرى وجوهاً، وإنى لأرى أشواباً - يعنى: أخلاطاً - من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر - رضى الله عنه -: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه، أو ندعه؟ قال العلماء: وهذا مبالغة من أبى بكر فى سب عروة، فإنه أقام معبود عروة؛ وهو صنمه مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبته الفرار إليهم.

والبَظَر - بالموحدة المفتوحة، والطاء المعجمة الساكنة -: قطعة تبقى بعد الختان فى فرج المرأة، واللات: اسم صنم؛ والعرب تطلق هذا اللفظ فى معرض الذم. انتهى.

فقال عروة: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر. فقال: أما والذى نفسى بيده، لولا يد كانت لك عندى؛ لم أجرك بها، لأجبتك. قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما تكلم، أخذ بلحيته ﷺ - والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي، ومعه السيف، وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: اكفف يدك عن لحية النبي ﷺ.

قال العلماء: وقد كانت عادة العرب؛ أن يتناول الرجل لحية من يكلمه، لاسيما عند الملاطفة، وفى الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير، فكان النبي ﷺ يفضى

لعروة؛ استمالةً وتأليفاً، والمغيرة يمنعها؛ إجلالاً للنبي ﷺ وتعظيماً.

قال: فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة. فقال: أى عُذْر، أَلست أسعى فى عُذرتك؟ وكان المغيرة صاحب قومًا فى الجاهلية، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم. فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه فى شيء». ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه؛ فيرى أنهم ما تنتخم رسول الله ﷺ نخامة، إلا وقعت فى يد رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم أمرًا، ابتدروا لأمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له.

قال فى «فتح البارى»: فيه إشارة إلى الرد على ما خشيه من فرارهم؛ فكأنهم قالوا بلسان الحال: من يحبه هذه المحبة، ويعظمه هذا التعظيم؛ كيف يظن به أنه يفر عنه، ويسلمه لعدوه، بل هم أشد اغتباطًا به وبدينه ونصره. من هذه القبائل التى تداعى بعضها لمجرد الرحم. والله أعلم. انتهى.

قال: فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أى قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى، والله إن رأيتُ ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدًا، والله إن ينتخم نخامة، إلا وقعت فى كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم، ابتدروا أمره، وإذا توضأ، كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها.

فقال رجل من بنى كنانة: دعونى آته. فقالوا: آته. فلما أشرف على النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له. فبعثوها له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد أعلمت، وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت.

فقام رجل منهم يقال له: مِكرَزُ بن حفص - بكسر الميم، وسكون الكاف، وفتح الراء بعدها زاي - فقال: دعونى آته. فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: «هذا مكرز، وهو رجل فاجر». فجعل يكلم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه؛ إذ جاء سهيل

ابن عمرو، قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة؛ أنه لما جاء سهيل قال النبي ﷺ: «إنه قد سهل من أمركم ما صعب»^(١).

وفى رواية ابن إسحاق: فأرسلت قريش سهيل بن عمرو، فقالت: اذهب إلى هذا الرجل، فصالحه. فقال النبي ﷺ: قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا. فلما انتهى إلى النبي ﷺ جرى بينهما القول؛ حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين، وأن يأمن بعضهم بعضاً، وأن يرجع عنهم عامهم هذا^(٢). وقال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً. فدعا النبي ﷺ علياً، وقال: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: أما الرحمن الرحيم؛ فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم؛ كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي ﷺ: «اكتب: باسمك اللهم». ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله^(٣).

وفى حديث عبد الله بن مغفل عند الحاكم: فكتب: هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة... الحديث^(٤).

فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبي ﷺ: والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني. وفى رواية له - يعنى: البخارى ولمسلم: فقال النبي ﷺ لعلي: «امحه»، فقال: ما أنا بالذى أمحاه^(٥)؛ وهى لغة فى «أمحوه».

قال العلماء: وهذا الذى فعل علي من باب الأدب والمستحب؛ لأنه لم يفهم من النبي ﷺ تحتم محو علي نفسه، ولهذا لم ينكر عليه، ولو حتم محوه لنفسه، لم يجز لعلي تركه. انتهى. ثم قال ﷺ: «أرني مكانها». فأراه مكانها، فمحاها،

(١) تقدمت القصة عند البخاري، وانظر البداية والنهاية (٤/١٩٧-٢٠٠).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/٢٦٣).

(٣) راجع تخريج حديث المسور ومروان وهذه الرواية فى البخارى (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٤) ينظر المستدرک (٢/٤٦٠-٤٦١)، والحديث أخرجه أحمد (٤/٨٧)، والبيهقي (٦/٣١٩)،

وانظر سبل الهدى والرشاد (٥/٥٤).

(٥) هو نفس حديث المسور ومروان السابق.

وكتب: «ابن عبد الله».

وفى رواية البخارى فى «المغازى»: فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب، وليس يحسن أن يكتب، فكتب مكان رسول الله ﷺ: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله^(١). قال فى «فتح البارى»: وقد تمسك بظاهر هذه الرواية أبو الوليد الباجي، وادعى أن النبي ﷺ كتب بيده بعد أن لم يكن يُحسن أن يكتب، فشنع عليه علماء «الأندلس» فى زمانه، ورموه بالزندقة، وأن الذى قاله يخالف القرآن؛ حتى قال قائلهم شعراً: [من البسيط]

بَرِئْتُ مِمَّنْ شَرَى دُنْيَا بِآخِرَةٍ وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَتَبَا
فجمعهم الأمير، فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة، وقال: هذا لا ينافى القرآن، بل يؤخذ من مفهوم القرآن؛ أنه قيد النفى بما قبل ورود القرآن. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّونَ بِيَمِينِكُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وبعد أن تحققت أمنيته، وتقررت بذلك معجزته، وأمن الارتياح فى ذلك - لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم؛ فتكون معجزة أخرى.
وذكر ابن دحية: أن جماعة من العلماء وافقوا الباجي على ذلك؛ منهم شيخه: أبو ذر الهروى، وأبو الفتح النيسابورى، وآخرون من علماء «إفريقية».
 واحتج بعضهم لذلك بما أخرجه ابن أبى شيبة من طريق مُجَالِد، عن عون بن عبد الله: ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب، وقرأ.

قال مجاهد: فذكرته للشعبي، فقال: صدق، قد سمعت من يذكر ذلك.
وقال القاضى عياض: وردت آثارٌ تدل على معرفته حروف الخط، وحسن تصويرها؛ كقوله لكتابه: «تضع القلم على أذنك، فإنه أذكر لك، وقوله لمعاوية: «ألق الدواة، وحرف القلم، وفرق السين ولا تعور الميم» إلى غير ذلك.
قال: وهذا وإن لم يثبت أنه كتب، فلا يبعد أن يرزق علم وضع الكتابة، فإنه أوتى علم كل شيء.

وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث، وعن قصة الحديبية بأن القصة واحدة،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٩٨)، ومسلم (١٧٨٣)، وأبو داود (١٨٣٢)، من حديث البراء بن عازب به.

والكاتب فيها هو على بن أبى طالب، وقد صرح فى حديث المسور بن مخرمة؛ بأن عليًا هو الذى كتب؛ فيحمل على أن النكتة فى قوله: «فأخذ الكتاب، وليس يحسن أن يكتب»؛ لبيان أن قوله: «أرني إياها» أنه إنما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التى امتنع عليٌّ من محوها؛ لكونه كان لا يحسن الكتابة، وعلى أن قوله بعد ذلك: «فكتب» فيه حذف تقديره: فمحاهها فأعادها لعليٍّ فكتب، أو أطلق «كتب» بمعنى: أمر بالكتابة؛ وهو كثير؛ كقوله: كتب إلى كسرى وقيصر.

وعلى تقدير حمله على ظاهره، فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف فى ذلك اليوم؛ وهو لا يحسن الكتابة؛ أن يصير عالمًا بالكتابة، ويخرج عن كونه أميًا؛ ككثير من الملوك. ويحتمل أن يكون جرب يده بالكتابة حينئذ، وهو لا يحسن، فخرج المكتوب على وفق المراد؛ فيكون معجزة أخرى فى ذلك الوقت خاصًا، ولا يخرج بذلك عن كونه أميًا.

وبهذا أجاب أبو جعفر السمنانى أحد أئمة الأصول من الأشاعرة، وتبعه ابن الجوزى، وتعقب ذلك السهيلي وغيره؛ بأن هذا وإن كان ممكنًا، ويكون آية أخرى، لكنه يناقض كونه أميًا لا يكتب، وهى الآية التى قامت بها الحجة، وأفحم الجاحد، وانحسنت الشبهة، فلو جاز أن يصير يكتب بعد ذلك، لعادت الشبهة.

وقال المعاند: كان يحسن يكتب، لكنه كان يكتُم ذلك، [قال السهيلي] (١): والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضًا، والحق أن معنى قوله: «فكتب»: أمر عليًا أن يكتب. انتهى.

قال: وفى دعوى أن كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة يستلزم مناقضة المعجزة، ويثبت كونه غير أمى - نظر كبير. والله أعلم. انتهى (٢).

وأما قوله: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، وقوله: «أما الرحمن الرحيم، فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم... إلى آخره - فقال العلماء: وافقهم - عليه الصلاة والسلام - فى ترك كتابة: بسم الله الرحمن الرحيم، وكتب: باسمك اللهم، وكذا وافقهم فى: محمد بن عبد الله، وترك كتابة: رسول الله؛

(١) المثبت من الفتح.

(٢) هذا الكلام نقله من الفتح (٨/ ٢٩٠) بطوله.

للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلاح؛ مع أنه لا مفسدة فى هذه الأمور، أما البسمة، وباسمك اللهم فمعناهما واحد، وكذا قوله: محمد بن عبد الله هو أيضًا رسوله، وليس فى ترك وصف الله - تعالى - فى هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفى ذلك، ولا فى ترك وصفه ﷺ هنا بالرسالة ما ينفيها، فلا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم، ونحو ذلك. انتهى.

قال فى رواية البخارى: فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله. فقال ﷺ: على أن يخلوا بيننا وبين البيت؛ فنطوف به، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب؛ أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل. فكتب. فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل؛ وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا^(١)؟ الضغطة - بالضم - قال فى «القاموس»: الضيق والإكراه. انتهى.

فإن قلت: ما الحكمة فى كونه - عليه الصلاة والسلام - وافق سهيلًا؛ على أنه لا يأتية منهم رجل؛ وإن كان على دين الإسلام، إلا يرده إلى المشركين؟

فالجواب: أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة، وفوائده الظاهرة التى كانت عاقبتها فتح «مكة»، وإسلام أهلها كلهم، ودخول الناس فى دين الله أفواجًا، وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تتظاهر عندهم أمور النبى ﷺ كما هى، ولا يخلون بمن يعلمهم بها مفصلة، فلما حصل صلح «الحديبية»، اختلطوا بالمسلمين، وجاءوا إلى «المدينة»، وذهب المسلمون إلى «مكة»، وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحوه، وسمعوا منهم أحوال النبى ﷺ ومعجزاته الظاهرة، وأعلام نبوته المتظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعاینوا بأنفسهم كثيرًا من ذلك، فمالت نفوسهم إلى الإيمان؛ حتى بادر خلق كثير منهم إلى الإسلام قبل فتح «مكة»؛ فأسلموا بين صلح «الحديبية» وفتح «مكة»، وازداد الآخرون ميلًا إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح، أسلموا كلهم، لما كان قد تمهد لهم من الميل، وكانت العرب غير قريش فى

(١) جزء من حديث المسور ومروان السابق.

البوادى؛ قال الله - تعالى - : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ [النصر: ١، ٢]، فالله ورسوله أعلم. انتهى.

قال فى رواية البخارى: فبينما هم كذلك؛ إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده؛ قد خرج من أسفل «مكة»؛ حتى رمى بنفسه: بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ، فقال ﷺ: «إنا لم نمض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذن لا أصالحك على شيء أبدًا. قال النبي ﷺ: فأجزه إليّ، قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: بلى فافعل. قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بلى، قد أجزنا ذلك.

قال أبو جندل: أى معشر المسلمين [أُرِدُّ] إلى المشركين، وقد جئت مسلمًا؛ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان عُدْبٌ فى الله عذابًا شديدًا.

زاد ابن إسحاق: فقال النبي ﷺ: يا أبا جندل، اصبر، واحتسب؛ فإننا لا نغدر، وإن الله جاعلٌ لك فرجًا ومخرجًا. ووثب عمر يمشى إلى جنبه، ويقرب منه قائم السيف، ويقول: اصبر؛ فإنما هم المشركون، وإن دم أحدهم كدم الكلب. يعرض له بقتل أبيه، فلما لم يفعل، قال عمر: ضنَّ الرجل بأبيه^(١).

قال الخطأبى: تأوَّل العلماء ما وقع فى قصة أبى جندل على وجهين: أحدهما: أن الله قد أباح التقية للمسلم؛ إذا خاف الهلاك، ورخص له أن يتكلم بالكفر مع إضمار الإيمان، إن لم يمكنه التورية، فلم يكن رده إليهم إسلامًا لأبى جندل إلى الهلاك مع وجود السبيل إلى الخلاص من الموت بالتقية. والوجه الثانى: أنه إنما رده إلى أبيه، والغالب أن أباه لم يبلغ به إلى الهلاك، وإن عذبه، أو سجنه، فله مندوحة بالتقية أيضًا.

وأما ما يخاف عليه من الفتنة: فإن ذلك امتحان من الله يبتلى به صبر عباده المؤمنين^(٢).

واختلف العلماء: هل يجوز الصلح مع المشركين؛ على أن يرد إليهم من جاء مسلمًا من عندهم أم لا؟

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٦٥)، والبداية والنهاية (٤/ ١٩٨-٢٠٠)، وتقدمت عند البخارى.

(٢) ينظر معالم السنن (٢/ ٣٣١)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٧٧).

فقيل: نعم على ما دلت عليه قصة أبي جندل، وأبى بصير.
وقيل: لا وأن الذي وقع في القصة منسوخ، وأن ناسخه حديث: «أنا بريء من مسلم بين المشركين»^(١)؛ وهو قول الحنفية.

والشافعية تفصل بين العاقل، والمجنون والصبي؛ فلا يُردّان.
وقال بعض الشافعية: مناط جواز الرد أن يكون المسلم؛ بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب. والله أعلم^(٢).

قال في «فتح الباري»: قال في رواية البخاري: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألسنتُ نبي الله حقًا؟ قال: بلى. قلت: ألسنتُ على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذن؟ قال: إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أو لست كنت تحدثنا؛ أنا نأتى البيت، فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتُك أنا نأتية العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به. قال: فأتيتُ أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل؛ إنه رسول الله ﷺ وليس يعصى ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه؛ فوالله إنه على الحق. قلت: أو ليس كان يحدثنا؛ أنا سنأتى البيت، فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتُك أنا نأتية العام؟ قلت: لا. قال: إنك آتية فمطوف به^(٣).

قال العلماء: لم يكن سؤال عمر - رضى الله عنه - وكلامه المذكور شكًا، بل طلبًا لكشف ما خفى عليه، وحثًا على إذلال الكفار، وإظهار الإسلام؛ كما عرف في خلقه، وقوته في نصرته الدين، وإذلال المبطلين. وأما جواب أبى بكر لعمر - رضى الله عنهما - بمثل جواب النبي ﷺ فهو من الدلائل الظاهرة على عظم فضله،

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، وابن ماجه كما في تلخيص الحبير (٤/٢١٨) من حديث جرير وفيه قصة قال الحافظ في التلخيص: «وصحح البخاري وأبو حاتم وأبو داود والترمذي والدارقطني إرساله إلى قيس بن أبي حازم ورواه الطبراني... موصولاً» قلت هو في الكبير للطبراني (٣٠٣-٣٠٤) رقم (٢٢٦٤، ٢٢٦٥).

(٢) ينظر سبل الهدى والرشاد (٧٨/٥).

(٣) جزء من حديث المسور ومروان المتقدم.

وبارح علمه، وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته فى كل ذلك على غيره.
وكان الصلح بينهم مدة عشر سنين؛ كما فى «السير»، وأخرجه أبو داود من
حديث ابن عمر^(١).

ولأبى نعيم فى مسند عبد الله بن دينار: كانت أربع سنين؛ وكذا أخرجه الحاكم
فى البيع من «المستدرک»، والأول أشهر.
وكان الصلح على وضع الحرب؛ بحيث يأمن الناس، ويكف بعضهم عن بعض،
وَألا يدخل البيت إلا العام القابل ثلاثة أيام، ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح؛ وهو
القراب بما فيه. والجلبان - بضم الجيم، وسكون اللام - : شبه الجراب؛ من
الأدم؛ يوضع فيه السيف مغمودًا.

ورواه القتيبي: بضم الجيم واللام وتشديد الباء، وقال: هى أوعية السلاح بما
فيها. وفى بعض الروايات: إلا بجلبان السلاح: السيف، والقوس وإنما اشترطوا
ذلك؛ ليكون علمًا وأمانة السلم؛ إذ كان دخولهم صلحًا^(٢).

وقال مكى بن أبى طالب القيروانى فى «تفسيره»: وبعث - عليه الصلاة
والسلام - بالكتاب إليهم مع عثمان بن عفان، وأمسك سهيل بن عمرو عنده،
فأمسك المشركون عثمان، فغضب المسلمون.

وقال مغلطاي: فاحتبسته قريش عندها، فبلغ النبى ﷺ أن عثمان قد قتل، فدعا
الناس إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت.
وقيل: على ألا يفروا. انتهى.

ووضع النبى ﷺ شماله فى يمينه، وقال: هذه عن عثمان.
وفى البخارى: فقال ﷺ بيده اليمنى: «هذه بيعة عثمان»؛ فضرب بها على
يده... الحديث^(٣).

(١) أخرج أبو داود عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، أنهم اصطلحوا
على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيهن الناس وعلى أن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال
ولا إغلال.

(٢) انظر النهاية (٢٨٢/١) لابن الأثير.

(٣) أخرجه البخاري فى صحيحه (٣٦٩٩) من حديث ابن عمر ولفظه فقال رسول الله ﷺ بيده
اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان» والحديث رواه أيضًا
الترمذي (٣٧٠٦)، وأحمد (١٠١/٢، ١٠٨، ١٢٠).

ولما سمع المشركون بهذه، خافوا فبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين. وفي هذه البيعة نزل قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] وقوله - تعالى - : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [الفتح: ١٨].

وحلق الناس مع النبي ﷺ ونحروا هداياهم به «الحديبية». قال مغلطاي: وأرسل الله ريحاً، فحملت شعورهم، فألقته في الحرم، وأقام ﷺ به «الحديبية» بضعة عشر يوماً، وقيل: عشرين يوماً، ثم قفل، وفي نفوس بعضهم شيء؛ فأنزل الله - تعالى - سورة الفتح يسليهم بها، ويذكرهم نعمة الله، فقال - تعالى - : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [الفتح: ١]، قال ابن عباس، وأنس، والبراء بن عازب: الفتح هنا فتح «الحديبية»^(١)، ووقوع الصلح بعد أن كان المنافقون يظنون أن لن يتقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً؛ أي: حسبوا ألا يرجعوا، بل يقتلون كلهم.

وأما قوله - تعالى - : ﴿ وَأَنْبَاهَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨]، فالمراد فتح «خير»؛ على الصحيح؛ فإنها وقعت فيها المغنم الكثيرة للمسلمين. وقد روى أحمد، وأبو داود، والحاكم، عن مجمع بن حارثة؛ قال: شهدنا «الحديبية»، فلما انصرفنا، وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم، وقد جمع الناس قرأ عليهم: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [الفتح: ١] «الحديبية»، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وتبايعوا ببيعة الرضوان، وأطعموا نخيل «خير»، وظهرت الروم على فارس، وفرح المسلمون بنصر الله.

وأما قوله - تعالى - : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١] وقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» ففتح «مكة» بالاتفاق^(٢).

(١) روى البخاري (٤٨٣٤) عن أنس - رضي الله عنه - : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ قال: الحديبية. وروى البخاري أيضاً (٤١٥٠) عن البراء قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح ببيعة الرضوان يوم الحديبية... الحديث.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧٣٦)، (٣٠١٥)، وأحمد (٤٢٠/٣)، والحاكم (٤٥٩/٢)، والبيهقي في الدلائل (١٥٦/٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٧/٦-٥٨) وزاد نسبه إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن مردويه.

قال الحافظ ابن حجر: فبهذا يرتفع الإشكال، وتجتمع الأقوال، والله أعلم. ثم رجع ﷺ إلى «المدينة»^(١).

وفى هذه السنة: كسفت الشمس، وظاهر أوس بن الصامت من امرأته خولة. وفيها: استسقى فى رمضان، ومطر الناس، فقال النبى ﷺ: «أصبح من الناس: مؤمن بالله، وكافر بالكواكب»^(٢) قاله مغلطاي.

وجزم الدمياطى فى «سيرته»: بأن تحريم الخمر كان فى سنة «الحديبية»، وذكر ابن إسحاق أنه كان فى وقعة بنى النضير، وهى بعد «أحد»؛ وذلك سنة أربع؛ على الراجح^(٣).

وفيه نظر؛ لأن أنسا كان الساقى يوم حرمت، وأنه لما سمع المنادى بتحريمها، بادر فأراقها، ولو كان سنة أربع، لكان أنس يصغر عن ذلك.

وأخرج النسائى والبيهقى بسند صحيح، عن ابن عباس: إنما نزل تحريم الخمر فى قبيلتين من الأنصار شربوا، فلما ثمل القوم، عبث بعضهم ببعض، فلما أن صبحوا، جعل الرجل يرى فى وجهه ورأسه الأثر، فيقول: صنع هذا أخى فلان؛ وكانوا إخوة ليس فى قلوبهم ضغائن فيقول: والله لو كان بى رحيماً ما صنع بى هذا؛ حتى وقعت فى قلوبهم الضغائن؛ فأنزل الله - تعالى - هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْفَخْرُ وَالْكَبِيرُ﴾ إلى ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]، فقال ناسٌ من المتكلفين: هى رجس؛ وهى فى بطن فلان وفلان، وقد قتل يوم «أحد»؛ فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ إلى ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) [المائدة: ٩٣]، وآية تحريم الخمر نزلت فى عام الفتح قبل الفتح. والله أعلم.

(١) انظر: فتح الباري (٢٠٩/٨-٢١٠).

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ (١٩٢/١) من حديث زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل... الحديث ومن طريق مالك أخرجه البخاري (٨٤٦)، (١٠٣٨)، ومسلم (٧١)، وأبو داود (٣٩٠٦)، وأبو عوانة (١/٢٦)، والبيهقى (١١٦٩)، وأخرجه البخاري (٤١٤٧)، (٧٥٠٣)، والنسائي (١٦٥/٣)، وأبو عوانة (٢٧/١)، من غير طريق مالك به.

(٣) ينظر وقعة بنى النضير فيما تقدم.

(٤) أخرجه النسائي فى الكبرى (٣٣٧/٦) رقم (١١١٥١)، والبيهقى (٢٨٥/٨).

وفيها: سرية محمد بن مسلمة^(١) في ثلاثين راكبًا إلى القرطاء من بنى بكر بن كلاب بـ«ضرية»، وهى على سبع ليال من «المدينة»، عاشر المحرم، فلما أغاروا عليهم، هربوا فغنم، وجاء آخر المحرم، ومعه ثمانية بن أثال أسيرًا. وعكاشة بن محصن الأسدي في ربيع الأول إلى ماء لبنى أسد^(٢)؛ يقال له: عمرة مرزوق، في أربعين، فغنم، ولم يلق كيدًا.

ومحمد بن مسلمة أيضًا إلى ذى القصة^(٣) في ربيع الأول معه عشرة إلى بنى ثعلبة، وهم مائة قتلوا، إلا ابن مسلمة. فبعث إليهم أبا عبيدة في ربيع الآخر بأربعين رجلاً، فغنموا نعمًا وشاء، وأسروا رجلاً فأسلم.

وزيد بن حارثة في ربيع الآخر إلى بنى سليم بـ«الجموع»^(٤)، فغنموا نعمًا وشاء. ثم إلى العيص^(٥) في جمادى الأولى، ومعه مائة وسبعون راكبًا يعترض غيرًا لصفوان بن أمية، فأسر منهم ناسًا، منهم أبو العاص بن الربيع، فأجارته زوجته: زينب ابنة رسول الله ﷺ.

ثم إلى الطرف، ماء على ستة وثلاثين ميلًا من «المدينة» في جمادى الآخرة بخمسة عشر لبنى ثعلبة، فأصاب نعمًا وشاء.

ثم إلى «حسمى»^(٦) وراء «وادي القرى» في جمادى الآخرة إلى قوم من جذام، قطعوا الطريق على دحية، فقتل منهم قتلاً ذريعاً، وأصاب مغانم كثيرة، ثم ردها عليهم ﷺ جميعها لما جاءه زيد بن رفاعه، وسأله في ذلك، وأسلم.

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٦٠)، ودلائل النبوة (٤/٧٨)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٥٠-مغازي).

(٢) ينظر: مغازي الواقدي (٢/٥٥٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/٨٢-٨٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٥٢-مغازي)، والبدية والنهاية (٤/٢٠٢).

(٣) انظر مغازي الواقدي (٢/٥٥١-٥٥٢)، وطبقات ابن سعد (٢/٦٥)، وتاريخ الإسلام (٣٥٣-مغازي).

(٤) ينظر البدية والنهاية (٤/٣٠٣).

(٥) انظر: مغازي الواقدي (٢/٥٥٣)، وطبقات ابن سعد (٢/٦٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٥٤-مغازي)، وعيون التواريخ (١/٢٤٨)، والبدية والنهاية (٤/٢٠٣).

(٦) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٦٧)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٥٤-مغازي)، تاريخ الطبري (٢/٦٤١-٦٤٢)، عيون التواريخ (١/٢٤٩).

ثم إلى وادى القرى فى رجب^(١)، فقتل من المسلمين قتلى، وارث زيد.
ثم إلى أم قرفة فاطمة بنت ربيعة الفزارية بناحية وادى القرى، فربطها بين بعيرين حتى ماتت.

وفى مسلم: أن أمير هذه السرية أبو بكر.
وعبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فى شعبان^(٢) يدعو أهلها إلى الإسلام، فأسلم كثير بن الأصبع بن عمر الكلبى، وكان نصرانياً، فتزوج عبد الرحمن ابنته تماضر، فولدت له أبا سلمة بن عبد الرحمن. وضرب الجزية على من لم يسلم.
وعلى بن أبى طالب إلى بنى سعد بفدك^(٣)، فغنم نعمًا وشاء.
وعبد الله بن عتيك لقتال أبى رافع عبد الله - أو سلام - ابن أبى الحقيق^(٤)، على الخلاف فيه، فى رمضان، ومعه أربعة نفر، فقتلوه فى داره بخيبر.
وعبد الله بن رَواحة فى ثلاثين رجلاً إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر^(٥)، فقتل، وقتل معه نحو الثلاثين.

وكرز بن جابر فى عشرين رجلاً إلى العرنين الذين اجتووا المدينة، فأمر النبى ﷺ أن يشربوا من لقاحه ويتداووا، فلما أصبحوا، قتلوا راعى النبى ﷺ يساراً النبى، واستاقوا اللقاح، فأتى بهم فقطع أيديهم وسمل أعينهم وكانوا ثمانية، ونزل: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ الآية^(٦) [المائدة: ٣٣].
وعمر بن أمية الضمري، انظر ومعه سلمة بن أسلم؛ ليصادفا غرة من أبى سفيان

(١) انظر: مغازي الواقدي (٥٦٢/٢)، وطبقات ابن سعد (٦٨/٢)، وتاريخ الطبري (١٥٥/٣)، تاريخ الإسلام (٣٥٥-مغازي)، والبداية والنهاية (٢٠٣/٤).

(٢) انظر: مغازي الواقدي (٥٦٠/٢)، وطبقات ابن سعد (٦٨/٢)، وتاريخ الطبري (١٥٨/٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٥٦-مغازي).

(٣) انظر: مغازي الواقدي (٥٦٢/٢)، وطبقات ابن سعد (٦٩/٢)، وتاريخ الطبري (١٥٤/٣).

(٤) طبقات ابن سعد (٧٠/٢) وانظر تفاصيل قتله فى تاريخ الإسلام للذهبي (٣٤١-مغازي).

(٥) انظر مغازي الواقدي (٥٦٦/٢) وطبقات ابن سعد (٧٠/٢)، وتاريخ الطبري (١٥٥/٣)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٦٢-٣٦١-مغازي).

(٦) انظر مغازي الواقدي (٥٦٨/٢)، وطبقات ابن سعد (٧١/٢)، وصحيح البخاري (٢٣٠/٨) كتاب المغازي، باب قصة عكل وعرينة، وعيون التواريخ (٢٥٣/١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٣٥٦-مغازي).

بن حرب، فيقتلاه، ففطن لذلك وهرب^(١).

وسبب ذلك: أن أبا سفيان أرسل إلى النبي ﷺ من يقتله غدراً، فأقبل الرسول^(٢) ومعه خنجر ليغتاله^(٣)، فلما رآه النبي ﷺ قال: إن هذا ليريدُ غدراً، فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة إزاره، فإذا بالخنجر فسقط فى يده، فقال ﷺ: اصدقنى ما أنت؟ قال: وأنا آمن؟ قال: نعم، فأخبره بخبره، فخلى عنه ﷺ.

وبعث عمرو بن أمية، ومعه سلمة بن أسلم، ويقال: جبار بن صخر إلى أبى سفيان، وقال: إن أصبتما منه غرة فاقتلاه.

ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية بن أبى سفيان، فأخبر قريشاً بمكانه، فخافوا وطلبوه، وكان فاتكاً فى الجاهلية، فحشد له أهل مكة وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التميمى فقتله وقتل آخر، ولقى رسولَين لقريش بعثا يتجسسان الخبر، فقتل أحدهما وأسر الآخر، فقدم به المدينة، فجعل عمرو يخبر رسول الله ﷺ، وهو - عليه الصلاة والسلام - يضحك.



(١) انظر طبقات ابن سعد (٧٢/٢).

(٢) المقصود به رسول أبى سفيان.

(٣) ليغتاله: أي يغتال النبي ﷺ.

حوادث السنة السابعة

فيها غزوة خيبر فى جمادى الأولى^(١)، وقاتل بها ﷺ أشد القتال، وقتل من أصحابه خمسة، ومن اليهود ثلاثة وتسعون، وفتحها الله عليه حصناً حصناً. وفيها حرم لحوم الحمر الأهلية، ونهى عن أكل كل ذى ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تقسم، وألاً توطأ جارية حتى تستبرأ، وعن متعة النساء. ووضعت له السم فى الشاة زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم، فأخبرته الذراع بذلك. وفتح وادى القرى فى جمادى الآخرة بعد ما حاصرهم أربعاً أو أكثر، وصالحه أهل تيماء على الجزية.

قال فى المواهب: هى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام.

قال ابن إسحاق: خرج ﷺ فى بقية المحرم سنة سبع، فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها^(٢).

وقيل: كانت فى آخر سنة ست، وهو منقول عن مالك، وبه جزم ابن حزم.

قال الحافظ ابن حجر^(٣): والراجح ما ذكره ابن إسحاق.

ويمكن الجمع: بأن من أطلق سنة ست، بناء على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقى، وهو ربيع الأول.

وأغرب ابن سعد وابن أبى شيبه، فرويا من حديث أبى سعيد الخدرى: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان^(٤)، وإسناده حسن؛ لكنه خطأ، ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت.

(١) انظر مغازي الواقدي (٢/٦٣٣)، وطبقات ابن سعد (٢/٨١)، وتاريخ الطبري (٣/٩-١٦)، والكامل فى التاريخ (٢/٢١٦-٢٢٤)، والروض الأنف (٤/٥٩-٦٦) وعيون التواريخ (١/٢٦٤-٢٧٠)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤٠٣-مغازي).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٣/٢٧٥).

(٣) انظر فتح الباري (٨/٢٣٩).

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٢/٨٣) وابن أبى شيبه (٧/٣٩٤) رقم (٣٦٨٨٠) والذي عند ابن أبى شيبه «خرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى خيبر فى ثنى عشرة بقيت من رمضان...» وذكره الحافظ فى الفتحة (٨/٢٣٩).

وتوجيهه: بأن غزوة خيبر كانت ناشئة عن غزوة الفتح، وغزوة الفتح خرج ﷺ فيها في رمضان جزماً.

قال: وذكر الشيخ أبو حامد في التعليقة أنها كانت سنة خمس، وهو وهم، ولعله انتقل من الخندق إلى خيبر^(١).

وكان معه - عليه الصلاة والسلام - ألف وأربعمائة راجل، ومائتا فارس، ومعه أم سلمة زوجته.

وفي البخاري: من حديث سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر، هل تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً، فتزل يحدو بالقوم يقول:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَاغْفِرْ فِدَاءَ لَكَ مَا أَبْقَيْنَا وَتَبَّتْ الْأَقْدَامُ إِنْ لَا قَيْنَا
وَأَلْقَيْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا
وَبِالصُّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

وفي رواية إياس بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أحمد في هذا الرجز زيادة:
إِنَّ الدِّينَ قَدْ بَعُؤَا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا

فقال رسول الله ﷺ كما في رواية البخاري: من هذا السائق؟ قالوا: عامر بن الأكوع، قال: يرحمه الله، قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به... الحديث^(٢).

وفي رواية أحمد: فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب، وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل في السير، ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو في تلك الحال^(٣).

وقوله: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا» كذا الرواية، قالوا: وصوابه في الوزن «لأهم»، أو «تالله» كما في الحديث الآخر.

(١) فتح الباري (٢٣٩/٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤١٩٦)، ومسلم (١٨٠٢/١٢٣).

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٥٠، ٤٨، ٤٧/٤).

وقوله: «فداء لك» قال المازني: هذه اللفظة مشكلة؛ فإنه لا يقال للباري سبحانه: فديتك؛ لأن ذلك إنما يستعمل في مكروه يتوقع حلوله بالشخص؛ فيختار شخص آخر أن يحل ذلك به ويفديه منه.

قال: ولعل هذا وقع من غير قصد إلى حقيقة معناه؛ كما يقال: قاتله الله، ولا يريد بذلك حقيقة الدعاء عليه، وكقوله - عليه الصلاة والسلام - : تربت يداك، وتربت يمينك. وفيه كله ضرب من الاستعارة؛ لأن المفادى مبالغ في طلب رضا المفادى حين بذل نفسه عن نفسه للمكروه؛ فكأن مراد الشاعر: إني أبذل نفسي في رضاك. وعلى كل حال فإن المعنى وإن أمكن صرفه إلى جهة صحيحة - بإطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر إلى ورود الشرع بالإذن فيه.

قال: وقد يكون المراد بقوله: «فداء لك» رجلاً يخاطبه، وفصل بين الكلام بذلك، ثم عاد إلى تمام الأول، فقال: ما أبقينا.

قال: وهذا تأويل يصح معه اللفظ والمعنى، لولا أن فيه تعسفًا اضطررنا إليه لتصحيح الكلام • انتهى.

ف قيل: إنه يخاطب بهذا الشعر النبي ﷺ، والمعنى لا تؤاخذنا بتقصيرنا في حقك ونصرك؛ وعلى هذا فقوله: «اللهم» لم يقصد بها الدعاء، وإنما افتتح بها الكلام، والمخاطب بقول الشاعر: «لولا أنت» النبي ﷺ، لكن يعكّر عليه بعد ذلك:

فَأَنْزَلْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنَّ لَاقِينَا

فإنه دعاء لله تعالى، ويحتمل أن يكون: فاسأل ربك أن ينزل ويثبت، والله أعلم. وقوله: «إذا صيح بنا أتينا» أي: إذا صيح بنا للقتال ونحوه من المكاره، وفي رواية: «أبيننا» بالموحدة بدل المثناة، أي: أبينا الفرار.

وقوله: «وبالصياح عولوا علينا» أي: استغاثوا بنا، واستفزعونا للقتال، وقيل: هو من التعويل على الشيء، وهو الاعتماد عليه، وقيل: هو من العويل، وهو الصوت. وقوله: «من هذا السائق؟ قالوا: عامر، قال: يرحمه الله، قال رجل من القوم: وجبت» أي: ثبتت له الشهادة، وستقع قريبًا، وكان معلومًا عندهم أن من دعا له النبي ﷺ هذا الدعاء في هذا الموطن استشهد، فقالوا: هلا أمتعتنا به؟ أي: ودنا

أنك أخرت الدعاء له بهذا إلى وقت آخر لتمتع بمصاحبته ورؤيته مدة^(١).

وفى البخارى من حديث أنس: أنه ﷺ أتى خيبر ليلاً، وكان إذا أتى قومًا بليل لم يغزهم^(٢) حتى يصبح، فلما أصبح، خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد، والله محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين^(٣). وفى رواية: «فرغ يده، وقال: الله أكبر، خربت خيبر». والخميس: الجيش، سمي به، لأنه مقسومٌ بخمسة أقسام: المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب، ومحمد: خير مبتدأ، أى: هذا محمد.

قال السهيلي: ويؤخذ من هذا الحديث التفاؤل؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - لما رأى آلة الهدم، تفاعل أن مدينتهم ستخرب^(٤). انتهى.

ويحتمل كما قاله فى «فتح البارى»: أن يكون قال: «خربت خيبر» بطريق الوحي؛ ويؤيده قوله بعد ذلك: «إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين. وفى رواية: أنه ﷺ صلى الصبح قريبًا من خيبر بغلس، ثم قال: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين»^(٥).

وقال مغلطى وغيره: وفرق - عليه الصلاة والسلام - الرايات، ولم تكن الرايات إلا بخيبر، وإنما كانت الألوية.

وقال الدمياطى: وكانت راية النبي ﷺ السوداء من برد لعائشة.

وفى البخاري وكان على بن أبى طالب تخلف عن النبي ﷺ، وكان رمذًا فلحق، فلما بتنا الليلة، قال: «لأعطين الراية غدًا - أو ليأخذن الراية غدًا - رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله عليه». فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين على بن أبى طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكى عينيه، فأرسل إليه^(٦)، فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاها الراية، فقال على: يا رسول

(١) هذا الكلام للحافظ فى الفتح (٢٣٩/٨-٢٤٠) بتصرف فى شرح الحديث (٤١٩٦).

(٢) لفظ البخاري: لم يقربهم.

(٣) أخرجه البخاري (٤١٩٧)، ومسلم (١٣٦٥/١٢٠).

(٤) الروض الأنف (٥٨/٤).

(٥) الفتح (٢٤٤/٨).

(٦) لفظ البخاري: فأرسلوا إليه.

الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال: اتنذ^(١) على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم... الحديث^(٢).

ولما أن تصافَّ القوم، كان سيف عامر قصيراً، فتناول ساق يهودي ليضربه، فرجع ذباب سيفه، فأصاب عين ركبة عامر، فمات منه، فلما قفلوا، قال سلمة: قلت: يا رسول الله، فذاك أبي وأمي، زعموا أن عامرا حبطَ عمله عليه، قال ﷺ: كذب من قال، وإن له أجرين - وجمع بين إصبعيه - إنه لجاهد مجاهد. رواه البخاري أيضاً^(٣).

وعن يزيد بن أبي عبيدة قال: رأيت ضربة بساق سلمة، فقلت: ما هذه الضربة ؟ قال: هذه ضربة أصابنيها يوم خيبر، فأتيت النبي ﷺ، فنفت فيها ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة. أخرجه البخاري^(٤).

وعنده - أيضاً - عن أبي هريرة: شهدنا خيبر، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعى الإسلام: هذا من أهل النار، فلما حضر القتال، قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت فيه الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة، فأهوى بيده إلى كنانته، فاستخرج منها سهماً، فنحر نفسه، فاشتدَّ رجالٌ من المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، صدَّقَ الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه، فقال: قُمْ يا فلان فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر^(٥).

وفى رواية: فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»^(٦).

(١) لفظ البخاري: انفذ على رسلك.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (٤٢٠٩، ٤٢١٠) في المغازي وأخرجه أيضاً في فضائل عليّ رقم (٣٧٠٢) من حديث سلمة.

(٣) نفس حديث سلمة السابق وهو في البخاري بهذا اللفظ رقم (٤١٩٦).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٤٢٠٦).

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٢٠٤).

(٦) انظر السابق.

وقاتل النبي ﷺ أهل خيبر، وقتلوه أشد القتال، واستشهد من المسلمين خمسة عشر، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون، وفتحها الله عليه حصناً حصناً، وهى النطاة، وحصن الصعب، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، والشق، وحصن أبى، وحصن البراء، والقموص، والوطيح، والسلالم، وهو حصن بنى الحقيق الذى كان لهم به كنز فى مسك الحمار، وكانوا قد غيبوه فى خربة؛ فدل الله رسوله عليه فاستخرجه، وقلع على باب خيبر، ولم يحركه سبعون رجلاً إلا بعد جهد.

وفى رواية ابن إسحاق سبعة، وأخرجه من طريقه البيهقي فى «الدلائل»^(١)، ورواه الحاكم وعنه البيهقي من جهة ليث بن أبى سليم، عن أبى جعفر محمد بن على بن حسين، عن جابر؛ أن علياً حمل الباب يوم خيبر، وأنه جرب بعد ذلك، ولم يحمله أربعون رجلاً^(٢)، وليث ضعيف.

وفى رواية البيهقي: أن علياً لما انتهى إلى الحصن، اجتذ أحد أبوابه فآلقاه فى الأرض، فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلاً، وكان جهداً أن أعادوا الباب مكانه^(٣).

قال شيخنا: وكلها واهية، ولذا أنكره بعض العلماء. انتهى.

وفى البخارى: وتزوج - عليه الصلاة والسلام - بصفية بنت حُيَّ بن أخطب، وكان قد قتل زوجها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، وكانت عروساً، فذكر له جمالها فاصطفاها لنفسه، فخرج بها حتى إذا بلغت سد الضبباء، حلت له، يعنى: طهرت من الحيض، فبنى بها - عليه الصلاة والسلام - فصنع حيساً فى نطع صغير، ثم قال لأنس: آذن من حولك؛ فكانت وليمته على صفية.

قال: ثم خرجنا إلى المدينة، فرأيت النبي ﷺ يحوى لها، وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب^(٤)، وفى رواية: فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين، أو ما ملكت يمينه؟ قالوا: إن حجبتها، فهى إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها، فهى ما ملكت يمينه، فلما

(١) أخرجه ابن إسحاق فى السيرة (٢٨٤/٣)، ومن طريقه البيهقي فى الدلائل (٢١٢/٤).

(٢) أخرجه البيهقي فى الدلائل (٢١٢/٤) عن الحاكم به.

(٣) ينظر: الفتح (٢٥٧/٨).

(٤) أخرجه البخاري فى صحيحه (٤٢١١).

ارتحل، وطأ لها ومد الحجاب^(١).

وفى رواية: أنه ﷺ قتل المقاتلة، وسبى الذرية، وكان فى السبى صفية، فصارت إلى دحية الكلبي، ثم صارت إلى النبي ﷺ، فجعل عتقها صداقها، وفى رواية: فأعتقها، وفى رواية: قال ﷺ لدحية: خذ جارية من السبى غيرها^(٢). وفى رواية لمسلم: أنه ﷺ اشترى صفية منه بسبعة أرؤس، وإطلاق الشراء على ذلك على سبيل المجاز، وليس فى قوله: «بسبعة أرؤس»^(٣) ما ينافى قوله فى رواية البخارى: «خذ جارية من السبى غيرها»؛ إذ ليس هنا دلالة على نفى الزيادة. والله أعلم.

وإنما أخذ ﷺ صفية؛ لأنها بنت ملك من ملوكهم، وليست ممن توهب لدحية؛ لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه، وقلة من كان فى السبى مثل صفية فى نفاستها، فلو خصه بها، لأمكن تغير خاطر بعضهم؛ فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه، واختصاصه - عليه الصلاة والسلام - بها، فإن فى ذلك رضا الجميع، وليس ذلك من الرجوع فى الهبة فى شيء. انتهى.

وقال مغلطاي وغيره: كانت صفية قبل، رأت أن القمر سقط فى حجرها؛ فتؤول بذلك.

قال الحاكم: وكذا جرى لجويرية^(٤).

وفى حرم ﷺ لحوم الحمر الأهلية كما فى البخاري: ولفظه: فلما أمسى الناس مساء اليوم الذى فتحت عليهم - يعنى: خير - أوقدوا نيرانا كثيرة، فقال ﷺ: ما هذه النيران، على أى شيء توقدون؟ قالوا: على لحم، قال: على أى لحم؟ قالوا: لحم الحمر الأنسية، فقال النبي ﷺ: أهريقوها واكسروها، فقال رجل: يا رسول الله، أو نهريقها ونغسلها؟ قال: أو ذاك^(٥)؛ والمشهور فى الإنسية: كسر

(١) البخاري (٤٢١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١)، ومسلم (٨٤-١٣٦٥)، وأبو داود (٢٩٩٨)، والنسائي (٦/١٣٣، ١٣٢).

(٣) أخرجه مسلم رقم (١٣٦٥/٨٧).

(٤) تقدم ذلك فى أزواج النبي ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري (٤١٩٦) من حديث سلمة بن الأكوع.

الهمزة، منسوبة إلى الإنس، وهم بنو آدم، وحكى ضم الهمزة ضد الوحشية، ويجوز فتحها والنون - أيضًا - مصدر: أنست به أنس أنسا وأنسة.

وفى رواية: «نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، ورخص فى الخيل»، قال ابن أبى أوفى: فتحدثنا أنه إنما نهى عنها؛ لأنها لم تخمس^(١).

وقال بعضهم: نهى عنها ألبتة؛ لأنها كانت تأكل العذرة^(٢).

قال العلماء: وإنما أمر بإراقتها؛ لأنها نجسة محرمة، وقيل: إنما نهى عنها للحاجة إليها، وقيل: لأخذها قبل القسمة.

وهذان التأويلان للقائلين بإباحة لحومها، والصواب ما قدمنا.

وأما قوله ﷺ: «اكسروها» فقال رجل: أو نهريقها ونغسلها؟ قال: أو ذاك. فهذا محمول على أنه ﷺ اجتهد فى ذلك فرأى كسرها، ثم تغير اجتهاده، وأوحى إليه بغسلها.

وأما لحوم الخيل: فاختلف العلماء فى إباحتها:

فمذهب الشافعى والجمهور من السلف والخلف: أنه مباح لا كراهة فيه؛ وبه قال عبد الله بن الزبير، وأنس بن مالك، وأسماء بنت أبى بكر.

وفى صحيح مسلم عنها: «نحرنا فرسًا على عهد رسول الله ﷺ، فأكلناه ونحن بالمدينة»^(٣).

وفى رواية الدارقطنى: «فأكلناه نحن وأهل بيت النبى ﷺ»^(٤).

قال فى فتح البارى: ويستفاد من قولها: «ونحن بالمدينة» أن ذلك بعد فرض الجهاد فيرد على من استدل فى منع أكلها لعلها أنها من آلة الجهاد. وقولها: «وأهل بيت النبى ﷺ» رد على من زعم أنه ليس فيه أن النبى ﷺ اطلع على ذلك، مع أن ذلك لو لم يرد لم يظن بآل أبى بكر أنهم يقدمون على فعل شيء فى زمنه ﷺ إلا وعندهم العلم بجوازه؛ لشدة اختلاطهم به - عليه الصلاة والسلام - وعدم

(١) حديث النهي هذا أخرجه البخاري (٣١٥٥)، (٤٢٢٠)، (٤٢٢٢)، (٤٢٢٤)، (٥٥٢٦) وعبارة ابن أبى أوفى بعد رقم (٣١٥٥) فى كتاب فرض الخمس.

(٢) انظر صحيح البخاري الحديث (٤٢٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٥١١)، ومسلم فى صحيحه (١٩٤٢).

(٤) أخرجه الدارقطنى فى سننه (٢٩٠/٤) رقم (٧٧).

مفارقتهم له، وهذا مع توفر داعية الصحابة إلى سؤاله - عليه الصلاة والسلام - عن الأحكام؛ ومن ثم: كان الراجح أن الصحابي إذا قال: «كنا نفعل كذا على عهد رسول الله ﷺ» كان له حكم الرفع؛ لأن الظاهر اطلاعه ﷺ على ذلك وتقريره، وإذا كان ذلك في مطلق الصحابي، فكيف بآل أبي بكر؟^(١).

وقال الطحاوي: ذهب أبو حنيفة: إلى كراهة أكل الخيل، وخالفه أصحابه وغيرهما، واحتجوا بالأخبار المتواترة في حلها. انتهى^(٢).

وقد نقل بعض التابعين الحل عن الصحابة مطلقاً من غير استثناء أحد؛ فأخرج ابن أبي شيبة، بسند صحيح على شرط الشيخين، عن عطاء، قال: «لم يزل سلفك يأكلونها»، قال ابن جريج: قلت: أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم. وأما ما نقل في ذلك عن ابن عباس - من كراهتها - فأخرجه ابن أبي شيبة، وعبد الرزاق، بسندين ضعيفين.

وقال أبو حنيفة في الجامع الصغير: أكره لحوم الخيل؛ فحمله أبو بكر الرازي على التنزيه، وقال: لم يطلق أبو حنيفة فيه التحريم، وليس هو عنده كالحمار الأهلي. وصحح أصحاب «المحيط» و«الهداية» و«الذخيرة» عنه التحريم، وهو قول أكثرهم.

وقال القرطبي في شرح مسلم: مذهب مالك الكراهة، وقال [الفاكهي]^(٣): المشهور عند المالكية الكراهة. والصحيح عند المحققين منهم التحريم. وقال [الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة]^(٤): الدليل على الجواز مطلقاً واضح؛ لكن سبب كراهة مالك لأكلها كونها تستعمل غالباً في الجهاد، فلو انتفت الكراهة لكثرت استعمالها، ولو كثرت لأفضى إلى فئاتها، فيثول إلى النقص من إرهاب العدو الذي وقع الأمر به في قوله تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فعلى هذا: فالكراهة لسبب خارج وليس البحث فيه؛ فإن الحيوان المتفق على

(١) انظر: فتح الباري (٨٢/١١).

(٢) نقل ذلك عنه الحافظ في فتح الباري (٨٢/١١، ٨٣).

(٣) في ط: الفاكهاني. والمثبت من فتح الباري.

(٤) في ط: ابن حمزة. والمثبت من فتح الباري، وهو الصواب.

إباحته لو حدث أمر يقتضى أن لو ذبح لأفضى إلى ارتكاب محذور، لامتنع، ولا يلزم من ذلك القول بتحريمه انتهى.

وأما قول بعض المانعين: لو كانت حلالاً، لجازت الأضحية بها فمقتضى بحيوان البر؛ فإنه مأكول ولم تشرع الأضحية به.

وأما حديث خالد بن الوليد، عند أبي داود والنسائي: «نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الخيل والبغال والحمير»^(١) فإنه ضعيف، ولو سلم لا ينهض معارضاً لحديث جابر الدال على الجواز، وقد وافقه حديث أسماء، وقد ضعف حديث خالد بن الوليد أحمد، والبخاري، والدارقطني، والخطابي، وابن عبد البر، وعبد الحق، وآخرون.

وزعم بعضهم: أن حديث جابر دال على التحريم لقوله: «رخص»^(٢)؛ لأن الرخصة استباحة المحظور مع قيام المانع؛ فدل على أنه رخص. لهم بسبب المخصصة التي أصابتهم بخير؛ فلا يدل ذلك على الحل المطلق.

وأجيب بأن أكثر الروايات جاء بلفظ الإذن، كما رواه مسلم، وفي رواية له: «أكلنا زمن خيبر الخيل وحمير الوحش، ونهانا النبي ﷺ عن الحمر الأهلية وأمر بلحوم الخيل»؛ فدل على أن المراد بقوله: «رخص» أذن.

ونوقض - أيضاً - بالإذن في أكل الخيل، ولو كانت رخصة لأجل المخصصة، لكانت الحمر الأهلية أولى بذلك؛ لكثرتها وعزة الخيل حيثئذ؛ فدل على أن الإذن في كل الخيل إنما كان للإباحة لا لخصوص الضرورة.

وقد نقل عن مالك وغيره من القائلين بالتحريم: أنهم احتجوا بالمنع بقوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِزْقِكُمْ وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] وقرروا ذلك بأوجه:

أحدها: أن اللام للتعليل؛ فدل على أنها لم تخلق لغير ذلك؛ لأن العلة

(١) أخرجه أبو داود (١٥١/٤) كتاب الأطعمة: باب في أكل لحوم الخيل، رقم (٣٧٩٠)، والنسائي (٢٠٢/٧)، وابن ماجه رقم (٣١٩٨)، والدارقطني (٢٨٧/٤)، وأحمد (٨٩/٤)، والبيهقي في شرح السنة (٤٧/٦)، من حديث خالد بن الوليد قال البيهقي: وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٥٢٠)، ومسلم رقم (١٩٤١/٣٦)، والبيهقي في شرح السنة (٦/٤٧ - بتحقيقنا)، من حديث جابر بلفظ: نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر، ورخص في لحوم الخيل.

المنصوصة تفيد الحصر، فأباحة أكلها تقتضى خلاف ظاهر الآية.

ثانيها: عطف البغال والحمير؛ فدل على اشتراكها معهما فى حكم التحريم؛ فيحتاج من أفرد حكم ما عطف عليها إلى دليل.

ثالثها: أن الآية سقت مساق الامتنان؛ فلو كان ينتفع بها فى الأكل لكان الامتنان به أعظم، والحكيم لا يمتنُّ بأدنى النعم ويترك أعلاها، لا سيما وقد وقع الامتنان بالأكل فى المذكورات قبلها.

رابعها: لو أبيح أكلها، لفاتت المنفعة بها فيما وقع به الامتنان من الركوب والزينة:

وأجيب: بأن آية النحل مكية اتفاقاً، والإذن فى أكل الخيل كان بعد الهجرة من مكة بأكثر من ست سنين، فلو فهم النبى ﷺ من الآية المنع، لما أذن فى الأكل. وأيضاً: فأية النحل ليست نصاً فى منع الأكل، والحديث صريح فى جوازه. وأيضاً: فلو سلمنا أن اللام للتعليل، لم نسلم إفادة الحصر فى الركوب والزينة؛ فإنه ينتفع بالخيـل فى غيرها وفى الأكل اتفاقاً، وإنما ذكر الركوب والزينة؛ لكونهما أغلب ما تطلب له الخيل، ونظيره حديث البقرة المذكور فى الصحيحين، خاطبت راكبها، فقالت: «لم أخلق لهذا، وإنما خلقت للحرث»؛ فإنه مع كونه أصرح فى الحصر ما يقصد به إلا الأغلب، وإلا فهى تؤكل وينتفع بها فى أشياء غير الحرث اتفاقاً.

وقال البيضاوى: واستدل بها - أى بآية النحل - على حرمة لحومها، ولا دليل فيها؛ إذ لا يلزم من تعليل العقل بما يقصد منه غالباً ألا يقصد منه غيره أيضاً. انتهى. وأيضاً: فلو سلم الاستدلال، للزم منع حمل الأثقال على الخيل والبغال والحمير، ولا قائل به.

وأما عطف البغال والحمير: فدلالة العطف إنما هى وضعية، وهى ضعيفة. وأما أنها سقت مساق الامتنان: فالامتنان إنما قصد به غالب ما يقع به انتفاعهم بالخيـل، فخطبوا بما ألفوا وعرفوا، ولم يكونوا يعرفون أكل الخيل لعزتها فى بلادهم؛ بخلاف الأنعام فإن أكثر انتفاعهم بها كان بحمل الأثقال والأكل؛ فاقصر فى كل من الصنفين على الامتنان بأغلب ما ينتفع به، فلو لزم من ذلك الحصر فى هذا الشق لأضر.

وأما قولهم: «لو أبيح أكلها؛ لفاتت المنفعة بها...» إلى آخره. فأجيب عنه: بأنه لو لزم من الإذن في أكلها أن تفتى، للزم مثله في البقر وغيرها مما أبيح أكله ووقع الامتنان به.

وإنما أطلت في ذلك لأمر اقتضاه، والله أعلم^(١).

وفيها - أيضاً - نهى [النبي] ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع^(٢)، وعن بيع المغنم حتى تقسم^(٣)، وألاً توطأ جارية حتى تستبرأ^(٤).

(١) الكلام السابق كله نقله المصنف بتصريف من فتح الباري (١١/٨٢-٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٤٣/٣)، كتاب الصيد والذبائح باب تحريم أكل كل ذي ناب حديث (١٦/١٩٣٤)، وأبو داود (٣٨٣/٢) كتاب الأطعمة، باب النهي عن أكل السباع حديث (٣٨٠٣)، والدارمي (٨٥/٢) كتاب الأضاحي، باب ما لا يؤكل من السباع، وأحمد (١/٢٤٤، ٢٨٩، ٣٠٢، ٣٧٣)، وابن الجارود (٨٩٢)، وابن حبان (٥٢٥٦-الإحسان)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/١٩٠)، والبيهقي (٩/٣١٥) كتاب الضحايا، باب ما يحرم من جهة ما لا تأكل العرب، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/٩٥)، والبخاري في شرح السنة (٦/٣٢-بتحقيقنا) من طريق أبي بشر والحكم عند بعضهم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس به. وقد رواه ميمون بن مهران عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أخرجه أبو داود (٢/٣٨٣) كتاب الأطعمة، باب النهي عن أكل السباع حديث (٣٨٠٥)، والنسائي (٧/٢٠٦)، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة أكل لحوم الدجاج، وابن ماجه (٢/١٠٧٧) كتاب الصيد، باب أكل كل ذي ناب من السباع حديث (٣٢٣٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/١٩٠)، وأحمد (١/٣٣٩)، والبيهقي (٩/٣١٥) كتاب الضحايا، باب ما يحرم من جهة ما لا تأكل العرب، وابن الجارود (٨٩٣) من طريق علي بن الحكم عن ميمون بن مهران عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وفي الباب عن جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة، وأبو ثعلبة الخشني، وخالد بن الوليد، وغيرهم.

(٣) أخرجه أبو داود رقم (٣٣٦٩)، وأحمد في المسند (٢/٣٨٧)، والطبراني في الكبير (١٢/٤٣٤).

(٤) ورد ذلك من حديث أبي سعيد الخدري، وابن عباس وأبي هريرة والعرياض بن سارية، وعلى بن أبي طالب، ورويف بن ثابت وأبي أمامة وابن عمر ورجل ثقة. حديث أبي سعيد الخدري: أخرجه أحمد (٣/٨٧)، وأبو داود (٢/٦١٤) كتاب النكاح باب في وطء السبايا حديث (٢١٥٧)، والحاكم (٢/١٩٥)، كتاب النكاح، والبيهقي (٩/١٢٤) كتاب السير باب المرأة تسمى مع زوجها وفي (٧/٤٤٩) كتاب العدد، باب استبراء من ملك الأمة، عنه أن النبي ﷺ قال في سبي أوطاس: «لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير حامل حتى تحيض حيضة» وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وحديث ابن عباس أخرجه ابن الجارود (٢٤٤) كتاب النكاح، الحديث (٧٣٢) وأبو يعلى (٤/٣٧٣-٣٧٤) رقم (٢٤٩١) من طريق الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر وعن كل ذي ناب من السباع وأن توطأ السبايا حتى يضعن». وأخرجه النسائي (٧/٣٠١) =

وفيها: سمت النبي ﷺ زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم؛ كما في البخاري من حديث أبي هريرة، ولفظه: «لما فتحت خيبر، أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود، فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: إني سائلكم عن شيء، فهل أنت صادقوني عنه؟

= والدارقطني (٦٩/٣) كتاب البيوع حديث (٢٦٠)، وأبو يعلى (٣٠٤/٤) رقم (٢٤١٤)، والحاكم (١٣٧/٢) من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد عن ابن عباس به وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وأخرجه الدارقطني (٢٥٧/٣) كتاب النكاح، باب المهر (٥٠) من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن مسلم الجندي عن عكرمة عن ابن عباس قال: نهى رسول الله ﷺ أن توطأ حامل حتى تضع أو حائل حتى تحيض. وذكره الهيثمي بهذا اللفظ في «المجمع» (٧/٥) وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وذكره الهيثمي أيضًا بلفظ آخر عنه قال: نهى رسول الله ﷺ يوم حنين عن بيع الخمس حتى يقسم وعن أن توطأ النساء حتى يضعن ما في بطونهن إن كن حبالى. وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عصمة بن المتوكل وهو ضعيف. حديث أبي هريرة أخرجه الطبراني في الصغير (٩٥/١) من طريق بقة بن الوليد عن إسماعيل بن عياش عن الحجاج ابن أرقطة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أنه نهى في وقعة أوطاس أن يقع الرجل على حامل حتى تضع» وقال الهيثمي (٧/٥): رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه بقة والحجاج وكلاهما مدلس. حديث العرياض بن سارية أخرجه الترمذي (١٣٣/٤) كتاب السير، باب ما جاء في كراهية وطء الحبالى من السبايا حديث (١٥٦٤) من طريق أبي عاصم النبيل عن وهب بن خالد عن أم حبيبة بنت العرياض بن سارية أن أباهما أخبرها: «أن رسول الله ﷺ نهى أن توطأ السبايا حتى يضعن ما في بطونهن» ثم قال الترمذي: «غريب» حديث روي عن بن ثابت أخرجه أحمد (١٠٨-١٠٩) وأبو داود (٢/٦١٥-٦١٦) كتاب النكاح، باب في وطء السبايا الحديث (٢١٥٨)، والترمذي (٤٣٧/٣) كتاب النكاح باب ما جاء في الرجل يشتري الجارية وهي حامل الحديث (١١٣١)، وابن الجارود ص (٢٤٤) كتاب النكاح الحديث (٧٣١)، والبيهقي (١٢٤/٩) كتاب السير، باب المرأة تسبى مع زوجها وفي (٤٤٩/٧) كتاب العدد باب استبراء من ملك الأمة عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم حنين: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها» بلفظ أبي داود. وقال الترمذي: حديث حسن وقد روى من غير وجه عن رويغ بن ثابت. وحديث أبي أمامة رواه الطبراني كما في المجمع (٤/٣٠٣) عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر أن توطأ الحبالى حتى يضعن» وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. وحديث ابن عمر رواه الطبراني كما في المجمع (٣٠٣/٤) ولفظه «كل جارية بها حبل حرام على صاحبها حتى تضع ما في بطنها» وقال الهيثمي: وفيه يحيى بن عبد الله البجلي وهو ضعيف. حديث الثقة: أخرجه أبو يعلى كما في المطالب العالية (٧٢/٢) حديث (١٦٨٣) من حديث يحيى بن سعد بن دينار مولى آل الزبير قال: أخبرني الثقة أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر أن يوقع على الحبالى وقال الهيثمي في المجمع (٤/٣٠٣) رواه أبو يعلى ويحيى لا أعرفه.

فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان، فقال لهم رسول الله ﷺ: كذبتُم، بل أبوكم فلان، فقالوا: صدقت وبررت، قال: هل أنتم صادقونى عن شيء إن سألتكم؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبتناك عرفت كذبتنا كما عرفته فى أبينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها، فقال رسول الله ﷺ: اخسئوا فيها، والله، لا نخلفكم فيها أبدًا، ثم قال: هل أنتم صادقونى عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم، فقال: هل جعلتم فى هذه الشاة سُمًّا؟ فقالوا: نعم، فقال: ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إن كنت كذابًا أن نستريح منك، وإن كنت نبيًّا لم يضرَّك^(١).

وفى حديث جابر عند أبى داود: أن يهوديةً من أهل خير سمت شاة مصلية، ثم أهدتها إلى رسول الله ﷺ، فأخذها رسول الله ﷺ يأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، فقال رسول الله ﷺ: ارفعوا أيديكم، وأرسل إلى اليهودية فقال: سمت هذه الشاة؟ فقالت: من أخبرك؟ قال: أخبرتنى هذه فى يدى - للذراع - قالت: نعم، قلت: إن كان نبيًّا فلم يضره، وإن لم يكن نبيًّا استرحنا منه، فعفا عنها ﷺ ولم يعاقبها، وتوفى أصحابه الذين أكلوا من الشاة.

واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة^(٢). وفى رواية: «جعلت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم تسأل: أى الشاة أحب إلى محمد؟ فيقولون الذراع، فعمدت إلى عتر لها فذبحتها وصلتها، ثم عمدت إلى سم لا يطنى، يعنى: لا يلبث أن يقتل من ساعته، وقد شاورت يهود فى سموم، فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه، فسَمَّت الشاة وأكثرت فى الذراعين والكتف، فوضعت بين يديه ومن حضر من أصحابه، وفيهم بشر بن البراء، وتناول ﷺ الذراع، وانتهش منها، وتناول بشر بن البراء عظمًا آخر، فلما ازدرد ﷺ لقمته ازدرد بشر بن البراء ما فى فيه وأكل القوم، فقال ﷺ: ارفعوا أيديكم؛ فإن هذا الذراع تخبرنى أنها مسمومة، وفيه أن بشر بن البراء مات، وفيه: أنه ﷺ دفعها إلى أولياء بشر بن البراء،

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٩)، (٤٢٤٩)، (٥٧٧٧) مع اختلاف فى بعض الألفاظ، وأبو داود (٤٥١٢).

(٢) سنن أبى داود (٤٥١٠) وهو جزء من الحديث السابق.

فقتلوا^(١). رواه الدمياطي.

وقد اختلف، هل عاقبها ﷺ؟ فعند البيهقي، من حديث أبي هريرة: فما عرض لها^(٢)، ومن طريق أبي نضرة، عن جابر: نحوه، قال: فلم يعاقبها^(٣)، وفيه قول صاحب الهمزية: [من الخفيف]

ويخلق من النّبئ كريم لم تُقاصص بِجُرحِهَا العَجَماءُ
وقال الزهري: أسلمت فتركها. قال البيهقي: يحتمل أنه تركها أولاً، ثم لما مات بشر بن البراء من الأكلة قتلها^(٤). وبذلك أجاب السهيلي، وزاد: أنه تركها؛ لأنه كان لا يتقم لنفسه، ثم قتلها ببشر قصاصاً. ويحتمل أن يكون تركها؛ لكونها أسلمت، وإنما آخر قتلها حتى مات بشر؛ لأن بموته يتحقق وجوب القصاص ببشره.

وفي مغازي سليمان التيمي: أنها قالت: إن كنت كاذباً أرحت الناس منك، وقد استبان لي الآن أنك صادق، وأنا أشهدك ومن حضر أني على دينك، وأن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. قال: فانصرف عنها حين أسلمت، وفيه موافقة الزهري على إسلامها. فالله أعلم.

وفيها - أيضاً - نام ﷺ عن صلاة الفجر لما وكل به بلالاً؛ كما في حديث أبي هريرة عند مسلم؛ أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر، سار ليله حتى إذا أدركه الكرى عرس، وقال لبلال: اكلاً لنا الليل، فصلى بلال ما قدر له، ونام ﷺ وأصحابه، فلما قارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجِه الفجر، فغلبت بلالاً عيناه، وهو مستند إلى راحلته، فلم يستقيظ ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان ﷺ أولهم استيقاظاً فقال: أي بلال، فقال بلال: أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك، بأبى أنت وأمى يا رسول الله! قال: اقتادوا، فاقتادوا وراحلهم شيئاً، ثم توضأ ﷺ، وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى بهم الفجر، فلما

(١) ينظر السيرة النبوية (٢٨٧/٣)، وتاريخ الطبري (١٥/٣)، والبداية والنهاية (٢٤٠/٤)، والسبل (١٣٣/٥-١٣٤).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٦٠/٤).

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٦٠/٤).

(٤) انظر دلائل النبوة (٢٦٢/٤).

قضى الصلاة قال: من نسي الصلاة، فليصلها إذا ذكرها. فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]^(١).

وفيها قدم جعفر ومن معه من الحبشة.

واختلف في فتح خير، هل كان عنوة أو صلحا؛ وفي حديث عبد العزيز بن صهيب، عن أنس: التصريح بأنه كان عنوة، وبه جزم ابن عبد البر^(٢)، ورد على من قال: فتحت صلحا، قال: وإنما دخلت الشبهة على من قال: فتحت صلحا

(١) أخرجه مسلم (٤٧١/١) كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة (٦٨٠/٣٠٩)، وأبو داود (١٧٢/١) كتاب الصلاة، باب من نام عن صلاة أو نسيها (٤٣٥) والنسائي (٢٩٦/١) كتاب المواقيت، باب إعادة من نام عن الصلاة لوقتها من الغد وابن ماجه (٢٢٧-٢٢٨) كتاب الصلاة، باب من نام عن الصلاة أو نسيها (٦٩٧)، وأبو عوانة (٢٥٣/٢)، والبيهقي (٢/٢١٧) من طرق عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى قال: أقم الصلاة لذكري». وفي الباب عن جماعة من الصحابة منهم: أنس وعبد الرحمن بن سمرة، وأبي بكر: فحديث أنس أخرجه البخاري (٧٠/٢) كتاب المواقيت، باب من نسي صلاة... (٥٩٧)، ومسلم (٤٧٧/١) كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة (٦٨٤/٣١٤)، وأبو داود (١٧٤/١) كتاب الصلاة، باب من نام عن صلاة أو نسيها (٤٤٢)، والترمذي (٣٣٦-٣٣٥/١) كتاب الصلاة، باب ما جاء في الرجل ينسى الصلاة (١٧٨)، والنسائي (٢٩٣/١) كتاب المواقيت، باب فيمن نسي الصلاة (٦١٣)، وابن ماجه (٢٢٧/١) كتاب الصلاة، باب من نام عن الصلاة أو نسيها (٦٩٥-٦٩٦)، والدارمي (٢٨٠/١) كتاب الصلاة، باب من نام عن صلاة أو نسيها، وأبو عوانة (٢٦٠-٢٦١/٢)، وابن أبي شيبة (١٨٩/١)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٣٠/٢)، وأحمد (٢١٦/٣، ٢٤٣، ٢٦٧، ٢٨٢)، والبيهقي (٢/٢١٨)، وابن خزيمة (٩٧/٢) رقم (٩٩٣) من طرق عن قتادة عن أنس مرفوعا ولفظ مسلم «من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها» ولفظ البخاري: «من نسي صلاة فليصل إذا ذكر لا كفارة لها إلا ذلك» وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وحديث عبد الرحمن بن سمرة أخرجه أحمد (٢٢/٥) من طريق بشر بن حرب عن سمرة قال بشر: أحسبه مرفوعا «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها» وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٣٢٦) وقال: وبشر بن حرب ضعفه ابن المديني وجماعة ووثقه ابن عدي وقال لم أر له حديثا منكرا. اهـ وقال الحافظ في «التقريب» (٩٨/١): بشر بن حرب الأزدي أبو عمرو التديبي: صدوق فيه لين. وحديث أبي بكره أخرجه البزار (١٩٩-١-كشف) رقم (٣٩٤) من طريق إسماعيل بن علية عن عيينة عن أبيه عن أبي بكره قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها». قال البزار: لا نعلمه عن أبي بكره إلا من هذا الوجه ولم يحدث به عن ابن علية إلا أحمد بن المقدم وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/٣٢٧) وقال: رواه البزار ورجاله موثقون.

(٢) ينظر: الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (٢١٤)، في غزوة خيبر.

بالحصنين اللذين أسلمهما أهلها؛ لتحقن دماؤهم، وهو ضرب من الصلح؛ لكن لم يقع ذلك إلا بحصار وقتال.

وفيها سرية أبي بكر إلى بنى كلاب^(١)، فسبى منهم وقتل. وبشير بن سعد إلى بنى مرة بفدك^(٢)، فى شعبان، فى ثلاثين فقتلوا، وارتث بشير.

وأيضاً إلى يمن وجبار فى شوال^(٣)، ومعه ثلاثمائة فهربوا، وغنم منهم، وأسر رجلين فأسلما.

والأخرم بن أبى العوجاء السلمى إلى بنى سليم فى ذى الحجة^(٤)، ومعه خمسون رجلاً، فأحرق بهم الكفار فقتلوه.

وخرج ابن أبى العوجاء، وغالب بن عبد الله الليثى إلى الميعة ناحية نجد فى رمضان، فقتل أسامة نهيك بن مرداس بعد قوله: لا إله إلا الله^(٥)، وقيل: إنما كان ذلك سنة ثمان، استاقوا نعمًا وشاء إلى المدينة.

وفيها عمرة القضية، ويقال: القضاء والقصاص^(٦) هلال ذى الحجة، ومعه ﷺ ألفان، وأقام بمكة ثلاثة أيام، وبنى بميمونة بسرف.

قال فى المواهب: وتسمى عمرة القضاء؛ لأنه قاضى فيها قريشًا، لا لأنها قضاء عن العمرة التى صد عنها؛ لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها، بل كانت عمرة

(١) انظر مغازي الواقدي (٧٢٢/٢) طبقات ابن سعد (٩٠/٢) تاريخ الإسلام للذهبي (ص ٤٤٦ - مغازي).

(٢) انظر مغازي الواقدي (٧٢٣/٢)، وطبقات ابن سعد (٩١/٢)، وتاريخ الطبري (٢٢/٣)، عيون التواريخ (٢٧١/١) وتاريخ الإسلام للذهبي (ص ٤٤٨ - مغازي).

(٣) انظر سرية بشير بن سعد في: مغازي الواقدي (٧٢٧/٢)، وطبقات ابن سعد (٩١/٢) وتاريخ الطبري (٢٣/٣).

(٤) انظر مغازي الواقدي (٧٤١/٢)، والطبقات الكبرى (٩٤/٢) وتاريخ الطبري (٢٦/٣)، وتاريخ الإسلام (ص ٤٦٩ - مغازي).

(٥) أخرجه البخاري فى صحيحه (٤٢٦٩)، (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٧) وأحمد (٢٠٠/٥)، أبو داود (٢٦٤٣) من حديث أسامة بن زيد وفيه أقتله بعد ما قال: لا إله إلا الله.

(٦) مغازي الواقدي (٧٣١/٢ - ٧٤١) والطبقات الكبرى (٩٢/٢) وسيرة ابن هشام (٥/٤)، وتاريخ الطبري (٢٦-٢٣/٣) والكامل فى التاريخ (٢٢٧/٢ - ٢٢٨) وعيون التواريخ (١/٢٧٢) وتاريخ الإسلام (ص ٤٥٩ - مغازي).

تامة، ولهذا عدوا عمر النبي ﷺ كما سيأتى، إن شاء الله تعالى.
وقال آخرون: بل كانت قضاء عن العمرة الأولى، وعدوا عمرة الحديبية فى العمر؛ لثبوت الأجر فيها، لا لأنها كملت.
وهذا الخلاف مبنى على الاختلاف فى وجوب القضاء على من اعتمر فصداً عن البيت.

فقال الجمهور: يجب عليه الهدى ولا قضاء عليه.
وعن أبى حنيفة عكسه. وعن أحمد: رواية أنه لا يلزمه هدى ولا قضاء، وأخرى: يلزمه القضاء والهدى.

فحجة الجمهور: قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [البقرة: ١٩٦]
وحجة أبى حنيفة: أن العمرة تلزم بالشروع، فإذا حصر صار له تأخيرها، فإذا زال الحصر أتى بها، ولا يلزم من التحلل بين الإحرامين سقوط القضاء.
وحجة من أوجبها ما وقع للصحابه؛ فإنهم نحرروا الهدى حيث صدوا، فاعتمروا من قابل وساقوا الهدى، وحجة من لم يوجبها: أن تحللهم بالحصر لم يتوقف على نحر الهدى، بل أمر من معه هدى أن ينحره، ومن ليس معه هدى أن يحلوا. انتهى.
قال الحاكم فى الإكليل: تواترت الأخبار أنه ﷺ لما أهل ذو القعدة - يعنى سنة سبع - أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية، وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف منهم إلا رجال استشهدوا بخير ورجال ماتوا.

وخرج معه ﷺ من المسلمين ألفان، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفارى، وساق - عليه الصلاة والسلام - ستين بدنة، وحمل السلاح والبيض والدروع والرماح، وقاد مائة فرس، فلما انتهى إلى ذى الحليفة، قدم الخيل أمامه عليها محمد ابن مسلمة، وقدم السلاح، واستعمل عليه بشر بعد، وأحرم ﷺ، ولبنى [و] المسلمون يلبون معه، ومضى محمد بن مسلمة فى الخيل إلى مر الظهران، فوجد بها نفراً من قريش، فسألوه فقالوا: هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غداً - إن شاء الله تعالى - فأتوا قريشاً فأخبروهم ففرعوا. ونزل رسول الله ﷺ بمر الظهران، وقدم السلاح إلى بطن ياجج كيسمع وينصر ويضرب موضع بمكة، حيث ينظر إلى

أنصاب الحرم، وخلف عليه أوس بن خولى الأنصارى فى مائتى رجل، وخرجت قريش من مكة إلى رءوس الجبال، وقدم رسول الله ﷺ الهدى أمامه، فحبس بذى طوى، وخرج ﷺ على راحلته القصوى، والمسلمون متوشحون السيوف، محدقون برسول الله ﷺ يلبون، فدخل من الثنية التى تطلعه على الحجون. وابن رواحة أخذ بزمام راحلته^(١). وفى رواية الترمذى، من حديث أنس أنه ﷺ دخل مكة فى عمرة القضاء، وابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول: [من الرجز]

خَلُّوا بَنَى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عمر: يا بن رواحة، بين يدى رسول الله ﷺ [وفى حرم الله]^(٢) تقول شعراً؟! فقال ﷺ: خَلَّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَمْ يَأْسُرْ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ^(٣). ورواه عبد الرزاق من حديث أنس - أيضاً - من وجهين بلفظ: [من الرجز]

خَلُّوا بَنَى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ
بِأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
يَا رَبِّ إِنِّى مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ

وعند ابن عقبة فى المغازى بعد قوله:

قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد (١٨٩/٥ - ١٩١).

(٢) الزيادة من الترمذى .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه (٢٨٤٧) ورواه أيضاً فى الشمائل (٢٤٦) والنسائى (٥/٢١١، ٢٠٢) وابن خزيمة (٢٦٨٠) ، وانظر سبل الهدى والرشاد (١٩١/٥ ، ١٩٢).

فِي صُحُفٍ تُثَلَّى عَلَى رَسُولِهِ^(١)

وزاد ابن إسحاق بعد قوله: [من الرجز]

يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ
إِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ فِي قَبُولِهِ^(٢)

وقال ابن هشام: إن قوله: «نحن ضربناكم على تنزيله» إلى آخر الشعر من قول
عمار بن ياسر؛ قاله يوم حنين^(٣).

قالوا ولم يزل رسول الله ﷺ يلبى حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعًا بثوبه،
وطاف على راحلته، والمسلمون يطوفون معه، وقد اضطبعوا بثيابهم.

وفى البخارى، عن ابن عباس: قال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد قد وهتهم
حمى يثرب، فأمرهم ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا بين الركنين، ولم
يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم^(٤).

وفى رواية قال: ارملوا؛ ليرى المشركون قوتكم. والمشركون من قبل قعيقعان.
ومعنى قوله: الإبقاء عليهم» أى: لم يمنعه من أمرهم بالرمل فى جميع الأوقات إلا

(١) ينظر هذا الشعر فى السيرة النبوية (٧/٤)، والبداية والنهاية (٢٥٨/٤)، وسبل الهدى
والرشاد (١٩١/٥).

(٢) فى السيرة، والبداية والنهاية: أعرف حق الله فى قبوله.

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٨/٤).

(٤) أخرجه مسلم (٩٢١/٢، ٩٢٢): كتاب الحج: باب استحباب الرمل فى الطواف والعمرة،
وفى الطواف الأول من الحج، حديث (١٢٦٤/٢٣٧)، وأبو داود (٤٤٤/٢): كتاب
المناسك (الحج) باب فى الرمل، حديث (١٨٨٥)، وابن ماجه (٩٨٤/٢): كتاب
المناسك: باب الرمل حول البيت. حديث (٢٩٥٣)، والطحاوي فى شرح معاني الآثار
(١٨٠/٢): كتاب مناسك الحج: باب الرمل فى الطواف، والبيهقي (١٠٠/٥): كتاب
الحج: باب الطواف راكبا، والطيالسي (٢٠٧/١): كتاب الحج والعمرة: باب حديث أبي
الطفيل عن ابن عباس المتضمن أسرار الحج، حديث (٩٩٢). وأحمد (٢٢٩/١)، من
طرق عن أبي الطفيل، قال: قلت لابن عباس: زعم قومك أن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - رمل بالبيت وأنها سنة. قال: صدقوا وكذبوا. قد رمل رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - بالبيت، وليس بسنة، ولكن قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة
والمشركون من قبل قعيقعان، وبلغه أنهم يقولون: إن به وبأصحابه هزالاً، فقال لأصحابه:
ارملوا، أروهم أن بكم قوة، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرمل من الحجر
الأسود إلى الركن اليماني، فإذا توارى عنهم مشى. وقعيقعان جبل مشهور بمكة.

الرفق بهم والإشفاق عليهم.

ثم طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند فراغه، وقد وقف الهدى عند المروة، قال: هذا المنحر^(١)، وكل فجاج مكة منحر، فنحر عند المروة وحلق هناك، وكذلك فعل المسلمون.

وأمر رسول الله ﷺ ناسًا منهم إلى أصحابهم بيطن ياجج، فيقيموا على السلاح، ويأتى الآخرون، فيقضوا نسكهم، ففعلوا، فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثًا.

وفى البخارى، من حديث البراء: فلما دخلها - يعنى مكة - ومضى الأجل، أتوا عليًا، وقالوا: قل لصاحبك يخرج عنا، فقد مضى الأجل. فخرج النبي ﷺ، فتبعته ابنة حمزة تنادى: يا عم يا عم، فتناولها على، فأخذ بيدها، وقال لفاطمة: دونك بنت عمك، فحملتها فاخصم فيها على وزيد وجعفر، قال على: أنا أخذتها وهى ابنة عمى، وقال جعفر: ابنة عمى وخالتها تحتى، وقال زيد: بنت أخى، فقضى بها النبي ﷺ لخالتها، وقال الخالة بمنزلة الأم^(٢). الحديث.

وإنما أقرهم النبي ﷺ على أخذها مع اشتراط المشركين ألا يخرج بأحد من أهلها أراد الخروج؛ لأنهم لم يطلبوها.

وقوله: «الخالة بمنزلة الأم» أى: فى هذا الحكم الخاص؛ لأنها تقرب منها فى الحنية والشفقة والاهتداء إلى ما يصلح الولد.

(١) أخرجه مسلم (٨٨٦/٢، ٨٩٢) كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حديث (١٢١٨/١٤٧)، وغيره من حديث جابر فى حديثه الطويل فى صفة حج النبي ﷺ المعروف من رواية محمد بن علي عن جابر وورد ذلك فى حديث آخر له أيضًا من رواية عطاء عنه: أخرجه أبو داود (٤٧٨/٢، ٤٧٩) كتاب المناسك (الحج)، باب الصلاة بجمع، حديث (١٩٣٧)، وأحمد (٣٢٦/٣)، والدارمي (٥٦/٢، ٥٧) كتاب المناسك، باب عرفة كلها موقف، والبيهقي (١٢٢/٥) كتاب الحج، باب حيثما وقف من المزدلفة أجزاء، ولفظه أن رسول الله ﷺ قال: «كل عرفة موقف، وكل مزدلفة موقف، ومنى كلها منحر، وكل فجاج مكة طريق ومنحر» وورد أيضًا من حديث علي أخرجه أبو داود (٤٧٨/٢)، كتاب المناسك (الحج)، باب الصلاة بجمع (١٩٣٥)، والترمذي (٢٣٢/٣)، كتاب الحج، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف حديث (٨٨٥)، وابن ماجه (١٠٠١/٢) كتاب المناسك، باب الموقف بعرفات، حديث (٣٠١٠)، والبيهقي (١٢٢/٥)، كتاب الحج، باب حيثما وقف من المزدلفة أجزاء، وأحمد (٧٦/١).

وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) تقدم تخريجه فى الجزء الأول.

ويؤخذ منه: أن الخالة فى الحضانة مقدّمة على العمة؛ لأن صفة بنت عبد المطلب كانت موجودة حيثُذ، وإذا قدمت على العمة مع كونها أقرب من العصباء من النساء، فهى مقدّمة على غيرها.

ويؤخذ منه: تقديم أقارب الأم على أقارب الأب. انتهى.

قال ابن عباس: وتزوج ﷺ ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال^(١). وقد استدرك ذلك على ابن عباس، وعُدَّ من وهمه، قال سعيد بن المسيب: وهَلْ ابن عباس، وإن كانت خالته، ما تزوّجها ﷺ إلا بعد ما حل. ذكره البخاري. وهَلْ - بكسر الهاء - أي غلط. وقال يزيد بن الأصم، عن ميمونة: تزوجنى رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف^(٢). رواه مسلم.

وسأيتى فى الخصائص: أن له ﷺ النكاح فى حال الإحرام؛ على أصح الوجهين عند الشافعية.

وفى هذه السنة: قدم حاطب من عند المقوقس ملك مصر جريج بن مينا، ومعه الهدايا^(٣).

وفىها: رد رسول الله ﷺ ابنته زينب على زوجها أبى العاص بن الربيع^(٤)، وأخرج عمارة - أو فاطمة أو غير ذلك على الخلاف فى اسمها - بنت حمزة من عند المشركين - أو على يأذنه، فاختصم فيها زيد وجعفر وعلى فى الحديث المشهور^(٥). وأرسل الرسل إلى الملوك أول المحرم، وقيل: آخر سنة ست: عبد الله ابن حذافة السهمى إلى كسرى، فمزق كتابه فدعا عليه بتمزيق ملكه، فملكهم لا يزال ممزقًا، وعمر بن العاص إلى ملكى عُمان عبد وجيفر ابنى الجلندى، فأسلما، وسليط بن عمرو إلى هوزة بن على باليمامة، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك البلقاء، والعلاء الحضرمى إلى المنذر بن ساوى بالبحرين فأسلم، وأبا موسى الأشعرى ومعاذًا إلى اليمن، وعمرًا الضمرى إلى مسيلمة،

(١) تقدم تخريجه فى باب أزواج النبي.

(٢) أخرجه مسلم رقم (١٤١١/٤٨)، وأبو داود (١٨٤٣)، والترمذي (٨٤٥)، وابن ماجه (١٩٦٤).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٢١/٣).

(٤) تقدم فى باب ذكر أولاده عليه الصلاة والسلام عند ذكر زينب.

(٥) تقدم قريبًا.

وعياش بن الربيع إلى الحارث، ومسروح ونعيم بن عبد كلال، ودحية الكلبي بكتابه إلى هرقل ليدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى هرقل، وحديثه الصحيح مشهور، إلى جماعة كثيرة^(١). وفيها: لبس الخاتم^(٢)، أو في آخر السادسة.



(١) انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٥٠١-مغازي).
 (٢) رواه البخاري (٦٥) من حديث أنس قال: كتب النبي ﷺ كتابًا -أو أراد أن يكتب- فقبل له: إنهم لا يقرءون كتابًا إلا مختومًا فاتخذ خاتمًا من فضة نقشه محمد رسول الله كأنني أنظر إلى بياضه في يده وأطرافه في (٢٩٣٨)، (٥٨٧٠)، (٥٨٧٢)، (٥٨٧٤)، (٥٨٧٧)، (٧١٦٢). ورواه مسلم (٢٠٩٤)، وأبو داود (٤٢١٤، ٤٢١٥)، والترمذي (٢٧١٨)، والنسائي (١٧٤/٨).

حوادث السنة الثامنة

فيها: غزوة مؤتة^(١)، بضم الميم وسكون الواو، بغير همز لأكثر الرواة، وبه جزم المبرد، وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز، وحكى غيرهم الوجهين، وهى من عمل البلقاء بالشام، فى جمادى الأولى، وهى سرية أمر فيها ﷺ زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف رجل، وقال: إن قتل فجعفر، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون برجل منهم. فقتلوا كذلك، فأخذ الراية ثابت بن أقرم العجلاني إلى أن اصطلحوا على خالد، ففتح الله به، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأخذ غنيمة كثيرة؛ وذلك أن رسول الله ﷺ كان أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى ملك بصرى، فلما نزل مؤتة، عرض له شرحبيل الغساني، فقتله، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فأمر رسول الله ﷺ زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف، وقال: إن قتل... إلى آخر ما تقدم.

وفى حديث عبد الله بن جعفر: عند أحمد والنسائي بإسناد صحيح: إن قتل زيد فأمركم جعفر... الحديث^(٢).

قالوا: وعقد لهم ﷺ لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم. وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف فودعهم، فلما ساروا، نادى والمسلمون: دفع الله عنكم، وردكم سالمين غانمين، فقال ابن رواحة: [من البسيط]

لَكُنْنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْدِفُ الزُّبْدَا

فلما فصلوا من المدينة، سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم، وقام فيهم شرحبيل ابن عمرو، فجمع أكثر من مائة ألف، وقدم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون معان - بفتح الميم - موضع من أرض الشام، وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم،

(١) انظر: مغازي الواقدي (٧٥٥-٧٦٩)، وطبقات ابن سعد (٩٧/٢)، وسيرة ابن هشام (١١/٤)، وتاريخ الطبري (٣٦-٤٢)، والكامل في التاريخ (٢٣٤-٢٣٨)، وتاريخ الإسلام (٤٧٩-مغازي)، والبدية والنهاية (٤/٢٧٥)، وعيون التواريخ (١/٢٧٩-٢٨٥).
(٢) أخرجه أحمد (١/٢٠٤)، والنسائي (٨/١٨٢) من حديث الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر.

وأن هرقل نزل بأرض اللقاء فى مائة ألف من المشركين، فأقاموا ليلتين لينظروا فى أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضى، فمضوا إلى مؤتة، ووافاهم المشركون فجاء منهم ما لا قِبَلَ لأحد به من العدد والسلاح والكرام والديباج والحرير والذهب.

والتقى المسلمون والمشركون، فقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم، فأخذ اللواء زيد بن حارثة، فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعناً بالرمح، ثم أخذ الراية جعفر بن أبى طالب، فنزل عن فرس له شقراء، وقاتل حتى قتل، ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين، فوجد فى أحد نصفيه بضعة وثمانون جرحاً، وفيما أقبل من بدنه اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح، قال فى رواية البخارى: ووجدنا فى جسده بضعة وتسعين من طعنة ورمية^(١)، وفى رواية: أن ابن عمر وَقَفَ على جعفر يومئذ وهو قتيل، قال: فعددت به خمسين بين طعنة وضربة، ليس فيها شيء فى دبره^(٢).

وذكر ابن إسحاق بإسناد حسن، وهو عند أبى داود من طريقه، عن رجل من مرة قال: والله، لكأنى أنظر إلى جعفر بن أبى طالب حين اقتحم عن فرس له شقراء، فعقرها ثم تقدّم، فقاتل حتى قتل^(٣).

قالوا: ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فقاتل حتى قتل، فأخذ اللواء ابن أقرم العجلانى، إلى أن اصطالح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء وانكشف الناس فكانت الهزيمة، فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين.

وقال الحاكم: قاتلهم خالد بن الوليد، فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة. وقال ابن سعد: إنما انهزم بالمسلمين^(٤).

وقال ابن إسحاق: انحازت كل طائفة من غير هزيمة^(٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٦١) من حديث عبد الله بن عمر.

(٢) البخاري في صحيحه (٤٢٦٠).

(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١٦/٤) وهو عند أبى داود في سننه (٢٥٧٣)، والطبراني في الكبير (١٤٦٢)، والطبري في تاريخه (٣٩/٣).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (٩٨/٢).

(٥) انظر: سيرة ابن هشام (١٩/٤).

ورفعت الأرض لرسول الله ﷺ حتى نظر إلى معترك القوم.

وعن عبد الله بن الزبير قال: حدثني أبي الذي أرضعني - وكان أحد بني مرة - قال: شهدت مؤتة مع جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فرأيت جعفرًا حين التحم القتال، اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، وقاتل القوم حتى قتل^(١). خرج به البغوى فى معجمه، وقطعت فى تلك الوقعة يداه جميعًا، ثم قتل، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء» خرج أبو عمرو^(٢).

وفى البخارى، عن عائشة - رضى الله عنها - : لما جاء قتل ابن رواحة وابن حارثة وجعفر بن أبي طالب، جلس رسول الله ﷺ يعرف منه الحزن... الحديث^(٣). وأخرج الطبرانى بإسناد حسن، عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: «هنيئًا لك أبوك يطير مع الملائكة فى السماء»^(٤). وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة»^(٥) أخرجه الترمذى والحاكم، وفى إسناده ضعف؛ لكن له شاهد من حديث على عند ابن سعد^(٦).

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - أيضا، عن النبي ﷺ قال: " مرّ بى جعفر الليلة فى ملأ من الملائكة. وهو مخضب الجناحين بالدم"^(٧) أخرجه الترمذى والحاكم بإسناده على شرطه.

وأخرج - أيضا - هو والطبرانى، عن ابن عباس مرفوعًا: «دخلت البارحة الجنة، فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة»^(٨). وفى طريق أخرى عنه:

(١) تقدم قريبًا.

(٢) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١/٣١٣-بتحقيقنا).

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (٤٢٦٣).

(٤) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩/٢٧٦)، وقال: «رواه الطبرانى وإسناده حسن». اهـ

(٥) أخرجه الترمذى (٣٧٦٣)، والحاكم (٣/٢٠٩)، وصححه الحاكم لكن تعقبه الذهبى بقوله:

المدنى واه قلت: يعنى عبد الله بن جعفر المدنى أبو الإمام الحافظ على بن المدنى ضعفه الحافظ فى التقريب (٣٢٧٢).

(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٤/٢٩).

(٧) أخرجه الحاكم (٣/٢١٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى، ولم أجده عند الترمذى

بهذا اللفظ لكن باللفظ الذى تقدم قبل حديث وإن كان الحافظ قد عزاه له فى الفتح (٦/٤٤١).

(٨) أخرجه الحاكم (٣/٢٠٩)، والطبرانى فى الكبير (١٤٦٦).

أن جعفرًا يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه . وإسناد هذا جيد . فقد عوضه الله عن قطع يديه في هذه الواقعة حيث أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، ثم أخذه بشماله فقطعت ، ثم احتضنه فقتل .

قال السهيلي : « له جناحان » ليس كما يسبق إلى الفهم كجناحي الطير وريشه ؛ لأن الصورة الآدمية أشرف الصور كلها ، فالمراد بالجناحين : صفة ملكية وقوة روحانية . وقال العلماء في أجنحة الملائكة : إنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعانية . فقد ثبت أن لجبريل ستمائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلاً عن أكثر من ذلك ، وإذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها ، فنؤمنُ بها من غير بحث عن حقيقتها^(١) .

قال الحافظ ابن حجر : وهذا الذي جزم به في مقام المنع ، والذي حكاه عن العلماء ليس صريحاً في الدلالة على ما ادعاه ، ولا مانع من الحمل على الظاهر إلا من جهة ما ذكره من المعهود ، وهو قياس الغائب على الشاهد ، وهو ضعيف ، وكون الصور البشرية أشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره ؛ لأن الصور باقية . وقد روى البيهقي في الدلائل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن جناحي جعفر من ياقوت ، وجاء في جناحي جبريل أنهما من لؤلؤ . أخرجه ابن منده في ترجمة ورقة^(٢) .

وذكر موسى بن عقبة في المغازي : أن يعلى بن أمية قدم بخبر أهل مؤتة ، فقال له رسول الله ﷺ : إن شئت فأخبرني ، وإن شئت فأخبرتك ، قال : أخبرني فأخبره خبرهم ، فقال : والذي بعثك بالحق ، ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره . وعند الطبراني من حديث أبي اليسر الأنصاري ؛ أن أبا عامر الأشعري هو الذي أخبر النبي ﷺ بمصائبهم^(٣) .

وفيها : (فتح مكة) في رمضان^(٤) ، لنقض قريش العهد ؛ فخرج ﷺ ومعه عشرة

(١) ينظر الروض الأنف (٨٠/٤) .

(٢) انظر فتح الباري (٣٠٦/٨) .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٤/٦) وقال : « رواه الطبراني وفيه ثابت بن دينار أبو حمزة وهو ضعيف » . اهـ

(٤) انظر : مغازي الواقدي (٨٧٠-٨٧١/٢) ، وطبقات ابن سعد (١٠٢-١١٠/٢) ، تاريخ الطبري (٦٥-٤٢/٣) ، والكامل في التاريخ (٢٣٩-٢٥٥) ، وعيون التواريخ (٢٨٨/١) - (٣١٣) ، والروض الأنف (٩٥/٤ - ١٢١) والبداية والنهاية (٣١٧/٤) ، وتاريخ الإسلام (٥٢١-مغازي) .

آلاف، يوم الأربعاء بعد العصر لعشر مضين من رمضان، ففتحها صلحاً أو عنوة على الخلاف.

وخرج سادس شوال إلى (حنين)^(١)، فهزمهم وقتل من المشركين أكثر من سبعين واستشهد من المسلمين أربعة، ونادى مناديه: من قتل قتيلًا فله سلبه. وأخذ منها غنائم فقسمها بالجعرانة.

وهو كما قال في زاد المعاد: الفتح الأعظم المبين، الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمة^(٢) الأمين، واستنقذ به بلده^(٣) وبيته الذي جعله هدى للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس [به] في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض^(٤) ضياءً وابتهاجًا. خرج له ﷺ بكتائب الإسلام وجنود الرحمن، لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية؛ لأنه كان قد وقع الشرط أن من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فعل، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل. فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده، وكان بين بنى بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية، فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام. فلما كانت الهدنة، خرج نوفل بن معاوية الديلي، من بنى بكر، في بنى الديل، حتى بيئت خزاعة، وهم على ماء لهم يقال له: الوثير، فأصاب منهم رجلًا يقال له منبه، واستيقظت لهم خزاعة، فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم، ولم يتركوا القتال. وأمدت قريش بنى بكر بالسلاح، وقاتل بعضهم معهم ليلاً في خفية. وخرج عامر الخزاعي في أربعين راكبًا من خزاعة، فقدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه، فقام وهو يجرُّ رداءه ويقول: لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصرت به نفسي^(٥).

(١) مغازي الواقدي (٢/ ٨٨٥)، وطبقات ابن سعد (٢/ ١١٤)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٨١)، والكامل في التاريخ (٢/ ١٨٧)، وتاريخ الطبري (٣/ ٧٠) وتاريخ الإسلام (٥٧١-مغازي)، والروض الأنف (٤/ ١٣٨).

(٢) في زاد المعاد: وحزه.

(٣) في ط: نبيه. والمثبت من زاد المعاد.

(٤) في ط: الدهر. والمثبت من زاد المعاد.

(٥) ينظر: زاد المعاد (٣/ ٣٩٤-٣٩٥) بتصرف.

وفى المعجم الصغير للطبرانى^(١)، من حديث ميمونة: أنها سمعته ﷺ يقول فى متوضئه ليلاً: ليك ليك (ثلاثاً)، نصرت نصرت (ثلاثاً)، فقالت: كأنك تكلم إنساناً، فهل كان معك أحد؟ فقال ﷺ: هذا راجز بنى كعب يستصرخنى، ويزعم أن قريشاً أعانت عليهم بنى بكر.

ثم خرج - عليه الصلاة والسلام - فأمر عائشة أن تجهزه ولا تُعلم أحداً. قالت: فدخل عليها أبو بكر فقال: يا بنية، ما هذا الجهاز؟ فقالت: ما أدرى، فقال: والله، ما هذا زمان غزو بنى الأصفر، فأين يريد رسول الله ﷺ؟ قالت: والله لا علم لى، قالت: فأقمنا ثلاثاً، ثم صلى [الصبح] بالناس، فسمعت الراجز ينشد [من الرجز]:

يَا رَبِّ إِنِّى نَاشِدُ مُحَمَّدًا
حَلَفَ أَبِيْنَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا
إِنَّا وَلَدْنَاكَ فَكُنْتَ الْوَلَدَا
ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَذْعُو أَحَدَا
فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهَ نَضْرًا أَيْدَا
وَإِذْ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا^(٢) مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
أَبْيَضَ كَالْبَذْرِ تَنْمَى صُعْدَا
إِنْ سِيَمَ خَسَفَا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا

قال فى القاموس: وتردد بالراء تغير. انتهى.

وزاد ابن إسحاق:

هُم بَيِّثُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدَا

(١) ذكره الهيثمي فى مجمع الزوائد (١٦٦/٦-١٦٧) وقال: رواه الطبرانى فى الصغير والكبير وفيه يحيى بن سليمان بن نضلة وهو ضعيف. اهـ

(٢) فى مجمع الزوائد: تدعوا.

وَقَتَّلُونَا زُكْعًا وَسُجْدًا
وَزَعَمُوا أَن لَسْتَ تَدْعُو أَحَدًا
وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدًا^(١)

فقال له رسول الله ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم، فكان ذلك ما هاج فتح مكة.
وقد ذكر البزار من حديث أبي هريرة بعض الآيات.

وقدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله ﷺ المدينة يسأله أن يجدد العهد ويزيد في المدة، فدخل على ابنته رملة زوج النبي ﷺ، فذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ، فقالت: مكانك، فطوته عنه، وقالت: إنك رجس، فقال لها: لقد أصابك بعدى شرًّا يا بنية، فلما أتى رسول الله ﷺ، سأله فيما جاء لصدده، فأبى عليه ولم يجبه، فكلّم أبا بكر، ثم عمر، ثم عليًّا، فلم يجبه أحد منهم، فدخل بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال لها: يابنة محمد، إني داخل على ابنك الحسن أن يجير بين الناس، فقالت: ما بلغ ابني أن يجير بين الناس، فقال لعلي: إنك أمس القوم بى رحمًا فما تشير به عليّ؟ فقال له علي: إنك سيد كنانة، وما أرى لك إلا أن تقوم فتجير بين الناس، وما أراه مجديًا شيئًا. فغدا على الناس فى المسجد، فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب ناقته فعاد إلى مكة، فقالوا: ماذا صنعت؟ فأخبرهم بما كان، فقالوا: أفأجاز ذلك محمد وأبو بكر وعمر؟ فقال: لا، فقالوا: ما زدت على أن لعب بك ابن أبي طالب.

وتجهّز رسول الله ﷺ من غير إعلام أحد بذلك، فكتب حاطب كتابًا، وأرسله إلى مكة يخبر بذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال - عليه الصلاة والسلام - لعلي بن أبي طالب والزبير والمقداد: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ: فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، قال: فانطلقنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجى الكتاب، قالت: ما معى كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال: يا حاطب، ما هذا؟ قال: يا رسول الله، لا تعجل عليّ، إني كنت امرأ ملصقًا فى

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤/٣٥)، مع تقديم وتأخير.

قريش - يقول: كنت حليفاً، ولم أكن من أنفسها - وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: أما إنه قد صدقكم، فقال عمر: يا رسول الله، دعنى أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرًا، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ - إلى قوله - ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١]، قال فى فتح البارى: وإنما قال عمر - رضى الله عنه - : دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به، لما كان عند عمر من القوة فى الدين وبغض المنافقين، فظنَّ أنَّ من خالف ما أمر به النبى ﷺ استحقَّ القتل، لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن فى قتله، وأطلق عليه منافقاً؛ لكونه أبطن خلاف ما أظهر. وعذر حاطب ما ذكره؛ فإنه صنع ذلك متولاً أن لا ضرر فيه.

وعند الطبرى، من طريق الحارث، عن على فى هذه القصة: فقال: أليس قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأرشد إلى علة ترك قتله^(١).

وعند الطبرى - أيضاً - عن عروة: فإني غافر لكم؛ وهذا يدل على أن المراد بقوله: «غفرت»: أغفر على طريق التعبير عن الآتى بالواقع مبالغة فى تحقيقه. قال: والذى يظهر أن هذا الخطاب خطاب إكرام وتشريف، تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة، وتأهلوا أن يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة، وقد أظهر الله صدق رسوله فى كل ما أخبر عنه بشيء من ذلك؛ فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم، لبادر إلى التوبة ولازم الطريقة المثلى؛ يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم؛ قاله القرطبي.

(١) قصة حاطب بن أبى بلتعة عند البخاري برقم (٤٢٧٤)، وانظر هذه الآثار فى الفتح ٨/ (٣١٢، ٣١١)، وسبل الهدى والرشاد (٢٠٩-٢١١).

وذكر بعض أهل المغازي - وهو في تفسير يحيى بن سلام - أن لفظ الكتاب الذي كتبه حاطب: أما بعد، يا معشر قريش، فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده، لنصره الله وأنجز له، فانظروا لأنفسكم. كذا حكاه السهيلي^(١).

وروى الواقدي بسند مرسل؛ أن حاطبًا كتب إلى سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة؛ أن رسول الله ﷺ أذن في الناس بالغزو، لا أراه يريد غيركم، فأحييت أن تكون لي عندكم يد. انتهى^(٢).

وبعث رسول الله ﷺ إلى من حوله من العرب فجلبهم: أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم؛ فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه بالطريق؛ فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف، وفي الإكليل وشرف المصطفى: اثنا عشر ألفًا، ويجمع بينهما بأن العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة ثم تلاحق به الألفان.

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وقيل: أبا رهم الغفاري. وخرج - عليه الصلاة والسلام - يوم الأربعاء، لعشر خلون من رمضان، بعد العصر، في ثمان من الهجرة. قاله الواقدي^(٣).

وعند أحمد بإسناد صحيح، عن أبي سعيد قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الفتح، لليلتين خلتا من شهر رمضان^(٤). فما قاله ليس بقوى لمخالفته ما هو أصح. وفي تعيين هذا التاريخ أقوال آخر، منها عند مسلم: لست عشرة، ولأحمد: ثمانى عشرة، وفي أخرى: لثنتى عشرة، والذي في المغازي لابن عقبة لتسع عشرة مَضَتْ، وهو محمول على الاختلاف في أول الشهر. ووقع في أخرى: تسع عشرة، أو سبع عشرة على الشك.

ولما بلغ ﷺ الكديد - بفتح الكاف - الماء الذي بين قديد وعسفان، أفطر، فلم

(١) انظر: الروض الأنف (٩٧/٤).

(٢) انظر: المغازي (٧٩٨/٢).

(٣) انظر: مغازي الواقدي (٧٩٩/٢).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٨٧/٣) وأصل الحديث رواه أحمد (٢٩/٣)، والترمذي (١٦٨٤)، وابن خزيمة (٢٠٣٨) من حديث قزعة بن يحيى عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

يزل مفطرًا حتى انسلخ الشهر. رواه البخاري^(١). وفي أخرى له: أفطر وأفطروا... الحديث.

وكان العباس قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلمًا مهاجرًا، فلقي رسول الله ﷺ بالجحفة، وكان قبل ذلك مقيمًا بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راض، وكان ممن لقيه بالطريق أبو سفيان بن الحارث ابن عمه - عليه الصلاة والسلام - وأخوه من إرضاع حليلة السعدية، ومعه ولده جعفر بن أبي سفيان، وكان أبو سفيان يألف رسول الله ﷺ، فلما بعث، عاداه وهجاه، وكان لقاؤهما له - عليه الصلاة والسلام - بالأبواء، وأسلما قبل دخول مكة، وقيل: بل لقيه هو وعبد الله بن أبي أمية ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا والعرج، فأعرض ﷺ عنهما؛ لما كان يلقي منهما من شدة الأذى والهجو، فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك، وقال على لأبي سفيان فيما حكاه ابن عمرو وصاحب ذخائر العقبى: ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿ تَأْتِيهِ لَقَدْ مَاتَ كَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴾ [يوسف: ٩١]، فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولاً، ففعل ذلك أبو سفيان، فقال ﷺ: ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢]، ويقال: إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ منذ أسلم؛ حياء منه.

قالوا: ثم سار رسول الله ﷺ، فلما كان بقديد، عقد الألوية والرايات، ودفعها إلى القبائل، ثم نزل مر الظهران عشاء، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار. ولم يبلغ قريشًا مسيره، وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب، وقالوا: إن لقيت محمدًا، فخذ لنا منه أمانًا. فخرج أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، حتى أتوا مر الظهران، فلما رأوا العسكر أفرعهم، قال البخاري: فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه؟ كأنها نيران عرفة؟! فقال بديل بن ورقاء: نيران بنى عمرو، فقال أبو سفيان: بنو عمرو أقل من ذلك، فراهم ناس من حرس رسول الله ﷺ، فأدركوهم فأخذوهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٤٤)، (١٩٤٨)، (٢٩٥٣)، (٤٢٧٥)، (٤٢٧٦)، (٤٢٧٧)، (٤٢٧٨)، (٤٢٧٩).

فأتوا بهم إلى رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان، فلما سار، قال للعباس: احبس أبا سفيان عند حطم الخيل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال: يا عباس، من هذه؟ قال: هذه غفار، قال: ما لي ولغفار، ثم مرت جهينة، فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادَة معه الراية، فقال سعد بن عبادَة: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحُرمة، فقال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الذُّمار. بالمعجزة المكسورة، أي: الهلاك:

قال الخطابي: تمنى أبو سفيان أن يكون له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم.

وقيل: هذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم ممن قدر عليه.

وقيل: هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من أن ينالني مكروه.

وقال ابن إسحاق: زعم بعض أهل العلم أن سعدًا قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحُرمة، فسمعها رجل من المهاجرين، فقال: يا رسول الله، ما آمن أن يكون لسعد في قريش صولة، فقال لعلی: أدركه، فخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخلُ بها^(١).

وقد روى الأُموي في المغازي: أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ لما حاذاه: أمرت بقتل قومك؟ قال: لا، فذكر له ما قال سعد بن عبادَة، ثم ناشده الله والرجم، فقال: يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم يوم يعز الله قريشًا. وأرسل إلى سعد، فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قيس.

وعند ابن عساکر، من طريق أبي الزبير، عن جابر قال: لما قال سعد بن عبادَة ذلك، عارضت امرأة من قريش رسول الله ﷺ، فقالت: [من الخفيف]

يا نبيَّ الهدى إليك لَجَا	حَتَّى قُرَيْشٍ، وَلَاتَ جِئْنَ لَجَاءِ
جِئْنَ ضَاقَتْ عَلَيْهِنَّ سَعَةُ الْأَرْ	ضِ وَعَادَاهُمْ إِلَهُ السَّمَاءِ
التَّقَتِ خَلَقْنَا الْبَطَانَ عَلَى الْقَوْ	مِ وَتَوَدُّوا بِالصَّيْلِ الصَّلْعَاءِ
إِنَّ سَعْدًا يُرِيدُ قَاصِمَةَ الظُّنْ	رِ بِأَهْلِ الْحُجُونِ وَالْبَطْحَاءِ

(١) انظر: السيرة النبوية (٤/٤٨)، وتاريخ الطبري (٣/٥٦).

خَزَرَجِي لَوْ يَسْتَطِيعُ مِنَ الْعَيْدِ
وَعِزُّ الصَّدْرِ لَا يَهُمُّ بِشَيْءٍ
قَدْ تَلَطَّى عَلَى الْبَطَاحِ وَجَاءَتْ
إِذْ يُنَادِي بِذُلِّ حَيِّ قُرَيْشٍ
فَلَيْتُنَّ أَقْحَمَ اللِّوَاءِ وَنَادَى
ثُمَّ ثَابَتَ إِلَيْهِ مَنْ بِهِمُ الْخَزْ
لَتَكُونَنَّ بِالْبَطَاحِ قُرَيْشُ
فَانْهَيْتُهُ فَإِنَّهُ أَسَدُ الْأَسَدِ
إِنَّهُ مُطَرِّقٌ يُدِيرُ لَنَا الْأَمْرَ
ظَرَمَانَا بِالنَّسْرِ وَالْعَوَاءِ
غَيْرِ سَفْكَ الدِّمَا وَسَبِي النِّسَاءِ
عِنْدَ هِنْدٍ بِالسَّوَادَةِ السَّوْدَاءِ
وَابْنُ حَزْبٍ بِذَا مِنَ الشُّهَدَاءِ
يَا حِمَاةَ اللِّوَاءِ^(١) أَهْلَ اللِّوَاءِ
رَجُ وَالْأَوْسُ أَنْجُمُ الْهَيْجَاءِ
فَقَعَةُ الْقَاعِ فِي أَكْفِ الْإِمَاءِ
لَدَى الْعَابِ وَالْعَا فِي الدِّمَاءِ
رَ سَكُونًا كَالْحَيَّةِ الصَّمَاءِ^(٢)

قلت: وفي سيرة ابن سيد الناس عزوا هذا الشعر لضرار بن الخطاب الفهري.
فلما سمع هذا الشعر، دخلته رافة لهم ورحمة، فأمر بالراية، فأخذت من سعد،
ودفعت إلى ابنه قيس.

وعند أبي يعلى، من حديث الزبير: أن النبي ﷺ دفعها إليه، فدخل مكة
بلواءين^(٣)، وإسناده ضعيف جداً.

لكن جزم موسى بن عقبة في المغازى، عن الزهري: أنه دفعها إلى الزبير بن
العوام^(٤).

فهذه ثلاثة أقوال فيمن دفعت إليه الراية التي نزع من سعد.

والذي يظهر في الجمع: أن علياً أرسل بها لينزعها ويدخل بها، ثم خشي تغير
خاطر سعد، فأمر بدفعها إلى ابنه قيس، ثم إن سعداً خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره
ﷺ، فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه، فأخذها الزبير حيثئذ.

(١) في السبل: الأدبار.

(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٢٢٢/٥)، والبيت الأخير فيه:

إنه مطرق يريد لنا الأمر ر سكوناً كالحية الصماء

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦٨٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩/٦) وقال: «رواه
أبو يعلى وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف جداً». اهـ وأورده الحافظ ابن حجر في
«المطالب العالية» برقم (٤٣٥٧) ونسبه إلى أبي يعلى وقال: «فيه ضعيف جداً».

(٤) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٢٢٢/٥).

قال في رواية البخاري: ثم جاءت كتيبة فيها رسول الله ﷺ وأصحابه، وراية النبي ﷺ مع الزبير، فلما مر رسول الله ﷺ بأبى سفيان، قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عباد؟ قال: ما قال؟ قال: قال كذا وكذا، فقال: كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة، قال: وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون، قال: وقال عروة: وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم، قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله، ها هنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية؟ قال: نعم، وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء بالفتح والمد، ودخل النبي ﷺ من كُدَى بالضم والقصر، فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان: حبيش بن الأشقر، وكرز بن جابر الفهري^(١). قال الحافظ ابن حجر: وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة الآتية أن خالدًا دخل من أسفل مكة، والنبي ﷺ من أعلاها^(٢)، يعني: حديث ابن عمر أنه ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفًا أسامة بن زيد^(٣)، وحديث عائشة أنه ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة^(٤)، وغيرهما قال: وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سباقًا واضحًا فقال: وبعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم، وأمرهم أن يدخلوا من كداء من أعلى مكة، وأمره أن يغرز رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه. وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاة وسُلَيم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة، وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت، وبعث سعد بن عباد في كتيبة الأنصار في مقدمة رسول الله ﷺ، وأمرهم أن يكفوا أيديهم عن القتال، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة، وقد تجمع بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناف وناس من هذيل ومن الأحابيش، الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدًا، فقاتلهم فانهزموا، وقتل من بنى بكر نحو من عشرين رجلًا، ومن هذيل ثلاثة أو أربعة، حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة إلى باب المسجد حتى دخلوا الدور، فارتفعت طائفة منهم على الجبال، وصاح أبو سفيان: من دخل دار

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٨٠).

(٢) انظر: فتح الباري (٣٢٢/٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٩٠).

أبى سفيان فهو آمن، فقالت له زوجته هند بنت عتبة وأخذت بشاربه: اقتلوا الحميت الدسم الأحمش، قُبِخَتْ من طليعة قوم، وما تغنى دارك؟ ثم قال: ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه وكف يده فهو آمن. قال: ونظر رسول الله ﷺ إلى البارقة، فقال: ما هذا، وقد نهيت عن القتال؟ فقالوا: نظن أن خالدًا قوتل وبدئ بالقتال، فلم يكن له بد من أن يقاتلهم، قال: وقال رسول الله ﷺ - بعد أن اطمأن - لخالد بن الوليد: لم قاتلت، وقد نهيتك عن القتال؟ فقال: هم بدءونا بالقتال، وقد كففت يدي ما استطعت، فقال: قضاء الله خير^(١).

وعند ابن إسحاق: فلما نزل ﷺ مر الظهران، رقت نفس العباس لأهل مكة، فخرج ليلاً راكباً بغلة النبي ﷺ لكي يجد أحداً؛ فيعلم أهل مكة بمجيئ النبي ﷺ فيستأمنوه - فلما بلغ الأراك، سمع صوت أبى سفيان بن حرب وحكيم بن حزام يتناجيان، فقال العباس: أبا حنظلة؟ فقال أبو سفيان: أبا الفضل؟ فتلاقيا، فقال أبو سفيان: واصباح قریش، إن دخلها عليهم عنوة، فأردف أبا سفيان خلفه، وأتى به النبي ﷺ وانصرف الآخران؛ ليعلما أهل مكة.

روى أن عمر بن الخطاب لما رأى أبا سفيان رديف العباس، قال: أبو سفيان عدو الله؟ الحمد لله الذي أمكن منك من غير عقد ولا عهد. قال العباس: ثم عدا، فركضتُ البغلة، فسبقته بما تسبق البغلة الرجل البطيء، فدخل به على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد أجزته، فقال ﷺ: اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به، فذهب فلما أصبح، غدا به على رسول الله ﷺ، فوقف عمر بن الخطاب على رأسه، وقال: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال العباس: أما إنه لو كان من آل الخطاب لما قُلتَ هذا، فقال له رسول الله ﷺ: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟! فقال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، قال: ويحك، يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ فقال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه ففي النفس منها شيء، فقال له العباس: ويحك أسلم، واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك. فأسلم وشهد شهادة الحق، وفي رواية: أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٣٩/٥-٤٨) بسنده إلى موسى بن عقبة مطولاً.

حينئذ: فما أصنع بالعُزَّى ؟ فقال له عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : تخرأ عليها، فقال له أبو سفيان: إنك يا بن الخطاب رجلٌ فاحشٌ، ولم أخاطبك، إنما أخاطب ابن عمى، فقال العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: نعم، وأمر ﷺ فنادى مناديه: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن^(١)، إلا المستثنى، وهم كما قاله مغلطاي وغيره: عبد الله بن سعد بن أبى سرح أسلم، وابن خَطْلٍ قتله أبو برزة، وقينته، وهما: فَرْتَنَّا، بالفاء المفتوحة والراء الساكنة والمشناة الفوقية والنون، وقُلَيْتَيَّة، بالقاف والموحدة مصغراً، أسلمت إحداهما، وقتلت الأخرى، وسَاةَ مولاة لبنى المطلب، ويقال: كانت مولاة عمر بن ضبع بن هشام، وأزْنَب علم امرأة، وقرينة قتلت، وعكرمة بن أبى جهل أسلم، والحارث بن نفيل قتله على، ومقيس بن ضَبَابَة، بمهملة مضمومة وموحدتين، الأولى خفيفة، قتله نميلة اللبثى، وهبار بن الأسود أسلم، وهو الذى عرض لزَيْنَب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت، فنخس بغيرها حتى سقطت على صخرة، وأسقطت جنينها، وكعب بن زهير أسلم، وهند بنت عتبة أسلمت، ووحشى بن حرب أسلم. انتهى.

وابن خَطْلٍ: بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة، وابن نُقَيْدٍ: بضم النون وفتح القاف وسكون المشناة التحتية آخره دال مهملة.

وقد جمع الواقدي عن شيوخه أسماء من لم يؤمن يوم الفتح، وأمر بقتل عشرة أنفس: ستة رجال، وأربع نسوة. روى أحمد ومسلم والنسائي، عن أبى هريرة، قال: أقبل رسول الله ﷺ وقد بعث على إحدى المجنبتين خالد بن الوليد، وبعث الزبير على الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحُسُر - بضم المهملة وتشديد السين المهملة - أى: الذين بغير سلاح، فقال لى: يا أبا هريرة، اهتف لى بالأنصار، فهتفت بهم، فجاءوا فطافوا به، فقال لهم: ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم، فقال - بإحدى يديه على الأخرى - احصدوهم حصداً حتى توافونى بالصفاء، قال أبو هريرة: فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحداً منهم إلا قتلناه، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله، أبيضت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، فقال ﷺ: من أغلق بابه

(١) نقلًا عن سيرة ابن إسحاق (٤/٤٢-٤٤) بتصرف.

فهو آمن^(١).

قال في فتح الباري: وقد تمسك به من قال: إن مكة فتحت عنوة، وهو قول الأكثر.

وعن الشافعي - وهو رواية عن أحمد - إنها فتحت صلحاً؛ لما وقع من هذا التأمين، وإضافة الدور إلى أهلها؛ لأنها لم تقسم، ولأن الغانمين لم يملكوا دورها، وإلا لجاز إخراج أهل الدور منها.

وحجة الأولين ما وقع التصريح به من الأمر بالقتال، ووقوعه بخالد بن الوليد، وبتصريحه - عليه الصلاة والسلام - بأنها أحلت له ساعة من نهار، ونهيه عن التأسى به في ذلك، وأجابوا عن ترك القسمة: بأنها لا تستلزم عدم القسمة، وقد تفتح البلد عنوة ويمن على أهلها وتترك لهم دورهم. قال: وأما قول النووي: واحتج الشافعي بالأحاديث المشهورة أن النبي ﷺ صالحهم على مر الظهران قبل دخول مكة، ففيه نظر؛ لأن الذي أشار إليه إن كان مراده ما وقع من قوله ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن؛ كما تقدم، وكذا من دخل المسجد؛ كما عند ابن إسحاق؛ فإن ذلك لا يسمى صلحاً إلا إذا التزم من أشار إليه بذلك الكف عن القتال، والذي ورد في الأحاديث الصحيحة ظاهر في أن قريشاً لم يلتزموا ذلك؛ لأنهم استعدوا للحرب. وإن كان مراده بالصلح وقوع عقده، فهذا لم ينقل، وما أظنه عنى إلا الاحتمال الأول، وفيه ما ذكرته. انتهى^(٢).

ثم دخل ﷺ في كتيبته الخضراء، وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير، فرأى أبو سفيان ما لا قبل له به، فقال للعباس: يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقال العباس: ويحك، إنه ليس بملك، ولكنها النبوة، قال: نعم.

روى أنه ﷺ وضع رأسه تواضعاً لله، لما رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن رأسه ليكاد يمسُّ مقدم رحله، شكراً وخضوعاً لعظمته؛ إذ أحل له بلده، ولم يحله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٨٠)، وأبو داود (١٨٧١)، (١٨٧٢)، (٣٠٢٤)، والنسائي في الكبرى كما في التحفة (١٣٥٦١)، وابن خزيمة (٢٧٥٨)، وأحمد في مسنده (٢/٥٣٨، ٢٩٢).

(٢) انظر فتح الباري (٨/٣٢٤-٣٢٥) بتصرف.

لأحد قبله ولا لأحد بعده.

وفى البخارى، من حديث أنس: أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح، وعلى رأسه المِغْفَر^(١) - بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء - زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس. وفى المحكم: هو ما يجعل من فضل درع الحديد على الرأس مثل القلنسوة.

فلما نزعه، جاءه رجل، فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتله، وفى حديث سعيد بن يربوع عند الدارقطني والحاكم: أن رسول الله ﷺ قال: أربعة لا تؤمنهم لا فى حل ولا فى حرم: الحويرث بن نُقيد، وهلال بن خطل، ومقيس بن صُبَّابة، وعبد الله بن أبى سرح، قال: فأما هلال بن خطل فقتله الزبير... الحديث^(٢)، وحديث سعد بن أبى وقاص عند البزار والحاكم والبيهقى فى الدلائل نحوه، قال: أربعة نفر وامرأتان، وقال: اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، فذكره. لكن قال: عبد الله بن خطل، بدل هلال، وقال: عكرمة، بدل الحويرث، ولم يسم المرأتين، وقال فأما عبد الله بن خطل، فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر، فسبق سعيدٌ عمارًا، وكان أشبَّ الرجلين فقتله، الحديث^(٣)، وروى ابن أبى شيبة من طريق أبى عثمان النهدي؛ أن أبا برزة الأسلمى قتل ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة^(٤)، وإسناده صحيح مع إرساله. ورواه أحمد من وجه آخر، وهو أصحُّ ما ورد فى تعيين قاتله، وبه جزم البلاذرى وغيره^(٥) من أهل الأخبار، وتحمل بقية الروايات على أنهم ابتدروا قتله، وكان المباشر له منهم أبو برزة، ويحتمل أن يكون غيره شاركه فيه، فقد جزم ابن هشام فى السيرة: بأن سعيد بن حريث

(١) أخرجه البخاري (٤٢٨٦)، (١٨٤٦)، (٣٠٤٤)، (٥٨٠٨)، ومسلم (١٣٥٧)، وأبو داود (٢٦٨٥)، والترمذي (١٦٩٣)، وفي الشماثل (١١٢)، والنسائي (٢٠٠/٥)، وابن ماجه (٢٨٠٥)، وأحمد (١٠٩/٣، ١٦٤، ١٨٠) من طريق الزهري عن أنس به.

(٢) أخرجه الدارقطني فى سننه (٣٠١/٢)، والحديث أخرجه أيضًا أبو داود فى سننه (٢٦٨٤).

(٣) أخرجه البزار (كشف-١٨٢١)، والحاكم (٥٤/٢)، والبيهقى فى الدلائل (٥٩/٥) من حديث مصعب بن سعد عن أبيه قال الهيثمي فى مجمع الزوائد (١٦٨/٦): «رواه أبو داود وغيره باختصار. رواه أبو يعلى والبزار... ورجالهما ثقات». اهـ

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة (٤٠٥/٧) حدثنا معتمر بن سليمان التيمي عن أبي عثمان أن أبا برزة قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة.

(٥) انظر: أنساب الأشراف للبلاذرى (٣٦٠/١) رقم (٧٤٩).

وأبا برزة الأسلمى اشتركا فيه^(١).

وإنما أمر بقتل ابن خطل؛ لأنه كان مسلماً، فبعثه ﷺ مصدقاً - يعنى لأخذ الصدقات - وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى يخدمه وكان مسلماً ونزل منزلاً، فأمر المولى أن يذبح تيساً ويصنع له طعاماً ونام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله ثم ارتدّ مشركاً، وكانت له قيتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ. وأما الجمع بين الأقوال فى اسمه: أنه كان يسمى عبد العزى، فلما أسلم سمى عبد الله، وأما من قال: هلال، فألبس عليه بأخ له اسمه هلال. وفى رواية أبى داود من حديث مصعب: لما كان يوم الفتح، أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر، فذكرهم. ثم قال: وأما ابن أبى سرح، فاختبأ عند عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، جاء به حتى أوقفه على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله، بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث. ثم أقبل على أصحابه، فقال: أما كان رجل رشيد يقوم إلى هذا حين كففت عن بيعته يقتله؟ فقالوا: يا رسول الله، ما ندرى ما فى نفسك ألا أومأت إلينا؟ قال: إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين... الحديث^(٢).

قال مالك - كما فى رواية البخارى - : ولم يكن رسول الله ﷺ فيما نرى يومئذ محرماً^(٣). انتهى.

وقول مالك هذا رواه عبد الرحمن بن مهدى، عن مالك جازماً به. أخرجه الدارقطنى فى الغريب؛ ويشهد له ما رواه مسلم من حديث جابر: دخل ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام^(٤).

وروى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح، عن طاوس، قال: لم يدخل النبي ﷺ مكة إلا محرماً، إلا يوم فتح مكة^(٥).

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/٥٢-٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٨٣) من حديث مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه.

(٣) هو عند البخارى عقب الحديث (٤٢٨٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٣٥٨)، ورواه أيضاً أبو داود (٤٠٧٦)، والترمذى (١٦٧٩)، (١٧٣٥)، وابن ماجه (٢٨٢٢، ٣٥٨٥) وغيرهم.

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٣/١٢٠)، رقم (١٣٥٢٣).

وقد اختلف العلماء هل يجب على من دخل مكة الإحرام أم لا ؟ .
فالمشهور من مذهب الشافعي : أن من قصد لها لغير النسك لا يجب عليه الإحرام مطلقًا . وفي قول : يجب إن لم يتكرر دخوله ؛ كخطاب وحشاش وصياد .
والمشهور عن الأئمة الثلاثة : الوجوب . وفي رواية عن كل منهم : لا يجب ،
وجزم به الحنابلة باستثناء ذوى الحاجات المتكررة ، واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات . والله أعلم .

وقد زعم الحاكم فى الإكليل : أن بين حديث أنس فى المغفر ، وبين حديث جابر فى العمامة السوداء مُعارضة .

وتعقبوه باحتمال أن يكون أول دخوله كان على رأسه المغفر ، ثم أزاله ولبس العمامة بعد ذلك ، فحكى كل منهما ما رآه ؛ ويؤيده : أن فى حديث عمرو بن حريث : أنه خطب الناس ، وعليه عمامة سوداء ^(١) . أخرجه مسلم أيضًا . وكانت الخطبة عند باب الكعبة ، وذلك بعد تمام الدخول ؛ وهذا الجمع للقاضى عياض .
وقال غيره : يجمع : بأن العمامة السوداء كانت ملفوفة فوق المغفر ، وكانت تحت المغفر وقاية لرأسه الشريف من صدأ الحديد ، فأراد أنس بذكر المغفر كونه دخل متأهبًا للحرب ، وأراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم .

وفى البخارى : عن أسامة بن زيد ، أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله ، أين تنزل بنا غدًا ؟ قال ﷺ : وهل ترك لنا عقيلٌ من منزل ؟ ! وفى رواية : هل ترك لنا عقيلٌ من رباع أو دور ؟ ! وكان عقيلٌ ورث أبا طالب وطالبًا ، ولم يرث على ولا جعفر شيئًا ؛ لأنهما كانا مسلمين ، وكان عقيل وطالب كافرين إذ ذاك ، فكان عمر بن الخطاب يقول : لا يرث الكافر المؤمن ، ولا المؤمن الكافر ^(٢) .

وفى رواية أخرى له قال - عليه الصلاة والسلام - : منزلنا إن شاء الله - إذا فتح

(١) أخرجه مسلم (١٣٥٩) ، ورواه أيضًا الحميدي (٥٦٦) ، وأحمد (٣٠٧/٤) ، وأبو داود (٤٠٧٧) ، والنسائي (٢١١/٨) ، والترمذي فى الشمائل (١١٥) ، (١١٦) من طريق جعفر ابن عمرو بن حريث عن أبيه .

(٢) أخرجه البخارى (١٥٨٨) ، (٣٠٥٨) ، (٤٢٨٢) ، (٦٧٦٤) ، ومسلم (١٣٥١) ، وابن ماجه (٢٧٣٠) ، والنسائي فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف (١١٤) من حديث عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد .

الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر، يعنى به: المحصب؛ وذلك أن قريشًا وكنانة تحالفت على بنى هاشم والمطلب - ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ - كما تقدم.

وفى رواية أخرى له: أن يوم فتح مكة، اغتسل فى بيت أم هانئ ثم صلى الضحى ثمانى ركعات، قالت: لم أره صلى صلاة أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود. وأجارت أم هانئ حموين لها، فقال النبي ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ. والرجلان الحارث بن هشام، وزهير بن أمية بن المغيرة؛ كما قال ابن هشام. وقد كان أخوها على بن أبى طالب أراد أن يقتلها، فأغلقت عليهما باب بيتها، وذهبت إلى النبي ﷺ^(١).

ولما كان الغد من يوم الفتح، قام - عليه الصلاة والسلام - خطيبًا فى الناس، فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا أو يغضد بها شجرة، فإن أحد ترخص فيها لقتال، فقولوا: إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما أحلت لى ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب^(٢)، ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، أى: الذين أطلقوا؛ فلم يسترقوا ولم يؤسروا، والطلاق الأسير إذا أطلق.

والمراد بالساعة التى أحلت له - عليه الصلاة والسلام - ما بين أول النهار ودخول العصر؛ كذا قاله فى فتح البارى^(٣).

قال فى المواهب: ولقد أجاد العلامة أبو محمد السرقسطى حيث يقول فى قصيدته المشهورة: [من البسيط]

ويوم مكة إذ أشرفت فى أمم يضيق عنها فجاج الوغى والسهل

(١) انظر سيرة ابن هشام (٥٣/٤) وهذه القصة مشهورة أخرجه البخاري وغيره.
(٢) حديث أبي شريح العدوي أخرجه البخاري فى صحيحه (٤٢٩٥). وانظر: سيرة ابن هشام (٥٨-٥٧/٤).

(٣) فتح الباري (٢٦٨/١) كتاب العلم، باب: ليلعلم العلم الشاهد الغائب.

فى قائم من عَجَاجِ الخيل والإبل
عَرَمَرَمَ كَرْهَاءِ الليلِ مُنْسَجِلِ
فى بهوِ إشراقِ نورِ منك مُكْتَمِلِ
متَوَجِّعٍ بعزيزِ النَّصْرِ مُقْتَبِلِ
ثوبِ الوَقَارِ لأمرِ الله ممتثلِ
بكِ المهابةِ فعلِ الخائفِ الوجِلِ
مَلَكْتَ إذ نَلْتَ منه غايةَ الأملِ
والجوُّ يُزْهِرُ إشراقًا من الجدِلِ
والعيشُ يَنْثَالُ زَهْوًا فى ثنى الجدِلِ
وسابقٍ مِنْ قضاءِ غيرِ ذى حولِ
وذابَ يذبلُ تهليلًا من الذبلِ
له النبوةُ فوقَ العرشِ فى الأزلِ
بهم شعوبُ شعابِ السهلِ والقللِ
كالأسدِ تَزَارُّ فى أنيابه العصلِ
وويلَ أم قريشٍ من جوى الهبلِ
تلمنم ولا بأليمِ اللومِ والعذلِ
طولًا أطالَ مَقلِ النومِ فى المقلِ
تحتِ الوشيحِ نسيجِ الروحِ والوجلِ
مباركِ الوجهِ بالتوفيقِ مشتملِ
وأكرمِ الناسِ صفحًا عن ذوى الزللِ
مَنْ كَانَ عَنْهُ قَبِيلُ الفتحِ فى شغلِ^(١)

خوافقُ ضَاقَ دَزَعُ الخافقينِ بها
وَجَحْفَلِ قَذَفَ الأَرْجَاءِ ذى لَجِبِ
وَأَنْتَ صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ تَقْدُمُهُمْ
تنيرُ فوقَ أغرِّ الوجهِ منتجبِ
تسمو أمامَ جنودِ الله مُزْتَدِيَا
خَشَعَتِ تَحْتَ بهاءِ العزِّ حينَ سَمَتْ
وقد تباشرنَ أملاكُ السماءِ بما
والأرضُ تَرْجُفُ من زَهْوٍ ومن فَرْقِ
والخيلُ تَخْتَالُ زهواً فى أعْتَتِهَا
لولا الذى خَطَطَ الأَقْلَامُ من قدرِ
أهلٍ ثهلانُ بالتهليلِ من طربِ
المُلْكُ لله، هذا عَزَّ من عقدتِ
شعبتِ صدعَ قريشٍ بعد ما قذفتِ
قالوا محمدٌ قد زارَتْ كتابه
فويلَ مكَّةَ من آثارِ وطائِه
فجدتِ عفواً بفضلِ العفوِ منك ولم
ضربتِ بالصفحِ صفحاً عن غوائلهم
رحمتِ واشجَ أرحامِ أتيحَ لها
عاذوا بظلِّ كريمِ العفوِ ذى لطفِ
أزكى الخليفةِ أخلاقاً وأظهرها
وطفتِ بالبيتِ محبوباً وطافَ به

والجحفل: الجيش العظيم، قذف الأرجاء، أى: متباعدها، واللجب -
بالجيم - الضجة من كثرة الأصوات، والعرمم: الضخم الكثير العدد، وقوله:
«كزهاء الليل» شبهه بالليل فى سده الأفق، واسوداده بالسلاح، والمنسحل - بالحاء
المهملة -: الماضى فى سيره يتبع بعضه بعضاً. قوله: «فى بهو إشراق نور» شبه

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٥/٢٦٤-٢٦٥).

الذى يغشاه - عليه الصلاة والسلام - يبهو أحاط به، والبهو: البناء العالى كالإيوان ونحوه، والمنتجب: المتخير من أصل نجيب كريم، المقتبل: المستقبل، ترجف: تهتز، والزهو: الخفة من الطرب، يعنى: أن الأرض اهتزت فرحاً بهذا الجيش، وفرقاً من صولته، أى: كادت تهتز؛ قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَلَفَّتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، أى: كادت تبلغ، الجدل: جمع جدل، وهو الزمام المصفور، وثنى الجدل ما انثنى على أعناق الإبل، أى: انعطف. وثهلان: جبل معروف، وأهل: رفع صوته. ويذبل: جبل أيضاً، والذبل: الرماح الذوايل، وهى التى لم تقطع من منابتها حتى ذبلت، أى: جفت ويست، وتهليلاً، أى: جبناً وفرعاً، يعنى: لولا ما سبق من تقدير الله أن الجبال لا تنطق، لرفع ثهلان صوته، وهلل من الطرب، ولذاب يذبل من الجزع والفرق. وقوله: «شعبت» أى: جمعت وأصلحت. وقذفت، أى: فرقت بهم مخافة شعوب، وشعوب: اسم للمنية؛ لأنها تفرق الجماعات؛ من شعبت، أى: فرقت، وهو من الأضداد. والشعاب الطرق فى الجبال. والسهل: خلاف الجبل، والقلل: رءوس الجبال. يعنى أنه ﷺ، عفا عنهم بعدما تصدعوا أى: تفرقوا، وهربوا من خوفه إلى كل سهل وجبل.

وقوله: «كالأسد ترأر فى أنيابها العصل» أى: المعوجة. والله أعلم. ولما فتح الله مكة على رسوله ﷺ، قال الأنصار فيما بينهم: أترؤن أن رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟ وكان - عليه الصلاة والسلام - يدعو على الصفا، رافعاً يديه، فلما فرغ من دعائه، قال: ماذا قلتم؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال ﷺ: معاذ الله، المحيا محياكم، والممات مماتكم^(١). وهَمَّ فضالة بن عمير بن الملوح أن يقتل رسول الله ﷺ وهو

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٥٨/٤-٥٩) وفي حديث عبد الله بن رباح عن أبي هريرة المتقدم قريباً قال للأنصار: «قلتم أنا الرجل فقد أخذته رافة بعشيرته ورغبة فى قريته ألا فما اسمي إذن (ثلاث مرات) أنا محمد عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليك فالمحيا محياكم والممات مماتكم» قالوا: والله ما قلنا إلا ضناً بالله ورسوله قال: «فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم» وهذا لفظ مسلم رقم (١٧٨٠/٨٦).

يطوف بالبيت، فلما دنا منه، قال له رسول الله ﷺ: أفضالة؟! قال: نَعَمْ يا رسول الله، قال: ماذا كنت تحدثُ به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، وكان فضالة يقول: والله، ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ إليَّ منه^(١).

وطاف ﷺ بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان. وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فكلَّمَا مر بصنم، أشار إليه بقضيبه، وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً؛ فيقع الصنم لوجهه. رواه البيهقي^(٢).

وفى رواية أبى نعيم: قد ألزقها الشياطين بالرصاص والنحاس. وفى تفسير العلامة ابن النقيب المقدسى: أن الله تعالى لما أعلمه بأنه قد أنجز له وعده بالنصر على أعدائه، وفتح مكة، وإعلائه كلمة دينه، أمره إذا دخل مكة أن يقول: «وقل جاء الحق وزهق الباطل»؛ فصار ﷺ يطعن الأصنام التى حول الكعبة بمحجنه، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فيخر الصنم ساقطاً، مع أنها كانت كلها مثبتة بالحديد والرصاص، وكانت ثلاثمائة وستين صنماً بعدد أيام السنة.

قال: وفى معنى الحق والباطل لعلماء التفسير أقوال:

قال قتادة: جاء الحق: القرآن، وذهب الشيطان^(٣).

وقال ابن جريج: جاء الجهاد، وذهب الشرك^(٤).

وقال مقاتل: جاءت عبادة الله، وذهبت عبادة الشيطان.

وقال ابن عباس: وجد رسول الله ﷺ يوم الفتح حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً، كانت لقبائل العرب يحجون إليها وينحرون لها، فشكا البيت إلى الله تعالى، فقال: أى رب، حتى متى تعبد هذه الأصنام حولى دونك؟! فأوحى الله إليه إنى

(١) سيرة ابن هشام (٤/٥٩-٦٠).

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٥/٧١-٧٢) من حديث ابن عباس وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦/٦)، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات ورواه البزار باختصار.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/١٣٨) رقم (٢٢٦٦٠، ٢٢٦٦١)، وذكره السيوطي في الدر (٤/٣٦٠) وزاد نسبته إلى عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/١٣٨) رقم (٢٢٦٦٢).

سأحدث لك نوبةً جديدةً يدفونُ إليك دفوف النسر ويحثونُ إليك حنين الطير إلى بيضها، لهم عجيج حولك بالتلبية، قال: ولما نزلت الآية يوم الفتح، قال جبريل - عليه الصلاة والسلام - لرسول الله ﷺ: خذ مخصرتك ثم ألقها. فجعل يأتي الصنم، فيطعن في عينه أو بطنه بمخصرته، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فينكبُّ الصنم لوجهه، حتى ألقاها جميعاً، وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة، وكان من قوارير صفر، فقال: يا علي، ارم به، فحمله على حتى صعد ورمى به وكسره، فجعل أهل مكة يتعجبون منه^(١). انتهى.

وعن ابن عباس قال: لما قدم ﷺ، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام - يعنى: القداح التى كانوا يستقسمون بها - فقال رسول الله ﷺ: قاتلهم الله، أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط. فدخل البيت وكبر في نواحيه ولم يصل، رواه الترمذى^(٢).

وعن ابن عمر قال: أقبل رسول الله ﷺ عام الفتح على ناقته القُصواء، وهو مردفٌ أسامة حتى أناخ بفناء الكعبة، ثم دعا عثمان بن طلحة فقال: اتنى بالفتح، فذهب إلى أمه، فأبت أن تعطيه، فقال: لتعطينه أو ليخرجنَّ هذا السيف من صلبى، فأعطته إياه، فجاء به إلى النبى ﷺ فدفعه إليه، ففتح الباب^(٣). رواه مسلم.

وروى الفاكهئى من طريق ضعيفة، عن ابن عمر أيضاً قال: كان بنو طلحة يزعمون أنه لا يستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم، فأخذ رسول الله ﷺ المفتاح ففتحها بيده^(٤).
وعثمان المذكور هو: عثمان بن طلحة بن أبى طلحة بن عبد العزى، ويقال له: الحَجَبى بفتح المهملة والجيم، وبنوه يعرفون الآن بالشيبين نسبة إلى شيبه بن عثمان ابن أبى طلحة، وهو ابن عم عثمان، وعثمان هذا لا وَلَدَ له، وله صحبة ورواية، واسم أم عثمان: سُلَاقَة، بضم السين المهملة، وتخفيف الفاء.

(١) تقدم قريباً.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٠١) ورواه أيضاً أبو داود (٢٠٢٧)، وأحمد (١/٣٣٤، ٣٦٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس به ولم أجده عند الترمذى بهذا السياق.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٢٩/٣٩٠)، وسبل الهدى والرشاد (٢٣٦/٥، ٢٣٧).

(٤) ينظر سبل الهدى والرشاد (٢٣٧/٥).

وفى الطبقات لابن سعد: عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الإثنين والخميس، فأقبل النبى ﷺ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له ونلت منه، فحلم على، ثم قال: يا عثمان، لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدى أضعه حيث شئت، فقلت: لقد هلك قريش يومئذ وذلت، قال: بل عمرت وعزت يومئذ، ودخل الكعبة، فوَقعت كلمته منى موقعاً ظننت أن الأمر يومئذ سيصير إلى ما قال، فلما كان يوم الفتح قال: يا عثمان، اتنى بالمفتاح، فأتيته به، فأخذه منى ثم دفعه إليّ وقال: خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف، فلما وليت نادانى، فرجعت إليه فقال: ألم يكن الذى قلت لك؟ قال: فذكرت قوله لى بمكة قبيل الهجرة: «لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدى أضعه حيث شئت» قلت: بلى، أشهد أنك رسول الله^(١).

وفى التفسير: أن هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبي، أمره - عليه الصلاة والسلام - أن يأتيه بمفتاح الكعبة، فأبى عليه وأغلق باب البيت وصعد إلى السطح، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمتعه. فلوى عليّ يده، وأخذ منه المفتاح، وفتح الباب. قلت: يتعين أن يكون المراد بالبيت فى: «وأغلق باب البيت» بيت نفسه؛ إذ لو كان المراد بالبيت الكعبة لا يمكن علياً - كرم الله وجهه - لئى يده. وأما فى بيت نفسه، فيمكن ذلك بنحو قلع الباب أو كسره، والله أعلم.

فدخل ﷺ البيت، فلما خرج، سأل العباس أن يعطيه المفتاح، ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله الآية. وأمر ﷺ علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك عليّ فقال: أكرهت وأذيت، ثم جئت ترفق، فقال عليّ: لقد أنزل الله فى شأنك... وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن محمداً رسول الله، فجاء جبريل فقال: ما دام هذا البيت أو لبنة من لبناته قائمة، فإن المفتاح والسدانة فى أولاد عثمان، فكان المفتاح معه، فلما مات دفعه إلى شيبه، فالمفتاح والسدانة فى

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد (٥/٢٤٤)، والبداية والنهاية (٤/٣٠١) وأصله فى البخارى رقم (٤٢٨٩).

أولادهم إلى يوم القيامة^(١).

قال ابن ظفر فى ينبوع الحياة: قوله: «ولو أعلم أنه رسول الله لم أمنعه»، هذا وهم؛ لأنه كان ممن أسلم، فلو قال هذا كان مرتدًا. وعن الكلبي: لما طلب - عليه الصلاة والسلام - المفتاح من عثمان، مدّ به يده إليه، فقال العباس: يا رسول الله، اجعلها مع السقاية، فقبض عثمان يده بالمفتاح، فقال له ﷺ: إن كنت يا عثمان تؤمن بالله واليوم الآخر فهاته. فقال: هاكه بالأمانة، فأعطاه إياه، ونزلت الآية. قال ابن ظفر: وهذا أولى بالقبول.

وفى رواية لمسلم: دخل رسول الله ﷺ هو وأسامة بن زيد، وبلال وعثمان بن طلحة الحجبي، فأغلقوا عليهم الباب، قال ابن عمر: فلما فتحوا، كنت أول من ولج، فلقيت بلالاً فسألته: هل صلى فيه رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، بين العمودين اليمانيين، وذهب عنى أن أسأله كم صلى^(٢). وفى روايات البخارى: جعل عمودًا عن يساره، وعمودًا عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه. وليس بين الروایتين مخالفة؛ لكن قوله فى الرواية الأخرى: «وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة» كأنه يشعر بكون ما عن يمينه أو يساره كان اثنين، ولهذا أعقبه البخارى برواية إسماعيل بن أبى أويس التى قال فيها عمودين عن يمينه.

ويمكن الجمع بين الروایتين: بأنه حيث ثنى، أشار إلى ما كان عليه البيت فى زمنه ﷺ، وحيث أفرد، أشار إلى ما صار إليه بعد ذلك، ويرشد إليه قوله: «وكان البيت يومئذ...»؛ لأن فيه إشعارًا بأنه تغير عن هيئته الأولى.

ويحتمل أن يقال: لم تكن الأعمدة الثلاثة على سمت واحد، بل اثنان على سمت، والثالث على غير سمتهما. ولفظ المتقدمين فى إحدى روايات البخارى مشعر بذلك.

وفى رواية لمسلم: «جعل عمودين عن يساره وعمودًا عن يمينه» عكس رواية إسماعيل. وكذلك قال الشافعى وبشر بن عمرو فى إحدى الروایتين عنهما. وجمع بعض المتأخرين بين هاتين الروایتين: باحتمال تعدد الواقعة، وهو بعيد؛

(١) ذكره السيوطي فى الدر المنثور (٣١٢/٢)، وانظر سبل الهدى والرشاد (٢٤٤/٥-٢٤٥).

(٢) تقدم تخريجه.

لاتحاد مخرج الحديث.

وقد جزم البيهقي بترجيح رواية إسماعيل، ووافقه عليه ابن العربي، والقعنبي، وأبو مصعب، ومحمد بن الحسن، وأبو حذافة؛ وكذلك الشافعي وابن مهدي في إحدى الروایتين عنهما. انتهى ملخصاً من فتح الباري^(١).

وقد بين موسى بن عقبة في روايته، عن نافع؛ أن بين موقفه ﷺ وبين الجدار الذي استقبله قريب من ثلاثة أذرع، وجزم برفع هذه الزيادة مالك، عن نافع فيما أخرجه الدارقطني في الغزو، ولفظه: «وصلى بينه وبين القبلة ثلاثة أذرع». وفي كتاب مكة للفاكهى والأزرقى: أن معاوية سأل ابن عمر: أين صلى رسول الله ﷺ؟ فقال: اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة؛ فعلى هذا: ينبغي لمن أراد الاتباع في ذلك أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع؛ فإنه تقع قدماه في مكان قدميه ﷺ إن كان ثلاثة سواء، وتقع ركبته أو يده أو وجهه في محلها إن كان أقل من ثلاثة أذرع. والله أعلم.

وفي رواية، عن ابن عباس قال: أخبرني أسامة أنه - عليه الصلاة والسلام - لما دخل البيت، دعا في نواحيه كلها، ولم يصل فيه حتى خرج، فلما خرج، ركع قبل البيت ركعتين، فقال: هذه القبلة. رواه مسلم^(٢). والجمع بينه وبين حديث ابن عمر: أن أسامة أخبره أن النبي ﷺ صلى في الكعبة؛ كما رواه أحمد والطبراني بأن أسامة حيث أثبتها اعتمد في ذلك على غيره، وحيث نفاها أراد ما في علمه؛ لكونه لم يره حين صلى، ويكون ابن عمر ابتداءً بلالاً بالسؤال، ثم أراد زيادة الاستثبات في مكان الصلاة، فسأل أسامة أيضًا.

وقال النووي: قد أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال؛ لأنه مثبت، فمعه زيادة علم؛ فوجب ترجيحه.

قال: وأما نفى أسامة: فيشبهه^(٣) أنهم لما دخلوا الكعبة، أغلقوا الباب، واشتغلوا بالدعاء، فرأى أسامة النبي ﷺ يدعو، ثم اشتغل أسامة في ناحية من نواحي البيت،

(١) ينظر فتح الباري (٤/٢٦٣-٢٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٩٥/١٣٣٠).

(٣) في شرح النووي: فسببه.

والنبي ﷺ فى ناحية أخرى، وبلال قريب منه، ثم صلى النبي ﷺ فرآه بلال لقربه منه، ولم يره أسامة لبعده واشتغاله، وكانت صلاته - عليه الصلاة والسلام - خفيفة؛ فلم يرها أسامة؛ لإغلاق الباب مع بعده واشتغاله بالدعاء، وجاز له نفيها عملاً بظنه. وأما بلال: فتحققها وأخبر بها. انتهى (١).

وتعقبوه بما يطول ذكره، وأقرب ما قيل فى الجمع: أنه ﷺ صلى فى الكعبة لما غاب عنه أسامة من الكعبة؛ لأمر ندبه إليه، وهو أن يأتى بماء يمحو به الصور التى كانت فى الكعبة؛ فاثبت الصلاة بلال؛ لرؤيته لها، ونفاها أسامة؛ لعدم رؤيته.

ويؤيده: ما رواه أبو داود والطيالسى، عن أسامة بن زيد، قال: دخلت على رسول الله ﷺ فى الكعبة، ورأى صورة، فدعا بدلو من ماء، فأتيته به، فجعل ﷺ يمحوها، ويقول: «قاتل الله قومًا يصورون ما لا يخلقون» (٢) ورجاله ثقات. وأفاد الأزرقي فى تاريخ مكة: أن خالد بن الوليد كان على باب الكعبة يذب عنه ﷺ الناس. وفى البخارى: أنه ﷺ أقام خمس عشرة ليلة، وفى رواية: تسع عشرة (٣)، وفى رواية أبى داود: سبع عشرة (٤)، وعند الترمذى: ثمانى عشرة (٥)، وفى الإكليل: أصحها بضع عشرة يقصر الصلاة.

وقال الفاسى فى تاريخ مكة: كان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان، وكان مما قيل من الشعر فى ذلك قول حسان بن ثابت الأنصارى: [من الوافر]

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءِ إِلَى عَذْرَاءَ مَنَزِلِهَا خَلَاءِ
دِيَارَ مَنْ بَنَى الْحَسْحَاسَ قَفْرٌ تُعْفِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ
وَكَاثَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أُنَيْسٌ خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ
قَدَغَ هَذَا وَلَكِنْ مِنْ لَطِيفِ يُؤَزِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لِشَعْثَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمْتُهُ فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مِرَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٩٦/٥).

(٢) أخرجه الطيالسى فى مسنده (١٨٥٢-منحة).

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه (٤٢٩٨، ٤٢٩٩)، وأبو داود (١٢٣١)، من حديث ابن عباس.

(٤) أخرجه أبو داود (١٢٣٢).

(٥) أخرجه الترمذى رقم (٥٥٠)، من حديث البراء بن عازب قال: صحبت رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفرًا، فما رأيته ترك الركعتين إذا زاغت الشمس قبل الظهر.

من التفاح هضره الجناء
 قهن لطيب الرياح الفداء
 إذا ما كان مغث أو لحاء
 وأسدا ما يئهنهناء اللقاء
 ثبير النفع موعدها كداء
 على أكتافها الأسل الظماء
 يلطمنهن بالخمر النساء
 وكان الفتح وانكشف الغطاء
 يعز الله فيه من يشاء
 وروح القدس ليس له كفاء
 يقول الحق إن نفع البلاء
 فقلتم: لا تقوم ولا نشاء
 هم الانتصار عرصتها اللقاء
 سباب أو قتال أو هجاء
 ونضرب حين تختلط الدماء
 مغلفة فقد برح الخفاء
 وعبد الدار سادتها الإمام
 وعند الله في ذاك الجزاء
 فسر كما لخيركم الفداء
 أمين الله شيمته الوفاء
 ويمدحه وينصره سواء؟
 لعرض محمد منكم وقاء
 وبخري لا تكدره الدلاء

على أنيابها أو طعم غض
 إذا ما الأشرباث دكرن يوما
 نوليها الملامة إن ألمنا
 ونشربها فتتركنا ملوكا
 عدينا خيلنا إن لم تروها
 يئازعن الأعنة مضغيات
 تظل جياذنا متمطرات
 فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
 ولا فاضبروا لجلاد يوم
 وجبريل رسول الله فينا
 وقال الله: قد أرسلت عبدا
 شهدت به فقوموا صدقوه
 وقال الله: قد يسرت جندا
 لنا في كل يوم من معد
 فتحكم بالقوافي من هجاءنا
 ألا بلغ أبا سفيان عني
 بأن سيقنا تركك عبدا
 هجوت محمدا وأجبت عنه
 أنهجوه ولست له بكفء؟
 هجوت مباركا برا حنيفا
 آمن يهجو رسول الله منكم
 فإن أباي ووالدته وعرضي
 لسانى صارم لا عيب فيه

قال ابن هشام: قالها حسان قبل الفتح، وبلغني عن الزهري: أن رسول الله ﷺ لما رأى النساء يطمعن الخيل بالخمير تبسم إلى أبي بكر الصديق (١).

(١) سيرة ابن هشام (٤/٦٦)، وسبل الهدى والرشاد (٥/٢٦٢-٢٦٣).

قال ابن إسحاق ^(١): وقال أنس بن زعيم الديلي يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان

قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي [من الطويل]

أَنْتَ الَّذِي تُهْدِي مَعَدَّ بِأَمْرِهِ
وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا
أَحْتَّ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْبَغَ نَائِلًا
وَأَكْسَى لِيُزِدَ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُذْرِكِي
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ قَادِرٌ
تَعَلَّمْ بِأَنَّ الرَّكْبَ رَكَبَ عُونِمِرٍ
وَنَبَّأُوا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي هَجَوْتُهُ
سِوَى أَنِّي قَدْ قُلْتُ وَنِلُ أَمْ فِتْيَةٍ
أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ
فَأَنَّكَ قَدْ أَخْفَزْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيًا
ذُوبٌ وَكُلْثُومٌ وَسَلَمَى تَتَابَعُوا
وَسَلَمَى وَسَلَمَى لَيْسَ حَيٌّ كَمِثْلِهِ
فَأِنِّي لَا دِينََا فَتَقْتُ وَلَا دَمًا

فأجابه بُدَيْل بن عبد مناف بن أم أصرم، فقال [من الطويل]

بَكَى أَنَسُ رَزْنَا فَأَعْوَزَهُ الْبُكََا
بَكَيْتَ أَبَا عَبَسٍ لِقُرْبِ دِمَائِهَا
أَصَابَهُمْ يَوْمَ الْخَنَادِمِ فِتْيَةٌ
هُنَالِكَ إِنْ تُسْفَحَ دُمُوعُكَ لَا تُلَمَّ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له ^(٢).

قال ابن إسحاق: وقال بُجَيْرُ بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح: [من الوافر]

نَفَى أَهْلَ الْحَبْلِقِ ^(٣) كُلَّ فَجٍّ مُزَيْنَةٍ غُدُوَّةً وَبُؤْسَ خُفَافٍ

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٦٧/٤)، وسبل الهدى والرشاد (٢٦٣/٥-٢٦٤).

(٣) الحبلى: أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس، وهو أيضًا: الغنم الصغار.

ضَرَبْنَاهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحَ الذِّ
صَبَحْنَاهُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سُلَيْمٍ
نَطًا أَكْتَافَهُمْ ضَرْبًا وَطَعْنًا
تَرَى بَيْنَ الصُّفُوفِ لَهَا حَفِيفًا
فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ
قَابُنَا غَانِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا
وَأَعْطَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ مِثًا
وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَتَنَا فَهَمُّوا
نَبِيَّ الْخَيْرِ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ
وَأَلْفٍ مِنْ بَنَى عُثْمَانَ وَافِي
وَرَشَقًا بِالْمُرِيَّةِ اللَّطَافِ
كَمَا انْصَاعَ الْفُوقُ مِنَ الرِّصَافِ
بِأَزْمَاحِ مَقْوَمَةِ الشُّقَافِ
وَأَبَوْا تَادِمِينَ عَلَى الْخِلَافِ
مَوَائِقَنَا عَلَى حُسْنِ التَّصَافِي
عَدَاةَ الرُّوعِ مِنَّا بِانْصِرَافِ^(١)

وفيه: (غزوة حُنين)^(٢) بالتصغير، وهو واد فوق ذى المجاز، وقيل: بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف، وتسمى: (غزوة هوازن)؛ وذلك أن النبي ﷺ لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها، وأسلم عامة أهلها، مشى أشراف هوازن وثقيف بعضهم إلى بعض، وحشدوا، وقصدوا محاربة المسلمين، وكان رئيسهم مالك بن عوف النصرى، فخرج إليهم رسول الله ﷺ من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال فى اثنى عشر ألفاً من المسلمين: عشرة آلاف من أهل المدينة، وألفان ممن أسلم من أهل مكة، وهم الطلقاء: يعنى: الذين خلى عنهم يوم فتح مكة، وأطلقهم فلم يسترقهم، واحدهم: طليق، فعيل: بمعنى مفعول، وهو الأسير إذا أطلق سبيله كما تقدم.

واستعمل ﷺ على مكة عتاب بن أسيد، وخرج معه ﷺ ثمانون من المشركين، منهم صفوان بن أمية، وكان ﷺ استعار منه مائة درع بأداتها، فوصل إلى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال، فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر أصحاب رسول الله ﷺ، فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب. ووجه رسول الله ﷺ عبد الله بن أبى حذرر الأسلمى، فدخل عسكرهم، فطاف به، وجاء بخبرهم.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/٦٧-٦٨).

(٢) انظر: مغازي الواقدي (٣/٨٨٥)، وطبقات ابن سعد (٢/١١٤) وسيرة ابن هشام (٤/٨١)، وتاريخ الطبري (٣/٧٠)، وعيون التواريخ (١/٣٢١)، والروض الأنف (٤/١٣٨).

وفى حديث سهل بن الحنظلية عند أبى داود، بإسناد حسن: أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ فأطنبوا السير، فجاء رجل فقال: انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشياهم، اجتمعوا إلى حنين، فتبسم ﷺ وقال: تلك غنيمة المسلمين إن شاء الله تعالى^(١).

وقوله: «عن بكرة أبيهم» كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفر العدد، وليس هناك بكرة فى الحقيقة، وهى التى يستقى عليها الماء، فاستعيرت هنا.

وقوله: «بظعنهم» أى: بنسائهم، واحدها: ظعينة، وأصل الظعينة: الراحلة التى ترحل ويظعن عليها، أى: يسار، وقيل للمرأة: ظعينة؛ لأنها تظعن مع زوجها حيث ما ظعن، أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت.

وقيل: الظعينة المرأة فى الهودج، ثم قيل للمرأة بلا هودج، وللهودج بلا امرأة: ظعينة. انتهى.

روى يونس بن بكير فى زيادة المغازى، عن الربيع قال: قال رجل يوم حنين: «لن نُغلب اليوم من قِلة»، فسق ذلك على النبى ﷺ، ثم ركب ﷺ بغلته البيضاء الدلدى، ولبس درعين والمغفر والبيضة، فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة، وذلك فى غيش الصبح، وخرجت الكتائب من مضيق الوادى، فحملوا حملة واحدة، فأنكشفت خيل بنى سليم مولية، وتبعهم أهل مكة والناس، فقال أخو صفوان بن أمية: غلبت هوازن، لا يرد هاربهم إلا البحر. فقال له صفوان أخوه: بفيك الكِئْكِيْتُ، لَأَنْ يَرَبْنِي رجل من قريش خير لى من أن يربنى رجل من هوازن رئيسهم مالك بن عوف، ولم يثبت معه ﷺ يومئذ إلا العباس بن عبد المطلب، وعلى بن أبى طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر، وعمر، وأسامة بن زيد فى أناس من أهل بيته وأصحابه. قال العباس: وأنا آخذ لجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو؛ لأنه ﷺ كان يتقدم فى نحر العدو، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه، وجعل - عليه الصلاة والسلام - يقول للعباس: ناد يا معشر الأنصار، يا أصحاب السُّمْرَةِ، يعنى: شجرة بيعة الرضوان التى بايعوه تحتها ألا يفروا عنه، فجعل ينادى تارة: يا أهل السمرة،

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٠١) مطولاً.

وتارة: يا أصحاب سورة البقرة، وكان العباس رجلاً صيئاً، فلما سمع المسلمون نداء العباس، أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها يقولون: يا ليك يا ليك، فتراجعوا إلى رسول الله ﷺ، حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بغيره على الرجوع، انحدر عنه وأرسله، فرجع بنفسه إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم - عليه الصلاة والسلام - أن يصدقوا الحملة، فاقتتلوا مع الكفار، فأشرف رسول الله ﷺ فنظر إلى قتالهم، فقال: الآن حَمَى الوَطِيسُ، وهو التَّوَرُّ، ولم تسمع من أحد قبل النبي ﷺ. وتناول ﷺ حصيات من الأرض، ثم قال: شأهت الوجوه، أى: قبحت، ورمى بها فى وجه المشركين، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه من تلك القبضة. وفى رواية مسلم: قبضة من تراب من الأرض^(١). فيحتمل أنه رمى بذا مرة، وبالأخرى أخرى، ويحتمل أن يكون أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب.

ولأحمد وأبى داود والدارمى، من حديث أبى عبد الرحمن الفهرى، فى قصة حنين: فولى المسلمون مدبرين؛ كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مَّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، فقال رسول الله ﷺ: أنا عبد الله، أنا عبد الله ورسوله. ثم افتحَمَ عن فرسه، وأخذ كفّاً من تراب، قال: فأخبرنى الذى كان أدنى إليه منى أنه ضرب وجوههم، وقال: شأهت الوجوه، فهزمهم الله تعالى^(٢).

قال يعلى بن عطاء، راويه عن أبى همام، عن أبى عبد الرحمن الفهرى، فحدثنى أبناؤهم عن آبائهم قالوا: لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً، وسمعنا صلصلة من السماء كإمرار الحديد على الطست الجديد - بالجيم^(٣) - قال فى النهاية: وصف الطست وهى مؤنثة بالجديد، وهو مذكر: إما لأن تأنيثها غير حقيقى، فأوله على الإناء والظرف، أو لأن فعلاً يوصف به المؤنث بلا علامة تأنيث؛ كما يوصف به المذكر، نحو امرأة قتيل. انتهى.

ولأحمد والحاكم، من حديث ابن مسعود: فحاذت به ﷺ بغلته، فمال السرج،

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٧/٨١)، وانظر السيرة النبوية (٨٦/٤)، وسبل الهدى والرشاد (٥/٣٢٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٦/٥)، وأبو داود (٥٢٣٣)، والدارمى رقم (٢٤٥٦) - ط هاشمى.

(٣) انظر السابق.

فقلت: ارتفع رفعك الله، فقال: ناولني كفاً من تراب، فضرب وجوههم، وامتلات أعينهم تراباً، وجاء المهاجرون والأنصار سيوفهم بأيامانهم كأنها الشهب، فولى المشركون الأدبار^(١).

وروى أبو جعفر بن جرير، بسنده عن عبد الرحمن مولى [أم برثن]، عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين، لم يقوموا لنا حلب شاة، فلما لقيناهم، جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ، قال: فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شأهت الوجوه، ارجعوا، قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا^(٢). وفي سيرة الدمياطي: كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمراء أزخوها بين أكتافهم.

وفي البخاري، عن البراء سأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، كان هوازن رماة، وإننا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكبينا على الغنائم، فاستقبلنا بالسهام، ولقد رأيت النبي ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث أخذ بزمامها يوكلها فيدفعها في نحر العدو، وهو يقول: [من مجزوء الرجز]

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٣)

وهذا إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب، فكأنه قال: أنا النبي والنبي لا يكذب، فلسْتُ بكاذب فيما أقول حتى انهزموا، بل أنا متيقن أن الذي وعدني الله به من النصر حق؛ فلا يجوز عليّ الفرار.

وأما ما في رواية مسلم، عن سلمة بن الأكوع من قوله: فارجع منهزماً، إلى قوله: مررت على رسول الله ﷺ منهزماً، فقال: لقد رأى ابن الأكوع فرعاً^(٤) فقال

(١) أخرجه أحمد (٤٥٣/١)، والحاكم في المستدرک (١١٧/٢) وصححه لكن تعقبه الذهبي بقوله: «الحارث وعبد الله ذوا مناكير هذا منها ثم فيه إرسال». اهـ

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٤٣/٦) رقم (١٦٥٩٦، ١٦٦٠١)، والمثبت بين المعكوفين من التفسير وقال: مولى أم برثن أو أم برثمة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٣١٦، ٤٣١٧)، ومسلم (١٧٧٦/٧٩)، وانظر تفسير ابن جرير (٣٤٢/٦-٣٤٣)، وسبل الهدى والرشاد (٣٢٩/٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٧٧) مطولاً.

العلماء: قوله: «منهزماً» حال من ابن الأكوع؛ كما صرح أولاً بانهزامه، ولم يرد أن النبي ﷺ انهزم. وقد قالت الصحابة كلهم: إنه - عليه الصلاة والسلام - ما انهزم، ولم ينقل أحد قط: أنه انهزم في موطن من المواطن. وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يُعتقد انهزامه ﷺ، ولا يجوز ذلك عليه، بل كان العباس وأبو سفيان بن الحارث آخذين ببغلتة يكفأنها عن إسراع التقدم إلى العدو^(١). وقد تقدم في غزوة أحد ما نسب لابن المرباط من المالكية مما حكاه القاضي عياض في الشفاء؛ أن من قال: إن النبي ﷺ هزم - يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وإن العلامة البساطي تعقبه بما لفظه: هذا القائل إن كان يخالف في أصل المسألة - يعني حكم الساب - فله وجه، وإن وافق على أن الساب لا تقبل توبته، فمشكل. انتهى.

قال بعضهم: وقد كان ركوبه - عليه الصلاة والسلام - البغلة في هذا المحل الذي هو موضع الحرب والطعن والضرب - تحقيقاً لنبوته؛ لما كان الله تعالى خصه به من مزيد الشجاعة وتمام القوة؛ وإلا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة ولا يصلح لموطن الحرب في العادة إلا الخيل؛ فبين - عليه الصلاة والسلام - أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب، وشجاعة نفس، وثقة وتوكلاً على الله تعالى. وقد ركبت الملائكة في الحرب معه - عليه الصلاة والسلام - على الخيل لا غير؛ لأنها بصدد ذلك عرفاً دون غيرها من المركوبات، ولهذا لا يُسَهَّم في الحرب إلا للخيل، والسر في ذلك أنها المخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والإبل. انتهى^(٢).

وعند ابن أبي شيبة، من مرسل الحكم بن عتيبة: لم يبق معه - عليه الصلاة والسلام - إلا أربعة نفر، ثلاثة من بني هاشم، ورجلا من غيرهم: علي، والعباس بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالركاب، وابن مسعود من الجانب الآخر، وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل^(٣).

وفى الترمذي بإسناد حسن من حديث ابن عمر: لقد رأيتنا يوم حنين وإن الناس لمولون وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل^(٤).

- (١) نقل ذلك المصنف عن النووي في شرح مسلم (٣٦٤/٦) بتصرف يسير.
- (٢) انظر كلاماً نحو هذا في شرح النووي على صحيح مسلم (٣٦٠/٦)، والفتح (٣٤٧/٨).
- (٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤١٧/٧-٤١٨) رقم (٣٦٩٩٤).
- (٤) أخرجه الترمذي (١٦٨٩) بلفظ: «لقد رأيتنا يوم حنين وإن الفئتين لموليتين وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل».

وفى شرح مسلم للنووي: إنه ثبت معه - عليه الصلاة والسلام - اثنا عشر رجلاً، وكأنه أخذه من قول ابن إسحاق^(١). ووقع فى شعر العباس بن عبد المطلب: أن الذين ثبتوا معه كانوا عشرة فقط، وذلك لقوله: [من الطويل]
 نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْحَرْبِ تِسْعَةً وَقَدْ فَرَّ مَنْ قَدْ فَرَّ عَنْهُ فَأَقْشَعُوا
 وَعَاشِرُنَا لَأَقَى الْجِمَامَ بِنَفْسِهِ لِمَا مَسَّهُ فِي اللَّهِ لَا يَتَوَجَّعُ
 وقد قال الطبراني: الانهزام المنهني عنه هو ما وقع على غير نية العود، وأما الاستطراد للكرة فهو كالتحيز إلى فئة.

وأما قوله - عليه الصلاة والسلام - : [من مجزوء الرجز]

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

فقال العلماء: إنه ليس بشعر؛ لأن الشاعر إنما سمي شاعراً؛ لوجوه: منها: أنه شعر المقول وقصده واهتدى إليه وأتى به كلاماً موزوناً على طريقة العرب مقفى، فإن خلا من هذه الأوصاف أو بعضها لم يكن شعراً ولم يكن قائله شاعراً، والنبى ﷺ لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا أراده، فلا يعد شعراً وإن كان موزوناً.
 وأما قوله - عليه الصلاة والسلام - : «أنا ابن عبد المطلب، ولم يقل: أنا ابن عبد الله: فأجيب بأن شهرته بجده كانت أكثر من شهرته بأبيه؛ لأن أباه توفى فى حياة أبيه عبد المطلب قبل مولده - عليه الصلاة والسلام - وكان عبد المطلب مشهوراً شهرة ظاهرة شائعة، وكان سيد قريش، وكان كثير من الناس يدعون النبى ﷺ ابن عبد المطلب، ينسبونه إلى جده لشهرته، ومنه حديث ضمام بن ثعلبة فى قوله: أياكم ابن عبد المطلب؟ وقيل غير هذا.

وأمر ﷺ أن يقتل من قدر عليه، وأفضى المسلمون فى القتل إلى الذرية، فنهاهم - عليه الصلاة والسلام - عن ذلك، وقال: «من قتل قتيلاً له عليه بينة، فله سلبه^(٢)»، واستلب طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلاً^(٣).

(١) انظر السيرة النبوية (٨٦/٤، ٨٧) ولم أجده فى شرح النووي وانظر شرحه لصحيح مسلم (٦/٣٥٩-٣٦٤). وانظر سبل الهدى والرشاد (٥/٣٢٩-٣٣٠).

(٢) السلب: ما يأخذه أحد القرنين من الآخر فى الحرب من سلاح وثياب ودابة ونحوه قاله فى النهاية ٣٨٧/٢

(٣) انظر شرح مسلم للنووي (٦/٣٦٢-٣٦٣)، وفتح الباري (٨/٣٤٨).

قال ابن القيم في الهدى النبوى: كان الله تعالى وعد رسوله إذا فتح مكة، دخل الناس في دين الله أفواجا، ودانت له العرب بأسرها. فلما تم الفتح المبين، اقتضت حكمة أن أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الإسلام وأن يتجمعوا ويتألبوا لحربه - عليه الصلاة والسلام - ليظهر أمره تعالى وتمايز إعزازه لرسوله ونصره لدينه، ولتكون غنائمهم شكرًا لأهل الفتح، وليظهر الله تعالى رسوله وعباده، وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها مثلها، ولا يقاومهم بعد أحد من العرب، فاقضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عَدَدِهِمْ وعدَدِهِمْ وقوة شوكتهم ليطامن رءوساً رفعت بالفتح، ولم تدخل بلده وحرمه كما دخل - عليه الصلاة والسلام - واضعاً رأسه منحنيًا على مركوبه؛ تواضعًا لربه وخضوعًا لعظمته؛ أن أحل له بلده ولم يحله لأحد قبله ولا لأحد بعده؛ ليبين سبحانه لمن قال: «لن تغلب اليوم من قلة»: أن النصر إنما هو من عند الله تعالى، وأنه من ينصره فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له، وأنه سبحانه هو الذى تولى نصر رسوله ودينه، لا كثرتمكم التى أعجبتمكم، فإنها لن تغنى عنكم شيئاً، فوليتم مدبرين. فلما انكسرت قلوبهم، أرسلت خلع الجبر من بريد: ﴿أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦]، وقد اقتضت حكمته تعالى أن خلع النصر وجوايزه إنما تفاض على أهل الانكسار: ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥].

قال: وبهاتين الغزاتين - أعنى حنيناً وبدراً - قاتلت الملائكة بأنفسها مع المسلمين ورمى رسول الله ﷺ وجه المشركين فيهما - انتهى (١).

وأمر ﷺ بطلب العدو، فانتهى بعضهم إلى الطائف نحو نخلة، وقوم منهم إلى أوطاس اسم مكان، وقتل من المشركين [أكثر] من سبعين قتيلًا.

ومما قيل من الشعر فى غزوة حنين قول العباس بن مرداس، يذكر قارب بن

الأسود وفراره من بنى أبيه، وذا الخمار وحبسه قومه للموت [من الوافر]

أَلَا مِنْ مُبْلِغٍ غَيْلَانَ عَنِّي وَسَوْفَ إِخَالُ يَأْتِيهِ الْخَبِيرُ
وَعُزْوَةٌ إِنَّمَا أَهْدَى جَوَابًا وَقَوْلًا غَيْرَ قَوْلِكُمَا يَسِيرُ

لِرَبِّ لَا يَضِلُّ وَلَا يَجُورُ
فَكُلُّ فَتَى يُخَايِرُهُ مَخِيرُ
بُوجٍ إِذْ تُفْسِمَتِ الْأُمُورُ
أَمِيرٌ وَالِدَوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
جُنُودُ اللَّهِ ضَاحِيَةٌ تَسِيرُ
عَلَى حَقِّ نَكَاذٍ لَهُ نَظِيرُ
إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا
أَبْخَانَهَا وَأُسْلِمَتِ الثُّصُورُ
فَأَقْلَعَ وَالِدُمَاءٍ بِهِ تَمُورُ
وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ
عَلَى رَايَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورُ
لَهُمْ عَقْلٌ يُعَاتِبُ أَوْ نَكِيرٌ^(١)
وَقَدْ بَانَاتٍ لِمَبْصِرِهَا الْأُمُورُ
وَقُتِلَ مِنْهُمْ بِشَرٍّ كَثِيرُ
وَلَا الْعَلَقُ الصَّرِيرَةُ الْحَصُورُ
أُمُورُهُمْ وَأَفْلَتِ الصُّفُورُ
أُهَيِّنَ لَهَا الْفَصَافِصُ وَالشَّعِيرُ
تُفْسِمَتِ الْمَزَارِعُ وَالْقُصُورُ
عَلَى يَمْنٍ أَشَارَ بِهِ الْمُشِيرُ
وَأَحْلَامٌ إِلَى عِزٍّ تَصِيرُ
أُتُوفَ النَّاسُ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ
بِحَرْبِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
بِرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةٍ عَنْقَفِيرُ
إِلَى الْإِسْلَامِ ضَائِنَةٌ تَخُورُ
وَقَدْ بَرِثَتْ مِنَ الْإِحْنِ الصُّدُورُ

بِأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدَ رَسُولٍ
وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى
وَبِئْسَ الْأَمْرُ أَمْرُ بَنِي قَسِيٍّ
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
فَجِئْنَا أَسَدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ
نَوْمُ الْجَمْعِ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ
وَأَقْسِمُ لَوْ هُمُ مَكْثُوا لَسِرْنَا
فَكُنَّا أَسَدَ لِيَّةٍ ثُمَّ حَتَّى
وَيَوْمَ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ
مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيْوَمٍ
قَتَلْنَا فِي الْعَبَارِ بَنِي حُطَيْطٍ
وَلَمْ يَكْ ذُو الْخِمَارِ رَيْسَ قَوْمٍ
أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ الْمَنَايَا
فَأَفْلَتَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ جَرِيضَا
وَلَا يُغْنِي الْأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي
أَحَانَهُمْ وَحَانَ وَمَلَّكُوهُ
بَنُو عَوْفٍ تَمِيحُ بِهِمْ جِيَادُ
فَلَوْلَا قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ
وَلَكِنَّ الرِّيَاسَةَ عُمُومَهَا
أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَهُمْ جُدُودُ
فَإِنْ يُهْدُوا إِلَى الْإِسْلَامِ يُلْفُوا
وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمُوا فَهُمْ أَذَانُ
كَمَا حَكَّتْ بَنِي سَعْدِ وَحَزْبُ
كَأَنَّ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ
فَقُلْنَا: أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ

(١) في السيرة: يعاقب أو مكير. وفي السبل: يعاقب أو نكير.

كَأَنَّ الْقَوْمَ إِذْ جَاءُوا إِلَيْنَا مِنْ الْبَعْضَاءِ بَعْدَ السَّلَامِ عَوْراً^(١)
 قال ابن هشام: غيلان: غيلان بن سلمة الثقفى، وعروة: عروة بن مسعود الثقفى.
 قال ابن إسحاق^(٢): ولما انهزم المشركون، أتوا الطائف، ومعهم مالك بن عوف
 وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة، ولم يكن فيمن توجه نحو
 نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف، وتبع خيل رسول الله ﷺ من سلك فى نخلة من
 الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا، فأدرك ربيعة بن ربيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة
 ابن يربوع بن سماك بن عوف بن امرئ القيس - وكان يقال له ابن الدغنة، وهى أمه،
 فغلبت على اسمه، ويقال: ابن لدغة فيما قاله ابن هشام - دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَةِ، فأخذ
 بخطام جملة، وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه فى شجار له فإذا هو برجل، فأناخ به
 فإذا شيخ كبير، فإذا هو دريد بن الصمة، فتعرفه الغلام، فقال له دريد: ماذا تريد
 بى؟ قال: أقتلك، قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن ربيع السلمى، ثم ضربه
 بسيفه، فلم يُغْنِ فيه شيئاً، فقال: بئسما سلحتك أمك، خذ سيفى هذا من مؤخر
 الرحل، ثم اضرب به، وارفع عن العظام، واحفض عن الدماغ؛ فإنى كذلك كنت
 أضرب الرجال. ثم إذا أتيت أمك، فأخبرها أنك قد قتلت دريد بن الصمة، فَرُبَّ يَوْمٍ
 قد منعت فيه نساءك. فرغم بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته فوق تكشف فإذا
 عجانه ويطون فخذه مثل القرطاس من ركوب الخيل إعراء. فلما رجع ربيعة إلى
 أمه، أخبرها بقتله إياه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً.

وقالت عمرة بنت دريد فى قتل ربيعة دريداً^(٣): [من الوافر]

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى دُرَيْدٍ	يَبْطُنُ سُمَيْرَةَ جَيْشَ الْعَنَاقِ
جَزَى عَنْهُ إِلَهُ بَنَى سُلَيْمٍ	وَعَقَّتْهُمْ بِمَا فَعَلُوا عَقَاقِ
وَأَسْقَانَا إِذَا قُدْنَا إِلَيْهِمْ	دِمَاءَ خِيَارِهِمْ عِنْدَ التَّلَاقِ
فَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعَتْ عَنْهُمْ	وَقَدْ بَلَغَتْ ثُقُوسُهُمُ التَّرَاقِ
وَرُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقَتْ مِنْهُمْ	وَأُخْرَى قَدْ فَكَّكَتْ مِنَ الْوَتَاقِ

(١) انظر الشعر وقول ابن هشام فى السيرة (٩٤-٩٦)، وسبل الهدى والرشاد (٣٤١/٥).

(٣٤٢).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٩٦/٤).

(٣) انظر: السيرة (٩٦-٩٧).

وَرُبُّ مُنْوَهِ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ أَجَبْتُ وَقَدْ دَعَاكَ بِلَا رِمَاقِ
فَكَانَ جَزَاؤُنَا مِنْهُمْ عُقُوقًا وَهَمَّا مَاعَ مِنْهُ مُخٌ سَاقِي
عَقَّتْ آثَارُ خَيْلِكَ بَعْدَ أَيْنٍ بِذِي بَقَرٍ إِلَى فَيْفِ الثُّهَاقِ

وقال عباس بن مرداس^(١): [من الطويل]

تَقْطَعُ بَاقِي وَضِلِ أُمُّ مُؤْمِلٍ بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبَدَلْتُ نِيَّةَ خُلْفَا
وَقَدْ حَلَفْتُ بِاللَّهِ لَا تَقْطَعُ الْقَوَى فَمَا صَدَقْتُ فِيهِ وَلَا بَرَّتِ الْحَلْفَا
خُفَافِيَّةً بَطْنُ الْعَقِيقِ مَصِيفُهَا وَتَحْتَلُّ فِي الْبَادِيْنَ وَجَرَةً فَالْعُرْفَا
فَإِنْ تَتَّبَعَ الْكُفَّارَ أُمُّ مُؤْمِلٍ فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى نَأْيِهَا شُغْفَا
وَسَوْفَ يُنَبِّئُهَا الْخَبِيرُ بَأْتْنَا أَتَيْنَا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبَّنَا حِلْفَا
وَأَنَا مَعَ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَقَيْنَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعَشَرُ أَلْفَا
بِفَيْثَانٍ صِدْقٍ مِنْ سُلَيْمٍ أَعَزَّةٍ أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَ مِنْ أَمْرِهِ حَزْفَا
خُفَافٌ وَذُكُوانٌ وَعَوْفٌ تُخَالَهُمْ مَصَاعِبَ زَافَتْ فِي طُرُوقِهَا كَلْفَا
كَأَنَّ السَّيِّجَ الشُّهْبَ وَالْبَيْضَ مُلْبَسٌ أَسُودَا تَلَاَقَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضْفَا
بِنَا عَزَّ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ تَنْحُلٍ وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الَّذِي مَعَهُ ضِغْفَا
بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَأَنَّ لِيَوَاءَنَا عُقَابَ أَرَادَتْ بَعْدَ تَخْلِيقِهَا خَطْفَا
عَلَى شَخْصِ الْأَبْصَارِ تَخْسِبُ بَيْنَهَا إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفَا
عَدَاةً وَطِئْنَا الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ نَجِدْ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَذْلًا وَلَا صِرْفَا
بِمُعْتَرِكٍ لَا يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسْطَهُ لَنَا رَجْمَةً^(٢) إِلَّا التَّدَامِرَ وَالنُّقْفَا
بِيبِضٍ نُطِيرُ الْهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا وَنَقِطُفُ أَعْنَاقَ الْكِمَاةِ بِهَا قَطْفَا
وَكَاثِنٍ تَرَكْنَا مِنْ قَتِيلٍ مُلْحَبٍ وَأَزْمَلَةٍ تَدْعُو عَلَى بَعْلِهَا: لَهْفَا
رِضَا اللَّهِ تَتَوَى لَا رِضَا النَّاسِ تَبْتَغِي وَلِلَّهِ مَا يَبْدُو جَمِيعًا وَمَا يَخْفَى

وقال مالك بن عوف يعتذر من فراره يومئذ^(٣) [من الكامل]

مَنَعَ الرُّقَادَ فَمَا أَعْمَضُ سَاعَةً نَعَمْ بِأَجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُخَضْرَمُ

(١) انظر شعر العباس هذا في السيرة (١٠٦/٤-١٠٧).

(٢) الزجمة: الصوت.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١١٣/٤).

سَائِلُ هَوَازِنَ هَلْ أَضُرَّ عَدُوَّهَا
وَكَتِيبَةَ لَبَسَتْهَا بِكَتِيبَةٍ
وَمُقَدَّمُ تَغْيَا الثُّفُوسُ لِضَيْقِهِ
فَوَرَدَتْهُ وَتَرَكْتُ إِخْوَانًا لَهُ
فَإِذَا انْجَلَتْ عَمَرَاتُهُ أَوْرَثْنِي
كَلَفْتُمُونِي ذَنْبَ آلِ مُحَمَّدٍ
وَحَذَلْتُمُونِي إِذْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا
وَإِذَا بَيَّتُ الْمَجْدَ يَهْدِمُ بَغْضُكُمُ
وَأَقْبُ مِخْمَاصِ الشِّتَاءِ مُسَارِعُ
أَكْرَهْتُ فِيهِ أَلَّةَ يَزْنِيَّةٍ
وَتَرَكْتُ حَنْتَهُ تَرُدُّ وَلِيَّه
وَنَصَبْتُ نَفْسِي لِلرَّمَاكِ مُدْجَجًا

وَأَعَيْنُ غَارِمَهَا إِذَا مَا يَغْرُمُ ؟
فَيَتَّيْنُ مِنْهَا حَاسِرٌ وَمَلَامٌ
قَدَّمْتُهُ وَشُهُودُ قَوْمِي أَعْلَمُ
يَرُدُّونَ عَمَرَتَهُ وَعَمَرَتُهُ الدَّمُ
مَجْدُ الْحَيَاةِ وَمَجْدُ غَنَمٍ يُقَسَّمُ
وَاللَّهِ أَغْلَمُ مَنْ أَعَوُّ وَأَظْلَمُ
وَحَذَلْتُمُونِي إِذْ تُقَاتِلُ خَنَعُمُ
لَا يَسْتَوِي بَانَ وَآخِرُ يَهْدِمُ
فِي الْمَجْدِ يُتَمَى لِلْعَلَا مُتَكْرَمُ
سَحْمَاءُ يَقْدُمُهَا سِنَانُ سَلْجَمُ
وَتَقُولُ: لَيْسَ عَلَيَّ فُلَانَةٌ مُقَدَّمُ
مِثْلَ الدَّرِيَّةِ تُسْتَحَلُّ وَتُشْرَمُ

وفيه: (غزوة الطائف)^(١)، خرج ﷺ في شوال فحاصروهم ثمانية عشر يومًا أو ثلاثين، بل في مسلم عن أنس: حاصروهم أربعين ليلة، ونصب عليهم المنجنيق، واستشهد من المسلمين اثنا عشر، وقاتل بنفسه، ولم يؤذن له في فتحه، فرجع إلى المدينة بعد غيبة شهرين وستة عشر يومًا، فقدم عليه بغد وفدَّهم، فأسلموا. ولما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى الطائف حين فرغ من حنين، قال كعب بن مالك: [من الوافر]

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ
نُخْبِرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
وَنَتَنَزِعُ الْعُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍ
وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرْعَانُ خَيْلٍ
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ

وَحَنِينَ ثُمَّ أَجْمَعْنَا السُّيُوفَا
قَوَاطِعُهُنَّ دَوْسًا أَوْ ثَقِيفَا
بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِمَّا أُلُوفَا
وَتُضْبِحُ دُورَكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
يُعَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفَا
لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا

(١) انظر: مغازي الواقدي (٩٢٢/٣) وطبقات ابن سعد (١٢٠/٢)، وسيرة ابن هشام (٤/١١٧)، وتاريخ الطبري (٨٢/٣)، وتاريخ الإسلام (٥٩١-مغازي)، والكامل في التاريخ (٢٦٦/٢) وعيون التواريخ (٣٣٣/١).

بِأَيْدِيهِمْ قَوَاصِبُ مُزْهَفَاتٍ
كَأَمْثَالِ الْعَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا
تَخَالُ جَدِيَّةُ الْأَبْطَالِ فِيهَا^(١)
أَجَدَهُمْ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحُ
يُخْبِرُهُمْ بِأَنَا قَدْ جَمَعْنَا
وَأَنَا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزُخْفِ
رَئِيسُهُمُ النَّبِيِّ وَكَانَ ضَلْبًا
رَشِيدَ الْأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ
نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبَّنَا
فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السَّلَمَ نَقْبَلُ
وَإِنْ تَأْبُوا نَجَاهِدْكُمْ وَنَضْرِبُ
نُجَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيبُوا
نُجَاهِدُ مَا تُبَالِي مَنْ لَقِينَا
وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلْبُوا عَلَيْنَا
أَتُونَا لَا يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءً
بِكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ
لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى
وَتُنْسَى^(٢) اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَوَدَّ
فَأَمْسُوا قَدْ أَقْرُوا وَاطْمَأَنُّوا

يُزِنَ الْمُسْتَطَلِينَ بِهَا الْخُثُوفَا
فَيُؤْنُ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفَا
عَدَاةَ الزُّخْفِ جَادِيَا مَدُوفَا
مِنْ الْأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفَا
عِتَاقُ الْخَيْلِ وَالْثُجْبُ الطُّرُوفَا
يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمْ صُفُوفَا
نَقِيَّ الْقَلْبِ مُضْطَبِّرَا عَزُوفَا
وَحِلْمٌ لَمْ يَكُنْ نَزَقًا خَفِيفَا
هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَءُوفَا
وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضْدًا وَرِيفَا
وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشًا ضَعِيفَا
إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانَا مُضِيفَا
أَأَهْلَكْنَا الثَّلَاةَ أَمْ الطَّرِيفَا
صَمِيمَ الْجِذْمِ مِنْهُمْ وَالْحَلِيفَا
فَجَدَعْنَا الْمَسَامِيعَ وَالْأَنْوَفَا
نَسُوقُهُمْ بِهَا سَوْقًا عَنِيفَا
يَقُومُ الدِّينُ مُغْتَدِلًا حَنِيفَا
وَتَسْلُبُهَا الْقَلَائِدُ وَالشُّنُوفَا
وَمَنْ لَا يَمْتَنِعُ يَقْبَلُ خُسُوفَا^(٣)

قال فى «المواهب» بعد ذكر أن الطائف على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق كثير الأعتاب والفواكه، قيل: إن أصلها أن جبريل اقتلع الجنة التى كانت لأصحاب الصريم، فسار بها إلى مكة، فطاف بها حول البيت، ثم أنزلها هناك فسمى الموضع بها، وكانت أولاً بنواحي صنعاء. واسم الأرض «وَجَّ» بتشديد الجيم.

(١) فى السيرة: فيهم.

(٢) فى السبل: ونفى.

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٤/١١٨-١١٩)، وسبل الهدى والرشاد (٥/٤٠٧-٤٠٨).

وسار إليها النبي ﷺ في شوال سنة ثمان، حين خرج من حنين، وحبس الغنائم بالجعرانة، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته، وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس؛ دخلوا حصنهم بالطائف، وأغلقوه عليهم؛ بعد أن أدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة وتهيئوا للقتال.

ولما سار ﷺ مرّ في طريقه بقبر أبي رغال، وهو أبو ثقيف فيما يقال، فاستخرج منه غصنا من ذهب، ونزل قريبا من الحصن وعسكر هناك، فرموا المسلمين بالنبل رميا شديداً كأنه رَجُل جراد؛ حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، وقتل منهم اثنا عشر رجلا، فيهم عبد الله بن أبي أمية، ورمى عبد الله بن أبي بكر الصديق يومئذ بجرح، فاندمل، ثم نقض عليه بعد ذلك؛ فمات منه في خلافة أبيه.

وارتفع ﷺ إلى موضع مسجد الطائف اليوم، وكان معه من نسائه أم سلمة، وزينب، فضرب لهما قبتين، وكان يصلى بين القبتين حصار الطائف كله، فحاصرهم ثمانية عشر يوما، ويقال خمسة عشر يوما، ونصب عليهم المنجنيق، وهو أول منجنيق رُمى به في الإسلام، وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من سرية ذي الكفين، ووضع المسلمون الرايات بأصل الحصن، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحمّاة وهي أخشاب متسعة الأجواف، تدفع في جدار الحصون، فيدخلها الرجال؛ لنقب جدارها - فرمتهم ثقيف بالنبل؛ فقتل منهم رجال، فأمر ﷺ بقطع أعناقهم وتحريقها، فقطعها المسلمون قطعاً ذريعا، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال - عليه الصلاة والسلام - : إني أدعها؛ لله وللرحم، ثم نادى مناديه - عليه الصلاة والسلام - : أيما عبد نزل من الحصن، وخرج إلينا، فهو حر، قال الدميّاطى: فخرج منهم بضعة عشر رجلا، منهم أبو بكرة، وعند مغلطاي: ثلاثة وعشرون عبداً.

وفي «البخارى» عن عثمان النهدي قال: سمعت سعدا، وأبا بكرة، عن النبي ﷺ. قال عاصم: «لقد شهد عندى رجلان: أما أحدهما: فأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأما الآخر: فنزل إلى النبي ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف...» الحديث^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٣٢٦، ٤٣٢٧).

وأعتق ﷺ من نزل منهم، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه؛ فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ولم يؤذن له ﷺ في فتح الطائف، وأمر عمر بن الخطاب؛ فأذن في الناس بالرحيل؛ فضج الناس من ذلك وقالوا: نرحل ولم تفتح علينا الطائف؟! فقال ﷺ: فاغدوا على القتال؛ فغدوا فأصاب المسلمين جراحات، فقال ﷺ: إنا قافلون غدا - إن شاء الله - فسروا بذلك، وأذعنوا، وجعلوا يرحلون، ورسول الله ﷺ يضحك^(١).

قال النووي: قصد ﷺ الشفقة عليهم، والرفق بالرحيل عن الطائف؛ لصعوبة أمره، وشدة الكفار الذين فيه، وتقويهم بحصنهم، مع أنه ﷺ علم أو رجا أنه سيفتحه بعد هذا بلا مشقة، فلما حرص الصحابة على المقام، والجهاد أقام وجد في القتال، فلما أصابتهم الجراح رجع إلى ما كان قصده أولا من الرفق، وفرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة، ووافقوا على الرحيل، فضحك ﷺ؛ تعجبا من تغير رأيهم^(٢)، وفقت عين أبي سفيان صخر بن حرب يومئذ، فذكر ابن سعد: أن النبي ﷺ قال له - وهي في يده -:

أيهما أحب إليك: عين في الجنة، أو أدعو الله أن يردها عليك؟ فقال: بل عين في الجنة، فرمى بها، وشهد اليرموك فقاتل، وفقت عينه الأخرى يومئذ. ذكره الحافظ زين الدين العراقي في «شرح التقریب».

وقال ﷺ للصحابة: قولوا لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، فلما ارتحلوا قال: قولوا آييون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده^(٣).

فانظر كيف كان ﷺ إذا خرج للجهاد يعتد لذلك بجمع الصحابة، واتخاذ الخيل، والسلاح، وما يحتاج إليه من آلات الجهاد، والسفر، ثم إذا رجع - عليه الصلاة والسلام - يتعري من ذلك، ويرد الأمر كله لمولاه - عز وجل - لا لغيره؛ لقوله: آييون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٧٨).

(٢) هنا انتهى كلام النووي انظر شرح مسلم له (٣٦٥/٦).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٢١/٢) بهذا اللفظ.

وانظر إلى قوله - عليه الصلاة والسلام - : «وهزم الأحزاب وحده» فنفى ﷺ ما تقدم ذكره، وهذا هو معنى الحقيقة؛ لأن الإنسان وفعله خلق لربه - عز وجل - فهو لله - سبحانه وتعالى - الذى خلق، ودبر، وأعان، وأجرى الأمور على يد من شاء، ومن اختار من خلقه، فكل منه وإليه، ولو شاء الله أن يبيد أهل الكفر من غير قتال - لفعل، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤] ليثبت الصابرين ويجزى الثواب للشاكرين، قال - تعالى - : ﴿وَلِيَبْلُوَكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَبَلِّوُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] فعلى المكلف الامتثال فى الحاليتين، أى امتثال تعاطى الأسباب؛ تأدبا مع الربوبية، كما فعل ذلك ﷺ أولاً؛ تأدبا مع الربوبية، وتشريعاً لأمته، ثم يظهر الله ما يشاء من قدرته الغامضة التى ادخرها له - عليه الصلاة والسلام - قاله ابن الحاج فى «المدخل». ولما قيل له: يا رسول الله، ادع على ثقيف، قال: «اللهم اهد ثقيفا واثت بهم»^(١). وكان - عليه الصلاة والسلام - قد أمر أن يجمع السبى، والغنائم مما أفاء الله على رسوله يوم حنين، فجمع ذلك كله إلى الجعرانة، فكان بها إلى أن انصرف - عليه الصلاة والسلام - من الطائف، وكان السبى ستة آلاف رأس، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة، واستأنى ﷺ بـ«هوازن» أى انتظر - وترىص أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة، ثم بدأ يقسم الأموال.

وفى البخارى: وطلق ﷺ يعطى رجالاً المائة من الإبل، منهم: أبو سفيان، وعيينة بن حصن الفزارى، والأقرع بن حابس التميمى، وأعطى العباس بن مرداس السلمى ستين، فسخطها، ثم أتى إليه - عليه الصلاة والسلام - فأنشد: [من المتقارب]

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبِيِّ بِدَيْنِ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِى مَجْمَعِ^(٢)

(١) أخرجه الترمذى (٣٩٤٢)، وأحمد فى المسند (٣/٣٤٣) من حديث عبد الرحمن بن سابط وأبى الزبير عن جابر به.

(٢) فى صحيح مسلم: المجمع.

وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعُ^(١) الْيَوْمَ لَا يُزْفَعُ
فقال - عليه الصلاة والسلام - : لعلى «اقطع لسانه عنى» ؛ فأكمل له مائة ؛ فقال
ناس من الأنصار: يغفر الله لرسول الله، يعطى قريشاً، ويتركنا وسيوفنا تقطر من
دمائهم، قال أنس: فحدث رسول الله ﷺ بمقاتلتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم
فى قبة من آدم، ثم قال لهم: أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، والشاء،
والبعير، وتذهبون بالنبى إلى رحالكم؟ فوالله لما تتقلبون به خير مما يتقلبون به،
قالوا: يا رسول الله قد رضينا^(٢).

وعن جبير بن مطعم قال: بينما أنا مع النبى ﷺ ومعه الناس مقفلون من حنين،
علقت برسول الله ﷺ الأعراب حتى اضطرتة إلى سمرة، فخطفت رداءه، فوقف
ﷺ فقال: أعطونى رداي، فلو كان لى عدد العضاء نعماً لقسمته بينكم، ثم لا
تجدونى: بخيلاً، ولا كذوباً، ولا جباناً. رواه ابن جرير فى تهذيبه.

وذكر محمد بن سعد - كاتب الواقدى - عن ابن عباس أنه لما قدم رسول الله
ﷺ من الطائف نزل الجعرانة، فقسم الغنائم، ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من
شوال^(٣)، قال ابن سيد الناس: وهذا ضعيف.

والمعروف عند أهل السير أن النبى ﷺ انتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس
ليال خلون من ذى القعدة، فأقام بها ثلاث عشرة ليلة، فلما أراد الانصراف إلى
المدينة خرج ليلة الأربعاء، لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلاً، فأحرم
بعمرة، ودخل مكة. وفى «تاريخ الأزرقى» عن مجاهد أنه - عليه الصلاة
والسلام - أحرم من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة. وعند «الواقدى» من
المسجد الأقصى، الذى تحت الوادى بالعدوة القصوى من الجعرانة، فكانت
صلاته - عليه الصلاة والسلام - إذا كان بالجعرانة به، والجعرانة موضع بينه وبين
مكة بريد - يعنى اثنتى عشر ميلاً - كما قاله الفاكهى، وقال الباجى: ثمانية عشر
ميلاً، وسمى بامرأة تلقب بالجعرانة، كما ذكره السهلى، أخذها السيل، فوصل بها

(١) فى صحيح مسلم: تخفض.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه رقم (٤٣٣١) من حديث أنس بن مالك ولم يذكر الشعر لكن
روى مسلم (١٠٦٠) نحوه من حديث رافع بن خديج وذكر فيه الشعر.

(٣) انظر سبل الهدى والرشاد (٤٠٦/٥-٤٠٧).

إلى هذا المحل، فوجدت ثمة، فسمى المحل بها.

قالوا: وقدم ﷺ المدينة، وقد غاب عنها شهرين وستة عشر يوماً.

قال ابن هشام^(١): ولما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى في قريش، وقبائل العرب،

ولم يعط الأنصار شيئاً، قال حسان بن ثابت، يعاتبه في ذلك: [من البسيط]

زار الهموم^(٢) فماء العين مُنْهِدِرُ سَحَا إِذَا حَفَلَتْهُ عِبْرَةٌ دَرُ
وجداً بِشِمْاءٍ إِذْ شِمْاءُ بِهِكْنَةٌ هِنَفَاءُ لَا دَنْسَ فِيهَا وَلَا حَوْرُ
دَغَ عَنْكَ شِمْاءُ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا نَزَرَا وَشَرُّ وَصَالِ الْوَاصِلِ الثَّرُ
وَأَتِ الرُّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمِنٍ لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدَّدَ الْبَشَرُ
عَلَامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهَى نَازِحَةٌ قُدَّامَ قَوْمِ هَمٍّ آوَا وَهُمْ نَصَرُوا ؟
سَمَاهُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا يَنْصُرِهِمْ دِينَ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَزْبِ تَسْتَعِرُ
وَسَارِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجَرُوا
وَالنَّاسُ إِلْبَ عَلَيْنَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفُ وَأَطْرَافُ الْقَنَا وَزُرُ
نَجَالِدِ النَّاسَ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا نُضَيِّعُ مَا تُوجِي بِهِ السُّورُ
وَلَا تَهْرُ جُنَاةُ الْحَزْبِ نَادِينَا وَنَحْنُ حِينَ تَلَطَّى نَارُهَا سَعِرُ
كَمَا رَدَدْنَا بَيْدِرَ دُونَ مَا طَلَبُوا أَهْلَ التَّفَاقِ وَفِينَا يَنْزِلُ الظَّفَرُ
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ التَّغْفِ مِنْ أَحَدٍ إِذْ حَزَبْتَ بَطَرًا أَخْزَابَهَا مُضَرُ
فَمَا وَئَيْنَا وَمَا خَمْنَا وَمَا خَبَرُوا مَتَا عَارَا وَكُلِ النَّاسِ قَدْ عَتَرُوا^(٣)



(١) انظر سيرة ابن هشام (٤/١٣٧).

(٢) في السيرة: زادت هموم - وفي البداية والنهاية: ذر.

(٣) ينظر: الشعر في السيرة النبوية (٤/١٣٧)، والبداية والنهاية (٤/٤١٥).

حوادث السنة التاسعة

فيها (غزوة تبوك)^(١) - وهى العسرة والفاضحة - فى رجب، لما بلغه أن الروم تجمعت فى الشام مع هرقل، وقد اشتملت على أمور للمنافقين فضحوا بها؛ وفيها تاب الله على الثلاثة الذين خُلفوا: كعب بن مالك، ومراة بن الربيع، وهلال بن أمية، وأقام ﷺ بضع عشرة ليلة وانصرف ولم يلق كيدا.

قال فى «المواهب»: وكانت يوم الخميس، فى رجب، سنة تسع من الهجرة بلا خلاف، وذكر البخارى لها بعد حجة الوداع^(٢) لعله خطأ من النساخ. وكان يومئذ حر شديد وجذب؛ فلذلك لم يُورَّ عنها كعادته فى سائر الغزوات. وفى تفسير عبد الرزاق عن معمر قال: خرجوا فى قلة من الظهر، وفى حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير، فيشربون ما فى كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة فى الماء، وفى الظهر، والنفقة^(٣)، فسميت (غزوة العسرة).

وسببها أنه بلغه ﷺ من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة - أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل، فندب ﷺ الناس إلى الخروج، وأعلمهم بالمكان الذى يريد ليتأهبوا لذلك^(٤)، وروى الطبرانى من حديث عمران بن الحصين قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: إن هذا الرجل الذى خرج يدعى النبوة قد أصابته سنون، فهلك أموالهم. فبعث رجلاً من عظمائهم، وجهاز معه أربعين ألفاً، فبلغ ذلك النبى ﷺ، ولم يكن للناس قوة، وكان عثمان قد عير إلى الشام فقال: يا رسول الله، هذه مائتا بعير بأقتابها، وأحلاسها، ومائتا أوقية، قال فسمعته يقول: لا يضر عثمان ما عمل بعدها^(٥). وروى عن قتادة أنه قال: حمل عثمان فى

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/١٦٩)، والمغازي للواقدي (٣/٩٨٩)، تاريخ خليفة (٩٢)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/١٢٥)، وتاريخ الطبري (٣/١٠٠)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٦٢٧-المغازي).

(٢) الحديث (٤٤١٥) وقال الحافظ فى الفتح (٨/٤٤٩) وهو خطأ، وما أظن ذلك إلا من النساخ، فإن غزوة تبوك كانت فى شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف. (٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره (٢/٢٩٠)، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات (٢/١٢٦) من طريق معمر.

(٤) ينظر: مغازي الواقدي (٣/٩٩١)، وطبقات ابن سعد (٢/١٢٥).

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٨/٢٣١-٢٣٢) رقم (٥٧٧). قال الهيثمى فى المجمع (٦/١٩٤): فيه الفضل بن العباس الأنصارى، وهو ضعيف.

جيش العسرة على ألف بعير، وسبعين فرساً^(١). وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان بألف دينار في كفه حين جهز جيش العسرة فثرها في حجره ﷺ، فرأيتة ﷺ يقلبها في حجره، ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم. أخرجه الترمذي^(٢) وقال: حسن غريب. وعند الفضائلي، والملا في سيرته كما ذكره الطبري في الرياض النضرة من حديث حذيفة: بعث عثمان - يعني في جيش العسرة - بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله ﷺ [فكان ﷺ] يقول بيده ويقلبها ظهرا بطن ويقول: غفر الله لك يا عثمان، ما أسرت، وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي ما عمل بعدها^(٣).

ولما تاهب ﷺ للخروج، قال قوم من المنافقين: لا تنفروا في الحر، فنزل قوله - تعالى - ﴿ لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١] وأرسل - عليه الصلاة والسلام - إلى مكة، وقبائل العرب، يستنفرهم، وجاء البكاءون يستحملونه، فقال - عليه الصلاة والسلام - : لا أجد ما أحملكم عليه، وهم: سالم بن عمير، وعلبة بن زيد، وأبو ليلي عبد الرحمن بن كعب المازني، والعرباض بن سارية، وهرم بن عبد الله، وعمرو بن عتبة، وعبد الله ابن مغفل، وعبد الله بن عمرو المزني، وعمرو بن الحمام، ومغفل المزني، وحضرمي بن مازن، والنعمان، وسويد، ومعل وعقيل، وسان، وعبد الرحمن، وهند، بنو مقرن، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِّنَ الدَّمَغِ حَزَنًا أَلَّا يَحْذَرُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩٢] قاله مغلطاي^(٤).

وفي البخاري عن أبي موسى قال: «أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم، فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك؛ لتحملهم، فقال: والله لا أحملكم على شيء، فرجعت حزينا من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي

(١) ذكر الطبري في تاريخه (١٠٢/٣) أن عثمان بن عفان أنفق في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم من نفقته.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، والحاكم (١٠٢/٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢١٥/٥).

(٣) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٦١٨٩) وعزاه لابن عدي والدارقطني وأبي نعيم في فضائل الصحابة، وابن عساكر، وانظر الرياض النضرة للطبري (١٧/٣).

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢١٨/٥) من طريق ابن إسحاق.

ﷺ وجد في نفسه على، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ، فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالاً ينادي: أين عبد الله بن قيس؟ فأجبت، فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك، فلما أتته قال: خذ هاتين القريتين، وهاتين القريتين - لست أبعرة ابتاعها حيثنذ من سعد - فانطلق بهما إلى أصحابك، فقل: إن الله وإن رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهم...» الحديث^(١). وقام علبة بن زيد، فصلى من الليل، وبكى وقال: اللهم إنك أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، ولم تجعل في يد رسولك ﷺ ما يحملني عليه، وإنني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني في مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس، فقال النبي ﷺ: أين المتصدق فليقم، فأقوم إليه فأخبره، فقال ﷺ: أبشر، فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة. رواه يونس كما ذكره السهيلي في الروض والبيهقي في الدلائل^(٢).

وجاء المعذرون من الأعراب، ليؤذن لهم في التخلف، فأذن لهم، وهم اثنان وثمانون رجلاً، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة^(٣). قال الدمياطي: وهو عندنا أثبت ممن قال غيره انتهى.

وقال الحافظ زين الدين العراقي - في ترجمة علي بن أبي طالب من شرح التقريب -: لم يتخلف عن المشاهد إلا في تبوك، فإن النبي ﷺ خلفه على المدينة، وعلى عياله، وقال له يومئذ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(٤)، وهو في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص^(٥)، ورجحه ابن عبد البر، وقيل: استخلف سباع بن عرفطة^(٦).

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب، منهم كعب بن مالك، ومرارة ابن الربيع، وهلال بن أمية، وفيهم نزل ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: ١١٨]

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٥)، ومسلم (١٦٤٩-٨) مع اختلاف في اللفظ.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢١٨/٥-٢١٩) من طريق ابن إسحاق. وينظر ترجمة علبة بن زيد في الإصابة (٤٤٩/٤-٤٥١).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (١٥٩/٤).

(٤) شرح التقريب (٨٥/١-٨٦).

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٣٢٠، ٣١، ٣٢٢-٢٤٠٤).

(٦) ينظر: السيرة النبوية (١٥٩/٤)، وتاريخ الطبري (١٠٣/٣).

وأبو ذر، وأبو خيثمة، ثم لحقاه بعد ذلك. ولما رأى - عليه الصلاة والسلام - أبا ذر الغفاري وكان - عليه الصلاة والسلام - نزل في بعض الطريق، قال: يمشى وحده، ويعيش وحده، ويموت وحده، فكان كذلك^(١)، وأمر ﷺ لكل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء وراية، وكان معه - عليه الصلاة والسلام - ثلاثون ألفاً، وعند أبي زرعة سبعون ألفاً، وفي رواية عنه - أيضاً - أربعون ألفاً، وكانت الخيل عشرة آلاف فرس.

ولما مر - عليه الصلاة والسلام - بالحجر - بكسر الحاء وسكون الجيم - بديار ثمود قال: لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا يخرج منكم أحد منكم إلا ومعه صاحب له، ففعل الناس، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجة، وخرج الآخر لطلب بعيره، فأما الذي خرج لحاجته، فخنق على مذهبه، وأما الذي خرج لطلب بعيره، فاحتلمته الريح حتى طرحته بجبل «طبي»، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: ألم أنهكم؟! ثم دعا للذي خنق على مذهبه، فشفى، وأما الآخر فأهدته «طبي» لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة^(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي حميد: انطلقت حتى قدما تبوك، فقال رسول الله ﷺ: تهب الليلة عليكم ريح شديدة، فلا يقيم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد رحله، فهبت ريح شديدة، فقام رجل، فحملته الريح حتى ألقته بجبل «طبي»^(٣). وروى الزهري: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر سَجَّى ثوبه على وجهه، واستحث راحلته، ثم قال: لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون، خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم. رواه الشيخان^(٤).

ولما كان ﷺ ببعض الطريق ضلت ناقته، فقال زيد بن لصيب^(٥)، وكان منافقاً: ليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدرى أين ناقته؟! فقال رسول الله ﷺ: إن رجلاً يقول مقالة، وإنى والله لا أعلم إلا ما علمنى الله،

(١) أخرج قصة أبي ذر الحاكم (٣/٥٠-٥١)، والبيهقي في الدلائل (٥/٢٢١-٢٢٢).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/٢٤٠).

(٣) أخرجه مسلم (١١-١٣٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٨٠)، ومسلم (٣٩/٢٩٨٠). من حديث ابن عمر.

(٥) في السيرة النبوية: زيد بن اللصين. قال ابن هشام: يقال: ابن لَصَيْبٍ بالباء.

وقد دلتني الله عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا، وقد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتونني بها، فانطلقوا فجاءوا بها. رواه البيهقي وأبو نعيم^(١). وفي صحيح مسلم من حديث معاذ بن جبل «أنهم وردوا عين تبوك، وهي تبض بشيء من ماء، وأنهم غرفوا منها قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء، ثم غسل ﷺ وجهه، ويديه، ثم أعاده فيها، فجرت بماء كثير فاستقى الناس...» الحديث^(٢). ولما انتهى ﷺ إلى تبوك أتاه صاحب «أيلة» فصالحه، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل «جربا» بالجسيم «وأذرح» بالذال المعجمة، والراء والحاء المهملة - بلدين بالشام بينهما ثلاثة أيام - فأعطوه الجزية وكتب لهم ﷺ كتاباً، ووجد هرقل بحمص فأرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك النصراني وكان ملكاً عظيماً بـ «دومة الجندل» في أربعمئة وعشرين فارساً في رجب سرية، وقال له - عليه الصلاة والسلام - : إنك ستجده ليلاً يصيد البقر، فأنتهى إليه خالد، وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسان، فشدت عليه خيل خالد فاستأسر أكيدر، وقتل أخوه حسان، وهرب من كان معهما فدخل الحصن، ثم أجار خالد أكيدر من القتل؛ حتى يأتي به رسول الله ﷺ على أن يفتح له «دومة الجندل»، ففعل، وصالحه على ألفي بعير، وثمانمئة فرس، وأربعمئة درع، وأربعمئة رمح^(٣). وفي هذه كتب ﷺ كتاباً في تبوك إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، فقارب الإجابة ولم يجب، رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أنس^(٤). وفي مسند أحمد: أن هرقل كتب من تبوك إلى النبي ﷺ [إني مسلم]^(٥)، فقال النبي ﷺ : كذب، هو على نصرانيته^(٦). وفي كتاب الأموال لأبي عبيدة بسند صحيح من مرسل بكر بن

(١) ذكره ابن إسحاق (٤/١٦٣) ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٥/٢٣٢). وينظر تاريخ الطبري (٣/١٠٦)، ومغازي الواقدي (٣/١٠١٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠-٧٠٦) كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/٢٥٠)، وفي السنن (٩/١٨٧) من حديث يزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر وانظر السيرة النبوية (٤/١٦٥-١٦٧)، والبدية والنهاية (٥/٢١).

(٤) هو حديث متفق عليه أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (٧٤-١٧٧٣) وهو عند ابن حبان (٦٥٥٥).

(٥) زيادة من الفتح (١/٥٥).

(٦) ينظر: الفتح (١/٥٥).

عبد الله نحوه ولفظه: فقال كذب عدو الله، ليس بمسلم^(١).

ثم انصرف ﷺ من تبوك بعد أن أقام بضعة عشرة ليلة، وقال الدمياطي - ومن قبله ابن سعد^(٢) - عشرين ليلة، يصلى بها ركعتين، ولم يلق بها كيدا، وبنى في طريقه مساجد. وأقبل - عليه الصلاة والسلام - حتى إذا نزل بـ «ذى أوان» بفتح الهمزة بلفظ الأوان للحين، وبينها وبين المدينة ساعة جاءه خبر مسجد الضرار من السماء، فدعا مالك بن الدخشم، ومعن بن عدى العجلاني، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه، وحرقاه، فخرجا فحرقاه وهدماه، وذلك بعد أن أنزل الله فيه ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ [التوبة: ١٠٧] الآية^(٣).

قال الواحدي قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير: إن الذين اتخذوا مسجد الضرار قالوا: نقيل فيه فلا نحضر خلف محمد، قال المفسرون: ولما بنوا ذلك؛ لأغراضهم الفاسدة عند ذهاب رسول الله ﷺ إلى تبوك: قالوا: يا رسول الله بنينا مسجداً، لذي العلة، والليلة المطيرة، ونحن نحب أن تصلى فيه، وتدعو لنا بالبركة فقال - عليه الصلاة والسلام - إني على جناح سفر، وإذا قدمنا إن شاء الله - تعالى - صلينا فيه - فلما قفل من غزوة تبوك، سأله إتيان المسجد فنزلت هذه الآية^(٤).

ولما دنا ﷺ خرج الناس لتلقيه، وخرج النساء، والصبيان، والولائد يقلن: [مجزوء الرمل]

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لَهُ دَاْعٌ^(٥)

وقد وهم بعض الرواة - كما قدمته - إذ قال: إنما كان هذا عند مقدمه المدينة، وهو وهم ظاهر؛ لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام، لا يراها القادم من مكة

(١) أخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال الحديث (٦٢٨).

(٢) الطبقات (١٢٧/٢).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (١٧١/٤)، ودلائل النبوة (٢٥٩/٥).

(٤) ينظر أسباب النزول للواحدي (٢٦٥) والدرر المشور (٤٩٤-٤٩٥).

(٥) ينظر: الدلائل (٢٦٦/٥)، والبداية والنهاية (٢٨-٢٩/٥) وسبل الهدى والرشاد، (٥/٤٦٩).

إلى المدينة ولا يراها إلا إذا توجه إلى الشام.

وفى «البخارى» لما رجع ﷺ من غزوة تبوك، فدنا من المدينة قال: إن بالمدينة أقوامًا ما سرتهم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، حبسهم العذر^(١)، وهو يؤيد معنى ما روى «نية المرء خير من عمله»^(٢) فإن نية هؤلاء أبلغ من عملهم، فإنها بلغت بهم مبلغ أولئك العاملين بأبدانهم، وهم على فرشهم فى بيوتهم، والمسابقة إلى الله - تعالى - إلى الدرجات العلا بالنيات، والهمم، لا بمجرد الأعمال. ولما أشرف ﷺ على المدينة، قال: هذه طابة، وهذا أحد، جبل يحبنا، ونحبه^(٣). ولما دخل قال العباس: يا رسول الله، ائذن لى أمتدحك، قال: «قل لا يفضض الله فاك»^(٤). وقد تقدم ذكرها، وتبيين غريب ألفاظها، ومعانيها.

وجاء ﷺ من كان تخلف عنه، فعذرهم، واستغفر لهم، وأرجأ أمر كعب، وصاحبيه حتى نزلت توبتهم فى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ إلى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨] والثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة^(٥).

وعند البيهقى فى الدلائل من مرسل سعيد بن المسيب، «أن أبا لبابة لما أشار لبنى قريظة بيده إلى حلقه، أنه الذبح فأخبر عنه رسول الله ﷺ بذلك، فقال له ﷺ: أحسبت أن الله غفل عن يدك حيث تشير إليهم بها إلى حلقك. فلبث حيناً، ورسول الله عاتب عليه، ثم غزا تبوكا، فتخلف عنه أبو لبابة فيمن تخلف، فلما قفل رسول الله ﷺ منها جاء أبو لبابة يسلم عليه، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ففزع أبو لبابة فارتبط

(١) أخرجه البخاري (٢٨٣٩) من حديث أنس.

(٢) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٦٨٥٩) عن أنس وقال: هذا إسناد ضعيف. وقد تقدم تخريجه فى الجزء الأول وأخرجه الطبراني فى الكبير (٥٩٤٢) ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية (٢٥٥/٣) وأخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد (٢٣٧/٩) من طريق آخر من حديث سهل بن سعد.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٢٢) من حديث أبي حميد الساعدي، ومسلم فى الحج (٥٠٣)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٢٦٦/٥)، وفى السنن (٣٧٢/٦)، وانظر السبل (٤٦٩/٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣٦٤/١)، والحاكم (٣٢٦-٣٢٧/٣)، والبيهقى فى الدلائل (٢٦٧/٥) من حديث خريم بن أوس بن حارثة بن لام. رانظر سبل الهدى والرشد (٤٦٩/٥).

(٥) أخرجه مطولاً البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٥٣-٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك.

بسارية التوبة سبعا، وقال: لا يزال هذا مكاني حتى أفارق الدنيا، أو يتوب الله علي... الحديث^(١). وعنده - أيضا - من حديث ابن عباس من قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ أَعْرِفُوا يُذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] قال: «كانوا عشرة تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، فلما رجع ﷺ، أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد، وكان ممر النبي ﷺ إذا رجع في المسجد عليهم، فقال: من هؤلاء؟ قالوا أبو لبابة، وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم، وتعذرهم، قال: أقسم بالله لا أطلقهم، ولا أعذرهم حتى يكون الله الذي يطلقهم، رغبوا عني، وتخلفوا عن الغزو، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ أَعْرِفُوا يُذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] فلما نزلت أرسل إليهم النبي ﷺ فأطلقوا، وعذروا... الحديث^(٢).

قالوا: ولما قدم عليه الصلاة والسلام من تبوك وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى؛ فلاعن عليه الصلاة والسلام بينهما^(٣).

وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ. وقال حسان بن ثابت، يعدد أيام الأنصار مع رسول الله ﷺ، ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه: [من البسيط]

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّهَا نَفَرًا	وَمَغْشَرًا إِنْ هُمْ عُمُوا وَإِنْ حُصِّلُوا
قَوْمٌ هُمْ شَهِدُوا بَذَرًا بِأَجْمَعِهِمْ	مَعَ الرَّسُولِ فَمَا أَلَوْا وَمَا خَذَلُوا
وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ	مَنْهُمْ وَلَمْ يَكْ فِي إِيْمَانِهِمْ دَخَلٌ
وَيَوْمَ صَبَحَهُمْ فِي الشَّعْبِ مِنْ أَحَدٍ	ضَرْبَ رَصِيْنٍ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلٌ
وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتِثَارَ بِهِمْ	عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَامُوا وَمَا تَكَلَّوْا
وَذَا الْعُشَيْرَةِ جَاسُوهَا بِخَيْلِهِمْ	مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ
وَيَوْمَ وَذَانِ أَجَلُوا أَهْلَهُ رَقَصَا	بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزْنُ وَالْجَبَلُ
وَلَيْلَةً طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمْ	لِلَّهِ وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا
وِغَزْوَةٍ يَوْمَ نَجِدَ ثَمَ كَانَ لَهُمْ	مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالْقُلُ

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٧٠-٢٧١).

(٢) أخرجه الطبري (٤٦٠/٦) رقم (١٧١٥٢)، والبيهقي في الدلائل (٢٧٢/٥)، وابن أبي حاتم، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٤٨٨/٣).

(٣) حديث الملاعة متفق عليه أخرجه البخاري (٥٢٥٩)، ومسلم (١-١٤٩٢).

وليلةً بحنينٍ جالِدُوا معه
وَعَزَوْهُ الْقَاعَ فَرَقْنَا العدوَّ بهِ
ويومَ بُويعَ كانوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ
وَعَزَوْهُ الْفَتْحَ كانوا فِي سَرِيَّتِهِ
ويومَ خَيْبَرَ كانوا فِي كَتِيبَتِهِ
بِالْبَيْضِ تُرْعَشُ فِي الْإِيْمَانِ عَارِيَةٌ
ويومَ سَارَ رَسولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا
وَسَاسَةً الْحَرْبِ إِنْ حَرَبَ بَدَتْ لَهُمْ
أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ
مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عَهْدُهُمْ

وقال حسان بن ثابت أيضًا: [من الطويل]

وكنّا ملوكَ الناسِ قبلَ مُحَمَّدٍ
وأكرمنا اللَّهُ الذي ليسَ غيرُهُ
بنصرِ الإِلَهِ والرَّسولِ ودينِهِ
أولئك قومي خَيْرُ قَوْمٍ بِأَسْرِهِمْ
يَرُثُونَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٌ مِنْ مَضَى
إِذَا اخْتَبَطُوا لَمْ يَفْجَحُوا فِي نَدِيهِمْ
وَإِنْ حَارَبُوا أَوْ سَالَمُوا لَمْ يَشْبَهُوا
وَجَارَهُمْ مَوْفٍ بِعُلَيَّاءَ بَيْتُهُ
وَحَامِلُهُمْ مَوْفٍ بِكُلِّ حِمَالَةٍ
وَقَائِلُهُمْ بِالْحَقِّ إِنْ قَالَ قَائِلٌ
وَمِنَّا أَمِينُ الْمُسْلِمِينَ حَيَاتُهُ

وقال أيضًا: [من المتقارب]

قَوْمِي أُولَئِكَ إِنْ تَسْأَلِي كِرَامَ إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمَ

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/١٩٩-٢٠٠)، والبداية والنهاية (٥/٤٣-٤٤).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٤/٢٠٠).

عِظَامُ الْقُدُورِ لِأَيْسَارِهِمْ
يُوَاسُونَ جَارَهُمْ فِي الْغِنَى
فَكَانُوا مُلُوكًا بِأَرْضِيهِمْ
مُلُوكًا عَلَى النَّاسِ لَمْ يُمْلَكُوا
فَأَنْبَؤُوا بِعَادٍ وَأَشْيَاعَها
بِثَرَبَ قَدْ شِيدُوا فِي النَّخِيلِ
تَوَاضَحَ قَدْ عَلَّمَتْهَا الْيَهُو
وَفِيهَا اشْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ الْقِطَافِ
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ بِأَثْقَالِنَا
جَنَّبْنَا بَهَنَ جِيَادِ الْخِيُو
فَطَارُوا سَرَاعًا وَقَدْ أَفْزَعُوا
عَلَى كُلِّ سَلْهَبَةٍ فِي الصُّبَا
وَكُلِّ كَمِيَتٍ مُطَارِ الْفُؤَادِ
عَلَيْهَا فَوَارِسُ قَدْ عَوَّدُوا
مُلُوكَ إِذَا غَشَمُوا فِي الْبِلَا
فَأَبْنَا بِسَادَاتِهِم وَالنِّسَاءِ
وَرِثْنَا مَسَاكِنَهُمْ بَعْدَهُمْ
فَلَمَّا أَتَانَا الرَّسُولَ الرَّشِيدَ
فَقُلْنَا صَدَقْتَ رَسُولَ الْمَلِكِ

يَكْبُونُ فِيهَا السَّمِينُ السِّنْمُ^(١)
وَيَحْمُونَ مَوْلَاهُمْ إِنْ ظَلِمَ
يَنَادُونَ غَضَبًا بِأَمْرِ غَشَمَ
مِنْ الدَّهْرِ يَوْمًا كَجَلِّ الْقَسَمِ
تُمُودَ وَبَعْضَ بَقَايَا إِرَمَ
حُصُونًا وَدُجْنَ فِيهَا النَّعَمُ
دُ عَلِ^(٢) إِلَيْكَ وَقَوْلًا هَلَمْ
وَعِيشَ رَخَى^(٣) عَلَى غَيْرِهِمْ
عَلَى كُلِّ فَحْلٍ هِجَانٍ قِطْمَ
لِ وَالزَّحْفُ مِنْ خَلْفِهِمْ قَدْ دَهَمَ^(٤)
وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ كَأَسَدِ الْأَجَمِ
ن^(٥) لَا تَسْتَكِينَ لَطُولِ السَّامِ^(٦)
أَمِينِ الْفُصُوصِ كَمِثْلِ الزُّلْمِ
قِرَاعَ الْكِمَاةِ وَضَرْبَ الْبُهْمِ
د لَا يَنْكَلُونَ وَلَكِنْ قُدْمَ
وَأَوْلَادَهُمْ فِيهِمْ تَفْتَسَمَ
وَكُنَّا مُلُوكًا بِهَا لَمْ نَرَمَ
دُ بِالْحَقِّ وَالثَّوْرَ بَغْدَ الظُّلْمِ
هَلَمْ إِلَيْنَا وَفِينَا أَقِمَ

(١) في السيرة: المُسِين. والسمن: عظيم السنام.

(٢) عل: كلمة تزجر بها الإبل.

(٣) في السيرة النبوية: والعيش رخوًا.

(٤) في السيرة النبوية: قد جملوها جلال الأدم. وجللوها: غطوها. وفيها بعد هذا البيت :

فلما أناخوا بجنبي صدار وشدوا السروج بلى الحزم

فما راعهم غير معج الخيو ل والزحف من خلفهم قد دهم.

(٥) في السيرة: الصبان. والسلهبة: الفرس السريعة.

(٦) في السيرة: تشكين نحول السام.

فَنَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ الْإِلَهِ
فَأِنَّا وَأَوْلَادُنَا جُئْنَا
فَنُحْنُ وَلَاتِكَ^(١) إِنْ كَذَّبُوكَ
وَنَادِ بِمَا كُنْتَ أَخْفَيْتَهُ
فَسَارِ الْغَوَاةَ بِأَسْيَافِهِمْ
فَقُمْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا
بِكُلِّ صَقِيلٍ لَهُ مَنِيعةٌ
إِذَا مَا يَصَادِفُ صَمَّ الْعِظَا
فَذَلِكَ مَا وَرَثْنَا الْقُرُو
إِذَا مَرُّ نَسْلٍ كَفَى نَسْلَهُ
فَمَا إِنْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا لَنَا

ه أَزْسِلَتْ نَوْرًا بِدِينِ قِيمِ
نَقِيكَ وَفِي مَالِنَا فَاحْتَكِمِ
فَنَادِ نِدَاءً وَلَا تَحْتَشِمِ
نِدَاءَ جَهَارًا وَلَا تَكْتِمِ
إِلَيْهِ يَظُنُّونَ أَنْ يَخْتَرِمِ
نَجَالِدُ عَنْهُ بُعَاةَ الْأَمَمِ
رَقِيقُ الذُّبَابِ عَضُوضِ خَذِمِ
م لَمْ يَنْبُ عَنْهَا وَلَمْ يَنْثَلِمِ
مُ مَجْدًا تَلِيدًا وَعَزًّا أَشَمِ
وَعَادَرَ نَسْلًا إِذَا مَا انْفَصَمِ
عَلَيْهِ وَإِنْ خَاسَ فَضْلُ النِّعَمِ^(٢)

وفيهما بنى ﷺ في طريقه مساجد حين رجع من تبوك^(٣)، وقدم في رمضان، وأمر بمسجد الضرار أن يحرق، واشترى ﷺ جمل جابر مرجعه، فلما قدموا إلى المدينة أعطاه الجمل والتمن، كما تقدم ذكر ذلك.

وفيهما بعث المصدقين لأخذ الصدقات: عيينة بن حصن إلى بني تميم كغيرهم، والوليد بن عقبة إلى بني المصطلق؛ ليأخذ الصدقة، فخرجوا بالسلاح، فرحاً به، فولّى راجعاً، وأخبر بمنعهم فهم ﷺ أن يبعث لهم جيشاً، فنزل ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

وفيهما سرية عبد الله بن عوسجة إلى بني حارثة، مستهل صفر يدعوهم إلى الإسلام فرقعوا بالصحيفة أسفل دلوهم، وأبوا الإجابة، فدعا ﷺ عليهم بذهاب عقلهم فهم إلى اليوم في رعدة، وعجلة، واختلاط كلام.

وقطبة بن عامر إلى خثعم بناحية بيشة من مخاليف «مكة» في صفر في عشرين رجلاً، فقتلوا منهم، وغنموا.

(١) في السيرة: أولئك.

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٤/٢٠٠-٢٠٢).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٤/١٧٢).

وعلقمة بن محرز المدلجى إلى الحبشة فى ثلاثمائة، لما تراءى أهل جدة ناسًا من الحبشة، فخاص إليهم فهربوا، فلما رجعوا، وكان أمره على من تعجل فى الرجوع - ومعه عبد الله بن حذافة السهمى، أو هو الأمير كما فى بعض الروايات، فأجج نازًا وأرادهم على الوثوب، ثم كف عن ذلك، فبلغه ﷺ ذلك فقال: من أمركم بمعصية فلا تطيعوه.

وعليا إلى القلس صنم لطىء فى مائة وخمسين، أو مائتين، فهدمه، وغنم غنائم من آل حاتم، ثم لما ظفروا بهدمه هرب عدى بن حاتم إلى الشام، وكلم النبي ﷺ أخت عدى سفانة بنت حاتم أن يمن عليه فمن عليه، ثم قدم وأسلم. وعكاشة بن محصن إلى الحجاب أرض عذرة، وبلي، وغطفان، أو فزارة، وكتب، ولعذرة فيها شركة.

وأبا سفيان، والمغيرة؛ لهدم الطاغية، وغيرها، فهدماها وأخذها مالها. وفيها قدم وفد بنى أسد فقالوا: جئنا قبل أن ترسل إلينا فنزل ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧] الآية. وتتابع الوفود: تميم، وعبس، وفزارة، وغيرهم مما لا ينحصر^(١).

وفيها حج أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - بالناس فى ثلاثمائة رجل، ومعه عشرون بدنة. وبعث عليا خلفه بسورة براءة، لينبذ إلى كل ذى عهد عهده، وألاً يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فأدركه عليٌّ بالعرج مبلغًا لا أميرًا^(٢)، وكان حجهم فى ذلك العام فى ذى القعدة.

وفيها مات النجاشى، فخرج ﷺ إلى المصلى، والناس معه، فصلوا عليه^(٣)، ومات عبد الله بن أبى، المنافق، فصلى عليه فنزل ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤]، وآلى من نسائه شهرًا. ولاعن بين عويمر العجلانى، أو هلال ابن أمية، وامراته خولة بنت عاصم، أو بنت قيس، أو غير ذلك - على الاختلاف - لما رماها بشريك بن السحماء فى شعبان عند قدومه من تبوك فوجدها حبلى ونزلت

(١) ينظر: مغازي الواقدي (٣/١٠٧٦)، وتاريخ الطبري (٣/١٢٢).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (٤/١٨٩)، ودلائل النبوة (٥/٢٩٥).

(٣) ينظر: تاريخ الطبري (٣/١٢٢)، والبداية والنهاية (٥/٤٧).

حيثُذ آية اللعان.

قال فى المواهب: حجة أبى بكر الصديق سنة تسع فى ذى القعدة، كما ذكره ابن سعد^(١)، وغيره بسند صحيح عن مجاهد، ووافقه عكرمة بن خالد فيما أخرجه الحاكم فى الإكليل، وقال قوم: فى ذى الحجة، وبه قال الداودى والثعلبى والماوردى؛ ويؤيده أن ابن إسحاق صرح بأن النبى ﷺ أقام بعدما رجع من تبوك رمضان، وشوالاً، وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج، فهو ظاهر فى أن بعث أبى بكر كان بعد انسلاخ ذى القعدة، فيكون حججه فى ذى الحجة على هذا، والله أعلم. وكان مع أبى بكر ثلاثمائة رجل من المدينة، وعشرون بدنة.

وفى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن أبا بكر بعث فى الحجة التى أمره رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع فى رھط يؤذن فى الناس يوم النحر ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف النبى ﷺ بعلى بن أبى طالب وأمره أن يؤذن ببراءة، فأذن معلناً فى أهل منى ببراءة، وألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، قال فنبت أبو بكر إلى الناس فى ذلك العام، فلم يحج فى العام القابل الذى حج فيه رسول الله ﷺ حجة الوداع - مشرك، فأنزل الله تعالى فى العام الذى نبت فيه أبو بكر إلى المشركين ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨] الآية^(٢). وقد دلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك يعنى نجاسة اعتقاده، وأما نجاسة بدنه: فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن، والذات، وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم، وهذا ضعيف؛ لأن أعيانهم لو كانت نجسة كالكلب والخنزير لما طهرهم الإسلام، ولاستوى فى النهى عن دخول المشركين المسجد الحرام، وغيره من المساجد، فالمراد نجاسة الخبث لما فيهم من خبث الظاهر بالكفر، وخبث الباطن بالعداوة، قاله مقاتل.

(١) فى المطبوع من طبقات ابن سعد (١٢٧/٢): فى ذى الحجة سنة تسع من مهاجر رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه البخارى (٤٦٥٥، ٤٦٥٦)، ومسلم (٤٣٥-١٣٤٧) وهذا لفظ البخارى.

وروى النسائي عن جابر أن النبي ﷺ لما رجع من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر على الحج، فأقبلنا معه حتى إذا كنا بالعرج، ثوب بالصبح، فلما استوى للتكبير، سمع الرغوة وراء ظهره، فوقف عن التكبير فقال: هذه رغوة ناقة رسول الله ﷺ الجداء، لقد بدا لرسول الله ﷺ في الحج، فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلى معه، فإذا على عليها، فقال له أبو بكر: أمير أم رسول؟ قال: رسول، أرسلني رسول الله ﷺ براءة، أقرأها على الناس في مواقف الحج. فقدمنا مكة، فلما كان قبل التروية بيوم، قام أبو بكر، فخطب الناس، فحدثهم عن مناسكهم حتى إذا فرغ، قام على، فقرأ على الناس براءة حتى ختمها. ثم إذا كان يوم النحر، فأفضنا، قام أبو بكر، فخطب الناس، فحدثهم عن إفاضتهم، وعن نحرهم، وعن مناسكهم، فلما فرغ قام على، فقرأ على الناس براءة حتى ختمها. فلما كان يوم النفر، فأفضنا، قام أبو بكر، فخطب الناس، فحدثهم كيف ينفرون، وكيف يرمون، ويعلمهم مناسكهم، فلما فرغ قام على، فقرأ على الناس براءة حتى ختمها^(١). وهذا السياق فيه غرابة من جهة أن أمير الحج سنة الجعرانة إنما هو عتاب بن أسيد، فأما أبو بكر - رضى الله عنه - وإنما كان سنة تسع، واستدل بهذه القصة على أن فرض الحج كان قبل حجة الوداع، والأحاديث في ذلك شهيرة كثيرة. وذهب جماعة إلى أن حج أبي بكر هذا لم يسقط عنه الفرض، بل كان تطوعاً قبل فرض الحج، ولا يخفى ضعفه. وفي هذه السنة مات عبد الله بن أبي بن سلول، فجاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلى عليه، فقام عمر - رضى الله عنه - فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، تصلى عليه، وقد نهاك ربك أن تصلى عليه؟! فقال ﷺ إنما خيرني الله عز وجل قال: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠] وسأزيد على السبعين، قال: إنه منافق، فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَتِسْفُوتٌ﴾ [التوبة: ٨٤] رواه الشيخان^(٢).

(١) أخرجه النسائي (٢٤٧/٥-٢٤٨) وضعفه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٧٧٤/٣)، والنسائي (٣٦/٤)، والترمذي (٣٠٩٨)، وابن ماجه (١٥٢٣)، وأحمد (١٨/٢) من حديث ابن عمر.

وفيها آلى من نسائه ﷺ شهرًا.

وجحش شقه أى خدش، وجلس فى مشربة له لها درج من جذوع، فأتاه أصحابه؛ يعودونه، فصلى بهم جالسًا وهم قيام، فلما سلم قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا صلى قائمًا؛ فصلوا قيامًا، وإن صلى قاعدًا؛ فصلوا قعودًا، ولا تركعوا حتى يركع، ولا ترفعوا حتى يرفع.

ونزل لتسع وعشرين، فقالوا: يا رسول الله إنك آليت شهرًا فقال: إن الشهر يكون تسعًا وعشرين^(١).



(١) أخرجه البخاري (٣٧٨)، من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك، دون تحديد السنة وأطرافه (٦٨٩، ٧٣٢، ٨٠٥، ١١١٤، ١٩١١، ٥٢٠١، ٦٦٨٤) وقال الحافظ في الفتح (٤٠/٢): وآلى من نسائه، أي: حلف لا يدخل عليهن شهرًا. وليس المراد الإيلاء المتعارف بين الفقهاء.

حوادث السنة العاشرة

فيها سرية خالد فى ربيع الأول إلى بنى عبد المدان بنجران، فأسلموا^(١)، وجريز ابن عبد الله البجلي فى رمضان فى مائة وخمسين إلى ذى الخلصة - بيت أصنام لدوس، وخثعم، وبجيلة، ومن بيلادهم - وحديثه فى البخارى، قال جرير: فكسرناه، وقتلنا من وجدناه عنده، فدعا ﷺ لنا، ولأحمس^(٢).

وفىها حجة الوداع^(٣)، وتسمى: حجة البلاغ، وحجة الإسلام، خرج يوم الخميس لست بقين - أو يوم الجمعة، أو يوم السبت لخمس بقين - من ذى القعدة، ومعه ﷺ تسعون ألفاً أو مائة وأربعة عشر ألفاً، ووقف فيها يوم الجمعة، ونزل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الآية.

ورجع من حجة الوداع لثلاث بقين من ذى الحجة، وفىها نزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَيْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النور: ٥٨] الآية، وكانوا لا يفعلونه قبل ذلك.

وقدم وفد نجران فى اثنى عشر راکباً، أميرهم العاقب عبد المسيح، والسيد إمامهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة أسقفهم، صالحوه عن أهل نجران. قال فى المواهب: وكره ابن عباس أن يقال: حجة الوداع^(٤).

وكان ﷺ قد أقام بالمدينة يضحى كل عام، ويغزو المغازى، فلما كان فى ذى القعدة سنة عشر من الهجرة - أجمع الخروج إلى الحج. قال ابن سعد: ولم يحج غيرها منذ تنبأ إلى أن توفاه الله تعالى^(٥).

وفى البخارى عن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ حج بعد ما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها، وهى حجة الوداع^(٦). قال ابن إسحاق: وبمكة أخرى، قيل: حج

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/٢٣٥)، وتاريخ الطبري (٣/١٢٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥/١١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥٥)، ومسلم (١٣٦-٢٤٧٦).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٤/٢٤٥)، والمغازي للواقدي (٣/١٠٨٨)، وطبقات ابن سعد (٢/١٣٠)، وتاريخ الطبري (٣/١٥٩)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥/١٢٧).

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٢/١٤٤)، وفيه قال: فقلت حجة الإسلام؟ قال: نعم حجة الإسلام.

(٥) طبقات ابن سعد (٢/١٣١).

(٦) أخرجه البخاري (٤٤٠٤)، ومسلم (٢١٨-١٢٥٤).

بمكة حجتين، هذا بعد النبوة، وقبلها لا يعلمه إلا الله^(١). فخرج ﷺ من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة، وجزم ابن حزم بأن خروجه كان يوم الخميس، وفيه نظر؛ لأن أول ذي الحجة كان يوم الخميس قطعاً، لما ثبت، وتواتر أن وقوفه بعرفة كان يوم الجمعة^(٢). لكن ثبت في الصحيحين عن أنس: صلينا مع النبي ﷺ الظهر بالمدينة أربعاً، والعصر بذى الحليفة ركعتين^(٣)، فدل على أن خروجهم لم يكن يوم الجمعة. ويحمل قول من قال لخمس بقين، أي: إن كان الشهر ثلاثين، فاتفق أن جاء تسعاً وعشرين، فيكون يوم الخميس أول ذي الحجة بعد مضي أربع ليال، لا خمس، وبها الأخبار.

هكذا جمع الحافظ عماد الدين بن كثير الروايات^(٤)، وقوى هذا الجمع بقول جابر: إنه خرج لخمس بقين من ذي القعدة، أو أربع^(٥)، وصرح به الواقدي: بأن خروجه - عليه الصلاة والسلام - كان يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة، وكان خروجه من المدينة بين الظهر^(٦)، والعصر، وكان دخوله مكة صباح رابعه، كما ثبت في حديث عائشة^(٧)، وذلك يوم الأحد، وهذا يؤيد أن خروجه من المدينة كان يوم السبت، كما تقدم، فيكون مكث في الطريق ثمان ليال، وهى المسافة

(١) قال الحافظ في الفتح (٤٤٥/٨) في شرحه لحديث زيد: بل الذي لا أرتاب فيه أنه لم يترك الحج وهو بمكة قط، لأن قريشاً في الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج، وإنما يتأخر منهم عنه من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف.

(٢) أخرج البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٥-٥) عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرأونها لو أنزلت علينا معشر اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: أي آية؟ قال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة.

(٣) أخرجه البخاري (١٥٥١)، ومسلم (٦٩٠-١٠) وهذا لفظ البخاري.

(٤) ينظر: البداية والنهاية (١٢٨/٥-١٢٩).

(٥) أخرجه البيهقي في الدلائل (٤٣٢/٥)، وهذا الحديث أصله في مسلم (١٢١٨-١٤٧).

(٦) ينظر: مغازي الواقدي (١٠٨٩/٣).

(٧) أخرج البخاري (١٧٠٩)، ومسلم (١٢٥-١٢١١) من طريق عمرة عن عائشة قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين من ذي القعدة... الحديث. وأخرج مسلم (١٣٠-١٢١١) عن ذكوان مولى عائشة عن عائشة قالت: «قدم رسول الله ﷺ لأربع مضي من ذي الحجة أو خمس... الحديث».

الوسطى ، وخرج معه - عليه الصلاة والسلام - تسعون ألفاً ، ويقال : مائة ألف وأربعة عشر ألفاً ، ويقال : أكثر من ذلك ، كما حكاه البيهقى ، ورجع - عليه الصلاة والسلام - من حجة الوداع لثلاث بقين من ذى الحجة .



حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة

فيها سرية أسامة بن زيد إلى أهل أبنى بالسراة ناحية البلقاء^(١)، يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر؛ لغزو الروم، مكان قتل أبيه زيد، ومعه أبو بكر، وعمر، وغيرهما. فمرض عليه السلام، فعوقهم ذلك، وثقل عليه السلام، فجعل يقول: أنفذوا بعث أسامة، ودخل عليه أسامة يوم الاثنين، وقد أصبح مفيقاً، فقال له: اغد على بركة الله، فودّعه، وخرج، ثم تأخر حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج حتى وصل إلى أهل أبنى فى عشرين ليلة، فشن عليهم الغارة، وكان شعارهم: يا منصور أمت. فقتل، وحرّق، وغنم^(٢).

وقبل وفاته - عليه الصلاة والسلام - بسبع ليال، أو ثلاث ليال، أو ثلاث ساعات، أو بأحد وثمانين يوماً، أو عشرين، أو غير ذلك على الخلاف - نزل قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] فهي آخر آية نزلت^(٣). وفى البخارى عن ابن عباس: إن آية الربا آخر آية نزلت^(٤). والجمع ممكن^(٥)، وفى آخر ما نزل أقوال غير ذلك^(٦). وأما أول ما نزل ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] الآيات الخمس. قال القشيري: ثم نون والقلم، ثم المزمّل، ثم المدثر، ثم تبت، ثم كذا إلى آخر ما ذكر من الترتيب، ولبسط ذلك، وتمييز المدنى من المكى تأليف مخصوصة لسنّا بصدها.

فصل فى صفاته الحسنية صلى الله عليه وسلم

كان ربعة، بعيد ما بين المنكبين، أبيض اللون، مشرباً بحمرة، رجل الشعر

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢٥٣/٤)، ومغازي الواقدي (١١١٧/٣) وطبقات ابن سعد (٢/١٤٥)، وتاريخ الطبري (٣/١٨٤).

(٢) ينظر الخبر بطوله في مغازي الواقدي (١١١٧/٣-١١٢٤)، وطبقات ابن سعد (٢/١٤٥-١٤٧).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٣٠٧/٦) رقم (١١٠٥٨)، والطبراني في الكبير (٣٧١/١١) رقم (١٢٠٤٠)، والطبري (٣/١١٥) رقم (٦٣٠٨)، والبيهقي في الدلائل (٧/١٣٧) من حديث ابن عباس. وقال الهيثمي (٣٢٧/٦): رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات.

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٤٤).

(٥) ينظر في ذلك فتح الباري (٩/٦٦).

(٦) ينظر: دلائل النبوة (٧/١٣٦-١٣٩).

أسوده، يبلغ شحمة أذنيه إذا طال، ونصف ذلك إذا قصر، لم يبلغ الشيب فى رأسه، ولحيته عشرين شعرة، واسع الجبين، أزج الحواجب، فى غير قرن، أدعج العينين، أقنى العينين، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، حلو المنطق، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، حسن الخلق معتدله، عريض الصدر، موصول ما بين لبته وسرته بشعر يجرى كالخط، أشعر الذراعين، والمنكبين، وأعلى الصدر، على اليدين، والبطن فيما سوى ذلك، أجل الناس، وأبهاء من بعيد، وأحسنه، وأحلاه من قريب، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما، وعلاه البهاء، بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة، لونه لون جسده عليه خيلان، روى أنه مكتوب فى باطنه: الله وحده لا شريك له، وفى ظاهره: توجه حيث شئت، فإنك منصور. ويروى - أيضًا - أن المكتوب فيه: محمد رسول الله، وقيل: غير ذلك. يقول واصفه ﷺ: لم أر قبله مثله، ولا بعده مثله^(١).

فصل فى صفاته المعنوية وأخلاقه ﷺ

قالت عائشة: كان خلقه القرآن^(٢)؛ يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه. وكان أحلم الناس، قيل له: ألا تدعو على المشركين؟ قال: إنما بعثت رحمة، ولم أبعث عذاباً^(٣). وكان أشجع الناس، قال على: كنا إذا حمى^(٤) البأس، والتقى القوم - اتقينا برسول الله ﷺ^(٥). وأعدل الناس، القريب والبعيد، والقوى والضعيف عنده سواء.

(١) ينظر: دلائل النبوة (١/٢٦٨)، وتاريخ الطبري (٣/١٧٩)، والبداية والنهاية (٦/٤، ١٣-٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٩-٧٤٦)، وأبو داود (١٣٤٢)، والنسائي (٣/١٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (٨٧-٢٥٩٩) عن أبي هريرة به ولفظه «إني لم أبعث لعناً، وإنما بعثت رحمة».

(٤) فى شرح السنة وفى صحيح مسلم (احمر) والمعنى: اشتد الحرب. وانظر شرح السنة (٧/٤٧).

(٥) ذكره الذهبي فى تاريخ الإسلام (٤٦٢-السيرة) وأبو الشيخ فى أخلاق النبي ((٥٨)، والبخاري فى شرح السنة (٧/٤٧-بتحقيقنا) وله شاهد من حديث البراء عند مسلم (٧٩/١٧٧٦)، وأبو الشيخ فى الأخلاق (٥٨)، ولفظه: «إذا احمر البأس».

وأعف الناس، وأسخاهم، لا يسأل شيئاً إلا أعطاه، لا يبيت عنده دينار، ولا درهم، فإن فضل، ولم يجد من يعطيه، وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما أعطاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد، ويضع سائر ذلك فى سبيل الله، ثم يعود على قوت عامه، فيؤثر منه. وكان أشد حياء من العذراء فى خدرها، لا يثبت نظره فى وجه أحد، غاض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظ، وأكثر تواضعاً: يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويفليه - قلت: معنى يفليه ليس من القمل كما هو المتبادر؛ لأن القمل لا يلحق جسده الشريف، وإنما المراد بالتفلية: التنقية من نحو قشة، أو غبار، وما أشبهها - ويخيطه، ويخدم فى مهنة أهله، ويقطع اللحم معهن، ويجب دعوة الحر، والعبد، ويقبل الهدية وإن قلت، ويكافىء عليها، ويأكلها، ولا يأكل الصدقة.

تستبعه الأمة والمسكين فيتبعهما حيث دعواه، ويجب الفقراء، والمساكين، ويجالسهم، ويواكلهم، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، وأرحمهم، يصغى الإناء للهرة فما يرفعه حتى تروى؛ رحمة لها. وأشدّهم إكراماً لأصحابه، لا يمدّ رجله بينهم، ويوسع عليهم إذا ضاق المجلس، ويتفقدهم ويسأل عنهم: من مرض عاده، ومن غاب دعا له، ومن مات استرجع، وأتبع ذلك بالدعاء له، ومن تخوف أنه وجد فى نفسه انطلق حتى يأتيه فى منزله. ويقبل معذرة المعتذر، ويخرج إلى بساتين أصحابه، ويأكل من ضيافتهم، ولا يطوى بشره عن أحد، ولا يدع أحداً يمشى خلفه، ويقول: خلوا ظهري للملائكة، ولا يدع أحد يمشى معه، وهو راكب حتى يحمله، فإن أبى قال: تقدمنى، إلى المكان الذى تريد.

وأمر فى سفره بإصلاح شاة فقال رجل: عليّ ذبحها، وآخر عليّ سلخها، وآخر عليّ طبخها، فقال ﷺ: وعليّ جمع الحطب، فقالوا: نحن نكفيك، قال: قد علمت، ولكن أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبد أن يراه متميزاً بين أصحابه، وقام بجمع الحطب.

يخدم منّ خدمه، ما ضرب قط خادمه، ولا امرأة، ولا شيئاً إلا فى جهاد، ولا

يترفع على عبيده وإمائه فى مأكل، ولا ملبس. قال أنس: خدمته عشر سنين، فما قال لى قط أف، ولا لِمَ فعلت، ولا ألا فعلت^(١).

أكثر الناس تبسمًا، وأحسنهم بشرًا، لا يهوله شيء من أمور الدنيا، لا يحقر فقيرًا لفقره، ولا يهاب ملكًا لملكه، يلبس ما وجد من مباح، ويركب ما تيسر من فرس، أو بعير، أو بغلة، أو حمار، ويردف خلفه عبده، أو غيره، وقد روى فيمن أردفه أكثر من ثلاثين، يمسح وجه فرسه بطرف كفه أو طرف ردايته، يحب الفأل، ويكره الطيرة. إن جاء ما يحب قال: الحمد لله رب العالمين، أو ما يكره قال: الحمد لله على كل حال. يحب الطيب، ويكره الريح الرديئة، يمزح، ولا يقول إلا حقًا، يبدأ من لقيه بالسلام، لا يجلس، ولا يقوم إلا على ذكر، يجلس حيث انتهى به المجلس، ويأمر بذلك، ولا يقوم عمن يجالسه حتى يقوم إلا أن يتعجله، أو يستأذنه. ولا يقابل أحدًا بما يكره، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح. لا يذم شيئًا قط، وما عاب طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه، يحفظ جاره، ويكرم ضيفه، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم؛ فيكون أبعد الناس منه.

أكثر جلوسه للقبلة، آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض فلم يقبل، واختار الآخرة. يعصب الحجر على بطنه من الجوع، يبيت هو وأهله الليالى طاوين، ولم يشبع من خبز بر ثلاثا تباغًا، ولا من خبز الشعير حتى لقي الله - عز وجل - إشارًا على نفسه لا فقرا، ولا بخلا. يأتى على أهله الشهر والشهران لا يوقد فى بيت من بيوته نار، ولا يأكل متكئا، ولا على خوان. فراشه من آدم حشوه ليف. يلبس الصوف، ويتعلل المخصوف. أحب اللباس إليه الحبرة من برود اليمن فيها حمرة وبياض، يلبس الإزار الواحد ليس عليه غيره، يعقد طرفيه بين كتفيه، ويلبس يوم الجمعة برده الأحمر، ويعتم، وكان يلبس خاتما فضة، نقش فسه «محمد رسول الله» فى خنصره الأيمن، وربما لبسه فى الأيسر، ويكثر دهن رأسه، ولحيته، ويتبخر بالعود، والكافور، ويكتحل بالإثمد، ويتطيب بالغالية، والمسك أو بالمسك وحده.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩)، والبغوي فى شرح السنة (٣٢/٧-بتحقيقنا).

فصل فى خصائصه ﷺ

فمن الواجبات: المشاورة فى الأمور، وتخيير نسائه بين أن يقيين فى عصمته أو لا، ومصابرة العدو الكثير، وتغيير المنكر من غير قيد عدم الخوف، وقضاء دين الميت المعسر المسلم، وليس منها وجوب الضحى، ولا الأضحى، ولا الوتر، ولا السواك، ولا التهجد، ونحو ذلك خلافا لمن زعمه.

ومن المحرمات: أخذ الصدقة واجبة كانت أو تطوعاً، والشعر، والخط والأكل متكئاً، وأكل ذى ريح كربه فى رأى قوى، ونزع لأمته إذا لبسها حتى يلقي العدو، ومدّ عينيه لما متع به الناس، وخائنة الأعين؛ بأن يومئ إلى مباح على خلاف ما يظهر، والمن ليستكثر، وإمساك من كرهت نكاحه.

ومن المباحات: مواصلة الصوم، واصطفاء ما يختار من الغنيمة كأخذه صفية، وسيفه ذا الفقار، وكان له خمس الخمس من الفىء، والغنيمة، وأربعة أخماس من الفىء، ودخول مكة بلا إحرام، وإن اختلف فى غيره، وأبيح له القتال بها ساعة يوم الفتح، وكانت من ضحوة إلى بعد العصر، ويقضى بعلمه قطعاً، ولنفسه ولو كره، ويشهد أيضاً لنفسه وولده، ويقبل من يشهد لهما، ويحى الموات لنفسه، ويأخذ الطعام، والشراب من المالك المحتاج لهما، ويمكث بالمسجد جنباً، ومن يختاره معه فى ذلك كما أشركه معه فى ذلك، ولا ينتقض وضوؤه بنومه: [من البسيط]

... .. فalcين نائمة والقلب يقظان

وله أن يزوج من نفسه، وممن شاء بلا إذن، ويتولى الطرفين، ويزيد على أربع زوجات، بل وعلى تسع اللاتى اتفق اجتماعهن وهو العدد الذى مات عنه - أيضاً - وينكح بلا ولى، ولا شهود، وفى حالة إحرامه، ويلفظ الهبة من المرأة، وبلا مهر لا حالاً ولا مالاً. وأكثر المباح له لم يقع منه ﷺ.

ومن الفضائل والكرامات: تحريم أزواجه اللاتى دخل بهن، وفارقهن بموت، أو غيره على من سواه، وإنما هن أمهات المؤمنين فى ذلك، وفى احترامهن لا فى نحو نظر وخلوة، وتحريم بناتهن، وأخواتهن، وكذا من لم يدخل بهن على ما نص عليه الشافعى؛ لظاهر القرآن. ونساؤه أفضل النساء، وأفضلهن خديجة وعائشة. وأمته خير الأمم، ولا تجتمع على ضلالة، وصفوفهم كصفوف الملائكة.

وأصحابه خير القرون، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. وشرعه مؤبد ناسخ لما خالفه من الشرائع، وكتابه معجز يحفظ من التحريف والتبديل، مستمر بعد نبوته، ومعجزات غيره من الأنبياء انقضت، ونصر بالرعب مسيرة شهر، وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت له الغنائم، وأعطى الشفاعة، والمقام المحمود، وله خمس شفاعات، وأكثر منها: فله الشفاعة العظمى فى فصل الموقف، وهى الأولى، فيفزع الكل إليه بعد دلالة الرسل عليه، ولو بتوسط الدلالة على من دل عليه إظهارا لعلو مقامه، وانفراده بتمامه؛ والشفاعة فى قوم يدخلون النار؛ فلا يدخلونها، وهى الثالثة؛ وفى ناس دخلوها، فيخرجون منها، وهى الرابعة، وفى رفع الدرجات فى الجنة وهى الخامسة.

وله غيرهن شفاعته لمن مات بالمدينة، وفى جمع من صلحاء المؤمنين أن يتجاوز عنهم ما لعلهم قصرُوا فيه، وفى تخفيف العذاب عن بعض أهل النار كما فى عمه أبى طالب، وفى تخفيف عذاب القبر كما فى حديث غرز الجريدتين فى القبرين^(١)؛ وفى فتح باب الجنة والجواز على الصراط وغير ذلك.

وأرسل إلى الناس كافة، وهو سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع، وأول من يقرع باب الجنة، وأكثر الناس تبعا، وأعطى جوامع الكلم. وكان لا ينام قلبه، ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه، وتطوعه بالصلاة قاعدا كتطوعه قائما وإن لم يكن له عذر. ولا يحل لأحد رفع صوته فوق صوته، ولا نداؤه من وراء الحجرة، ولا باسمه، بل يا نبي الله، يا رسول الله، ونحو ذلك، ومخاطبة المصلى بالسلام عليك أيها النبي، ولو خاطب غيره، بطلت، ويجب على المصلى إجابته إذا دعاه، ولا تبطل صلاته، وتحل له الهدية دون غيره من الحكام، ولا يجوز عليه، ولا على غيره من الأنبياء جنون، ولا احتلام. ومن استهان بأحد منهم كفر.

ولا يورث أحد منهم، بل ماله ﷺ صدقة على المسلمين، وأولاد بناته ينسبون إليه، ويجب بذل المهج لسلامة موهبته، فالنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ومن رغب فيها وهى مزوجة، وجب على زوجها طلاقها.

(١) أخرجه البخاري (٢١٦).

وفاتته ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر ثم واطب عليهما، وقال: تسموا باسمي ولا تكونوا بكنيتي^(١)، فقال الشافعي: ليس لأحد أن يكنى بأبي القاسم، وحمل نصه على حال حياته ﷺ. ومن رآه في المنام فقد رآه حقاً؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورته، والأرض لا تأكل لحمه، ولا لحم أحد من الأنبياء. وكل نسب وسبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبه، وسببه، وصهره، وله غير ذلك مما لا ينحصر.

فصل في معجزاته ﷺ

منها - وهو أعظمها - القرآن العظيم، الذي عجز الجن والإنس أن يأتوا بمثله، بل بعشر سور منه، بل بسورة، بل بحديث مثله، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه؛ فشرب منه أهل العسكر، وتوضئوا، كل ذلك من قدح، ولا ماء فيه؛ فجاش بالماء حتى شرب الجيش، ورووا وهم ألوف وفاضت إلى اليوم، وبالحدبية مرة بالبئر فأروتهم، وهم ألف وأربعمائة أو أكثر، وأطعم جيش الخندق، وهم ثلاثة آلاف من تمرٍ أتت به ابنة بشير بن سعد إلى أبيها وخالها لم يملأ كفيه، فأكلوا منه حتى شبعوا، وفضلت فضلة.

ورمى يوم حنين جيش الكفار بقبضة من تراب فعميت عيونهم، وحن إليه الجذع الذي كان يخطب إليه حين عمل له المنبر، وكلمه الذراع المسموم بالشاة، كما سبق، وكان يخبر بالغيوب كقوله: إن عماراً تقتله الفئة الباغية^(٢)؛ وإن عثمان تصيبه بلوى تكون بعدها الجنة^(٣)؛ وإن الحسن بن علي سيّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين^(٤)، فكان كذلك؛ وكان إخباره بقتل الأسود العنسي الكذاب، وهو بصنعاء وبمن قتله؛ وبموت النجاشي بالحبشة؛ وبترتيب المقتولين في غزوة مؤتة كما مضى؛ وإخباره بقتل ابن خلف، ومصارع صناديد قريش، فكان كما قال.

وخرج وعلى بابهِ قوم ينتظرونه؛ ليؤذوه، فوضع التراب على رؤوسهم، فلم يروه، ودعا شجرتين فأتاه، فاجتمعتا، ثم أمرهما؛ فافترقتا، وزويت له الأرض

(١) أخرجه البخاري (٦١٨٨)، ومسلم (٢١٣٤-٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩١٦-٧٢) من حديث أم سلمة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٩٥)، ومسلم (٢٤٠٣-٢٨) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٤٦).

فراى مشارقتها ومغاربها، وأخبر ببلوغ ملك أمته ما زوى له منها، فكان كذلك، فبلغ ملكهم من أول المشرق إلى آخر المغرب، ولم يتسعوا فى الجنوب، والشمال كما أخبر سواء بسواء، ومسح ضرع شاة لم ينز عليها الفحل؛ فدرت، وندرت عين قتادة فسقطت، فردها بيده الكريمة؛ فكانت أصبح عينيه، وأحسنهما، وأحدهما، وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه، والحصى بيديه، وسلم عليه الحجر والشجر ليالى بعث وغيرهما.

وكلمته الحيوانات: البعير، وغيره فى حاجاتها. ومنها إنبات النخلة فى سنام البعير، وإدراك ثمرها فى الحال، ففرقه على الحاضرين، فمن علم الله أن سيؤمن - كانت التمرة فى فمه ثمرة كما هى؛ ومن علم عدم إيمانه - عادت التمرة فى فيه حجرا، ذكر ذلك البيهقى، وغيره من أئمة الحديث، وغير ذلك مما لا يحصى. وقد بلغ بمعجزاته - عليه الصلاة والسلام - بعض الأئمة ثلاثة آلاف وزيادة، غير القرآن العظيم؛ إذ كل حرف منه معجز، فمعجزاته ﷺ لا يدرك حصرها.

قال ابن إسحاق: فلما بويج أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر، وحسين بن عبد الله، وغيرهما من أصحابنا أن على بن أبى طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد وشقران، مولى رسول الله ﷺ هم الذين تولوا غسله؛ وأن أوس بن خولى أحد بنى عوف بن الخزرج قال لعلى بن أبى طالب: أنشدك الله يا على، وحظنا من رسول الله ﷺ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر، قال: ادخل، فدخل وجلس، وحضر غسل رسول الله ﷺ، فأسنده على بن أبى طالب إلى صدره، وكان العباس، والفضل، وقثم يقلبونه معه، وكان أسامة بن زيد، وشقران مولىاه اللذان يصبان الماء عليه، وعلى يغسله قد أسنده إلى صدره، وعليه قميص يدلّكه به من ورائه، ولا يفضى بيده إلى رسول الله ﷺ وعلى يقول: بأبى أنت وأمى ما أطيبك حيا وميتا. ولم يُر من رسول الله ﷺ شيء مما يرى من الميت (١).

(١) ينظر السيرة النبوية (٣/٢١١، ٢٩٢)، وتاريخ الطبري (٤/٣١٣)، وينظر طبقات ابن سعد (٢/٢١٣، ٢١٤)، والبداءة والنهاية (٥/٢٨٠).

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عائشة قالت: لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ - اختلفوا فيه فقالوا: والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا؛ ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم من رجل إلا ذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن غسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه. قالت: فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه، والقميص دون أيديهم^(١).

قال: فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب: ثوبين صحارين، وبردة حبرة أدرج فيه إدراجا كما حدثني جعفر بن محمد بن علي بن حسين^(٢)، وحدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ - وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي كان يحفر لأهل المدينة، وكان يلحد - فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح، وقال للآخر اذهب إلى أبي طلحة، اللهم خره لرسول الله ﷺ^(٣).

فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وضع على سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه، فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض، فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه، فحفر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ؛ يصلون عليه أرسالا: فدخل الرجال حتى إذا فرغوا،

(١) أخرجه ابن إسحاق (٣١٣/٤-السيرة النبوية)، ومن طريقه أبو داود (٣١٤١)، وابن ماجه (١٤٦٤)، وأحمد (٢٦٧/٦)، والحاكم (٥٩/٣)، والبيهقي في الدلائل (٢٤٢/٧) وقال الذهبي: صحيح. ينظر تاريخ الإسلام (٥٧٥-السيرة النبوية).

(٢) أخرجه ابن إسحاق (٣١٤/٤-السيرة النبوية)، ومن طريقه الطبري (٢١٢/٣).

(٣) أخرجه ابن إسحاق (٣١٤/٤-السيرة النبوية)، ومن طريقه الطبري في التاريخ (٢١٣/٣) والبيهقي في الدلائل (٢٥٢/٧). قلت: فيه الحسين بن عبد الله وهو ضعيف كما في التقريب وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٢٨/٢) من طريق الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة به قلت: الواقدي متروك، وإبراهيم ضعيف، وداود ثقة إلا في عكرمة كما في التقريب.

دخل النساء، حتى إذا فرغن، دخل الصبيان، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد؛ ثم دفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن امرأته فاطمة بنت عمار، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن عائشة قالت: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل ليلة الأربعاء^(٢).

قال محمد بن إسحاق: وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ - على بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ، وقد قال أوس بن خولى لعلی بن أبي طالب: أنشدك بالله، وحظنا من رسول الله ﷺ، فقال له: انزل، فنزل مع القوم. وقد كان شقران حين وضع رسول الله ﷺ في حفرته، وبني عليه قد أخذ قطيفة قد كان رسول الله ﷺ يلبسها، ويفترشها، فدفنها في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا. فدفنت مع رسول الله ﷺ^(٣). وسيأتي ذكر بدء مرضه - عليه الصلاة والسلام - في أول خلافة الصديق - رضى الله تعالى عنه - .

ومما قيل من الرثاء لرسول الله ﷺ قول أبي بكر رضى الله تعالى عنه: [من الوافر]

أجْدَكَ مَا لِعَيْنِكَ لَا تَنَامُ	كَأَنَّ جَفَوْنَهَا فِيهَا كَلَامُ
بَوَاقٍ مَصِيبَةٍ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ	فَدَمَعُ الْعَيْنِ أَهْوَتْهُ انْسِجَامُ
فُجِعْنَا بِالنَّبِيِّ وَكَانَ فِينَا	مَقْدَمُنَا وَسَيَدُنَا الْإِمَامُ
وَكَانَ قِوَامُنَا وَالرَّأْسُ فِينَا	فَنَحْنُ الْيَوْمَ لَيْسَ لَنَا قِوَامُ
نَنُوحُ وَنَشْتَكِي مَا قَدْ لَقِينَا	وَيَشْكُو فَقْدَهُ الْبَلَدُ الْحَرَامُ
كَأَنَّ أَنْوَفَنَا لَا قِينَ جَدَعَا	لَفَقْدِ مُحَمَّدٍ فِيهَا اصْطِلَامُ
لَفَقْدِ أَغْرَ أَبِيضٍ هَاشِمِيٍّ	إِمَامِ نَبْوَةٍ وَبِهِ الْخَتَامُ

(١) أخرجه ابن إسحاق (٣١٤/٤-السيرة النبوية) ومن طريقه ابن ماجه (١٦٢٨)، والطبري (٣/٢١٣)، وأبو يعلى (٢٣، ٢٢)، والبيهقي في السنن (٤٠٧/٣)، وفي الدلائل (٢٦٠/٧)، قلت: هذا إسناد ضعيف، لضعف حسين بن عبد الله.

(٢) أخرجه الطبري (٢١٣/٣) من طريق ابن إسحاق. وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٣٢/٢) من طريق الواقدي. وينظر البداية والنهاية (٢٩١/٥)، وتاريخ الإسلام (٥٨٢-السيرة).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٣١٥/٤)، وتاريخ الطبري (٢١٣/٣، ٢١٤)، وطبقات ابن سعد (٢/٢٣٠-٢٣١).

أمين مصطفى للخير يدعو
سأتبع هديه ما دمت حيا
كأن الأرض بعدك طارَ فيها
وفقد الوحى إذ ولت عنا
سوى أن قد تَرَكْتَ لنا سراجا
لقد ورثتنا مِرآة صدق
من الرحمن فى أعلى جنان
رفيق أبيك إبراهيم فيه
واسحاق وإسماعيل فيه

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يرثى رسول الله ﷺ : [من الكامل]
وَتَوَى مَرِيضًا خَائِفًا أَتَوَّعُ
عَنَّا فَنَبْقَى بَعْدَهُ نَتَوَجَّعُ
بِالْوَحْيِ مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ يَسْمَعُ
وَتَنَائِرَتْ فِيهَا النُّجُومُ الطُّلُعُ
صَوْتُ يَنَادَى بِالتَّعْيِ فَيَسْمَعُ
عَبَّاسٌ يَنْعَاهُ بِصَوْتٍ يَقْطَعُ
وَالْمُسْلِمُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ تَجْدُعُ

وقال على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - : [من الطويل]
وَأَرْقَنِي لَمَّا اسْتَقَلَّ مَنَادِيَا
أَغْيَزَ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُ نَاعِيَا
وَكَانَ خَلِيلِي عِدَّةً وَجَمَالِيَا^(١)
بِئِ الْعَيْسِ فِي أَرْضٍ وَجَاوَزَتْ وَادِيَا

فوالله ما أنساك أحمد ما مشت
فحقت ما أشفقت منه ولم ينل
فألا طرق الناعى بليل فراعني
فقلت له لما رأيت الذى أتى
فحققت ما أشفقت منه ولم ينل
فوالله ما أنساك أحمد ما مشت

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١٢/٢٧٦، ٢٧٧).

(٢) في السبل: أصبحت.

(٣) ويروى هذا البيت في السبل هكذا:

فَحَقَّقَ مَا أَشْفَيْتَ مِنْهُ وَلَمْ يُنَلْ وَكَانَ خَلِيلِي عِدَّتِي وَجَمَالِيَا

وَكُنْتُ مَتَى أَهْبَطُ مِنَ الْأَرْضِ بَقْعَةً
مِنَ الْأَسَدِ قَدْ أَخْفَى الْعَرِينَ مَخَافَةً
شَدِيدَ حَوَى الصَّدْرِ مِنْهُمْ مَشَدُّ
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : [مِنَ الطَّوِيلِ]

بِطَيِّبَةِ رَسْمٍ لِلرُّسُولِ وَمَعْهَدُ
وَلَا تَنْمَحَى الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حَزْمَةٍ
وَوَاضِحُ أَثَارٍ وَبَاقِي مَعَالِمِ
بِهَا حُجَرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطُهَا
مَشَاهِدُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرُّسُولِ وَعَهْدَهُ
ظَلَّلْتُ بِهَا أَبْكَى الرُّسُولَ فَأَسْعَدْتُ
يُذَكِّرُنَ آلَاءَ الرُّسُولِ وَمَا أَرَى
مُفْجَعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَشِيرَهُ
أَطَالَتْ وَقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جَهْدَهَا
فَبُورِكَتْ يَا قَبْرَ الرُّسُولِ وَبُورِكَتْ
وَبُورِكَ لِحْدُ مِنْكَ ضَمْنٌ طَيِّبًا
تَهِيلُ عَلَيْهِ الثُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنِ
لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَحَكْمَةً

(١) البيت في السبل:

وكننت متى أهبط من الأرض تلة
وبعده في السبل:

جواد تشظى الخيل عنه كأنما
(٢) البيت في السبل:

من الأسد قد أحمى العرين مهابة
(٣) ويروى هذا البيت في السبل هكذا:

شديد جري النفس نهْد مُصَدَّر

أجد أثرًا منه جديدًا وعافيا

يرين به ليثًا عليهن ضاريا

تفادي سباع الأرض منه تفاديا

هو الموت مغدو عليه وغاديا

وَقَدْ وَهَنْتَ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَغْضَدُ
وَمَنْ قَدْ بَكَتَهُ الْأَرْضُ فَالْنَّاسُ أَكْمَدُ
رَزِيَّةٌ يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ؟!
وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَعُورُ وَيُنْجِدُ
وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَرَايَا وَيُرْشِدُ
مُعْلَمٌ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
وَأَنْ يُخْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجُودُ
فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرٌ مَا يَتَشَدَّدُ
دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَفِيمُوا وَيَهْتَدُوا
إِلَى كَتَفٍ يَخْتُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصَدُ
يُكَيِّهَ جَفْنٌ^(١) الْمُرْسَلَاتِ وَيَحْمَدُ
لِعَيْنِهِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْهَدُ
فَقِيدٌ يُبْكِيهِ بِلَاطٌ وَغَرْقَدُ
خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
دِيَارٌ وَعَرْصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلِدُ
وَلَا أَعْرِفُكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَجْمَدُ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِعٌ يَتَعَمَّدُ
لِقَفْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوْجَدُ
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُنْقَدُ
وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ
إِذَا ضَنَّ مِغْطَاءٌ بِمَا كَانَ يَتْلُدُ
وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوِّدُ
دَعَائِمَ عِزٍّ شَامِخَاتٍ تُشِيدُ

وَرَاخُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيَّهُمْ
يُبْكُونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَوَاتُ يَوْمَهُ
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةٌ هَالِكُ
تَقْطَعُ فِيهِ مَثَلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقُّ جَاهِدًا
عَفْوٌ عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
وَأَنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْلِهِ
فَبَيْنَا هُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَزِيفُوا عَنِ الْهُدَى
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُنْتَى جَنَاحُهُ
فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ عَدَا
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحَزْمِ وَخَشَا بِقَاعُهَا
قَفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوجِشَاتُ لِفَقْدِهِ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثُمَّ أَوْحَشَتْ
فَبَكَى رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنَ عَبْرَةٍ
وَمَا لِكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النُّعْمَةِ الَّتِي
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعُولِي
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
أَعَفٌّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ
وَأَبْدَلُ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ
وَأَكْرَمَ صَيِّتًا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى
وَأَمْنَعَ ذُرُوءَاتٍ وَأَثْبَتَ فِي الْعُلَا

(١) في السيرة: حتى. وفي السبل: حق.

وَأَثَبَتْ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبِتًا
رَبَاهُ وَلِيدًا فَاسْتَتَمَ تَمَامُهُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ
أَقُولُ وَلَا يَلْفَى لِقَوْلِي عَائِبُ
وَلَيْسَ هَوَاى نَارِعَا عَنْ ثَنَائِهِ
مَعَ الْمُضْطَفَى أَرْجُو بِذَاكَ جَوَارَهُ
وَعُودًا غَدَاهُ الْمَزْنُ فَالْعُودُ أَعِيدُ
عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبِّ مُمَجَّدُ
فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَارِزُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
لَعَلَّى بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ
وَفِي تِلْ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ^(١)

وقالت السيدة فاطمة - رضى الله عنها - : [من الكامل]

مَازَا عَلَى مَنْ شَمُّ ثُرْبَةِ أَحْمَدِ
صُبَّتْ عَلَى مَصَائِبَ لَوْ أَنَّهَا
أَلَّا يَشْمُ مِنَ الزَّمَانِ غَوَالِيَا
صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُذَنَ لِيَالِيَا

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب - رضى الله عنها - : [من البسيط]

عَيْنِي جُودًا طَوَالَ الدَّهْرِ وَانْهَجْرَا
يَاعَيْنُ وَاسْتَخْسِرِي^(٣) بِالْدمْعِ وَاحْتَفَلِي
سَكَبًا وَسَحًا بِدَمْعٍ غَيْرِ تَقْدِيرِ^(٢)
حَتَّى الْمَمَاتِ بِسَجَلٍ غَيْرِ مَثُورِ
لِلْمُضْطَفَى دُونَ خَلْقِ اللَّهِ بِالثُّورِ
فَقَدْ رَزِزْتُ نَبِيَّ الْعَدْلِ وَالْخَيْرِ
وَلِلَّذِي خُطَّ مِنْ تِلْكَ الْمَقَادِيرِ
صَافٍ مِنَ الْعَيْبِ وَالْعَاهَاتِ وَالزُّورِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ التَّفْخِخِ فِي الصُّورِ
فَازْهَبْ حَمِيدًا جَزَاكَ اللَّهُ مَغْفِرَةً
مَنْ فَقَدَ أَزْهَرَ ذِي خَلْقٍ وَذِي فَخْرِ

وقالت أروى - أختها - بنت عبد المطلب - رضى الله عنها - : [من الوافر]

أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ أَسْعِدِينِي
أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ وَاسْتَهْلِي
بِدَمْعِ^(٤) مَا بَقِيَتْ وَطَاوِعِينِي
عَلَى غَيْثِ^(٥) الْبِلَادِ وَأَسْعِدِينِي
عَلَامَ وَفِيمَ وَيَحْكُ تَعْدِلِينِي
فَإِنْ عَدَلْتُكَ عَاذِلَةٌ فَقُولِي

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/٣١٧-٣٢٠)، والبداية والنهاية (٥/٣٠١) وسبل الهدى والرشاد (١٢/٢٧٩-٢٨١).

(٢) في السبل: تعذير.

(٣) في السبل: فاسحغفري.

(٤) في السبل: بدمعك.

(٥) في السبل: نور.

عَلَى نُورِ الْبِلَادِ مَعًا جَمِيعًا
وَأَنَّ لَا تَقْصِرَ بِالْعَذْلِ عَنِّي
لَأَمْرِ هَدْنِي وَأَذْكَ^(١) رُكْنِي

وقالت صفية بنت عبد المطلب - رضى الله عنها - : [من الخفيف]

لَهْفَ قَلْبِي وَبْتُ كَالْمَسْلُوبِ
مِنْ هُمُومٍ وَحَسْرَةٍ وَقَذَنْتَنِي
حِينَ قَالُوا إِنَّ الرُّسُولَ قَدْ أَمْسَى
إِذْ رَأَيْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَرِيعٌ
إِذْ رَأَيْنَا بَيُوتَهُ مُوَحِّشَاتٍ
أَوْرَثَ الْقَلْبَ ذَاكَ حَزَنًا طَوِيلًا
لَيْتَ شِعْرِي وَكَيْفَ أُمْسَى^(٥) صَحِيحًا
أَعْظَمَ النَّاسِ فِي الْبَرِيَّةِ حَقًّا
فَإِلَى اللَّهِ ذَاكَ أَشْكُو وَحَسْبِيَ الْ

أَرْقُ اللَّيْلُ مُقْلَةً الْمَحْرُوبِ^(٣)
لَيْتَ أَنِّي سَبَقْتُهَا لِشُعُوبِ^(٤)
وَأَفَقْتُهُ مَنِيَّةُ الْمَكْتُوبِ
فَأَشَابَ الْقَذَالَ أُنَى مَشِيبِ
لَيْسَ فِيهِنَّ بَعْدَ عَيْشٍ حَبِيبِ
خَالَطَ الْقَلْبَ فَهُوَ كَالْمَرْغُوبِ
بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ بِالرُّسُولِ الْقَرِيبِ
سَيِّدُ النَّاسِ حَبِ فِي الْقُلُوبِ
لَهُ مَوْلَى وَخَوْبَتِي وَنَحِيبِي^(٦)

وقالت - أيضًا - : [من المتقارب]

أَفَاطُمُ فَابِكِي وَلَا تَسْأَمِي
هُوَ الْمَرْءُ يَبْكِي بِحَقِّ^(٧) الْبَكَاءِ
فَأَوْحَشَتِ الْأَرْضُ مِنْ فَقْدِهِ
فَمَا لِي بَعْدَكَ حَتَّى الْمَمَاءِ

بَصْخَبِكِ مَا طَلَعَ الْكَوْكَبُ
هُوَ الْمَاجِدُ السَّيِّدُ الطَّيِّبُ
وَأَنَّ الْبَرِيَّةَ لَا تَنْكَبُ
ت إِلَّا الْجَوَى الدَّاخِلُ الْمُنْصَبُ

(١) في السبل: وأذل.

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد (٢/٢٤٧-٢٤٨)، وسبل الهدى والرشاد (١٢/٢٧٩-٢٨٤).

(٣) البيت في السبل:

لهف نفسي وبنت كالمسلوب أرق الليل فعلة المحروب

(٤) البيت في السبل:

من هموم وحسرة ردفنتني ليت أني سقيتها بشعوب

(٥) في ط: يمسي. والمثبت من السبل.

(٦) ينظر: طبقات ابن سعد (٢/٢٤٩)، والسبل (٢/٢٨٥)، ورواية البيت الأخير في السبل:

يعلم الله حويثي ونحيبي.

(٧) في السبل: وحق.

فَبَكَى الرُّسُولَ وَحَقَّتْ لَهُ شُهُودُ الْمَدِينَةِ وَالْعُيُبُ
لِتَبْكِكَ شَمَطَاءُ مَضْرُورَةٌ إِذَا حُجِبَ النَّاسُ لَا تَحْجُبُ
لِيَبْكِكَ شَيْخٌ أَبُو وَلَدَةٍ يَطُوفُ بِعَقْوَتِهِ أَشْهَبُ
وَيَبْكُكَ رَكْبٌ إِذَا أَرْمَلُوا فَلَمْ يَكْفِ مَا طَلَبَ الْمَطْلَبُ
وَتَبْكِي الْأَبَاطِحُ مِنْ فَقْدِهِ وَتَبْكِيهِ مَكَّةُ وَالْأَخْشَبُ
وَتَبْكِي وَغَيْرُهُ مِنْ فَقْدِهِ بُحْزَنٍ وَيُسَعِدُهَا الْمَثِيبُ^(١)
أَغَيْنِي مَا لَكَ لَا تَذْمَعِينَ وَحَقٌّ لِدَمْعِكَ مَا يَسْكُبُ^(٢)
صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه إلى يوم الدين، وسلم.

وقال أبو الفتح: فيا له - في مثل ذلك - خطب جل عن الخطوب؛ ومصاب
عَلَم دمع العين كيف يصبوب؛ ورزء غربت له النيرات، ولا تعلل بشروقها بعد
الغروب.

وجاءت هجمة الموت؛ فلا نجاء منه لهارب، ولا فرار منه لمطلوب، ولا صباح
له؛ فيجلو غياهبه الملمة ودياجيه المدلهمة، ولكل ليل إذا دجى صباح يثوب. ومن
سر أهل الأرض، ثم بكى، سأكى بعيون سرها، وقلوب.
فإنا لله، وإنا إليه راجعون من نار طويت عليها الأضالع، لا تخبو ولا تخدم،
ومصيبة تستك منها المسامع، فلا يلى على مر الجديدين حزنها المجدد.

* * *

(١) في ط:

وتبكيه عذراء من فقدتها بحزن ويسعدها الشيب
والمثيت كما في الطبقات، وسبل الهدى والرشاد. ووعيرة، والمثيب: مواضع. ينظر
اللسان (وثب) و(وعر).

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٢/٢٥٠)، والسبل (٢/٢٨٥، ٢٨٦) والبيت الأخير في الطبقات:
وحق لدمعك يستسكب. وكذا في السبل.

المقصد الثالث

فى ذكر الخلفاء الأربعة

وذكر خلافة الحسن بن على رضى الله عنهم أجمعين
خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

قال ابن إسحاق: ابتدئ رسول الله ﷺ بشكواه التى قبضه الله - تعالى - فيها إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، فى ليال بقين من صفر، أو فى أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدأ به رسول الله ﷺ من ذلك - فيما ذكر لى - : أنه خرج إلى بقيع الغرقد من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح - ابتدئ بوجعه من يومه ذلك^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن عمر، عن عبيد الله بن جبير مولى الحكم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبى مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: بعث إلى رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: يا أبا مويهبة، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع، فانطلق معى؛ فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم، قال: السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه؛ أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، تتبع أخراها أولاهها، الآخرة شر من الأولى؛ ثم أقبل على فقال: يا أبا مويهبة، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا، والخلد فيها ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة. قال أبو مويهبة: فقلت بأبى أنت وأمى، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا، والخلد فيها، ثم الجنة. قال: لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربى، والجنة؛ ثم استغفر لأهل البقيع، وانصرف؛ فبدأ به فى صبيحة ذلك اليوم وجعه الذى قبضه الله فيه^(٢).

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: لما رجع - عليه الصلاة والسلام - من البقيع وجدنى وأنا أجد صداغاً فى رأسى، وأنا أقول: وازأساه. فقال: بل أنا والله

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢٨٩/٤)، وتاريخ الطبري (١٨٨/٣)، والبداية والنهاية (٢٤٣/٥).

(٢) أخرجه ابن إسحاق (٢٨٩/٤-السيرة النبوية) ومن طريقه أحمد (٤٨٩/٣)، والبخاري (٨٦٣- كشف الأستار)، والحاكم (٥٥-٥٦/٣)، والبيهقي فى الدلائل (١٦٢/٧) وقال الهيثمي (٦٢/٣) وإسناد أحمد والبخاري كلاهما ضعيف. وأخرجه ابن سعد فى الطبقات (١٥٧/٢)، من طريق الواقدي.

وارأساه يا عائشة، ثم قال لى: وما ضرك لو متّ قبلى، فقامت عليك، وكفتك، وصليت عليك، ودفنتك. قالت: فقلت: والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك. قالت: فتبسم رسول الله ﷺ.

وتتام به وجهه وهو يدور على نسائه حتى استعزّ به مرضه - يعنى اشتد - وهو فى بيت ميمونة؛ فدعا نساءه فاستأذنهن فى أن يمرض فى بيتى، فأذن له، فخرج - عليه الصلاة والسلام - بين رجلين من أهله، أحدهما: الفضل بن العباس، ورجل آخر هو على بن أبى طالب عاصباً رأسه، تخط قدماء حتى دخل بيتى^(١).

ولما غمره الوجع قال: أريقوا على من سيع قرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم. قالت: فأقعدناه فى مخضب^(٢) لحفصة بنت عمر، فصبينا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم، حسبكم^(٣).

وقال الزهرى: حدثنى أيوب بن بشر: أنه - عليه الصلاة والسلام - خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به: أن صلى على أصحاب أحد، واستغفر لهم، وأكثر الصلاة عليهم، وقال: إن عبدًا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله. قال: ففهمها أبو بكر - رضى الله عنه - وعرف أنه يريد نفسه؛ فبكى، وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا، وأبنائنا. فقال: على رسلك يا أبا بكر، ثم قال: انظروا هذه الأبواب الالافظة فى المسجد فسدوها إلا باب أبى بكر^(٤). ثم استبسط الناس فى بعث أسامة، فقال: أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة

(١) أخرجه ابن إسحاق كما فى السيرة النبوية (٢٩٠/٤) لابن هشام، ومن طريقه أخرجه أحمد (٢٢٨/٦)، وابن ماجه (١٤٦٥)، والدارمي (٣٧/١-٣٨)، والدارقطني (٧٤/٢) وابن حبان (٦٥٨٦)، والبيهقي فى السنن (٣٩٦/٣)، وفى الدلائل (١٦٩/٧) عن يعقوب بن عتبة، عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن عائشة. وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فى رواية ابن هشام وفى رواية البيهقي فى الدلائل، فالحديث حسن.

(٢) المخضب: إناء يغتسل فيه.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٨)، وأطرافه (٦٦٤)، (٦٦٥)، (٦٨٣)، (٧١٣)، (٢٥٨٨)، (٣٣٨٤)، (٤٤٤٢). ومسلم (٩٢-٤١٨) من حديث عائشة بنحوه وهذا لفظ ابن إسحاق كما رواه ابن هشام (٢٩٨/٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٩٠/٣)، والبيهقي فى الدلائل (١٧٧/٧-١٧٨) من طريق ابن إسحاق وقال ابن كثير فى البداية (٢٤٩/٥): هذا مرسل له شواهد كثيرة. وأصله فى الصحيحين: أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢/٢) من حديث أبى سعيد الخدرى.

بن زيد، فلمعمرى، إن قلت في إمارته، لقد قلت في إمارة أبيه من قبله - وكان قد سمع قول الناس في إمارة أسامة: أمر غلامًا حدثًا على جلة المهاجرين، والأنصار - وإنه لخليق بالإمارة، وإن كان أبوه لخليقًا بها. ثم نزل عن المنبر، وانكمش الناس في جهازهم، واستعز - أى اشتد - برسول الله ﷺ وجعه، فخرج أسامة، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف من المدينة على فرسخ، فضرب به عسكره، وتنام الناس، وثقل رسول الله ﷺ؛ فأقام أسامة والناس ينتظرون ما الله قاض في رسوله^(١).

ثم اجتمع إلى رسول الله ﷺ من نسائه أم سلمة، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهن: أسماء بنت عميس، وعنده العباس عمه، فأجمعوا أن يلدوه - واللد: رفع اللسان، وإدخال المسعط في الحلق من وسط الفم، فإن كان من أحد الشقين فهو الإيجار، وأما اللدود، فهو الدواء نفسه - فلما أفاق - عليه الصلاة والسلام - قال: من وضع هذا بى؟ قالوا: يا رسول الله، عمك. قال: هذا دواء أتى به نساء جثن من نحو هذه الأرض، وأشار نحو أرض الحبشة. قال: ولم فعلتم ذلك؟ قال عمه: خشينا يا رسول الله، أن يكون بك داء الجنب. فقال: - عليه الصلاة والسلام -: إن ذلك لداء ما كان الله ليقتلنى به، أو ليعذبنى، وفى رواية إنها لم تسلط على، لا يبقى أحد فى البيت إلا لد، إلا عمى. فلقد لدت ميمونة، وإنها لصائمة، لقسم رسول الله ﷺ؛ عقوبة لهم بما صنعوا^(٢).

ولما كان يوم الاثنين، الذى قبض فيه رسول الله ﷺ، خرج عاصبا رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلى بالناس، فلما خرج تفرج الناس، فعرف أبو بكر أنه رسول الله ﷺ، فنكص عن مصلاه، فدفع - عليه الصلاة والسلام - فى ظهر أبى بكر، وقال: صل بالناس، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، فصلى قاعدًا عن يمين أبى بكر.

(١) أورده ابن هشام في السيرة النبوية (٢٩٨/٤)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١٩١/٢) عن عروة، وينظر مغازي الواقدي (١١١٧/٣).

(٢) أخرجه الطبري في التاريخ (١٩٥/٣) من طريق ابن إسحاق من حديث عائشة، وأخرجه البخاري (٤٤٥٨) من حديثها. وأخرجه عبد الرزاق (٩٧٥٤) من حديث أسماء بنت عميس به وأخرجه من طريق عبد الرزاق أحمد (٤٣٨/٦)، والحاكم (٢٠٢/٤)، وقال الحافظ في الفتح (٤٩٧/٨) إسناده صحيح.

فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس، فكلهم رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد، يقول: أيها الناس، سعرت النار، وأقبلت الفتن كالليل المظلم، إني والله ما تمسكون على بشيء، وإني لم أحل إلا ما أحل القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن. فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه، قال له أبو بكر: يا رسول الله، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله، وفضل كما تحب، واليوم يوم بنت خارجة - يعنى زوجته - أفأتبها؟ قال: نعم. ثم دخل رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح - بالسین المهملة المضمومة، والحاء المهملة آخر الحروف - : اسم مكان بالعالية^(١).

قال: وخرج على بن أبى طالب يومئذ على الناس من عند رسول الله ﷺ، فقال له الناس: يا أبا الحسن كيف رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً. قال فأخذ العباس بيد على ثم قال له: أنت والله عبد العصا بعد ثلاث، أحلف بالله، لقد رأيت^(٢) الموت فى وجه رسول الله ﷺ كما كنت أعرفه فى وجه بنى عبد المطلب، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان فى غيرنا أمرناه، فأوصى بنا الناس. فقال له على: إني والله لا أفعل ذلك، والله [لئن منعناها لا يؤتيناها]^(٣) أحد بعده.

فتوفى رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم^(٤).

وروى الزهرى، عن عروة، قال: قالت عائشة لما رجع - عليه الصلاة والسلام - ذلك اليوم من المسجد -: دخل إلى، فاضطجع فى حجرى، فدخل عليّ رجل من آل أبى بكر وفى يده سواك أخضر، فنظر رسول الله ﷺ إليه نظراً عرفت أنه يريد، فقلت: أتحب أن أعطيك هذا السواك؟ قال: نعم. قالت: فأخذه، فمضغته حتى لينته، ثم أعطيته إياه، فاستن كأشد ما رأيته استن بسواك قط، ثم وضعه. ووجدته - عليه الصلاة والسلام - يثقل فى حجرى فذهبت أنظر

(١) ينظر: السيرة النبوية (٤/٣٠٤)، وتاريخ الطبري (٣/١٩٨)، ودلائل النبوة (٧/٢٠١).

(٢) فى سيرة ابن هشام: عرفت.

(٣) فى السيرة: لئن منعناه لا يؤتيناها.

(٤) ينظر: السيرة النبوية (٤/٣٠٥)، ودلائل النبوة (٧/٢٢٤)، وأصل الحديث فى الصحيح أخرجه البخاري (٤٤٤٧).

فى وجهه، فإذا بصره قد شخص، وهو يقول: بل الرفيق الأعلى من الجنة^(١).
قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال:
سمعت عائشة - رضى الله عنها - تقول: مات رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى،
وفى دولتى لم أظلم فيه أحدًا، فمن سفهى وحادثة سنى أن رسول الله ﷺ قبض وهو
فى حجرى، ثم وضعت رأسه على وسادة، ثم قمت مع النساء: ألتدم، وأضرب
وجهى^(٢).

وعن سالم بن عبيد الأشجعى قال: لما مات رسول الله ﷺ صار عثمان يضرب
على وجهه كالنساء، وأقعد على - رضى الله عنهما -، وأخذ عمر - رضى الله
عنه - بقائم سيفه وقال: لا أسمع أحدًا يقول: مات رسول الله ﷺ إلا ضربت عنقه
بسيفى، ويقول: إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى - عليه الصلاة والسلام -
فلبث عن قومه أربعين ليلة، والله، إنى لأرجو أن يقطع أيدى رجال، وأرجلهم.
فقال الناس: يا سالم، اطلب صاحب رسول الله ﷺ. قال: فخرجت من المسجد
فإذا بأبى بكر، فلما رأيته أجهشت بالبكاء - فقال: مالك يا سالم، أمت رسول الله
ﷺ؟! فقلت: إن هذا عمر بن الخطاب يقول: لا أسمع أحدًا يقول: مات رسول
الله ﷺ إلا ضربت عنقه بسيفى هذا، فأقبل أبو بكر حتى دخل، فلما رآه الناس سعوا
إليه، فدخل على النبى ﷺ، وهو مسجى ببردة، فرفع البردة عن وجهه، ووضع فاه
على فيه قبله، فاستنشأ الريح، ثم سجاه. ثم صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه،
وقال: إن كان محمد إلهكم الذى تعبدونه، فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم
الذى فى السماء، فإن إلهكم حى لا يموت. ثم تلا ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِ الْأَرْسُلُ ﴾ إلى ﴿ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤].

قال الزهرى: فأخبرنى سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب قال: والله ما هو
إلا أن تلاها أبو بكر حتى عقرت، وأنا قائم، وخررت إلى الأرض، وأثبت حينئذ أن
رسول الله ﷺ قد مات. قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى

(١) ينظر: السيرة (٣٠٦/٤) والحديث أخرجه البخاري (٤٤٤٩) من طريق آخر عن عائشة.
(٢) أخرجه أحمد (٢٧٤/٦)، والطبري في التاريخ (١٩٩/٣) من طريق ابن إسحاق وقد صرح
بالحديث؛ فالحديث حسن.

تلاها أبو بكر - رضى الله عنه - يومئذ، فأخذها الناس عن أبي بكر، وإنما هي فى أفواههم^(١).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر حدثه قال: أقبل أبو بكر من السنح منزله بالعالية - حين بلغه الخبر إلى بيت عائشة - رضى الله عنها - فأذنت له، فدخل، فكشف عن وجه رسول الله ﷺ، فجعل يقبله، ويبكى، ويقول: توفى والذى نفسى بيده، صلوات الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حيًا وميتًا.

وفى رواية عن عائشة فوضع فاه بين عينيه، ووضع يديه على صدغيه، وقال: وانبياء، واخليلاء، واصفياء. أخرجه ابن عرفة العبدى. ثم خرج إلى المسجد فوجد عمر يكلم الناس، ويقول - وهو شاهر سيفه - من قال: «إن محمدًا قد مات...» إلى آخره، فقال له: على رسلك يا عمر، أنصت، فأبى عمر إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت، جاء إلى المنبر، فقام عليه، ونادى: أيها الناس اجلسوا وأنصتوا، فجلسوا، وأنصتوا فتشهد شهادة الحق، ثم قال: إن الله - تعالى - نعى إليكم نبيكم، وهو حى بين أظهركم، ونعى لكم أنفسكم، وهو الموت حتى لا يبقى أحدا. ألا إن الله - تعالى - يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى قوله ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران - ١٤٤] وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَمَاتٌ﴾ [الزمر: ٣٠] وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران - ١٨٥] وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]؛ ثم قال: إن الله - عز وجل - عمّر محمدًا، وأبقاه حتى أقام دين الله، وأظهر أمر الله، وبلغ رسالة الله، وجاهد أعداء الله حتى توفاه الله على ذلك، وترككم على الطريقة، فلا يهلك هالك إلا بعد التنبه، والشفاء، والنور، فمن كان الله ربه، فإن الله حى لا يموت؛ فليعبده، ومن كان يعبد محمدًا، أو يراه إلها، فقد هلك إلهه. فأقبلوا أيها الناس، واعتصموا بدينكم، وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم، وكلمته باقية، وإن الله ناصر دينه، ومعز أهله، وإن كتاب الله بين أظهركم، وهو النور والشفاء، وبه هدى الله محمدًا ﷺ، وفيه حلال الله وحرامه،

(١) أخرجه بنحوه البخاري (١٢٤١، ١٢٤٢)، (٤٤٥٢، ٤٤٥٤) من حديث عائشة.

ولا والله ما نبألى من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوفنا مسلولة ما وضعناها بعد، ونجاهد من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا ييقين أحد إلا على نفسه^(١). قال ابن إسحاق: لما قبض - عليه الصلاة والسلام - انحاز هذا الحى من الأنصار بأجمعهم إلى سقيفة بنى ساعدة منزل سعد بن عباد، واعتزل على بن أبى طالب، وبنو هاشم، والزبير، وطلحة بن عبيد الله وخالد بن سعيد بن العاص، وعمار بن ياسر، والمقداد بن عمرو البهراني، وأبو سعيد الخدرى، وجماعة آخرون فى بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وانحاز المهاجرون ما عدا أولئك إلى أبى بكر الصديق، وانحاز معهم أسيد بن حضير فى بنى عبد الأشهل من الأنصار فانحازت إلى أبى بكر وعمر، فقال: إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عباد قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة، فأدركوا الناس قبل أن يتفاقم الأمر، ورسول الله ﷺ فى بيته لم يفرغ عن أمره، وقد أغلق دونه الباب أهله. قال عمر: فقلت لأبى بكر: انطلق بنا إلى إخواننا حتى ننظر ما هم عليه، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلا صالحا، فذكرنا لنا الذى صنع القوم، وقالوا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلت: نريد إخواننا من الأنصار، فقالوا: لا عليكم أن تقربوهم، واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين، فقلت: والله لنأتينهم.

فانطلقنا حتى جئناهم فى سقيفة بنى ساعدة، فإذا هم مجتمعون، وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل، فقلت: ما هذا؟ قالوا سعد بن عباد، فقلت ما له؟ قالوا وجع. فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، وقال: أما بعد فنحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام. وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة منكم - أى دب قوم منكم بالاستعلاء، والترفع - علينا تريدون أن تختزلونا من أصلنا، وتحضنونا من الأمر - أى تنحونا عنه - وتستبدوا به دوننا.

فلما سكت أردت أن أتكلم، وقد كنت زوّرت مقالة أعجبتنى، أردت أن أقولها بين يدي أبى بكر، فقال لى أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أعصيه، وكان أعلم منى، ثم تكلم، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قالها فى بديهته، وأفضل.

(١) ينظر: دلائل النبوة (٧/٢١٧-٢١٨)، وسبل الهدى والرشاد (١٢/٣٠٠).

قال: أما بعد فما ذكرتم من خير فإنكم أهله، ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، أيهما شئتم - وأخذ بيدي، ويد أبى عبيدة - فلم أكره مما قال غيرها، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقى - لا يقربنى ذلك من إثم - أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

فقال الحباب بن المنذر - من الأنصار - : أنا جُذيلها المحكك، وعُدَيُّها المرجب، وقام يحجل بهذه الكلمة: منا أمير، ومنكم أمير يا معشر قريش، وقام رجل آخر منهم، فقال: إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل الرجل منكم يقرن معه رجلا منا، فنرى أن يلى هذا الأمر رجلا منكم، ومنا. وتتابع خطباؤهم على ذلك، وكثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف.

فقام زيد بن ثابت، فقال: يا معشر الأنصار، تعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار الله فنكون أنصار خليفته، ثم أخذ بيد أبى بكر، فقال: هذا صاحبكم، فبايعه عمر، ثم بايعه المهاجرون، والأنصار، فقال قائل: قتلتم سعدا. فقال عمر: قتل الله سعدا^(١).

قال عطاء بن السائب: لما استخلف أبو بكر أصبح وعلى رقبة أثواب يتجر فيها، فلقيه عمر، وأبو عبيدة، فكلما، فقال: من أين أطعم عيالى؟! قال: انطلق حتى نفرض لك، قال ففرضوا له كل يوم شطر شاة، وماكسوه فى الرأس، والبطن^(٢). قال فى الرياض: قال ابن قتيبة: بويع أبو بكر الصديق بالخلافة يوم قبض عليه الصلاة والسلام فى سقيفة بنى ساعدة، وبويع بيعة العامة على المنبر فى الغد، يوم الثلاثاء.

قال أبو عمر: وتخلف عن بيعته: سعد بن عباد، وطائفة من قومه الخزرج، وطائفة من قريش، ثم بايعوه بعد، غير سعد بن عباد فإنه لم يبايعه^(٣)، ولم يبايع بعده عمر إلى أن مات بحوران فى خلافة عمر، رضى الله عنهما.

(١) ينظر: السيرة النبوية (٣٠٨-٣١١)، وأخرجه بنحوه البخاري (٦٨٣٠).

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد (١٣٧/٣).

(٣) ينظر: الرياض النضرة (٢٣١/١)، فى ذكر بيعة أبى بكر.

قال ابن شهاب - وهو الزهري - : وغضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر، منهم: علي، والزبير، فدخلوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ومعهما السلاح، فجاء عمر بن الخطاب في عصابة من المسلمين، منهم: أسيد بن حضير، وسلمة بن وقش، وثابت بن قيس بن شماس الخزرجي، ومحمد بن مسلمة - ويقال كان فيهم عبد الرحمن بن عوف - فكلموهما، فأخذ أحدهم سيف الزبير، فضرب به الحجر حتى كسره، والضارب بسيف الزبير هو: محمد بن مسلمة، أخرجه موسى بن عقبة^(١).

قال في الرياض: وهو محمول - على تقدير صحته - على تسكين نار الفتنة، وإغماد سيفها لا على قصد إهانة الزبير. قلت: بل التحريك في هذا التسكين. تخلف عن بيعة أبي بكر يومئذ - سعد بن عباد، وطائفة من الخزرج، وعلي بن أبي طالب، وإبناه، والزبير، والعباس عم رسول الله ﷺ، وبنوه من بني هاشم، وطلحة، وسلمان، وعمار، وأبو ذر، والمقداد، وغيرهم، وخالد بن سعيد بن العاص، ثم إنهم بايعوا كلهم، فمنهم من أسرع ببيعته، ومنهم من تأخر حيناً، إلا ما روى عن سعد بن عباد فإنه لم يبايع أباً بكر ولا عمر إلى أن مات كما تقدم آنفاً. وقال ابن سعد: أنبأنا محمد بن عمر: حدثني محمد بن صالح، عن الزبير بن المنذر بن أبي أسيد الساعدي: أن أباً بكر بعث إلى سعد بن عباد أن أقبل، فبايع، فقد بايع الناس، فقال: لا، والله لا أبايع حتى أرايكم بما في كنانتي، وأقاتلكم بمن معي. قال، فقال بشير بن سعد: يا خليفة رسول الله إنه أبي ولج، وليس بمبايعكم، أو يقتل، ولن يقتل حتى يقتل معه ولده وعشيرته، ولن يقتلوا حتى تقتل الخزرج؛ فلا تحركوه، فقد استقام لكم الأمر، وليس بضاركم، وإنما هو رجل واحد ما ترك. فقبل أبو بكر نصيحة بشير.

قال: فلما ولي عمر لقيه ذات يوم فقال: إيه يا سعد، فقال: إيه يا عمر، فقال عمر: أنت صاحب ما أنت صاحبه؟ قال: نعم، وقد أفضى إليك هذا الأمر، وقد كان والله صاحبك أحب إلينا منك، وقد والله أصبحت كارها لجوارك، فقال عمر: إنه من كره جوار جاره تحوّل عنه، قال أما إنني غير مستسر بذلك، وأنا متحول إلى

(١) ينظر: البداية والنهاية (٦/٣٣٣-٣٣٤).

جوار من هو خير منك. فلم يلبث أن خرج مهاجرا إلى الشام، فمات بحوران
لستين ونصف من خلافة عمر، سنة خمس عشرة من الهجرة^(١).

وقال محمد بن عمر: حدثنا يحيى بن عبد العزيز بن سعد بن عبادة عن أبيه قال:
ما علم بموت سعد حتى سمع بالمدينة غلمان فى بئر ممية أو بئر سكنهم، يقتحمون
نصف النهار قائلا من البئر: [من الهزج]

قَتَلْنَا سَيِّدَ الْخَزَرِ ج سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ
رَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ فَلَمْ نُخْطِئْ فُؤَادَهُ

فذكر الغلمان، فحفظ ذلك اليوم، فوجدوه اليوم الذى مات فيه. وإنما جلس
يول فى ثقب فقتل ساعته، ووجدوه قد اخضر جلد - رضى الله عنه - قال: وكان
سعد لا يصلى بصلاتهم، ولا يصوم بصومهم، وإذا حج لم يفيض بإفاضتهم.
عن محمد [بن سيرين]: لما بويج أبو بكر، وتخلف على - كرم الله وجهه - عن
مبايعته، وجلس فى بيته بعث إليه أبو بكر: ما أبطأ بك عنى؟! أكرهت إمارتى؟!
قال على: ما كرهت إمارتك، ولكنى أليت ألا أرتدى بردائى إلى الصلاة حتى أجمع
القرآن. قال ابن سيرين: فبلغنى أنه كتبه على على تنزيهه، ولو أصيب ذلك الكتاب
لوجد فيه علم كثير^(٢).

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن عليا مكث ستة أشهر حتى توفيت فاطمة -
رضى الله تعالى عنها -، ثم بايع أبا بكر، ولم يبايع أحد من بنى هاشم حتى بايع
على، رضى الله عنه وكرم وجهه^(٣).

وفى البخارى من حديث عائشة أن فاطمة أرسلت إلى أبى بكر؛ تسأله ميراثها من
رسول الله ﷺ^(٤)، قال الذهبى: قال الزهرى، عن عروة، عن عائشة: إن فاطمة
سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ: أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ
مما أفاء الله عليه من المدينة، وقدك، وسهمه من خير، فقال لها: إن رسول الله

(١) ينظر: طبقات ابن سعد (٤٦٣/٣)، والرياض النضرة (٢٤١/١).

(٢) ينظر: الرياض النضرة (٢٤٢/١).

(٣) قال ابن كثير فى البداية والنهاية (٣٣٤/٦): وأما ما يأتى من مبايعته إياه بعد موت فاطمة،
وقد ماتت بعد أبيها عليه السلام بستة أشهر، فذلك محمول على أنها بيعة ثانية أزال ما كان
قد وقع من وحشة بسبب الكلام فى الميراث.

(٤) تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين-٢١).

ﷺ قال: « لا نورث ما تركناه صدقة » فغضبت، وهجرت أبا بكر فلم تكلمه حتى توفيت، ودفنها على ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر^(١)، وأرسل أزواج النبي ﷺ إلى أبى بكر، يسألنه ميراثهن مما أفاء الله على رسوله حتى كنت أنا رددتهن، فقلت لهن: ألا تتقين الله، ألم تسمعن من رسول الله ﷺ يقول « لا نورث، ما تركناه صدقة » وإنما يأكل آل محمد فى هذا المال كفافا^(٢).

وقال أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة يرفعه: أن رسول الله ﷺ قال: « لا يقتسم ورثتى ديناراً، ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائى، ومؤنة عيالى فهو صدقة »^(٣).

وعن أبى صالح مولى أم هانئ: أن فاطمة دخلت على أبى بكر فقالت: يا أبا بكر أرايت لو مت اليوم، من كان يرثك؟ قال: أهلى، وولدى، فقالت: مالك ترث رسول الله ﷺ دون أهله، وولده؟ قال: ما فعلت، يا بنت رسول الله، قالت: بلى، قد عمدت إلى فذك، وقد كانت صافية لرسول الله، فأخذت، وعمدت إلى ما أنزل الله من السماء، فرفعته منا! فقال: لم أفعل، حدثنى رسول الله ﷺ: أن الله يطعم النبى الطعمة ما كان حياً، فإذا قبض رفعها. قالت أنت ورسول الله أعلم، ما أنا بسائلتك بعد مجلسى هذا^(٤).

وعن أبى الطفيل: لما قبض النبى ﷺ أرسلت فاطمة إلى أبى بكر: أنت ورثت رسول الله ﷺ، أم أهله؟! قال: لا، بل أهله! قالت: فأين سهمه؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله إذا أطعم نبيا طعمة، ثم قبضه جعلها للذى يقوم من بعده »، فرأيت أن أردّه على المسلمين. قالت: أنت، وما سمعت من رسول الله - أعلم - رواه أحمد فى مسنده^(٥).

وعن أنس - رضى الله عنه - أن فاطمة أتت أبا بكر، فقالت: قد علمنا الذى

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩-٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٣٤)، ومسلم (١٧٥٨-٥١) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٩٦)، ومسلم (١٧٦٠-٥٥).

(٤) ذكره الذهبي فى تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين-٢٢) من طريق محمد بن السائب عن أبى صالح به وقال الذهبي: محمد بن السائب متروك.

(٥) أخرجه أحمد (٤/١)، وأبو داود (٢٩٧٣). وقال الذهبي: منكر، وأنكر ما فيه قوله: « لا، بل أهله ».

خلفنا عنه من الصدقات أهل البيت، ثم قرأت عليه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١] إلى آخر الآية، فقال لها بأبى، وأمى أنت، ووالدك، وعلى السمع، والبصر كتاب الله وحق رسول الله، وحق قرابته، أنا أقرأ من كتاب الله مثل الذى تقرئين، ولا يبلغ علمى فيه أن لذى قرابة رسول الله ﷺ هذا السهم كله من الخمس يجرى بجملته عليهم قالت: أفلك هو، ولقرابتك؟ قال: لا، وأنت عندى أمينة مصدقة، فإن كان رسول الله ﷺ عهد إليك فى ذلك عهداً، أو وعدك موعداً أوجبه لكم حقاً صدقتك، وسلمته إليك. قالت: لا، إلا أن رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ذلك، قال: أبشروا آل محمد؛ فقد جاءكم الغنى - قال أبو بكر: صدقت فلك الغنى، ولم يبلغ علمى فيه، ولا لهذه الآية سهم أن يسلم هذا السهم كله كاملاً، ولكن لكم الغنى الذى يغنيكم، ويفضل عنكم، فانظروا هل يوافقك على ذلك أحد منهم؟ فانصرفت إلى عمر، فذكرت له كما ذكرت لأبى بكر، فقال لها مثل الذى راجعها به أبو بكر؛ فعجبت، فظنت أنهما قد تذاكرا ذلك، واجتمعا عليه^(١).

قال أبو حمزة العسكرى، عن ابن أبى خالد، عن الشعبى قال: لما مرضت فاطمة - رضى الله عنها - أتاها أبو بكر، فاستأذن، فقال على: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك، فقالت: أتحب أن أذن له؟ قال: نعم، فأذنت له، فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار، والمال، والأهل، والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله، ورسوله، ومرضاتكم أهل البيت. ثم ترضاها حتى رضيت، رضى الله تعالى عنها^(٢).

وعن الزهرى قال: حدثنى من سمع من ابن عباس يقول: كان عمر عرض علينا أن يعطينا من الفء ما يرى أنه لنا من الحق، فرغبنا عن ذلك وقلنا له: ما سمي الله من حق ذى القربى، وهو خمس الخمس، فقال عمر: ليس لكم ما تدعون لكم حق، إنما جعل الله الخمس لأصناف سماهم، أسعدهم فيه حظاً أشدهم فاقة، وأكثرهم

(١) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين (٢٤).

(٢) ذكره الذهبي (عهد الخلفاء - ٤٧) وذكره ابن كثير في البداية (٣٦٦/٦) وعزاه للبيهقي ونقل قوله: هذا مرسل حسن بإسناد صحيح.

عيالا . قال : فكان عمر يعطى من قبل منا من الخمس والفى ما يرى أنه لنا ، فأخذ منا ناس ، وترك ناس^(١) .

وذكر أن مالك بن أوس بن الحدثان النضرى ، قال : كنت عند عمر - رضى الله عنه - فأتاه حاجبه يرفأ ، فقال : هل لك فى : عثمان ، والزبير ، وعبد الرحمن ، وسعد يستأذنون ؟ قال : نعم ، فدخلوا ، وسلموا ، وجلسوا ، ثم لبث يرفأ قليلا ، ثم قال لعمر : هل لك فى على ، والعباس ؟ قال : نعم ، فلما دخلا سلما ، فجلسا . فقال العباس : يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا الظالم الفاجر الغادر الخائن - قلت : العلم أمانة ، ولولا أن هذه الألفاظ مذكورة فى فتح البارى وغيره لما ذكرتها ، رضى الله تعالى عنهما وأرضاهما - فاستبأ ، فقال عثمان ، وغيره : يا أمير المؤمنين ، اقض بينهما ، وأرح أحدهما من الآخر ، فقال : أنشدكما بالله ، هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال : لا نورث ما تركناه صدقة ؟ قالوا : قد قال ذلك . قال فإنى أحدثكم عن هذا الأمر ، إن الله كان قد خص رسوله فى هذا الفى بشىء لم يعطه غيره ، فقال - تعالى : ﴿ وَمَا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحشر : ٦] فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ، وإيم الله ما اختارها دونكم ، ولا استأثر بها عليكم ، لقد أعطاكموها ، وبثها فيكم حتى بقى منها هذا المال ، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ، ثم يجعل ما بقى يجعل مال الله ، أنشدكما بالله ، هل تعلمان ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : ثم توفى الله نبيه ، فقال أبو بكر : أنا ولى رسول الله ﷺ ، وخليفته ، فقبضها ، وعمل فيها بما عمل به رسول الله ﷺ ، وأنتما تزعمان أن أبا بكر فيها كاذب ، فاجر ، غادر ، والله يعلم إنه فيها لصادق ، بار ، راشد ، ثم توفاه الله ، فقلت : أنا ولى رسول الله ﷺ ، وولى أبى بكر ، فقبضتها سنتين من إمارتى ، أعمل فيها بعمله ، وأنتما حيثئذ - وأقبل على على والعباس - تزعمان أنى فيها كاذب ، فاجر ، غادر ، والله يعلم أنى فيها لصادق ، بار ، راشد تابع للحق ، ثم جئتمانى وكلمتكما واحدة ، وأمركما جميع ، فجئتنى تسألنى عن نصيبك يا عباس ، من ابن أخيك ، وجاءنى هذا - يشير إلى على - يسألنى عن نصيب امرأته من أبيها ،

فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال « لا نورث، ما تركناه صدقة » فلما بدا لى أن أدفعها إليكما قلت: إذا شئت دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لئعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، وبما عمل فيها أبو بكر، وإلا فلا تكلماني، فقلتما: ادفعها إلينا بذلك؛ فدفعتها إليكما. أنشدكما بالله، هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالوا: نعم. قال: أفلتتمسان منى قضاء غير ذلك؟! فوالذى يقوم السماء والأرض، لا أقضى فيها غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها؛ فادفعاهما إليّ أكفيكماها^(١). فانصرفا. فكانت هذه الصدقة بيد على، غلب عليها العباس، ثم كانت بيد الحسين، ثم بيد على بن الحسين، والحسن المثنى ابن الحسن السبط، يتداولانها، ثم بيد زيد، وهى صدقة رسول الله ﷺ حقاً^(٢).

قال العلامة السيوطى - رحمه الله تعالى - لما توفى رسول الله ﷺ اشربأب النفاق، وارتدت العرب، وانحازت الأنصار، واختلفوا أين يدفن رسول الله ﷺ، فما وجد عند أحد من ذلك علم، فقال أبو بكر - رضى الله عنه - : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من نبي يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذى مات فيه »^(٣)، واختلفوا فى ميراثه، فما وجدوا عند أحد علماً من ذلك، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة »^(٤).

قال بعض العلماء: هذا أول اختلاف وقع بين الصحابة. ولما اشتهرت وفاته - عليه الصلاة والسلام - بالنواحي وارتدت طوائف من العرب، ومنعوا الزكاة؛ نهض أبو بكر الصديق إلى قتالهم، فقال عمر: فتر عن قتالهم، فقال أبو بكر: والله لو منعوني عقلاً - أو عناقاً - كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، فقال عمر: كيف نقاتلهم، وقد قال - عليه الصلاة والسلام - : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فمن قالها عصم منى ماله ودمه إلا بحقها، وحسابه على الله؟! فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، وقد قال: « إلا

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (٤٩-١٧٥٧).

(٢) ذكره الذهبي (عهد الخلفاء الراشدين - ٢٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم قريناً.

بحقها » ، قال عمر : فوالله ما هو ، إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر - رضى الله عنه - للقتال ؛ فعرفت أنه الحق ^(١) .

وذكر جماعة من المؤرخين ، وغيرهم : أن رسول الله ﷺ كان وجه أسامة بن زيد - رضى الله عنهما - فى سبعمائة رجل إلى الشام ، فلما نزل بذى خُشب قبض رسول الله ﷺ ، وارتدت العرب ، فاجتمعت الصحابة - رضى الله عنهم - وقالوا للصدىق : رد هؤلاء - يعنى أسامة وأصحابه - فقال : والله الذى لا إله إلا هو ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبى ﷺ ما رددت جيشًا جهزه رسول الله ﷺ ، ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ ، وأمر أسامة أن يمضى لوجهه ، وقال أبو بكر : أرايت أن تأذن لعمر - رضى الله عنه - بالمقام عندى ، أستأنس به ، وأستعين برأيه ؟ فقال أسامة - رضى الله عنه - قد فعلت .

وسار أسامة ، فجعل لا يمر بقبيلة تريد الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هذا الجيش من عندهم ، فلقوا الروم ، فقاتلوهم ، وهزموهم ، ورجعوا سالمين ^(٢) .

وكان لعلى من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر على وجه الناس ، فالتمس مصالحة أبى بكر ، ولم يكن بايع تلك الأشهر ، فأرسل ابنه الحسن إلى أبى بكر : أن اثنتا ، ولا يأتنا أحد معك ، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدته ، فقال عمر : والله لا تدخل عليهم وحدك . فقال أبو بكر : والله لآتينهم وحدى ، وما عسى أن يصنعوا بى ؟ ! فانطلق أبو بكر حتى دخل على على وقد جمع بنى هاشم عنده ، فقام على ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد فإنه لم يمنعنا أن نبائعك إنكار لفضيلتك ، ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك ، ولكننا كنا نرى أن لنا فى هذا الأمر حقًا ، فاستبديتم به علينا ، ثم ذكر قرابته منه - عليه الصلاة والسلام - وحقه ، فلم يزل على يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر .

فلما صمت على - رضى الله عنه - تشهد أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فوالله ، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصلهم من قرابتي ، والله

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩ ، ١٤٠٠) ، ومسلم (٣٢-٢٠) من حديث أبى هريرة .

(٢) ينظر البداية والنهاية (٦/٣٣٦) .

ما آلوكم في هذه الأحوال التي كانت بيني وبينكم من الخير، ولكني سمعت من رسول الله ﷺ يقول: « لا نورث، ما تركناه صدقة، وإنما يأكل آل محمد من هذا المال... » إلى آخر ما تقدم.

وفي رواية: « أما بعد فوالله ما فعلت ذلك إلا أني خشيت الفتنة... » إلى آخر ما تقدم من قوله لفاطمة في السابق - « وإنى والله لا أذكر صنيعة فيه إلا صنعته »، إن شاء الله تعالى.

ثم قال عليّ: موعذك العشية للبيعة. فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس، ثم عذر عليًا ببعض ما اعتذر به له، ثم قام عليّ، فعظم من حق أبي بكر، فذكر فضيلته وسابقته، ثم مضى إلى أبي بكر، فبايعه، وأقبل الناس على عليّ، فقالوا: أصبت، وأحسن. هذا حديث صحيح، متفق عليه^(١).

قال في الرياض: قوله: « استبددتم » أو « استبددتم » أى انفردتم به دوننا. وقوله: « كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقًا » المراد بالأمر: الخلافة، ويؤيده: أن عليًا بعث إلى أبي بكر؛ ليبايعه، فقدم العذر في تخلفه أولاً، فقال: لم نمتنع نفاسة عليك، ولا كذا، ولا كذا ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقًا، فعلم بالضرورة أن الأمر المشار إليه بلام العهد هو: ما تضمنه الكلام الأول، فالمراد به حق في الخلافة إما بمعنى الأحقية أى: كنا نظن أننا أحق منكم بهذا الأمر بقرابتنا من رسول الله ﷺ مضافاً إلى ما اجتمع فينا من أهلية الإمامة مما ساوينا فيه غيرنا، وإما بمعنى أنى أستحق استحقاقاً مساوياً لاستحقاقكم على تقدير انضمام القرابة إليه إذ القرابة معنى تحصل به الراجحية وإنه ليس بأحق، ولا يلزم من تخلفه تلك المدة عدم صحة خلافة أبي بكر، ولا من سكوته عن الإنكار الإقرار على الباطل؛ لأننا نقول: إن تخلفه لرؤيته الأحقية له كان أول وهلة، وغاب عنه إذ ذاك ما كان يعلمه من حق أبي بكر^(٢)، وفيه من قول رسول الله ﷺ مما سيذكر في فضائله من الأربعة عشر الحديث الدالة على خلافته ظاهراً، بل وصريحاً إن صحت زيادة قوله في الحديث: « وهو الخليفة من بعدى »^(٣)، فلما اجتمع الجم الغفير على ولاية أبي بكر - اتهم

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (٥٢-١٧٥٩)، وانظر الرياض النضرة (١/٢٤٣).

(٢) انظر في ذلك الرياض النضرة (١/٢٤٣-٢٤٤).

(٣) أخرجه العيني في الضعفاء (٢/٤٧) من حديث ابن عباس في فضل علي بن أبي طالب، =

نظره في حق نفسه، ثم إنه لم ير المبادرة إلى إظهاره والمطالبة بمقتضاه حتى بذل جهده في التنقيب والنظر وإمحاص الفكر، فإن ذلك من الوقائع العظيمة في الدين، وفيه تفريق كلمة من أجمع من المسلمين، فلم يقنع فيه بتبادر النظر، خشية استمالة الهوى الجبلى، وحب الرياسة الطبيعي، ولا رأى الموافقة لما استقر في ذهنه من رؤية أحقيته فيما يستحق به الإمامة، وتعين وجوب القيام بالأمر عليه لكونه أحق، وكان ذلك في بادى النظر قبل الإمعان فيه، فتخلف عن الأمرين؛ سالكا في ذلك الطريق الورع والاحتياط فيما عنده، باذلاً جهده في الاجتهاد والنظر تلك المدة مجتهداً، فلما تبين له أحقية أبى بكر وفضيلته، بتذكر مقتضيات الأفضلية، ووافق ذلك موت فاطمة - رضى الله عنها - أرسل إلى أبى بكر، واعتذر إليه: بأنه استبان أحقيته، وسياق هذا اللفظ مشعر: بأن تلك الرؤية قد زالت، ولم يكن ذكره القرابة إقامة للحجة على أبى بكر، فإنه يعتذر، ولا تليق المحاجة بالمعتذر، وإنما كان إظهاراً لمستند تخلفه، وبياناً لمعتمد تمسكه، لكيلا يظن فيه أن تخلفه كان لهوى متبع بغير هدى من الله تعالى لا عن اجتهاد ونظر، وإن لم يكن صحيحاً، إذ المجتهد معذور، وإن أخطأ، ولذلك كان له أجر.

وهذا التأويل مما يجب اعتقاده، وينبغى المصير إليه.

وما قاله بعضهم من أنه - رضى الله عنه - إما أن يعتقد صحة خلافة أبى بكر مع أحقيته فيكون تخلفه عن البيعة، ومفارقة الجماعة، ونزع ربة الطاعة - عدولاً عن الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال، وهو مبرأ عن ذلك، ومنزه عنه، أو لا يعتقد صحتها؛ فيكون قد أقر على الباطل؛ لأنه - رضى الله عنه - قد أقر الطير على مكانها، ولم يظهر منه نكير على فعلهم لا بقول ولا بفعل مع قوة إيمانه، وشدة بأسه، وكثر ناصره، وكفى بفاطمة، والعباس عمه، وبنى هاشم بأجمعهم ومن معه من الصحابة ظهيراً ونصيراً مع ما أسس له - عليه الصلاة والسلام - من القواعد في العقائد، وأن موالاته ومحبته، من محبته والدعاء لمن والاه وعلى من عاداه، ومع ذلك كله لم يظهر منه ما يقتضيه حال مثله من إنكار الباطل بحسب طاقته، فلو كان

= وفيه: وهو بابي الذي أوتى به، وهو خليفتي من بعدي. قلت: فيه داهر بن يحيى الرازي؛ قال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢١١): قال يحيى بن معين: داهر ليس بشيء يكتب عنه إنسان فيه خير.

باطلاً لزم تقريره الباطل، واللازم باطل كذلك، فالملزوم كذلك، فقد تقدم الجواب عنه آنفاً. والقول الذى تدعيه الروافض ومن نحا نحوهم: أن سكوته كان تقيّة، باطل غريق فى البطلان، فإن مقتضى ذلك: إما ضعف فى الدين، أو فى الحال.

فالأول: باطل اجماعاً، والثانى - أيضاً - باطل لما قررنا آنفاً، ويؤيده قوله - عليه الصلاة والسلام - فى الحديث الذى رواه الحسن البصرى المتضمن نفى العهد إليه بالخلافة وفيه: «لو كان عندى عهد من النبى ﷺ فى ذلك ما تركت أخا [بنى] تيم بن مرة، وعمر بن الخطاب، يقومان على منبره، ولقاتلتها [بيدى] ولو لم أجد إلا بردتى هذه» الحديث.

وهذا أدل دليل على أنه لم يسكت تقيّة، إذ لو علم بطلان ذلك وأنه المتصف بها دونه لتعين عليه القيام، وكان كالعهد إليه. وقد أخبر - رضى الله عنه - أنه لو تعين عليه بالعهد إليه لقاتل، ولقد أحسن الحسن بن الحسن بن على - رضى الله تعالى عنهم - حيث قال لبعض الروافض: «لو كان الأمر كما تقولون: أن النبى ﷺ اختار علياً لهذا الأمر والقيام على الناس بعده - كان عليّ أعظم الناس جرماً وخطيئة إذ ترك أمر رسول الله ﷺ أن يقوم به، ويُعذر إلى الناس». فقال له الروافض: ألم يقل - عليه الصلاة والسلام -: «من كنت مولاه، فعليّ مولاه»^(١) فقال الحسن: أما والله لو يعنى بها [رسول الله ﷺ] الأمر والسلطان لأفصح به كما أفصح بالصلاة، والزكاة، والحج، والصيام، ولقال: أيها الناس إنه الولى بعدى فاسمعوا له وأطيعوا. أخرج ابن السمان فى الموافقة^(٢).

فإن قيل: ألا يجوز أن يكون المراد بالأمر فى قول عليّ الميراث، وبالحق حق الميراث، فيكون تقدير الكلام: كنا نظن أن لنا قسماً خلفه رسول الله ﷺ حقاً، وأنتك منعنا إياه، وأصررت على المنع؛ فلم تصح لذلك خلافتك؛ فلذلك تخلفنا عن البيعة، ويدل على هذا جواب أبى بكر بنفى الميراث على الرواية الأولى، وإلا

(١) أخرجه أحمد (٣٧٠/٤)، وفى الفضائل (١١٦٧)، والنسائي فى الخصائص (٩٣)، وابن أبى عاصم فى السنة (١٣٦٧)، وابن حبان (٦٩٣١) من حديث عليّ وزيد بن أرقم، وأخرجه الترمذى (٣٧١٣) من طريق شعبة عن سلمة بن كهيل قال سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبى سريحة أو زيد بن أرقم شك شعبة عن النبى ﷺ قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح والحديث صحيحه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٧٥٠).

(٢) ينظر: كلام صاحب الرياض بطوله فى الرياض النضرة (٢٤٦/١-٢٤٧).

لما كان جواباً، فوجب المصير إلى هذا المعنى صوتاً لكلام هذا الفصيح عن الزلل، وهو من أفصح العرب وأعرفهم بما يقول ؟ قلنا: صورة الحال وسياق المقال يشهدان بخلافه، ويتبرآن منه. فإن اعتذار على - رضى الله عنه - إنما كان عن تخلفه عن البيعة، فقال: « لم يمنعنا أن نبايعك يا أبا بكر إنكار لفضيلتك، ولا نفاسة لخير ساقه الله إليك . . . » إلى آخره، ولم يجر فى حديثه ذكر الميراث، والمبادر منه إلى الفهم عند سماع هذا اللفظ ليس إلا. الخلافة.

وجواب أبى بكر - رضى الله عنه - محمول على تقدم كلام آخر تركه الراوى ويكون لما فرغ على - رضى الله عنه - من قوله: كنا نظن أن لنا فى هذا الأمر حقاً تعرض لذكر الميراث، ثم اعتذر عن المبايعه فأغنى أبا بكر عن الجواب عن قوله: كنا نرى، إذ يقتضى أن تكون تلك الرؤية سابقة، ثم انقطعت، وأن رؤيته الآن غير تلك. هذا هو المفهوم من سياق لفظه - كرم الله وجهه - فما عسى أن يقول له أبو بكر وقد دل كلامه على تغير نظره، والإجابة على مبايعته ورؤية الحق فى ذلك، فاستغنى أبو بكر عن جواب فصل البيعة، وعدل إلى جواب فصل الميراث. أو نقول: لم يجر للميراث فى هذا المجلس ذكر إلا أنه كان قد ذكر قبل ذلك، وجرى فى حديث فاطمة - رضى الله تعالى عنها - حين جاءت إلى أبى بكر، فطلبت الميراث، فلما كان ذلك المجلس المعقود لإزالة صورة الوحشة الظاهرة، والدخول فيما دخلت فيه الجماعة، واعتذر عليّ بما اعتذر به، وقبل أبو بكر عذره، ثم أنشأ أبو بكر ذكر الميراث معتذراً مما توهم فيه أولاً نافياً له حالاً على الاتصاف بخلافه، محتجاً بالحديث الذى ذكره، وقصد بذلك إزالة بقايا الوحشة إن كانت حتى لا يبقى لها أثر.

وأما منع أبى بكر فاطمة عن الإرث، فادعت الرافضة أن فى ذلك منه احتجاجاً بخبر الواحد مع معارضته لآية الموارث التى استدلت بها فاطمة - رضى الله عنها - وليس ادعاؤهم صحيحاً، إذ هو - رضى الله تعالى عنه - لم يحكم بخبر الواحد الذى هو محل الخلاف، وإنما حكم بما سمعه من رسول الله ﷺ، وهو عنده قطعى، فيساوى آية الموارث فى قطعية المتن.

وأما حملة على ما فهم منه فلا تتفاء الاحتمالات التى يمكن تطرقها إليه بقريته

الحال، فصار عنده دليلاً قطعياً مخصصاً لعموم تلك الآيات، مع أن أبا بكر - رضى الله تعالى عنه - لم ينفرد برواية هذا الحديث، فقد رواه: أمهات المؤمنين، وعليه نفسه، والعباس، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد، كلهم كانوا يعلمون ذلك، وإنما انفرد أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - باستحضاره أولاً ثم استحضره الباقون، وعلموا أنهم سمعوه منه عليه السلام.

فالصحابة فى موافقتهم أبا بكر على حكمه لم يعملوا برواية أبى بكر وحدها، وإن كانت كافية أى كافية فى ذلك، وإنما عملوا بها وبما انضم إليها من علم أفاضلهم الذين ذكرناهم.

وأما عذر فاطمة - رضى الله عنها - فى طلبها مع روايته لها الحديث، فيحتمل أنه لكونها رأت أن خبر الواحد لا يخصص القرآن كما قيل به فاتضح عذره فى المنع وعذرها فى الطلب، فلا يشكل عليك ذلك. قاله العلامة ابن حجر. قلت: قد تقدم فيما نقله الذهبى، عن الزهرى برواية صالح مولى أم هانئ أن فاطمة قالت لأبى بكر بعد روايته الحديث لها: أنت ورسول الله أعلم، ما أنا بسائلتك بعد مجلسى هذا، فهجرته فلم تكلمه حتى ماتت، صريح كما ترى فى أنها لم تسأله بعد روايته الحديث، فلا حاجة إلى الاعتذار عنه بما ذكره. والله أعلم.

فعلم بما ذكرناه إجماع الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - على حقيقة خلافة الصديق، وأنه أهل لها، وذلك كاف، ولم يرد نص عليها بل الإجماع أقوى من النصوص التى لم تتواتر؛ لأن مفاده قطعى، ومفادها ظنى.

وحكى النووى بأسانيد صحيحة عن سفيان الثورى: من قال: إن علياً كان أحق بالولاية من أبى بكر، فقد خطأ أبا بكر، وعمر، والمهاجرين، والأنصار، وما أراه يرتفع له مع هذا عمل إلى السماء.

وأخرج الدارقطنى عن عمار بن ياسر نحوه.

فإن قيل: الحديث الأول: يدل على أن سبب التخلف الألية على أنه لا يرتدى رداءه إلا إلى الصلاة حتى يجمع القرآن، وحديث الحسن فى دعائه أبا بكر يدل على أن التخلف كان لما رآه من أن له حقاً، فكيف يجمع بينهما؟ أم كيف تكون الألية - يعنى القسم - عذراً فى التخلف عن الأمر الواجب المتعين، والحث لأجله واجب

كنظيره فى التخلف عن الصلاة الواجبة، قلنا: الجمع يمكن بأن يكون سبب الامتناع عن البيعة وتخلفه أولاً: ما ذكره من قوله كنا نظن، ثم خطر له - كرم الله وجهه - جمع القرآن، وهو فى مهلة النظر المتقدم ذكره فآلى تلك الآية، ثم أرسل إلى أبى بكر، ثم لقيه عمر، فقال له: تخلفت عن بيعة أبى بكر، فقال: «إنى آليت . . .» إلى آخره، ووافى ذلك ظهور أحقية أبى بكر عنده، فأرسل إليه معتذراً فى التخلف، واقتضى نظره له إذ ذاك أن هذا القدر كاف فى الطوعية، والانقياد، والدخول فيما دخل فيه الجماعة، فلم ير الحنث مع البيعة؛ خشية أن ينقل عنه وينقسم نظره عند ملابسة الناس ومخالطتهم، فأقام إظهار عذره مقام حضوره إلا أنه رأى اليمين عذراً؛ ولا أنه بقى على ما كان عليه من رؤية أحقيته. كذا فى الرياض^(١).

رسالة أبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه -، واتباع سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - إلى سيدنا على - كرم الله وجهه - مع سيدنا أبى عبيدة عامر بن الجراح - رضى الله تعالى عنه -، وجواب سيدنا على - كرم الله وجهه - عن ذلك، ومبايعته لأبى بكر - رضى الله تعالى عنهم أجمعين - عن أبى حيان على بن محمد التوحيدى البغدادى قال: سمرنا ليلة عند القاضى أبى حامد أحمد بن بشر المروروذى العامرى فى دار أبى حبشان فى شارع المازبان، فتصرف إلى الحديث كل متصرف، وكان أبو حامد - والله مفتناً، مِخْلَطاً، مزيلاً، معنياً، غزير الرواية، لطيف الدراية، له فى كل جو متنفس، ومن كل نار مقتبس، فجرى حديث السقيفة وشأن الخلافة، فركب كل منا متناً، وقال قولاً، وعرض بشيء، ونزع إلى فن، فقال: هل فيكم من يحفظ رسالة سيدنا أبى بكر الصديق إلى سيدنا على، رضى الله تعالى عنهما، وجواب على له ومبايعته إياه عقب تلك المناظرة. فقالت الجماعة التى بين يديه: لا والله. قال: هى من بنات الحقائق ومخبات الصناديق فى الخزائن، ومذ حفظتها ما رويتها إلا للمهلبى أبى محمد فى وزارته، وكتبها عنى بعده فى خلوة، وقال: لا أعرف على وجه الأرض رسالة أعقل منها ولا أبين، وإنها لتدل على حكم: وعلم، وفصاحة، وفقاهة، ودهاء، ودين، وبعد غور، وشدة غوص. فقال له أبو بكر العبادانى: أيها القاضى، لو أتممت المنة

(١) فى ط: الروض . وينظر: الرياض النضرة (١/ ٢٥٠-٢٥١).

بروايتها سمعناها، ونحن أوعى لها عنك من المهلبى، وأوجب ذمامًا عليك، فاندفع فقال: حدثنا الخزاعى بمكة: حدثنا ابن أبى ميسرة قال: حدثنا محمد بن فليح، أنبأنا عيسى بن دأب، أنبأنا صالح بن كيسان، ويزيد بن رومان - وكان معلم عبد الملك بن مروان - قال: أنبأنا هشام بن عروة قال: أنبأنى أبو النفاخ مولى أبى عبيدة ابن الجراح، وروى هذا الحديث، وكان له عليه جراءة ظاهرة وكان من محفوظاته القديمة، فلما كان بعد ذلك بدهر - ذكرنا بأحرف من هذه الرسالة ابن هارون، وكان نسيج وحده: حفظًا، وبيانًا، واتباعًا، فعرفناه أن الحديث عندنا من جهة أبى حامد، فزعم أن أستاذه ابن شجرة أحمد بن كامل القاضى سرده ولم يكن فيه صالح بن كيسان، وذكر مولى أبى عبيدة أبا النفاخ بالنون والفاء وخالف فى أحرف، وأنا أكرر عليه الرسالة والحديث بعد ذكرهما، وأسمى حرفًا حرفًا مما وقع فيه الخلاف على جهة التصحيف، أو على جهة التحريف. على أننى ما سمعت بحديث فى طوله وغرابته بأحسن سلامة منه؛ وإنما ذلك لأنه صار إلينا من رواية هذين الشيخين العلامتين، وكان سماعنا من أبى حامد سنة ستين، ومن أبى منصور سنة خمس وسبعين.

قال أبو حامد: قال أبو النفاخ سمعت أبا عبيدة بن الجراح يقول: لما استقرت الخلافة لأبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - بين المهاجرين والأنصار، ولحظ بعين الهيبة والوقار، وإن كان لم يزل كذلك بعد هنية كاد الشيطان بها، فدفع الله شرها، ورحض عرها، ويسر خيرها، وأزاح ضيرها، ورد كيدها، وقصم ظهر النفاق والفسوق من أهلها؛ بلغ سيدنا أبا بكر الصديق عن سيدنا على بن أبى طالب تلكؤ وشماس، وتهمهم ونفاس، وكره أن يتمادى الحال، وتبدو العداوة، وتتفرج ذات البين ويصير ذلك دريئة لجاهل مغرور أو، عاقل ذى وهن، أو صاحب سلامة ضعيف القلب خوار العنان، دعانى، فحضرتة وعنده سيدنا عمر بن الخطاب وحده، وكان يُدمن أرضه بالسرجين، وكان عمر قبله ظهيرًا معه يقتبس برأيه ويستملى على لسانه، فقال لى أبو بكر الصديق: يا أبا عبيدة ما أيمن ناصيتك، وأبين الخير بين [عينك و] عارضيك، ولقد كنت من رسول الله ﷺ بالمكان المحوط والمحل المغبوط، ولقد قال فى يوم مشهود «أبو عبيدة أمين هذه الأمة»^(١)، وطال

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩-٥٣) من حديث أنس بن مالك.

ما أعز الله بك الإسلام، وأصلح فساده على يدك، ولم تزل: للدين ملجأ، وللمؤمنين دوخاً، ولأهلك ركناً، ولاخوانك ردةً؛ قد أردت لك لأمر له ما بعده، خطره مخوف، وصلاحه معروف؛ وإن لم يندمل جرحه بمسبك، ولم تستجب حيته لرقيتك - فقد وقع اليأس، وأعضل البأس، واحتيج بعد ذلك إلى ما هو أمر من ذلك وأعلق، وأعسر منه وأغلق؛ والله أسأل تمامه بك، ونظامه على يدك؛ فتأت له يا أبا عبيدة، وتلطف فيه، وانصح لله تعالى ولرسوله ﷺ ولهذه العصابة غير آل جهداً، ولا قال جدّاً، والله كالتك وناصرك، وهاديك ومبصرك، وبه الحول والتوفيق امض إلى عليّ، واحفض جناحك له، واغضض من صوتك عنده، واعلم أنه سلالة أبى طالب ومكانه ممن فقدناه بالأمس ﷺ مكانه، وقل له: البحر مغرقة، والبر مفرقة، والجو أكلف، والليل أغلف، والسماء جلواء، والأرض صلعاء، والصعود متعذر، والهبوط متعسر، والحق رءوف عطوف، والباطل شئوف عنوف، والضغن رائد البوار، والتعريض شجار الفتنة، القعة ثقوب العداوة، وهذا الشيطان متكئ على شماله، متجبل بيمينه، نافج حضنيه لأهله ينتظر بهم الشتات والفرقة، ويدب بين الأمة بالشحناء والعداوة، عناداً لله - عز وجل - ولرسوله ﷺ ولدينه، ناكباً يوسوس بالفجور، ويدلى بالغرور، ويمنى أهل الشرور، ويزجى إلى أوليائه بالباطل، دأباً له مذ كان على عهد أبينا آدم عليه الصلاة والسلام، وعادة منه منذ أهانه الله - عز وجل - فى سالف الدهر، لا ينجى منه إلا عض الناجذين على الحق، وغض الطرف عن الباطل والعاجل ووطء هامة عدو الله وعدو الدين بالأشد فالأشد والأحد فالأحد، وإسلام النفس لله - عز وجل - فيما حاز رضاه وجنب سخطه، ولا بد الآن من قول ينفع إذا ضر السكوت وخيف غبه، ولقد أرشدك من أفاد ضالتك، وصادقك من أحيا مودته لك بعتابك، وأراد الخير بك من آثر البقاء معك، ما هذا الذى تسول لك نفسك، ويدوى به قلبك، ويلتوى به عليك رأيك، ويتخاوص دونه طرفك، ويسرى فيه ظعنك، ويتدرد معه نفسك، وتكثر معه صعداؤك، ولا يفيض به لسانك، أعجمة بعد إفصاح، أم تلبس بعد إيضاح؟! أدين غير دين الله - عز وجهه - أخلق غير خلق القرآن؟! أهدي غير هدى النبى ﷺ؟! أمثلنى يمشى إليه الضراء، أو تدب إليه الخمراء؟! أم مثلك ينقبض عليه الفضاء،

أو تكسف في عينه القمراء؟! ما هذه القعقة بالشنان، وما هذه الوعوة بالشنان؛ إنك جد عارف باستجابتنا لله - عز وجل - ولرسوله، وخروجنا عن: أوطاننا، وأموالنا، وأولادنا، وأحبتنا؛ هجرة إلى الله تعالى ذكره؛ ولنصرة نبيه ﷺ، في زمان أنت فيه في كن الصبا وخدر الغرارة، غافل عما يشبب ويربب، لا تعي ما يراد ويشاد، ولا تحصل ما يساق ويقاد، سوى ما أنت جار عليه إلى غايتك التي إليها عدى بك، وعندها حط رحلك، غير مجهول القدر، ولا مجحود الفضل، ونحن في أثناء ذلك نعاني أحوالاً تزيل الرواسي، ونقاسي أهوالاً تشيب النواصي، خائضين غمارها، راكبين تيارها، نتجرع صابها، ونشرح عيابها، ونكرع عبابها، ونحكم أساسها، ونبرم أمراسها، والعيون تحدج بالجد، والأنوف تعطس بالنكد، والصدور تستعر بالغيظ، والأعناق تتناول بالفخر، والشفار تشحد بالمكر، والأرض تميذ بالخوف، ولا ننتظر عند المساء صباحاً، ولا عند الصباح مساء. ولا ندفع في نحر أمر إلا أن نحسو الموت دونه، ولا نبلغ إلى شيء إلا بعد جرع الغصص معه، ولا نقوم مناداً إلا بعد اليأس من الحياة عنده؛ فادين في كل ذلك لرسول الله ﷺ بالأب والأم، والخال والعم، والنشب والسبد واللبد، والهلة والبلة، والأهل والولد، بطيب نفس، وقرور عين، ورحب أعطان، وثبات عزائم، وصحة عقول، وطلاقة وجه، وذلاقة ألسن. هذا إلى خفيات أسرار ومكنونات أخبار، كنت عنها غافلاً، ولولا حداثة سنك لم تكن عن شيء منها ناكلاً، كيف وفؤادك مشهوم، وعودك معجوم، وغيبك مخبور، والقول فيك كثير، والآن قد بلغ الله بك، وأرهص الخير لك، وجعل لك مرادك بين يديك، وعقلك بين عينيك، وعن علم أقول ما تسمع، فارتقب زمانك، وقلص إليه أردانك، ودع التعيس والتحييس بمن لا يطلع لك إذا خطأ، ولا يتزحزح عنك إذا عطا، والأمر غص، والنفوس فيها مض.

وإنك أديم هذه الأمة، فلا تحلم لجاجاً؛ وسيفها العضب، فلا تنبو اعوجاجاً؛ وماؤها العذب، فلا تحل أجاجاً.

والله لقد سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر، فقال لي: يا أبا بكر هو لمن يرغب عنه، لا لمن يرغب فيه، ويجاحش عليه؛ ولمن يتضاءل له، لا لمن يتفجئ إليه، ولمن يقال له هو لك، لا لمن يقول هو لي.

والله لقد شاورنى رسول الله ﷺ فى الصهر، فذكر فتيانا من قريش، فقلت له: أين أنت من على؟ فقال إنى لأكره لفاطمة ضيق شبابها، وحدائه سنه، فقلت له: متى كنفته يدك، ورعته عينك، حفت بهما البركة، وأسبغت عليهما النعمة، مع كلام كثير خطبت به عنك، ورغبت فيك، وما كنت عرفت منك فى ذلك حوجاء ولا لوجاء، فقلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك، وأجد رائحة سواك، وكنت لك إذ ذاك خيراً منك الآن لى، ولئن كان عرض بك رسول الله ﷺ، فقد كنى عن غيرك، وإن كان قال فيك، فما سكت عن سواك، وإن يختلج فى نفسك شيء فهلهم، فالحكم مرضي، والصواب مسموع، والحق مطاع.

ولقد نُقل رسول الله ﷺ إلى ما عند الله - عز وجل - وهو عن هذه العصابة راض، وعليها حَدَبٌ، يسره ما يسرها، ويكيده ما يكيدها، ويرضيه ما يرضيها، ويسخطه ما أسخطها، ألم تعلم أنه لم يدع أحداً من: أصحابه، وخلطائه، وأقاربه، وشجرائه، إلا أبانه بفضيلة، وخصه بمكرمة، وأفرده بجلالة، لو أصفقت الأمة عليه لكان عنده: إيالتها، وكفالتها، وكرامتها، وغزارتها، أتظن أنه ﷺ ترك الأمة نشرًا سدى، بيد عدا، عباهل سباهل، طلاحي مباهل، مفتونة بالباطل، مغبونة عن الحق، لا رائد ولا ذائد، ولا سائق، ولا قائد، ولا حائط ولا واقى، ولا هادى ولا حادى؟! كلا، والله ما اشتاق إلى ربه، ولا سأله المصير إلى رضوانه، حتى ضرب الصوى، وأوضح الهدى، وأمن المهالك والمطاوح، وسهل المبارك والمهايع، وإلا بعد أن شدخ يا فوخ الشرك بإذن الله - عز وجل - وشرم أنف النفاق لوجه الله تعالى جدّه، وجدع أنف الفتنة فى ذات الله تبارك اسمه، وتفل فى وجه الشيطان بعون الله جل ذكره، وصدع بملء فيه ويده أمر الله عز وجل.

وبعد، فهؤلاء الأنصار والمهاجرون، عندك ومعك، فى دار واحدة، وبقعة جامعة، إن استقاموا بى لك، وأشاروا عندى بك، فأنا أول واضع يدى فى يدك، وصاير إلى رأيهم فيك، وإن تكن الأخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون، وكن العون على مصالحهم، والفتاح لمغالقهم، والمرشد لضالهم، والرادع لغاويهم، فقد أمر الله - عز وجل - بالتعاون على البر، وأهاب إلى التناصر على الحق، ودعنا نقض هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل، ونلقى الله - عز وجل - بقلوب

سليمة من الضغن .

وبعد ، فالناس ثمامة ، فافرق بهم ، واحن عليهم ، ولن لهم ، ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم ، واترك ناجم الحقد حصيذاً ، وطائر الشر واقعاً ، وباب الفتنة غلقاً ، فلا قال ولا قيل ، ولا لوم ولا تباع ، والله عز وجل على ما نقول شهيد ، وبما نحن عليه بصير . قال أبو عبيدة - رضى الله عنه - : فلما تهيأت للنهوض ، قال لى عمر - رضى الله تعالى عنه - : كن لدى الباب هُنيهة ، فلى معك ذوق من القول ، فوقفت ولا أدرى ما كان بعدى ، إلا أنه لحقنى ووجهه يبدو متهللاً ، وقال : قل لعلى : الرقاد محلمة ، واللجاج ملحمة ، والهوى مقحمة ، وما منا إلا له مقام معلوم ، وحق مشاع أو مقسوم ، ونبا ظاهر أو مكتوم ، وإن أكيس الكيس ، من منح الشارد تألفاً ، وقارب البعيد تلطفاً ، ووزن كل امرئ بميزانه ، ولم يخلط خبره بعيانه ، ولم يجعل فتره مكان شبره ، ولا خير مكان شره ، ولا خير فى معرفة مشوبة بنكرة ، ولا علم معتل فى جهل : [من المتقارب]

وَلَسْنَا كَجِلْدَةٍ رَفَعَ الْبَعِي رَ بَيْنَ الْعِجَانِ وَبَيْنَ الذَّنْبِ
وكل صال فبناره ، وكل سيل فالى قراره ، وما كان سكوت هذه العصاة إلى هذه الغاية لى ولا سى ، ولا كلامها اليوم لفتق ولا رتق ، ولا فرق ولا رهق ، قد جدع الله لمحمد ﷺ أنف كل ذى كبر ، وقصم ظهر كل جبار ، وقطع لسان كل كذوب ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ما هذه الخزوانة التى فى فراش رأسك ، وما هذا الشجى المعترض فى مدارج أنفاسك ، وما هذه الوحرة التى أكلت شراسيفك ، والقذاة التى أعشت ناظريك ، وما هذا الدحس والداس اللذان يدلان على ضيق الباع ، وخور الطباع ، وما هذا الذى لبست بسببه جلد النمر ، واشتملت عليه بالشحناء والنكر ، شذ ما استسعيت إليها ، وسريت سرى ابن أنقد إليها .

إن العوان لا تعلم الخمرة ، وإن الحصان لا تكلم لخبرة ، ما أحوج الصلحاء إلى خال ، وما أحوج الفرعاء إلى فال .

لقد خرج رسول الله ﷺ والأمر معبد محبس ، ليس لأحد فيه ملمس ولا مانس ، لم يسير فيك قولاً ، ولم يستنزل فيك قرآناً ، ولا عرف فى شأنك حكماً . ولسنا فى كسروية كسرى ، ولا قيصرية قيصر ، ولا أخذان فارس ، وأبناء الأصفر ، قومًا جعلهم

الله جزراً لسيوفنا وأرماحنا، ومزعاً لطعاننا، وتبعاً لسلطاننا، بل نحن فى نور نبوة، وضياء رسالة، وثمره حكمة، وأثر رحمة، وعنوان نعمة، وظل عصمة، بين أمة مهديّة بالحق والصدق، مأمونة على الفتق والرتق، لها من الله - عز وجل - قلب أبى، وساعد قوى، ويد ناصرة، وعين باصرة.

أتظن ظناً أن أبا بكر الصديق وثب على هذا الأمر، مفتتتا على الأمة خادعاً لها، متسلطاً عليها؟! أترأه امتلخ أحلامها، وأزاع أبصارها، وحل عقدها، وأحال عقولها، واستلب من صدورهم حميتها، وانتزع من أكبادها عصبيتها، وانتكت رشاه، وانتضب ماءها، وأضلها عن هداها، وساقها إلى رداها، وجعل نهارها ليلاً، ووزنها كيلاً، ويقتطعها رقاداً، وصلاحتها فساداً.

إن كان هكذا إن سحره لمبين، وإن كیده لمتين؛ كلا والله بأى خيل ورجل؛ وبأى سنان ونصل، وبأى قوة ومنه، وبأى ذخر، وبأى أيد وشدة، وبأى عشيرة وأسرة، وبأى تدرع وبسطة.

لقد أصبح عندك؛ بما وسّمته منيع الرقبة، رفيع العتبة. لا والله ولكن سلا عنها، فولهت به، وتطامن لها؛ فلصقت به، ومال عنها، فمالت إليه، واشتملت دونها؛ فاشتملت عليه. حبوة حباه الله بها، وعاقبة بلغه الله إياها، ونعمة سربله الله جمالها، ويد أوجب الله عليه شكرها، وأمة نظر الله به إليها، ولطالما حلقت فوقه فى أيام رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت لفتها، ولا يرتصد وقتها، والله أعلم بخلقها، وأراف بعباده، يختار ما كان لهم الخيرة.

وإنك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وكهف الحكمة، ولا يجحد حقك فيما أتاك ربك، ولكن لك من يزاحمك بمنكب أضخم من منكبك، وقربى أمس من قرابتك، وسن أعلى من سنك، وشية أروع من شيتك، وسيادة بها عرق من الجاهلية، وفرع من الإسلام والشريعة، ومواقف ليس لك فيها من جمل ولا ناقة، ولا تذكر منها فى مقدمة ولا ساق، ولا تضرب فيها بذراع ولا إصبع، ولا تخرج منها ببازل ولا هُبع.

فإن عذرت نفسك فيما تهدر به شقشقتك من صاغيتك، فاعذرنا فيما تسمع منا فى لين وسكوت، مما لا تبعده منه، ولا تناضله عليه، ولئن حذبت بهذا نفسك،

لينتحين عليك ما ينسبك الأولى، ويلهيك عن الآخرة، ولو علم من ضننا به ما فى أنفسنا له وعليه؛ لما سكت، ولا اتخذت أنت وليجة إلى بعض الأرب، فأما أبو بكر الصديق، فلم يزل حبة سويداء قلب رسول الله ﷺ، وعلاقة همه، وعيبة سره، ومثوى حربه، ومفزع رأيه ومشورته، وراحة كفه، ومرمى طرفه، وذلك كله بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والأنصار، شهرته مغنية عن الدلالة عليه.

ولعمري إنك أقرب إلى رسول الله ﷺ قرابة، لكنه أقرب قرابة، والقرابة لحم ودم، والقرابة روح ونفس، وهذا فرق وقد عرفه المؤمنون؛ ولذلك صاروا أجمعين، ومهما شككت فيه، فلا تشك أن يد الله مع الجماعة، ورضوانه لأهل الطاعة، فادخل فيما هو خير لك اليوم، وأنفع لك غدا، والفظ من فيك ما تعلق بلهاتك، وانث سخيمة صدرك عن ثفاتك، فإن يك فى الأمد طول، وفى الأجل فسحة فستأكله مريثا، أو غير مريء، وستشربه هنيئا، أو غير هنيء، حين لا راد لقولك إلا من كان منك، ولا تابع لك إلا من كان طامعا فيك، يمض إهابك، ويفرى قادمك، ويزرى على هديك.

هناك تفرع السن من ندم، وتجرع الماء ممزوجا بدم، وحينئذ تياس على ما مضى من عمرك، ودارج قومك، فتود أن لو سقيت بالكأس التى أبيتها، ورددت إلى الحال التى استبريتها، والله تعالى فينا أمر هو بالغه، وغيب هو شاهده، وعاقبة هو المرجو لضرائها، وهو الولي الحميد، الغفور الودود.

قال أبو عبيدة - رضى الله عنه - : فمشيت متزملا أتوجأ كأنما أخطو على أم رأسى؛ فرقا من الفرقة، وشفقا على الأمة، حتى وصلت إلى على - رضى الله تعالى عنه - فى خلاء، فأبثته الكلام كله، وبرئت إليه منه، ورفقت به، فلما سمعها ووعاها، وسرت فى أوصاله حمياها.

قال: حلت معلوطة، وولت مخروطة، حل لا حليت التعيس، أدنى لها من قول لعا.

إِخْدَى لِيَا لَيْلِكَ فَهَيْسَى هَيْسَى لَا تَنْعَمِى بالنوم والتَّغْرِيسِ
نعم يا أبا عبيدة أكل هذا فى أنفس القوم، يجتمعون إليه ويصطفقون.
قال أبو عبيدة فقلت لا جواب لك عندى إلا السكوت، إنما أنا قاض حق الدين،

ورائق فتق الإسلام، وساد ثلثة الأمة، يعلم الله ذلك من خلجان قلبى، وقرارة نفسى. قال على - رضى الله عنه - : والله ما كان قعودى فى كسر هذا البيت؛ قصدا للخلافة، ولا إنكارا للمعرفة، ولا زراية على مسلم، بل لما وقذنى به رسول الله ﷺ بفراقه، وأودعنى من الحزن بفقده، وذلك أنى لم أشهد بعده مشهدًا إلا جدد لى حزنا، وذكرنى شجوا، وإن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره، فقد عكفت على عهد الله أنظر فيه، وأجمع ما تفرق منه، رجاء ثواب معد لمن أخلص عمله ونيتة لربه.

على أنى ما علمت أن التظاهر على واقع، ولا لى عن الحق الذى سيق إلى دافع، وإذا كان قد أفعم الوادى لى، وحشد النادى من أجلى، فلا مرحبًا بما ساء أحدا من المسلمين، وفى النفس كلام لولا سابق قول، وسالف عهد، لشفيت غيظى بخنصرى وينصرى، وخضت لجتى بأخمصى ومفرقى، لكنى ملجم إلى أن ألقى ربه عز وجل، وعنده أحتسب ما نزل بى، وأنا عادل إلى جماعتكم، ومبايع لصاحبكم، وصابر على ما ساءنى، وسركم؛ ليقضى الله أمرا كان مفعولا، وكان الله على كل شىء شهيدا.

قال أبو عبيدة - رضى الله تعالى عنه - : فعدت إلى أبى بكر وعمر - رضى الله تعالى عنهما - فقصصت القول على غره، ولم اختزل شيئا من حلوه ومره. فلما كان صباح يومئذ وافى على - رضى الله عنه -، فخرق إلى أبى بكر الصفوف، وبايعه، وقال خيرا، ووصف جميلا، وجلس زمنا، واستأذن فى القيام، ونهض، فتبعه عمر؛ تكرمة له، واستشارا لما عنده، فقال له على : ما قعدت عن صاحبكم؛ كارها له، ولا أتيته؛ فرقا منه، وإنما أقول ما أقول تعلقة، وإنى لأعرف مسمى طرفى، ومخطئى قدمى، ومتزع قوسى، وموقع سهمى، ولكنى قد أزمت على فاسى؛ ثقة بالله فى الأدالة فى الدنيا والآخرة. فقال عمر - رضى الله عنه - : كفكف غربك، واستوقف سربك، ودع العصا بلحائها، والدلاء برشائها، فإننا من خلفها؛ وورائها، إن قدحنا أوريثنا، وإن متحنا أروينا، وإن جرحنا أدمينا، وإن نصحننا أرينا، ولقد سمعت أمانيك التى لغوت بها عن صدر مقصور بالجوى، ولو شئت لقلت على مقاتلتك، ما إذا سمعته ندمت على ما قلته.

زعمت أنك قعدت فى كسر بيتك؛ لما وقذك به رسول الله ﷺ بفراقه، أفرار رسول الله ﷺ وقذك وحذك، ولم يقذ سواك، بل مصابه أعظم وأعز من ذلك، فإن من حق مصابه ألا يصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها، ولا يزرى على اختيارها، بما لا يؤمن كيد الشيطان فى عقباها.

هذه العرب حولنا والله لو تداعت علينا فى مصبح يوم؛ لم نلتق فى ممسائه، وزعمت أن الشوق بك إلى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره، فمن الشوق إليه نصرة دينه، ومؤازرة أولياء الله تعالى جده، ومعاونتهم فيه؛ وزعمت أنك عكفت على عهد الله؛ تجمع ما تبدد منه، فمن العكوف على عهده: النصيحة لعباده، والرافة على خلقه، وبذل ما يصلحون به، ويرشدون إليه. وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر عليك واقع، [ولك عن الحق الذى سبق إليك دافع!! فأى تظاهر وقع عليك، وأى حق لك ليطر دونك]، قد علمت ما قالت الأنصار لك بالأمس سرًا وجهرًا، وما تقلبت عليه بطنًا وظهرا، فهل ذكرتك، أو أشارت بك، أو وجدنا رضاها عندك؟! هؤلاء المهاجرون، من الذى قال منهم بلسانه تصلح لهذا الأمر، أو أوما بعينه، أو همهم فى نفسه؟! أتظن أن الناس قد ضلوا من أجلك، وعادوا كفارا زهدًا فيك، وباعوا الله عز وجل ورسوله ﷺ؛ تحاملا عليك؟! لا والله، ولكنك اعترلت تنتظر الوحى، وتتوكف مناجاة الملك لك، ذاك أمر طواه الله - عز وجل - بعد نبينا محمد ﷺ.

أكان الأمر معقودا بأنشطة، أو مسدودا بأطراف ليطه؟! كلا والله، إن العناية لمحلقة، وإن الشجرة لمورقة، ولا عجماء بحمد الله إلا وقد أفصحت، ولا عجفاء إلا وقد سمئت، ولا شوكاء إلا وقد لقحت.

ومن أعجب شأنك قولك لولا سابق قول، وسالف عهد؛ لشفيت غيظى، وهل ترك الدين لأحد من أهله أن يشفى غيظه بيده ولسانه، تلك جاهلية قد استأصل الله شأفتها، ودفع عن الناس آفتها، واقتلع جرثومتها، وهور ليلها، وغور سيلها، وأبدل منها الروح والريحان، والهدى والبرهان.

وزعمت أنك ملجم، فلعمري إن من اتقى الله عز وجل، وأثر رضاه، وطلب ما عنده، أمسك لسانه، وأطبق فاه، وجعل سعيه لما وراءه.

فقال على - رضى الله تعالى عنه وأرضاه -: والله ما بذلت ما بذلت وأنا أريد نكته، ولا أقررت بما أقررت وأنا أبغى حولاً عنه، وإن أخسر الناس صفقة عند الله من أثر النفاق، واحتضن الشقاق، وبالله سلوة من كل كارث، وعليه التوكل فى جميع الحوادث. ارجع إلى منزلك يا أبا حفص، ناقع القلب، مبرود الغليل، فسيح البال، فليس وراء ما سمعته، وقلته إلا ما شد الأزر، ويضع الإصر والوزر، ويجمع الألفة، ويرفع الكلفة، ويوقع الزلفة، بمعونة الله عز وجل، وحسن توفيقه.

قال أبو عبيدة - رضى الله عنه -: فأنصرف عمر - رضى الله عنه - وهذا أصعب ما مر بناصيتى بعد فراق رسول الله ﷺ.

قال أبو حيان: وروى لنا هذا كله أبو حامد، ثم أخرج لنا أصله، فقابلناه به فما كان غادر منه إلا ما لا بال له، فأما ما رواه أبو منصور الكاتب، فإنه خالف فى أحرف فى حواشى الكتاب كل حرف بإزاء نظيره الذى هو مبدل منه، وقد كان أبو منصور بلغة العرب أبصر، وفى غرائبها أنفذ، وإنما قدمت رواية أبى حامد؛ لأنه بشأن الشريعة أعلم، ولأعاجيبها أحفظ، وفيما أشكل منها أفقه، فكان إسناد الحديث من جهته.

وقال لنا أبو منصور الكاتب فى حديثه: ولما حضر على أبى بكر - رضى الله تعالى عنهما - قال له أبو بكر - رضى الله عنه -: إن عصابة أنت فيها لمعصومة، وإن أمة أنت فيها لمرحومة، ولقد أصبحت عزيزاً علينا، كريماً لدينا، نخاف الله إذا سخطت، ونرجوه إذا رضيت، ولولا أنى شدهت لما أجبت لما دعيت إليه، ولقد حطَّ الله عن ظهرك ما أثقل به كاهلى، وما أسعد من نظر الله إليه بالكفاية، وإنا إليك محتاجون، وبفضلك عالمون، وإلى الله - عز وجل - بك فى جميع الأحوال راغبون.

شرح ما وقع فى هذه الرسالة من الغريب

المفن: الذى يتصرف فى كل فن. المخلط: الذى يخلط بعض الأمور ببعض. المزيل: الذى يفصل بعضها عن بعض. المعنى: الذى يتصرف فى المعانى. الجوى: الهوى. الجواء: الناحية. المتنفس: الاستراحة، والاتساع. السقيفة: سقيفة بنى ساعدة، التى اجتمع فيها الأنصار عند موت النبى ﷺ. الفن: النوع،

يجمع على فنون. المتن، فى الحديث: نصه على وجهه، وهو من كل شىء ظهره. الحقائق: جمع حقة، وهو وعاء يجعل فيه الطيب والأعلاق، والغوص: الدخول فى الشىء الغامض. نسيج وحده: أى فريد ما له نظير، وأصله فى الثوب الرفيع الذى لا مثال له يصنع له منسج وحده، لا ينسج عليه غيره، فاستعير ذلك للرجل الذى لا نظير له فى فنه. سرد الحديث: نصه، ووصل إسناده. الهنة: اللطيف من كل شىء. رخص عرها: أزال مكروهاها، وأصله من العرّ، وهو: داء يأخذ الإبل، فيكوى غير المصاب به؛ فيشفى. قال الشاعر: [من الطويل]

... .. كَذَى العَرَّ يَكْوَى غَيْرُهُ وَهَوَّ رَاتِعُ

التلكؤ: التأخر. الشماس: النفار. التهمم، والهمهمة: كلام لا يصرح به. النفاس: المنافسة والحسد. ذات البين: الحال المتصلة، من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] الظهير: المعين الذى يشد به الظهر. يُدْمَنُ أرضه بالسرحين أى: يصلحها به. مئاة، والثأى: الفساد، وأصله فى الخرز، وهو: أن يثقب الخرزة؛ فيصير الاثنتين واحدة، يقال: أثأت الخرز؛ فهو مُثَأًى. المغبوط: الذى يتنافس فيه. خوار العنان، يقال: فرس خوار العنان، إذا كان راكبه يصرفه حيثما أراد؛ فضرب مثلاً. الدوح: الشجر العظيم. الردء: العون. يندمل: يبرأ. السبر: إدخال فتيل فى الجرح؛ ليرى قدر عمقه. غير آل: أى مقصر، من الألو، وهو: التقصير. الجهد- بالضم -: الطاقة، وبالفتح: الغاية، وقد يسوى بينهما. القالى: المبغض الكاره. الجد: التشمير والاجتهاد. مغرقة: أى يغرق فيه. مفرقة: من الفرق، وهو: الفزع والروع، يقول: يفزع من السير فيه. الجوّ: الهواء. أكلف: أغبر. أغلف: شديد الظلمة. جلواء: ظاهرة النجوم. صلعاء: لا نبات فيها. الصعود: المرتفع، وبضم الصاد: المصدر، وكذلك الهبوط بالفتح: المكان المنحدر، وبالضم: المصدر. الشنوف: المبغض. العنوف: الشديد. الثالب: الطاعن. الضغن: العداوة. رائد البوار: قائد الهلاك. شجار الفتنة: الشجار: خشب الهودج، ضربه مثلاً. يدلى بالغرور: الإدلاء: الإدخال فى الأمر، وأصله إدخال الدلو فى البئر. القعة: التأخر، والقعود عن الأمر، وهو مأخوذ من قولهم: وقع الرجل، فهو وقع؛ إذا اشتكى لحم قدميه، ولم يقدر على المشى. الثقوب: الناقة

الغزيرة اللبن، قال: والصواب ثقب العداوة، والثقب: الحطب، وما يهيج به النار. يزجى: يسير. الناجذ: آخر الأضراس. أقاد ضالتك: ردها. الحوص بالحاء المهملة: ضيق فى العين، وبالمعجمة غور فيها. الصعداء: النفس العالى، والغضب، والهم. ولا يغيص: أى ما يبين، ولا يفهم. الهدى الطريق المستقيم. الضراء من الشجر، وكذلك الخمر: يقال يمشى فلان لفلان الضراء، إذا كان يخفى له العداوة حتى يجد فرصة، قال الشاعر:

يمشى الضراء ويتقى

وأصله أن يستتر الصائد من الصيد حتى يرميه. ينقبض: أى يضيق. الفضاء: المتسع من الأرض. الشنان: جمع شنة، وهى القرية البالية اليابسة. القعقة: صوتها إذا حركت للبعير الشارد سكن، يضرب مثلاً لمن يهدد بما لا حقيقة له. الوعوة: صوت الذئب. الشنان: العداوة. يربب، ويشبب، وأصله من شب النار، إذا أوقدها. الغمار: الماء الكثير، وهو: جمع غمرة؛ لغمره من يدخل فيه. الأمراس: الجبال التى يستسقى بها. الصاب: الصبر. نكرع: نشرب. العباب: الموج. العياب، جمع عيبة: وعاء كبير. تحدج: تنظر. تشحذ: تحد. النشب: الضياع. السبد: الوبر، يعنى الإبل. اللبد: الصوف، يعنى الغنى، تقول العرب: ما له سبد، ولا لبد. الهلة: الفرخ، وما يسر به الرجل. البلة: أصلها الرطوبة، ثم استعمل بمعنى الصلة. الرحب: السعة. الذلاقة: الفصاحة. المكنونات: المستورات. الأعطان: مبارك الإبل بعد الورد عند الماء. المخبور: المجرب. أرهص: قدم. وأصل قلص شمر. الأردن: الأكمام. يطلع: يعرج. عطا: تناول. المض، والمضض، والمضاضة: الحرقه، واللجاجة فى الأمر. الأجاج: ضد العذب. ولا تحلم: يقال: حلم الأديم إذا وقع فيه السوس. والعضب: القاطع. نبا ينبو: إذا ضرب؛ فلم يقطع. يجاحش: يدافع، يتضاءل، يتصاغر. يتنفج: أى يفرش. الحوجاء: الحاجة. اللوجاء: إتباع، وتداخل فى الأمر. التعريض: ضد التصريح، الكناية كذلك. يختلج: يضطرب. العصابة: الجماعة. حذب: مشفق، الشجراء: جمع شجير، وهو الصديق. أصفقت: اجتمعت. الإيالة: السياسة. نشرا: النشر: أن تنتشر الغنم فى المرعى؛ فتعدو عليها الذئاب. السدى: الشيء

المهمل. العدا: الأعداء. العرى: العريان. العباهل: الإبل التى لا حافظ لها. الطلاحى: التى كلت؛ فلم تقدر على النهوض. المباهل: الإبل التى لا تمنع أخلافها؛ فيحلبها كل من أراد. صدع بملء فيه: أظهر بكلامه، ودفاعه بيده أى: الذائد الدافع. الحائط: الحافظ الذى يحوط، وكذلك الواقى. الهادى الذى يمشى إلى الأمر الأسد. الحادى: الذى يمشى وراء الإبل. اليافوخ: أصل الدماغ. الصوى: علامة تجعل فى الطريق؛ يهتدى بها: أوضح: بين. الرادع: القامع. الغاوى: الضال المفسد. الضغن: العداوة. الغل: البغض. الثمام: شجر ضعيف. هنية: أى ساعة. ذوق من القول: أى طرف. المحلمة: أن يحلم فى أشياء لا حقيقة لها. الملحمة: موضع القتال. المقحمة: دخول الإنسان فيما لا ينبغى. التأليف: التعطيف، والتسكين. الفتر: ما بين السبابة والإبهام. مشوبة: أى ممزوجة. معتل: أى مستضعف. الرفع: أصل الفخذ. الصالى: المتسخن بالنار. القرار: المكان الذى يستقر به الماء. لعى وسى: السى: إتباع العى، كقولهم حسن بسن، وشيطان ليطان، وجائع بائع. الرتق: ضد الفتق. الرهق: فساد الشيء. الخنزوانة: التكبر. الفراش: عظام رقاق. الشجا: ما يغص به من عود، وعظم، وشبهه. الوحرة: الحقد. الشراسيف: أطراف الضلوع. الدحس: ورم يصيب الدابة فى حافرها، شبه به الانتفاخ من الغضب. الداس البحث عن الأخبار، والتجسس. الخور: الضعف. لبست بسبيه جلد النمر: يقال: لبس فلان لفلان جلد النمر، إذا تنكر، وتهياً لحربه. الشحناء: العداوة. السرى: سير الليل. ابن أنقد - بالذال المهملة - : القنفذ. العوان: التى كان لها زوج. الخمرة: شد الخمار على الرأس. الحصان: المرأة العفيفة. الخبرة: الاختبار. الفرعاء: الكثيرة الشعر. الخال: الحديدة التى يفرق بها الشعر. محتبس: مقيد. معبد: مذلل. ملمس، أى: ما يلمس. مانس: أى تأثير. المزع: القطع. الأثرة: أى ما يؤثر به الرجل دون غيره: أى يخص. مأمونة على الرتق، والفتق: يعنى الإصلاح، والفساد. مفتتا: يعنى بغير اختيارهم. الحمية: الأنفة. انتكث رشاها نقض حبلها. انتضب ماؤها: يقال نضب الماء، إذا جف، وأنضبته أنا، وانتضبته. الأيد: القوة. بأى تدرع: من الدرع. ولهت: أى حنت. تطامن: انخفض. الحبوة: العطية سربله: ألبسه سربالها. قربى

أَمْسَ: أى أَلْصَقَ. العرق: الأَصْل. البازل: الجمل المسن. الهبع: الصغير من أولاد الإبل، وهو الذى يولد فى آخر زمن التناج، فإن ولد فى أوله، فهو رُبْع. تهدر به شقشقتك: يقال هدر البعير، إذا صاح، والشقشقة: ما يخرج من حلقه عند هديره. الصاغية: القرابة. المناضلة: المراماة بالسهام. حذبت: أى أنفت، وقيل: خضعت، وهو لا معنى له هنا، والصواب الأول. الفظ: اطرَح. السخيمة: العداوة. النفاث: ما ينثب به. يمض إهابك: أى يشق جلدك. ويفرى قادمك: أى يقطع، والقادمة: ريش مقدم الجناح، جمعها قوادم. استبرأتها: أى تخلّيت منها. التزمل: الالتفاف. أتوجى: أتعارج. حلت معلوطة: أى نزلت، والمعلوطة: الناقة وسم عنقها بالنار، واسم تلك السمة العلاط. مخروطة: أى دقيقة المؤخر، وهو مكروه فى الإبل، ويقال للناقة إذا زجرت. حل حل: يقال حلحلت بالإبل، إذا قلت لها: حل حل، فإذا لم تزدرج يقال: حل لا حلّيت: أى لا ظفرت، ولا فزت. فهيسى هيسى: يضرب مثلاً لمن وقع فى داهية، وأمر عظيم يحتاج إلى الانزعاج وترك الإخلاد إلى الراحة، وفى القاموس هيسى هيسى على الكسر: يضرب للتمكن من الأمر، والإغراء به انتهى. والهيس: السير الشديد، وأصل هذا المثل أن طسماً أوقعت بجديس، وأبادتها بسبب قصة - أمرها يطول - جرت بينهما، فقال فى ذلك بعض الرجال هذا المثل الذى ضرب عليّ - رضى الله تعالى عنه - فى هذه الرسالة. لَعَا: هذه كلمة تقال عند العرب للعائر إذا عثر؛ دعاء له معناها: انتعش، وقم. على غره: يقال: طويت الثوب على غره - بفتح الغين المعجمة، وبالراء المهملة، والهاء -: أى على طيه الأول، يضرب مثلاً للأمر الذى لم يغير عما كان عليه. مخطى قدمى: حيث تخطو قدمى. أزمت على فاسى: فاس اللجام: ما يدخل منه فى فم الفرس، يقال: أزم الفرس على فاس اللجام، إذا عض عليه استعارة للسكوت. الأدالة: هى انقلاب الأمور. الغرب: الحد. اللحاء: القشر. الرشاء: الحبل. أورينا: من أورى الزند، إذا ظهر منه النار. الماتح - فى قوله: « وإن متحنا »: الذى يخرج الدلو، ومن أمثالهم: « أعرف من الماتح باست الماتح ». مقصور: مقروح. الجوى: داء يعترى فى الجوف. العصام: حبل القرية، يضرب به مثلاً. المؤازرة: المعاونة. تداعت: أى دعا بعضها بعضاً.

العهد - هنا-: القرآن. المهمة: كلام لا يصرح به. الأنشطة: العقدة التى تجبذ بطرفها؛ فتتحل. الليطة: قشر البيضة. الغيبة: ما أظل الإنسان فوق رأسه، كالسحابة أو الغبرة. محلقة: أى مستديرة. استأصلها: انتزعها من أصلها. الشأفة: قرحة تخرج فى القدم؛ فتكوى، يضرب بها مثلاً. الجرثومة - بضم الجيم والثاء المثلثة الأصل، وجرثومة كل شيء: أصله، والجرثومة: ما يجتمع فى أصل الشجر. هوّر ليلها: أصله من هور الرجل البنيان، إذا هدمه، فيريد أذهب ليلها. النكت: النقض. حولا: أى تحولا. احتضن: أى تأبط، والاحتضن: الإبط. الشقاق: الخلاف. نافع القلب: أى يرتوى. مبرود الغليل: الغليل: حرقة العطش. الفسيح: الواسع. اللبان: الصدر. الأزر: القوة. الوزر: الثقل، وأراد هنا الإثم. الإصر: الثقل. شدهت: أى تحيرت. الكاهل: أعلى المنكين.

انتهت الرسالة، وقد نقلتها من كتاب المسامرة للشيخ الأكبر العارف بره: سيدى محبى الدين بن عربى، وقد بالغت فى تصحيحها وضبطها، وبذلت فى ذلك وسعى وجهدى، وقابلتها بنسخة أخرى؛ فصحت إن شاء الله تعالى، والله الحمد والمنة. قلت: هذه الرسالة وإن أوردها الإمام المذكور فى كتابه المزبور، فعندى فى صحة اتصالها لمن رويت عنه - وهو أبو النفاخ مولى أبى عبيدة، عن أبى عبيدة، رضى الله عنه - وهَمَّ بلا شك؛ إذ فيها ألفاظ نسبت إلى عمر - رضى الله عنه - تحيل العادة نطقه بها فى حق مثل على - رضى الله تعالى عنهما - خصوصاً قوله: ما هذه الخنزوانة التى فى فراش رأسك، وما هذا الشجا، وما هذه الوحرة، وما هذا الدحس والدلس، وما هذا الذى لبست؛ وقوله: يمض إهابك، ويفرى قادمك؛ وقوله: تقرع السن من ندم، وتشرب الماء ممزوجاً بدم، إلى غير ذلك من الألفاظ الفاضحة، والكلمات الجارحة، فحمى الله - تعالى - عمر أن يقول مثل هذه الألفاظ فى حق مثل عليّ الذى يقول هو فيه: لولا عليّ لهلك عمر، إذ مثل هذه الألفاظ ما صدرت من بعضهم لبعض فى زمن الجاهلية الجاهلاء، فكيف بعد الإسلام، وامتلأ قلوبهم وأسماعهم بأنوار النبوة وأخبار السماء.

وكذلك ما فيها من قول على - رضى الله تعالى عنه - : « حلت معلومة . . . » إلى آخر ما رواه عن على مما يشعر، بل يصرح بعدم رضاه بالبيعة لأبى بكر وسكوته،

وتمثيله بقوله: أزمت على فاسى، والتصريح بأن التظاهر واقع عليه، وأنه إنما ترك شفاء غيظه؛ لسابق قول وسالف عهد - يعنى من النبى ﷺ - بالوصية له بترك القتال كما تدعيه الروافض، وقوله: وإنى عادل إلى جماعتكم ومبايع لصاحبكم، وصابر على ما ساءنى وسركم، وغير ذلك من الألفاظ التى نسبت إليه مما تدل تعريضا وتصريحا على عدم رضاه بالبيعة لأبى بكر، وأنه مقهور عليها، مضطهد فيها، معدول عنه بها، مخذول فى أمرها كما هو عقدة عقيدة الروافض، فإنهم اعتقدوا ذلك، ولم يفتنوا لما يلزم على ذلك من نسبة القبائح والردائل إلى الإمام المعصوم فى زعمهم التى لا تضاف إلى من له أدنى شهامة، ولا يرضى بها كريم ولا ذو كرامة: من اتصافه بالجبن والذلة، مع اتصافه بضدهما عند كل أهل ملة، بل وجميع بنى هاشم، ومن يليهم من جملة المهاجرين، ومن السكوت عن الحق، والإقرار على الظلم والعق، ومن تواطؤ الصحابة جميعهم على الحيف والظلم والجهالة: المنفى ذلك عنهم بشهادة: لا تجتمع أمتى على ضلاله.

فلا تغتر بما حوته هذه الرسالة المجهولة رجال الإسناد؛ فتعدل إليها عما تقدم مما روته أئمة الحديث الخبراء النقاد، وكان الصواب ألا تثبت فى إصدار ولا إيراد، ولكن جرى قلم التقدير بما أراد.

وقد اطلعت على قصيدة فى تفصيل ما يلزم من قال بعدم أهلية أبى بكر للخلافة، وأن عليا منع عنها قهرا؛ فسكت عجزا، وبائع قسرا، وهى للعلامة الفهامة الشيخ عبد الحى الشامى، نظمها فى ذيل كتاب صنفه الإمام عبد الله بن أسعد اليافعى، نفع الله به فى هذا المعنى، فاستكتب الشيخ المذكور الكتاب المذكور رجل من السادة الأشراف؛ فكتب له، وكتب هذه القصيدة فى ذيله من نظمه، وهى: [من الرجز]

محاسنٌ لَنَشْرَهَا أَشْمُ	فِي طَيِّهَا طَوْدُ الْعُلَى الْأَشْمُ
مَعَارِجٌ لَيْسَ إِلَى سَنَائِمِهَا	إِلَّا قَوَى الْعِزَمَاتِ يَسْمُو
أُقْعِدَ عَنْهَا قَصْرًا أَمْثَالُنَا	وَنَالَهَا حُرُّ الْأَدِيمِ شَهْمُ
صَاحِبُهُ التَّوْفِيقُ فِي سُلُوكِهِ	فَهْمُهُ الْأَهْمُ فَالْأَهْمُ
وَنَحْنُ لَا هَذَا وَلَا تِلْكَ وَلَا	لَنَا بِمَا تَخَتَّ النَّقَابِ عِلْمُ
كَأَنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْ وَجُودِنَا	نَفْسٌ تَطَاعُ وَهْوَى يَوْمُ

عن الحضيض فى الحظوظ عَزَمَ
 بأنفس بالفوز لا تهمُ
 بالعزم من حيث يرجى الغنمُ
 هَبْنَا لَكَ اللَّهُمَّ يعفو الجرمُ
 للعبد عن حكم قضاء حتمُ
 فى كُلِّ ما يخصُّ أو يعمُ
 مَسْلَكَ قوم لرضاكَ أُمُوا
 جليسُهم ولا يهيه همُ
 بل الهدى والجهل مُذلهُمُ
 ن الراكعون الساجدون الرخمُ
 ن من عطاء الخائفون الكثمُ
 تحيا البلاد ويزول الغمُ
 عباده هم الرقى والسمُ
 ونيح من له بسوء همُوا
 ومن عداهم همج وبهمُ
 منهج صدق ما نحاه فذمُ^(١)
 خاضو العباب حيث ضلَّ الفهمُ
 على سوى التفريد مذ أَلُمُوا
 ومنهم من بالظهور ينمو
 جلال عدل يقتضيه الحكمُ
 جمال فضلاً عم فيه الحلمُ
 من عطاء وعطاء الجمُ
 يجمعهم من التصوف اسمُ
 من أمرهم قوم عَمُوا وصَمُوا
 فى الله حتى ما بها ملُمُ !؟

نقرأ آثار الألى بهم علَا
 فنتمئى أن نفوز فوزهمُ
 تلك الأمانى المضدرات أهلها
 سبحانه اللهم يا أولى بنا
 لا حول إلا بك أي مهزب
 رُخْمَاكَ يا ذا الطول نرجو أبدا
 فلا تكلنا للقوى واسلك بنا
 القوم خير القوم لا يشقى بهم
 السادة الطهر مصابيح الدجى
 التائبون العابدون الحامدو
 العارفون بالإله الغارفو
 هم الغياث للعباد وبهمُ
 وهم محل نظر الإله من
 طوبى لمن صفت له قلوبهمُ
 إذ هم على بينة من ربهمُ
 سارت بهم نجائب القصد على
 فمنهم أهل القباب والألى
 ومنهم الأفراد لم يعرجوا
 ومنهم أهل الخفاء والفنا
 ومنهم أهل السطا مظاهرا
 ومنهم مظاهر الرحمة وال
 كلاً نمذ هؤلاء وهؤلاء
 وكلهم على افتراق حالهم
 فليت شعري ما الذى ينكره
 أينكرون رفضهم لذاتهم

(١) القَدَم: الغليظ الجافي الأحمق. ترتيب القاموس (قدم).

فى الجاء والرتبة مهما تسمو
 حُمُولِ عافِ اسمُهُم والرسمُ
 مع اقتدارِ إنْ رُمُوا أنْ يُصْمُوا
 نفوسِهِم بشأنها ما اهتَمُوا
 ضاة الإلهِ مَذْحُهُم والذَّمُ
 مُبْحُ فيدى الحسنَ منها الكتمُ^(١)
 مِنْ دونِ عليا مستماها النجمُ
 قوم لهم فى الذكرِ ذَكْرٌ ضَخْمُ
 مَنْ لا له مِنْ اليقينِ سَهْمُ
 لَهُ وفى طرزِ الوجودِ رَقْمُ
 لَعَلْنَا إِلَيْهِمْ نُضْمُ
 حَ اليافعيّ إنه بمثله يُؤْتَمُ
 مُصَنَّف بحر حجي خِضْمُ
 تَأْلِيْفِهِ والحقُّ لا يغمُ
 يُلَقَمُ أحجارًا لديها الخضمُ
 لِنَفْسِهِ قَدَسَتْهُ الأتمُ
 أَزكى الأصولِ فهو عنه يَسْمُو
 وَهُمْ معاقلُ الهدى والعضمُ
 دينى وإيمانى به يتمُ
 هم روحه والعالمونَ جِسْمُ
 عن سلفِ كل أتاه قَسْمُ
 إلا بهم وما مقالى زَعْمُ
 نص به لدى الجدالِ حَسْمُ
 إني بكم يا قومُ مستندُ
 يَوْمَ عَنِ الرضيعِ تسلو الأمُ

أم قَطَعَهُم مألوفُهُم أم زهدُهُم
 أم دَفَنَهُم وجودُهُم فى تربةِ الـ
 أم صَبَرَهُم على الأذى أم صفحُهُم
 أم كَوْنَهُم مذ بايَعُوا الله على
 قد استوى عندهم فى جَنبِ مَرِ
 تراهم كالأرضِ يُلْقَى فوقها الـ
 مائِرَ حباهم الله بها
 ماذا عسى يحصى المديح مِنْ ثنا
 أعزَّهُم ذو العِزِّ أن يعرفَهُم
 فهم خبايا فى زوايا غَيْرَةِ الـ
 حياهم الله وأحيانا بِهِم
 وَقَدْسِ اللّهُم رُو
 جزاه مولانا الرضا فإنه
 قد قامَ بالله وقالَ الحق فى
 فهو كتابٌ قد حوى مباحثًا
 ومن يَكُنْ قيامه الله لا
 خبرته برسمِ مولى أصلُهُ
 فَرَعُ الذين هُمْ أئمة الورى
 بيتُ النبيّ والذين حُبُّهُمْ
 كُلُّ كمالٍ فى الورى فإنما
 تَوَارَثُوا ملكَ المعالى خلقًا
 ما نال مِنْ قَرَبِ الإلهِ نائلُ
 مدينة العلمِ عليّ بابُها
 يَأْهَلُ بيتَ لا يَضامُ جارُهُم
 وليسَ إلا أنْتُمْ وَسَيْلَتِي

(١) الكَتَمُ: نبت يخلط بالحياء ويخضب به الشعر فيبقى لونه. ترتيب القاموس (كتم).

إذا نبا السيف وطاش السهم
توهن الجلد لها والعظم
تنيرُهُ منكم بُدُور تَمَّ
لَكُمْ تسامى عربها والعُجم
لأنَّكُمْ الأعلَوْنَ حقًّا فاسموا
حسبُ الدَّعِي خزيه والإثمُ
من كَيْهَا على القلوبِ وسُمُ
مشيئةً في خلقه وحُكْمُ
فمستحيلٌ حلُّه والبرمُ
والأمثلونَ للأشدَّ سموا
بالغيبِ وحيًا ليس فيه رَجْمُ
سماعٌ مجرى الطَّفِّ^(١) أو أصمُ
وقَعَ الحسامُ بالحشا يحمُ
عن رُتَبٍ لأهلها تتمُ
يَهُونُ كُلُّ كارِثٍ يهْمُ
وقَارَ بالزلقى ذووها العظمُ
مِنْ أن تكونَ للحبيبِ قسَمُ
للفضلِ غير بيتكُم ملَمُ
لَهُ على الأُمَّةِ فهو القَدَمُ
مفرطٍ فيما عليه الجَمُ
حبيبٌ مَنْ إلى هواه انضَمُوا
م حسبما دَلَّ عليه العِلْمُ
يجلُّ عنها قدرُهُ وَيُسْمُو
وهو كما علمتُ ذاك القَرَمُ

أنْتُمْ لخيرِ عدةٍ وعدة
أعظمُ بكم غوثًا إذا عظيمةُ
أنتم ضياءُ الكونِ كلِّ زمنٍ
كيف وشمسُ الفلواتِ جدكم
لا والذي أعلى به أقدارُكُمْ
هذا هو الفخر الذي لا يُدعى
وما جرى مِنَ العظائم التي
تلك بأمرِ الله والله له
ما كان في أم الكتابِ مبرمًا
ومن بهذا الفضلِ أولى منكمُ
على لسانِ صادقٍ مُتَّباً
هذا على أنى كنتُ لم أطق
كأن وقعَ ذكره في مسمعي
حتى أريتُ ما به من حُكْمِ
سعادة قَعَسَاء دُونَ بعضها
نالَ بها جَهْدَ الشقاءِ أهلُهُ
وهذه الدنيا أقلُّ خطرًا
وأنتمُ الأحبابُ والحبُّ وما
بحبِّكُمْ قَدَمٌ من قدمه الـ
برغم أنفِ رافضيٍ مُفْرِطِ
عجبتُ من عصبه إفاكِ أبغضوا
وهو أحبُّ صاحبٍ إلى الإما
قد نسبوا إلى عليٍّ نسبةً
إذ يزعمونَ غَضَبَ قومٍ حقُّه

(١) الطف: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، وبمعنى الجانب، والشاطئ، وسفح الجبل، وفناء الدار، والجمع (طفوف).

عَنْ مِثْلِهَا إِنْ صَحَّ هَذَا الزَّعْمُ
 قَضِيَّةٌ مَا جَاءَ فِيهَا حُكْمٌ؟
 قَدْ تَمَّ بَغْيِي وَلَدَيْكُمْ عِلْمٌ؟
 يَجْهَلُ أَمْرًا ضَرُّهُ أَعْمُ
 إِقْرَارُهُ الظَّالِمُ وَهُوَ ظَلَمُ
 مِنْ الْإِمَامِ وَنَحْكُمُ وَزُمُوا^(١)
 خَافَ الْمَمَاتَ وَهُوَ ذَاكَ الشَّهْمُ؟
 حِيلَ وَعَنْ صَاحِبِهِمْ لَمْ يَخْمُوا
 أَمْ بِالرَّقَى قَدْ حُلَّ مِنْهُمْ عَزْمٌ؟
 أَجَلِ أَبِي بَكْرٍ؟! لِبَسِّ الزَّعْمِ
 تَنْقِصُهُمْ أَيْنَ الذِّكَا وَالْفَهْمُ؟
 مِ إِنَّهُمْ بَغْيِرِ حَقٍّ هَمُّوا
 جَنَابِهِمْ فِي ضَمْنٍ ذَا يَنْضُمُ
 فِي مَهْدٍ قَرَبِ الْوَحْيِ مِمَّا نُمُوا
 خِيفَ لَدَيْهِمْ فِي الْإِلَهِ خَضُمُ
 قَدْ حَاولُوا أَنْ يَمْدَحُوا فَذُمُوا
 نَقَائِصًا سَمَاعَهَا يُصْمُ
 إِلَى الَّذِي إِلَيْهِ فِيهِ الْحُكْمُ
 مَنَاهِجِ الْحَقِّ لَهَا نَوْمُ
 لَقَدْ تَشَقَّقْنَا لِمَا يَهُمُ
 حِظًّا بِهِمْ لِشَمْلِنَا يَلُمُ
 وَمَشْرَعًا لَهُ رِضَاكَ خَتَمُ
 وَقَارُئًا وَسَامِعًا يَأْتُمُ
 بَكْتَبِهِ اسْتَخْدَمْنَا لَتَسْمُو
 عَقْدَ فَخَارٍ لَمْ يَشْنُهُ قَضُمُ

فَأَيُّ وَجْهِ لِسُكُوتٍ مِثْلِهِ
 كَيْفَ نَقُولُ يَا غَلَاةَ الْأَمْرِ فِي
 أَجَاهِلًا كَانَ عَلَيَّ أَنْ مَا
 حَاشَا جَنَابَ بَابِ حَضَنِ الْعِلْمِ أَنْ
 أَوْ قِيلَ أَغْضَى عَالَمًا يَلْزَمُكُمْ
 وَهَذِهِ أَدْمَى مِنَ الْأَلَى اسْتَحُوا
 أَعَاجِزًا كَانَ عَنِ الدِّفَاعِ أَمْ
 رَأَتْ بَنُو هَاشِمٍ حَقًّا دُونَهُ
 جُبْنٌ بِهِمْ أَمْ بِالسِّيَوفِ فَلَلُ
 أَمْ أَجْمَعَ الْكُلَّ عَلَى الْبَاطِلِ مِنْ
 أَهْكَذَا مَنْ حَبٌّ قَوْمًا يَنْتَجِي
 كَيْفَ يَقَالُ فِي الصَّحَابَةِ الْكِرَا
 وَهُمْ أَجَلُ رَتْبَةٍ مِمَّا إِلَى
 حَاشَا قُلُوبًا أَرْضَعَتْ ثُدَى الْهُدَى
 لَوْ عَلِمُوا حَقِّيَّةَ الْأَمْرِ لَمَّا
 بَلْ عَصَبَةُ الْجَهْلِ بِحَقِّ رَأْيِهِمْ
 عَزَّوْا إِلَى الْكَامِلِ فِي مِذْحَتِهِمْ
 نَبْرًا مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ جَمْلَةٌ
 وَنَرْتَجِي مِنْهُ هِدَايَةً إِلَى
 وَبِالرَّسُولِ وَالذِّينَ مَعَهُ
 أَوْفَرَ لَنَا اللَّهُمَّ مِنْ حُبِّهِمْ
 وَاجْعَلْ لَنَا هَذَا الْكِتَابَ حُجَّةً
 وَارْحَمْ بِهِ مُؤَلِّفًا وَكَاتِبًا
 وَاجْزِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَرَ الْأَوْفَى لِمَنْ
 السَّيِّدُ ابْنُ السَّيِّدِ ابْنُ سَيِّدٍ

(١) زُمُوا: زَمَّ البعير: خطمه، وهو زجرٌ لهم عن التماذي في أمرهم.

عبد الكريم ابن الكريم صنوه
بِجَدِّهِ وَجِدِّهِ وَجُودِهِ
خدمتُ علياه به ممثلاً
أعملتُ أقلامي به قامتُ على
لا يدعُ أن طابَتْ فمن تاريخه
مَعَ اعترافِي بالقصُورِ راجياً
حسبُ الطروسِ^(٢) مفخراً أن نالها
أو قصر المذح ففى تاريخه
فَخُلِقَ وَمَخْتَدٌ^(١) وإسْمُ
لُذِّ وَاعْتَصِمَ وَاعْنِ عَدَاكَ العَدَمُ
لأمره وهو على حنم
أُمُّ الرءوسِ طاعة تؤمُّ
«محاسنٌ لنشرها أشمُ»
منه الذى عَوَّدْنِيهِ الحَلْمُ
بسَغيها فى راحَتَيْكُم لثَمُ
«محامدٌ لحسنه تيمُ»

والحاصل أنه وردت الأحاديث فى شأن خلافة أبى بكر الصديق، وهى الأحاديث الأربعة عشر الآتية المستدل على حقية خلافته، وأحقية بها المصدر بها الأحاديث الآتية، فإنها تنبيه سابق منه - عليه الصلاة والسلام - وتقرير لاحق من الصحابة، وشهادة منهم بصحة خلافته، وأنها لم تكن إلا بحق، إذ بعضها مصرح بخلافته على الترتيب الواقع منه - عليه الصلاة والسلام - تارة من فهم الصحابة، خصوصاً أحاديث مرأيه عليه السلام فإنها أحاديث متفق على صحتها^(٣)، وكذلك حديث الأمر بالافتداء بأبى بكر^(٤) وفهم الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - من ذلك التنبيه على الخلافة، وحديث استخلافه - عليه الصلاة والسلام - لما ذهب عليه السلام؛ ليصلح بين بنى عمرو بن عوف بقاء^(٥)، وحديث استخلافه عليها - أيضاً - فى مرض

(١) المختد: الأضل والطبع. ترتيب القاموس (حتد).

(٢) واحدها طرس، والطرس: الصحيفة، أو التي مُحِيت ثم كتبت. ترتيب القاموس (طرس).

(٣) منها حديث ابن عمر عند البخاري (٧٠٢٠)، ومسلم (١٩-٢٣٩٣)، وحديث أبى هريرة عند البخاري (٧٠٢١)، ومسلم (١٧، ١٨، ٢٣٩٢). وقال الحافظ فى الفتح (١٤/٤٥٠): وفى الحديثين أنه من رأى أنه يستخرج من بئر ماء أنه يلي ولاية جلييلة، وتكون مدته بحسب ما استخرج قلة وكثرة. اهـ

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٩٧)، وأحمد فى المسند (٣٩٩/٥)، وفى فضائل الصحابة (٤٧٩)، والحميدي (٤٤٩)، وابن حبان (٦٩٠٢) من حديث حذيفة قال: كنا جلوساً عند النبي عليه السلام فقال: «إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي»، وأشار إلى أبى بكر وعمر.

(٥) أخرجه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (١٠٢-٤٢١) من حديث سهل بن سعد الساعدي، وليس فيه أن النبي عليه السلام استخلفه.

وفاته^(١)، وهو من أوضح الأدلة، وعليه اعتمد عمر وعلى وغيرهما من الصحابة في الاستدلال على خلافته، وعلى أحقيته بها، ووجهه أنه كان - عليه الصلاة والسلام - قد تأهب للنقلة إلى ربه، فعين أبا بكر - رضي الله تعالى عنه - للإمامة، ثم عورض بعرض غيره عليه لذلك؛ فمنع منه ثم لما تقدم غيره - كره ذلك، وصرح بالمنع، ثم أكدته بتكرار المنع، فقال: لا، لا، لا، ثم أردف ذلك بما فيه تعريض بالخلافة بل تصريح بقوله: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»^(٢) فذكر ذلك بتكرار. كل ذلك مع علمه ﷺ بأن ذلك مظنة الخلافة، فإنه كان - عليه الصلاة والسلام - إمامهم في الصلاة والحاكم عليهم، فلما أقام أبا بكر ذلك المقام مع توفر هذه القرائن الحالية، والمقالية علم أنه أراد ذلك.

وفى قوله: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» إشارة، بل أفصح عبارة، ولولا اعتماده ﷺ على تلك الإشارة المصرحة بإرادة الخلافة؛ لما أهمل أمرها، وأشار إلى أن العدول عن أبي بكر إلى غيره من الوقائع العظيمة في الدين بقوله: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» وإنما كان عدم التصريح بها منه ﷺ اكتفاء بنصبه إماما عند إرادة الانتقال عنهم وإحالة على فهم ذلك عنه، ولم يصرح بالتنصيص عليها لأنه ممثّل لما يوحى إليه، لا ينفذ شيئا إلا بأمر ربه بالتنصيص؛ لينفذ قضاؤه وقدره سبحانه في ابتلاء قوم عمت أبصارهم بما ابتلاهم به، وليس فضل من انقاد للحق بزمام الإشارة، ودله نور بصيرته عليه كغيره، فإن من لم يعتقد ذلك بعد بلوغ هذه الأحاديث، والعلم بتلك القرائن الحالية والمقالية، فالظاهر عناده وردة للحق بعد تبيّنه.

ومنها حديث الحوالة - يعنى المرأة التى تعنى الموت - فقال: اتى أبا بكر^(٣)، وهو من أدل الأدلة وأوضحها، وحديثها من أصح الأحاديث، وإن صحت الزيادة على ما رواه مسلم، وهى قوله - عليه الصلاة والسلام - : «فإنه الخليفة بعدى»^(٤)

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧)، ومسلم (٩-٤١٨) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه مسلم (١١-٢٣٨٧)، وأحمد (١٤٤/٦) من حديث عروة عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابًا، فلاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (١٠-٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم. وفيه: «إن لم تجدني فأتني أبا بكر».

(٤) هذه الزيادة ليست عند مسلم، ولم أقف عليها، وانظر فتح الباري (٣٧٣/٧) وشرح النووي =

كان ذلك نصًّا في الباب.

وكحديث إرادة كتب العهد، وقوله ﷺ « فإني أخاف أن يتمنى متمن، أو يقول قائل أنا أولى »، وفي رواية: « كيلا يطمع في الأمر طامع، أو يتمنى متمن »، ثم قال: « ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر »، وفي رواية: « أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليه »^(١) وهذا صريح في الباب أنه نص على إمامته بتوليته من جهته ﷺ، وأنه لم يكتب بل عرف بأنه يكون الخليفة بعده، فجعل الله سبحانه ذلك بإجماع المسلمين، فعلم بما تقرر إجماع الصحابة ومن بعدهم على حقية خلافة الصديق، وأنه أهل لها، وذلك كاف لو لم يرد نص عليها، بل الإجماع أقوى من النصوص التي لم تتواتر لأن مفاده قطعي ومفادها ظني، وحكى بأسانيد صحيحة عن سفيان الثوري: من قال إن عليًّا كان أحق بالولاية من أبي بكر فقد خطأ المهاجرين والأنصار، وما أراه يرتفع له مع هذا عمل إلى السماء.

وأخرج الدارقطني، عن عمار بن ياسر نحوه.

كيف والنصوص القرآنية والسنية ظاهرة، أما نصوص السنة الدالة على خلافته الواردة عنه ﷺ فقد ذكرنا بعضها هنا إجمالاً، وسيأتى باقيها في ذكر الأحاديث التي في شأن أبي بكر، وهي الأربعة عشر حديثاً التي في أولها المستدل بها عليها.

وأما النصوص القرآنية فمنها قوله - تعالى - : ﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَزْدَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٥٤] وذلك أنه لما ارتدت العرب بعد موته - عليه الصلاة والسلام - جاهدتهم أبو بكر والصحابة حتى ردهم إلى الإسلام، كما سيأتى شرح ذلك قريباً، ومنها قوله - تعالى - : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَسْئِدُونَ إِلَى قَوْمٍ أَوْلَى بِأَسِ سَدِيدٍ ﴾ إلى ﴿ أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ١٦]

= لمسلم (١٦٩/٨).

(١) تقدم تخريج رواية مسلم وأخرجه أحمد (٤٧/٦)، وابن سعد في الطبقات (١٣٤/٣)، من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ دعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: « انتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه » فذهب عبد الرحمن ليقوم، فقال: « اجلس، أبى الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر ». وأخرجه البخاري (٥٦٦٦) عن القاسم بن محمد عن عائشة بلفظ: « لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون ».

أخرج ابن أبي حاتم عن جويرية أن هؤلاء القوم هم بنو حنيفة، ومن ثم قال ابن أبي حاتم، وابن قتيبة، وغيرهما: هذه الآية حجة على خلافة الصديق؛ لأنه الذي دعا إلى قتالهم.

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري سمعت الإمام أبا العباس بن سريج يقول: خلافة الصديق في القرآن في هذه الآية، قال: لأن أهل العلم أجمعوا على أنه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا إليه إلا دعاء أبي بكر لهم وللناس إلى قتال أهل الردة، ومن منع الزكاة، قال: فدل ذلك على وجوب خلافة أبي بكر الصديق، وافترض طاعته؛ إذ أخبر الله أن المتولى عن ذلك يعذبه عذاباً أليماً.

قال ابن كثير: ومن فسر القوم بأنهم فارس والروم، فالصديق هو الذي جهز الجيوش إليهم وتماهم أمرهم كان على عهد عمر، وعثمان وهما فرعا الصديق - رضى الله تعالى عنهم - فإن قلت يمكن أن يراد بالداعي في الآية النبي ﷺ أو على، رضى الله تعالى عنه قلت: لا يمكن ذلك مع قوله لن تتبعونا، ومن ثم لم يدعوا إلى محاربة لأولئك في حياته ﷺ إجماعاً، وأما على فلم يتفق له في خلافته قتال لطلب الإسلام أصلاً بل لطلب الإمامة ورعاية حقوقها، وأما من بعده فهم عندنا ظلمة، وعند غيرنا كفار؛ فتعين أن ذلك الداعي الذي يجب باتباعه الأجر الحسن الموعود به في الآية، وبعصيانه العذاب الأليم الموعود به فيها أيضاً - أحد الخلفاء الثلاثة، وحينئذ فيلزم عليه خلافة أبي بكر على كل تقدير؛ لأن حقبة خلافة الآخرين فرع عن حقبة خلافته؛ إذ هما فرعاها الناشئان عنها، المترتبان عليها.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿لَا يَشْرِكُوكَ فِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥] قال العلامة ابن كثير: هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق، رضى الله تعالى عنه.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الرحمن بن عبد الحميد المهري قال: إن خلافة أبي بكر، وعمر، في كتاب الله بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (١) [النور: ٥٥] الآية.

ومنها قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

(١) ينظر: الدر المنثور (٥/ ١٠٠) وزاد نسبه لعبد بن حميد عن أبي العالية بنحوه.

[الحشر: ٨]، وجه الدلالة تسمية الله إياهم صادقين، ومن شهد له الله سبحانه بالصدق لا يكذب، فعلم أن ما أطبقوا عليه من قولهم لأبى بكر يا خليفة رسول الله، هم صادقون، فحيث كانت الآية شاهدة على خلافته، أخرجه الخطيب البغدادي عن الإمام أبى بكر بن عياش.

ومنها قوله تعالى: ﴿ أَهْدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] قال الفخر الرازى: هذه الآية تدل على خلافة أبى بكر؛ لأن تقدير الآية اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، والله تعالى بين فى الآية الأخرى الذين أنعم عليهم بقوله: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩] ولا شك أن رأس الصديقين ورئيسهم - أبو بكر رضى الله تعالى عنه، فكان معنى الآية أن الله أمر أن نطلب الهداية التى كان عليها أبو بكر، وسائر الصديقين، ولو كان أبو بكر ظالماً؛ لما جاز الاقتداء به، فثبت بما ذكرناه دلالة الآية على إمامة أبى بكر وحقيقتها.

واعلم أنه عليه السلام لم ينص بالخلافة على أحد بعينه عند الموت، وإنما وردت منه ظواهر تدل على أنه علم بإعلام الله - تعالى - له أنها لأبى بكر، فأخبر بتلك الظواهر، ولم يؤمر بالتنصيب على أحد بعينه، وقد مرت الإشارة إلى هذا المعنى فيما تقدم قريبا، ولو وجب على الأمة مبايعة غير أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - لبالغ - عليه الصلاة والسلام - فى تبليغ ذلك الواجب إليهم، بأن ينص عليه نصاً جلياً بنقل شهير حتى يبلغ الأمة ما لزمهم، فلما لم ينقل ذلك - مع توفر الدواعى إلى نقله - دل على أنه لا نص.

وتوهم أن عدم تبليغه للأمة؛ لعلمه بأنهم لا يأترون بأمره، فلا فائدة فى التبليغ باطل، فإن ذلك غير مسقط عنه وجوب التبليغ عليه الصلاة والسلام، ألا ترى أنه بلغ سائر التكاليف للآحاد الذين علم منهم أنهم لا يأترون، فلم يسقط العلم بعدم ائتمارهم التبليغ عنه، واحتمال أنه بلغ أمر الإمامة سرا للواحد والاثنين، وأنه نقل كذلك لا يفيد؛ لأن سبيل مثل هذه الشهرة؛ لصيرورته بتعدد التبليغ وكثرة المبلغين أمراً مشهوراً، إذ هو من أهم الأمور لما يتعلق به من مصالح الدين والدنيا، مع ما فيه من دفع ما قد يتوهم فيه من إثارة الفتنة، واحتمال أنه بلغ ذلك مشتهراً، ولم ينقل،

أو نقل ولم يشتهر فيما بعد عصره باطل أيضا، إذ لو اشتهر لكان سبيله أن ينقل نقل الفرائض؛ لتوفر الدواعي على نقل مهمات الدين، فالشهرة هنا لازمة لوجود النص، فحيث لا شهرة لا نص بالمعنى المتقدم - يعنى على التعيين - لواحد بعينه لا لعلی، ولا لغيره؛ فلزم من ذلك بطلان ما تنقله الروافض وغيرهم من الأكاذيب، يستودون به أوراقهم من نحو أنت الخليفة من بعدی مخاطبا به عليا كرم الله تعالى وجهه، ومن خبر سلموا على عليّ بإمرة المؤمنين مما لا وجود له فضلا عن اشتهاره، كيف وما نقلوه من هذين الحديثين وما شابههما مما يروونه حديثا من قوله ﷺ لعلی أنت قاضی دينی^(١) بكسر الدال، وما يروونه حديثا - أيضا - من قوله ﷺ على خير البشر؛ فمن أبى فقد كفر^(٢)، فهذه الأحاديث كذب، باطلة، موضوعة مفتراة عليه ﷺ، ألا لعنة الله على الكاذبين!! .

ولم ينقل أحد من أئمة الحديث أن شيئا من هذه الأحاديث بلغ مبلغ الآحاد المطعون فيها، بل كلهم مجمعون على أنها افتراء، وكذب محض، وبناء مرفض من أبناء رفض، فإن زعم هؤلاء الجهلة الكذبة على الله، ورسوله، وعلى أئمة الإسلام، ومصابيح الظلام أن هذه الأحاديث صحت عندهم - قلنا لهم: هذا محال؛ إذ كيف تفردون بصحة تلك الأخبار مع أنكم لم تتصفوا قط برواية، ولا بصحبة محدث، ويجهل تلك الأحاديث مهرة الحديث، وسياقه الذين أفنوا أعمارهم في الرحلات والأسفار البعيدة، وبذلوا جهدهم في طلبه وفي السعى إلى كل من ظنوا عنده قليلا منه، حتى جمعوا الأحاديث، ونقبوا عنها، وعلموا صحيحها من سقيمها، ودونوها في كتبهم على غاية من الاستيعاب ونهاية من التحرير!! .

وكيف لا والأحاديث الموضوعات جاوزت مئات الألوف، وهم مع ذلك يعرفون واضع كل حديث منها، وسبب وضعه، والحامل لوضعه على الكذب، والافتراء

(١) أخرجه ابن حبان (٥/٣) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أنس بن مالك مرفوعا: «إن أخي ووزيرى وخليفتي من أهلي وخير من أترك بعدى، يقضى ديني وينجز موعدى علي بن أبي طالب». وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، وأقره السيوطي في اللآلئ (٣٢٦/١)، وابن عراق في التنزيه (٣٥٣/١)، والذهبي في الميزان (٤٤٤/٦)، والشوكاني في الفوائد (٣٤٦).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات عن علي وابن مسعود وجابر وأبي سعيد. وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ .

على رسول الله ﷺ، فجزاهم الله خير الجزاء، إذ لولا حسن صنعهم؛ لاستولى المبطلون والمتمردة المفسدون على الدين، وغيروا معالمه، وخلطوا الحق بكذبهم حتى لا يتميز عنه؛ فضلوا، وأضلوا ضلالا ميينا، لكن لما حفظ الله تعالى على نبيه شريعته من الزيغ والتبديل، وجعلوا من أكابر علماء أمته في كل عصر طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم؛ لم يبال الدين بهؤلاء الكذبة المبطلين الجهلة؛ فلذلك قطعت العادة المطردة القطعية بكذبهم واختلاقهم فيما زعموه من نص عليّ صح عندهم دون غيرهم، إن هذا إلا اختلاق، نعوذ بالله من مثله.

وأما قول عمر - رضى الله تعالى عنه - كانت بيعة أبي بكر فلتة، لكن وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه^(١)، فهذه اللفظة مما تشبث به الروافض، وقالوا: إنها قاذحة في حقية خلافة أبي بكر - رضى الله تعالى عنه -؛ وذلك من غباوتهم وجهالاتهم؛ إذ لا دلالة في ذلك لما زعموه؛ لأن معناه أن الإقدام على مثل ذلك من غير مشورة الغير، ومن غير حصول الاتفاق عليه مظنة للفتنة، فلا يقدم أحد على مثل ذلك، على أنى أقدمت عليه، فسلمت على خلاف العادة ببركة صحة النية، وخوف الفتنة لو حصل توان في هذا الأمر.

لا أنها فلتة بمعنى على غير الحق والصواب، فهذا شيء عجاب، وهذا أحد متعلقاتهم التي يعتمدونها، وعقائدهم التي يعتقدونها، وسيأتى بيانها قريباً إن شاء الله تعالى.

فإن قيل ما ذكرتموه مما أوردتموه في حق أبي بكر، واستدلتم به على أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ معارض بما جاء في حق عليّ رضى الله عنه، فقد وردت أحاديث تدل على أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ، فمنها حديث سعد بن أبي وقاص، وابن عباس «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» قال له ذلك، وقد استخلفه لما ذهب إلى غزوة تبوك. أخرجه الشيخان، وأحمد في مسنده^(٢)، والحافظ أبو القاسم الدمشقي في الموافقات، وغيرهم؛ وجه الدلالة أن

(١) أخرجه البخاري (٦٨٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٣١-٢٤٠٤)، وأحمد (١٨٢/١)، والنسائي في الكبرى (١٢٣/٥) رقم (٨٤٤١) من طريق مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه به، وللحديث طرق أخرى في الصحيحين وغيرهما وأما حديث ابن عباس فرواه البزار والطبراني كما في =

موسى استخلف هارون عند ذهابه إلى ربه، فمقتضى التنظير بينهما أن يكون خليفته عند ذهابه إلى ربه كما كان هارون من موسى، وذلك ظاهر جلي.

ومنها حديث يوم غدير خُم « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ... » إلى آخر الحديث. أخرجه أحمد، وأبو حاتم، والترمذي، والبخاري، وفي بعض طرقه « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَإِنَّ هَذَا - يَعْنِي عَلِيًّا - مَوْلَاهُ »^(١) وجه الدلالة أن المولى في اللغة: العتيق، والمعنى، وابن العم، والعصبة، ومنه: ﴿ خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَى ﴾ [مریم: ٥] وسموا بذلك؛ لأنهم يلونه في النسب من الولي، وهو القرب. ويطلق على الحليف، والجار، والناصر، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد: ١١]، وفي قول ابن عرفة والولي، ومنه الآية، قال بعضهم: أي وليهم والقائم بأمرهم، وأما الكافر، فقد خذله، وعاداه ومنه أيضًا قوله ﷺ « أَي امْرَأَةٍ نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلَاهَا فَنَكَاحَهَا بَاطِلٌ »^(٢).

فهذه ثمانية أوجه لا يصح الحمل على شيء من الأربعة الأول منها؛ إذ لا معنى له في الحديث، وكذا لا يصح على المعنى الخامس إلا على وجه بعيد، فإنه يراد بالحليف الناصر والمتبادر إلى الذهن خلافه، إذ الحليف من وجدت منه صورة المحالفة حقيقة، والمجاز خلاف الظاهر، وكذا لا يصح الحمل على المعنى السادس، وهو الجار إلا أن يريد به المجير - بمعنى الناصر - ومنه: « وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ »: أي مجير فرجع إلى معنى الناصر، فتعين أحد المعنيين الناصر والمولى بمعنى المتولى، وأيا ما كان أفاد المقصود، إذ معناه من كنت متولى أمره، والناظر في مصلحته، والحاكم عليه - فعلي في حقه كذلك.

ويقابل هذا المعنى بقوله « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ »

= مجمع الزوائد (٩/١١٢).

(١) تقدم قريباً.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٨٣)، والترمذي (١١٠٢)، وابن ماجه (١٨٧٩)، وعبد الرزاق (١٠٤٧٢)، وأحمد (٤٧/٦، ١٦٥-١٦٦)، والدارمي (١٣٧/٢)، وابن حبان (٤٠٧٤)، وابن الجارود (٧٠٠)، والدارقطني (٢٢١/٣، ٢٢٥-٢٢٦)، والحاكم (١٦٨/٢)، والبيهقي (١٠٥/٧، ١١٣، ١٢٤-١٢٥)، والبخاري في شرح السنة (٢٢٥٥) من حديث عائشة وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم على شرط الشيخين.

وما ذاك إلا لما ذكرناه من النظر فيما يصلحهم وفي الأحكام عليهم، أو يكون معناه من كنت ناصره، ومنصفه ممن ظلمه، والآخذ له بحقه وبثأره - فعلي من حقه كذلك، وقد تعذر وصفه بذلك في حياة النبي ﷺ، فتعين أن يكون المراد به بعد وفاته.

ومنها وهو أقواها سندًا ومتنًا حديث عمران بن حصين « إن عليًا مني، وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدى ». أخرجه أحمد، والترمذي، وأبو حاتم^(١). وحديث بريدة « لا تقع في علي؛ فإنه مني، وأنا منه، وهو وليكم بعدى » أخرجه أحمد^(٢). وحديثه الآخر « من كنت وليه فعلي وليه »^(٣) وجه الدلالة أن الولي في اللغة المولى، قاله الفراء، والمتولى، ومنه ﴿ أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [يوسف: ١٠١] أى متولى أمرى فيهما، وضد العدو - يعنى - المحب والناصر. ولا يتجه حمله على المحب، ولا على المتولى؛ إذ لا يكون لتقيده بالبعدية معنى في الحديثين الأولين، فإنه - رضى الله عنه تعالى - كان محبًا متولياً للمؤمنين حياة المصطفى ﷺ، وبعد وفاته، والحديث الثالث محمول على الأولين فى إرادة البعدية حملًا للمطلق على المقيد، فتعين أحد المعانى الثلاثة، وأيًا ما كان أفاد المقصود.

أما بمعنى الناصر، فقد تقدم توجيهه فى الحديث قبله.
وأما معنى الأول - فإن حمل المولى على معنى المحب، فلا تصح إرادته بمعنى المتولى فظاهر فى المقصود بل صريح، والله أعلم.
قلنا: الجواب من وجهين: أما الأول: فإن الأحاديث المعتمد عليها فى خلافة أبى بكر - رضى الله عنه - متفق على صحتها، وهذه الأحاديث غايتها أن تكون حسنة، وإن صح منها شيء عند بعضهم، فلا يصلح معارضًا، لما اتفق عليه.

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٤/٤٣٧-٤٣٨)، وفى الفضائل (١٠٣٥)، والترمذي (٣٧١٢)، والنسائي فى الكبرى (٥/١٣٢) رقم (٨٤٧٤)، وابن حبان (٦٩٢٩)، والحاكم (٣/١١٠-١١١) من حديث عمران بن حصين.

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٥٦) وفيه قصة وقال الهيثمي فى المجمع (٩/١٣١): رواه أحمد والبخاري باختصار، وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره وضعفه جماعة وبقي رجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٥/٣٥٠)، والنسائي فى الكبرى (٥/٤٥) رقم (٨١٤٤)، (٥/١٣٠) رقم (٨٤٦٥)، والبخاري (٥/٢٥٣٥)، وابن حبان (٦٩٣٠)، والحاكم (٢/١٣٠) وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي وقد تقدم بلفظ أقرب لهذا اللفظ.

ومن عجيب أمر هؤلاء الجهلة أنا إذا استدللنا عليهم بالأحاديث الصحيحة الدالة صريحاً على خلافة أبى بكر - رضى الله تعالى عنه - كخبر: « اقتدوا باللذين من بعدى »^(١)، وغيره من الأخبار الناصة على خلافته، قالوا: هذا خبر واحد، ولا يغنى فيما يطلب فيه اليقين. وإذا أرادوا أن يستدلوا على ما زعموه من النص على خلافة عليّ - أتوا بأخبار لا تدل على زعمهم، كخبر: « من كنت مولاه »^(٢)، وخبر: « أنت منى بمنزلة هارون من موسى »^(٣) مع أنها آحاد، وإما بأخبار باطلة كاذبة متيقنة البطلان واضحة الوضع والبهتان، لا تصل إلى درجة الأحاديث الضعيفة التى هى أدنى مراتب الآحاد، كخبر: « أنت الخليفة من بعدى »^(٤)، وما بعده، مما تقدم ذكره آنفاً. فتأمل هذا التناقض الصريح والجهل القبيح.

لكنهم؛ لفرط جهلهم وعنادهم وميلهم عن الحق، يزعمون التواتر فيما يوافق مذهبهم الفاسد، وإن أجمع أهل الحديث والأثر على أنه كذب موضوع مختلق، ويزعمون فيما يخالف مذهبهم أنه آحاد بل وباطل - وإن اتفق أولئك على صحته وتواتر روايته - تحكما منهم وعناداً، أو زيفاً عن الحق، فقتلوا، وبكل شر قوبلوا. الوجه الثانى: من وجهى الجواب تسليم صحتها، مع بيان أن لا دليل لهم فيها. أما قوله فى الحديث الأول: « إن موسى استخلف هارون عند ذهابه إلى ربه... » إلى آخر ما قيل. قلنا: الجواب من وجهين: الأول - نقول: هذا عدول عما نطق به لسان الحال والمقال، فإنه عليه الصلاة والسلام - قال لعلى تلك المقالة حين استخلفه لما توجه إلى غزوة تبوك، وذلك استخلاف حال الحياة، فلما رأى تألمه، بسبب التخلف - إما أسفاً منه على الجهاد، أو بسبب ما عرض له من أذى المنافقين على ما سنبينه إن شاء الله تعالى قريباً - قال له تلك المقالة؛ إيذاناً له بعلو مكانته منه إلى إقامته مقام نفسه، فالتنظير بينه وبين هارون إنما كان من استخلاف موسى له منضمماً إلى الأخوة، وشد الأزر، والعضدية، وكان ذلك كله حال الحياة مع قيام موسى فيما استخلفه بعد، يشهد بذلك صورة الحال، فليكن الحكم فى على

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

كذلك منضمًا إلى ما ثبت له من أخوة النبي ﷺ، وشد أزره وعضده به، غير أنه لا يشاركه في النبوة كما شارك هارون موسى، فلذلك قال ﷺ: «إلا أنه لا نبي بعدي»، أو بعد بعثي، على سبيل التنظير، ولا إشعار في ذلك بما بعد الوفاة، لا بنفي، ولا بإثبات، بل نقول: ولو حمل على ما بعد الوفاة لم يصح تنزيل علي من النبي ﷺ منزلة هارون من موسى لانتفاء ذلك في هارون فإنه لم يكن الخليفة بعد موسى هارون، وإنما كان الخليفة بعده يوشع بن نون، وأما هارون فقد مات في حياة موسى، فعلم قطعًا أن المراد به الاستخلاف حال الحياة؛ لمكان التشابه، ولا يوجد إلا في حال الحياة؛ لا يقال: عدم استخلاف موسى هارون بعد وفاته؛ إنما كان لفقد هارون حينئذ، ولو كان هارون حيًا لاستخلفه، ولم يستخلف غيره؛ بخلاف على مع النبي ﷺ؛ وإنما يتم دليلكم أن لو كان هارون حيًا بعد وفاته، واستخلف غيره - لأننا نقول: الكلام معكم في تبين أن المراد بهذا القول: الاستخلاف في حال الحياة؛ لمكان التنزيل منزلة هارون من موسى، ومنزلة هارون من موسى في الاستخلاف لم تتحقق إلا في حال الحياة؛ فثبت أن المراد به ما تحقق، لا أمر آخر وراء ذلك. وإنما يتم متعلقكم منه أن لو حصل استخلاف هارون بعد وفاة موسى^(١).

ثم نقول: هب أن المراد: الاستخلاف عند الذهاب إلى الرب، فلم قلت: إن ذلك بالموت، وإنما يكون ذلك كذلك أن لو لم يكن إلا به، وهو ممنوع؛ إذ الذهاب المراد إلى الرب - سبحانه - في الحياة أيضًا، وهل كان ذهاب موسى إلى ربه إلا في حال حياته؟! والصلاة: مناجاة، والدعاء كذلك، والحجاج والعمار وفد الله تعالى؛ فهل الذهاب إلى شيء من ذلك إلا ذهابًا إلى الرب حقيقة، ومطابقتها أوقع من مطابقة الذهاب بالموت؛ فكل ذهاب إلى طاعة ربه ذهاب إلى ربه؛ لأنه متوجه إليه بها، وإن كان في بعض التوجه أوقع منه في غيره، وهذه كالأشياء من أنواع؛

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/٤٣٨): «استدل بحديث الباب - أي حديث «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟» - على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة، فإن هارون كان خليفة موسى. وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته، لأنه مات قبل موسى باتفاق. أشار إلى ذلك الخطابي، وقال الطبري: معنى الحديث أنه متصل بي نازل مني بمنزلة هارون من موسى، وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله: «إلا أنه لا نبي بعدي» فعرّف أن الاتصال المذكور بينهما ليس من جهة النبوة، بل من تخصيص خلافة علي للنبي بحياته، والله أعلم.

فيكون النبي ﷺ استخلف علياً وهو ذاهب إلى ربه، بالخروج إلى طاعته في الجهاد؛ كما استخلف موسى هارون في حال حياته ذاهباً إلى ربه سبحانه، والله أعلم.

الوجه الثاني: أن سياق هذا القول خبر، ولو كان المراد به: ما بعد الوفاة، لوقع - لا محالة - كما وقع كل ما أخبر بوقوعه؛ فإن خبره ﷺ حق وصدق؛ ﴿وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْمَوْتِ إِنْ هُوَ إِلَّا وَتَى يَوْمِئِذٍ﴾ [النجم: ٣، ٤] ولما لم يقع عِلْمُ قطعاً أنه لم يرد ذلك، وقوله - عليه الصلاة والسلام - «إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي على أهلي»^(١) فإنه ﷺ لم يستخلفه إلا عليهم، والقربة مناسبة لذلك. وأما على المدينة فالمستخلف: محمد بن مسلمة، وقيل: سباع بن عرفة، وذكره ابن إسحاق فقال: خَلَفَ رسول الله ﷺ في غزوة تبوك علياً على أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استقلاً. قال: فأخذ عليّ سلاحه وخرج، حتى لحق برسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف، فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك ما خلفتني إلا أنك استقلتني، فتخففت مني^(٢)، فقال - عليه الصلاة والسلام - : «كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي؛ فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك؛ ألا ترضى - يا علي - أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»^(٣).

أو يكون المعنى: إلا وأنت خليفتي في أهلي في هذه القضية، على تقدير عموم استخلافه في المدينة؛ إن صح ذلك. ويكون ذلك لمعنى اقتضاه في تلك المدة عِلْمُهُ رسول الله ﷺ وجهله غيره؛ يدل عليه: أنه ﷺ استخلف غيره - رضى الله تعالى عنه - في قضايا كثيرة، ومرات عديدة.

أو يكون المعنى: الذي يقتضيه حالك وأمرك: ألا أذهب في جهةٍ إلا وأنت خليفتي؛ لأنك مني بمنزلة هارون من موسى؛ لمكان قربك وأخذك عني، لكن قد يكون شخوصك معي في وقتٍ أنفع لى من استخلافك، أو يكون الحال يقتضى أن

(١) أخرجه مطولاً أحمد (١/٣٣٠-٣٣١)، والنسائي في الكبرى (٥/١١٢) رقم (٨٤٠٩)، والطبراني في الكبير (١٢٥٩٣)، والحاكم في المستدرک (٣/١٣٢-١٣٤) من حديث ابن عباس نحوه. قال الهيثمي في المجمع (٩/١٢٣): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط باختصار، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي بلج وهو ثقة وفيه لين.

(٢) في ط: بي.

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٤/١٥٩). وتاريخ الطبري (٣/١٠٣)، ودلائل النبوة (٥/٢٢٠)، والبداية والنهاية (٥/١١)، وقد تقدم تخريج الحديث.

المصلحة في استخلاف غيرك؛ فيتخلف حكم الاستخلاف عن مقتضاه، بمعارض أقوى منه يقتضى خلافة؛ وليس في شيء من هذا كله دليل على أنه الخليفة بعد موته ﷺ.

وأما الحديث الثاني: فقوله فيه: «فتعين أحد معنيين: إما الناصر، وإما المولى بمعنى المتولى»، فنحن نقول بموجبه، لا بالتقدير الذى قدروه، والمعنى الذى عليه نزله؛ لا بل يكون التقدير: من كنت ناصره فعلي ناصره؛ لأن علياً جلى من الكروب فى الحروب ما لم يجله غيره، وفتح الله على يديه فى زمنه ﷺ ما لم يفتح على يد غيره؛ وشهرة ذلك تغنى عن الاستدلال عليه. والتطويل فيه. وإذا كان بهذه المثابة كان ناصراً من كان النبى ﷺ ناصره؛ لما أشاد الله به من دعائم الإسلام المثبتة لربها منه فى عتق الخاص والعام، بنصرة المسلمين وإشادة منار الدين؛ ويكون المعنى: من كنت ناصره فعلى ناصره، وإن كان ذلك واجباً على كل أحد من الصحابة - بل من الأمة - لكن أثبت بذلك لعلي نوع اختصاص؛ لأنه أقربهم إليه، وأولاهم بالانتصار لمن نصره.

وهذا أولى من حمل الناصر على المعنى الذى ذكروه؛ لما يستلزم ذلك من المفسدة العظيمة والوصمة الفظيعة، فى جلة أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، على ما سترره فى الجواب عن الحديث الثالث، الذى أخرجه أحمد والترمذى، عن عمران بن حصين، مما يدل على أنه لا يجوز حمله، على معنى الاستخلاف بعده - عليه الصلاة والسلام - ولا على معنى المتولى؛ ليكون التقدير: فعلي وليه، أى: متولى أمره بعدى، فلا يصح ذلك؛ إذ الإجماع منعقد على أنه لم يرد ﷺ ذلك فى الحالة الراهنة؛ فيكون هذا الحديث الثانى كالحديث الثالث، الذى سيأتى الكلام عليه مستوفى قريباً.

على أنا نقول: لم لا يجوز أن يكون المراد: الولى المنعم؛ استعارة من مولى العتق، التفاتاً إلى المعنى المتقدم آنفاً فى معنى الناصر؛ فيكون التقدير: من أنعم الله عليه بالهداية على يدى نبيه إلى الإسلام والإيمان، حتى اتصف النبى ﷺ بأنه مولاه - فقد أنعم الله عليه - أيضاً - باستقامة أمر دينه، وأمانه من أعداء الدين وخذلانهم، وقوة الإسلام، وإشادة دعائمه - على يد علي بن أبى طالب، بما

اختصَّ به من دون غيره، مما تقدم بيانه، مما يصحح الاتصاف بأنه مولى له أيضًا. وقد حكى الهروى، عن أبى العباس: أن معنى الحديث: من أحببني وتولاني، فليحب عليًا وليتولهُ.

قال فى «الرياض النضرة»: وفى هذا عندى بُغْدٌ - يعنى: ما حكاه الهروى - إذ كان قياسه على هذا التقدير أن يقول: من كان مولاي، فهو مولى على، ويكون المولى: بمعنى الولى، ضد العدو، فلما كان الإسناد إلى اللفظ على العكس من ذلك، بطل هذا المعنى. ولو [قال] ^(١) معناه: من كنت أتولاه وأحبه، فعلى يتولاه ويحبه؛ كان أنسب للفظ الحديث، وهو ظاهر لمن تأمله.

نعم: يتجه ما ذكره الهروى من وجه آخر. بتقدير حذف فى الكلام، على وجه الاختصار، تقديره: من كنت مولاه، فسيبُلُ المولى - يعنى: وحقه - أن يحب ويتولى، فعلى - أيضًا - مولاه؛ لقربه منى ومكانته من تأييد الإسلام، فيحبه وليتولهُ كذلك.

وأما الحديث الثالث: فقولهم: «فيتعين حمل الولى على الناصر، أو المتولى...» إلى آخر ما قالوه. قلنا: الجواب عنه من وجهين - أيضًا -:
الأول: القول بالموجب على المعنيين، مع البيان بأنه لا دليل لكم فيه.

أما على معنى الناصر: فلما بيناه فى الحديث قبله.

وأما بمعنى المتولى: فقد كان ذلك؛ إذ قد تولى على - رضى الله عنه - أمر الأمة بالخلافة، وإن كان بَعْدَ من كان بعده؛ فقد صدق عليه - رضى الله تعالى عنه - أنه تولى الأمة بعده - عليه الصلاة والسلام - حقيقة. ومثل هذا قد ورد، وسيأتى فى مناقب عثمان - رضى الله تعالى عنه - أنه عليه السلام رأى فى منامه حورية فقال لها: لمن أنت؟ فقالت: للخليفة من بعدك، عُثْمَانُ؛ وحيتُذ فتكون فائدة ذكره عليه السلام ذلك؛ للتنبيه على فضيلة عليٍّ - رضى الله تعالى عنه - والتمرن على محبته؛ فإنه سبلى [عليكم] ^(٢) ويتولى أمركم، ومن تتوقع إمرته فالأولى أن يمرن القلب على مودته ومحبه ومجانبة بغضه؛ ليكون أدعى إلى الانقياد، وأسرع للطوعية، وأبعد

(١) فى ط: كان. والمثبت من الرياض النضرة.

(٢) المثبت من الرياض النضرة.

عن الخلف (١).

ويشهد لهذا المعنى وغيره. حُثَّ ﷺ في هذه الخطبة على أهل بيته عمومًا، وعلى عليٍّ خصوصًا. ويرشد إليه - أيضًا - ما ابتدأ به ﷺ هذا الحديث، ولفظه - عند الطبراني، بسند صحيح - : « أنه ﷺ خطب بغدير خم، ثامن عشر ذى الحجة، مرجعه من حجة الوداع، تحت شجرات بُرُح له ما تحتها بعد صلاة الظهر، فقال: « أيها الناس، إنه قد نبأني اللطيفُ الخبير: أنه لم يُعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله؛ وإنى لأظن أنى يوشك أن أُدعى فأجيب، وإن مسئول وإنكم مسئوليون، فماذا أنتم قائلون ؟ » قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وجهدت، ونصحت؛ فجزاك الله خيرًا. فقال: « أَلَسْتُمْ (٢) تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن جنته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث بعد الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور ؟! » قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: « اللهم، اشهد! ». ثم قال: « أيها الناس، إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم » وفى رواية « أَلَسْتُمْ تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا: بلى. قال: « فمن كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وَالِ من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقَّ معه أينما دار ». ثم قال: « أيها الناس، إنى فَرَطُكم، وإنكم واردون على الحوض، حوضًا عرضه كما بين بُصرى إلى صنعاء، فيه عدد نجوم السماء قِذْحَانٌ من فضة، وإنى سألتكم حين تردون عليّ، وإنى تارك فيكم الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر: كتاب الله - عز وجل - سبَّ طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتى أهل بيتى؛ فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » (٣).

ويشهد له - أيضًا - أن سبب ذلك - كما نقله الحافظ شمس الدين بن الجوزى،

(١) ينظر الرياض النضرة (١/٢٢٧، ٢٢٨).

(٢) في الطبراني: أليس.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٠٥٢) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري بنحوه. وقال الهيثمي في المجمع (١٦٨/٩): فيه زيد بن الحسن الأنماطي قال أبو حاتم: منكر الحديث، ووثقه ابن حبان، وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات. وحديث الحوض عند البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦).

عن ابن إسحاق: أن علياً - رضى الله تعالى عنه - تكلم فيه بعض من كان معه فى اليمن، فلما قضى ﷺ حجه، خطب هذه الخطبة؛ تنبيها على قدره، وردا على من تكلم فيه؛ كبريدة بن الحصيب؛ كما فى البخارى^(١): أنه كان يبغضه. وسبب ذلك: ما صححه الذهبى، أنه خرج معه إلى اليمن فرأى منه جفوةً فنقصه للنبي، فجعل وجه النبي ﷺ يتغير، فقال: «يا بريده! لا تقع فى علي؛ فإن عليا منى وأنا منه، وهو وليكم بعدى»^(٢).

ولا يجوز حمله على أنه المولى عقب وفاته ﷺ فى الأحاديث كلها؛ لوجوه: الأول: أن لفظ الحديث لفظ الخبر، ممن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، ولو كان المراد به كذلك، لوقع لا محالة كما وقع كل ما أخبر عنه؛ فلما لم يقع ذلك دلَّ على أن المراد به غيره.

لا يقال: لم لا يجوز أن يكون المراد بلفظ الخبر: الأمر؟ لأننا نقول: يلزم على ذلك محذوران:

الأول: صرف اللفظ عن ظاهره، وذلك مرجوح، والظاهر راجح؛ فوجب العمل

به.

الثانى: أن ذلك - يعنى: أمر الخلافة - أمرٌ عظيم مهم فى الدين، تتوفر عليه دواعى المسلمين، ومثل ذلك لا يكتفى فيه بالألفاظ المجملة؛ بل يجب فيه التصريح بنص الظاهر.

الوجه الثانى: لزوم مفسدة عظيمة فى الحمل على ذلك، هى: نسبة الأمة إلى الاجتماع على الضلالة، واعتقاد خطأ جميع الصحابة باجتماعهم على تولية أبى بكر - رضى الله تعالى عنهم - وذلك منفي بقوله ﷺ: «لا تجتمع أمتى على ضلالة»^(٣). وما ذكرناه: فى المصير إليه دفع لهذا المحذور، ونفى للظلم والخطأ

(١) أخرجه البخارى (٤٣٥٠) وفيه قول النبي ﷺ لكبريدة: لا تبغضه فإن له فى الخمس أكثر من ذلك.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذى (٢١٦٧) من حديث ابن عمر مرفوعاً إن الله لا يجمع أمتى. أو قال أمة محمد، على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار. وقال الترمذى: هذا حديث غريب من هذا الوجه وله طرق عند الحاكم (١١٥/١ - ١١٦)، وأخرجه ابن ماجة (٣٩٥٠) من حديث أنس وقد ورد عن جماعة من الصحابة. ينظر المقاصد الحسنة (١٢٨٨)، وكشف الخفاء (٤٨٨/٢).

عن الجرم الغفير، المشهود لهم بأنهم كالنجوم: من اقتدى بأيهم اهتدى؛ خصوصاً من أَمَرَ ﷺ بالاعتداء به من بعده وشهد بالرشد لمن أطاعه.

وما تدعيه الرافضة: من أن علياً ومن تابعه في ترك المبادرة إلى بيعته أبي بكر؛ إنما بايعوه بعد ذلك تقية؛ فلا إجماع على بيعته أبي بكر في نفس الأمر - فهذا غاية الفساد؛ لما يلزم عليه من نسبة القبائح والردائل. وقد قدمنا بيان ذلك وكيفية مبايعته؛ من إرسال ابنه الحسن إلى أبي بكر، وخطبة علي - كرم الله وجهه - واعتذاره بالعدو الحسن الجميل؛ فانظره في أول خلافة الصديق، رضى الله تعالى عنه.

الثالث: أن الأحاديث الواردة في أبي بكر، دلت على أنه الخليفة عقيب وفاته ﷺ، وقد بين وجه دلالتها - كما سترها قريباً - على خلافته، مصدراً بها الأحاديث الواردة في شأنه. وأحاديث علي - رضى الله تعالى عنه - مترددة بين احتمالين، في الحمل على أحدهما توفيق بين الأحاديث كلها، ونفى للمحذور اللازم في حق الصحابة كما قررناه؛ وفي الحمل على الثاني إلغاء لبعضها وتقرير ذلك المحذور؛ فكان الحمل على ما يحصل به التوفيق، وينفي به المحذور - أولى؛ عملاً بالأحاديث كلها، وكيف يتطرق خلاف ذلك إلى الوهم، وقد روى عن علي وغيره من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - ما يشهد بصحته، وتبادر الأفهام عند سماعه إلى أنه مانع من تطرق تلك الأوهام «!؟ أم كيف يحل اعتقاد غير ذلك، والإجماع على خلافه؛ فالإجماع على خلافة أبي بكر قاضٍ بالقطع بحقيقتها؛ لأن مفاد الإجماع القطع، ومفاد خبر الواحد ظني؛ ولا تعارض بين قطعي وظني؛ بل يعمل بالقطعي ويلغى الظني، على أن الظني لا عبرة به، جملة كافية عند الشيعة.

فإن قيل: أي إجماع انعقد، مع تخلف مثل: علي، وطلحة، والزبير، وبني هاشم أجمع، والمقداد، وخالد بن سعيد بن العاص، وابن عباس، وأبي ذر، وعمار بن ياسر، وهؤلاء من جِلَّةِ أهل العقد والنحل «!؟.

قلنا: كان تأخرهم: إما لتأثر خواطرهم بترك المشاورة في أمر البيعة والاستبداد بها دونهم؛ فإن الزبير وطلحة قد أفصحوا بذلك، وبادرا بالبيعة في اليوم الثاني. وإما للتروى اجتهدا منهم، فلما ظهر لهم الأمر بايعوا، والله أعلم بالحقائق سبحانه.

الوجه الثالث - من أوجه الجواب عن الحديث الثالث: لم لا يجوز أن يكون الولي هنا بمعنى: المحب الموالى، ضد العدو؟! والتقدير: وهو متوليكم ومحكمم بعدى، ويكون المراد بالبعدية هنا: البعدية فى الرتبة، لا بعدية وفاته عليه السلام، أى: المتقدم فى تولى المسلمين ومحبتهم: [أنا]، ثم على فى الدرجة الثانية؛ لمكانته منى وقربه ومناسبته؛ فهو أولى بمحبة من أحبه، وتولى من أتولاه، ونصرة من أنصره، وإجارة من أجيره^(١).

والحاصل: أن هذا الحديث - يعنى: حديث: « من كنت مولاه » - ليس نصاً على إمامة على - كرم الله وجهه - وكيف يكون نصاً ولم يحتج به هو، ولا العباس - رضى الله تعالى عنهما - ولا غيرهما وقت الحاجة إلى الاحتجاج؛ وإنما احتج به عليّ فى خلافته؛ يقول راوى ذلك، أبو الطفيل - كما عند أحمد والبخاري: جمع عليّ الناس بالرحبة - يعنى: بالعراق - لما آلت إليه الخلافة، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال لهم: أشهد الله من شهد يوم غدیر خم إلا قام، ولا يقوم رجلٌ يقول: نبئت وبلغنى، إلا رجل سمعت أذناه ووعى قلبه؛ فقام سبعة عشر صحابياً - وفى رواية: - ثلاثون - فقال: هاتوا ما سمعتم، فذكروا الحديث المتقدم، ومن جملته: « من كنت مولاه فعلى مولاه »، فقال: صدقتم، وأنا على ذلك من الشاهدين^(٢). فلو كان نصاً لاحتج به ومنع غيره، كما منع أبو بكر الأنصار بخبر: « الأئمة من قريش »^(٣) فأطاعوه، مع كونه خبر واحد، وتركوا الإمامة وادعاءها

(١) ينظر الرياض النضرة (١/٢٢٩ - ٢٣٠).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل (٣٧٠/٦) وقال الهيثمي فى المجمع (١٠٧/٩). رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة، وهو ثقة.

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢/١٦٣ - منحة) رقم (٢٥٩٦) والبخاري (٣/٢٢٨ - كشف) رقم (١٥٧٨) وأبو يعلى (٦/٣٢١) رقم (٣٦٤٤) وأبو نعيم فى الحلية (٣/١٧١) والبيهقي (٨/١٤٤) كتاب قتال أهل البغي: باب الأئمة من قريش، كلهم من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأئمة من قريش إذا حكموا فعدلوا وإذا عاهدوا فوفوا وإذا استرحموا فزحموا وقال أبو نعيم: هذا حديث مشهور ثابت من حديث أنس وقال الحافظ فى تخريج أحاديث المختصر (١/٤٧٤): هذا حديث حسن. هـ وللحديث طرق أخرى عن أنس فأخرجه أحمد (٣/١٨٣) وابن أبي عاصم فى السنة (١١٢٠) من طريق الأعمش عن سهل أبي الأسد عن بكير بن وهب الجزري عن أنس، به. وأخرجه أحمد (٣/١٢٩) والنسائي فى الكبرى (٣/٤٦٧ - ٤٦٨) كتاب القضاء: =

لأجله؛ فكيف - حيثئذ - يتصور وجود نصّ جليّ يقينى لعلّى، وهو بين قوم لا يعصون خبر الواحد فى أمر الإمامة، وهم من الصلابة فى الدين بالمحل الأرفع؛ بشهادة بذلهمّ الأنفس والأموال ومهاجرتهم الأهل والأوطان وقتلهم الأولاد والآباء فى نصرة الدين، ولم يحتج عليّ عليهم بذلك النص الجلى، بل ولا قال أحد منهم - عند طلع النزاع فى أمر الإمامة - : لم يتنازعون فيها، والنص الجلى قد عين فلائنا لها. فإن زعم زاعم أن عليّاً قال لهم ذلك، فلم يطيعوه - كان جاهلاً ضالاً مفترياً منكراً للضروريات؛ فلا يلتفت إليه؛ فإنه لم يقله - كرم الله وجهه - إلا عندما آلت إليه الخلافة؛ بشهادة راويه أبى الطفيل، ولم يحتج به عند وفاته عليه السلام، فسكوته عن الاحتجاج به إلى أيام خلافته، قاض على من عنده أدنى فهم وعقل - بأنه علّم منه أنه لا نص فيه على خلافته عقيب وفاته عليه السلام ^(١).

= باب الأئمة من قریش حديث (٥٩٤٢) من طريق شعبة عن عليّ أبى الأسد ثنا بكير بن وهب الجزري عن أنس به وقد اختلف في اسم أبى الأسد وقد رجح أبو حاتم الرازي أن اسمه سهل فقال ولده في العلل (٢/٤٣٠-٤٣١): سألت أبى عن حديث رواه أبو الجواب الأحوص بن جواب عن عمار بن رزق عن الأعمش عن سهل بن بكير الجزري عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأئمة من قریش» فسمعت أبى يقول: إنما هو الأعمش عن سهل أبى الأسد عن بكير الجزري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم. ١. هـ وأخرجه الطبراني في الكبير (١/٢٥٢) رقم (٧٢٥) من طريق ابن جريج عن حبيب بن أبى ثابت عن أنس بن مالك به وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/٥) من طريق حماد بن أحمد بن حماد بن أبى رجاء المروزي قال: وجدت في كتاب جدي حماد بن أبى رجاء السلمي بخطه عن أبى حمزة السكري عن محمد ابن سوفة عن أنس، به. قال أبو نعيم: غريب من حديث محمد تفرد به حماد موجوداً في كتاب جده. وأخرجه الحاكم (٤/٥٠١) من طريق الصنع بن حزن ثنا على ابن الحكم عن أنس مرفوعاً بلفظ: الأمراء من قریش وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وأخرجه البزار (١٥٧٩) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس بلفظ: الملك في قریش. والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/١٩٥) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط أتم منهما والبزار إلا أنه قال: الملك في قریش ورجال أحمد ثقات، وفي الباب عن عليّ وأبى برزة. (١) قال البيهقي في الاعتقاد (ص ٢٠٣): وأما حديث الموالاة فليس فيه - إن صح إسناده - نص على ولاية بعده، فقد ذكر من طرق في كتاب الفضائل - ما دل على مقصود النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك. وهو أنه لما بعثه إلى اليمن كثرت الشكاية عنه، وأظهروا بغضه. فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكر اختصاصه به ومحبة إياه ويحثهم بذلك على محبته وموالاته وترك معاداته، فقال: من كنت وليه فعليّ وليه. . . والمراد به ولاء الإسلام ومودته. وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً، ولا يعادي بعضهم بعضاً هـ.

على أن علياً نفسه صرح بأنه ﷺ لم ينص عليه، ولا على غيره؛ كما سيأتى عنه .
وفى البخارى وغيره، حديث خروج على والعباس من عند النبى ﷺ، وقول
العباس - وقد أخذ بيد على - : « إنك بعد ثلاث عبدُ العصا، والله لأرى أن رسول
الله ﷺ متوفى فى وجهه هذا، وإنى لأعرف الموت، فى وجوه بنى عبد المطلب؛
فلنذهب إلى رسول الله ﷺ نسأله: فيمن يكون هذا الأمر؛ فإن كان فىنا علمنا ذلك،
وإن كان فى غيرنا أمرناه فأوصى بنا ». فقال على: « والله! إن سألتها رسول ﷺ
فَمَنَعَتَاهَا، لا يعطيناها الناسُ أبداً »^(١) فهذا صريح فيما ذكرناه، من أنه ﷺ لم ينص
على أحد عند موته، وكل عاقل يجزم بأن حديث: « من كنت مولاه » ليس نصاً فى
إمامة على؛ وإلا لَمَ يَخْتَجِ هو والعباس إلى مراجعته ﷺ المذكورة فى حديث
البخارى، مع قرب العهد جداً بيومئذ بينهما نحو الشهرين، وتجويز النسيان على
سائر الصحابة السامعين لخبر يوم الغدير، مع قرب العهد - وهم مَنْ هم فى الحفظ
والذكاء والفتنة، وعدم التفريط والغفلة فيما سمعوه منه ﷺ - محالٌ عادى، يجزم
العاقل بأدنى بدية أنهم لم يقع منهم نسيان ولا تفريط، وبأنهم حال بيعتهم لأبى
بكر، كانوا ذاكرين لذلك الحديث عالمين به وبمعناه؛ فزعم الشيعة والرافضة: أن
الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - علموا هذا النص ولم يتقادوا له؛ عناداً
أو مكابرة بالباطل، وقولهم: « إنما تركها عليّ - رضوان الله عليه - تقية » كذب
وافتراء أيضاً؛ لما قدمناه فيما مرّ، ومنه: إنما كان فى منعة من قومه وعشيرته، مع
كثرتهم وشجاعتهم، وأنه احتج أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - على الأنصار لما
قالوا: « منا أمير ومنكم أمير » بخير: « الأئمة من قريش » فكيف سلموا له هذا
الاستدلال، ولأى شيء لم يقولوا: ورد النص على إمامة عليّ، فكيف تحتج أنت
بمثل هذا العموم؟! .

وقد أخرج البيهقى عن أبى حنيفة النعمان بن ثابت - رضى الله تعالى عنه - أنه
قال: « أصل عقيدة الشيعة: تضليل الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم ». وإنما نبه
على الشيعة؛ لأنهم أقل فحشا فى عقائدهم من الرافضة؛ وذلك لأن الرافضة يقولون
بتكفير الصحابة؛ لأنهم عاندوا بترك النص على إمامة على - رضى الله تعالى عنه -

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٧)، وقد تقدم تخريج ذلك.

بل زاد أبو كامل، وهو من رؤسهم المتقدمين، فكفر علياً؛ زاعماً أنه أعان الكفار على كفرهم، وأيدهم على كتمان ذلك، وعلى ستر ما لا يتم الدين إلا به؛ لأنه لم يرو عن علي - كرم الله وجهه - أنه احتج بالنص على إمامته؛ بل تواتر عنه: «إن أفضل الأمة: أبو بكر وعمر»^(١) فإنه قبل من عمر إدخاله إياه فى الشورى.

وقد اتخذ الملحدون كلام هؤلاء السفلة الكذبة ذريعةً لطعنهم فى الدين والقرآن، وقد تصدى بعض الأئمة للرد عليهم، ومن جملة ما قاله أولئك الملحدون: كيف يقول الله: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أَمْرٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقد ارتدوا بعد وفاة نبيهم، إلا نحو ستة أنفس منهم؛ لامتناعهم من تقديم أبى بكر وعدم رضاهم ببيعته؟! فانظر إلى حجة الملحدين تجدها عين حجة الرافضة، قاتلهم الله تعالى أنى يؤفكون! بل هم أشد ضرراً على الدين من اليهود والنصارى، وسائر فرق الضلال! كما صرح به علي - رضى الله عنه - بقوله: «تفرق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، شرها: من يتحلح حبنا ويفارق أمرنا»^(٢) ووجهه: ما اشتملوا عليه من افتراءهم قبائح البدع وغايات العناد والكذب، حتى تسلطت الملاحدة بسبب ذلك على الطعن فى الدين وأئمة المسلمين؛ بل قال القاضى أبو بكر الباقلانى: إن فيما ذهبت إليه الرافضة مما ذكر، إبطالاً للإسلام؛ لأنه إذا أمكن اجتماع الصحابة على الكتم للنصوص، أمكن فيهم الكذب والتواطؤ عليه لغرض؛ فيمكن أن سائر ما نقلوه من الأحاديث زور، ويمكن أن القرآن عورض بما هو أفصح منه - كما تدعيه اليهود والنصارى فكتمته الصحابة؛ وكذا ما نقله سائر الأمم عن جميع الرسل: يجوز

(١) أخرج البخاري (٣٦٧١)، وأبو داود (٤٦٢٩). وابن أبي عاصم في السنة (١٢٠٦) عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. وينظر باب ما روي عن علي رضي الله عنه من تفضيله أبا بكر وعمر، وإيمائه إلى عثمان بن عفان ثالثهم في الفضل من كتاب السنة لابن أبي عاصم الأحاديث (١٢٠٠ - ١٢٢١).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٩٥) عن علي بلفظ: تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وأنتم على ثلاث وسبعين، وإن من أضلها وأخبثها من يتشيع أو الشيعة والحديث فيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف أخرجه الذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين - ٦٣٧ - ٦٤٢)، بطوله.

الكذب فيه والزور والبهتان؛ لأنهم أقرؤا ذلك فى هذه الأمة التى قد جاء القرآن بأنها خير أمة أخرجت للناس؛ فادعؤهم إياه فى باقى الأمم أخرى وأولى. فتأمل المفاصد التى ترتبت على ما أصْلَهُ هؤلاء!.

وقد أخرج البيهقى عن الشافعى - رضى الله عنه - ما من أهل الأهواء أشد زورًا من الرافضة!.

وكان إذا ذكرهم عابهم بالردالة والسقاطة، وأنهم لا يتوجه معهم خطاب، ولا يرجعون إلى رشد ولا إلى صواب.

وعن الحسن بن أبى الحسن البصرى، قال: لما قدم [على] - رضى الله عنه - البصرة فى أثر طلحة والزبير، يريد قتالهم؛ قال له ابن الكواء وقيس بن عباد: يا أمير المؤمنين، ألا نخبرنا عن مسيرك هذا الذى سرت فيه، ستولى على الأمة وتضرب الناس بعضهم ببعض، أعهدّ من رسول الله ﷺ إليك، فحدثنا به؛ فأنت الموثوق به المأمون على ما سمعت؟! قال: «أما أن يكون عندى من رسول الله ﷺ عهد، فلا والله، لئن كنت أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه، ولو كان عندى من النبى ﷺ عهد بذلك، ما تركت أخوى تيم وعدى يقومان على منبره، ولقاتلتهما لو لم أجد إلا بردى؛ ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة، مكث فى مرضه أياماً وليالى، يأتیه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس وهو يرى مكانى، ولقد أرادت امرأة من نسائه صرفه عن أبى بكر، فأبى وغضب، وقال: «أنتن صواحبت يوسف! يظهرن خلاف ما يبدین؛ مروا أبا بكر فليصل بالناس» فلما قبض الله نبيه ﷺ وقعنا فى أمورنا، ثم اخترنا لدنيانا من رضىه رسول الله ﷺ لدينا، وكانت الصلاة أعظم أركان الإسلام وقواعد الدين؛ فبايعنا أبا بكر فكان لذلك أهلاً، لم يختلف عليه منا اثنان، فأديت إلى أبى بكر حقه، وعرفت له طاعته، وغزوت معه فى جنوده، وكنت أخذ إذا أعطانى وأغزو إذا أغزانى، وأضرب بين يديه الحدود بسوطى. فلما قبض ولأها عمر، فأخذ بستة صاحبه وما يعرف من أمره، فبايعناه ولم يختلف عليه منا اثنان، فأديت إلى عمر حقه، وعرفت له طاعته، وغزوت معه فى جنوده، وكنت أخذ إذا أعطانى، وأغزو إذا أغزانى وأضرب بين يديه الحدود بسوطى. فلما قبض تذكرت فى نفس قرابتى وسابقتى وفضلى، وأنا أظن أن لا يعدل بى،

ولكن خَشِيَ ألاَّ يعملُ الخليفةُ بعده ذنبًا إلا لحقه فى قبره؛ فأخرج منها نفسه وولده، ولو كانت محاباة منه لآثر ولده، ولكن برئ منها إلى ستة نفر من قريش أنا أحدهم. فلما اجتمع الرهطُ تذكرتُ فى نفسى قرابتى وسابقتى، وأنا أظن أن لن يعدلوا بى، فأخذ عبدُ الرحمن بن عوف موثيقَ على أن نسمع ونطيع لِمَنْ ولاه الله - عز وجل - أمرنا، ثم أخذ بيدَ عثمان فضربَ يده على يده، فنظرت فى أمرى فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى، وإذا ميثاقى قد أخذَ لغيرى، فبايعنا عثمان، فأديتُ له حقَّه، وعرفتُ له طاعته، وغزوتُ معه فى جنوده، وكنتُ آخذ إذا أعطانى، وأغزو إذا أغزانى، وأضربُ بين يديه بسوطى.

فلما أصيب عثمان نظرتُ فى أمرى، فإذا الخليفَتان اللذان أخذاهما بعهد رسول الله ﷺ إليهما فى الصلاة قد مضيا، وهذا الذى أخذ له ميثاق قد أصيب، فبايعنى أهلُ الحرمين وأهلُ هذين المصرين.

أخرجه أبو أحمد حمزة بن الحارث، وأبو الفضل ابن خيرون، والدارقطنى، وابن عساكر، والذهبى، وغيرهم، وابن السمان فى « الموافقة »، وزاد بعد قوله: « وأهل هذين المصرين » قوله: « ثم إن معاوية بن أبى سفيان جاء يضربنى بأهل الشام، فكنت - والله - أحق بها منه، والله لو أن أبابكر حين بويع نازعوه لقاتل؛ ولو أن عمر نوزع حين بويع لقاتل » فقالا: صدقت، يا أبا الحسن، وبررت واحتججت، وكنت أحق بها منه. وفى رواية عبدة أنهما قالاه: أخبرنا عن قتالك هذين الرجلين - يعنيان: طلحة والزبير - وهما صاحبك فى الهجرة، وفى بيعة الرضوان، وفى الشورى، قال: « بايعانى بالمدينة، وخلعانى بالبصرة، ولو أن رجلا بايع أبابكر ثم خله، قاتلناه؛ ألا ولو أن رجلا بايع عمر ثم خله، قاتلناه »^(١). قلت: كأنى أنظر وأسمع رافضى الاعتقاد ينكر هذه الرواية ويبطل إسنادها، وينقض مبناها، ويقوّض عمادها؛ إلا قوله فيها: « وأنا أظن أن لا يعدلوا بى... » إلى قوله: « فبايعنا عثمان » فإنه يتخذ ذلك شبهةً دليلٍ وبرهانٍ؛ لما يعتقده من الكذب والباطل والبهتان، عليه من الله ما يستحق!

قلت: ومن جملة زعم الرافضة: أن عليًا إنما سكّت عن النزاع والثار فى أمر

(١) ينظر السابق (٦٤٢).

الخلافة وطلبها؛ لأن النبي ﷺ أوصاه ألا يوقع بعده فتنة ولا يسلم سيفاً. وسمعت من بعض غُلَاتِهِمْ: أن علياً كان يتحدث مع فاطمة في شأن الخلافة، وكأنها تلومه في سكوته، فأذن المؤذن حينئذ، فقال لها علي - رضى الله عنه - : « لولا خوفاً في انقطاع هذا الصوت أو الذكر - مشيراً إلى الأذان - لجعلت أرضها سماءها » فإن صح كلام هذا الغالى، فقد اختلفت العلتان عليهم: الوصية في الأول، والخوف في الثانى، وكلا العلتين معلول بأنهما افتراء وكذب وضلالة، وحمق وغباء وجهالة عما يترتب على ذلك؛ إذ كيف يعقل مع هذا الذى زعموه أنه جعله إماماً والياً على الأمة بعده، ومنعه من سل السيف على من امتنع من قبول الحق ولو كان ما زعموه صحيحاً، لما سل - كرم الله وجهه - السيف فى حرب صفيين وغيرها، وقاتل بنفسه وأهل بيته وشيعته، وبارز الألوف منهم وحده؛ أعاده الله من مخالفة وصية رسول الله ﷺ!

وأيضاً، فكيف يتعقلون أنه ﷺ يوصيه بعدم سل السيف على مَنْ يزعمون فيهم أنهم مجاهدون بأقبح أنواع الكفر؛ من مخالفة أمره ﷺ، ودفع مَنْ نَصَّ على أنها له، والتمالؤ والاجتماع على إعطائها لغير من هى له، ومنع فاطمة - رضى الله عنها - إرثها بغير دليل، فهما ومن نحا نحوهما عندهم مرتدون؛ حماهم الله من ذلك ورضى الله عنهم! فجهادٌ مثل هؤلاء حتمٌ على الأمة عموماً، وعلى الخليفة خصوصاً.

قال بعض أئمة أهل البيت النبوى من العترة الطاهرة: وقد تأملت كلماتهم - يعنى الرافضة - فرأيت قوماً أغمى الله بصائرهم؛ فلم يبالوا بما يترتب على مقاتلتهم من المفاصد؛ ألا ترى إلى قولهم: إن عمر - رضى الله عنه - قاد علياً بحمائل سيفه، وحصر فاطمة فهابت، فأسقطت ولداً اسمه المحسن، فقصدوا بهذه الفرية القبيحة، والغباء التى أورثتهم العار والبوار والفضيحة؛ إغيار الصدور على عمر - رضى الله تعالى عنه - ولم يبالوا بما يترتب ويلزم على ذلك؛ من نسبة عليٍّ إلى الذلة والعجز والخور؛ بل نسبة جميع بنى هاشم، وهم أهل النجدة والنخوة والأنفة، إلى ذلك العار الذى لا أقبح منه عليهم؛ بل نسبة جميع الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم! - إلى ذلك مع ما استفاض وتواتر عنهم من غيرتهم لنيبهم ودينهم، وشدة غضبهم عند

انتهاك حرماته، حتى قاتلوا فقتلوا الآباء والأبناء؛ فى طلبهم مرضاة الله تعالى، ومرضاة رسوله! لا يَتَوَهَّمُ إلحاقُ أدنى نقصٍ، أو السكوت على باطل من هؤلاء العصاة الكمل، الذين طهرهم الله من كل رجس وذنس ونقص، على لسان نبيه فى الكتاب والسنة، كما تقدم - بواسطة صحبتهم له ﷺ، وموته وهو راض عنهم، وبسبب صدقهم فى محبته واتباعه؛ إلا عبدٌ أضله الله وخذله؛ فباء منه تعالى بعظيم الخسار والبوار؛ وأحله نار جهنم وبئس القرار؛ نسأل الله السلامة من الموبقات، فى الحياة وبعد الممات! آمين!.

ولهذه الطائفة الرذلة شبه، لا حاجة لنا إلى إيرادها؛ وتسويد الطُّرس بسوادها، فقد ردها الأئمة المتقدمون والمتأخرون فى غير ما كتاب؛ وأماطوا عن مشوهاتها الخمار والنقاب.

وقد رَوَتْ أقاويلُ الأئمةِ المعترين من أهل البيت، فى الترضى عن الشيخين وتوليئهما، والثناء عليهما - الأئمةُ الحفاظُ الذين عليهم المعول فى معرفة الحديث والآثار، وتميز صحيحها من سقيمها بأسانيدهم المتصلة.

فمنها: ما أخرجه أبو نعيم عن الإمام الحسن المثنى ابن الحسن السبط، أنه لما قيل له ذلك - أى: أن خبر: « من كنت مولاه فعلى مولاه »^(١) نصٌّ فى إمامة عليٍّ قال: أما والله، لو يعنى بذلك الإمارة والسلطان، لأفصح لهم به؛ فإن رسولَ الله ﷺ كان أنصحَ للمسلمين، ولقال لهم: يا أيها الناس، هذا ولى أمرى، والقائم عليكم بعدى، فاسمعوا له وأطيعوا. ما كان من هذا شيء، فوالله! لئن كانَ الله ورسولُهُ اختارًا عليًّا لهذا الأمر والقيام به للمسلمين من بعده، ثم تَرَكَ عليٌّ أمرَ الله ورسوله أن يقومَ به، أو يعذر فيه إلى المسلمين - إن كانَ أعظمَ الناسَ خطيئةً لَعَلِّي؛ إذ تركَ أمرَ الله ورسوله، وحاشاه من ذلك!.

وفى رواية عنه: ولو كان هذا الأمر كما تقول، وأن الله اختار عليا للقيام على الناس؛ لكان أعظمَ الناسَ خطيئةً؛ أن تركَ أمرَ رسولِ الله ﷺ ولم يقم به، فقال الرجل: ألم يقل رسول الله ﷺ: « من كنت مولاه » فقال الحسن ما تقدم ذكره. وأخرج الدارقطنى عن الإمام أبى حنيفة - رضى الله تعالى عنه - أنه لما قدم

المدينة سأل أبا جعفر محمد الباقر عن أبي بكر وعمر، فترحم عليهما، فقال له أبو حنيفة: إنهم يقولون عندنا بالعراق: إنك تتبرأ منهما، فقال: معاذ الله! كذبوا ورب الكعبة. ثم ذكر لأبي حنيفة تزويج عليّ ابنته أمّ كلثوم بنت فاطمة من عمر - رضى الله تعالى عنه - وأنه لو لم يكن لها أهلا لما زوجه إياها، فقال له أبو حنيفة: لو كتبت إليهم! فقال: لا يطيعونني بالكتب. وتزويج عليّ أمّ كلثوم لعمر - رضى الله عنه - يقطع ببطلان ما زعمته الرافضة فيه.

قلت: وجه القطع: ما يلزم أن عليّا زوج ابنته أمّ كلثوم من كافر - على زعمهم الفاسد - معلوم كفره وسبب كفره؛ فيطلوا أصلهم في اعتقاد العصمة لواجبها؛ إذ تزويج الكافر بالمسلمة حرام بنص: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾ [المتحنة: ١٠] وهذه الرواية عن الحسن وأشباهها من الروايات زور عندهم واقتراء، وكذب صراح لا شبهة فيه ولا مرأى؛ لأنها تُفْتَى في أعضادهم وتنكث قواهم، وتبت قوتهم وتحل عراهم.

ومنها: ما أخرجه الدارقطني، عن عبد الله المحض بن الحسن المتقدم ذكره، لقب بالمحض؛ لأنه أول من جمع ولادة الحسن والحسين؛ لأن أمه فاطمة بنت الحسين - رضى الله تعالى عنهم - وكان شيخ بني هاشم ورئيسهم -؛ أنه سئل: أتمسح على الخفين؟ فقال: أتمسح عليهما؛ قد مسح عمر - رضى الله تعالى عنه - فقال له السائل: إنما أسألك أنت، أتمسح عليهما؟ قال: ذلك أعجز لك، أخبر عن عمر وتسألني عن رأيي؟! فعمر خير مني وملء الأرض من مثلي، فقيل له: هذا تقية؟ فقال: نحن بين القبر والمنبر، اللهم هذا قولي في السر والعلانية، فلا يسمع قولي أحدٌ بعدى. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن عليّا كان مقهوراً، وأن النبي ﷺ أمره بأمر، فلم ينفذه؟! فكفى بهذا إزاء ومنقصة.

ومنها: ما أخرجه الدارقطني، عن ولد عبد الله المحض، وهو السيد محمد الملقب بالنفس الزكية؛ أنه قال - لما سئل عن الشيخين - : لهما عندى أفضل من على.

ومنها: ما أخرجه، عن محمد الباقر، أنه قال: أجمع بنو فاطمة على أن نقول في الشيخين أحسن ما يكون من القول.

ومنها: ما أخرجه - أيضا - عن جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر؛ أن رجلاً جاء إلى أبيه زين العابدين على بن الحسين - رضى الله تعالى عنهم - فقال له: أخبرني عن أبي بكر، فقال: عن الصديق؟ فقال الرجل: وتسميه الصديق؟! فقال له: ثكلتك أمك! وقد سماه صديقاً رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار؛ ومن لم يسمه صديقاً، فلا صدق الله قوله في الدنيا ولا في الآخرة، فأحب أبا بكر وعمر. ومنها: ما أخرجه - أيضاً - عن عروة عن عبد الله: سألت أبا جعفر محمداً الباقر، عن حلية السيف؟ فقال: لا بأس بها، قد حلّى أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - سيفه، قال: قلت: وتقول: الصديق؟! قال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل: الصديق، فلا صدق الله قوله في الدنيا والآخرة. وأخرجه ابن الجوزي «في صفة الصفوة» وزاد: فوثب وثبةً واستقبل، فقال: نعم الصديق، نعم الصديق.

ومنها: ما أخرجه - أيضاً - عن جعفر الصادق، أنه قال: ما أرجو من شفاعتي شيء؛ إلا وأنا أرجو من شفاعتي أبي بكر مثله، ولقد ولدني مرتين. ومنها: ما أخرجه عن زيد بن علي، أنه قال لمن تبرأ منهما: اعلم - والله - أن البراءة من الشيخين - البراءة من علي؛ فتقدم أو تأخر.

ومنها: ما أخرجه الحافظ عمر بن شبة، أن زياداً هذا قيل له: إن أبا بكر انتزع من فاطمة فلذلك، فقال: إنه كان رحيماً، وكان يكره أن يغير شيئاً تركه رسول الله ﷺ، فأنته فاطمة - رضى الله تعالى عنها - فقالت له: إن رسول الله ﷺ أعطاني فذلك، فقال: هل لك بينة؟ فشهد لها على وأم أيمن، فقال لها: فبرجل وامرأة تستحقينها؟! ثم قال زيد: والله، لو رجع الأمر فيها إليّ لقضيتُ بقضاء أبي بكر، رضى الله تعالى عنه.

ومنها: ما أخرجه عنه - أيضاً - قال: انطلقت الخوارجُ فبرئت ممن دون أبي بكر وعمر، ولم يستطيعوا أن يقولوا فيهما شيئاً، وانطلقتم أنتم ففطرتم - أي: وثبتتم - فوق ذلك؛ فبرئت منكما، فمن بقى؟! فوالله! ما بقى أحد إلا برئت منه. يخاطب بذلك الرافضة لما قالوا له: ابرأ من الشيخين ونحن نبايعك، فأبى. فقالوا: إنا نرفضك. فقال: اذهبوا، فأنتم الرافضة. فمن حيثئذ سموا الرافضة، وسميت

شيعة بالزيدية.

ومنها: ما أخرجه ابن عساكر، عن سالم بن أبي الجعد، قلت لمحمد ابن الحنفية: هل كان أبو بكر أول القوم إسلامًا؟ قال: لا. قلت: فبم علا أبو بكر وسبق، حتى لا يذكر أحد غير أبي بكر؟ قال: لأنه كان أفضلهم إسلامًا حين أسلم، حتى لحق بربه.

ومنها: ما أخرجه الدارقطني، عن سالم بن أبي حفصة - وهو شيعي؛ لكنه ثقة - قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد، عن الشيخين؛ فقالا: يا سالم، تولهما وأبرأ من عدوهما؛ فإنهما كانا إمامي هدى^(١).

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عنه، قال: دخلت على أبي جعفر فقال: وأراه قال ذلك من أجلي - : اللهم، إني أتولى أبا بكر وعمر وأحبهما، اللهم إن كان في نفسي غير هذا، فلا نالني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عنه: دخلت على جعفر بن محمد، وهو مريض، فقال: اللهم إني أحب أبا بكر وعمر وأتولاهما، اللهم إن كان في نفسي غير هذا، فلا نالني شفاعة محمد ﷺ.

ومنها: ما أخرجه عنه - أيضًا - قال: قال لي: يا سالم، أيسب الرجل جدّه؟! أبو بكر جدي، لا نالني شفاعة محمد إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما^(٢). ومنها: ما أخرجه عن جعفر الصادق، أنه قيل له: إن فلانا يزعم أنك تتبرأ من أبي بكر وعمر، فقال: برئ الله من فلان، إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر، ولقد مرضت فأوصيت إلى خالي عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر، رضى الله تعالى عنهم.

ومنها: ما أخرجه هو والحافظ عمر بن شبة، عن كثير، قلت لأبي جعفر محمد ابن علي: أخبرني، أظلمكم أبو بكر وعمر من حقكم شيئًا؟ فقال: ومُنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، ما ظلمنا من حقنا ما يزن حبة خردل. قال: قلت: أفأتولاهما، جعلني الله فداك؟! قال: نعم يا كثير، تولهما في الدنيا والآخرة. قال:

(١) أخرجه البيهقي في الاعتقاد ص (٢٠٧).

(٢) أخرجه البيهقي في الاعتقاد ص (٢٠٧).

وجعل يصك عنق نفسه، ويقول: ما أصابك فبعنقى، ثم قال: برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد وأبى زينب؛ فإنهما كذبا علينا أهل البيت.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن بسام الصيرفى، قلت لأبى جعفر: ما تقول فى أبى بكر وعمر؟ فقال: والله، إنى لأتولاهما وأستغفر لهما، وما أدركت أحدا من أهل بيتى إلا وهو يتولاهما.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن إمام المذهب محمد بن إدريس الشافعى - رضى الله تعالى عنه - عن جعفر بن أبى طالب، قال: وَلَيْتَنَا أَبُو بَكْرٍ خَيْرُ خَلِيفَةٍ، وَأَرْحَمُهُ لَنَا وَأَحَنَّهُ عَلَيْنَا. وفى رواية: فما وَلَيْتَنَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ مِثْلَهُ. وفى أخرى: فما رأينا قط مَنْ كان خَيْرًا مِنْهُ.

ومنها: ما أخرجه - يعنى: الدارقطنى - أيضًا، عن أبى جعفر محمد الباقر، أنه قيل له: إِنْ فَلَانَا حَدَّثَنِى أَنَّ عَلَىَّ بَنَ الْحُسَيْنِ قَالَ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ [الحجر: ٤٧]، نزلت فى أبى بكر وعمر وعلى، قال: والله فىهم نزلت؛ ففىمن نزلت إلا فىهم؟! قيل: فأى غلّ هو؟ قال: غلّ الجاهلية؛ إِنْ بَنَى تَيْمٌ وَبَنَى عَدَى وَبَنَى هَاشِمٌ، كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ فِى الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ تَحَابَوْا، فَأَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ الْخَاصِرَةَ، فَجَعَلْتُ عَلَى يَدِهِ وَيَكْمُدُ بِهَا خَاصِرَةَ أَبِي بَكْرٍ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهِمْ.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن على أن هذه الآية نزلت فى هذه البطون الثلاثة: تيم، وعدى، وبنى هاشم، وقال: منهم أنا وأبو بكر وعمر.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن محمد الباقر، أنه قيل له: هل كان أحد من أهل البيت يسبّ أبأ بكر وعمر؟ قال: معاذ الله! بل يتولونهما ويستغفرون لهما ويترحمون عليهما.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن أبى جعفر - أيضًا - عن أبيه على بن الحسين - رضى الله تعالى عنهم - أنه قال لجماعة خاضوا فى أبى بكر وعمر ثم فى عثمان -: أَلَا تَخْبِرُونِى، أَنْتُمْ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُوفًا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْلَىٰ بِكُمُ الْغَابِطِينَ﴾؟! [الحشر: ٨]، قالوا: لا. قال: فأنتم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا

يَحْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ... ﴿٩﴾ إِلَىٰ ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾؟ [الحشر : ٩]، قالوا: لا. قال: أما أنتم فقد برئتم أن تكونوا في أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ إِلَىٰ ﴿رُءُوفٌ رَحِيمٌ...﴾ [الحشر : ١٠]. ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن فضيل بن مرزوق، سمعت إبراهيم بن الحسن ابن الحسن أخا عبد الله بن الحسن، يقول: والله! قد مَرَقَتْ علينا الرافضة كما مَرَقَتِ الحرورية عَلَىٰ عَلِيٍّ.

ومنها: ما أخرجه عنه - أيضًا - سمعت الحسن بن الحسن، يقول لرجل من الرافضة: لئن أمكن الله منك، لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ولا نقبل منك توبة.

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن محمد بن حاطب، قال: ذكر عثمان عند الحسن والحسين، فقال: هذا أمير المؤمنين - أي: علي - أتاكم الآن يخبركم عنه، إذ جاء عليّ (قال الزهري: ما أدري: أسمعهم يذكرون عثمان، أم سأله عنه) فقال علي - رضي الله تعالى عنه -: عثمان من الذين ﴿اتَّقُوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقُوا وَاحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

ومنها: ما أخرجه - أيضًا - عن محمد بن حاطب، من طرق؛ قال: دخلت عَلَىٰ عليّ - رضي الله عنه - فقلت: يا أمير المؤمنين، إني أردتُ الحجاز، وإن الناس يسألوني، فما تقول في قتل عثمان؟ وكان عليّ متكئا فجلس، فقال: يا بن حاطب، والله! إني لأرجو أن أكون أنا وهو كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ [الحجر: ٤٧]، الآية.

ومنها: ما أخرجه الدارقطني - أيضًا - عن سالم بن أبي الجعد، قال: كنت جالسا عند محمد ابن الحنفية فذكروا عثمان، فنهانا محمد وقال: كفوا. فغدونا يوما آخر، فلنا منه أكثر مما كان قبل، فقال: ألم أنهكم عن هذا الرجل؟! قال: وابن عباس جالس عنده، فقال: يا بن عباس، أتذكر عشية الجمل وأنا عن يمين علي، وفي يدي الراية، وأنت عن يساره إذ سمع هدة في المريد، فأرسل رسولا، فجاء الرسول، فقال: هذه عائشة تلعن قتلة عثمان في المريد، فرفع عليّ يديه حتى بلغ

بهما وجهه مرتين أو ثلاثاً، وقال: أنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله فى السهل والجبل! قال: فصدقه ابن عباس. ثم أقبل علينا، فقال: فى وفى هذا لكم شاهد عدل.

وأخرج عن مروان بن الحكم، أنه قال: ما كان أحد أذفع عن عثمان من على؛ قيل له: فما بالكم تسبون على المنابر؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك.

ومنها: ما أخرجه - أيضاً - عن الحسن بن محمد ابن الحنفية، قال: يا أهل الكوفة، اتقوا الله - عز وجل - ولا تقولوا فى أبى بكر وعمر ما ليس له بأهل.

وأخرج - أيضاً - عن جندب الأسدى، أن محمد بن عبد الله بن الحسن أتاه قوم من أهل الكوفة والجزيرة، فسألوه عن أبى بكر وعمر، فالتفت إلى وقال: انظر إلى أهل بلدك يسألونى؛ لهما عندى أفضل من عليّ!.

وأخرج آدم عن عبد الله بن الحسن، أنه قال: والله! لا يقبل الله توبة عبد تبرأ منهما، وإنهما ليعرضان على قلبى فأدعو الله - عز وجل - لهما أتقرب به إلى الله، عز وجل.

ومنها: ما أخرجه - أيضاً - عن عبد الجبار الهمدانى، أن جعفر الصادق أتاهم، وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة، فقال: إنكم - إن شاء الله - من صالحى مصركم، فأبلغوهم عنى: من زعم أنى إمام مفترض الطاعة، فإنى منه برىء؛ ومن زعم أنى برىء من أبى بكر وعمر، فأنا منه برىء.

ومنها: ما أخرجه - أيضاً - عنه - رضى الله عنه - أنه قال: إن الخبثاء من أهل العراق يزعمون أنا نقع فى أبى بكر وعمر، وهما والداى؛ أى: لأن أمه: أم فروة، ابنة القاسم الفقيه ابن محمد بن أبى بكر، وأما: أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر؛ ومن ثم سبق له قوله: «ولدى أبو بكر مرتين».

ومنها: ما أخرجه - أيضاً - عن أبى جعفر محمد الباقر، قال: من لم يعرف فضل أبى بكر وعمر، فقد جهل بالسنة. قال بعض الأئمة: صدق والله، إنما نشأ من الشيعة والرافضة وغيرهما، ما نشأ من البدع والضلالات؛ من جهلهم بالسنة.

وفى الطيوريات بسنده إلى جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال رجل لعلى - رضى الله عنه -: نسمعك تقول فى الخطبة: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين، فمن هم؟ فاغرورت عيناه، فقال: هما حبيبا نبيى، أبو بكر

وعمر، إماما الهدى وشيخا الإسلام، وَرَجُلًا قَرِيش، المقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، مَنِ اقْتَدَى بِهِمَا عُصِمَ، ومن اتبع آثارهما هُدِيَ الصراط المستقيم، ومن تمسك بهما فَهُوَ من حزب الله.

قلت: ومنها: ما رأيته فى « شرح المقاصد » للعلامة السعد التفتازانى - رحمه الله - ونصه: نعم.. ما قال المأمون العباسى: وجدت أربعة فى أربعة: الزهد فى المعتزلة، والكذب فى الرافضة، والمروءة فى أصحاب الحديث، وحب الرياسة فى أصحاب رأى. ثم قال: أولاد الوَصِيِّ الموسومون بالدراية؛ المعتصمون بالرواية، لم تكن معهم هذه التعصبات والأحقاد؛ ولا هذه البواطن الخبيثة فى سوء الاعتقاد، ولم يذكروا عن الصحابة إلا الكمالات؛ والترضى عنهم والترحم عليهم فى سائر الحالات، ولم يسلكوا مع رؤساء المذاهب من علماء الإسلام؛ إلا طريق الإجلال والإعظام؛ وها هو الإمام على الرضى ابن الإمام موسى الكاظم، مع جلالة قدره؛ ونباهة ذكره، وكمال علمه وهداه؛ وورعه وتقاه، قد كتب على ظهر كتاب عهد المأمون له بالخلافة، ما ينبئ عن قبول عهده؛ ووفور شكره وحمده، والتزام ما شرط عليه، فكتب فى أثناء سطور العهد تحت قول المأمون: « وسميته الرضى »: « رضى الله تعالى عنك وأرضاك » وتحت قوله: « وتكون له الإمرة الكبرى بعدى »: « بل جعلتُ فداك » وفى موضع آخر « وَصَلْتُكَ رَجِمَ، وجزيت خيرا » قال: وهذا العهد بخطهما موجود إلى الآن؛ فى المشهد الرضوى بخراسان؛ وآحاد الشيعة فى هذا الزمان لا يسمحون بالترضى عن كبار الصحابة؛ فضلا عن بنى العباس؛ فقد رضوا منهم رأسا برأس.

ومن البين الواضح - فيما أوردنا هذه الروايات فى شأنه - ما كتبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: « قد جعلتُ هكذا لآل بنى كاكلة على كافة بيت مال المسلمين، كل عام مائتى مثقال ذهب عينا إبريزا. كتبه عمر بن الخطاب ».

فكتب أمير المؤمنين على - رضى الله عنه - : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ [الروم : ٤]. أنا أول من اتبع أمر من أعز الإسلام، ونصر الدين والأحكام، ورسمتُ بمثل ما رسم لآل بنى كاكلة فى كل عام، مائتى مثقال ذهب عينا إبريزا، واتبعت أثره وجعلت لهم مثل ما رسم عمر؛ إذ

وجب عليّ وعلى جميع المسلمين اتباع ذلك. كتبه على بن أبي طالب .
وهذا بخطهما موجودٌ الآن في ديار العراق.

فهذه أقاويل الأئمة المعبرين من أهل البيت، رواها عنهم الأئمة الحفاظ الذين عليهم المعول في معرفة الحديث والآثار، وتميز صحيحها من سقيمها، بأسانيدهم المتصلة؛ فكيف يسع المتمسك بحبل أهل البيت الزاعم جبههم، أن يعدل عما قالوه؛ من تعظيم أبي بكر وعمر، واعتقادهم خلافتهما، وما كانا عليه، وقد صرحوا بتكذيب من نقل عنهم خلافه، ومع ذلك ينسب إليهم ما تبرءوا منه ورأوه ذمًا في حقهم، حتى قال الإمام زين العابدين بن علي بن الحسين - رضى الله عنهم - يأبها الناس، أحبونا حب الإسلام، فوالله! ما يرح بنا حبكم حتى صار علينا عارًا. وفي رواية: حتى بغضتمونا إلى الناس؛ أى: بسبب ما نسبوه إليهم مما هم براء منه، فلعن الله مَنْ كَذَبَ على هؤلاء الأئمة، ورامهم بالزور والبهتان!.

أَفْضَلِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اعلم: أن الذي أطبق عليه علماء الأمة، وأجمع عليه عظماء الأئمة: أن أفضل هذه الأمة: أبو بكر الصديق، ثم عمر. ثم اختلفوا:
فالأكثرون على أن الأفضل: عثمان، ثم علي؛ وهو المشهور عن الإمام مالك، رضى الله تعالى عنه.

وجزم الكوفيون، ومنهم سفيان الثوري، بتفضيل عليّ على عثمان.
وقيل بالوقف عند التفاضل بينهما، وهو رواية عن مالك؛ فقد حكى أبو عبد الله المازني عن «المدونة» أن مالكًا سئل: أى الناس أفضل بعد نبيهم؟ فقال: أبو بكر ثم عمر. ثم قال: أو فى ذلك شك؟! فقيل: وعلى وعثمان؟ فقال: ما أدركت أحداً. مَنْ يُقْتَدَى به يفضل أحدهما على الآخر.

ومال إلى الوقف إمام الحرمين عبد الملك بن أبى محمد الجويني، فقال فى كتابه المسمى بـ«الإرشاد» ما نصه: لم يقم عندنا دليلٌ قاطع على تفضيل بعض الأئمة على بعض؛ إذ العقل لا يشهد على ذلك، والأخبار الواردة فى فضائلهم متعارضة، ولا يمكن تَلَقُّى التفضيل مِنْ مَنْعِ إمامة المفضول، ولكنَّ الغالب على الظن: أن أبا بكر أفضلُ الخلائق بعد رسول الله ﷺ، ثم عمر أفضلهم بعده، وتعارض الظنون

فى عثمان وعلى، انتهى.

ونقل الوقف ابنُ عبد البر عن جماعة من السلف، ويحيى القطان، وابن معين.
وأما حكاية أبى منصور الإجماع على أفضلية عثمان على عليّ، فمدخولة، وإن
نقل ذلك عنه بعضُ الحفاظ؛ لما بيناه من الخلاف.

ثم الذى مال إليه أبو الحسن الأشعرى إمام الأشاعرة: أن تفضيلَ أبى بكر على
من بعده قطعى؛ وخالفه القاضى أبو بكر الباقلانى، فقال: إنه ظنى، وهو الذى
اختاره إمام الحرمين فى «إرشاده» وجزم به صاحب «المفهم فى شرح مسلم»،
ويؤيده قول ابن عبد البر فى «الاستيعاب»: ذكر عبد الرزاق عن معمر، قال: لو أن
رجلا قال: على عندى أفضل من أبى بكر وعمر، لم أعنفه؛ إذا ذكر فضل الشيخين
وأحبهما وأثنى عليهما بما هما له أهل، فذكرتُ ذلك لوكيع فأعجبه واشتبهاه، انتهى.
وليس ملحظُ عدم تعنيفه قائل ذلك، إلا أنَّ التفضيلَ المذكورَ ظنى لا قطعى.
فإن قلت: قد نقل ابن عبد البر أن السلف اختلفوا فى تفضيل أبى بكر على عليّ؛
فقد روى عن سلمان، وأبى ذر، والمقداد بن عمرو، وخباب بن الأرت، وجابر بن
عبد الله الأنصارى، وأبى سعيد الخدرى، وزيد بن أرقم، وعمار بن ياسر - أن عليًا
أول من أسلم، وفضله هؤلاء على غيره؛ فكيف يصح الإجماع مع خلاف هؤلاء،
وهم من أعيان الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين؟! -
قليل - فى جواب ذلك -:

أما عن الأول، وهو قوله: «إن السلف اختلفوا...» - فبأن الأئمة إنما أعرضوا
عن هذه المقالة - يعنى قوله: «اختلفوا» لشذوذها؛ ذهابا إلى أن شذوذ المخالف
لا يقدح فيه، أو رأوا أنها حادثة بعد انعقاد الإجماع؛ فكانت تلك المقالة فى حيز
الطرح والرد.

وأما عن الثانى: فلا يقتضى من تفضيلهم عليا، أنهم قائلون بأفضليته على أبى
بكر مطلقًا؛ بل إما من حيث تقدمه عليه إسلامًا؛ بناء على القول بذلك، أو مرادهم
بتفضيل عليّ على غيره: مَنْ عدا الشيخين؛ لقيام الأدلة الصريحة الصحيحة على
أفضليتهما على من عداهما.

فإن قلت: ما مستند الإجماع على أفضلية أبى بكر على عليّ؟ فإن كانت من أدلة

الكتاب أو السنة، فقد قال الإمام أحمد بن حنبل - وناهيك به علماً وزهداً وورعاً وديناً! - : لم يرد في حق أحد من الآيات والأحاديث، ما ورد في حق علي - رضي الله تعالى عنه^(١) - وإن كانت من غيرهما من الأشياء التي يستحق بها أصحاب رسول الله ﷺ الفضل، فقد قال الإمام أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي؛ مينا لذلك؛ بقوله: الأشياء التي يستحق بها أصحاب رسول الله ﷺ الفضل هي: السبق إلى الإيمان، والهجرة، والنصرة لرسول الله ﷺ، والقربى منه، والقناعة، وبذل النفس له، والعلم بالكتاب والتنزيل، والجهاد في سبيل الله، والورع، والزهد، والقضاء، والحلم، والفقه، والعلم؛ وكل ذلك فلعلني منه النصيب الأكبر والحظ الأوفر، إلى ما انفرد به من قوله: أنت أخي^(٢)، وهو ﷺ لا ضد له ولا ند، وقوله: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى »^(٣) وقوله: « من كنت مولاه فعلى مولاه »^(٤) وقوله - في حديث الطائر: « اللهم أدخل إلى أحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر » فدخل علي - رضي الله تعالى عنه^(٥) - فهذا وغيره من فضائله وما اشتمل عليه من الخصال مما تفرق في غيره.

قلت: قد صرحوا بأن الإجماع حجة على كل أحد، وإن لم يعرف مستنده؛ لأن الله عصم هذه الأمة من أن تجتمع على ضلالة؛ ويدل على ذلك؛ بل يصرح به قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَخُصِمِهِ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

على أنا نقول: كثرة ورود الآيات والأحاديث لا يستلزم أفضلية من وردت في حقه، على من ورد دونها في حقه؛ إذ قد تكون الآية الواحدة والحديث الواحد

(١) نقله الحافظ في "الفتح" (٤٣٨/٧): عنه بلفظ: ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن علي بن أبي طالب. وقال الحافظ: وأوعب من جمع مناقبه من الأحاديث الجياد النسائي في كتاب الخصائص.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٢٠)، والحاكم (١٤/٣) من طريق جميع بن عمير عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: « أنت أخي في الدنيا والآخرة » وحسنه الترمذي.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

(٥) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/٢٢٨ - ٢٣٧) عن ابن عباس وأنس، وأعل جميع طرقه، ونقل أنه موضوع.

يدلان على مجامع فضائل ومزايا مناقب، لا تدل عليها آيات كثيرة، وأحاديث كذلك؛ فلا شاهد لكم فى قول الإمام أحمد، - رضى الله تعالى عنه - وحديث: « ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا ولا إنما فضلكم بشيء وقر فى صدره »^(١) وأمثال هذا الحديث، يرد تنميقات المسعودى وتصنيفاته. والحق: أن فى كون الإجماع حجة قطعية، خلافاً.

فالذى عليه الأكثرون: أنه حجة قطعية مطلقاً؛ فيقدم على الأحاد كلها، ولا يعارضه دليل أصلاً، ويكفر أو يدع ويضلل مخالفه. وقال الإمام الرازى، والآمدى: إنه ظنى مطلقاً.

والحق فى ذلك التفصيل: فما اتفق عليه المعبرون حجة قطعية، وما اختلفوا فيه: كالإجماع السكوتى، والإجماع الذى ندر مخالفه، فهو ظنى. وقد علمت - بما قررت لك - أن لهذا الإجماع مخالفاً نادراً، وهم الجماعة المذكورون: سلمان، ومن بعده، فهو وإن لم يعتد به فى الإجماع؛ لكنه يورثه انحطاطاً عن الإجماع الذى لا مخالف له؛ فالأول ظنى وهذا قطعى، وكان الأشعرى من الأكثرين القائلين بأنه قطعى مطلقاً، كما تقدم ذلك عنه.

ومما يؤيد أنه ظنى: أن المجمعين أنفسهم لم يقطعوا بالأفضلية المذكورة، وإنما ظنوها فقط، كما هو المفهوم من عباراتهم وإشاراتهم؛ وسبب ذلك: أن المسألة اجتهادية، وقد وردت فى أبى بكر وعليّ نصوص ظاهرة فى تفضيل كل، وهى لا تفيد القطع؛ لأن غالبها فى المحلين آحاد، والآحاد ظنية الدلالة، فكيف تفيد القطع؟! وليس الاختصاص بكثرة أسباب الثواب، موجباً الزيادة المستلزمة للأفضلية: قطعاً، بل ظناً؛ لأنه تفضل من الله تعالى.

وثبوت الإمامة لأبى بكر وحقيقتها - وإن كان قطعياً؛ للإجماع عليها - لا يفيد القطع بأفضليته على عليّ، بل غايته الظن، كيف ولا قاطع على بطلان إمامة المفضل مع وجود الفاضل؟! بل صحتها هو مذهب الإمام الشافعى - رضى الله عنه - لكننا وجدنا السلف فضلوها على من عداها، وحسن ظننا بهم قاض بأنهم

(١) قال فى المقاصد (٩٧٠) ذكره الغزالي، وقال العراقي: لم أجده مرفوعاً وهو عند الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول من قول بكر بن عبد الله المزني.

لو لم يطلعوا على دليل في ذلك، لما أطبقوا عليه؛ فلزمنا اتباعهم فيه ظنا، وتفويض ما هو الحق فيه يقينا إلى الله تعالى. بل وجدنا أنه ورد عن علي نفسه، أن أبا بكر أفضل الأمة.

قال العلامة الذهبي^(١): وقد تواتر عنه ذلك: في خلافته، وكرسى مملكته، وبين الجرم الغفير، ثم بسط الأسانيد الصحيحة في ذلك. قال: ورواه عن عليّ نيفٌ وثمانون نفسا، وعدّدَ منهم جماعة، ثم قال: فقبّح الله الرافضة ما أجهلهم!. وأخرج الدارقطني عنه - رضى الله تعالى عنه - قال: لا أجد أحداً فضّلني على أبي بكر وعمر؛ إلا حدّثه حدّ المفترى.

وصح عن مالك، عن جعفر الصادق، عن أبيه الباقر؛ أن عليا وقف على عمر بن الخطاب، وهو مسجى بعد موته، فقال: ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء، أحداً أحبّ إليّ أن ألقى الله بصحيفته، من هذا المسجى!، ثم قال: صلى الله عليك يا عمر، ودعا له^(٢).

وأخرج الدارقطني، أن أبا جحيفة كان يرى أن علياً أفضل الأمة، فسمع أقواماً يخالفونه، فحزن حزنا شديداً، فقال له عليّ - بعد أن أخذ بيده -: ما أحزنك، يا أبا جحيفة؟ فذكر له الخبر، فقال له: ألا أخبرك بخير الأمة؟! خيرها: أبو بكر وعمر. قال أبو جحيفة: فأعطيتُ الله عهداً ألا أكنم هذا الحديث بعد أن شافهني به عليّ ما بقيت.

وقول الشيعة والرافضة: إنما ذكر ذلك عليّ تقيّة، كذبٌ وافتراء على الله؛ إذ كيف يتوهّم ذلك من له أدنى عقل أو فهم، مع ذكره له في زمن خلافته على منبر الكوفة، وهو لم يدخلها إلا بعد فراغه من حرب أهل البصرة، وذلك أقوى ما كان أمراً وأنفذ أحكاماً، وذلك بعد مدة مديدة من موت أبي بكر وعمر؛ فكيف يتعقل وقوع مثل

(١) ينظر تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين - ١١٥).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد (١٠٩/١) من طريق أبي معشر نجيع المدني مولى بني هاشم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين المنبر والقبر، فجاء علي رضي الله عنه حتى قام بين يدي الصفوف فقال هو هذا ثلاث مرات ثم قال: رحمة الله عليك ما من خلق أحبّ إلى من أن ألقاه بصحيفته بعد صحيفة النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المسجى عليه ثوبه وأخرجه بنحوه من طريق أبي جحيفة.

هذه التقية المشثومة عليهم، التى أفسدوا بها غالب عقائد أهل البيت النبوى؛ لإظهارهم لهم كمال المحبة والتعظيم، فمالوا إلى تقليدهم، حتى قال بعضهم: من أعز الأشياء فى الدنيا شريف سنى. فلقد عظمت مصيبة أهل البيت بهؤلاء الفسدة الأراذل، وما أحسن ما أبطل به الباقر هذه التقية المشثومة لما سئل عن الشيخين؟ فقال: إنى أتولاهما، فقيل له: إنهم يزعمون أن ذلك منك تقية؟ فقال: إنما نخاف الأحياء، لا نخاف الأموات، فعل الله بهشام بن عبد الملك كذا وكذا، أخرجه الدارقطنى وغيره.

فانظر ما أبين هذا الاحتجاج وأوضحه! فقد صرح لهم ببطلان تلك التقية المشثومة عليهم، واستدل لهم على ذلك بأن اتقاء الشيخين بعد موتهما لا وجه له؛ إذ لا سطوة لهما حيثئذ، ثم بين لهم - بدعائه على هشام بن عبد الملك، الذى هو والى زمنه، وشوكتة قائمة - أنه إذ لم يتقه، مع أنه يُخَاف وَيُخْشَى؛ لسطوته وملكوته وقوته وقهره - فكيف مع ذلك يتقى الأموات الذين لا شوكة لهم ولا سطوة؟! وإذا كان هذا حال الباقر، فما ظنك بحال عليّ الذى هو أعظم إقداما وشجاعة، وشدة بأس، وكثرة عَدَدٍ وَعُدَدٍ، وأنه لا يخاف فى الله لومة لائم، مع ذلك فقد صح؛ بل تواتر عنه، ما مرّ من مدح الشيخين والثناء عليهما، وأنها أفضل الأمة، ومر - أيضًا - الأثر الصحيح عن مالك عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر، أن عليًا وقف على عمر، وهو مسجى بثوبه، فقال ما تقدم؛ فما أحوج عليا أن يقول ذلك تقية!، وما أحوج الباقر أن يرويه لابنه الصادق تقية! وما أحوج الصادق أن يرويه لمالك تقية!! فكيف يَسْعُ العاقل أن يترك مثل هذا الإسناد الصحيح، ويحمله على التقية المنقوض أساسها، المنكوث أمрасها؟! وما أحسن ما سلكه بعض الشيعة المنصفين كعبد الرزاق؛ فإنه قال: أفضل الشيخين بتفضيل عليّ إياهما على نفسه، وإلا لما فضلتها عليه، كفى بى زورا أن أحبه ثم أخالفه!.

ومما يكذبهم فى دعوى التقية المشثومة عليهم: ما أخرجه الدارقطنى، أن أبا سفيان بن حرب قال لعليّ بأعلى صوته - لما بايع الناس أبا بكر -: غلبكم على هذا الأمر أذل بيت فى قريش - يعنى: قبيلة أبى بكر، وهى تيم، فإنها أضعف قبيلة فى قريش؛ وإنما عزّت بكون أبى بكر وطلحة منها - أما والله لآملأنها عليه خيلا

وَرَجُلًا إِنْ شَتَّ. فقال له على: لا يا عدو الإسلام وأهله، فما ضر ذلك الإسلام وأهله.

إذا تقرر هذا فالواجب على كل مؤمن بالله ورسوله عموماً، وعلى أهل البيت النبوي خصوصاً: اتباع سلفهم في ذلك، والإعراض عما يرشد إليه الروافض؛ من قبيح الجهل والعناد، والخطأ الذي يكون لهم أَوْخَمُ زاد يوم المعاد، فالحذر الحذر! مما يُلْقُونَهُ؛ مِنْ أَنَّ مَنْ اعتقد تفضيل أبي بكر على عليّ - رضى الله تعالى عنهما - كان كافراً؛ لأن مرادهم بذلك: أن يقرروا - عند من يلقون إليه - تكفير الأمة من الصحابة والتابعين، وَمَنْ بعدهم من أئمة الدين وعلماء الشريعة وعوامهم، وأنه لا مؤمنَ غيرهم. وهذا - والعياذ بالله! - يؤدي إلى هدم قواعد الشريعة من أصلها، وإلغاء العمل بكتب السنة، وبما جاء عن النبي ﷺ وعن أهل بيته وصحابته؛ إذ الرواي لجميع آثاره وأخباره بأسرها، بل والناقل للقرآن في كل عصر من عصر النبي ﷺ وهلم جرا الصحابة والتابعون وعلماء الدين؛ إذ ليس لنحو الرافضي رواية، ولا دراية يدورن بها فروع الشريعة، وإنما غاية أمرهم: أن يقع في خلال بعض الأسانيد مَنْ هو رافضي، والكلام في قبوله معروف عند أئمة الأثر ونقاد الحديث؛ فإذا قدحوا فيهم قدحوا في الكتاب والسنة، وأبطلوا الشريعة رأساً، وصار الأمر كما في الجاهلية الجهلاء؛ فلعنة الله وأليم عقابه وعظيمُ نقمته، عَلَى من يفترى على الله وعلى نبيه، بما يؤدي إلى إبطال ملته وهدم شريعته!

وكيف يسع العاقل أن يعتقد كفر السواد الأعظم من أمة محمد ﷺ، من غير موجب للتكفير، مع إقرارهم بالشهادتين وقبولهم لشريعة نبيهم؟! وهب أن علياً أفضل من أبي بكر في نفس الأمر، أليس القائلون بأفضلية أبي بكر معذورين؛ لأنهم إنما قالوا ذلك؛ لأدلة صرحت به، وهم مجتهدون؛ والمجتهد إذا أخطأ فله أجر؛ فكيف يقال - حيثُ - بالتكفير؟! وهو لا يكون إلا بإنكار مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة عنادا؛ كالصوم والصلاة. وأما ما يحتاج إلى نظر واستدلال، فلا كفر بإنكاره.

وانظر إلى إنصافنا معشر - أهل السنة - فإننا لم نكفر القائلين بأفضلية عليّ عَلَى أبي بكر، وإن كان ذلك عندنا خلاف ما أجمعنا عليه في كل عصر منا إلى النبي

ﷺ؛ بل أقمنا لهم العذر المانع من التكفير؛ ومن كفرهم؛ فلأمور آخر من قبائحهم انضمت إلى ذلك.

فالحذر الحذر! من اعتقاد كفر من قلبه مملوء بالإيمان بغير مقتضى؛ تقليدا للجهال الضلال الغلاة الغواة، وتأمل ما صح وثبت عن علي وأهل بيته؛ من تصريحهم بتفضيل الشيخين عليّ؛ خلافا لهؤلاء الطائفة الحمقاء، وإن حمل على التقية الباطلة المشثومة عليهم، فلا أقل من أن يكون عذرا لأهل السنة في اتباعهم لعليّ وأهل بيته فيما نقل عنهم؛ فإنهم لم يكشفوا عن قلب علي حتى يعلموا أن ذلك منه تقية؛ بل قرائن أحواله، وما كان عليه من الشجاعة والإقدام، وأنه لا يهاب أحدا، ولا يخشى في الله لومة لائم؛ إذ قد استفاض عن علي - رضى الله تعالى عنه - أنه كان لا يبالى بأحد حتى قيل للشافعي - رضى الله تعالى عنه - ما نفر الناس عن علي إلا أنه كان لا يبالى بأحد. فقال الإمام الشافعي - رضى الله تعالى عنه - : إنه كان زاهدا، والزاهد لا يبالى بالدنيا وأهلها؛ وكان عالما، والعالم لا يبالى بأحد؛ شجاعا، والشجاع لا يبالى بأحد؛ وشريفا، والشريف لا يبالى بأحد. أخرجه البيهقي - : وهي أدلة قاطعة بعدم التقية؛ فلا أقل أن يجعلوا ذلك منه شبهة لأهل السنة مانعة من اعتقادهم كفرهم؛ سبحانه هذا بهتان عظيم!.

قلت: هاهنا واقعة عجيبة، وآية باهرة، وكائنة غريبة، وكرامة ظاهرة؛ ذكرها الشيخ الأستاذ الإمام العارف، قدوة المحققين، أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان الأنصارى، في كتابه المسمى « مصباح الظلام في المستغيث بسيد الأنام في اليقظة والمنام » قال: أخبرنا الشيخان الإمامان: الحافظ زكى الدين، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى، إذنا؛ ورشيد الدين أبو الحسين يحيى بن علي القرشى، سماعا؛ قالوا: أنبأنا القاضى الفقيه المكين، جمال الدين، أبو طالب أحمد ابن القاضى المكين، أبى الفضل عبد الله بن أبى علي الحسين بن حديد الكنانى، سماعا؛ أنبأنا الحافظ، أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفى؛ أنبأنا الشيخ أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار، بانتحالى عليه؛ أنبأنا عبد العزيز؛ أنبأنا أبو بكر المفيد، حدثنا أحمد بن عبد الأعلى الأجيادى، حدثنى صالح بن عبد الله القرشى، حدثنى عبيد الله بن سليمان، عن شهر بن حوشب، قال: كنت أخرج إلى

الجبانة. وأصلى على الجنائز، إلى أن أياس من مجيء الجنائز فأدخل، فخرجت ذات يوم فلقيتُ رجلين قد توثبا، وعليهما ثياب صوف، وقد أدمى أحدهما صاحبه، فدخلت لأفرق بينهما، وقلت: أرى ثيابكما ثياب الأخيار، وفعالكما فعال الأشرار، فقال لى الذى أدمى صاحبه: دعنى ما تدرى ما يقول. قلت: ما يقول؟ قال: يقول: خير الناس بعد رسول الله ﷺ على بن أبى طالب، وإن أبا بكر وعمر كفرا بعد إسلامهما، فارتدا عن الإسلام وقتلا المسلمين، ويكذبُ القدر، ويرى رأى الخوارج، ويبتدع فى الدين. فقلت له: هكذا تقول؟! قال: نعم. فقلت لصاحبه: دعه، فإن لك وله رِيا بالمرصاد. فقال: لا أدعه، أو يحكم الله بينى وبينه. فقلت: بماذا؟ وقد مات النبى ﷺ وانقطع الوحي. فنظر إلى أتون بحذائه، وقد أوقده صاحبه، ويريد أن يطبق عليه، فقال لى: ندخل جميعا إلى هذا الأتون؛ فمن كان منا على حق نجا، ومن كان على باطل احترق. فقلت للآخر: أتفعل ذلك؟ قال: نعم. فتقدما إلى صاحب الأتون متلبين، وقالوا: لا تطبق الباب فإننا نريد أن ندخله، فمنعهما. فقالا: لا بد لنا أن ندخله. فقال: ما شأنكما؟ وما الذى حملكما على هذا؟ فحدثاه بالقصة، فناشدهما الله ألا يفعلا، فأبيا، فقال السنى للبدعى: أتتقدم أو أتقدم؟ فقال له البدعى: بل تقدم أنت. فتقدم السنى فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وقال: اللهم! إنك تعلم أن دينى واعتقادى أن خير الناس بعد رسولك أبو بكر الصديق، الذى نصر رسولك وواساه بنفسه وماله، حيث كان أول من أسلم، ووازره على أمره، وآمن به وبما جاء به؛ حيث ليس أحد غيره ﴿ثَاقِبٌ أَثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْفَكَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، فذكر من فضائله - ثم عمر بن الخطاب الذى أعززت به الإسلام، وفرقت به بين الحق والباطل، ثم عثمان بن عفان زوج ابنتى رسولك ﷺ، الذى جهز جيش العسرة، وقام بأمر النبى ﷺ فى نوائبه - وذكر فضائله - ثم على بن أبى طالب ابن عم رسولك، وزوج ابنته فاطمة الزهراء أعز الخلق، وأبو ولديه الحسن والحسين، وكاشف الكروب عن وجه رسولك - وذكر فضائله - وإنى أومن بالقدر خيره وشره، وبما آمن به رسولك، وما نهى عنه، ولا أرى رأى الخوارج، وأومن بالبعث والنشور، وأنك الحق المبين، ليس كمثلك شيء، وإنك تبعث من فى القبور، وأتبع ولا أبتدع. ثم قال: اللهم هذا دينى واعتقادى، فإن كنت على الحق فبرد عليّ

هذه النار كما بردتها على إبراهيم، واصرف عنى حرها ولهبها وأذاها بحولك وقوتك؛ فإنى إنما أفعل هذا غيرةً لدينك. وما جاء به رسولك، وأؤمن بالله. ثم دخل الأتون. وتقدم البدعى فحمد الله مثل حمده، ثم قال: الذى أدين به أن خير الناس بعد رسول الله ﷺ على بن أبى طالب، ثم ذكر من فضائله مثل ما ذكر السنى، ولا أعرف لأحد غيره حقاً؛ لأن أبا بكر كفر بعد إسلامه، وقاتل المسلمين وارتد عن الدين، وكذلك عمر. ثم ذكر ما يذهب إليه من البدعة ويكذب به ثم قال: اللهم هذا دينى واعتقادى. وقال كما قال صاحبه ودخل، فأطبق صاحب الأتون عليهما، وانصرف على أنهما محترقان قد جنيا على أنفسهما، وقيئت وحدى لا أريد الانصراف؛ حتى يتبين لى أمرهما، فلم أزل أنتقل من فىء إلى فىء، وعينى إلى الأتون حتى زالت الشمس، فسقط الطابق وَخَرَجَ علي السنى وجبينه يعرق، فقامت إليه وقبلت وجهه، وقلت له: كيف كنت؟! فقال: بخير، أدخلت إلى مجلس مفروش بأنواع الفرش، وفيه أنواع الرياحين والخدم، فتومت على الفراش إلى الساعة، ثم جاءنى جاءٍ فقال: قم فقد حان لك أن تخرج من هاهنا، وقت الصلاة قم فصل، فخرجت. قال: فسألته عن غريمه، فقال: ما أعلم حاله. ووجهنا خلف صاحب الأتون، فجاء ومعه حديدة، فلم يزل يطلبه بها، حتى وقعت فى موضع من بدنه فجره، وأخرجه وقد صار حممة إلا جبهته، فإنها بلونها الأصلى عليها سطران مكتوبان يقرؤهما الصادر والوارد: هذا عبد طغى وبغى، وكفر بأبى بكر وعمر، آيس من رحمة الله فأغلق الناس دكاكينهم ثلاثة أيام لم يفتحوها؛ يتناوبونه فينتظرون إليه، ويسمعون من السنى حديثه، وتاب من كان يشتم أبا بكر وعمر هنالك، وكانوا نحو أربعة آلاف نفس، انتهى. اللهم ارض عنهم وعنا بهم، ولا تجعل لأحد منهم فى عتقنا ظلامه بجودك وكرمك!!.

تنبيه: حكى الخطابى عن بعض مشايخه أنه كان يقول: أبو بكر خير من على، وعلى أفضل من أبى بكر. فقال بعض العلماء: إن هذا تهافت من القول؛ لأنه لا معنى للخيرية إلا الأفضلية، فإن أريد أن خيرية أبى بكر من وجه وأفضلية على من وجه لم يكن ذلك من محل الخلاف، ولم يكن الأمر فى ذلك خاصاً بأبى بكر وعلى بل أبو بكر وأبو عبيدة مثلاً يقال فيهما ذلك، فإن الأمانة التى فى أبى عبيدة خصه

رسول الله ﷺ بها بقوله: «أبو عبيدة أمين هذه الأمة»^(١) ولم يخص أبا بكر بمثلها، فيكون أبو عبيدة خيراً من أبي بكر فيها فحسب ومن جهتها فقط لما تقرر في الأصول أن المفضول قد توجد فيه مزايا لا توجد في الفاضل، فلا يكون وجودها مقتضياً لتفضيله على الفاضل عليه بل ولا مساواته، فإن أراد شيخ الخطابي أن أبا بكر أفضل مطلقاً إلا أن علياً وجدت فيه مزايا لم توجد في أبي بكر مثل قوله - عليه الصلاة والسلام - أقضاكم علي^(٢) فكلامه صحيح، وإلا فكلامه في غاية التهافت والسقوط، خلافاً لمن انتصر له ووجهه بما لا يجدى بل لا يفهم. وقد سئل شيخ الإسلام الإمام أبو زرعة العراقي عمن اعتقد في الخلفاء الأربعة على الترتيب المعلوم ولكنه أحب أحدهم أكثر هل يأنم أم لا؟ فأجاب بأن المحبة قد تكون لأمر ديني وقد تكون لأمر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر، فمتى اعتقدنا في واحد منهم أنه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان ذلك تناقضاً. نعم إن أحببنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لأمر دنيوي كقربة أو إحسان أو نحوهما فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فلا إثم، فمن اعترف بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، لكنه أحب علياً أكثر من أبي بكر مثلاً، فإن كان يدعى محبتها أنها المحبة الدينية فلا معنى لذلك إذ المحبة الدينية اعتقادها لازم لاعتقاد الأفضلية كما تقدم فهذا المحب لعلی أكثر محبة دينية على دعواه مع اعتقاده أفضلية أبي بكر عليه لم يعتقد أفضلية أبي بكر حقيقة وإنما هو معترف بها بلسانه فقط وأما بالقلب فلا إذ هو مفضل لعلی بقلبه لزوماً لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر وهذا لا يجوز. أما إذا كانت محبة

(١) تقدم.

(٢) أخرج البخاري (٤٤٨١) عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: (أقرؤنا أبي وأقضانا علي... قال الحافظ في الفتح (١٩/٨) قوله قال عمر: (أقرؤنا أبي وأقضانا علي) كذا أخرجه موقوفاً،... وأما قوله: (وأقضانا علي) فورد في حديث مرفوع عن أنس رفعه: (أقضى أمتي علي بن أبي طالب) أخرجه البغوي. وعن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن النبي مرسلأ أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقضاهم علي. الحديث. ورويناه موصولاً في «فوائد أبي بكر محمد بن العباس بن نجيع» من حديث أبي سعيد الخدري مثله، وروى البزار من حديث ابن مسعود قال: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه اهـ وينظر كشف الخفاء (١/١١٧ - ١١٩، ١٨٤ - ١٨٥).

المحب أكثر محبة دنيوية لكونه من ذرية على أو لإحسان من على أو من بنيه إليه أو لغير ذلك من المعانى فلا امتناع فى ذلك. انتهى.

قلت: لا يظهر صحة دعوى التلازم فعلى مدعيها بيان الملازمة ليعتمد فيعتقد ودونه خبط القتاد. وأما قوله وهذا لا يجوز أقول فيه هذا لا يجوز، إذ قد صرح علماؤنا بأن من اعترف للشيخين بحقهما وفضلهما ثم أحب عليًا أكثر لاتصال نسبه به ﷺ وقربه منه القرب الذى لا يشابه وكشف الكروب عن وجهه فى المضايق ونحوهما كان ذلك الحب قرينة إلى الله مثابًا صاحبه مأجورًا لا آثمًا مأزورًا ولو لم يكن له بعلى نسبة اتصال ولا إحسان ولا نحوهما مما جعله مسوغًا لجواز ذلك، هذا هو مذهب الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى هذه المسألة فالعجب من هذا المجيب فيما أجاب، وأعجب منه إقرار العلامة ابن حجر عليه.

فى الكتاب فى تاريخ ابن الجوزى المسمى بالمنتظم فى أخبار الأمم والعرب والعجم قصيدة للإمام العلامة يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد أبو الفضل الحصنكى - نسبة إلى حصن كيفا - أحببت إيراد شيء منها قال: [من الرجز]

تقاسموا يومَ الوداعِ كِبِيدِي	فَلَيْسَ لِي مِنْذُ تَوَلَّوْا كَبِيدُ
على الجفونِ رَحَلُوا وفى الحشا	عَ قَيَّلُوا وماءَ عيني وَرَدُوا
وأدْمَعِي مسفوحةً وَكَبِيدِي	مقروحةً وَغَلَّتِي ما تبردُ
وصَبَوَتِي دائمةً ومُثْقَلَتِي	داميةً ونَوْمُهَا مشرَّدُ
تيمنى منهم غزالٌ أغيدُ	يا حَبْدًا ذاك الغزالُ الأَغِيدُ
حُسَامُهُ مجرَّدٌ وصرخُهُ	ممرَّدٌ وخدُهُ مورَّدُ
وضدْعُهُ فوقَ احمرارِ خَدِهِ	مبلبلٌ مُعَقَّرٌ مجعَّدُ
كأنما نكهتُهُ وريقُهُ	مِسْكٌ وخَمَرٌ والثنايا برَّدُ
يقعدهُ عند القيامِ ردْفُهُ	وفى الحشا مِنْهُ المقيمُ المقعدُ
له قوامٌ كقضيْبٍ بانهٍ	يهتزُّ قصداً ليس فيه أودُ

قال: وهى طويلة جدًا. ثم خرج من التغزل إلى مدح أهل البيت، وذكر الأئمة الاثنى عشر - رحمهم الله تعالى - فقال:

يا سائلى عَنْ حُبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ هَلْ	أَقَرَّ إِيمَانًا بِهِ أَمْ أَجَحَدُ
هيهاتَ ممزوجٍ بلخمي وَدَمِي	حُبُّهُمْ وَهُوَ الْهَدَى وَالرَّشْدُ

حَيْدَرَةٌ وَالْحَسَنَانِ بَعْدَهُ
وَجَعْفَرُ الصَّادِقُ وَابْنُ جَعْفَرٍ
أَعْنَى الرِّضَا ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ
وَالْحَسَنُ الثَّانِي وَيَتْلُو تَلَوَهُ
فَإِنَّهُمْ أَتَمَّتْ وَسَادَتِي
أَيْمَةً أَكْرَمَ بِهِمُ أَيْمَةً
هُمْ حُجَّجُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ
قَوْمٌ لَهُمْ فَضْلٌ وَمَجْدٌ بَادِخٌ
قَوْمٌ لَهُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَشْهُدٌ
قَوْمٌ مِثِّي وَالْمَشْعُرَانِ لَهُمْ
قَوْمٌ لَهُمْ مَكَّةُ وَالْأَبْطَحُ وَالْ
ثُمَّ ذَكَرَ مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ إِلَى أَنْ قَالَ:

وَلَسْتُ أَهْوَاكُمْ بِبَغْضِ غَيْرِكُمْ
فَلَا يَظُنُّ رَافِضِيٌّ أَنَّنِي
مُحَمَّدٌ وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ
هُمْ أَسَّسُوا قَوَاعِدَ الدِّينِ لَنَا
وَمَنْ يَخُنْ أَحْمَدَ فِي أَصْحَابِهِ
هَذَا اعْتِقَادِي فَالزَّمُوهُ تَفْلَحُوا
وَالشَّافِعِيُّ مَذْهَبِي مَذْهَبُهُ
إِنِّي بِإِذْنِ اللَّهِ نَاجٍ سَابِقٌ

نسب أبي بكر الصديق، رضى الله تعالى عنه

هو أبو بكر الصديق ابن أبي قُحافة، عثمان بن عمرو بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، القرشي التيمي^(١)،

(١) ينظر السيرة النبوية (٢٨٥/١) وطبقات ابن سعد (١٢٥/٣)، وتاريخ الطبري (٤٢٤/٨)، وفتح الباري (٣٥٥/٧)، والإصابة (١٤٤/٣)، ومستدرک الحاكم (٦١/٣)، وأسد الغابة =

يلتقى معه - عليه الصلاة والسلام - فى مرة، وبينه وبين مرة كما بينه - عليه الصلاة والسلام - وبين مرة؛ ستة آباء؛ فهذه موافقة اتفقت بينهما فى النسب؛ كما اتفقت فى العمر، على أصح الأقوال.

أمه: أم الخير - لفظاً ومعنى ! - سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، بنت عم أبيه؛ هكذا ذكره جمهور أهل النسب، ومن شذ فقال: بنت صخر بن عامر [بن عمر بن كعب]^(١)، فجعلها ابنة عمه - فليس بصحيح.

أسلم أبوه أبو قحافة، عثمان بن عمرو بن كعب، يوم الفتح، وبايع رسول الله ﷺ وعاش مدة حياته ﷺ ومدة خلافة ولده، ومات فى خلافة عمر، رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

عن أسماء بنت أبى بكر - رضى الله تعالى عنهما - قالت: لما وقف رسول الله ﷺ بذى طوى، حال دخوله مكة عام الفتح، قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أى بنية، اظهري بى على أبى قبيس. قالت: والحال أنه قد كف بصره، قالت: فأشرفت به عليه، فقال: أى بنية، ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً. قال: تلك الخيل. قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي السواد^(٢)، مقبلاً ومدبراً. قال: أى بنية، ذاك الوازع الذى يؤم الخيل ويتقدم إليها. ثم قالت: قد - والله ! - انتشر بالوادى^(٣). فقال: والله لقد دفعت الخيل، فأسرعى بى إلى بيتى، فانحطت به وتلقته الخيل قبل أن يصل إلى بيته - وفى عنق الجارية طوق من فضة^(٤)، فتلقاها رجل فاقتلعه من عنقها.

قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة [ودخل]^(٥) والمسجد، أتاه أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: « هلا تركت الشيخ

= ت (٣٠٦٦)، والرياض المستطابة (١٤٠)، والرياض النضرة (٧٣/١)، وصفة الصفوة (١) ٢٣٥ - ٢٦٣).

(١) المثبت من الرياض النضرة. وينظر الرياض (٧٣/١، ٧٤).

(٢) فى الرياض النضرة: ذلك السواد.

(٣) فى الرياض النضرة: السواد.

(٤) فى الرياض: من ورق. (٢١)

(٥) المثبت من الرياض.

فى بيته؛ حتى أكون أنا آتيه ؟ » فقال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يأتى^(١) إليك من أن تأتى^(٢) إليه. قال فأجلسه رسول الله ﷺ بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: « أسلم » فأسلم. وكان رأسه كالثغامة، فقال - عليه الصلاة والسلام: « غيروا هذا عن شعره ». ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشد الله والإسلام طوق أختى ! فقال: يا أختى احتسبى طوقك، فوالله إن الأمانة اليوم فى الناس لقليل. أخرجه أحمد، وأبو حاتم، وابن إسحاق^(٣).

وفى رواية بعد قوله - عليه الصلاة والسلام - : « هلا تركت الشيخ حتى أكون أنا آتيه »: فقال أبو بكر: أردت يا رسول الله، أن يأجره الله - عز وجل - فوالذى بعثك بالحق نبياً، لأننا كنت أشد فرحاً بإسلام أبى طالب، منى بإسلام أبى؛ ألتمس بذلك قرة عينك، قال عليه - الصلاة والسلام - : « صدقت »^(٤).

وقوله: « الوازع »: هو الذى يتقدم الصف، فيصلحه، ويقدم، ويؤخر فى الجيش، ومنه قول الحسن: « لا بد للناس من وازع »، أى سلطان يكف بعضهم عن بعض. والثغامة: واحدة الثغام، نبت أبيض يشبه الشيب به.

وأسلمت أمه - رضى الله تعالى عنها - أم الخير سلمى بنت صخر قديماً فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، وبايعت النبى ﷺ. ذكره الحافظ الدمشقى، وصاحب الصفوة^(٥).

ولد - رضى الله تعالى عنه - بعد مولده - عليه الصلاة والسلام - بستين وأشهر بمكة^(٦)، وكان منشأه بمكة، لا يخرج منها إلا لتجارة، وكان ذا مال جزيل فى

(١) فى الرياض: يمشي.

(٢) فى الرياض: تمشي.

(٣) أخرجه أحمد (٣٤٩/٦ - ٣٥٠)، والطبراني فى الكبير (٢٤/رقمى ٢٣٦، ٢٣٧). وابن سعد فى الطبقات (٨/٦)، والحاكم (٤٦/٣) والبيهقى فى الدلائل (٩٥/٥ - ٩٦) من طريق ابن إسحاق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء، به. وقال الحافظ فى الإصابة (٣٧٥/٤): إسناده صحيح. وانظر الرياض النضرة (٧٤/١).

(٤) أخرجه الطبراني فى الكبير (٨٣٢٣) والبخارى كما فى المجمع (١٧٧/٦) من حديث ابن عمر وقال الهيثمي: فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

(٥) ينظر الإصابة (٣٨٦/٨)، والرياض النضرة (٧٥/١).

(٦) فى الإصابة (١٤٥/٤): ولد بعد عام الفيل بستين وستة أشهر.

قومه، وثروة تامة، وإحسان، وتفضل فيهم، وكان من رؤساء قريش فى الجاهلية، وأهل مشورتهم، ومحبيًا فيهم.

ولما جاء الإسلام أكره على ما سواه، ولم يفعل، ودخل فى الإسلام أكمل دخول. وكان من أعف الناس فى الجاهلية، وقالت عائشة - رضى الله تعالى عنها -: لقد ترك هو وعثمان شرب الخمر فى الجاهلية^(١). رواه ابن عساكر بسند صحيح.

صفته رضى الله تعالى عنه

كان نحيفًا، أبيض، حسن القامة، خفيف العارضين، أجناً لا يستمسك إزاره فى حقويه، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عارى الأشاجع. رواه ابن سعد، عن عائشة، رضى الله تعالى عنها^(٢). وقوله: «أجناً» بالجيم والهمز -: أى منحنيًا، يقال منه: جناً يجنو - بالقصر - جنوءًا، ومنه يسمى الترس مجناً لانحنائه، ويقال: أحنا - بالحاء غير مهموز - بمعناه، والأشاجع: جمع أشجع بوزن إصبع، هى أصول الأصابع التى تتصل بأصول ظاهر الكف.

كان - رضى الله عنه - يلقب بالصدىق فى الجاهلية، لما عرف منه الصدق. قال ابن إسحاق عن الحسن البصرى وقتادة: وأول ما اشتهر به صبيحة ليلة الإسراء^(٣).

وروى الحاكم قال حماد عنه عن النزال بن سبرة قال قلنا لعلى - رضى الله تعالى عنه - يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن أبى بكر. قال: ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد ﷺ، خليفة رسول الله ﷺ على الصلاة، رضىه لديننا، ففرضاه لدينانا^(٤). وسمى بعتيق؛ لأن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد عتيقا ومعتقا ومعتقا^(٥)، وروى عن ابن منده وابن عساكر، عن موسى بن طلحة، قلت

(١) ينظر الرياض النضرة (٢٠١/١).

(٢) طبقات ابن سعد (١٤٠/٣)، وينظر الإصابة (١٤٦/٤)، والرياض النضرة (٨٢/١).

(٣) ينظر السيرة النبوية (٥٠/٢)، والرياض النضرة (٨١/١).

(٤) أخرجه الحاكم (٦٢/٣) بنحوه دون قوله «خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة...» وعزاه صاحب الرياض النضرة (٨١/١)، للخلعي وابن السمان فى الموافقة.

(٥) أخرجه ابن منده كما فى الإصابة (١٤٦/٤) وقال الحافظ: وفى السند ابن لهيعة وانظر =

لأبي طلحة: لم سمى أبو بكر عتيقاً؟ قال كانت أمه لا يعيش لها ولد، فلما ولدته استقبلت به البيت الشريف، ثم قالت: اللهم إن هذا عتيق البيت فهبه له^(١).

وروى ابن عساكر عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: اسم أبى بكر الذى سماه أهله به عبد الله، ولكن غلب عليه اسم عتيق^(٢). وفى لفظ ولكن النبى ﷺ سماه عتيقاً.

واختلف فى أى وقت لقب عتيقاً فروى أبو يعلى فى مسنده، وابن سعد، والحاكم وصححه عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت: والله إنى لفى بيتى ذات يوم ورسول الله فى الفناء، والستر بينى وبينه إذ أقبل أبو بكر، فقال - عليه الصلاة والسلام - : من سره أن ينظر إلى عتيق من النار؛ فلينظر إلى أبى بكر: وإن اسمه الذى سماه أهله لعبد الله فغلب عليه اسم عتيق^(٣).

وروى الترمذى والحاكم عنها أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ، فقال له: أنت عتيق الله من النار، فيومئذ سمى عتيقاً^(٤).

وروى الطبرى والبزار بسند جيد عن عبد الله بن الزبير، قال: كان اسم أبى بكر عبد الله، فقال له رسول الله ﷺ: أنت عتيق الله من النار. قال فى الرياض النضرة: ولا تضاد بين هذه الأحاديث كلها، إذ يصح أن يكون أحد الأبوين لقبه بذلك ثم تابعه الآخر عليه، أو لمعنى آخر، ثم استعملته قریش وأقرته عليه ثم أقر عليه بعد ذلك، وما روى عن عائشة من قولها « فمن يومئذ سمى عتيقاً » فمعناه والله أعلم

= الرياض النضرة (٧٨/١).

(١) أخرجه الحاكم (٦١/٣)، والدولابى فى الكنى، وابن مندة كما فى الإصابة (١٤٧/٤).
(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (١٢٧/٣)، وذكره الحافظ فى الإصابة (١٤٦/٤)، وانظر الرياض النضرة (٧٨/١).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٤٨٩٩)، وابن سعد فى الطبقات (١٢٧/٣)، والحاكم (٦١-٦٢/٣) من طريق صالح بن موسى الطلحي عن معاوية بن إسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة عن المؤمنين، به. وصححه الحاكم. وتعقبه الذهبي بقوله: صالح ضعفه، والسند مظلم.

(٤) أخرجه الترمذى (٣٦٧٩)، والطبراني (٩) والحاكم (٤١٥/٢)، وفى سنده إسحاق بن يحيى بن طلحة. وصححه الحاكم. وتعقبه الذهبي بقوله: بل إسحاق متروك. قاله أحمد وله شاهد من حديث عبد الله بن الزبير، أخرجه ابن حبان (٦٨٦٤) والطبراني (٧)، والبزار (٢٤٨٣) قال الهيثمي فى المجمع (٤٣/٩): رجالهما ثقات. وانظر الرياض النضرة (٧٨/١).

فمن ذلك اليوم اشتهر به حتى لا يعرف له اسم سواه^(١).

الآيات في شأن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الَّذِينَ الَّذِينَ يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٧، ١٨] إلى آخر السورة. قال ابن الجوزي: أجمعوا أنها نزلت في أبي بكر^(٢)، ففيها التصريح بأنه أتقى من سائر الأمة، والأتقى هو الأكرم عند الله، بدليل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقُّكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] والأكرم عند الله هو الأفضل. وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني: أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب في الله؛ فأنزل الله قوله ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الَّذِينَ الَّذِينَ﴾^(٣) [الليل: ١٧].

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ يَبْغُوا كَيْدًا وَيَتْلَوْهُمَا بِحِبْطٍ وَفُتْرٍ وَكُفْرٍ وَإِفْكَارٍ إِنَّهُمْ سَيعَمَّوْنَ﴾ [الليل: ١: ٤] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أن أبا بكر اشترى بلالاً من أمية بن خلف وأبي بن خلف ببردة وعشرة أواق، فأعتقه لله تعالى؛ فأنزل الله هذه الآية^(٤)؛ إشارة إلى أن سعى أبي بكر وأميه وأبي مفرق فرقانا عظيما، فشتان بينهما. الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ثَاقِبَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ لَنَا اللَّهُ مَعَنَا﴾ إلى قوله ﴿لَمْ تَرْوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠] أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر، ومن ثم من أنكر صحبته كفر إجماعا. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود^(٥) أن الضمير في ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠] لأبي بكر^(٦) أي: ولا ينافيه ﴿وَأَيْكِدُمْ يَجْتُوذُ﴾ [التوبة: ٤٠] إرجاعا للضمير في كل بما يليق به، وجلالة ابن مسعود قاضية بأنه لولا علم في ذلك نصا لما حمل الآية عليه مع مخالفة ظاهرها له.

الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]. أخرج البزار وابن عساكر أن عليا - رضى الله تعالى عنه - قال في

(١) ينظر: الرياض النضرة (١/٧٨).

(٢) هذا قول ابن عباس أيضاً ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٠٧) وعزاه لابن مردويه.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٠٧) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٦٠٥) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.

(٥) في الدلائل (٢/٤٨٢) والدر المنثور (٣/٤٣٩): ابن عباس.

(٦) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/٤٨٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٤٣٩) وزاد نسبته =

تفسيرها: الذي جاء بالحق هو محمد ﷺ، وصدق به هو أبو بكر^(١). قال ابن عساكر. هكذا الرواية « بالحق »، ولعلها قراءة لعلی، رضى الله تعالى عنه.

الآية الخامسة قوله تعالى: ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [الرحمن : ٤٦].

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب: أنها نزلت في أبي بكر^(٢).

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]. أخرج

الحاكم عن ابن عباس أنها نزلت في أبي بكر وعمر^(٣)، ويؤيده الخبر الآتي في الأحاديث « إن الله أمرني أن أستشير أبا بكر وعمر »^(٤).

الآية السابعة قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَحَبِيبُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[التحريم : ٤]. أخرج الطبراني عن ابن عمر وابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - : أنها نزلت فيهما^(٥).

الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ﴾ إلى

قوله: ﴿ يُؤْعَدُونَ ﴾ [الأحقاف : ١٥، ١٦]. أخرج ابن عساكر عن ابن عباس - رضى

الله تعالى عنهما - أن ذلك جميعه نزل في أبي بكر - رضى الله تعالى عنه^(٦) - ومن

تأمل ذلك وجد فيه من عظيم المنقبة له والمنة عليه، ما لم يوجد لأحد من الصحابة،

= إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

(١) أخرجه الطبري (٣٠١٤٤) والبخاري (٥٠/٩) والبيهقي (٣٩٧) -

٣٩٩ من طريق عمر بن إبراهيم عن عبد الملك بن عمير عن أسيد بن صفوان عن علي،

به. وقال الهيثمي: وفيه عمر بن إبراهيم الهاشمي وهو كذاب قلت: وعمر ذكره الذهبي في

الميزان (٢١٧/٥) وساق له هذا الحديث وعزاه للهيثم بن كليب وقال: ليشهد القلب بوضع

ذلك، وأسيد مجهول قلت: وهذا من أضعف ما أخرج الضياء في مختارته وذكر الحديث

السيوطي في الدر المنثور (٦١٥/٥) وعزاه إلى ابن جرير والباوردي في معرفة الصحابة وابن

عساكر.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٠١/٦) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الحاكم (٧٠/٣) من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس وقال:

صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) يأتي تخريجه في موضعه.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٧٣/٦) وعزاه إلى الطبراني في الأوسط وابن مردويه.

وعزاه لابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وعزاه له أيضًا من حديث

بريدة وله شواهد أخرى ينظر لها الدر المنثور (٣٧٣/٦).

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/٦) وعزاه إلى ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح

عن ابن عباس والكلبي محمد بن السائب كذاب.

رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

الآية التاسعة قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى ﴾ إلى قوله ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] نزلت فى أبى بكر - رضى الله تعالى عنه، كما فى البخارى وغيره - لما حلف لا ينفق على مسطح بن أثاثه بن عباد بن المطلب بن هاشم؛ لكونه كان من جملة من رمى عائشة بالإفك، الذى تولى سبحانه براءتها منه بالآيات العشر التى أنزلها سبحانه فى شأنها أول سورة النور، ولما نزلت قال أبو بكر: بلى، والله يا ربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا، وأعاد لمسطح ما كان ينفقه عليه^(١). وفى رواية للبخارى عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - فى حديث الإفك الطويل: فلما أنزل الله هذا فى براءتى، قال أبو بكر الصديق - وكان ينفق على « مسطح بن أثاثه، لقربته منه وفقره - والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة ما قال، فأنزل الله قوله: ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ ﴾ [النور: ٢٢] وذكر الآية السابقة. ثم قالت: قال أبو بكر: بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لى. فرجع إلى « مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه، وقال: والله لا أنزعها أبداً^(٢).

تنبيه: علم من حديث الإفك المشار إليه أن من نسب عائشة - رضى الله تعالى عنها إلى الزنا كان كافراً، وهو ما قد صرح به أئمتنا وغيرهم؛ لأن فى ذلك تكذيب النصوص القرآنية، ومكذبها كافر بإجماع المسلمين. وبه يعلم القطع بكفر كثيرين من غلاة الروافض؛ لأنهم ينسبونها إلى ذلك، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ الآية [الأحزاب: ٤٣]. أخرج عبد بن حميد عن مجاهد: لما نزلت ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ... ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال أبو بكر: يا رسول الله، ما أنزل الله عليك خير إلا أشركنا فيه، فنزلت: ﴿ هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ... ﴾ الآية^(٣).

(١) حديث الإفك: أخرجه مطولاً البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠) ومسلم (٥٦/٢٧٧٠) وأحمد (١٩٧/٦) والنسائي فى عشرة النساء (٤٥) وأبو يعلى (٤٩٢٧) وابن حبان (٤٢١٢) والبيهقي (٣٠٢/٧) من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله عن عائشة .

(٢) ينظر الحديث السابق .

(٣) ذكره السيوطي فى الدر المنثور (٣٨٩/٥) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر .

الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [الاحقاف: ١٣]. عن ابن عباس: نزلت في أبي بكر، رضي الله تعالى عنه. ذكره الإمام الواحدى المفسر المشهور.

الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿أَفَنَ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي بَأْسًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠] عن ابن عباس: هذا أبو جهل، وهذا أبو بكر. حكاه الإمام الثعالبي^(١).

الآية الثالثة عشرة قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ إلى ﴿وَلِإِيَّائِنَا الْمُسْلِمِينَ﴾ [الاحقاف: ١٥] عن ابن عباس نزلت في أبي بكر فاستجاب الله له فأسلم والده وأولاده كلهم. رواه عقيل بن خالد الأربلى^(٢).

الآية الرابعة عشرة قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلُ﴾ [الحديد: ١٠]. قال الكلبي: نزلت في أبي بكر. ذكره الواحدى^(٣).

الآية الخامسة عشرة قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ [المجادلة: ٢٢] عن ابن جريج أن أبا قحافة سب النبي ﷺ، فصكه [أبو بكر] ^(٤) صكة شديدة؛ فسقط منها، ثم ذكر للنبي ﷺ. قال: «أو فعلته؟! قال: نعم، فقال - عليه الصلاة والسلام - : «فلا تعد إليه». فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريباً منى لقتلته، فنزلت هذه الآية. أخرجه الواحدى والإمام أبو الفرج^(٥).

الآية السادسة عشرة قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ﴾ الآية [التوبة: ٤٠]. أخرج ابن عساكر عن سفيان بن عيينة، قال: عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله ﷺ، إلا أبا بكر وحده فإنه خرج من المعاتبه، ثم قرأ ﴿إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ﴾ الآية^(٦).



- (١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٨٨/٥) وعزاه إلى ابن مردويه.
- (٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠/٦) وعزاه إلى ابن مردويه عن ابن عباس.
- (٣) ينظر أسباب النزول للواحدى ص (٤٢٥).
- (٤) المثبت من أسباب النزول.
- (٥) ينظر أسباب النزول للواحدى ص (٤٣٤).
- (٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٣٤/٣) وعزاه إلى ابن عساكر عن سفيان بن عيينة.

الأحاديث في شأن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

منها صافية الدلالة على خلافته، وهي أربعة عشر حديثاً:

الحديث الأول - أخرج الشيخان عن جبير بن مطعم، قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: أرأيت إن جئت، ولم أجذك؟ كأنها تقول الموت. قال: إن لم تجدني، فأتني أبا بكر^(١). وأخرج ابن عساكر، عن ابن عباس قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تسأله شيئاً، فقال لها تعودين، فقالت: يا رسول الله، إن عدت فلم أجذك؟ تعرّض بالموت. فقال: إن جئتني، ولم تجدني؛ فأتني أبا بكر، فإنه الخليفة بعدي^(٢).

الحديث الثاني - أخرج أبو القاسم البغوي بسند حسن، عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون خلفي اثنا عشر خليفة، أبو بكر لا يلبث إلا قليلاً»^(٣) قال الأئمة: هذا صدر حديث مجمع على صحته، وارد من طرق عدة. أخرجه الشيخان وغيرهما. فمن تلك الطرق: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً ينصرون على من ناوهم عليه إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»^(٤). رواه عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، بسند صحيح. ومنها: «لا يزال هذا الأمر صالحاً»^(٥). ومنها «لا يزال ماضياً ما يليهم اثنا عشر رجلاً»^(٦). ومنها «لا يزال

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٩، ٧٢٢٠، ٧٣٦٠) ومسلم (٢٣٨٦) والترمذي (٣٦٧٦) وأحمد (٨٢/٤) والشافعي في مسنده (٤٠٤/٢) وابن حبان (٦٦٥٦) والبيهقي (١٥٣/٨) من حديث جبير بن مطعم وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) يشهد له حديث جبير بن مطعم وهو الحديث السابق.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٤٩) وفي الكبير (١٢) وابن عدي في الكامل (٢٠٨/٤)، وابن حبان في المجروحين (٤٢/٢) من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن شفي بن مائع عن عبد الله بن عمرو به وقال الطبراني: لا يروي هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو إلا بهذا الإسناد تفرد به الليث. (٤) أخرجه أحمد (٩٠/٥، ١٠٠، ١٠٦) وعبد الله في زوائده (٩٩/٥)، ومسلم (١٨٢١/٧)، والترمذي (٢٢٢٣)، والطيالسي (١٢٧٨)، وابن حبان (٦٦٦٢)، والطبراني (١٩٦٤)، وأبو القاسم البغوي في الجعديات (٢٧٥٤) من حديث جابر بن سمرة.

(٥) ذكره الحافظ في الفتح (١٢٦/١٥) بهذا اللفظ وعزاه للبزار والطبراني من حديث أبي جحيفة والذي عند البزار (١٥٨٤) «لا يزال أمر أمتي قائماً حتى يمضي اثنا عشر خليفة...» الحديث.

(٦) تقدم تخريجه من حديث جابر بن سمرة وأشار الحافظ في الفتح (١٢٦/١٥) إلى هذه الرواية.

أمرأتي قائماً حتى يمضى اثنا عشر خليفة كلهم من قريش «، زاد أبو داود « فلما رجع إلى منزله أته قريش، فقالوا ثم يكون ماذا ؟ قال ثم يكون الهرج »^(١)، وعن ابن مسعود بسند حسن: أنه سئل كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال: سألنا عنها رسول الله ﷺ، فقال: « اثنا عشر كعدة نقباء بنى إسرائيل »^(٢). قال القاضي عياض: لعل المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث: أنهم يكونون في مدة عزة الخلافة، وقوة الإسلام، واستقامة أموره، والاجتماع على من يقوم بالخلافة، وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بنى أمية، ووقعت بينهم الفتن زمن الوليد بن يزيد، فاتصلت تلك الفتن إلى أن قامت الدولة العباسية، فاستأصلوا أمرهم^(٣).

قال العلامة ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في شرح البخاري: كلام القاضي عياض هذا أحسن ما قيل في هذا الحديث، فرجحه لتأييده بقوله في بعض طرقه الصحيحة: « كلهم يجتمع عليه الناس » والمراد باجتماعهم: انقيادهم لبيعته، والذي اجتمعوا عليه الخلفاء الثلاثة ثم على عليّ - رضى الله عنه - إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين، وتسمى معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمعوا على معاوية عند صلح الحسن، ونزوله عن الخلافة ثم على ابنه يزيد، ولم ينتظم للحسين - رضى الله عنه - أمر بل قتل، ثم لما مات يزيد اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل عبد الله بن الزبير، ثم على أولاده الأربعة الوليد، فسلیمان، فيزيد، فهشام، وتخلل بين سليمان ويزيد: عمر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين الأربعة، فجعلتهم أحد عشر والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فاجتمعوا عليه لما مات عمه هشام، فولى نحو أربع سنين، ثم قاموا عليه؛ فقتلوه، وانتشرت

(١) أخرجه أحمد (٩٢/٥)، وأبو داود (٤٢٨١)، وأبو القاسم البغوي في الجعديات (٢٧٥٦)، وابن حبان (٦٦٦١)، والبيهقي في الدلائل (٥٢٠/٦)، والطبراني في الكبير (٢٠٥٩) من حديث جابر بن سمره.

(٢) أخرجه أحمد (٤٠٦، ٣٩٨/١)، والبزار (١٥٨٦، ١٥٨٧) من طريق مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود ومجالد هو ابن سعيد وهو ضعيف وذكره الهيثمي في المجمع (١٩٣/٥) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه مجالد بن سعيد وثقه النسائي وضعفه الجمهور وبقيّة رجاله ثقات.

(٣) ينظر: الفتح (١٢٦/١٥).

الفتن، وتغيرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفق أن تجتمع الناس على خليفة بعد ذلك؛ لوقوع الفتن بين من بقى من بنى أمية، ولخروج المغرب عن العباسيين باستيلاء عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك الملقب بالداخل عليه، وانفرط الأمر إلى أن لم يبق من الخلافة إلا الاسم، بعد أن كان يخطب لعبد الملك فى جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً، يمينا وشمالا، مما غلب عليه المسلمون، ولا يتولى أحد فى بلدة إمارة فى شيء إلا بأمر الخليفة.

وقيل: اثنا عشر خليفة فى مدة الإسلام إلى القيامة، يعملون بالحق وإن لم يتوالوا، ويؤيده قول أبى الجلد: كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، منهم رجлан من أهل بيت محمد ﷺ، فعليه المراد بالهراج الفتن الكبار كالرجال وما بعده.

وقيل: المراد بالاثنى عشر: الخلفاء الأربعة، والحسن ومعاوية، وابن الزبير، وعمر بن عبد العزيز فى الأمويين. قيل: ويحتمل أن يضم إليهم المهتدى العباسى؛ لأنه فى العباسيين كعمر بن عبد العزيز فى الأمويين، والظاهر العباسى أيضا لما أوتيه فى العدل، ويبقى الاثنان المنتظران، أحدهما: المهتدى من آل بيت محمد^(١). قلت: لعل هذا القول الثانى أقرب إلى المراد من كلام سيد العباد.

الحديث الثالث: أخرج أحمد، والترمذى وحسنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه عن حذيفة^(٢)، وأخرج الطبرانى من حديث أبى الدرداء^(٣)، والحاكم من حديث ابن مسعود^(٤)، وروى أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وابن حبان فى

(١) ينظر: الفتح (١٥/١٢٨-١٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٠٢) وفى الفضائل (٤٧٨)، والترمذى (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٩٧)، والحميدى (٤٤٩)، وابن سعد فى الطبقات الكبرى (٢/٣٣٤)، وابن حبان (٦٩٠٢)، والفسوى فى المعرفة والتاريخ (١/٤٨٠)، والطحاوى فى مشكل الآثار (٢/٨٣-٨٤) وابن أبى عاصم فى السنة (١١٤٨، ١١٤٩) والحاكم (٣/٧٥)، وأبو نعيم (٩/١٠٩)، والخطيب فى تاريخ بغداد (١٢/٢٠) من حديث حذيفة.

(٣) ذكره الهيثمى فى المجمع (٩/٥٦) وقال: رواه الطبرانى وفيه من لم أعرفهم. (٤) أخرجه الحاكم (٣/٧٥-٧٦) وصححه إسناده وتعقبه الذهبي فقال: سنده واه. والحديث أخرجه أيضا الترمذى (٣٨٩٣) وعبد الله بن أحمد فى «زوائد الفضائل» (٢٩٤) وابن عدي فى «الكامل» (٧/٢٦٥٤) وقال الترمذى: هذا حديث غريب من هذا الوجه من حديث ابن مسعود لا نعرفه من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل ويحيى بن سلمة يضعف فى الحديث.

صحيحه عن حذيفة: « إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقصدوا باللذين من بعدى أبي بكر وعمر، وتمسكوا بهدي عمار، وما حدثكم به ابن مسعود فصدقوه »^(١)، والترمذي عن ابن مسعود^(٢)، والرويانى عن حذيفة^(٣)، وابن عدى عن أنس: « اقتدوا باللذين من بعدى من أصحاب أبي بكر وعمر، واقتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود »^(٤).

الحديث الرابع: أخرج الشيخان، عن أبي سعيد الخدرى قال: خطب رسول الله ﷺ الناس، فقال: « إن الله تعالى خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله » فبكى أبو بكر، وقال: بل نفديك بأبائنا وأمهاتنا، فعجبنا لبكائه أن أخبر رسول الله ﷺ بذلك، فكان رسول الله ﷺ هو المخبر عنه، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: « إن من آمن الناس على في صحبته وماله - أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين باب إلا سُد إلا باب أبي بكر »، وفي لفظ للبخارى ومسلم: « لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر »^(٥). قال العلامة ابن حجر الهيتمي: في هذه الأحاديث إشارة إلى خلافة الصديق - رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه -؛ لأن الخليفة يحتاج إلى القرب من المسجد؛ لشدة احتياج الناس إلى ملازمته له للصلاة وغيرها^(٦).

الحديث الخامس - أخرج الحاكم وصححه، عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال: بعثنى بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ أن سله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟

(١) تقدم تخريجه قبل حديثين.

(٢) ينظر: الحديث قبل السابق.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في المجمع (٢٩٨/٩) وقال الهيتمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن عبد الحميد الجُماني وهو ضعيف.

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦٦٦/٢) من طريق حماد بن دليل المدائني عن عمر بن نافع عن عمرو بن هرم عن أنس. وقال ابن عدي: لا يروي هذا الإسناد غير حماد هذا. اهـ وحماد بن دليل ضعفه الأزدي وغيره وينظر: الميزان (٣٥٩/٢).

(٥) أخرجه أحمد (١٨/٣)، والبخاري (٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢/٢)، والترمذي (٣٦٦٠)، والنسائي في فضائل الصحابة (٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٢٧)، وابن حبان (٦٥٩٤)، وابن سعد (٢٢٧/٢) من حديث أبي سعيد الخدرى.

(٦) وهو قول الخطابي وابن بطلال وغيرهما وينظر الفتح (٣٦٢/٧).

فأتيته، فسألته، فقال: إلى أبي بكر^(١). قال ابن حجر: ومن لازم دفع الصدقات إليه كونه هو الخليفة، إذ هو متولى قبض الصدقات.

الحديث السادس: أخرج مسلم، عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذى مات فيه: « ادعى لى أباك وأخاك؛ حتى أكتب كتابا فأنى أخاف أن يتمنى متمن، أو يقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر ». أخرجه أحمد وغيره من طرق عنها، وفي بعضها: قال لى رسول الله ﷺ في مرضه الذى مات فيه: « ادعى لى عبد الرحمن بن أبى بكر أكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه أحد »، ثم قال: « دعيه، معاذ الله أن يختلف المؤمنون فى أبى بكر ». وفي رواية عبد الله بن أحمد: « أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر »^(٢).

الحديث السابع: أخرج الشيخان، عن أبى موسى الأشعرى قال: مرض النبى ﷺ، فاشتد مرضه، فقال: « مروا أبا بكر فليصل بالناس ». قالت عائشة: يا رسول الله، إنه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس، فقال: « مروا أبا بكر فليصل بالناس »، فعادت فقال: « مروا أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف »، فأتاه الرسول، فصلى بالناس فى حياة رسول الله ﷺ. وفي رواية أنها لما راجعته فلم يرجع لها، قالت لحفصة: قولى له: يأمر عمر، فقالت له، فأبى حتى غضب، فقال: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤] أتنن - أو إنكن لأتنن - صواحب يوسف يظهرن خلاف ما يخفين^(٣).

قال العلامة ابن حجر - رحمه الله تعالى - : واعلم أن هذا الحديث متواتر؛ فإنه ورد فى حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن زمعة وأبى سعيد الخدرى وعلى بن أبى طالب وحفصة، وفى بعض طرقه عن عائشة: قد

(١) أخرجه الحاكم (٧٧/٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
 (٢) أخرجه أحمد (١٤٤/٦)، ومسلم (٢٣٨٧)، وابن حبان من طريق صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة وأخرجه أحمد (١٠٦، ٥٠/٦) من طريق ابن أبى مليكة عن عائشة وأخرجه البخاري (٥٦٦٦، ٧٢١٧) من طريق القاسم بن محمد عن عائشة.
 (٣) أخرجه أحمد (٤١٢، ٤١٣)، والبخاري (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠/١٠١) من طريق عبد الملك بن عمير عن أبى بردة بن أبى موسى عن أبى موسى الأشعرى، به.

راجعت رسول الله ﷺ في ذلك يوما، حملني على كثرة مراجعته؛ أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا، وكنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل بذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر، - رضى الله تعالى عنه -^(١) وفي حديث ابن زمة: أن رسول الله ﷺ أمرهم بالصلاة، وكان أبو بكر غائبا، فتقدم عمر فصلى فقال رسول الله ﷺ: «لَا، لَا، يَا بِي الله والمسلمون إلا أبا بكر»^(٢)، وفي رواية عنه أنه ﷺ قال له: «أخرج، وقل لأبي بكر: يصلى بالناس»، فخرج فلم يجد على الباب إلا عمر في جماعة ليس فيهم أبو بكر، فقال: يا عمر صل بالناس، فلما كبر - وكان صيتا - سمع رسول الله ﷺ صوته، قال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر، يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر، يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر»^(٣).

قال العلامة ابن حجر: قال العلماء: في هذا أوضح دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق، وأحقهم بالخلافة وأولاهم.

قال الأشعري: قد علم بالضرورة أن رسول الله ﷺ أمر الصديق أن يصلى بالناس مع حضور المهاجرين والأنصار، ومع قوله: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»^(٤)،

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٥) من حديث عائشة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٦١) من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن زمة به؛ وقد تقدم.

(٣) أخرجه أحمد (٣٢٢/٤)، وأبو داود (٤٦٦٠) من طريق الزهري عن عبد الملك بن أبي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمة، به.

(٤) أخرجه مسلم (٤٦٥/١) كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة (٦٧٣/٢٩٠)، وأحمد (٤/١١٨)، وأبو داود (٣٩٠/١) كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، الحديث (٥٨٢)، والترمذي (١٤٩/١) كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، الحديث (٢٣٥)، والنسائي (٧٦/٢) كتاب الإمامة، باب من أحق بالإمامة، وابن ماجه (٣١٣/١) كتاب إقامة الصلاة، باب من أحق بالإمامة بالإمامة، الحديث (٩٨٠)، وأبو عوانة (٣٦٠/٣٥)، وابن الجارود (٣٠٨)، والدارقطني (٢٠٨/١)، والبيهقي (١٢٥، ١١٩/٣)، وابن خزيمة (٤/٣) رقم (١٠٥٧)، والحميدي رقم (٤٥٧)، وعبد الرزاق (٣٨٠٩، ٣٨٠٨)، وابن حبان (٤٤٦/٣) - الإحسان)، وأبو نعيم في «الحلية» (١١٣-١١٤)، والحاكم (٢٤٣/١)، واليغوي في «شرح السنة» (٣٩٧/٢) - بتحقيقنا) كلهم من طريق إسماعيل بن رجاء الزبيدي قال: سمعت أوس بن ضمعج يحدث عن أبي مسعود فذكره وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وأخرجه الحاكم بزيادة فقال: قد أخرج مسلم حديث إسماعيل بن رجاء هذا =

فدل على أنه أقرؤهم: أى أعلمهم بالقرآن. انتهى^(١).

وقد استدل الصحابة أنفسهم به على أنه أحق بالخلافة منهم، منهم عمر، وقد مرّ كلامه فى المبايعه، ومنهم على فقد أخرج ابن عساكر عنه قال: لقد أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلى بالناس، وإنى لشاهد وما أنا بغائب وما بى مرض، فرضينا لدنيانا من رضىه النبى ﷺ لدينا، قال العلماء: وكان معروفًا بأهلية الإمامة فى زمان النبى ﷺ.

وأخرج أحمد وأبو داود وغيرهما، عن سهل بن سعد قال: كان قتال بين بنى عمرو بن عوف، فبلغ النبى ﷺ، فأتاهم بعد الظهر؛ ليصلح بينهم - قلت: بنو عمرو بن عوف: هم أهل قباء من الأنصار - فقال - عليه الصلاة والسلام - لبلال: «يا بلال إن حضرت الصلاة، ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس»، فلما حضرت صلاة العصر أقام بلال الصلاة، ثم أمر أبا بكر، فصلى^(٢). ووجه ما تقرر أن الأمر بتقدمته للصلاة - كما ذكر - فيه الإشارة أو التصريح بأحقية للخلافة؛ إذ القصد الذاتى من نصب الإمام إقامة شعائر الدين على الوجه المأمور به من أداء الواجبات، وترك المحرمات، وإحياء السنن، وإماتة البدع، وأما الأمور الدنيوية وتدبيرها: كاستيفاء الأموال من وجوهها، وإيصالها لمستحقها، ودفع الظلم، ونحو ذلك - فليس مقصودًا بالذات، بل ليتفرغ الناس لأموال دينهم؛ إذ لا يتم تفرغهم له إلا إذا انتظمت أمور معاشهم بنحو الأمن على الأنفس والأموال، ووصول كل ذى حق إلى حقه، فلذلك رضى ﷺ لأمر الدين - وهى الإمامة العظمى - أبا بكر الصديق بتقدمه للإمامة فى الصلاة كما ذكر، ومن ثم اجتمعوا على ذلك كما مرّ^(٣).

= ولم يذكر فيه أفقههم فقها وهذه لفظة غريبة عزيزة بهذا الإسناد الصحيح.

(١) ينظر: الفتح (٣٩٤/٢)، (٣٩٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣٣٧/٥)، والبخاري (٦٨٤)، ومسلم (١٠٢/٤٢١)، ومالك (١٦٣/١) - (١٦٤)، وأبو داود (٩٤١، ٩٤٠)، والنسائي (٧٩-٧٧/٢)، وابن ماجه (١٠٣٥)، والشافعي فى المسند (١١٧-١١٨)، وعبد الرزاق (٤٠٧٢)، والدارمي (٣١٧/١)، وابن الجارود (٢١١) وابن خزيمة (٨٥٣، ٨٥٤)، وابن حبان (٢٢٦٠، ٢٢٦١)، والطحاوي فى شرح معاني الآثار (٤٤٧/١)، والبيهقي (٢٤٦/٢) من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد مطولاً ومختصراً.

(٣) ينظر: الفتح (٣٩٤/٢) - (٣٩٥).

وأخرج ابن عدى، عن أبى بكر بن عياش قال: قال لى الرشيد: يا أبا بكر كيف اختار الناس أبا بكر الصديق؟ قلت: يا أمير المؤمنين، سكت الله، وسكت رسوله، وسكت المؤمنون. قال الرشيد: والله ما زدتنى إلا عماء. قال: يا أمير المؤمنين، مرض النبى ﷺ ثمانية أيام، فدخل عليه بلال فقال: يا رسول الله، من يصلى بالناس؟ قال: «مروا أبا بكر يصلى بالناس»، فصلى أبو بكر بالناس ثمانية أيام، والوحى ينزل على النبى ﷺ، فسكت رسول الله ﷺ لسكوت الله عز وجل، وسكت المؤمنون؛ لسكوت رسول الله ﷺ، فأعجبه، وقال: بارك الله فيك^(١).

الحديث الثامن: أخرج ابن حبان، عن سفينة: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع فى أس البناء حجرًا، وقال لأبى بكر: ضع حجرك إلى جنب حجرى، ثم قال لعمر: ضع حجرك إلى جنب حجر أبى بكر، ثم قال لعثمان: ضع حجرك إلى جنب حجر عمر، ثم قال: هؤلاء الخلفاء بعدى. قال أبو زرعة: إسناده لا بأس به، وقد أخرجه الحاكم فى المستدرک وصححه، والبيهقى فى الدلائل، وغيرهما^(٢).

الحديث التاسع - أخرج الشيخان، عن ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما - أن النبى ﷺ قال: «رأيت كأنى أنزع بدلو بكرة - بسكون الكاف - على قلب، فجاء أبو بكر، فنزع ذنوباً ممثلة ماء أو قرية من ممثلة أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً، والله يغفر له. ثم جاء عمر، فاستقى، فاستحالت غرباً - أى دلوا عظيمًا - فلم أر عبقرى يفري قرية - أى رجلاً قوياً شديداً يعمل عمله - حتى روى الناس، وضربوا بعطن»^(٣). والعطن: مناخ الإبل إذا رويت.

قال بعض العلماء: هذا المنام [مثال لما]^(٤) جرى للخليفين من ظهور آثارهما الصالحة وانتفاع المسلمين بهما، وكل ذلك مأخوذ من النبى ﷺ لأنه صاحب

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢٥/٤).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن حبان في المجروحين (٢٧٠/١)، وابن أبي عاصم (٥٥٠/٢)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢٩٧/١)، والبيهقي في الدلائل (٥٥٣/٢)، وابن الجوزي في العلل (٣٣١) عن سفينة، وضعفه العقيلي وابن الجوزي وله لفظ آخر سيأتي تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (٢٧/٢، ٣٩، ٨٩، ١٠٤)، والبخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٣٩٣/١٩)، والترمذي (٢٢٨٩)، والنسائي في «الكبرى» كما في تحفة الأشراف (٧٠٢٢) من طريق سالم عن أبيه.

(٤) في ط: مثل ما، والمثبت من الفتح.

الأمر، فقام بذلك أكمل قيام، وقرر قواعد الدين، ثم خلفه أبو بكر، فقاتل أهل الردة، وقطع دابرهم. ثم خلفه عمر، فامتنع الإسلام فى زمنه، وكثرت الفتوحات، فشبه أمر المسلمين بقلب فيه الماء الذى فيه حياتهم وصلاتهم، وشبه أميرهم بالمستقى لهم منها، وليس فى قوله - عليه الصلاة والسلام - : « ويغفر الله له » نقص ولا إشارة إلى أنه وقع منه ذنب، وإنما هى كلمة كانت العرب تقولها عند الاعتناء بالأمر^(١).

الحديث العاشر - أخرج أبو بكر الشافعى فى الغيلانيات، وابن عساكر عن حفصة: أنها قالت لرسول الله ﷺ: إذا أنت اعتللت قدمت أبا بكر، قال: « لست أنا أقدمه، ولكن الله قدمه »^(٢).

الحديث الحادى عشر - أخرج أحمد، عن سفيينة، وأخرجه - أيضًا - صاحب السنن، وصححه ابن حبان وغيره، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: « الخلافة بعدى ثلاثون عامًا ثم تكون ملكا عضوضا »^(٣) قال العلماء: لم يكن فى الثلاثين بعده إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن. ووجه الدلالة منه أنه حكم بحقية الخلافة عنه فى أمر الدين هذه المدة دون ما بعدها، وحينئذ فيكون هذا دليلاً واضحاً فى حقبة خلافة كل من الخلفاء الأربعة، وقيل لسعيد بن جهمان: أن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، فقال: كذب بنو الزرقاء، بل هم ملوك من شر الملوك. فإن قلت: ينافى هذا خبر الاثنى عشر خليفة السابق.

قلت: لا ينافيه لأن هذا للكمال، فيكون المراد بهذا: الخلافة الكاملة ثلاثون سنة، وهى منحصرة فى الخلفاء الأربعة والحسن؛ لأن مدته هى المكمل للثلاثين، والمراد فيما تقدم: مطلق الخلافة التى فيها كمال وغيرها؛ لما مرّ أن من جملتهم

(١) ينظر الفتح (٤٤٨/١٤).

(٢) أخرجه الطبراني فى الأوسط (٢٨٤٨) وقال الهيثمى فى المجمع (١٨٤/٥): رواه الطبراني فى الأوسط وفيه من لم أعرفه.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢١، ٢٢٠/٥)، وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، والترمذى (٢٢٢٦)، والنسائى فى الفضائل (٥٢)، والطيالسى (١١٠٧)، وابن حبان (٦٦٥٧)، والحاكم (٣/١٤٥)، والطبراني فى الكبير (٦٤٤٢)، والبيهقى فى الدلائل (٣٤١/٦) من حديث سفيينة وقال الترمذى: هذا حديث حسن.

نحو يزيد بن معاوية على القول الثاني السابق فليس الخلفاء المذكورون على هذا القول حاوين من الكمال ما حواه الخمسة المذكورة هنا.

الحديث الثاني عشر - أخرج الدارقطني والخطيب، وابن عساكر عن علي - رضى الله تعالى عنه - قال: قال لى رسول الله ﷺ: « سألت الله أن يقدمك ثلاثاً فأبى إلا تقديم أبى بكر »^(١).

الحديث الثالث عشر - أخرج ابن سعد، عن الحسن قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، ما أزال أرانى أطأ فى غدران الناس. قال: لتكونن من الناس بسبيل. قال: ورأيت فى صدرى كالرقتين. قال: ستين^(٢).

الحديث الرابع عشر - أخرج البزار - بسند حسن - عن أبى عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أول دينكم بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكا وجبرية »^(٣). وجه الدلالة منه أنه أثبت لخلافة أبى بكر أنها خلافة؛ إذ هى التى وليت مدة النبوة والرحمة، وحينئذ فيلزم حقيقتها، ويلزم من حقيقتها حقيقة خلافة بقية الخلفاء الراشدين.

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن الزبير قال: أرسلنى عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصرى أسأله عن أشياء، فجئته، فقلت له: اشفنى فيما اختلف فيه الناس، هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر؟ فقال: أو فى هذا شك؟! إى والله الذى لا إله إلا هو لقد استخلفه، وهو كان أعلم به، وأتقى له، وأشد له مخافة من أن يثبت عليها لو لم يأمره.

فهذه الأحاديث التى استدلت بها على حقيقة خلافته - رضى الله تعالى عنه -.

الحديث الخامس عشر - روى الديلمى عن على - رضى الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: « أتانى جبريل، فقلت: يا جبريل، من يهاجر معى؟ قال: أبو بكر،

(١) أخرجه الخطيب فى «تاريخ بغداد» (٢١٣/١١) وابن الجوزي فى العلل المتناهية (٢٩١) من طريق علي بن الحسن الكلبي عن يحيى بن الضريس ثنا مالك بن مغول عن ابن أبى جحيفة عن أبيه عن على به وقال ابن الجوزي: هذا لا يصح عن رسول الله ﷺ على ويحيى مجهولان. وينظر: الفوائد المجموعة ص (٣٤٦).

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (١٣٢/٣) عن الحسن مرسلاً.

(٣) ذكره الهيثمي فى مجمع الزوائد (١٩٢/٥)، وعزاه لأبى يعلى والبزار عن أبى عبيدة.

وهو يلى أمر أمتك من بعدك ^(١).

الحديث السادس عشر - روى تمام عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أتانى جبريل فقال: يا محمد، إن الله - تبارك وتعالى - أمرك أن تستشير أبا بكر ^(٢)».

الحديث السابع عشر - روى الإمام أحمد برجال الصحيح، عن أبى البخترى قال: قال عمر لأبى عبيدة: أمسك يدك حتى أبايعك؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنت أمين هذه الأمة فقال أبو عبيدة: ما كنت لأتقدم بين يدى رجل أمره رسول الله ﷺ أن يؤمننا، فأمننا حتى مات ^(٣).

الحديث الثامن عشر - روى ابن سعد، عن موهب مولى أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «قلت لجبريل ليلة أسرى بى: إن قومى لا يصدقوننى، فقال: يصدقك أبو بكر، وهو الصديق ^(٤)».

الحديث التاسع عشر - روى الديلمى، عن أم هانئ - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثنى إليكم، فقلتم: كذبت، فقال أبو بكر: صدقت، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لى صاحبي؟ ^(٥)».

الحديث العشرون - روى الخطيب والديلمى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ، قال: «دعوا لى صاحبي فإنى بعثت إلى الناس كافة، فلم يبق أحد إلا قال: كذبت، إلا أبو بكر الصديق، فإنه قال: صدقت، صدقت ^(٦)».

الحديث الحادى والعشرون - روى أبو نعيم، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «ما كلمت فى الإسلام أحداً إلا أبى على، وراجعنى فى الكلام، إلا ابن أبى قحافة ^(٧)».

الحديث الثانى والعشرون - روى عبد الله ابن الإمام أحمد وابن مردويه

(١) ذكره الهندي فى كنز العمال (٣٢٥٨٨) وعزاه للديلمى عن علي.

(٢) ذكره الذهبي فى الميزان (٢٣٦/٦)، وأعله بمحمد بن عبد الرحمن بن غزوان وقال: قال الدارقطني وغيره: كان يضع الحديث.

(٣) أخرجه أحمد (٣٥/١).

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (١٢٧/٣).

(٥) له شاهد بهذا اللفظ من حديث أبى الدرداء أخرجه البخاري (٣٦٦).

(٦) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد (٣٧٨/١٢) من حديث أبى سعيد الخدري وسنده ضعيف.

(٧) أخرجه أبو نعيم فى أخبار أصفهان (٣٢٥/٢) عن ابن عباس وينظر: كنز العمال (٣٢٦١٣).

والديلمي، عن ابن عباس^(١)، والطبراني عن أبي أمانة^(٢)، والبخاري والترمذي عن أبي سعيد الخدري^(٣)، والطبراني في الكبير عن كعب بن مالك^(٤)، وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن ابن مسعود^(٥)، وابن عساكر عن جابر^(٦)، والإمام أحمد والبخاري عن ابن الزبير^(٧)، والبخاري عن ابن عباس^(٨)، والشيرازي في الألقاب عن سعد^(٩)، ومسلم عن ابن مسعود^(١٠)، والطبراني في الكبير عن أبي واقد^(١١) - رضى الله تعالى عنهم - : أن رسول الله ﷺ قال: « أبو بكر صاحبي، ومؤنسى في الغار، فاعرفوا له قدره ». وفي لفظ: « ما من أحد آمن عليّ في بدء صحبته، وذات يده من أبي بكر: زوجني ابنته، وخرج معي إلى دار الهجرة » وفي لفظ: « ما لأحد علينا يد إلا وقد كافأناه عليها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدًا يكافئه الله - تعالى - بها يوم القيامة ».

الحديث الثالث والعشرون - روى الشيخان عن عمرو بن العاص، والترمذي

- (١) ذكره السيوطي في الجامع الكبير برقم (١٢٧/١٩٩) وعزاه لعبد الله بن أحمد وابن مردويه والديلمي بلفظ: « أبو بكر صاحبي ومؤنسى في الغار فاعرفوا ذلك له ». وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٠٣-٣٠٤/٤) من طريق مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس به وقال أبو نعيم: غريب من حديث سعيد وطلحة ومالك لم نكتبه إلا من حديث أبي عبيدة. والحديث ذكره الهيثمي في «المجمع» (٤٥/٩) وقال: رواه عبد الله ورجاله ثقات.
- (٢) ذكره الهيثمي في المجمع (٤٨/٩) وقال: رواه الطبراني وفيه على بن يزيد الألهماني وهو ضعيف.
- (٣) تقدم تخريجه وينظر الحديث الرابع.
- (٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٤١/١٩) رقم (٨٩) وقال الهيثمي في المجمع (٤٨/٩): وفيه على بن يزيد الألهماني وهو ضعيف.
- (٥) ذكره الهندي في «الكنز» (٣٢٥٩٩) وعزاه لأبي نعيم في فضائل الصحابة.
- (٦) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٦٠٢) وعزاه لابن عساكر عن جابر.
- (٧) أخرجه أحمد (٥، ٤/٤)، والبخاري (٣٦٥٨) بلفظ: « لو كنت متخذًا من هذه الأمة خليلًا لانتخذته أنزله أبا يعني أبا بكر ».
- (٨) أخرجه البخاري (٤٦٧، ٣٦٥٦، ٣٦٥٧، ٦٧٣٨)، وأحمد (٢٧٠/١)، وأبو يعلى (٢٥٨٤)، وابن حبان (٦٨٦٠)، والنسائي في فضائل الصحابة رقم (١)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٢٨)، والطبراني (١١٩٣٨، ١١٩٧٤).
- (٩) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٦٠١) وعزاه للشيرازي في الألقاب عن سعد.
- (١٠) أخرجه مسلم (٢٣٨٣/٣).
- (١١) ذكره الهيثمي المجمع (٤٨/٩) وقال: رواه الطبراني وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف.

وقال حسن صحيح غريب، وابن ماجه عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: « أحب الناس إليَّ عائشة، ومن الرجال أبوها »^(١).

الحديث الرابع والعشرون - روى أبو داود وأبو نعيم والحاكم عن أبي هريرة - رضى الله عنه - : أن رسول الله ﷺ قال: « أتاني جبريل، فأخذ بيدي، فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي، قال أبو بكر: وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه. قال: أما إنك - يا أبا بكر - أول من يدخل الجنة من أمتي »^(٢).

الحديث الخامس والعشرون - روى ابن عساكر عن أبي المقداد - رضى الله تعالى عنه - : أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يمشى أمام أبي بكر، فقال: « أتمشى أمام من هو خير منك؟! إن أبا بكر خير من طلعت عليه الشمس وغربت »^(٣).

الحديث السادس والعشرون - روى أبو نعيم في فضائل الصحابة: أن رسول الله ﷺ قال: « أتمشى أمام من هو خير منك؟! ألم تعلم أن الشمس لم تشرق على أحد، أو تغرب خير من أبي بكر إلا النبيين والمرسلين؟! »^(٤).

الحديث السابع والعشرون - روى الديلمي عن عرفة بن صريح: أن رسول الله ﷺ قال: « أنا سيف الإسلام، وأبو بكر سيف الردة »^(٥).

الحديث الثامن والعشرون - روى أبو نعيم في الحلية عن أنس - رضى الله تعالى عنه - : أن رسول الله ﷺ قال: « اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة »^(٦).

الحديث التاسع والعشرون - روى الخطيب في المتفق والمفترق بسنده عن عائشة - رضى الله عنها - : أن رسول الله ﷺ قال: « إن الناس كلهم يحاسبون إلا

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)، والترمذي (٣٨٨٦)، والنسائي في فضائل الصحابة (٥)، وأحمد (٢٠٣/٤)، وابن حبان (٤٥٤٠)، والبيهقي (٢٣٣/١٠) من حديث عمرو بن العاص. وأخرجه الترمذي (٣٨٩٠)، وابن ماجه (١٠١) من حديث أنس.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٥٢)، وذكره السيوطي في الجامع الكبير وعزاه إلى أبي داود والحاكم وأبي نعيم في معرفة الصحابة.

(٣) ذكره الهندي في «كنز العمال» (٣٢٦٢٠) وعزاه إلى ابن عساكر.

(٤) ذكره الهندي في «كنز العمال» (٣٢٦٢١) وعزاه لأبي نعيم في فضائل الصحابة.

(٥) ذكره الهندي في «كنز العمال» (٣٢٦٣٤) وعزاه للديلمي.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٣/١) وينظر: الكنز (٣٤٦٢٥).

أبا بكر^(١).

الحديث الثلاثون - روى الديلمي عن جابر - رضى الله تعالى عنه - : أن رسول الله ﷺ قال: « تأتي الملائكة بأبى بكر مع النبيين والصدّيقين، تزفه إلى الجنة زفا »^(٢).

الحديث الحادى والثلاثون - روى الإمام أحمد وابن ماجه والنسائي عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « ما نفعنى مال قط إلا مال أبى بكر »^(٣).

الحديث الثانى والثلاثون - روى عبدان المروزي وابن قانع، عن بهزاد قال: قال رسول الله ﷺ: « يأبىها الناس، احفظونى فى أبى بكر؛ فإنه لم يسؤنى منذ صحبنى »^(٤).

الحديث الثالث والثلاثون - روى ابن مردويه وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر: أن رسول الله ﷺ قال للعباس: « يا عم رسول الله، إن الله جعل أبا بكر خليفتى على دين الله ووحىه؛ فاسمعوا له تفلحوا، وأطيعوا ترشدوا »^(٥).

الحديث الرابع والثلاثون - روى ابن مردويه عن أنس والحاكم عن جابر - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « يا أبا بكر، إن الله أعطاك الرضوان الأكبر. قال أبو بكر: وما رضوانه الأكبر؟ قال: إن الله سيتجلى للخلق عامة، ويتجلى لك خاصة »^(٦).

(١) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٦٣٥، ٣٢٦٣٦) وعزاه للخطيب في «المتفق والمفترق» وأبى نعيم في فضائل الصحابة.

(٢) ذكره الهندي في «كنز العمال» (٣٢٦٢٧)، وعزاه للديلمي عن جابر.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٣/٢) وفي فضائل الصحابة (٢٥)، والنسائي في فضائل الصحابة (٩) وابن ماجه (٩٤) وابن أبى عاصم (١٢٢٩) وابن حبان (٦٨٥٨).

(٤) أخرجه ابن قانع في «معجم الصحابة» (١١٢) وقال الذهبي في «التجريد» (٥٣٥): واهى الإسناد منكر المتن رواه عبدان وابن قانع.

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٢٩٤/١١) وأبو نعيم في فضائل الصحابة وابن مردويه كما في اللالكى (٢٩٤/١)، وابن الجوزي في الموضوعات (٥٨٤، ٥٨٥) من حديث العباس وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح ومدار الطريقين على عمر بن إبراهيم وهو الكردي، قال الدارقطني: كان كذاباً يضع الحديث. وينظر الفوائد المجموعة (٣٣٢).

(٦) حديث أنس أخرجه الخطيب في تاريخه (٣٨٨/٢) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات =

الحديث الخامس والثلاثون - عن أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «عرج بى إلى السماء، فما مررت بسماء إلا وجدت فيها اسمى مكتوباً محمد رسول الله، وأبو بكر الصديق خلفى». أخرجه ابن عرفة العبدى والثقفى والأصفهاني^(١).

الحديث السادس والثلاثون - أخرج صاحب الصفوة عن أبى الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى بكر، من سره أن ينظر إلى مثل عيسى فى الزهد؛ فلينظر إليه»^(٢).

الحديث السابع والثلاثون - أخرج الملا فى سيرته، وأبو نعيم فى فضائله، عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: هبط جبريل إلى النبى ﷺ، فوقف ملياً يناجيه، فمر أبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه -، فقال جبريل - عليه السلام -: يا محمد هذا ابن أبى قحافة. فقال: يا جبريل، أو تعرفونه فى السماء؟! فقال: والذى بعثك بالحق لهو فى السماء أشهر منه فى الأرض، وإن اسمه فى السماء الحليم^(٣).

= (٥٦٤) وفيه محمد بن عبد، قال الخطيب: هذا حديث لا أصل له عند ذوي المعرفة فيما نعلمه وقد وضعه محمد بن عبد إسناداً ومثلاً وأقره ابن الجوزي وله طرق أخرى عن أنس عند ابن الجوزي فى الموضوعات (٥٦٥، ٥٦٦) وهما موضوعان أيضاً أما حديث جابر فأخرجه الحاكم (٧٨/٣)، وأبو نعيم فى الحلية (١١/٥) وابن الجوزي فى الموضوعات (٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١) وطرقه أيضاً موضوعة وينظر اللائى (١/ ٢٨٦-٢٨٨)، والمنار المنيف (٢٩٣)، والشوكاني فى الفوائد (٣٣٠).

(١) أخرجه ابن عدي فى الكامل (١٥٠٧/٤) ومن طريقه ابن الجوزي فى الموضوعات (٥٩٠) من طريق عبد الله بن إبراهيم الغفاري عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة به وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال ابن حبان: الغفاري يضع الحديث، وأما عبد الرحمن فاتفقوا على تضعيفه. وله شواهد ذكره السيوطي فى اللائى (٢٩٦-٢٩٨) «لا تسمن ولا تغني من جوع».

(٢) ذكره صاحب الرياض النضرة (٨٢/١)، ولم أجده فى صفة الصفوة وانظر فضائله ومناقبه فيها (١٣٢-١٢٦/١).

(٣) أخرجه ابن حبان فى المجروحين (١٣٠/١) ومن طريقه ابن الجوزي فى الموضوعات (٥٨٦) وفى إسناده إسماعيل بن محمد بن يوسف قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بـ«إسماعيل بن محمد» فإنه يقلب الأسانيد ويسرق الأحاديث وقال محمد بن طاهر: هو كذاب وينظر: اللائى (٢٩٥/١).

الحديث الثامن والثلاثون - أخرج ابن السمان - فى الموافقة - عن ابن عباس قال: جاء أبو بكر وعليّ - رضى الله تعالى عنهما - يزوران قبر النبى ﷺ بعد وفاته بستة أيام، فقال على لأبى بكر: تقدم يا خليفة رسول الله، فقال أبو بكر ما كنت لأتقدم رجلا سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه: عليّ منى بمنزلة من ربى، فقال على: ما كنت لأتقدم رجلا سمعت النبى ﷺ يقول فيه: « ما منكم من أحد إلا وقد كذبنى غير أبى بكر، وما منكم من أحد يصبح إلا على بابه ظلمة إلا باب أبى بكر ». فقال أبو بكر: سمعت النبى ﷺ يقول:؟! قال: نعم. فأخذ أبو بكر بيد على، فدخل جميعاً.

الحديث التاسع والثلاثون - أخرج المهرى فى مشيخته عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: « اليوم الرهان، وغدا السباق، والغاية الجنة، والهالك فى النار حل النار، وأنا الأول، وأبو بكر المصلى، وعمر الثالث، والناس بعد على السنن، الأول فالأول »^(١).

الحديث الأربعون - أخرج الحافظ أبو الحسن على بن عمر الحربى [السكرى]^(٢) من حديث أبى بن كعب، أنه قال: إن أحدث عهدى بنبيكم ﷺ قبل وفاته بخمس ليال، دخلت عليه وهو يقلب يديه، ويقول: « إنه لم يكن من نبى إلا وقد اتخذ من أمته خليلاً، وإن خليلى من أمتى أبو بكر بن أبى قحافة، ألا وإن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً »^(٣).

قال فى الرياض النضرة: والأحاديث النافية للخلة أصح وأثبت فإنه قد ورد - وأوردته فيما تقدم - حديث: « لو كنت متخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلاً » الحديث. وإن صحت هذه الرواية فى هذا الحديث الذى أوردته الآن المثبت للخلة، فيكون الله - تعالى - قد أذن له - عليه الصلاة والسلام - عند تبريه

(١) أخرجه الطبراني فى الكبير (١٢٦٤٥) والخطيب فى تاريخه (٣١/٧) وفى إسناده أصرم بن حوشب قال ابن حبان فى المجروحين (١٨١/١): كان يضع الحديث على الثقات. والحديث أورده ابن الجوزي فى الموضوعات (٣٢٨/١-٣٢٩).

(٢) فى ط: السكوني. والمثبت من الرياض النضرة. وهو أصوب.

(٣) أورده صاحب الرياض النضرة (١٢٧/١)، وعزاه للحافظ أبى الحسن على بن عمر الحربى السكرى.

من خلة غير الله - تبارك وتعالى - ، مع تشوقه لخلة أبي بكر لولا خلة الله - فى اتخاذ أبي بكر خليلاً ؛ مراعاة لجنوحه إليها ؛ وتعظيمًا لشأن أبي بكر ، ولا يكون ذلك انصرافاً عن خلة الله عز وجل ، بل الخلتان ثابتتان [كما تضمنه الحديث ^(١)] إحداهما لتشريف المصطفى ﷺ ، والأخرى لتشريف أبي بكر ^(٢) .

الحديث الحادى والأربعون - أخرج الحافظ السلفى عن أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه - : قال رسول الله ﷺ : « أبو بكر أخى فى الدنيا والآخرة ، رحم الله أبا بكر ، وجزاه عن رسول الله خيراً » ^(٣) .

الحديث الثانى والأربعون - أخرج الحافظ ابن عبيد وصاحب الصفوة عن ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما - قال : كنت عند النبى ﷺ ، وعنده أبو بكر عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال ، [فتزل جبريل] ^(٤) فقال جبريل : يا محمد ، ما لى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال ؟ ! قال : يا جبريل ، أنفق ماله على قبل الفتح . قال : فإن الله يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : قل له : أراضٍ عنى أنت فى فرك هذا أم ساخط ؟ فقال أبو بكر : أسخط على ربى ؟ ! أنا عن ربى راض ، أنا عن ربى راض ، أنا عن ربى راض ^(٥) .

الحديث الثالث والأربعون - أخرج عبد الرزاق ، والبغوى فى المصاييح عن أنس - رضى الله تعالى عنه - : أن رسول الله ﷺ قال : « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر » ^(٦) - رضى الله تعالى عنه - وفى رواية عن أبي أمامة « أرحم هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر » . خرجه فى الفضائل ^(٧) .

(١) المثبت من الرياض النضرة .

(٢) ينظر الرياض النضرة (١/١٢٧) .

(٣) أورده صاحب الرياض النضرة (١/١٣٢) وعزاه للحافظ السلفى .

(٤) المثبت من الرياض النضرة . وخلصها : جمع بين طرفيها .

(٥) ذكره الهندي فى الكنز (٣٥٦٥٨) وعزاه إلى أبي نعيم فى فضائل الصحابة وانظر صفوة الصفوة (١/١٣٠) ، والرياض النضرة (١/١٣٢) .

(٦) أخرجه الترمذى (٣٧٩٣) ، وابن ماجة (١٥٤) ، وأحمد (٢٨١/٣) ، وابن حبان (٢٢١٨- موارد) ، والحاكم (٣/٤٢٢) ، والبيهقى (٦/٢١٠) من حديث أنس بن مالك . وانظر الرياض النضرة (١/١٣٥) .

(٧) وروى بهذا اللفظ أيضاً من حديث أبي سعيد الخدرى ذكره الهندي فى الكنز (٣٣١٢٢) وعزاه لسمويه والعقيلي فى الضعفاء الكبير . وانظر الرياض النضرة (١/١٣٥ ، ١٣٦) عن أبي أمامة .

الحديث الرابع والأربعون - أخرج الحافظ الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي عن جابر بن عبد الله - رضى الله تعالى عنه - قال: « كنا عند النبي ﷺ، فقال: يطلع عليكم رجل لم يخلق الله بعدى أحدا خيرا منه ولا أفضل، وله شفاعة مثل شفاعة النبيين، فما برحنا حتى طلع أبو بكر، فقام النبي ﷺ، وقبله، والتزمه »^(١).

الحديث الخامس والأربعون - عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « خير أصحابي أبو بكر »^(٢).

الحديث السادس والأربعون - أخرج صاحب الفضائل عن جابر - رضى الله عنه - قال: كنا عند باب النبي ﷺ نقول في المهاجرين والأنصار، نتذكر الفضائل، فارتفعت أصواتنا، فخرج - عليه الصلاة والسلام - علينا، وقال: فيم أنتم؟! قلنا: نتذكر الفضائل، قال: « لا تقدموا على أبى بكر أحدا، فإنه أفضلكم في الدنيا والآخرة »^(٣).

الحديث السابع والأربعون - أخرج أبو نعيم البصرى والغيلانى عن إسماعيل بن أبى خالد قال: بلغنى أن عائشة - رضى الله تعالى عنها - نظرت إلى النبي ﷺ، فقالت: يا سيد العرب، فقال: أنا سيد ولد آدم، وأبوك سيد كهول العرب، وعليّ سيد شباب العرب^(٤).

الحديث الثامن والأربعون - أخرج سعيد بن منصور والحاكم أبو عبد الله عن عمرو بن شريحيل قال: قال رسول الله ﷺ: « رأيت كائى فى غنم سود فيها غنم بيض، فلم أستبن السود من كثرة البيض، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله هذه العرب ولدت فيها، ثم تدخل العجم؛ فلا تستبين العرب من كثرتهم، فقال - عليه الصلاة والسلام - : كذلك عبرها الملك [بسحره] »^(٥).

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٢٣/٣-١٢٤) من حديث جابر بن عبد الله. وانظر الرياض النضرة (١٣٦/١-١٣٧).

(٢) ذكره صاحب الرياض النضرة (١٣٧/١).

(٣) أورده صاحب الرياض النضرة (١٣٧/١).

(٤) أورده صاحب الرياض النضرة (١٣٨/١).

(٥) ما بين المعكوفين من المستدرک والرياض النضرة. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرک =

الحديث التاسع والأربعون - أخرج تمام في فوائده وأبو سعيد النقاش عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أتانى جبريل - عليه السلام - فقال: يا محمد، إن الله - تبارك وتعالى - يأمرك أن تستشير بأبى بكر»^(١).

الحديث الخمسون - عن عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر^(٢) عند أبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - الليلة في الأمر من أمر المسلمين، وإنه سمر عنده ذات ليلة، وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ، وخرجنا معه، فإذا برجل قائم يصلى بالمسجد، فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته فما كدنا نعرفه، فقال - عليه الصلاة والسلام - : «من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»^(٣).

الحديث الحادى والخمسون - عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كره من السماء أن يخطأ أبو بكر فى الأرض»^(٤).

الحديث الثانى والخمسون - أخرج أبو حاتم عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ: «أنا أول من تتشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتى البقيع، فيحشرون معى، ثم أنتظر أهل مكة حتى يحشروا بين الحرمين»^(٥).

الحديث الثالث والخمسون - أخرج الملا فى سيرته عن أبى الدرداء قال: قال

= (٤/٣٩٥)، وذكره الهندي فى كنز العمال (٣٥١٣٦) بنحوه من حديث ابن مسعود وعزاه لأبى نعيم فى فضائل الصحابة وابن عساكر وانظر الرياض النضرة (١/١٦٠).

(١) أورده صاحب الرياض النضرة (١/١٦١).

(٢) فى ط: يسهر. والمثبت من الترمذى، والرياض النضرة.

(٣) أخرجه أحمد (١/٧، ٢٥، ٢٦)، والترمذى (١٦٩)، والنسائى فى فضائل الصحابة (١٥٢) وابن خزيمة (١١٥٦، ١٣٤١) من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود. وأورده صاحب الرياض النضرة (١/١٦١، ١٦٢).

(٤) أخرجه الحارث بن أبى أسامة (٩٣٨- بغية)، وابن الجوزى فى الموضوعات (٥٩٢)، وقال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع وينظر اللائى (١/٣٠٠)، تنزيه الشريعة (١/٣٧٣).

(٥) أخرجه الترمذى (٣٦٩٢)، وابن الجوزى فى «العلل» (١٥٢٧، ١٥٢٨)، من طريق عبد الله ابن نافع الصائغ عن عاصم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر به وقال ابن الجوزى: هذا حديث لا يصح ومداره على عبد الله بن نافع، قال يحيى: ليس بشىء، وقال علي: يروى أحاديث منكورة، وقال النسائى: متروك.

رسول الله ﷺ: « أول من يرد على الحوض يوم القيامة أبو بكر الصديق »^(١).
الحديث الرابع والخمسون - أخرج أبو الغطريف عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال:
« لكل نبي رفيق، ورفيقي أبو بكر » وعن الزبير بلفظ « اللهم إنك جعلت أبا بكر
رفيقي في الغار، فاجعله رفيقي في الجنة »^(٢).

الحديث الخامس والخمسون - أخرج الخطيب البغدادي، والملا بمعناه، عن
معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا كان يوم القيامة، نصب لإبراهيم منبر
أمام العرش، ونصب لى منبر أمام العرش، ونصب لأبى بكر كرسى فيجلس عليه ثم
ينادى مناد: يا لك من صديق بين خليل وحبيب »^(٣).

الحديث السادس والخمسون - أخرج أبو الحسن العتقي، وصاحب الديباج،
وصاحب الفضائل عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:
قلت لجبريل - حين أسرى بى إلى السماء: يا جبريل، هل على أمتى حساب؟ قال
كل أمتك عليها حساب ما خلا أبا بكر، فإذا كان يوم القيامة، قيل له: يا أبا بكر،
ادخل، فيقول: ما أدخل حتى يدخل معى كل من أحبنى فى الدنيا^(٤).

الحديث السابع والخمسون - عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت
ليلة أسرى بى مكتوبا حول العرش فى فرندة خضراء بقلم من نور: لا إله إلا الله،
محمد رسول الله، أبو بكر الصديق^(٥). قلت: الفرندة - بفتح الفاء والراء المهملة -
ثوب معروف، معرب^(٦).

(١) أورده صاحب الرياض النضرة (١/١٦٤)، وعزاه للملا.

(٢) أورده الطبري فى الرياض النضرة (١/١٦٤).

(٣) أخرجه الخطيب فى تاريخه (٤/٣٨٦-٣٨٧)، ومن طريقه ابن الجوزي فى الموضوعات (٥٨٩)
من حديث معاذ وقال ابن الجوزي: لا يصح وينظر اللآلئ (١/٢٩٦)، والتنزيه (١/٣٤٥).

(٤) أخرجه الخطيب فى تاريخه (٢/١١٨)، ومن طريقه ابن الجوزي فى العلل المتناهية (٢٩٥)،
٢٩٦ من حديث أنس وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح وداود بن صغير مجروح قال
الخطيب كان ضعيفاً وأما كثير النواء فقال النسائي: ضعيف، وقال ابن عدي: كان غالباً فى
الشيع.

(٥) أخرجه الخطيب (١١/٢٠٤) وابن الجوزي فى الموضوعات (٦٠٩). وقال ابن الجوزي:
هذا حديث لا يصح والمتهم به عمر بن إسماعيل، قال يحيى: ليس بشيء كذاب رجل سوء
خبث، وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث. وينظر: اللآلئ (١/٢٩٧-٢٩٨)،
والفوائد المجموعة (٣٣٩)، والرياض النضرة (١/١٦٧).

(٦) ينظر: ترتيب القاموس (فرند)، ووقع فى ط: فريدة. والمثبت من الرياض، والقاموس.

الحديث الثامن والخمسون - أخرج أبو حاتم عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ حين رجع إلى المدينة من عمرة الجعرانة، بعث أبا بكر أميراً على الحج، فحج بالناس. وعن أبي هريرة قال: بعثنى أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر، يؤذنون بمنى ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان^(١).

الحديث التاسع والخمسون - عن عبد الله بن عمر الليثي أن النبي ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس الصبح، وأن أبا بكر كبير، فوجد النبي ﷺ بعض الخفة؛ فقام، ففرج الصفوف. قال: فكان أبو بكر لا يلتفت، فلما سمع الحسن من ورائه عرف أنه لا يتقدم إلى ذلك المقام إلا رسول الله ﷺ، فخنس وراءه في الصف، فرده - عليه الصلاة والسلام - مكانه. وفي رواية ابن إسحاق: فدفع في ظهره، وقال: صل بالناس. وجلس رسول الله ﷺ إلى جنب أبي بكر، فصلى قاعداً عن يمين أبي بكر^(٢). وقوله: «خنس»: أي انقبض، وتأخر.

الحديث الستون - أخرج الإمام أحمد ومسلم في الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن تبع منكم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا. فقال - عليه الصلاة والسلام - : ما اجتمعت في امرئ إلا دخل الجنة^(٣).

وفي رواية أن رسول الله ﷺ صلى الصبح، فلما قضى صلاته، قال: أيكم اليوم أصبح صائماً؟ فقال عمر: أما أنا يا رسول الله، بت لا أحدث نفسي بالصوم؛ فأصبحت مفطراً. فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله بت [الليلة]^(٤) أحدث نفسي بالصوم؛ فأصبحت صائماً. قال: فأأيكم اليوم عاد مريضاً؟ فقال عمر: يا رسول الله، إنا صلينا الساعة، ولم نبرح، فكيف نعود [المريض]^(٥)؟! فقال أبو بكر:

(١) تقدم تخريجه في حوادث السنة التاسعة.

(٢) تقدم تخريجه في أكثر من موضع.

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/١٣٥) رقم (١٠٧)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥١٥) ومسلم (٨٧/١٠٢٨)، والنسائي في فضائل الصحابة رقم (٦)، وابن خزيمة (٢١٣١) من طريق أبي حازم الأشجعي عن أبي هريرة.

(٤) المثبت من الرياض.

(٥) في ط: المراض. والمثبت من الرياض.

[أنا] ^(١) يا رسول الله، أخبروني أن أخى عبد الرحمن بن عوف وجع، فجعلت طريقى عليه، فسألت عنه، ثم أتيت المسجد. فقال رسول الله ﷺ: فأيكم اليوم تصدق بصدقة؟ فقال عمر مثل ما قال أولا، فقال أبو بكر: [أنا] ^(٢) يا رسول الله لما جئت من عند عبد الرحمن بن عوف دخلت المسجد، وإذا بسائل يسأل وابن لعبد الرحمن بن أبى بكر معه كسرة خبز، فأخذتها منه، فناولتها السائل. فقال - عليه الصلاة والسلام - لأبى بكر: أبشر بالجنة، أبشر بالجنة. مرتين ^(٣).
الحديث الحادى والستون - أخرج ابن السمان فى الموافقة عن صلة بن زفر قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند على قال: السباق. والذى نفسى بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه [أبو بكر] ^(٤).

الحديث الثانى والستون - أخرج الشيخان والإمام أحمد والترمذى وأبو حاتم عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى إلى الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب يسمى الريان. فقال أبو بكر: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال - عليه الصلاة والسلام -: نعم، وأرجو أن تكون منهم ^(٥). قلت: فسر بعض العلماء قوله - عليه الصلاة والسلام -: « زوجين »، فقال: قريبان أو عبدان. وقال الحسن البصرى: شيثان متغايران، درهم ودينار، درهم وثوب، وخف ولجام. وقال العلامة الباجى: يحتمل أن يريد بذلك العمل من صلاتين، أو صيام يومين. والأصل فى الزوج: الصنف، والنوع من

(١) المثبت من الرياض.

(٢) المثبت من الرياض.

(٣) ينظر: الرياض النضرة (١/ ١٧٤، ١٧٥).

(٤) المثبت من الرياض النضرة (١/ ١٧٥).

والحديث ذكره الهندي فى كنز العمال (٣٥٦٧٥) وعزاه للطبراني فى الأوسط.

(٥) أخرجه مالك (٢/ ٢٤-٢٥)، والبخارى (١٨٩٧، ٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧)، والترمذى

(٣٦٧٤)، والنسائى (٤/ ١٦٨-١٦٩)، (٩/ ٥)، وابن حبان (٣٠٨)، والبيهقى (٩/ ١٧١)،

من حديث أبى هريرة.

كل شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣] أى أصنافاً. وكل شيئين مثلين كانا أو غير مثلين فهما زوجان، وكل واحد منهما زوج، والمراد: وأنفق نوعين من ماله فى سبيل الله^(١).

الحديث الثالث والستون - أخرج الإمام أحمد عن أنس: أن النبى ﷺ قال: «إن طير الجنة كأمثال البخت، ترعى من شجر الجنة». قال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذه لطير ناعمة، فقال - عليه الصلاة والسلام - : أكلها أنعم منها - قالها ثلاث مرات - وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها^(٢).

الحديث الرابع والستون - عن عمر - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة حورًا خلقهن الله من الورد، يقال لهن: «الورديات»، لا يتزوج بهن إلا نبى أو صديق أو شهيد، وإن لأبى بكر منهن أربعمائة^(٣).

الحديث الخامس والستون - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل رجل الجنة فلا يبقى أهل دار، ولا أهل غرفة إلا قالوا مرحبًا، إلينا، إلينا. قال أبو بكر: يا رسول الله، ما توى على هذا الرجل فى ذلك اليوم. قال: أجل، وأنت هو يا أبا بكر^(٤). خرج أبو حاتم هكذا بالتاء معدى بـ «على». والتوى - بالقصر - : الهلاك^(٥).

الحديث السادس والستون - عن عبد خير عن على - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الخير ثلاثمائة وستون خصلة، إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل فيه واحدة منهن، فأدخل بها الجنة». قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله هل فى شيء منهن؟ قال: نعم، جمع من كل^(٦). خرج فى الفضائل، وأخرجه ابن البهلول من حديث سليمان بن يسار، وقال: حديث حسن.

(١) ينظر: الفتح (٧/٣٧٩-٣٨٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢٢١) من طريق جعفر بن سليمان قال: ثنا ثابت عن أنس، به.

(٣) أورده صاحب الرياض النضرة (١/١٨٤).

(٤) أخرجه ابن حبان برقم (٦٨٢٨-الإحسان) وأورده الطبري فى الرياض النضرة (١/١٨٤)، وعزاه لأبى حاتم بن حبان.

(٥) ينظر: الصحاح للجوهري (توى).

(٦) أورده الطبري فى الرياض النضرة (١/١٨٥).

الحديث السابع والستون - أخرج الواحدى فى أسباب النزول عن ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه - : أن النبى ﷺ قال لأبى بكر يوم بدر، وقد أراد أن يتقدم فى أول الجند، فمنعه، وقال: «أما تعلم أنك عندى بمنزلة سمعى وبصرى»^(١).

الحديث الثامن والستون - أخرج الملا فى سيرته عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - قال: رأيت رسول الله ﷺ إذا أقبل أبو بكر صافحه النبى ﷺ، وعانقه، وقبل فاه، فقال على - رضى الله عنه - : أتقبل فأبى بكر ؟! فقال ﷺ : يا أبا الحسن، منزلة أبى بكر عندى كمنزلتى من ربى^(٢).

الحديث التاسع والستون - أخرج الخلعى والملا وصاحب فضائله عن على - رضى الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبى بكر: يا أبا بكر، إن الله قد أعطانى ثواب من آمن به منذ خلق الله آدم إلى أن بعثنى، وإن الله أعطاك ثواب من آمن منذ بعثنى إلى أن تقوم الساعة^(٣). قلت: تأمل ما يدل عليه هذا الحديث العظيم من المحبة والتكريم والفضل العميم.

الحديث السبعون. أخرج الحافظ السلفى فى مشيخته عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «حب أبى بكر واجب على أمتى»^(٤).

الحديث الحادى والسبعون - عن عبد الله بن أبى أوفى قال: «خرج رسول الله ﷺ، فقال: يا عمر، إنى أشتاق إلى إخوانى، فقال عمر يا رسول الله، أفلسنا إخوانك؟! قال: لا، أنتم أصحابى، ولكن إخوانى قوم آمنوا بى، ولم يرونى، قال: فدخل أبو بكر على بقية ذلك، فقال له عمر: يا أبا بكر إن رسول الله ﷺ قال: إنى أشتاق إلى إخوانى، فقلت له: ألسنا إخوانك؟! قال: لا، أنتم أصحابى، ولكن إخوانى قوم آمنوا بى، ولم يرونى، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر ألا تحب قوما

(١) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول (٨٠١).

(٢) وذكره الطبري فى الرياض (١٨٥/١).

(٣) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد (٢٥٦/٤) وابن الجوزي فى العلل رقم (٢٩٣) من طريق الحارث عن على وقال ابن الجوزي: هذا لا يصح وذكره الهندي فى الكنز (٣٢٦٤٢) وزاد نسبه للديلمي والطبري فى الرياض ١٨٩/١.

(٤) أورده الطبري فى الرياض النضرة (٢٠٦/١)، وله شاهد من حديث سهل بن سعد أخرجه الخطيب فى «تاريخه» (٤٢٥/٥)، وابن الجوزي فى «العلل» (٢٩٢) وقال ابن الجوزي: تفرد به عمر بن إبراهيم الكردي وعمر ذاهب الحديث وقال الدارقطني: كان كذاباً يضع الحديث.

بلغهم أنك تحبني، فأحبوك بحبك إياي؟ فأحبهم أحبهم الله». أخرجه ابن فيروز^(١).

الحديث الثاني والسبعون - خرج ابن السمان عن قيس بن أبي حازم^(٢) قال: التقى أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب، فتبسم أبو بكر في وجهه على - رضى الله تعالى عنهما -، فقال له على: مالك تبسم؟ فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي بن أبي طالب الجواز، فضحك علي، وقال: ألا أبشرك يا أبا بكر! قال رسول الله ﷺ: لا يكتب علي الجواز^(٤) إلا لمن أحب أبا بكر^(٥).

الحديث الثالث والسبعون - عن أنس أن يهوديا أتى أبا بكر، فقال: والذي بعث موسى كليما إني لأحبك، فلم يرفع أبو بكر إليه رأسه؛ تهاونا باليهودي. قال فهبط جبريل على النبي ﷺ، فقال: يا محمد، العلي الأعلى يقرئك السلام، ويقول لك: قل لليهودي - الذي قال لأبي بكر: إني أحبك: إن الله - عز وجل - قد حاد عنه في النار خلتين: لا توضع الأنكال في قدميه، ولا الغل في عنقه؛ بحبه لأبي بكر. قال فبعث النبي ﷺ فأحضره، وأخبره الخبر، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت [محمد] رسول الله حقًا، والذي بعثك بالنبوة لا ازددت لأبي بكر إلا حبًا، فقال رسول الله ﷺ: هنيئًا هنيئًا^(٧).

الحديث الرابع والسبعون - أخرجه ابن بشران وصاحب الفضائل عن علي - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: ينادى مناد أين السابقون الأولون؟ فيقال:

(١) أورده الطبري في الرياض النضرة (٢٠٦/١)، وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/٢٤٧) من حديث عبد الله بن أبي أوفى.

(٢) في ط: حاتم. والتصحيح من الرياض النضرة.

(٣) في الرياض: تبسم.

(٤) في الرياض: لا يكتب الجواز.

(٥) أورده الطبري في الرياض (٢٠٧/١).

(٦) المثبت من الرياض.

(٧) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧٥١/٢) ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٥٧٨)، وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع والمتهم به العدوي فإنه كان يضع الحديث. وينظر اللآلئ (٢٩٢/١)، والتنزيه (٣٤٢-٣٤٣)، والفوائد (٣٣١-٣٣٢). وانظر: الرياض النضرة (٢٠٧/١).

من ؟ فيقول: أين أبو بكر الصديق ؟ فيتجلى الله لأبى بكر الصديق خاصة وللناس عامة^(١).

الحديث الخامس والسبعون - أخرج أبو داود عن ابن عمر: كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمته بعده أبو بكر ثم عمر، فيبلغ ذلك النبي ﷺ، فلا ينكره^(٢). وفي البخاري عن محمد ابن الحنفية: قلت لأبى - يعنى علياً رضى الله عنه - أى الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال: أبو بكر. قلت: ثم من ؟ قال: عمر - وخشيت أن يقول عثمان - قلت: ثم أنت. قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين^(٣). قال ذلك فى تمكنه، وقوة ولايته على منبر الكوفة، وأبو بكر وعمر قد ماتا، فأى تقية تكون إذ ذاك، وأى طعم يبقى لها، وأى نتيجة فيها، وأى عقل لمدعيها ؟! .

الحديث السادس والسبعون - أخرج الطبراني عن أسعد بن زرارة أن رسول الله ﷺ قال: إن روح القدس جبريل أخبرنى: أن خير أمتك بعدك أبو بكر^(٤).

الحديث السابع والسبعون - أخرج ابن مهدي: والطبراني عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « أبو بكر خير الناس إلا أن يكون نبى »^(٥).

الحديث الثامن والسبعون - أخرج الديلمى عن عائشة - رضى الله تعالى عنها-: أن رسول الله ﷺ قال: « أبو بكر منى، وأنا منه، وأبو بكر أخى فى الدنيا والآخرة »، رضى الله تعالى عنه^(٦).

الحديث التاسع والسبعون - أخرج الديلمى عن سمرة: أن رسول الله ﷺ قال: « أمرت أن أولى الرؤيا أبا بكر »^(٧).

(١) ذكره السيوطي فى اللآلئ (٢٨٨/١) وعزاه لابن بشران فى الأمالي.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٢٨) من طريق الزهري عن سالم عن أبيه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧١).

(٤) أخرجه الطبراني فى الأوسط (٦٤٤٨) من طريق هارون بن موسى الفروي ثنا أبو غزية محمد بن موسى الأنصاري ثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن أبيه عن جده. وقال الهيثمي فى «المجمع» (٤٧/٩): وفيه أبو غزية محمد بن موسى وهو ضعيف.

(٥) ذكره الهيثمي فى «المجمع» (٤٧/٩) وقال: رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن زياد وهو ضعيف.

(٦) ينظر: كنز العمال (٣٢٥٥٠)، والرياض النضرة (١٣١/١).

(٧) ينظر: المصدر السابق (٣٢٥٥٢).

الحديث الثمانون - أخرج الترمذي عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - : أن النبي ﷺ قال : لأبى بكر : « أنت عتيق من النار »^(١).

الحديث الحادى والثمانون - عن ابن عمر : أن النبي ﷺ قال لأبى بكر : « أنت صاحبى على الحوض ، وصاحبى فى الغار »^(٢).

الحديث الثانى والثمانون - أخرج أبو يعلى فى مسنده ، وأبو سعيد ، والحاكم وصححه ، عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت : إنى لفى بيتى ذات يوم ، ورسول الله ﷺ ، وأصحابه فى الفناء والستر بينى وبينهم ، إذ أقبل أبو بكر ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : « من سره أن ينظر إلى عتيق من النار ، فلي نظر إلى أبى بكر »^(٣) وأن اسمه الذى سماه به أهله عبد الله ، فغلب عليه اسم عتيق.

الحديث الثالث والثمانون - أخرج الحاكم بسند جيد : أن عائشة قالت : جاء المشركون إلى أبى بكر ، فقالوا : هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس ؟! قال أبو بكر : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، فقال : لقد صدق . قالوا : فأنت تصدقه يا أبا بكر ؟! فقال : إنى لأصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة^(٤).

الحديث الرابع والثمانون - أخرج الطبرانى عن معاذ : أن رسول الله ﷺ قال : رأيت أنى وضعت فى كفة ، فعدلتها ، ثم وضع أبو بكر فى كفة وأمتى فى كفة ، فعدلتها^(٥) . وللحديث بقية اقتصرت منها على محل الشاهد .

الحديث الخامس والثمانون - أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه والضياء عن سعيد بن زيد - رضى الله عنه - قال : « عشرة فى الجنة : أبو بكر فى الجنة . . . » الحديث^(٦) . وله تمة ، ستأتى .

(١) تقدم تخريجه فى صفته - رضى الله عنه - .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٧٠) من حديث ابن عمر وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٣) تقدم تخريجه فى صفته - رضى الله عنه - .

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک (٦٢/٣-٦٣) ، وذكره الطبري فى الرياض النضرة فى (ذكر اسمه الصديق) .

(٥) ذكره الهندي فى كنز العمال (٣٢٦٨٩) وعزاه إلى الطبراني وابن عدي وابن عساكر .

(٦) أخرجه أحمد (١/١٨٨) ، وأبو داود (٤٦٤٩) ، والترمذي (٣٧٥٧) ، والنسائي فى فضائل الصحابة (٥٣ ، ١٠٠ ، ١٠٦) وأبو يعلى (٩٧١) ، وابن أبي عاصم (١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠) =

الحديث السادس والثمانون - أخرج الترمذى عن على - رضى الله عنه - : أن رسول الله ﷺ قال : « رحم الله أبا بكر، زوجنى ابنته، وحملنى إلى دار الهجرة، وأعتق بلالا من ماله، وما نفعتنى مال ما نفعتنى مال أبى بكر »^(١).

قال العلامة ابن حجر: وقوله: « وحملنى إلى دار الهجرة » ينفيه حديث البخارى: أنه ﷺ لم يأخذ الراحلة التى هاجر عليها من أبى بكر إلا بالثمن^(٢)، إلا أن يجمع بأنه أخذها منه أولا بالثمن، ثم أبرأ أبو بكر ذمته من الثمن. انتهى. قلت: تعليل أئمة الحديث امتناعه - عليه الصلاة والسلام - من الأخذ إلا بالثمن، يقصد أن تكون الهجرة تامة خالصة لله تعالى من سائر وجوهها، لا مشركية لمخلوق فيها، ولا منة - ينافى هذا الجمع، إذ بالإبراء تتحقق الشركة، والله تعالى أعلم.

الحديث السابع والثمانون - أخرج ابن عساكر عن المقداد قال: استب عقيل بن أبى طالب وأبو بكر، وكان أبو بكر نسابا، غير أنه تخرج من قرابة عقيل من النبى ﷺ؛ فأعرض عنه، وشكاه إلى النبى ﷺ، فقام - عليه الصلاة والسلام - على الناس، فقال: « ألا تدعوا لى صاحبى؟! ما شأنكم وشأنه؟! فوالله ما منكم رجل إلا على باب قلبه^(٣) ظلمة، إلا باب^(٤) أبى بكر فإن على باب النور، ولقد قلت: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وأمستكم الأموال، وجاد لى بماله، وخذلتمونى، وواسانى واتبعنى »^(٥).

الحديث الثامن والثمانون - أخرج البخارى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة »، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن أحد شقى ثوبى يسترخى إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال - عليه الصلاة

= (١٤٣١)، والضياء المقدسى فى المختارة (١٠٨٩، ١٠٩٠) من حديث سعيد بن زيد.

(١) أخرجه الترمذى (٣٧١٤) من طريق المختار بن نافع ثنا أبو حيان التميمى عن أبيه عن على به وقال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه والمختار بن نافع شيخ بصري كثير الغرائب. وانظر: الرياض النضرة (٢٤٣/١)، وذكر وصفه ﷺ لكل واحد منهم.

(٢) أخرجه البخارى (٣٩٠٥) من حديث عائشة.

(٣) فى ط: باب. والمثبت من الرياض النضرة.

(٤) فى الرياض النضرة: قلب.

(٥) أورده الطبري فى الرياض النضرة (١٨/٢)، ذكر مواساة النبى ﷺ.

والسلام - : « إنك لست تصنع ذلك خيلاء »^(١).

الحديث التاسع والثمانون - أخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير: لما نزلت ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٦٦]، قال أبو بكر يا رسول الله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت، فقال ﷺ: « صدقت »^(٢).

الحديث التسعون - أخرج ابن أبي حاتم، وأبو نعيم عن سعيد بن جبيرة قال: قرئت عند النبي ﷺ ﴿ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر: ٢٧]، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن هذا لحسن، فقال - عليه الصلاة والسلام - : « أما إن الملك سيقولها لك عند الموت »^(٣).

الحديث الحادي والتسعون - أخرج الطبراني في الكبير وابن شاهين في السنة عن ابن عباس موصولاً قال: « دخل رسول الله ﷺ غديراً، فقال: ليسبح كل رجل إلى صاحبه، فسبح كل رجل منهم إلى صاحبه حتى بقي رسول الله ﷺ وأبو بكر، فسبح رسول الله ﷺ إلى أبي بكر حتى اعتنقه »^(٤).

الحديث الثاني والتسعون - أخرج ابن عساكر من طريق مجمع الأنصارى عن أبيه قال: إن كانت حلقة رسول الله ﷺ لتشبك حتى تصير كالأسوار، وإن مجلس أبي بكر منها لفارغ، لا يطمع فيه أحد من الناس، فإذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلس عن يمينه - عليه الصلاة والسلام -، وأقبل - عليه الصلاة والسلام - بوجهه، وألقى إليه حديثه، وسمع الناس. قلت: تأملها، فيا لها منقبة، حلت من يفاع المجد أعلى مرقة.

الحديث الثالث والتسعون - أخرج ابن عساكر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « حب أبي بكر وشكره واجب على كل أمتي ». وأخرج مثله من حديث سهل

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٥)، وأحمد (١٣٦، ٦٧/٢)، وأبو داود (٤٠٨٥)، والنسائي (٨/

٢٠٨) من طريق موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المشثور» (٣٢٤/٢) وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٢١٣)، وأبو نعيم في الحلية (٢٨٤/٤) عن سعيد بن جبيرة وذكره السيوطي في الدر المشثور (٥٨٨/٦)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٠-٢٦١) رقم (١١٦٧٦) وقال الهيثمي في المجمع (٩/

٤٧) وفيه من لم أعرفه.

ابن سعد^(١).

الحديث الرابع والتسعون - أخرج ابن عساكر: أنه قيل لأبي بكر في مجمع: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ فقال أعوذ بالله، فقليل له: ولم؟ قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيعا عرضه ومروءته، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «صدق أبو بكر، صدق أبو بكر»^(٢).

الحديث الخامس والتسعون - أخرج الحاكم في الكنى، وابن عدى في الكامل، والخطيب في تاريخه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أبو بكر وعمر خير الأولين والآخرين، وخير أهل السموات، وخير أهل الأرضين، إلا النبيين والمرسلين»^(٣).

الحديث السادس والتسعون - أخرج الطبراني عن أبي الدرداء: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر، وعمر؛ فإنهما حبل الله الممدود، من تمسك به فقد تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها»^(٤).

الحديث السابع والتسعون - أخرج الترمذى عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: ما من نبى إلا وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء: فجبريل، وميكائيل؛ وأما وزيراي من أهل الأرض: فأبو بكر، وعمر^(٥).

الحديث الثامن والتسعون - أخرج أحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منه شاة، فطلبه الراعى، فالتفت إليه الذئب، فقال: استنقذها منى فمن لها يوم السبع، يوم

(١) حديث أنس تقدم وينظر الحديث السبعون أما حديث سهل بن سعد أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٤٥٢/٥) وقال الخطيب: تفرد به عمر بن إبراهيم الكردي وهو ذاهب الحديث وذكره الهندي في كنز العمال (٣٢٥٩٣) وعزاه أيضًا إلى أبي نعيم في فضائل الصحابة والديلمي.

(٢) ذكره الطبري في الرياض النضرة (١٤٦/٢)، وعزاه للرازي.

(٣) أخرجه الخطيب (٢٥٣/٥)، وابن عدي في الكامل ومن طريقه ابن الجوزي في العلل (٣١١) وفيه جبرون بن واقد قال ابن عدي: هذا حديث منكر وأما جبرون فما يعرف.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه الترمذى (٣٦٨٠) وقال: هذا حسن غريب وكذا عزاه له الطبري في الرياض النضرة (٣٣٥/١) في ذكر أنهما وزيراه.

لأراعى لها غيرى ؟ فقال الناس : سبحان الله ، ذئب يتكلم !! فقال النبى ﷺ : فإنى أؤمن بذلك ، وأبو بكر «(١)» .

الحديث التاسع والتسعون : أخرج أحمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد والطبرانى عن جابر بن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر : أن النبى ﷺ قال : « إن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الدرى فى أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم » «(٢)» .

الحديث المائة - أخرج ابن عساكر عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « إن أهل عليين ليشفرف واحداهم على الجنة ، فيضى وجهه لأهل الجنة كما يضىء القمر ليلة البدر ، وإن أبا بكر وعمر منهم ، وأنهما » «(٣)» .

الحديث الحادى والمائة - أخرج الحاكم وصححه ، والترمذى عن عبد الله بن حنطب أن رسول الله ﷺ رأى أبا بكر وعمر ، فقال : « هذان السمع والبصر » «(٤)» .
الحديث الثانى والمائة - أخرج أبو نعيم - فى الحلية - عن ابن عباس ، والخطيب عن جابر ، وأبو يعلى أن رسول الله ﷺ قال : « أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس » «(٥)» .

الحديث الثالث والمائة - أخرج الطبرانى عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكل نبى خاصة من أصحابه ، وإن خاصتى من أصحابى أبو بكر

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٤٥-٢٤٦)، والبخارى (٣٤٧١)، ومسلم (٢٣٨٨)، والحميدى (١٠٥٤)، وابن حبان (٦٤٨٥)، من حديث أبى هريرة .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢٧، ٥٠، ٦١، ٧٢، ٩٣، ٩٨)، وعبد بن حميد (٨٨٧)، والحميدى (٧٥٥)، وأبو داود (٣٩٨٧)، والترمذى (٣٦٥٨)، وابن ماجه (٩٦) عن أبى سعيد وذكره الهندي فى كنز العمال (٣٢٦٥٠) وعزاه إلى الطبرانى عن جابر بن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر .

(٣) ذكره الطبرى فى الرياض النضرة (١/٣٢٨-٣٢٩) وذكره الهندي فى كنز العمال (٣٢٦٥١)، وعزاه إلى ابن عساكر .

(٤) أخرجه الترمذى (٣٦٧١)، والحاكم (٣/٦٩)، وقال الترمذى : وهذا حديث مرسل وعبد الله بن حنطب لم يدرك النبى ﷺ وأخرجه أيضًا الباوردي وأبو نعيم فى فضائل الصحابة وابن عساكر كما فى الكنز (٣٢٦٥٥) .

(٥) حديث ابن عباس : ذكر المناوى فى «الفيض» (١/١٢٣) : أن فى سنده الوليد بن الفضل ، قال ابن حبان يروى الموضوعات وقال الحاكم وأبو نعيم وأبو سعيد النقاش : روى عن =

وعمر^(١).

الحديث الرابع والمائة - أخرج ابن عساكر عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: « لكل نبي وزيران، ووزيراي وصاحباي: أبو بكر وعمر^(٢) ».

الحديث الخامس والمائة - أخرج ابن عساكر عن علي والزبير - رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: « خير أمتي بعدى أبو بكر وعمر^(٣) ».

الحديث السادس والمائة - أخرج الخطيب في تاريخه أن رسول الله ﷺ قال: « سيد كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر، وإن أبا بكر في الجنة مثل الثريا في السماء^(٤) ».

الحديث السابع والمائة - أخرج ابن النجار^(٥) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « ما قدمت أبا بكر وعمر، ولكن الله قدمهما^(٦) ».

الحديث الثامن والمائة - أخرج ابن قانع عن الحجاج التيمي أن رسول الله ﷺ قال: « من رأيتموه يذكر أبا بكر وعمر بسوء؛ فإنما يزيل الإسلام^(٧) ».

الحديث التاسع والمائة - أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: « القائم بعدى في الجنة، والذي يقوم بعده في الجنة، والثالث، والرابع في الجنة ».

الحديث العاشر والمائة - أخرج ابن عساكر عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: « أربعة لا يجتمع حبهم في قلب منافق، ولا يحبهم إلا مؤمن: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي^(٨) ».

= الكوفيين الموضوعات. حديث جابر: أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٤٥٩/٨-٤٦٠) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر وسنده حسن.
(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٠٠٨) وقال الهيثمي في المجمع (٥٥/٩) وفيه عبد الرحيم بن حماد الثقفي وهو ضعيف. وذكره الطبري في الرياض النضرة (٣٣٦/١) وعزاه للملا في سيرته.

(٢) ذكره الهندي في كثر العمال (٣٢٦٦٠) وعزاه إلى ابن عساكر عن أبي ذر.

(٣) ذكره الهندي في كثر العمال (٣٢٦٦٣) وعزاه إلى ابن عساكر عن علي والزبير معاً.

(٤) أخرجه الخطيب (٣٠٧/٥، ١١٩/٧) وينظر كثر العمال (٣٢٦٦٤).

(٥) في ط: البخاري. وهو تحريف، والمثبت هو الصحيح.

(٦) ذكره الهندي في كثر العمال (٣٢٧٠٦) وعزاه إلى ابن النجار عن أنس.

(٧) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (٢٢١).

(٨) ذكره الهندي في الكثر (٣٣١٠٨) وعزاه إلى ابن عساكر عن أنس.

الحديث الحادى عشر والمائة - أخرج البخارى - فى تاريخه - والنسائى والحاكم عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: « نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر » وعدد أشخاصاً ستة^(١).

الحديث الثانى عشر ومائة - أخرج الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار - وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر - فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر؛ فإنهما كانا ينظران إليه، وينظر إليهما، ويتبسمان إليه، ويتبسم إليهما^(٢).

الحديث الثالث عشر ومائة - أخرج الترمذى والحاكم عن ابن عمر والطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم، فدخل المسجد، وأبو بكر وعمر: أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما، وقال: « هكذا نبعث يوم القيامة »^(٣).

الحديث الرابع عشر ومائة - أخرج البزار عن أبى أروى الدوسى قال: كنت عند النبى ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: « الحمد لله الذى أيدنى بكما »^(٤).

الحديث الخامس عشر ومائة - أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد عن أنس - مرفوعاً: أن رسول الله ﷺ قال: « إنى أرجو لأمتى - فى جبههم لأبى بكر وعمر - ما أرجو لهم فى قول لا إله إلا الله »^(٥).

(١) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير (١٦٧/٢) وفى الأدب المفرد (٣٣٧)، والترمذى (٣٧٩٥)، والنسائى فى فضائل الصحابة (١٢٦، ١٣٩)، وأحمد (٤١٩/٢)، والحاكم (٣/٣٣٣)، وأبو نعيم فى الحلية (٤٢/٩) من حديث أبى هريرة.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٠/٣)، والترمذى (٣٦٦٨)، وعبد بن حميد (١٢٩٨) من طريق الحكم بن عطية عن ثابت عن أنس.

(٣) أخرجه الترمذى (٣٦٦٩)، والحاكم (٢٨٠/٤) من طريق سعيد بن مسلمة عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر وقال الترمذى: وسعيد بن مسلمة ليس عندهم بالقوي وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبى بضعف مسلمة وأخرجه الطبرانى فى الأوسط (٨٢٥٨) من حديث أبى هريرة.

(٤) أخرجه البزار (٢٤٩٠) من حديث أبى أروى الدوسى وقال الهيثمى فى المجمع (٥٤/٩) - (٥٥): رواه البزار والطبرانى فى الأوسط والكبير وفيه عاصم بن عمر بن حفص وثقه ابن حبان وقال: يخطئ ويخالف وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات.

(٥) ذكره الهندي فى كنز العمال (٣٢٧٠٢) وعزاه للديلمي عن أنس.

الحديث السادس عشر ومائة - أخرجه أبو يعلى عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانى جبريل - آنفا - فقلت - يا جبريل، حدثنى بفضائل عمر، فقال: لو حدثتك بفضائل عمر مدة ما لبث نوح فى قومه - ما نفدت فضائله، وإنه لحسنة من حسنات أبى بكر»^(١).

الحديث السابع عشر ومائة - أخرج أحمد عن عبد الرحمن بن غنم: أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر: «لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما»^(٢).

الحديث الثامن عشر ومائة - أخرج الطبرانى عن سهل قال: لما قدم - عليه الصلاة والسلام - من حجة الوداع صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، إن أبا بكر لم يسؤنى قط، فاعرفوا له ذلك، أيها الناس، إني راض عن أبى بكر»^(٣).

الحديث التاسع عشر ومائة - أخرج ابن سعد عن بسطام بن مسلم قال: قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر: «لا يتأمر عليكما أحد بعدى»^(٤).

الحديث العشرون ومائة - أخرج ابن عساكر مرفوعاً: «حب أبى بكر وعمر إيمان، وبغضهما كفر»^(٥).

الحديث الحادي والعشرون ومائة - أخرج ابن عساكر - أيضاً -: أن رسول الله ﷺ قال: «حب أبى بكر وعمر من السنة»^(٦).

الحديث الثانى والعشرون ومائة - أخرج محمد بن يحيى فى الزهريات عن أبى ذر قال: هجرت يوماً من الأيام، فإذا النبى ﷺ قد خرج من بيته، فسألت عنه

(١) أخرجه أبو يعلى (١٧٩/٣) رقم (١٦٠٣) وقال الهيثمى فى المجمع (٧١/٩) رواه أبو يعلى والطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه الوليد بن الفضل العنزي وهو ضعيف جداً.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٧/٤).

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٠٤-١٠٥/٦) رقم (٥٦٤٠) وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب (٦٦٧/٢): حديث منكر موضوع. وينظر الإصابة (٢٠٥-٢٠٧/٣) فقد أطال الكلام على هذا الحديث.

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (١٥٨/٣) وانظر الرياض النضرة (٣٤٩/١) عن ابن عمر، نحوه.

(٥) ذكره الهندي فى كنز العمال (٣٢٧٠٣، ٣٢٧٠٤) وعزاه إلى ابن عساكر والديلمي عن جابر.

(٦) ينظر: الحديث السابق.

الخادم، فأخبرني أنه ببيت عائشة، فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس، وكان حينئذ أرى أنه في وحى، فسلمت عليه، فرد عليّ السلام، ثم قال: ما جاء بك؟ قلت: الله ورسوله، فأمرني بالجلوس، فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء إلا ذكره لى، فمكث غير كثير، فجاء أبو بكر يمشى مسرعاً، فسلم، فرد عليه السلام، ثم قال: ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله، فأشار بيده إلى ربوة مقابل النبي ﷺ أن اجلس، فجلست، ثم جاء عمر، ثم جاء عثمان، فجلسنا إلى جانب أبي بكر، ثم قبض عليه الصلاة والسلام سبع أو تسع حصيات، فسبحن حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله ﷺ، ثم ناولهن أبا بكر، وجاوزني، فسبحن في كف أبي بكر، ثم أخذهن منه، فوضعهن في الأرض، فخرسن، ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن^(١).

قال العلامة ابن حجر: تأمل سر إعطاء النبي ﷺ إياهن لأبى بكر من يده قبل وضعهن في الأرض بخلافه في عمر وعثمان، فعلم أن ذلك لمزيد قرب أبى بكر حتى صير يده ليست أجنبية من يد النبي ﷺ، فلم يفصل بينهما بزوال حبات تلك الحصيات، بخلافه في عمر وعثمان.

الحديث الثالث والعشرون والمائة - أخرج الملا في سيرته أنه ﷺ قال: « إن الله افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج، فمن أنكر فضلهم؛ فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج ».

الحديث الرابع والعشرون ومائة - أخرج الشيخان وأحمد وغيرهم عن أبى موسى الأشعري: أنه خرج إلى المسجد، فسأل عن النبي ﷺ، فقالوا: وجه هاهنا، فخرجت في أثره حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب - وبابها من جريد - حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته، فتوضأ، فقامت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس، وتوسط قفها، فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواباً للنبي ﷺ اليوم،

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٦٤/٦-٦٥) نحوه ونقله ابن كثير في البداية والنهاية (١٤٦/٦) وعزاه للبيهقي.

فجاء أبو بكر فدى الباب، فقلت: من هذا؟ قال: أبو بكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، وهكذا حين جاء عمر، وهكذا حين جاء عثمان، وزاد بعد « بشره الجنة » قوله: « على بلوى تصيبه »^(١).

الحديث الخامس والعشرون ومائة - أخرج الحافظ عمر بن محمد بن خضر الملا فى سيرته أن الشافعى - رضى الله تعالى عنه - روى بسنده: أنه ﷺ قال: « كنت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى أنوارًا على يمين العرش قبل أن يخلق الله آدم بألف عام، فلما خلق أسكتنا ظهره، ولم نزل ننتقل فى الأصلاب الطاهرة حتى نقلنى الله إلى صلب عبد الله، ونقل أبا بكر إلى صلب أبى قحافة، ونقل عمر إلى صلب الخطاب، ونقل عثمان إلى صلب عفان، ونقل عليًا إلى صلب أبى طالب، ثم اختارهم لى أصحابًا، فجعل أبا بكر صديقًا، وعمر فاروقًا، وعثمان ذا النورين، وعليًا وصيًّا، فمن سب أصحابى فقد سبنى، ومن سبنى فقد سب الله، ومن سب الله أكبه فى النار على منخره »^(٢).

الحديث السادس والعشرون ومائة - أخرج المحب الطبرى - فى الرياض النضرة: أنه ﷺ قال: « أخبرنى جبريل أن الله تعالى - لما خلق آدم، وأدخل الروح فى جسده أمرنى أن آخذ تفاحة من الجنة فأعصرها فى حلقة، فعصرتها فى فيه، فخلق الله من النقطة الأولى أنت [يا محمد]^(٣) ومن الثانية أبا بكر، ومن الثالثة عمر، ومن الرابعة عثمان، ومن الخامسة عليًا، فقال آدم: يا رب من هؤلاء الذين أكرمتهم؟ فقال تعالى: هؤلاء خمسة أشياخ من ذريتك، وهم أكرم عندى من جميع خلقى ». قال العلامة ابن حجر: أى أنت أكرم الأنبياء والرسل، وهم أكرم أتباع الرسل، فلما عصى آدم ربه، قال: يا رب، بحرمة أولئك الأشياخ الخمسة الذين

(١) أخرجه البخارى (٣٦٧٤، ٣٦٩٣، ٣٦٩٥، ٦٢١٦، ٦٢٧٢) ومسلم (٢٤٠٣)، والترمذى (٣٧١٠)، وأحمد (٤٠٦/٤-٤٠٧) وفى فضائل الصحابة (٢٠٩)، وابن حبان (٦٩١١)، (٦٩١٢) من حديث أبى موسى الأشعري.

(٢) ذكره المحب الطبرى فى الرياض (٢٤٨/١).

(٣) المثبت من الرياض.

فضلتهم إلا تبت عليّ، فتاب عليه^(١).

الحديث السابع والعشرون ومائة - عن محمد بن كعب القرظى لما اشتكى أبو طالب شكواه التى مات فيها قالت له قريش: أرسل إلى ابن أخيك يرسل إليك من الجنة التى ذكرها ما يكون لك شفاء، فجاء رسوله إلى رسول الله ﷺ، وأبو بكر جالس معه، فقال: إن عمك يقول لك: إني ضعيف سقيم، فأرسل إليّ من جنتك ما يكون شفاء، فقال أبو بكر: إن الله حرمها على الكافرين، فرجع الرسول فأخبرهم بمقالة أبي بكر، فحملوا عليه بأنفسهم، ثم أرسلوه فقال له النبي ﷺ مثل ما قال أبو بكر: «إن الله حرمها على الكافرين»^(٢).

الحديث الثامن والعشرون ومائة - أخرج فى الفضائل - وقال حسن صحيح - عن عائشة رضى الله تعالى عنها - أن النبي ﷺ قال لحسان: لا تعجل، وأت أبو بكر فإنه أعلم قريش بأنسابها حتى يمحض لك نسبى.

الحديث التاسع والعشرون ومائة - عن ابن عمر: لما كانت الليلة التى ولد فيها أبو بكر الصديق أقبل ربكم على جنة عدن، فقال: وعزتى وجلالى لا أدخلك إلا من أحب هذا المولود^(٣). أخرجہ الديلمى. قال فى بحر الأنساب، ونقله فى الرياض عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: حدثنى على بن أبى طالب من فيه قال: لما أمر الله - تبارك وتعالى - رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام خرج وأنا معه وأبو بكر، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - وكان مقدماً فى كل خير، وكان رجلاً نساباً فتقدم^(٤)، وقال: ممن القوم؟ فقالوا: من ربيعة، فقال: أى ربيعة أنتم، من هامتها أم لهزمتها؟ فقالوا بل من الهامة العظمى، فقال أبو بكر: وأى هامتها العظمى؟ قالوا: من ذهل الأكبر، فقال: أفيكم عوف الذى يقال فيه: «لا

(١) ينظر: الرياض النضرة (١/٢٤٧، ٢٤٨).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١٦٦)، عن أبي صالح نحوه، وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الطبري في الرياض النضرة (١/١٥٥)، ذكر ما جاء في الترغيب في محبته، رضى الله عنه.

(٤) في الرياض: فسلم.

حر بواذى عوف ؟ « قالوا : لا . قال : أفيكم جساس بن مرة حامى الذمار ، ومانع الجار ؟ قالوا : لا . قال : أفيكم بسطام بن قيس أبو اللواء ومتهى^(١) الأحياء ؟ قالوا : لا . قال : أفيكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا : لا . قال : أفيكم المزدلف صاحب العيافة والندوة^(٢) ؟ قالوا : لا . قال : أفيكم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا . قال : أفيكم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا ، قال أبو بكر : فليستم ذهل الأكبر ، أنتم ذهل الأصغر ، فقام إليه غلام من بنى شيبان حين بقل وجهه يقال له : « دغفل » ، فقال : [من الرجز]

إِنَّ عَلَى سَائِلِينَ أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعِبَاءَ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلُهُ
يا هذا ، إنك قد سألتنا فأخبرناك ، ولم نكتمك شيئاً من أمرنا ، فمن الرجل ؟ فقال أبو بكر : من قريش ، فقال الفتى : يخ بخ ، أهل الشرف والرياسة ، فمن أى القرشيين أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة . قال الفتى : أمكنت - والله - من سواء الثغرة ، أمكنكم قصى الذى جمع القبائل من فهر ، وكان يدعى فى قريش مجمعا ؟ قال : لا ، قال : أفيكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ، وأهل مكة مستنون عجاف ؟ قال : لا . قال : أفيكم شيبه الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كان وجهه كالقمر فى الليلة الداجية ؟ قال : لا . قال : فمن أهل السقاية أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الرفاة أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الرفاة أنت ؟ قال : لا . فاجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعا إلى رسول الله ﷺ ، فقال الغلام : [من الرجز]

صَادَفَ دُرُّ السَّيْلِ دُرًّا يَذْفَعُهُ يَهِيضُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا^(٤) يَضْدَعُهُ
أما - والله - لو ثبت ؛ لأخبرتكم من أى قريش أنت . قال : فتبسم رسول الله ﷺ . قال على : فقلت : يا أبا بكر ، لقد وقعت من الأعرابى على باقة . قال : أجل ، يا أبا

(١) فى الرياض : ومتهى .

(٢) فى الرياض : العمامة الفردة .

(٣) فى الرياض : ورجال .

(٤) فى الرياض : حيناً وحيناً .

حسن، ما من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالمنطق.

قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليه السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر، وسلم، وقال: ممن القوم؟ قالوا: من شيبان بن ثعلبة. فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، وقال: بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر الناس، وفيهم مفروق بن عمرو، وهاني بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان مفروق أدنى القوم مجلساً، فقال أبو بكر: كيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: علينا الجهد، ولكل قوم جهد^(١).

قال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال: إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يدينا مرة، ويديل علينا أخرى ثم التفت إلى رسول الله ﷺ، فقال: لعلك أخو قريش؟ قال أبو بكر: لقد بلغكم أنه رسول الله ﷺ ألا هو ذا. فقال مفروق: بلغنا أنه يذكر ذلك، فإلام تدعونا يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله ﷺ، وجلس، فقام أبو بكر يظله بشوبه، فقال رسول الله ﷺ: [أدعوكم]^(٢) إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإلى أن تعزروني^(٣) وتنصروني، فإن قريشاً قد ظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد، فقال مفروق بن عمرو: وإلام تدعونا يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلاماً أحسن من هذا، فتلا رسول الله ﷺ ﴿قُلْ تَكَلَّوْا أُنْذِرْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ...﴾ إلى قوله ﴿فَنَفَرَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]، فقال مفروق: وإلام تدعونا يا أخا قريش؟ قال: فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩] الآية. قال مفروق: دعوت - والله - يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذَّبوك وظاهروا [عليك]. وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هاني بن قبيصة، فقال: وهذا هاني بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا، فقال هاني: قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش، وإنني أرى أن تركنا ديننا واتباعك [على دينك]؛

(١) في الرياض: حد.

(٢) الميثب من الرياض.

(٣) في الرياض: تتووني.

لمجلس جلسنا إليك ليس له أول ولا آخر - زلة في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وتنظر. وكأنه أحب أن يشرك المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى بن حارثة: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيها جواب هاني بن قبيصة في تركنا ديننا، ومتابعتك على دينك، وإنا نزلنا بين صريين اليمامة والسماعة، فقال رسول الله ﷺ ما هذان الصريان؟ فقال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى، فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا ألا نحدث حدثًا، ولا نؤوى محدثًا، وإنى أرى هذا الأمر الذي تدعوننا إليه يا أخا قريش، مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لم ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، رأيتم إن لم تلبثوا^(١) إلا قليلًا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟ قال النعمان بن شريك: اللهم، فلك ذلك. فتلا رسول الله ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] ثم نهض رسول الله ﷺ قابضًا على يد أبي بكر، وهو يقول: «أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها! بها يدفع الله بأس^(٢) بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم». قال فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ. قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ، وقد سُرَّ بما كان من أبي بكر ومعرفته بأنسبهم^(٣).

هذا ما ظفرت به من الأحاديث الخاصة به، وأما ما ورد مشتركًا بينه وبين عمر رضى الله تعالى عنهما، أو مع الثلاثة، أو مع الأربعة، أو مع العشرة - فشيء كثير لم أورد منه إلا شيئًا، وما ورد في الثناء عليه من الصحابة، والسلف الصالح من الآثار والمناقب من: زهده، وتقواه وورعه، وهده، وحياطته للدين، والقيام بأمر

(١) في ط: إن لبثتم.

(٢) في ط: ما شاء. والمثبت من الرياض.

(٣) ينظر: الرياض النضرة (١/١٥٣-١٥٧).

المسلمين، ومصالحهم، والشفقة على الأمة، والنصح لها، واقتفاء ما كان عليه رسول الله ﷺ بحضرة النبي ﷺ وسماعه لتلك وفي غير حضرته، لم أورد منه شيئاً أصلاً، وإلا لاستوعب الكتاب أجمع.

ولما اشتهرت وفاة النبي ﷺ بالنواحي ارتدت طوائف من العرب عن الإسلام، ومنعوا الزكاة، فخرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار، فقال له عمر: أَلْفَ الناس، وارفق بهم، فقال له أبو بكر: أَجَبَّارٌ في الجاهلية، وخَوَّارٌ في الإسلام؟! إنه قد انقطع الوحي، وتم الدين، أينقص وأنا حي؟! ثم خرج لقتالهم حتى بلغ نفعاء بحذاء نجد، وهربت الأعراب بذراريهم، فكلم الناس أبا بكر، وقالوا: ارجع إلى المدينة، وأمر على الجيش رجلاً، فما زالوا به حتى رجع، وبعث خالدًا، وأمره أن يقاتل الناس على خمس، من ترك واحدة منهم قتله كما يقاتل من ترك الخمس جميعاً: على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج إلى البيت من استطاع إليه سبيلاً.

وأمر على الأنصار خاصة ثابت بن قيس بن شماس، وأمر خالدًا أن يصمد لقتال طليحة الأسدي، فسار عدة من معه ألفان وسبعمائة إلى ثلاثة آلاف، ووجه عكاشة ابن محصن الأسدي، وثابت بن أقرم الأنصاري إلى طليحة، فانتهيا إلى قطن، فصادفا به ابنا لطليحة متوجهاً إلى أبيه بثقله، فقتلاه، وأخذوا ماله، فساق وراءهم طليحة - بعد أن علم بما فعلاه - هو وأخوه سلمة، فقتلا عكاشة وثابتا، فسار خالد فقاتل طليحة، فهزمه الله تعالى، وكان طليحة بطلاً شديداً البأس في القتال، وقال

طليحة في قتله عكاشة، وثابت بن أقرم: [من الطويل]

فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْقَوْمِ إِذْ تَقْتُلُونَهُمْ	أَلَيْسُوا وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا بِرِجَالٍ
أَقَمْتُ لَهُمْ صَدْرَ الْجِمَالَةِ إِنَّهَا	مُعَوَّدَةٌ قَتَلَ الْكُمَاةَ نَزَالٍ
فَيَوْمًا تَرَاهَا فِي الْجَلَالِ مَضُوءَةً	وَيَوْمًا تَرَاهَا غَيْرَ ذَاتِ جَلَالٍ ^(١)
فَإِنْ يَكْ أَوْلَادُ أُصْبِنَ وَنَسُوهُ	فَلَنْ تَذْهَبُوا ^(٢) فَرَعًا بِقَتْلِ حَبَالٍ

(١) رواية الشطر الثاني:

... .. ويومًا تراها في ظلال عوالي

(٢) في البداية والنهاية: فلم يذهبوا.

عَشِيَّةً غَادَزْتُ بَنَ أَقْوَمَ ثَاوِيَا وَعُكَّاشَةَ الْعَنُمِيِّ عِنْدَ مَجَالِي^(١) وكان من شأن طليحة أنه تنبأ على عهد رسول الله ﷺ وكان يقول: إن ذا النون يأتيه، فقال ﷺ: لقد ذكر ملكًا عظيمًا، فلما كان زمن أبى بكر فممن ارتد، فبعث أبو بكر رضى الله تعالى عنه خالد بن الوليد إليه، فلما انتهى إلى عسكره، ووجده قد ضربت له قبة من آدم وأصحابه حوله، فقال خالد: ليخرج إليّ طليحة، فقالوا لا تصغر نبينا، هو طلحة، فخرج إليه، فقال له خالد: إن من عهد خليفتنا أن يدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، فقال: يا خالد أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله.

فلما سمع خالد ذلك انصرف عنه، وعسكر بالقرب منه على ميل، فقال عيينة بن حصن لطليحة: لا أبا لك، هل أنت مرينا بعض نبوتك؟ قال: نعم. وكان قد بعث عيونًا له حين سار خالد من المدينة مقبلًا إليهم فعرفوا خبر خالد، فقال: لئن بعثتم فارسين على فارسين أغرين محجلين [من بنى نصر بن قعين]^(٢) أتوكم من القوم بعين، فهيشوا له فارسين فبعثوهما، فخرجا يركضان، فلقيا عينا لخالد مقبلًا إليهم، فقالا: ما خبر خالد؟ وقالا: ما وراءك؟ قال: هذا خالد بن الوليد فى المسلمين قد أقبل، فزادهم فتنة وقال: ألم أقل لكم؟! فلما كان السحر نهض خالد إلى طليحة فيمن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما التقى الجمعان^(٣) تزمّل طليحة فى كساء له زاعمًا انتظار الوحي، فلما طال ذلك على أصحابه، وألح عليهم المسلمون بالسيف - قال له عيينة بن حصن: هل أذاك بعد؟ فقال من تحت الكساء: لا، والله ما جاء بعدُ، فقال له عيينة: تبا لك آخر الدهر! ثم جذبه [جذبة] جلس^(٤) منها، وقال: قبح الله هذه من نبوة، فجلس طليحة، ثم قال له عيينة: ما قيل لك؟ قال: قيل لى إن لك [مرجى كمرجاه]^(٥)، وأمرًا لا تنساه. فقال له عيينة: أظن قد علم الله - تعالى - أن سيكون لك أمر لا نساها، هذا كذاب، ما بورك لنا ولا له فيما

(١) ينظر: السيرة النبوية (٢/٢٧٩)، والبداية والنهاية (٦/٣٤٩).

(٢) المثبت من المحاسن والمساوئ.

(٣) فى المحاسن والمساوئ: الصفاق.

(٤) فى المحاسن والمساوئ: جاش.

(٥) فى المحاسن والمساوئ: رضى كرجاه.

نطلب^(١)، ثم هرب عيينة وأخوه، فأدركوه وأسروه، وأفلت أخوه، وهرب طليحة منهزمًا، وأسلمه شيطانه حتى قدم الشام فأقام عند بنى حنيفة^(٢) الغسانيين حتى فتح الله - تعالى - أجنادين، وتوفى أبو بكر - رضى الله عنه تعالى كذا فى المحاسن والمساوى - ثم أسلم طليحة، وحسن إسلامه^(٣).

قال ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة قال: لما سار خالد - وكان سيفًا من سيوف الله ورسوله - فأسرع المسير حتى نزل ببزاحة، وجمع له هناك العدو بنو أسد وغطفان، فاقتتلوا حتى قتل من العدو خلقًا كثيرًا، وأسر منهم أسارى، فأمر خالد بالحضر أن تبني ثم أوقد فيها النيران، وألقى الأسارى فيها، وقتل فى ذلك الوجه مالك بن نويرة التميمى.

قال ابن إسحاق: أتى خالد بن الوليد - رضى الله عنه - لمالك بن نويرة فى رهط من قومه بنى حنظلة، فضرب أعناقهم، وسار فى أرض بنى تميم، فلما غشوا قومًا منها أخذوا السلاح وقالوا نحن مسلمون، فقبل لهم: ضعوا السلاح فوضعوه، ثم صلى المسلمون فصلوا، فروى سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قدم أبو قتادة الأنصارى على أبى بكر فأخبره بقتل مالك بن نويرة وأصحابه، فجزع لذلك، ثم ودى مالكا ورد السبى والمال.

وهو مالك بن نويرة بن شداد اليربوعى التميمى فارس ذى الخمار، وذو الخمار فرسه. كان فارسًا شجاعًا مطاعًا فى قومه، وفيه خيلاء، كان يقال له: « الجفول » لكثرة سفره، وكان من فرسان العرب وشجعانهم، وذوى الرأى والرذافة فى الجاهلية، وكانت لبنى يربوع أيام آل المنذر، ومعنى الردف: أن يجلس مجلس الملك إذا غاب، وعن يمينه إذا جلس، فإذا شرب الملك شرب الردف بعده، وللردف إتاوة تؤخذ مع إتاوة الملك، وفى ذلك يقول راجزهم:

وَمَنْ يُنَافِرْ آلَ يَرْبُوعٍ يَجِدْ الْمَجْلِسَ الْأَيْمَنَ وَالرَّدْفَ التَّجْدُ

قدم على النبى ﷺ فولاه صدقة قومه بنى يربوع ثم ارتد، فلما نازله خالد بعد

(١) فى المحاسن والمساوى: تطالب.

(٢) فى المحاسن والمساوى: بني جفنة.

(٣) ينظر: المحاسن والمساوى (٣٠-٣١).

وفاته - عليه الصلاة والسلام - قال: أنا أتى بالصلاة دون الزكاة. فقال له: أعلمت أن الصلاة والزكاة معًا لا تقبل واحدة دون الأخرى؟ فقال: قد كان صاحبك يقول ذلك؟ قال خالد: وما تراه لك صاحبًا؟ ولقد هممت أن أضرب عنقك، ثم تجاوز طويلاً فصمم خالد على قتله، فكلمه أبو قتادة الأنصاري وابن عمر، فكره كلامهما، وقال لضرار بن الأزور: اضرب عنقه، فجاءت امرأته ليلى بنت سنان، كاشفة وجهها - فألقت نفسها عليه، فالتفت مالك إلى زوجته وقال: أنت التي قتلتيني، وكانت في غاية الجمال، قال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام، فقال: أنا على الإسلام. قال: اضرب عنقه؛ فضرب عنقه، وجعل رأسه إحدى أثافي القدر، وطبخ فيها طعام. فقالت امرأة من قومه حين رآته: اصرفوا وجه مالك عن النار، فوالله لقد كان حديد الطرف في الغارات، غضيض الطرف عن الجارات، لا يشع ليلة يضاف، ولا ينام ليلة يخاف، ثم تزوج خالد بالمرأة، فقال أبو زهير السعدي من أبيات: [من الطويل]

قَضَى خَالِدٌ بَغْيًا عَلَيْهِ لِعِزِّهِ وَكَانَ لَهُ فِيهَا هَوًى قَبْلَ ذَلِكَ
ويذكر أن أخا مالك بن نويرة - متمم بن نويرة - قدم المدينة، فأشدد أبا بكر مندبة ندب بها أخاه، وناشده في دم أخيه، منها قوله مخاطبًا لضرار بن الأزور: [من الكامل]

نِعَمَ الْقَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَوَّحَتْ خَلْفَ الْيُتُوبِ قَتَلَتْ يَابْنَ الْأَزُورِ
ثم توجه إلى أبي بكر فقال: [من الكامل]
وَدَعَوْتُهُ بِاللَّهِ ثُمَّ غَدَرْتُهُ لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرِ
فقال أبو بكر: والله ما دعوته، ولا غدرتي، فقال أخوه متمم بقية أبياته المشهورة، وانحط على فرسه وكان أعور، فما زال يكي حتى دمعت عينه العوراء، فقام إليه عمر بن الخطاب، فقال: وددت لو رثيت أخى زيدًا بمثل ما رثيت به أخاك، فقال متمم: والله لو علمت أن أخى صار إلى ما صار إليه أخوك لم أرته، ولم أحزن عليه - يعنى الجنة - قلت: وهذا الجواب من متمم يؤيد صحة الرواية بارتداده، وقال له عمر - رضى الله تعالى عنه - يومًا: حدثنا عن أخيك، فقال: أسرت مرة فى حى عظيم من أحياء العرب، فأقبل أخى مالك، فما هو إلا أن طلع على

الحاضرة، فما كان أحد قاعدًا إلا قام، ولا بقيت امرأة إلا تطلعت من خلال البيوت، فما نزل عن جملة حتى تلقوه بى فى رمتى. قلت: الرمة - بضم الراء وشد الميم: الخطام من الليف، أطلقت ههنا على الحبل الذى ربط به، فقال عمر - رضى الله عنه -: إن هذا لهو الشرف ومن شعر مالك قوله: [من الكامل]

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَلَا مَحَالَةَ أَنِّي لِلْحَادِثَاتِ، فَهَلْ تَرِنِي أَجْزَعُ؟!
أَفْنِينَ عَادًا ثُمَّ آلَ مُحَرَّقٍ فَتَرَكْنَهُمْ بَدَا وَمَا قَدْ جَمَعُوا
وَعَدَدْتُ أَيَّامِي إِلَى عِزِّ الثَّرَى وَدَعَوْتُهُمْ فَعَلِمْتُ أَنَّ لَمْ يَسْمَعُوا
ذَهَبُوا فَلَمْ أَدْرِكْهُمْ، وَدَهَنَهُمْ عَوَّلُ اللَّيَالِي وَالطَّرِيقُ الْمَهْيَعُ
ومنه قوله: [من الطويل]

وَقَالُوا لِي اسْتَأْسِرْ فَإِنَّكَ آمِنٌ فَقُلْتُ إِنْ اسْتَأْسَرْتُ إِنِّي لَخَائِنٌ
عَلَامَ تَرَكْتُ الْمَشْرِقَ مَضَاجِعِي وَمَطْرَدًا فِيهِ الْمَنَايَا كَوَامِنٌ
فَإِنْ تَقْتُلُونِي بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنِّي أَمُوتُ بِمَقْدَارٍ وَتَبْقَى الضَّعَائِنُ
ثم كلمه فى السبى والمال فرد إليه أبو بكر السبى والمال. وله مندبة أخرى يقول فيها: [من الطويل]

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جُذَيْمَةَ حَقَبَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا^(١)
ذكر أولاده رضى الله تعالى عنه

كان له ستة: ثلاثة بنين، وثلاث بنات، أما البنون: فعبد الله أكبر أولاده الذكور، أمه قتيلة - بالتصغير، وقيل بالتكبير - من بنى عامر بن لوى، شهد فتح مكة وحنينا والطائف مع النبى ﷺ مسلماً، وجرح بالطائف، وبقي إلى خلافة أبيه، ومات فيها، رماه فى وقعته بسهم أبو محجن الثقفى، فبرئ منه ثم انتقض عليه الجرح فمات به، وترك سبعة دنائير فاستكثرها أبوه أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - ولم يعقب.
والثانى - عبد الرحمن بن أبى بكر، يكنى أبا عبد الله، أسلم فى هدنة الحديبية، وهاجر إلى المدينة، وكتب للنبي ﷺ، وكان من الشجعان. له مواقف فى الجاهلية والإسلام مشهورة، وأبلى فى فتوح الشام بلاء حسناً، وكان ممن شهد بدرًا مع

(١) تنظر القصة فى البداية والنهاية (٦/٣٥٤-٣٥٥) وفيه بعض الشعر.

المشركين، ثم من الله تعالى عليه بما من على أمه: أم رومان بنت الحارث من بنى فراس بن غنم بن كنانة، أسلمت وهاجرت. مات فجأة سنة ثلاث وخمسين بعد وفاة معاوية قبل أن تتم البيعة ليزيد، بجبل قرب مكة، فأدخلته أخته شقيقته عائشة الحرم، ودفنته، وأعتقت عنه، وكان شهد الجمل معها، وله عقب. مروياته ثمانية أحاديث. ومحمد بن أبى بكر، ويكنى أبا القاسم كان من نساك قريش، أمه: أسماء بنت عميس الخثعمية وكانت من المهاجرين الأولين، وكانت تحت جعفر بن أبى طالب، وهاجرت معه إلى الحبشة، ولما استشهد جعفر بمؤته من أرض الشام تزوجها أبو بكر - رضى الله عنه - فولدت له محمداً بذى الحليفة، لخمس بقين من ذى القعدة سنة عشر من الهجرة، ولما توفى أبو بكر - رضى الله تعالى عنه وعنهما - تزوجها على بن أبى طالب، ونشأ محمد بن أبى بكر هذا فى حجر على - رضى الله تعالى عنه - وكان على راحلة على - رضى الله عنه - يوم الجمل، وشهد معه صفين، وولاه عثمان فى أيامه مصر وكتب له العهد، ثم اتفق مقتله - يعنى عثمان - قبل وصوله - يعنى محمداً - إليها، وولاه على - كرم الله وجهه - مصر بعد رجوعه من صفين فوقع بينه وبين عمرو بن العاص حرب، فهزم محمد بن أبى بكر وقتل، وأكثر المؤرخين على أنه أحرق فى جوف حمار ميت، يقال: كان ذلك قبل قتله، وقيل: بعد القتل.

وأما البنات: فعائشة أم المؤمنين شقيقة عبد الرحمن، وقد تقدم ذكرها فى زوجاته عليه الصلاة والسلام.

وأسماء بنت أبى بكر، شقيقة عبد الله، وهى أكبر بناته، وهى ذات النطاقين - وتقدم ذكر سبب تسميتها بذلك عند ذكر الهجرة تزوجها الزبير بمكة، وولدت له عدة أولاد: المنذر، وعروة أحد الفقهاء السبعة، والمهاجر، وعبد الله، وخديجة، وأم الخير، وعائشة، ثم طلقها، فكانت مع ولدها عبد الله حتى قتل، وعاشت بعده خمسة أيام، وكانت من المُعَمَّرِينَ، بلغ عمرها مائة سنة وعميت، وكان موتها بمكة، وسيأتى لها مزيد ذكر عند خلافة ابنها عبد الله بن الزبير.

وأم كلثوم، وهى أصغر بناته - رضى الله تعالى عنها - وهى التى تركها أبو بكر فى بطن بنت خارجة، كان أبو بكر قد نزل عليه، وتزوج ابنته، وتوفى عنها وتركها

حبلى فولدت بعده أم كلثوم، فاحتالت له حتى أمسك عنها، فتزوجها طلحة بن عبيد الله^(١). ذكر هذا ابن قتيبة وغيره، وابن عبد البر فى الاستيعاب، وابن الجوزى فى الصفوة.

ذكر وفاته رضى الله تعالى عنه

قال فى الرياض: قال أهل السير توفى أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وذكره فى الصفوة العلامة ابن الجوزى، وقال فى الخميس: قال ابن إسحاق: توفى يوم الجمعة لتسع بقين من الشهر المذكور، وذكره أبو عمرو، والأول أصح لما روت عائشة قالت: لما ثقل أبو بكر قال: أى يوم هذا؟ قلنا: يوم الاثنين. قال: وأى يوم قبض رسول الله ﷺ؟ قال: يوم الاثنين. قال: فإنى أرجو فيما بينى وبين الليل، فإن مت فى ليلتى، فلا تنتظروا بى الغد، فإن أحب الأيام والليالى إلتى أقربها من رسول الله ﷺ. خرجه الإمام أحمد بسنده. كذا فى الرياض^(٢).

قال: وكان عليه ثوب فيه رذغ من زعفران، أو مشق - بكسر الميم وسكون الشين المعجمة - وهى المغرة. قال: فإذا أنا مت، فاغسلوا لى ثوبى هذا، وضموا إلتىه ثوبين جديدين، وكفنونى فى ثلاثة أثواب. قالوا: ألا نجعلها كلها جدداً؟ قال: إنما هى للمهلة^(٣)، وهى بضم الميم وقال بعضهم بكسرها الصديد والقيح، وحكى بعض العراقيين فيها الفتح.

ولما مات - رضى الله تعالى عنه - غسلته زوجته أسماء بنت عميس بوصية منه، وصب عليها الماء ابنه عبد الرحمن، ولما كفن حمل على السرير الذى كان ينام عليه رسول الله ﷺ، وهو سرير عائشة من خشب الساج منسوج بالليف، ويبيع فى ميراث عائشة، فاشتره رجل من موالى معاوية بأربعة آلاف درهم، فجعله للناس يحملون عليه موتاهم بالمدينة، وصلى عليه عمر بن الخطاب فى مسجد رسول الله ﷺ تجاه المنبر، وكبر أربعاً، ودفن إلى جنب قبر النبى ﷺ، وألصق لحدته بلحدته، ونزل فى

(١) ينظر: الرياض النضرة (٢/٢٥٥-٢٥٨).

(٢) ينظر: الرياض النضرة (٢/٢٣٩)، وصفة الصفوة (١/١٣٨-١٣٩) وأخرجه أحمد (٦/٤٥).

(٣) وهو عند البخاري رقم (١٣٢١).

(٣) ينظر: الرياض (٢/٢٤٠).

قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبي بكر، ودفن ليلاً، وكان آخر ما تكلم به رضى الله عنه: رَبِّ توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين^(١).

وروى الليث بن سعد عن علوان عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن ابن عوف عن أبيه قال: دخلت على أبي بكر أعوده فى مرضه، فسلمت عليه، وسألته كيف أصبحت؟ فقال: بحمد الله بارئاً، أما إنى على ما ترى وجع، وجعلتم لى شغلًا مع وجعى، جعلت لكم عهدًا بعدى، واخترت لكم أحبكم لنفسى، فكلكم ورمَ لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له ثم قال: أما إنى لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهن، وثلاث لم أفعلهن، وثلاث وددت أنى سألت رسول الله ﷺ عنهن: وددت أنى لم أكن كشفت بيت فاطمة، وتركته وإن أغلق على الحزب، ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قذفت الأمر فى عنق عمر وأبى عبيدة، ووددت أنى لما كنت وجهت خالد بن الوليد إلى أهل الردة، أقمت بذى القصة فإن ظفر المسلمون وإلا كنت لهم مددًا وردءًا؛ ووددت أنى يوم أتيت بالأشعث أسيرًا ضربت عنقه، فإنه يخيل إلى أنه لا يكون شر إلا طار إليه؛ ووددت أنى يوم أتيت بالعجاج الأسلمى لم أكن حرقتة، وقبلته، وأطلقتة، ووددت أنى حيث وجهت خالد بن الوليد إلى الشام، وجهت عمر إلى العراق، فأكون قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله؛ ووددت أنى سألت رسول الله ﷺ فيمن هذا الأمر، ولا ننازعه أهله، وأنى سألت: هل للأنصار فى هذا الأمر شيء؟ وأنى سألت عن العمة وبنت الأخ، فإن فى نفسى منهما حاجة. رواه هكذا - أو أطول من هذا - ابن وهب عن الليث بن سعد إلى عبد الرحمن بن عوف.

وروى القاسم عن عائشة أن أبا بكر حين حضره الموت قال: إنى لا أعلم عند آل أبى بكر غير هذه اللقحة، وغير هذا الغلام الصيقل، وكان يعمل سيوف المسلمين ويخدمنا، فإذا مت فادفعيهما إلى عمر. قال: فلما دفعتهما قال عمر: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده^(٢).

حكى ابن عمر قال: كان سبب موت أبى بكر - رضى الله تعالى عنه - كمدا

(١) ينظر: الرياض النضرة (٢/٢٤١) وهناك زيادة، وصفة الصفوة (١/١٣٩).

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى (٣/١٤٣).

على موت النبى ﷺ ما زال يذيه حتى مات. والكمند: الحزن المكتوم.
وعن عائشة - رضى الله عنها - كان أول مرضه أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع
خلون من جمادى الأخرى، وكان يومًا باردًا فحم خمسة عشر يومًا، لا يخرج إلى
الصلاة، وكان يأمر عمر بن الخطاب يصلى بالناس^(١)، فدخل عليه الناس؛
يعودونه، وكانت عائشة لما ثقل تتمثل بقول الشاعر: [من الطويل]

أَعَاذِلُ مَا يُغْنِي الْحَذَارُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ: لَا تَقُولِي هَذَا، وَلَكِنْ قُولِي ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا
كَتَبَ مِنْهُ نَحِيدٌ ﴾ [ق: ١٩] ثم إنها تمثلت بقول أبى طالب: [من الطويل]
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالِ الْيَتَامَى عِصْمَةَ لِلْأَرَامِلِ
فَقَالَ لَهَا: ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وقال الناس له لما دخلوا عليه، يعودونه: ألا ندعو لك طبيبًا، ينظر إليك ؟
فقال: قد نظر إلى، فقالوا: ما قال لك ؟ قال: قال لى إنى فعال لما أريد^(٢).
قال الواقدي: توفى - رضى الله تعالى عنه - ليلة الثلاثاء، لثمان بقين من
جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، أسلم
وهو ابن سبع وثلاثين، وعاش فى الإسلام ستًا وعشرين سنة، ومدة خلافته سستان
وثلاثة أشهر واثنى عشرة ليلة، من متوفى رسول الله ﷺ، وأوصى أن يدفن إلى
جانب رسول الله ﷺ كما تقدم ذكر ذلك^(٣).

قال جابر بن عبد الله الأنصارى: فانطلقنا، ودفعنا الباب، وقلنا: هذا أبو بكر. ففتح
الباب، ولم ندر من فتحه لنا، وليس فى البيت أحد، وقال: ادخلوا فادفنوه، ولا نرى
شخصًا. قال فى « شواهد النبوة » سمعوا صوتًا يقول: ادفنوا الحبيب إلى حبيبه.
ولما توفى أبو بكر كان أبوه حيًا بمكة، وعاش بعده ستة أشهر وأيامًا.
مروياته فى كتب الحديث: مائتان واثنان وأربعون حديثًا. رضى الله تعالى عنه،
وأرضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه، ونفعنا به، آمين.

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٤١٩/٣)، المنتظم (١٢٩/٤)، سبل الهدى (٢٦٠/١١).
(٢) تنظر هذه الروايات فى الطبقات الكبرى (١٤٨/٣ - ١٤٩)، وسبل الهدى والرشاد (١١/٢٦١-٢٦٠)، والمنتظم (١٢٨/٤ - ١٣٠).
(٣) ينظر: الطبقات الكبرى (١٥١/٣).

خلافة أمير المؤمنين: عمر الفاروق رضى الله عنه

أخرج الواقدي من طرق: أن أبا بكر - رضى الله عنه - لما ثقل دعا عبد الرحمن ابن عوف، فقال: أخبرنى عن عمر بن الخطاب، فقال: ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبد الرحمن بن عوف: هو والله - أفضل من رأيك فيه.

ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: أخبرنى عن عمر بن الخطاب، فقال: أنت أخبرنا به، فقال: وإن، فقال: اللهم علمى به: أن سريره خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله.

وشاور معهما سعيد بن زيد، وأسيد بن الحضير، وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضا ويسخط للسخط، الذى يسره خير من الذى يعلن، ولن يلى هذا الأمر أحد أقوى عليه منه، ثم دخل عليه بعض الصحابة، فقال قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن تولية عمر علينا، فقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسونى، فأجلس، فقال أباالله تخوفنى؟! خاب من يزود من أمركم بظلم!! أقول: اللهم إنى استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عنى من وراءك ما قلت.

ثم دعا عثمان فقال اكتب:

« بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلأ فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إنى قد استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا وإنى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم إلا خيراً، فإن عدل فذلك ظنى فيه وعلمى به، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت، ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. والسلام عليكم ورحمة الله ». ثم أمر بالكتاب فختمه، ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوماً، فبايع الناس لمن فيه، ورضوا به^(١).

(١) ينظر: طبقات ابن سعد (٣/١٤٨-١٤٩)، وتاريخ الطبري (٣/٤٢٨).

ورأيت في الجمع الغريب ما نصه - بعد قوله: « فبايع الناس لمن فيه »: حتى مر الكتاب بعلي - رضى الله تعالى عنه - فقال: بايعنا لمن فيه وإن كان عمر - بزيادة الواو قبل إن، وفي رواية أخرى بحذف الواو.

قلت: يؤيد رواية عدم الواو ما ذكره في الرياض النضرة، وعبارته: « روى أن أبا بكر لما ثقل أشرف على الناس من كوة، فقال: يا أيها الناس، إني قد عهدت عهداً، أفترضون به؟ قال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله، فقال علي: لا نرضى إلا أن يكون عمر، قال: فإنه عمر. انتهى. ثم دعا عمر - رضى الله عنه - خالياً، فأوصاه بما أوصاه به، ثم خرج من عنده، فرفع أبو بكر يده، فقال: اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت به أعلم، واجتهدت لهم رأياً فوليت عليهم خيرهم وأقواهم وأحرصهم على ما أرشدهم، فقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم، فهم عبادك، ونواصيهم بيدك، أصلح ولايتهم، واجعله من خلفائك الراشدين، وأصلح له رعيته^(١).

وفي الصفوة: أول ما تكلم به عمر - رضى الله تعالى عنه - حين صعد المنبر أن قال: اللهم إني شديد فلينى، وإنى ضعيف فقونى، وإنى بخيل فسخنى^(٢).

وعن الحسن: أول خطبة خطبها: حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنى ابتليت بكم، وابتليت بى، فما كان بحضرتنا باشرنا، ومهما غاب عنا وليناه أهل القوة والأمانة، فمن يحسن نزده حسنى، ومن يسئ نعاقه^(٣). ثم قال: بلغنى أن الناس قد هابوا شدى، وخافوا غلظتى، وقالوا: قد كان عمر يشدد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، فكيف الآن وقد صارت الأمور إليه؟! ولعمري من قال ذلك فقد صدق، كنت مع رسول الله ﷺ، فكنت عبده وخادمه حتى قبضه الله، وهو راض عني والله الحمد، وأنا أسعد الناس بذلك، ثم ولى أبو بكر، فكنت خادمه وعونه، أخطت شدتى بليته فأكون سيفاً مسلواً حتى يغمدى، فما زلت معه كذلك حتى قبضه الله تعالى - وهو عني راض، والله الحمد، وأنا أسعد الناس بذلك، ثم إني وليت الآن

(١) ينظر: طبقات ابن سعد (١٤٩/٣ - ١٥٠).

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد (٢٠٨/٣)، وصفة الصفوة (١٤٥/١).

(٣) ينظر: طبقات ابن سعد (٢٠٨/٣)، وتاريخ الخلفاء (١١٣ - ١١٤)، والرياض النضرة (٢/٤٠٤).

أموركم، اعملوا أن تلك الشدة قد تضاعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، وأما أهل السلامة في الدين والقصد فإنما اللين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحداً يظلمه أحد أو يتعدى عليه حتى أضع خده بالأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يدعن للحق، ولكم عليّ أيها الناس، ألا أخبأ عنكم شيئاً من خراجكم، وإذا وقع عندي ألا يخرج إلا بحقه، ولكم على ألا ألقينكم في المهالك، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

قال سعيد بن المسيب: ولي عمر، فزاد في الشدة في مواضعها واللين في مواضعه، وكان أبا للعيال حتى أنه كان يمشي إلى المغنيات، ويقول: ألكنّ حاجة حتى أشتريها لكن؟ فإني أكره أن تخدعن في البيع والشراء، فيرسلن معه [بجواريهن]^(١)، ومن كان ليس لها شيء اشترى لها من عنده^(٢). وهو أول من قال: أطال الله بقاءك، قالها لعل بن أبي طالب رضى الله عنه.

وأخرج ابن عساكر عن إسماعيل بن زياد، قال: مرّ على بن أبي طالب - رضى الله عنه - على المساجد في رمضان وفيها القناديل، فقال: نور الله على عمر في قبره كما نور علينا مساجدنا^(٣).

وأوليات عمر مفردة بالتأليف، وذكر هذا العلامة جلال الدين السيوطي في تاريخه^(٤).

قال ابن الجوزي في المنتظم: روى أن أبا طلحة خرج في ليلة مقمرة، فرأى عمر - رضى الله عنه - قد دخل بيتاً ثم خرج منه، فلما أصبح أبو طلحة ذهب إلى ذلك البيت، فإذا فيه عجوز عمياء مقعدة. فقال لها أبو طلحة: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ فقالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا بما يصلحني، ويخرج عني الأذى والقذى^(٥).

ولما رجع رضى الله عنه من الشام إلى المدينة - انفرد عن الناس؛ ليتعرف أخبار

(١) في ط: نحو الحملين.

(٢) ينظر الرياض النضرة (٢/٣١٥-٣١٦).

(٣) ذكره المحب الطبري في الرياض (٢/٣٠٩) وعزاه لابن السمان في الموافقة.

(٤) ينظر: تاريخ الخلفاء (١٠٨)، وطبقات ابن سعد (٣/٢١٣) والرياض (٢/٣١٣-٣١٤).

(٥) ينظر: صفة الصفوة (١/١٤٦).

رعيته، فمر بعجوز لها خباء، فقصدها، فقالت: يا هذا، ما فعل عمر؟ قال: قد أقبل من الشام سالمًا، فقالت: لا جزاه الله عنى خيرًا. قال لها: ولم؟ قالت: لأنه ما فاتنى من عطائه منذ ولى أمر المسلمين دينار ولا درهم، فقال: وما يدرى عمر بحالك وأنت فى هذا الموضع؟! فقالت: سبحان الله: ما ظننت أن أحدًا يلى على الناس، ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها. فبكى عمر، فقال: واعمره بك أئدافه منك حتى العجائز، ثم قال لها: يا أمة الله، بكم تبيعينى ظلامتك من عمر؟ فإنى أرحمه من النار، فقالت: لا تهزأ بى، يرحمك الله؟ فقال عمر: لست بهزاء - فلم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارًا - فبينما هو كذلك إذ أقبل: على بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود - رضى الله عنهما - فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فوضعت العجوز يدها على رأسها، وقالت: واسوأته، شتمت أمير المؤمنين فى وجهه، فقال: لا عليك، يرحمك الله.

ثم طلب وفاء فلم يجده، فقطع قطعة من مرقعته، وكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما اشترى عمر ظلامتها منذ ولى إلى يوم كذا بخمسة وعشرين دينارًا، فما تدعيه عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله - تعالى - فهو منه برىء شهد على ذلك من فلانة: على بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود.»

قال أبو طلحة: ثم دفع الكتاب إليّ، وقال: إذا مت فاجعله فى كفى؛ ألقى به ربي عز وجل^(١).

وأخبره فى مثل هذا كثيرة جدًا، وإنما ذكرت هذا منها، لما جر إليه ذكره بالشدة واللين والرفق والشفقة على المسلمين.

ذكر نسبه رضى الله عنه

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدى بن كعب بن لؤى، يلتقى مع رسول الله ﷺ فى كعب بن لؤى، أمه: حثمة بنت هاشم بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وقال طائفة بنت هشام بن المغيرة، ومن قال ذلك فقد أخطأ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبى جهل بن هشام، والحارث

(١) ينظر: الرياض النضرة (٢/ ٣٩٠-٣٩١).

ابن هشام، وإنما هي بنت هاشم، وهاشم وهشام أخوان^(١).

ذكر إسلامه

قال ابن إسحاق: كان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة^(٢).

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ، فوجدته سبقني إلى المسجد، فقامت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا - والله - شاعر كما قالت قريش، فقرا: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١]. قال: فقلت: كاهن، فقال: عليه الصلاة والسلام وهو يقرأ: ﴿ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴾ إلى ﴿ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٢-٤٧]. قال: فوقع الإسلام من قلبي كل موقع. خرجه أحمد^(٣).

وفى طريق آخر عن أنس بن مالك قال: خرج متقلداً السيف، فلقبه رجل من بنى زهرة، فقال أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمداً، قال: وكيف تأمن من بنى هاشم ومن بنى زهرة وقد قتلت محمداً؟! فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبأت، وتركت دينك الذى أنت عليه، فقال الرجل: لا تلمنى، ولم أختك وختتك إن كنت تلوم، فإنهما قد صبآ. فمشى عمر حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب بن الارت، فلما سمع خباب حس عمر - توارى فى البيت، فدخل عليهما، وكانوا يقرءون سورة « طه » فسكتوا، فقال: ما هذه الهمهمة التى سمعتها عندكم؟ فقال: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبأتما، فقال له ختته أرايت يا عمر، إن كان الحق فى غير دينك؟ فوثب عمر على ختته، فوطئه وطأ شديداً، فجاءته أخته فدفعته عنه، فنفعها نفحة بيده، فدمى وجهها، فقالت غضبى: ولى

(١) ينظر: الاستيعاب (٢٣٥/٣)، وتهذيب الكمال (٣١٦/٢١)، وتهذيب التهذيب (٤٣٨/٧)، والإصابة (٤٨٤/٤).

(٢) السيرة النبوية (٣٦٩/١).

(٣) أخرجه أحمد (١٧/١)، وذكره الهيثمي فى المجمع (٦٥/٩) وعزاه للطبراني فى الأوسط، وقال: ورجاله ثقات، إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر.

يا عمر، أرايت أن الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

فلما تبين عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذى عندكم فأقرأه، وكان عمر يقرأ الكتب، فقالت له أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ، فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب، فقرأ « طه » إلى قوله: ﴿ إِنَّا أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤]، فقال عمر: دلوني على محمد، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت، فقال: أبشر يا عمر، فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين، عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام »، ثم قال: إن رسول الله ﷺ فى الدار التى فى أصل الصفا.

فانطلق عمر حتى أتى الدار. قال: وعلى الباب حمزة، وطلحة، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: عمر، فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر - قال حمزة: نعم، هذا عمر، وإن يرد الله به خيراً يسلم، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا، قال: والنبي داخل يوحى إليه، فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه، فقال: « ما أنت بمته عنى يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما لم ينزل بالوليد بن المغيرة. اللهم اهد عمر بن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب ». فقال عمر: أشهد أنك رسول الله، فأسلم عمر، فكبر النبي ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت من أعلى مكة^(١).

فقال عمر: يا رسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق؟ قال: يا عمر إنا قليل. قال عمر: والذى بعثك بالحق لا يبقى مجلسٌ جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان. ثم خرج وطاف بالبيت، ثم مر بقريش وهم ينظرونه، فقال له أبو جهل ابن هشام - وهو عم والدته حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومي - : زعم فلان أنك صبوت، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله؛ فوثب عليه

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٠٢/٣-٢٠٣)، والبيهقي في الدلائل (٢١٩/٢-٢٢٠)، وابن الجوزي في المنتظم (١٣٢/٤) من طريق القاسم بن عثمان البصري عن أنس بن مالك به وينظر تاريخ الإسلام (السيرة النبوية- ١٧٤).

المشركون، ووثب عمر على عتبة بن ربيعة، فبرك عليه، وجعل يضربه، وأدخل إصبعيه في عينيه، فجعل عتبة يصيح؛ فتنحى الناس عنه. فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ [شریف من] ^(١) دنا منه حتى أحجم الناس عنه، واتبع المجالس التي كان يجلس فيها بالكفر، فأظهر الإسلام فيها.

ثم انصرف إلى النبي ﷺ وهو ظاهر عليهم، فقال: ما يحبسك بأبي أنت وأمي؟! فوالله ما بقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإسلام غير هائب ولا خائف، فخرج - عليه الصلاة والسلام - في صفين من أصحابه، عمر بن الخطاب في يمينهما، وحمزة بن عبد المطلب في يسارهما، حتى طاف بالبيت وصلى الظهر معلنا. ثم انصرف إلى دار الأرقم هو ومن معه ^(٢). أخرجه أبو القاسم الدمشقي في الأربعين الطوال.

وعن ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر. أخرجه البخاري وأبو حاتم ^(٣). وعنه - أيضا - قال: كان إسلام عمر فتحا، وهجرته نصرا، وإمارته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا، وصلى عند الكعبة، وصلينا معه ^(٤). أخرجه الحافظ السلفي.

وخرج الخلعى طرفا من هذه القصة، وقال: فقال عمر: لا نعبد الله سراً بعد اليوم، فأنزل الله ﴿يَأْتِيهَا إِلَٰهٌ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، وكان ذلك أول ما نزل من القرآن في تسمية الصحابة مؤمنين، وكان عمر عند ذلك ينصب راية للحرب بمكة، ويحاربهم على الحق، فيقول لأهل مكة: والله لو بلغت عدتنا ثلاثمائة رجل لتركتموها لنا، أو لتركناها لكم ^(٥).

(١) بدل ما بين المعكوفين في ط ممن، والمثبت من الرياض النضرة (٢/٢٨٣).
(٢) أخرجه بنحوه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٦٧-١٦٩) وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/٤٠) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه كما في الإصابة من حديث ابن عباس (٣/٤٨٦)، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة النبوية - ١٧٩): إسناده ضعيف. وينظر: مجمع الزوائد (٦٨/٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٨٤، ٣٨٦٣)، وابن حبان (٦٨٨٠).
(٤) ينظر: الرياض النضرة (٢/٢٨٤). وينظر: طبقات ابن سعد (٣/٢٠٤).
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٦٥٩)، والبخاري (٢٤٩٥- كشف الأستار) عن ابن عباس. وقال الهيثمي (٦٥/٩): وفيه النضر أبو عمر وهو متروك وينظر الدر المنثور، تفسير الآية ٦٤، من سورة الأنفال (٣/٣٦٢).

وعن صهيب قال: لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا حلقا، وانتصفنا ممن غلظ علينا^(١).

وعن على - رضى الله عنه - : ما سمينا مؤمنين حتى أسلم عمر. خرجته فى الفضائل.

وعن ابن مسعود: لما أسلم عمر أظهر الإسلام، ودعا إلى الله علانية.

وعن ابن عباس قال: لما أسلم عمر قال المشركون: انتصف القوم مِنَّا^(٢).

وهو أول من مصر الأمصار كالكوفة والبصرة، وحقق كلمته فى إعلاء كلمة الله، ففتح الفتوحات العظيمة فى المواضع العديدة، فتح مصر والشام ثم الروم ثم القادسية، ثم انتهى الفتح إلى حمص وحلوان والرقه والرّها وحرّان ورأس العين والخابور ونصيبين وعسقلان وطرابلس، وما يليها من السواحل، وبيت المقدس وبيسان واليرموك والأهواز وقيسارية وتستر ونهاوند والرى وما يليها وأصفهان وبلاد فارس وغيرها^(٣).

ومع هذا كله بقى على حاله كما كان قبل الولاية فى لباسه وزيه وأفعاله وتواضعه، يسير منفردا فى سفره وحضره من غير حرس ولا حجاب، لم تغيّره الأمور ولم يستطل على مسلم بلسانه، ولا يحابى أحدا فى الحق. وكان لا يطمع الشريف فى حيفه، ولا يشفق الضعيف من عدله، ولا يخاف فى الله لومة لائم، وينزل نفسه من مال الله منزلة رجل من أوساط المسلمين، وجعل فرضه كفرض رجل من المهاجرين، وكان يقول: أنا ومالك كولى اليتيم إن استغنيت استعفت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، أراد: أنه يأكل ما تقوم به بنيته لا يتعداه.

قال مجاهد: تذاكر الناس فى مجلس ابن عباس، فأخذوا فى فضل أبى بكر ثم فى فضل عمر، فلما سمع ابن عباس ذكر عمر بكى بكاء شديدا حتى أغمى عليه، ثم قال: يرحم الله عمر، قرأ القرآن، وعمل بما فيه، فأقام حدود الله كما أمر لا تأخذه فى الله لومة لائم، لقد رأيت عمر أقام الحد على ولده فقتله^(٤).

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/٢٠٤)، وتماه: ورددنا عليه بعض ما يأتى به.

(٢) تقدم قبل سطور.

(٣) ينظر: طبقات ابن سعد (٣/٢١٣-٢١٤).

(٤) ينظر: الرياض النضرة (٢/٣٥٥).

قلت: قصة إقامة الحد على ولده ذكرها فى الرياض النضرة، وبعضها عن عمرو ابن العاص قال: بينما أنا بمنزلى بمصر إذ قيل: هذا عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، وأبو سرعة يستأذنان عليك، فقلت: يدخلان، فدخلا وهما متكرران، فقالا: أقم علينا الحد؛ فإننا أصبنا البارحة شرابا وسكرنا. قال: فزبرتهما وطردتهما. فقال لى عبد الرحمن: إن لم تفعل خبرت والدى عمر إذا قدمت عليه. قال عمرو: فقلت إنى إن لم أقم عليهما الحد غضب عليّ عمر وعزلى، قال: فأخرجتهما إلى صحن الدار، فزبرتهما الحد، وأدخلت عبد الرحمن ناحية إلى بيت من الدار، فحلق رأسه، وكانوا يحلقونه مع الحدود، والله ما كتبت لعمر بحرف مما كان، حتى إذا كان كتابه جأنى فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر إلى عمرو بن العاص، عجبت لك وجوابك علىّ وخلافك عهدى فما أرانى إلا عاذلك تضرب عبد الرحمن فى بيتك وتحلق رأسه فى بيتك، وقد عرفت إن هذا ليخالفنى، إنما عبد الرحمن رجل من رعيّتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت: هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفت أنى لا هودة لأحد من الناس عندى فى حق، فإذا جاءك كتابى - فابعث به فى عبادة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع، والسلام. فبعثت به كما قال أبوه، وكتبت إلى عمر أعتذر إليه بأنى ضربته فى صحن دارى، فبالله الذى لا يحلف بأعظم منه إنى لأقيم الحدود فى صحن دارى على المسلم والذى، وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر، فقدم عبد الرحمن على أبيه عمر، فدخل وعليه عباءة لا يستطيع المشى من سوء مركبه، فقال له عمر: يا عبد الرحمن، فعلت وفعلت فكلمه عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، قد أقيم عليه الحد. فلم يلتفت إليه، وأمر بإقامة الحد عليه، فجعل عبد الرحمن يقول: إنى مريض، وأنت قاتلى. فأقام عليه الحد ثانيا، وحبسه، فمرض ومات. انتهى^(١).

قال ابن قتيبة وأبو عمر وصاحب الصفوة: كان عمر بن الخطاب من المهاجرين السابقين، ممن صلى إلى القبلتين، وشهد بدرا والحديبية وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وهاجر علانية^(٢).

(١) ينظر: الرياض النضرة (٢/٣٥٤-٣٥٥).

(٢) ينظر: الاستيعاب (٣/٢٣٦)، وصفة الصفوة (١/١٤٣)، والرياض النضرة (٢/٣١٣-٣١٤).

عن ابن عباس قال: قال على: ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى فى يده سهمًا، واحتضن عنزته، ومضى قبل الكعبة والملا من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعا متمكنا، ثم أتى المقام فصلى متمكنا، ثم وقف على حلقهم واحدة واحدة، فقال لهم: شأهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تشكله أمه، أو يؤتم ولده، أو يرمل زوجته - فليلقنى وراء هذا الوادى. ثم مضى. خرجه ابن السمان فى الموافقة^(١).

وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنه راض، وبشره بالجنة، وأخبره أن الله جعل الحق على لسانه وقلبه، وأن رضاه وغضبه عدل، وأن الشيطان يفر منه، وأن الله أعز به الإسلام، واستبشر أهل السماء بإسلامه، وسماه عبقرىا ومحدثا وسراج أهل الجنة، ودعاه صاحب رحا وافرة العرب، يعيش حميدا ويموت شهيدا، وإنه رجل لا يحب الباطل، ولو كان بعده نبى لكان عمر^(٢). وكل هذا وغيره يأتى فى الأحاديث الواردة مع الآيات فى شأنه.

قال صاحب الصفوة: وهو أول من عس بنفسه فى عمله، وحمل الدرة، وأدب بها وكانت أهيب من سيف الحجاج، وكانت تخافه ملوك الروم وفارس وغيرهما^(٣)، وكان - رضى الله تعالى عنه - إذا كان فى سفر نادى الناس فى المنزل عند الرحيل: ارحلوا أيها الناس، فيقول القائل: يأيها الناس، هذا أمير المؤمنين قد ناداكم، تقدموا فاستقوا وارحلوا، ثم ينادى الثانية: الرحيل، فيقول الناس: اركبوا؛ فقد نادى أمير المؤمنين الثانية؛ فاذا استقلوا قام فرحل بغيره وعليه غرارتان، إحداهما: فيها سوق، والأخرى: فيها تمر وبين يديه قرية وخلفه جفنة، فكلما نزل جعل فى الجفنة من السوق، وصبَّ عليه من الماء وسط شنارة - قال: والشنارة مثل النطع الصغير - من جاءه لحاجة أو يستقضى قال له: كل من هذا السوق والتمر. ثم يرحل فيأتى المكان الذى رحل الناس منه، فإن وجد متاعا ساقطا أخذه؛ وإن

(١) ينظر: الرياض النضرة (٢/٢٨٦).

(٢) ينظر: الرياض النضرة (٢/٣١٣-٣١٤).

(٣) ينظر: صفة الصفوة (١/١٤٣).

وجد أحدا فيه عرج أو عرض لدابته أو بعيره - يكارى له، ويسوق به، فيتبع آثار الناس؛ فإذا أصبح الناس من الغد لم يفقد أحد متاعا له سقط منه إلا قال: حتى يأتى أمير المؤمنين، فيطلع عمر وإن جملة مثل المشجب مما عليه من المتاع للناس، فيأتى الرجل، ويقول: يا أمير المؤمنين، إداوتى، فيقول: هل يغفل الرجل الحليم عن إداوته التى يشرب فيها، ويتوضأ للصلاة منها؟! أو كل ساعة أبصر، أو كل الليل أكلأ عيني من النوم، ثم يدفع إليه إداوته؛ ويقول الآخر: يا أمير المؤمنين، قوسى؛ ويقول آخر: رشائى؛ أو ما وقع منهم فيصفونه فيدفعه إليهم.

ولما بلغ الشام تلقوه ببرذون وثياب، فكلموه أن يركب البرذون؛ ليراه العدو؛ فيكون ذلك أَرهَب بلباس اليباض، ويطرح الفرو الذى عليه، فأبى، فألحوا عليه، فركب البرذون بفروته وثيابه، فهملج به البرذون وخطام ناقته بعد فى يده، فنزل وركب راحلته، وقال: لقد غرنى هذا حتى خفت أن أنكر نفسى. ذكر هذا كله أبو حذيفة إسحاق بن بشر فى فتوح الشام^(١).

قال العلامة ابن الجوزى: لما بعث عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص لحرب القادسية - كتب إليه وهو بالقادسية أن وجه نضلة الأنصارى إلى حلوان العراق؛ فيغزو أهلها، فبعث سعد بن أبى وقاص نضلة الأنصارى فى ثلاثمائة فارس، فساروا حتى أتوا حلوان فأغاروا على أهلها، وأصابوا غنيمة وسبيا، وأثقلوا بذلك حتى أرهقتهم صلاة العصر وكادت الشمس أن تغرب، فألجأ نضلة السبى والغنيمة إلى سفح جبل؛ وقام فأذن فقال: «الله أكبر الله أكبر»، فأجابه مجيب من الجبل: كبرت كبيرا يا نضلة؛ ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: كلمة الإخلاص يا نضلة؛ ثم قال: أشهد أن محمدا رسول الله، فقال: هو الذى بشرنا به عيسى بن مريم وعلى رأس أمته تقوم القيامة؛ ثم قال: حى على الصلاة، فقال: طوبى لمن سعى إليها، وواظب عليها؛ ثم قال: حى على الفلاح، فقال: قد أفلح من أجاب داعى الله؛ ثم قال: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، قال: أخلصت الإخلاص كله يا نضلة، حرم الله تعالى بها جسدك على النار.

فلما فرغ نضلة من أذانه قام فقال: من أنت يرحمك الله، أملك أم طائف من الجن

(١) ينظر: الرياض (٢/٣١٦ - ٣١٧).

أم من عباد الله ؟! قد سمعنا صوتك، فأرنا صورتك وشخصك، فإن الوفد وفد رسول الله ووفد عمر بن الخطاب، فانفلق الجبل عن هامة كالرحى، أبيض الرأس واللحية، عليه طمران من صوف، فقال: أنا زريب بن برتمك، وصى العبد الصالح عيسى بن مريم، أسكننى هذا الجبل، ودعا لى بطول البقاء إلى حين نزوله من السماء، قال: فسأل نضلةً والخلق الذين معه عن النبى ﷺ، فقالوا: قد قبض؛ فسأل عن أبى بكر، فقالوا: قد قبض؛ ثم سألهم عن عمر، فقالوا: حى، ونحن جيشه، فقال: أقرئوه منى السلام، وقولوا له: يا عمر، سدد وقارب، فقد وفى الأمر، وأخبروه بهذه الخصال التى أخبركم بها: يا عمر، إذا ظهرت هذه الخصال فى أمة محمد فالهرب، الهرب: إذا استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسبوا إلى غير مناسبتهم، وانتموا إلى غير مواليهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم، وترك الأمر بالمعروف فلم يؤمر به، وترك النهى عن المنكر فلم ينه عنه، ويعلم عالمهم العلم؛ ليجلب به الدنيا، ويأتى المطر فيضا، والولد غيظا، وطولوا المنارات، وفضضوا المصاحف، وزخرفوا المساجد، وأظهروا الرشا، وشيدوا البناء، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، وقطعت الأرحام، وبيعت الأحكام، وأكلوا الربا، وصار الغنى عزا، والفقر ذلاً، وخرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه؛ وسلم عليه، وركبت الفروج السروج.

قال: ثم غاب عنهم فلم يروه، فكتب بذلك نضلة إلى سعد، وكتب به سعد إلى عمر - رضى الله عنه -، فكتب عمر إلى سعد: أن سر أنت بنفسك ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزلوا ذلك الجبل، فإن لقيته فأقرئه منى السلام، فخرج سعد فى أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار وأبنائهم حتى نزلوا ذلك الجبل، ومكث سعد أربعين يوماً، ينادى بالصلاة، فلم يجد جواباً، ولم يسمع خطاباً، فكتب بذلك إلى عمر - رضى الله عنه ^(١).

صفته رضى الله عنه

عن زر بن حبیش - رضى الله عنه - قال: كان عمر - رضى الله عنه - أبيض، أبهق، يشبه لون الجص بياضاً، لا يكون له دم ظاهر، وكان طوالاً، أصلع، أبلج،

(١) ينظر: الرياض النضرة (٢/٣٢٩-٣٣١).

شديد حمرة العينين، كث اللحية، خفيف عارضيتها، سلتا، كثير الشعر، فى أطرافه صهبية، أعسر أيسر - يعنى يعمل بكلتا يديه - أروح كأنه راكب والناس مشاة - قال الجوهري: الأروح: هو الذى يتباعد صدور قدميه ويتدانى عقباه - وكان لا يغير شبيهه، فقيل له: يا أمير المؤمنين، ألا تغيره؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شاب شبيهة فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة»^(١)، وما لنا نغيره^(٢)!!.

الآيات النازلة بما أشار به عمر رضى الله تعالى عنه فى قضايا متعددة

فمنها: اتخاذ مقام إبراهيم مصلى! عن طلحة بن مصرف قال: قال عمر: يا رسول الله، أليس هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: بلى. قال عمر: فلو اتخذته مصلى؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(٣) [البقرة: ١٢٥]. ومنها: مشورته فى أسارى بدر عن ابن عباس عن عمر قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون فى هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، بنو العم والعشيرة والإخوان، أرى أن نأخذ منهم الفداء، فيكون لنا قوة على المشركين، وعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام؛ فيكونون لنا عضدا. قال: فما ترى يا بن الخطاب؟ قلت: يا رسول الله، ما أرى الذى يراه أبو بكر، ولكن هؤلاء أئمة الكفر وصناديده، فقدّمهم لنا نضرب أعناقهم. قال: فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلته، وقال: مثلك يا أبا بكر كمثّل عيسى إذ قال: ﴿إِنْ تَعَدَّيْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَعَفَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمَرْبِزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، ومثلك يا عمر كمثّل

(١) أخرجه الحديث بنحوه عبد الرزاق (٨٥٣٣) ومن طريقه الطبراني فى الكبير (٥١)، وأخرجه البيهقي (٢٤٨/٩) وقال الهيثمي فى المجمع (٣٧/٤): رجاله موثقون. وينظر طبقات ابن سعد (٢٤٧/٣)، والرياض النضرة (٢٧٤/٢)، وصفة الصفوة (١٤٢/١).

(٢) أخرجه قول عمر الطبراني فى الكبير (٥٨)، وفى الأوسط (٤٢٨٦) من طريق مجاهد عن ابن عمر عن عمر به وصححه ابن حبان (٢٩٨٣) من طريق آخر عن عمر. وينظر الرياض (٢/٢٧٤).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ ابن مردويه كما فى الدر المنثور (٢٢٣/١)، تفسير الآية: ١٢٥ من سورة البقرة. والبخاري (٤٠٢) مطولاً من حديث أنس، وسيأتي. وينظر الرياض (٢/٢٨٨).

نوح إذ قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ ﴾ الآية [نوح: ٢٦، ٢٧].

ثم أخذ رسول الله ﷺ منهم الفداء، فلما أصبحت غدوت على رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان، قلت: يا نبي الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء، وإلا تباكيت لبكائكما، فقال: لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة منه - فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرٌّ حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ يُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨]. أخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه^(١).

وعند البخاري معناه بزيادة قوله: إنه قتل من المشركين سبعين^(٢)، وأسر سبعين، وبزيادة: ولكن أن تمكن عليا من عقيل، فيضرب عنقه، وحمزة من فلان - أخيه - فيضرب عنقه، وفلانا من فلان، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هودة للمشركين، ثم ذكر معنى ما بعده، وزاد: فلما كان يوم أحد من العام القابل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وشج وجهه، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، وأنزل الله - عز وجل -: ﴿ أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَلِيلٌ ﴾^(٣) [آل عمران: ١٦٥]. وروى: أنه ﷺ قال لعمر: لقد كاد يصيبنا بخلافك شر يا بن الخطاب^(٤). وفي

(١) أخرجه مسلم (٥٨-١٧٦٣) بنحوه، وليس فيه: مثلك يا أبا بكر... إلى كمثل نوح... الآية وقد جاء هذا اللفظ في حديث ابن مسعود أخرجه أحمد (١/٣٨٣)، والحاكم (٣/٢٢) وصححه ووافقه الذهبي وينظر الرياض (٢/٢٨٨-٢٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٨٦) من حديث البراء بن عازب قال: جعل النبي ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير فأصابوا منا سبعين وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيرا، وسبعين قتيلا.

(٣) أخرجه أحمد (١/٣٠-٣١) مطولا ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١/٤٢) من حديث ابن عباس عن عمر. وقوله «ولكن أن تمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه» عند مسلم (٥٨-١٧٦٣) من حديث ابن عباس عن عمر. وقوله «وكسرت رباعيته وجرح وجهه، وهشمت البيضة على رأسه» عند البخاري (٤٠٧٥) من حديث سهل بن سعد بنحوه. وينظر الرياض (٢/٢٨٩).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/٣٢٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/٤٣) من حديث ابن عمر وصححه =

رواية: لو نزل بنا عذاب ربى. وفى رواية: لو عذبنا فى هذا الأمر - يعنى عذابا ظاهرا، فلا يتافى ما وقع لهم يوم أحد - لما نجا منه غير عمر. خرجها القلعى^(١). ومنها: قوله تعالى: ﴿عَمَّ رَيْهٌ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ [التحريم: ٥]، وذلك أنه لما بلغه - رضى الله عنه - شيء فى معاناة أمهات المؤمنين للنبي ﷺ، فقال لهن: لتكفرن عن رسول الله ﷺ أو ليدلن أزواجا خيرا منكن، فقالت له إحداهن: يا عمر أما فى رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟! فأنزل الله هذه الآية المذكورة: ﴿عَمَّ رَيْهٌ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا...﴾ الآية. أخرجه البخارى ومسلم وأبو حاتم^(٢).

ومنها: أنه لما أمر نساء رسول الله ﷺ أن يحتجن، قالت له زينب: وإنك علينا يا بن الخطاب، والوحي ينزل فى بيوتنا، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٣]. أخرجه أحمد^(٣).

وفى رواية الطبرانى عن عائشة قالت: كنت أكل مع النبي ﷺ حيسا فى قعب، فمر عمر - رضى الله عنه - فدعاه فأكل معنا، فأصابته أصبعى أصبعه، فقال: حس - وهذه كلمة يقولها الإنسان من العرب إذا أصابه ما مَضَه أو أحرقه كالجمرة والضربة ونحوهما كذا فى الصحاح - أوه، لو أطاع فيكن ما رأتن عين، فنزلت آية الحجاب^(٤).

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْدَ ذَلِكَ

= الحاكم ووافقه الذهبي.

(١) تنظر هذه الروايات فى الرياض النضرة (٢/٢٩٠).

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٢، ٤٩١٦)، والنسائى فى التفسير (٦٣١)، وابن حبان (٦٨٩٦) من حديث أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب والحديث ليس فى مسلم، ولم يعزه له المزى فى تحفة الأشراف (٨/١٢-١٣) رقم (١٠٤٠٩).

(٣) أخرجه أحمد (٤٥٦/١)، والبزار (٢٥٠٥-كشف الأستار) والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٧٠/٩) من حديث ابن مسعود. وقال الهيثمى: فيه أبو نهشل ولم أعرفه، وبقيّة رجاله ثقات. وينظر الرياض (٢/٢٩١).

(٤) أخرجه النسائى فى التفسير (٤٣٩) والطبرانى فى الصغير (٨٣/١) وفى الأوسط (٣٣٧٤-مجمع البحرين)، وابن أبي حاتم، كما فى تفسير ابن كثير (٥٠٦/٣)، وابن مردويه كما فى الدر المنثور (٥/٤٠٢). وقال السيوطى: سنده صحيح. وقال الهيثمى (٧/١٠٠): ورجاله رجال الصحيح غير مرسى بن أبي كثير، وهو ثقة. وينظر الرياض (٢/٢٩١).

عليه السلام [التحريم: ٤] عن ابن عباس أن عمر حدثه، قال: لما اعتزل رسول الله ﷺ نساءه وكان له وجد عليهن؛ فاعتزلهن فى مشربة من خزانته - قال عمر: فدخلت المسجد، فإذا الناس يكتثون بالحصى، ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقلت: لأعلمهن هذا اليوم، وذلك قبل الأمر بالحجاب، فدخلت على عائشة بنت أبى بكر، فقلت: يا بنة أبى بكر، بلغ من أمرك أن تؤذى رسول الله ﷺ؟! قالت: ما لى ومالك يا بن الخطاب، عليك بنفسك؛ فأتيت حفصة بنت عمر، فقلت: يا حفصة، لو علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك، ولولا أنا لطلقك. قال: فبكت أشد بكاء. قال: فقلت لها: أين رسول الله ﷺ؟ قالت: هو فى خزانته. قال: فذهبت، فإذا أنا برباح: غلام رسول الله ﷺ قاعدا على أسكفة الغرفة، مدليا رجله على نقير يعنى جذعا منقورا، فقلت: يا رباح، استأذن على رسول الله ﷺ، فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إليّ وسكت، قال: فرفعت صوتى، فقلت: استأذن يا رباح على رسول الله ﷺ، فإنى أظن أن رسول الله ﷺ يظن بى ربما جئت من أجل حفصة، والله لئن أمرنى أن أضرب عنقها الآن لضربت عنقها. قال: فنظر رباح إلى الغرفة، ونظر إليّ، ثم قال هكذا؛ يعنى أشار بيده أن ادخل، فدخلت، فإذا هو - عليه الصلاة والسلام - مضطجع على حصير وعليه إزاره، فجلس، وإذا الحصير قد أثر فى جسده، وقلبت عيني فى الخزانة، فإذا ليس فيها شيء من الدنيا غير قبضتين من شعير وقبضة من قرص نحو صاعين، وإذا أفيق معلق أو أفيقان. قال: فابتدرت عيناي، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله، ما لى لا أبكى وأنت صفوة الله ورسوله وخيرته من خلقه، وهذه الأعاجم: كسرى وقيصر، فى الثمار والأنهار وأنت هكذا، فقال: يا بن الخطاب، أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ فقلت: بلى يا رسول الله فأحمد الله فما تكلمت فى شيء إلا أنزل الله تصديق قولى من السماء. قال: فقلت يا رسول الله، إن كنت طلقت نساءك أو تظاهرن عليك، فإن الله - عز وجل - وجبريل معك، وأنا وأبو بكر وصالح المؤمنين، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿وَلَنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]. قال فما أخبرت بذلك نبي الله، وأنا أعرف الغضب فى وجهه حتى رأيت وجهه يتهلل، وكشر؛ فرأيت ثغره - وكان أحسن

الناس ثغرا ﷺ - فقال: إني لم أطلقهن، فقلت: يا نبي الله، فإنهم قد أشاعوا: أنك طلقت نساءك، فأخبرهم أنك لم تطلق؟ قال: إن شئت، فقلت على باب المسجد، فقلت: ألا إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه، فأنزل الله في الذى كان من شأنى وشأنهم: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣]. قال عمر: فأنا الذى استنبطه منهم. خرج أبو حاتم والبخارى ومسلم^(١).

وفى رواية لأبى حاتم - أيضا - قال له عمر: لو اتخذت يا رسول الله فراشا أوبر من هذا؟ فقال - عليه الصلاة والسلام - : يا عمر ما لى وللدنيا - أو ما للدنيا وما لى - إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب سائر فى يوم صائف، فاستظل تحت شجرة، ثم راح وتركها. خرجها الثقفى فى الأربعين^(٢).

ومنها: منعه - رضى الله عنه - للنبي ﷺ من الصلاة على المنافقين. عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول، جاء إليه عبد الله بن عبد الله، وكان قد أسلم إلى النبي ﷺ، فقال: إن أبى قد مات، وسأله أن يعطيه قميصه، يكفنه فيه، وأن يصلى عليه، فقام النبي ﷺ؛ ليصلى عليه، فقام عمر، فأخذ بثوبه - عليه الصلاة والسلام - وقال: لا تصل عليه وقد قال يوم كذا وكذا - وشرع يعدد عليه قوله - فتنبسم ﷺ، وقال: أخر عنى يا عمر، فقال له عمر: ألم ينهك الله أن تستغفر لهم؟ فلما أكثر عليه قال: إنما خُيرت - يعنى قوله: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ [التوبة: ٨٠] - فاخترت، ولو علمت أنى إذا زدت على السبعين يغفر لهم لزدت عليها، فصلى رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرا حتى أنزل الله الآيتين فى سورة براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ إلى ﴿وَهُمْ فَتْسُوتَ ﴾ [التوبة: ٨٤]. قال عمر: فعجبت من جرأتى على رسول الله ﷺ. وقال لما نزلت: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا

(١) أخرجه البخارى (٢٤٦٨، ٥١٩١)، ومسلم (٣٠-١٤٧٩)، وابن حبان (٤١٨٨) من حديث ابن عباس عن عمر. وهذا لفظ ابن حبان. وينظر الرياض النضرة (٢/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣٠١/١)، وابن حبان (٦٣٥٢)، والطبرانى فى الكبير (١١٨٩٨)، والحاكم (٣١٠-٣٠٩/٤) من حديث ابن عباس. قال الهيثمي (٣٢٩/١٠): ورجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن خباب، وهو ثقة.

سَتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿[التوبة: ٨٠]﴾ قال: فلا يزيدن على السبعين واحدا في الاستغفار، فقال له عمر: والله لا يغفر لهم سواء استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم^(١).

ومنها: موافقته في قوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. عن أنس بن مالك لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أُنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] فقال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] أخرجه الواحدى في أسباب النزول^(٢)، وفي رواية فقال ﷺ قبل نزولها: أتريد في القرآن يا عمر؟ فنزل جبريل بما قال عمر: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٣).

ومنها: موافقته لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، وذلك أنه ﷺ استشار عمر في قصة الإفك في أمر عائشة حين قيل فيها من الإفك ما قيل، فقال عمر: يا رسول الله، من زوجها؟ قال: الله تعالى، فقال عمر: أفتظن أن ربك دلس عليك فيها؟ سبحانك! هذا بهتان عظيم، فأنزل الله على وفق ما قال عمر: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾^(٤).

ومنها: موافقة معنوية. روى عن علي - رضى الله عنه - أن عمر انطلق إلى اليهود، فقال: إني أسألكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجدون وصف محمد في كتابكم؟ قالوا: نعم. قال: فما يمنعكم من اتباعه؟ قالوا: إن الله لم يبعث رسولا إلا كان له من الملائكة كفيل، وإن جبريل هو الذى يكفل محمدا، وهو الذى يأتيه، وهو عدونا من الملائكة وميكائيل سلمنا، فلو كان هو الذى يأتيه اتبعناه. قال عمر: فإني أشهد أنه ما كان ميكائيل ليعادى سلم جبريل، وبأن جبريل ما كان يسالم عدو ميكائيل. قال: فمر رسول الله ﷺ، فقالوا: هذا صاحبك يا بن

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٧٧٤-٣) من حديث ابن عمر. وأخرجه البخاري (١٣٦٦، ٤٦٧١) من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه الواحدى في أسباب النزول (٦٢٧) وفيه على بن زيد بن جدعان، ضعيف كما في التقريب وذكره السيوطي في الدر (١٢/٥) وعزاه للطيالسي، وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

(٣) ينظر الرياض النضرة (٢/٢٩٥).

(٤) ينظر الرياض (٢/٢٩٥).

الخطاب، فقام إليه، وقد أنزل الله عليه: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلِيلًا... ﴾ إلى قوله ﴿ عَدُوًّا لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨]، فقال: والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود، فإذا اللطيف الخبير قد سبقنى بالوحى، فقرأ - عليه الصلاة والسلام - هذه الآية، وقال له: قد وافقك ربك يا عمر^(١).
ومنها: تحريم الخمر والميسر، وذلك أن عمر كان حريصا على تحريمها، وكان يقول: اللهم بين لنا فى الخمر، فإنه يذهب المال والعقل، فتزل قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٩] الآية، فدعا رسول الله ﷺ عمر، فتلا بها عليه، فلم ير فيها بيانا، فقال: اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا، فأنزل الله - تعالى -: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ إلى قوله ﴿ فَهَلْ أَنُحْمٌ مِّنْهُنَّ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]، فدعا رسول الله ﷺ، فتلاها عليه، فقال عمر عند ذلك: انتهينا يا ربنا، انتهينا^(٢).
ومنها: آية الاستئذان. عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ أرسل غلاما^(٣) من الأنصار إلى عمر بن الخطاب وقت الظهر، فدخل على عمر، فوافاه على حالة كره عمر رؤيته عليها، فقال: يا رسول الله وددت لو أن الله أمرنا، ونهانا فى حال الاستئذان، فنزلت: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ﴾ [النور: ٥٨]. خرج به أبو الفرج، وخرجه صاحب الفضائل، وزاد بعد قوله: « فدخل عليه: » وكان نائما وقد انكشف بعض جسده^(٤).

(١) أخرجه الطبري (٤٧٨/١) رقم (١٦١١)، وابن أبي شيبة، وإسحاق بن راهويه كما فى الدر المثور (١٧٤/١) عن الشعبي، وقال السيوطي: صحيح الإسناد، ولكن الشعبي لم يدرك عمر. وأخرجه الطبري (١٦١٦) عن السدي، به. وقد ذكره المحب الطبري فى الرياض (٢٩٦-٢٩٥/٢) باللفظ المذكور فى المتن وعزاه لابن السمان فى الموافقة، وأبى الفرج فى أسباب النزول.

(٢) أخرجه أحمد (٥٣/١)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٢٨٦/٨)، والحاكم (٢٧٨/٢)، والبيهقي (٢٨٥/٨)، والضياء فى المختارة (٢٥٦). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) اسم الغلام فى الواحدى: مدلج بن عمرو.

(٤) ذكره الواحدى فى أسباب النزول (٦٤٨) دون سند، وينظر الرياض (٢٩٧/٢).

ومنها: قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤] بكى عمر، وقال: يا رسول الله، وقليل من الآخرين، آمنا بالله، وصدقنا برسوله، ومن ينجو منا قليل! فأنزل الله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠]، فدعا رسول الله ﷺ عمر، وقال: لقد أنزل الله كما قلت: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾^(١).

ومنها: موافقته في التوراة. عن طارق بن شهاب قال: دخل يهودى إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -، فقال: أرأيت قوله - تعالى -: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [ال عمران: ١٣٣] فأين النار؟ فقال للصحابة: أجيوه، فلم يكن عندهم فيها شيء، فقال له عمر: أرأيت النهار إذا جاء ملأ السموات والأرض؟ قال: بلى. قال: فأين الليل؟ قال: حيث شاء الله. قال: عمر: فالنار حيث شاء الله عز وجل. قال اليهودى: والذي نفسك بيده، يا أمير المؤمنين، إنها لفي كتاب الله المنزل على موسى كما قلت^(٢).

ومنها: الإشارة في الخروج إلى بدر، وذلك أنه - عليه الصلاة والسلام - استشار أصحابه في الخروج إلى غزوة بدر، فأشار عمر - رضى الله عنه - بالخروج، فنزل قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنفال: ٥]، وكان عمر من المحبين للخروج، وهو المشير به^(٣).

ومنها قصته في الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه في الليل، وكان ذلك محرماً في أول الإسلام، فنزل قوله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] أخرجه أحمد في مسنده^(٤).

(١) أخرجه ابن عساكر كما في تهذيب تاريخ دمشق (١٠/٦)، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٢١٨/٦) من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله، به. وأخرجه ابن أبي حاتم عن عروة بن رويم مرسلًا، كما في الدر المنثور، وكذا ذكره الواحدى في أسباب النزول (٧٨١) وينظر الرياض (٢٩٧/٢).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري (٧٨٣٤) حدثنا مجاهد بن موسى قال: حدثنا جعفر بن عون قال: أخبرنا الأعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب وهذا إسناد صحيح، وزاد السيوطي نسبه في الدر (١٢٩/٢) إلى عبد بن حميد وابن منذر، وينظر الرياض (٢٩٧/٢).

(٣) ينظر: دلائل النبوة (١٠٢/٣ - ١١٧).

(٤) أخرجه أحمد (٤٦٠/٣)، والطبري (٢٩٤٩) من طريق ابن المبارك عن ابن لهيعة قال حدثني =

ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ [النساء: ٦٥] أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان إلى النبي ﷺ، فقضى بينهما، فقال المقضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب، فأتيا إليه، فقال الرجل: قضى لى رسول الله ﷺ على هذا، فقال: ردنا إلى عمر، فقال له عمر: أكذلك كان؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فدخل ثم خرج مشتملا على السيف، فضرب به عنق الذى قال ردنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنه قتل عمر - والله - صاحبي، فقال: رسول الله ﷺ ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فأهدر - عليه الصلاة والسلام - دم الرجل لإخبار الله بكفره، وبرئ عمر - رضى الله عنه - من قتله، وأثيب عليه^(١).

ومنها: ما أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال: ويل لملك الأرض من ملك السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه. فقال كعب: والذي نفسى بيده إنها محبرة فى التوراة كما قلت، فخر عمر ساجدا لله سبحانه^(٢).

وعن على - رضى الله تعالى عنه - : إن عمر ليقول القول، فينزل القرآن بتصديقه، وعنه - أيضا - كنا نقول: إن فى القرآن لكلاما من كلام عمر، ورأيا من رأيه، رضى الله عنه وأرضاه^(٣).

= موسى بن جبير مولى بني سلمة عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه بنحوه. وقال السيوطي فى الدر (٣٥٧/١) بعد أن زاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم قال: سنده حسن، وقال الهيثمي (٢٣٠/٦) فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وقد ضعف. اه قلت: فيه موسى بن جبير مستور كما فى التقريب.

(١) ذكره السيوطي فى الدر (٣٢٢/٢) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود وذكر السيوطي شواهد له لكنها مرسلة أيضا.

(٢) ينظر: الرياض (٢٩٧/٢ - ٢٩٨).

(٣) ينظر: الرياض (٢٩٨/٢).

الأحاديث في شأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

الحديث الأول - عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: « اللهم أعز الدين بأحب الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب، أو بعمر بن هشام » يعنى أبا جهل، فكان عمر أحبهما إليه. أخرجه الإمام أحمد والترمذى^(١).

الحديث الثاني - ما أخرجه ابن السمان فى الموافقة عن على - رضى الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب »^(٢) وروى مثله ابن مسعود^(٣) وعائشة^(٤) وغيرهما^(٥).

الحديث الثالث - أخرج أبو حاتم والدارقطنى والحلقى والبغوى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: لما أسلم عمر أتى جبريل النبى ﷺ، فقال: يا محمد، لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر. قال ابن عباس، وكيف لا يكون ذلك، ولم يصعد للمسلمين صلاة ظاهرة، ولا نسك معروف إلا بعد إسلامه حين قال: والله لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم^{(٦)؟!}

الحديث الرابع - عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ « لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب » أخرجه أحمد والترمذى^(٧).

(١) أخرجه أحمد (٢/٩٥)، والترمذى (٣٦٨١)، والبيهقى فى الدلائل (٢/٢١٥-٢١٦)، وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر. وصححه ابن حبان (٦٨٨١).
(٢) ذكره المتقى الهندي فى الكنز (٣٢٧٦٨) وعزاه للطبرانى والحاكم عن ابن عباس، وللطبرانى عن ثوبان، وابن عساكر عن عليّ والزبير وذكره الحافظ فى الفتح (٧/٤٠٤) وعزاه لخزيمة فى فضائل الصحابة.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٠٣١٤)، والحاكم (٣/٨٣)، وقال الهيثمى (٩/٦٤-٦٥) رواه الطبرانى فى الكبير، والأوسط بنحوه باختصار، ورجال الكبير رجال الصحيح غير مجالد بن سعيد، وقد وثق.

(٤) أخرجه ابن حبان (٦٨٨٢)، والخطيب فى التاريخ (٤/٥٤). والحاكم (٣/٨٣) بإسناد، صححه الحافظ فى الفتح (٧/٤٠٤).

(٥) ينظر: الفتح (٧/٤٠٤)، ومجمع الزوائد (٩/٦٤)، وكنز العمال (١١/٥٨١).

(٦) أخرجه ابن حبان (٦٨٨٣)، وابن عدي (٤/٢٠٩)، والحاكم (٣/٨٤) وفي سنده عبد الله بن خراش ضعيف، كما فى التقريب.

(٧) أخرجه أحمد (٤/١٥٤)، والترمذى (٣٧٦٩)، والحاكم (٣/٨٥)، والطبرانى فى الكبير (١٧/٢٩٨) رقم (٨٢٢)، وابن حبان كما فى الفتح (٧/٤٠٨)، وحسنه الترمذى، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الحديث الخامس - ما أخرجه البخارى عن أبى هريرة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: « قد يكون فى الأمم محدثون، فإن يكن فى أمتى أحد، فهو عمر ابن الخطاب »^(١)، وتفسير محدثون: ملهمون، أى يلهمون الصواب.

الحديث السادس - عن سعد بن أبى وقاص قال: دخل عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه، ويستكثرنه رافعات أصواتهن، فلما استأذن عمر انقمعن وسكتن وابتدرن للحجاب، فدخل ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، لما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، فقال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهابتنى، ولا تهابن رسول الله ﷺ؟! فقلن: أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: « يا بن الخطاب، إن الشيطان ما لقيك سالكا فجاء إلا سلك فجاء غير فجك ». أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي^(٢). قلت: « أفعل » هنا ليس على وصفه من الزيادة، بل هو مستعمل لأفعل الفعل كما فى: ﴿ وَيُؤْمَلْنَ أَهْوَىٰ بِرَبِّهِنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] الناقص واراشح أحد لا نبى الله.

الحديث السابع - أخرج الشيخان عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « بينما أنا نائم رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، قلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرتك، فوليت مدبرا، » فبكى عمر، وقال: أمك أغار يا رسول الله^(٣).

الحديث الثامن - أخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « بينما أنا نائم شربت لبنا حتى إننى أنظر إلى الرى يجرى فى أظفارى، ثم ناولته عمر. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم »^(٤).

الحديث التاسع - أخرج أحمد والترمذى والنسائي عن أبى سعيد الخدرى قال:

(١) كذا قال المصنف عن أبى هريرة عن عائشة فوهم، فالحديث قد ورد عن أبى هريرة، وعن عائشة فأما حديث أبى هريرة: فأخرجه البخاري (٣٤٦٩، ٣٦٨٩) من طريق أبى سلمة عنه مرفوعاً وأما حديث عائشة: فأخرجه مسلم (٢٣-٢٣٩٨) عن أبى سلمة عنها مرفوعاً.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٤، ٣٦٨٣، ٦٠٨٥)، ومسلم (٢٢-٢٣٩٦)، وأحمد (١/ ١٧١، ١٨٢، ١٨٧)، والنسائي في الكبرى (٦٠/٦) رقم (١٠٠٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٢، ٣٦٨٠، ٥٢٢٧، ٧٠٢٣، ٧٠٢٥)، ومسلم (٢١-٢٣٩٥).

(٤) أخرجه البخاري (٨٢)، ومسلم (١٦-٢٣٩١).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ الركبة، ومنها ما يبلغ أنصاف الساقين، وعرض على عمر وعليه قميص يجره. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين^(١). وفى رواية للحكيم الترمذى: بالدين إن القميص يستر العورة فى الدنيا، والدين يسترها فى الآخرة، ويحجبها عن كل مكروه، والأصل فيه: ﴿وَلْيَأْسُ النَّفْسُ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(٢) [الأعراف: ٢٦]، واتفق المعبرون على ذلك أعنى تعبير القميص بالدين، وإن ذلك يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده. قال ابن العربى: إنما أول القميص بالدين؛ لأنه يستر عورة الجاهل كما أن القميص يستر عورة البدن، وأما غير عمر فما يبلغ ثديه: هو ما يستر قلبه عن الكفر وإن عصى، وما يبلغ أسفل منه وفرجه باد: هو من لم يستر رجله عن المشى للمعصية، والذي يستر رجله: هو الذى احتجب بالتقوى من جميع الوجوه، والذي يجز قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص^(٣).

وقال العارف ابن أبى جمرة: المراد بالناس فى الحديث: مؤمنو هذه الأمة، والمراد بالدين: امثال الأوامر واجتناب النواهى. وكان لعمر فى ذلك المقام العالى. ويؤخذ من الحديث أن كل ما يرى فى القميص من حسن أو غيره عبر بدين لابس، ونقصه إما بنقص الإيمان أو العمل^(٤)، وفى الحديث: أن أهل الدين يتفاضلون فى الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف، وهذا من أمثلة ما يحمد فى المنام، ويذم فى اليقظة شرعا أعنى جر القميص^(٥)، لما ورد من الوعيد فى جره خيلاء^(٦).

(١) الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٣)، ومسلم (١٥ - ٢٣٩٠)، وأحمد (٨٦/٣)، والترمذي (٢٢٨٦)، والنسائي (١١٣/٨ - ١١٤).

(٢) ينظر الفتح (٤٢٦/١٤، ٤٢٧)، وقال الحافظ: واتفق أهل التعبير على أن القميص يعبر بالدين، وأن طوله يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده.

(٣) ينظر: الفتح (٤٢٧/١٤).

(٤) ينظر: الفتح (٤٢٨/١٤).

(٥) ينظر: الفتح (٤٢٧/١٤).

(٦) أخرجه البخاري (٥٧٩١)، ومسلم (٤٢ - ٢٠٨٥) من حديث ابن عمر مرفوعاً: «من جر ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

الحديث العاشر - أخرجه أحمد والترمذي عن ابن عمر، وأبو داود والحاكم عن أبي ذر، وأبو يعلى والحاكم عن أبي هريرة، والطبراني عن بلال ومعاوية: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»^(١).

الحديث الحادي عشر - أخرج الترمذي عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «إنني أنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر»^(٢)، وأخرج ابن عدي عنها: «رأيت شياطين الإنس والجن فروا من عمر»^(٣).

الحديث الثاني عشر - أخرج ابن ماجة والحاكم عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يصفحه الحق عمر، وأول من يأخذ كتابه بيمينه عمر، له شعاع كشعاع الشمس فيدخل الجنة عمر»^(٤). والمصافحة هنا: كناية عن مزيد الإنعام والاتصال، وهو أن أبا بكر أول من يدخل الجنة^(٥)، فيجمع بحمل الأولية على التشبيه، أي أول من يدخلها بعد أبي بكر.

الحديث الثالث عشر - أخرج البزار عن ابن عمر وابن عساكر عن أبي هريرة والصعب بن جثامة: أن رسول الله ﷺ قال: «عمر سراج أهل الجنة»^(٦).

(١) أخرجه أحمد (٩٥/٢)، والترمذي (٣٦٨٢)، وابن حبان (٦٨٩٥) من حديث ابن عمر. وأخرجه أبو داود (٢٩٦٢)، وابن ماجة (١٠٨)، والحاكم (٨٧/٣)، وأبو نعيم في الحلية (١٩١/٥) من حديث أبي ذر، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد (٢/٤٠١)، وابن حبان (٦٨٨٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٥٠)، والبزار (٣/١٧٤) من حديث أبي هريرة وقال الهيثمي في المجمع (٦٩/٩): رواه أحمد والبزار، والطبراني في الأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح غير الجهم بن أبي الجهم، وهو ثقة. وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠٧٧) من حديث بلال. وقال الهيثمي (٦٩/٩): فيه أبو بكر بن أبي مريم، وقد اختلط.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٩١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) ذكره المتقي الهندي في الكثر (٣٢٧٢١)، وعزه لابن عدي.

(٤) أخرجه ابن ماجة (١٠٤) من طريق داود بن عطاء المدني، عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأخرجه الحاكم (٨٤/٣) من طريق آخر عن سعيد، كلاهما عن أبي بن كعب. في إسناده ابن ماجة داود بن عطاء ضعيف كما في التقريب ونقل محقق سنن ابن ماجة قول ابن كثير في جامع المسانيد: هذا الحديث منكر جداً؛ وما هو أبعد من أن يكون موضوعاً. اهـ وتعقب الذهبي الحاكم فقال: موضوع، وفي إسناده كذاب.

(٥) تقدم في فضائل أبي بكر.

(٦) أخرجه البزار (٢٥٠٢- كشف الأستار) من حديث ابن عمر. وقال الهيثمي (٧٧/٩) فيه عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري، وهو ضعيف. وأخرجه أبو نعيم في الحلية =

الحديث الرابع عشر - أخرج البزار عن قدامة بن مظعون عن عمه عثمان بن مظعون قال: قال رسول الله ﷺ: « هذا غلق العتبة » وأشار بيده إلى عمر، لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم »^(١).

الحديث الخامس عشر - أخرج الطبراني في الأوسط والحكيم في نوادر الأصول عن ابن عباس قال: جاء جبريل - عليه السلام - إلى النبي ﷺ، فقال: « أقرئ عمر السلام، وأخبره أن: غضبه عز، ورضاه حكم »، وفي رواية « أتاني جبريل، فقال: أقرئ عمر السلام، وقل له: إن رضاه حكم، وإن غضبه عز »^(٢).

الحديث السادس عشر - أخرج ابن عساكر وابن عدي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « ما في السماء ملك إلا وهو يوقر عمر، ولا في الأرض شيطان إلا وهو يفرق من عمر »^(٣).

الحديث السابع عشر - أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة: « إن الله باهى بأهل عرفة عامة، وباهى بعمر خاصة »^(٤).

الحديث الثامن عشر - أخرج الطبراني والديلمي عن الفضل بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « الحق بعدي مع عمر حيث كان، يدور معه حيث دار »^(٥).

= (٣٣٣/٦) من حديث أبي هريرة. وفيه الواقدي متروك، كما في التقريب، وأخرجه ابن عساكر كما في كشف الخفاء (٩٤/٢)، وقال العجلوني: سنده ضعيف. وينظر كنز العمال (٣٢٧٣٤).

(١) أخرجه البزار (٢٥٠٦-كشف الأستار) والطبراني في الكبير (٩/٢٦-٢٧) رقم (٨٣٢١). وقال الهيثمي في المجمع (٧٥/٩) فيه جماعة لم أعرفهم، ويحيى بن المتوكل ضعيف. (٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٦٦٥-مجمع البحرين) وقال الهيثمي (٩/٧٢): فيه خالد بن يزيد العمري وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن عدي (٣٤٩/٦)، والحاكم في تاريخ نيسابور، والديلمي كما في كشف الخفاء (٤١٨/٢). وقال ابن عدي: هذا باطل، وأقره الذهبي في الميزان (٥٤٩/٦) في ترجمة موسى بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٦٦٧-مجمع البحرين) وقال الهيثمي (٩/٧٣): فيه عبد الرحمن بن إبراهيم القاص، وثقه أحمد، وضعفه الجمهور.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٨٠/١٨) رقم (٧١٨)، وفي الأوسط (١٢٢٦-مجمع البحرين) عن الفضل مطولاً، وقال الهيثمي في المجمع (٩/٢٩): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو يعلى بنحوه... وفي إسناد أبي يعلى عطاء بن مسلم، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة، وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم. وينظر: ضعفاء العقيلي (٣/٤٨٣-٤٨٢).

الحديث التاسع عشر - أخرج الطبراني عن سديسة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه»^(١).

الحديث العشرون - أخرج الطبراني عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «قال لي جبريل ليبيكين الإسلام على موت عمر» رضي الله عنه^(٢).

الحديث الحادي والعشرون - أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من أبغض عمر فقد أبغضني، ومن أحب عمر فقد أحبني، وإن الله باهى بالناس عشية عرفة عامة، وباهى بعمر خاصة، وإنه لم يبعث الله نبيا إلا كان في أمته محدث، وإن يكن في أمتي منهم أحد، فهو عمر» قالوا: يا رسول الله، كيف محدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه^(٣).

الحديث الثاني والعشرون - أخرج أبو داود عن عمر: أن رسول الله قال: له: «لا تَنَسَّأَ يا أخى من دعائك»، وفي رواية قال له: «يا أخى أشركنا في صالح دعائك، ولا تَنَسَّأَ»^(٤).

الحديث الثالث والعشرون - أخرج النجار عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «الصدق بعدى مع عمر حيث كان»^(٥).

الحديث الرابع والعشرون - أخرج أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه عن أنس والشيخان عن جابر وأحمد عن بريدة بن الحصيب: أن رسول الله ﷺ قال:

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٠٥/٢٤) رقم (٧٧٤) من طريق الأوزاعي عن سديسة مرفوعاً. وقال الهيثمي في المجمع (٧٣/٩): لا نعلم الأوزاعي سمع أحداً من الصحابة. ورواه في الأوسط (٣٦٥٩- مجمع البحرين) عن الأوزاعي عن سالم عن سديسة وهو الصواب، وإسناده حسن، إلا أن عبد الرحمن بن الفضل بن الموفق لم أعرفه، وبقيّة رجاله وثقوا. (٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦١) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١٧٥/٢)، وقال الهيثمي (٧٧/٩): وفيه حبيب كاتب مالك، وهو متروك كذاب.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٦٦٨- مجمع البحرين) وقال الهيثمي في المجمع (٧٢/٩): وفيه أبو سعد خادم الحسن، ولم أعرفه، وبقيّة رجاله ثقات. اهـ: وقال الذهبي في الميزان (٣٧٢/٧): لا يدرى من ذا، وخبره باطل.

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وابن ماجه (٢٨٩٤)، وأحمد (٢٩/١)، وابن سعد في الطبقات (٢٠٦/٣)، والبيهقي (٢٥١/٥) من حديث ابن عمر عن عمر، به. (٥) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٢٧١٦) وعزاه لابن النجار، (٣٢٧٥٥) وعزاه لابن النجار والدليمي.

« دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، فظننت أنى أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب، فلولا ما علمت من غيرتك لدخلته »^(١).

الحديث الخامس والعشرون - أخرج الطبراني وابن عدى: أن رسول الله ﷺ قال: « عمر معي، وأنا مع عمر، والحق بعدي مع عمر حيث كان »^(٢).

الحديث السادس والعشرون - أخرج الترمذي والحاكم عن أبي بكر الصديق - رضى الله عنه -: أن النبي ﷺ قال: « ما طلعت الشمس على خير من عمر »^(٣) قلت: المراد: بعد أبي بكر، جمعاً بينه وبين ما ورد من مثله في حق أبي بكر رضى الله عنهما.

الحديث السابع والعشرون - أخرج ابن سعد عن أيوب بن موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وعمر الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل »^(٤).

الحديث الثامن والعشرون - أخرج الطبراني عن عصمة بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال كذا: « ويحك إذا مات عمر فإن استطعت أن تموت فمت »^(٥).

الحديث التاسع والعشرون - أخرج في المصابيح عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: « أشد أمتي في أمر الله عمر »^(٦).

الحديث الثلاثون - عن الحسن الفردوسى قال: لقي عمر أبا ذر فأخذ بيده

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٩٠)، والترمذي (٣٦٨٨)، وابن حبان (٥٤، ٦٨٨٧) من حديث أنس وأخرجه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٠-٢٣٩٤) من حديث جابر. وقد أخرجه أيضاً من حديث أبي هريرة، وقد تقدم قريباً. وأخرجه أحمد (٥/٣٥٤، ٣٦٠)، والترمذي (٣٦٨٩) من حديث بريدة.

(٢) تقدم قريباً من حديث الفضل بن عباس.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٨٤)، والحاكم (٣/٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٧٤)، والعقيلي (٣/٤) وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بذلك. وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: الحديث شبه موضوع.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٢٠٥).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/١٨٠) رقم (٤٧٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٥/١٨٢): فيه الفضل بن المختار، وهو ضعيف.

(٦) ذكره ابن كثير في البداية (٧/١٥١)، دون أن يعزوه.

فعرصها، فقال أبو ذر: دع يدي يا قفل الفتنة، وعرف عمر أن لكلمته أصلا، فقال: يا أبا ذر، ما قفل الفتنة؟ فقال أبو ذر: جئت يوما ونحن عند النبي ﷺ، فكرهت أن تتخطى رقاب الناس، فجلست في أدبارهم، فقال ﷺ: « لا تصيبكم فتنة ما دام هذا معكم »^(١). خرج المخلص الذهبي والرازي والملا في سيرته، ومعناه في الصحيح من حديث حذيفة، ولفظه: قال: كنا عند عمر، فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة. قال حذيفة: قلت: أنا، فقال: هات، فقلت: سمعت من رسول الله ﷺ يقول: فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال عمر: ليس هذا أريد، أريد التي تموج كموج البحر. قال: قلت: مالك ولها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها بابا مغلقا، فقال: يكسر الباب أو يفتح؟ قال: لا بل يكسر. قال ذلك أخرى ألا يغلق. قال: قلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غد الليلة؛ فإني حدثته حديثا ليس بالأغاليط. قال: فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب، فقلنا لمسروق: سل، فسأله، فقال: عمر. أخرجه البخاري ومسلم^(٢).

عن عبد الله بن سلام أنه مر بعبد الله بن عمر وهو نائم، فحركه برجله، وقال: من؟ قال: أنا عبد الله بن عمر، فقال: قم يا بن قفل جهنم، فقام عبد الله وقد تغير وجهه حتى أتى والده عمر، فقال له: ما سمعه من عبد الله بن سلام، فقال عمر: الويل لعمر إن كان بعد عبادة أربعين سنة، ومصاهرة النبي ﷺ، وقضاياه في المسلمين بالاعتقاد أن يكون مصيره إلى جهنم، قال: فقام عمر، وتقنع بطيلسانه، وألقى الدرة على عاتقه، فاستقبله عبد الله بن سلام، فقال له عمر: بلغني عنك أنك قلت لابني: يا بن قفل جهنم، قال ابن سلام: نعم. قال: فكيف قلت إني في جهنم حتى أكون قفل جهنم؟ قال: معاذ الله يا أمير المؤمنين أن تكون في جهنم، ولكنك قفل جهنم. قال كيف؟ قال: أخبرني أبي عن آبائه عن موسى بن عمران - عليه

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٦٦٩- مجمع البحرين)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٧٦): ورجاله رجال الصحيح غير السري بن يحيى، وهو ثقة ثبت، ولكن الحسن البصري لم يسمع من أبي ذر فيما أظن.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٥)، ومسلم (٢٣١- ١٤٤) كتاب الإيمان (٢٦- ١٤٤) كتاب الفتن.

السلام - عن جبريل : أنه قال : يكون فى أمة محمد رجل يقال له : عمر بن الخطاب أحسن الناس ديناً ، وأحسنهم يقيناً ، ما دام فيهم فالدين عال ، واليقين فاش ، فاستمسك بالعروة الوثقى من الدين فجهم مقفلة ، فإذا مات عمر فرق الدين ، وافترق الناس على فرق عن أهواء ، وفتحت أقفال جهنم فيدخل فيها^(١) .

الحديث الحادى والثلاثون - عن عمران بن حصين قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كان يوم القيامة وحشر الناس ، جاء عمر بن الخطاب حتى يقف فى الموقف ، فيأتيه شيء أشبه شيء به ، فيقول له : جزاك الله خيراً ، فيقول له : من أنت ؟ فيقول : أنا الإسلام ، جزاك الله عنى يا عمر خيراً ، ثم ينادى مناد : ألا لا يدفعن لأحد كتاب حتى يدفع لعمر بن الخطاب ، ثم يعطى كتابه بيمينه ويؤمر به إلى الجنة . قال : فبكى عمر ، وأعتق جميع ما يملكه وهم إذ ذاك تسعة عشر^(٢) .

الحديث الثانى والثلاثون - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - : نظر رسول الله ﷺ إلى عمر ذات يوم وتبسم ، ثم قال : أتدرى يا بن الخطاب لم تبسمت إليك ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : إن الله - عز وجل - نظر إليك بالشفقة والرحمة ليلة عرفة ، وجعلك مفتاح الإسلام^(٣) .

الحديث الثالث والثلاثون - عن أنس - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : « عمر بن الخطاب أول من يسلم عليه الحق يوم القيامة ، وكل أحد مشغول بأخذ الكتاب وقراءته »^(٤) . أخرجه فى الفضائل .

الحديث الرابع والثلاثون - عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « عمر بن الخطاب من أهل الجنة »^(٥) أخرجه أبو حاتم .

الحديث الخامس والثلاثون - عن زيد بن أبى أوفى : أن رسول الله ﷺ قال لعمر

(١) ذكره المتقى الهندي فى الكنز (٣٥٨٢٠) عن ابن عباس وعزاه لابن عساكر .

(٢) ينظر : الرياض (٣٠٧/٢ ، ٣٠٨) ، وفيه وهم تسعة ، بدلاً من قوله : تسعة عشر .

(٣) أخرجه الطبراني فى الكبير (١١٤٣٠) عن ابن عباس به ، إلا أنه قال : « إن الله باهى ملائكته ليلة عرفة بأهل عرفة عامة ، وباهى بك خاصة » وقال الهيثمي (٧٣/٩) : فيه رشدين بن سعد مختلف فى الاحتجاج به .

(٤) تقدم حديث أبى : « أول من يصادفه الحق عمر ، وأول من يأخذ كتابه بيمينه عمر ، له شعاع كشعاع الشمس فيدخل الجنة عمر » .

(٥) أخرجه ابن حبان (٦٨٨٤) .

ابن الخطاب: « أنت معي في الجنة ثالث ثلاثة »^(١).

الحديث السادس والثلاثون - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: « ينادى مناد يوم القيامة: أين الفاروق؟ فيؤتى، فيقول: مرحباً بك يا أبا حفص، هذا كتابك إن شئت فاقراه، وإن شئت فلا، فقد غفرت لك، ويقول الإسلام: يا رب، هذا عمر أعزنى في دار الدنيا فأعزه في عرصات القيامة، فعند ذلك يحمل على ناقة من نور، وقد كسى حلتين لو نشرت إحداهن لغطت الخلائق؛ ثم يسير بين يديه سبعون ألف لواء؛ ثم ينادى مناد: ياهل الموقف هذا عمر فاعرفوه. خرجه الفضائلى^(٢).

الحديث السابع والثلاثون - عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: « من أحب عمر عمر الله قلبه بالإيمان »، أخرجه الفضائلى^(٣).

الحديث الثامن والثلاثون - عن مالك بن أنس - رضى الله عنه - قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. قال فأتاه رسول الله ﷺ في المنام، فقال: ائت عمر ومعه أن يستسقى للناس فإنهم يسقون، وقل له: عليك الكيس، الكيس، فأتى الرجل عمر فأخبره، فبكى عمر، وقال: يا رب، ما أكلو إلا ما عجزت عنه^(٤). خرجه البغوي في الفضائل وأبو عمرو.

الحديث التاسع والثلاثون - عن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « اتقوا غضب عمر، فإن الله يغضب لغضبه » خرجه الملا في سيرته وصاحب النزهة.

(١) أخرجه مطولاً الطبراني في الكبير (٥١٤٦)، والبخاري في التاريخ الصغير (٢٥٠/١)، وابن قانع في معجمه (٢٥٠)، وابن عساكر كما في التهذيب (٢٠٢/٦)، والبغوي في معجمه، والباوردي كما في الدر المنثور (٦٦٩/٤) وقال البخاري: هذا إسناد مجهول، لا يتابع عليه، ولا يعرف سماع بعضهم من بعض، لا أصل له. وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢١٩/١): هذا حديث لا يصح.

(٢) ذكره المحب في الرياض (٣١٨/٢).

(٣) ذكره المحب في الرياض (٣١٩/٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٦/٦) رقم (٣٢٠٠٢) وذكره الهندي في الكنز (٢٣٥٣٥) وعزه لليهقي في الدلائل. وينظر تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين (٢٧٣).

وفى رواية: « لا تغضبوا عمر فإن الله يغضب إذا غضب »^(١).

الحديث الأربعون : عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: رأى النبي ﷺ ثوبًا أبيض على عمر، فقال: أجدد قميصك أم غسيل ؟ فقال عمر: بل جديد، فقال ﷺ: « البس جديدًا، وعش حميدًا، ومت شهيدًا ». قال عبد الرزاق: وافقه الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد « ويعطيك الله قرة العين فى الدنيا والآخرة ». أخرجه أبو حاتم^(٢).

وعن عمر وقد قرأ يومًا على المنبر: ﴿ جَنَّكَ عَنِ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [الرعد: ٢٣] هل تدرون ما جنات عدن ؟ قصر فى الجنة له خمسة آلاف باب، على كل باب عشرون ألفًا من الحور العين، لا يدخله إلا نبي، وهنئًا لصاحب هذا القبر، وأشار إلى قبره - عليه الصلاة والسلام -، أو صديق وأشار إلى قبر أبي بكر الصديق، أو شهيد وأنى لعمر الشهادة وهو بجزيرة العرب، ثم قال: إن الذى أخرجنى عن حنطة بنت هاشم بن المغيرة - يعنى أمه - قادر أن يسوقها إلى . قال ابن مسعود - رضى الله عنه - : فساقها الله إليه على يد شر خلقه مجوسى عيد مملوك للمغيرة بن شعبة^(٣)، كما سيأتى ذكر هذا بالأثر عند ذكر وفاته، رضى الله تعالى عنه .

الحديث الحادى والأربعون - عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قال: « كيف بك يا بن الخطاب إذا جاءك منكر ونكير، وهما ملكان فظان، غليظان، أسودان، أزرقان، ألوانهما كالليل الدامس، أصواتهما كالرعد القاصف، عيونهما كالشهب الثواقب، أسنانهما كالرماح، يسحبان شعورهما على الأرض، بيد كل منهما مطرقة لو اجتمع الثقلان لم يقدروا على حملها، يسألانك عن ربك وعن

(١) أخرجه الخطيب (٤٣٠/٥) فى ترجمة محمد بن عبد الله أبي لقمان النخاس، قال الخطيب: كان ضعيفًا يروي المنكرات عن الثقات. وذكره الهندي فى الكنز (٣٢٧٨٦) وزاد نسبته إلى الحاكم فى تاريخه، وأبى نعيم فى فضائل الصحابة، والدبلى، وابن النجار.

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٨٩٧)، وهو فى مصنف عبد الرزاق (٢٠٣٨٢)، وأخرجه من طرق عنه أحمد (٨٨-٨٩)، والنسائي فى الكبرى (٨٥/٦) رقم (١٠١٤٣)، وابن ماجه (٣٥٥٨)، والطبراني فى الكبير (١٣١٢٧)، وابن السنن فى اليوم والليلة (٢٦٨) والبغوي فى شرح السنة (١٧٣/٦) رقم (٣٠٠٦) عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر، به.

(٣) ذكره السيوطي فى الدر المنثور (١٠٧/٤) دون قول ابن مسعود، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم.

نيك ؟ فقال عمر - رضى الله عنه - : أيا تيانى وأنا ثابت كما أنا ؟ قال : نعم . قال عمر : فسأكفيكما - وفى رواية بفيهما الحجر - فقال رسول الله ﷺ : والذى بعثنى بالحق نبيا لقد أخبرنى جبريل : أنهما يأتيانك ويسألانك ، فتقول أنت : الله ربي فمن ربكما ؟ ومحمد نبي فمن نبيكما ؟ والإسلام دينى فما دينكما ؟ فيقولان : واعجباه ! ما ندرى نحن أرسلنا إليك أم أنت أرسلت إلينا ؟ ! » خرجه عبد الواحد بن محمد بن على المقدسى فى كتابه التبصرة^(١) .

الحديث الثانى والأربعون : روى الحاكم فى تاريخه عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « رضا الله رضا عمر ، ورضا عمر رضا الله تبارك وتعالى »^(٢) .

الحديث الثالث والأربعون : عن أبى هريرة : « لو لم أبعث فيكم لبعث عمر ، إن الله - عز وجل - أيد عمر بملكين يوفقانه ويسددانه ، فإذا أخطأ صرفاه حتى يكون صوابا » أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس^(٣) .

أقول : هذا ما ظفرت به من الأحاديث الواردة فى شأنه خاصة ، وما ورد مشتركا بينه وبين أبى بكر أو مع الثلاثة أو مع الأربعة أو مع العشرة فهى كثير ، لم أورد منه شيئا ، وكذلك ما ورد فى الثناء عليه من الصحابة والسلف الصالح من المناقب والكرامات والصلابة فى الدين والزهد والخوف من الله وغير ذلك من أوصافه الجميلة ومزايده الجليلة ، فهى كثير مبسوط مسطر ، لم أورد منه شيئا ؛ طلبا للاختصار ، واعتمادا على ما ذكره المؤلفون فى محاله .

ذكر وفاته شهيدا رضى الله عنه

قال الذهبى : قال سعيد بن المسيب : إن عمر لما نفر من منى أناخ بالأبطح ، ثم كوم كومة من بطحاء ، ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء فقال : اللهم كبرت سنى ، وضعفت قوتى ، وانتشرت رعيتى ، فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط . ثم رجع

(١) ذكره الحافظ فى المطالب العالية (٤٦٠٣) مختصرا ، دون آخره . عن عطاء بن يسار ، وعزاه للحارث بن أبى أسامة ، وقال رجاله ثقات مع إرساله .

(٢) ذكره الهندي فى الكثر (٣٢٧٤٨) ، وعزاه للحاكم فى تاريخه .

(٣) ذكره المتقى الهندي فى الكثر (٣٢٧٦١) وعزاه للديلمى عن أبى هريرة وأبى بكر .

إلى المدينة، فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن^(١).
وقالت عائشة - رضى الله عنها - : لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات
المؤمنين مررت بالمحصب، فسمعت رجلا على راحلة رفع عقيرته، فقال: [من
الطويل]

أبعد قَتِيلٍ بالمدينة أَظْلَمَتْ له الأرضُ تهتُّرُ العِصَاءُ بأسوقٍ!
جزى الله خيراً من إمامٍ وباركث يَدُ الله في ذاك الأديم الممزَّقِ
فمن يَسْعُ أو يركبُ جناحى نعامٍ ليدركَ ما قدمت بالأمس يُسْبِقِ
قَضَيْتُ أمورا ثم غادرتُ بعدها بَوَائِقُ فى أكمَامِها لم تُفْتَقِ
وما كنتُ أخشى أن تكونَ وفائهُ بكفى سَبَبَتى أهرتِ السُّدُقِ أزرِقِ

قالت: فلم ندر ذا الراكب من هو، وكنا نتحدث أنه من الجن، فرجع عمر من
تلك الحجة، وطعن فى ذى الحجة^(٢). وقولها: لما كان آخر حجة؛ وذلك لأن
سيدنا عمر - رضى الله عنه - حج عشر سنين متواليات بأزواج النبی ﷺ آخرهن
سنة ثلاث وعشرين من الهجرة حج بهن فى الهوداج عليهن الستور، ووصى عليهن
ابنه عبد الرحمن، فكان ينزلهن فى الشعب، لا منفذ له صونا لهن، وينزل هو عند
بابه.

وروى عن سيدنا عمر - رضى الله تعالى عنه - أنه لما وصل إلى المدينة قال:
اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك، واجعل موتى فى بلد رسولك. كذا فى
البخارى^(٣).

وقال معدان بن أبى طلحة اليعمرى: خطب عمر بعد رجوعه إلى المدينة يوم
جمعة، فذكر نبى الله وأبا بكر، ثم قال: رأيت كأن ديكا نقرنى نقرة أو نقرتين، وإنى
لا أراه إلا لحضور أجلى، وإن قوما يأمروننى أن أستخلف، وإن الله لم يكن ليضيع
دينه ولا خلافته، فإن عجل بى أمرى فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢٥٥)، والحاكم (٣/ ٩١-٩٢)، وينظر تاريخ الإسلام،
عهد الخلفاء الراشدين (٢٧٦).

(٢) أخرجه ابن أبى شيبه (٦/ ٣٥٧) رقم (٣٢٠٠٦)، وابن سعد فى الطبقات (٣/ ٢٥٤)، ٢٨٥ -
(٢٨٦).

(٣) أخرجه البخارى (١٨٩٠).

رسول الله ﷺ، وهو عنهم راض: عثمان، وعلى، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن ابن عوف، وسعد^(١).

وقال الزهري: كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة - وهو عامله على الكوفة - يذكر له أن عنده غلاما عنده صنائع، ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويقول: إن عنده أعمالا كثيرة يحسنها فيها منافع للناس، إنه: حداد، نقاش، حجار؛ فأذن له أن يرسل به، وضرب عليه المغيرة بن شعبة مائة درهم في الشهر، فجاء إلى عمر فشكا كثرة الخراج عليه، فقال له عمر: ما خراجك بكثير وأنت تحسن هذه الصنائع، فانصرف ساخطا يتذمر، ويقول: وسع عدل عمر العالمين غيري، فمكث عمر ليالٍ ثم دعاه، فقال له: ألم أحبر أنك لو تشاء لصنعت رحي تطحن بالريح؟ فالتفت إلى عمر عابسا، وقال: لأصنعن لك رحي يتحدث الناس بها، فلما ولى قال عمر لأصحابه: توعدني العبد أنفا، ثم اشتمل العبد واسمه: فيروز، وكنيته: أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين، فقبضه في وسطه، فكمّن له في زاوية من زوايا المسجد في الغلس، وكان عمر يقول للناس حال القيام للصلاة: أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر، فجاء هذا الغلام المجوسى: فيروز أبو لؤلؤة، وقام حذاء في الصف، فلما كبر عمر للصلاة ضربه بين كتفيه وفي خاصرته فسقط^(٢).

قال عمرو بن ميمون: إنى لقائم في الصلاة وما بينى وبين عمر إلا ابن عباس، فما هو إلا أن كبر بعد أن ضرب، فسمعتة - رضى الله عنه - يقول: قتلنى الكلب، وطار العليج، لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا، مات منهم سبعة أو [تسعة]^(٣)، فطرح رجل عليه برنسا وضمه، فلما علم عدو الله أنه مأخوذ نحر نفسه، ثم قال عمر - رضى الله عنه - : الحمد لله الذى لم يجعل ميتى على يد أحد يدعى الإسلام^(٤).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٣٧/٧) رقم (٣٧٠٦٢) وابن سعد في الطبقات (٢٥٥/٣)، والحاكم (٩٠ - ٩١).

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٢٦٢/٣)، وكنز العمال (٣٦٠٤٨)، وعهد الخلفاء الراشدين (٢٧٦).

(٣) ليست في صحيح البخاري.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

قال ابن خلكان: ذكر أنه لما طعن عمر اختار من الصحابة - رضى الله عنهم - الستة نفر الذين تقدم ذكرهم، وكان سعد غائبا، فأرسل إليه، فجعل أمره إلى عبد الرحمن بن عوف كما سأذكره، وجعل ابنه عبد الله بن عمر مشيرا، وليس له من الأمر شيء، وأمر المسور بن مخرمة - وفى رواية أمر أبا طلحة الأنصارى - أن يكون فى خمسين رجلا يكونون مع هؤلاء نفر أهل الشورى، قال فإنهم فيما أحسب يجتمعون فى بيت، فقم أنت فى أصحابك على بابه فلا تترك أحدا يدخل عليهم، ثم إن اتفقوا على واحد إلى ثلاثة أيام، وإلا فاضربوا أعناق الكل؛ فلا خير للمسلمين فيهم، ولو اختلفوا فرقتين فالفرقة التى فيها عبد الرحمن بن عوف^(١). وأوصى أن يصلى بالناس صهيب بن سنان الرومى فى تلك الثلاثة الأيام^(٢).

عن أبى الحويرث قال: لما مات عمر، ووضع؛ ليصلى عليه، أقبل على عثمان أيهما يصلى عليه، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف: إن هذا لهو الحرص على الإمارة، لقد علمتما ما هذا إليكما، وقد أوصى به إلى غيركما، يا صهيب تقدم فصل عليه^(٣).

قال الذهبى: قال سالم بن عبد الله بن عمر: دخل أصحاب الشورى ما عدا سعدا فإنه كان غائبا على عمر - رضى الله تعالى عنه - فنظر إليهم، ثم قال: إني نظرت لكم فى أمر الناس، فلم أجد عند أحد شقاقا إلا أن يكون فيكم، ثم قال مخاطبا عثمان وعليهما وابن عوف: إن قومكم لن يدعوا أن يؤمروا أحدكم أيها الثلاثة، فإن كنت على شيء من أمر الناس يا عثمان، فلا تحملن بنى أبى معيط على رقاب الناس، وإن كنت يا بن عوف على شى من أمر الناس فلا تحملن بنى زهرة على رقاب الناس، وإن كنت يا بن أبى طالب على شيء من أمر الناس، فلا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس، قوموا فتشاوروا، وأمروا أحدكم. فقاموا يتشاورون. قال ابن عمر: فدعانى عثمان؛ ليدخلنى فى هذا الأمر، فقلت له: لم يدخلنى أمير

(١) ينظر طبقات ابن سعد (٣/٢٧٧-٢٧٨)، وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٣٠٤).

(٢) ينظر مصنف ابن أبى شيبة (٧/٤٣٦-٤٣٧) وطبقات ابن سعد (٣/٢٦٢)، والفتح (٧/٤٣٠).

(٣) ينظر طبقات ابن سعد (٣/٢٨٠)، والمستدرك (٣/٩٢)، وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٢٨٢.

المؤمنين معكم، وقلت: وكيف تؤمرونى وأمير المؤمنين حى ؟ فكأنما أيقظتهم، فقال عمر: أمهلوا فإذا حدث بى حادث فأمرؤا^(١).

قال الذهبى: فلما دفن اجتمع هؤلاء الرهط أهل الشورى، فقال عبد الرحمن لعثمان خلوة: إن لم أبايحك فبمن تشير على ؟ فقال: أشير عليك بعلى، وقال لعلى: إن لم أبايحك فبمن تشير على ؟ فقال: بعثمان، ثم قال لطلحة: أما أنا وأنت فلا نريدها، فبمن تشير على ؟ فقال: أشير بعثمان، ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة، فقال الزبير: قد جعلت أمرى إلى على، وقد كان سعد جعل أمره إلى عبد الرحمن بن عوف، وقال طلحة: قد جعلت أمرى إلى عثمان، فخلا عبد الرحمن بن عوف وعلى وعثمان، فقال عبد الرحمن: أنا لا أريدها، فأيكما يبرأ من هذا الأمر لصاحبه، فيجعله الله، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم، وليحرصن على صلاح الأمة ؟ فسكت الشيوخان: على، وعثمان. فقال عبد الرحمن: اجعلاه إليّ والله عليّ لا ألوكم عن أفضلكم. قالوا: نعم، فخلا بعلى، وقال له: لك من القدم فى الإسلام والقراية ما قد علمت، الله عليك وعهده، لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عليك لتسمعن وتطيعن ؟ قال على: نعم. ثم خلا بعثمان، فقال له مثل ذلك. فقال: نعم.

فلما أخذ ميثاقهما نودى فى الناس: الصلاة جامعة، فخرج عبد الرحمن عليه عمامة النبى ﷺ التى عممه إياها، متقلدا سيفه، وصعد المنبر، فوقف طويلا يدعو سرا، ثم قال: يا أيها الناس، إني قد سألتكم سرا وجهرا، ثنا ووجدانا على أمانتكم، فلم أجدكم تعدلون عن أحد هذين الرجلين: على، وعثمان. قم إليّ يا على، فقام على - رضى الله عنه - ووقف جنب المنبر، فأخذ بيده، فقال: تبايعنى على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفعل أبى بكر ؟ فقال على: اللهم لا، ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى.

ثم قال عبد الرحمن: يا عثمان، قم. فقام فأخذ بيده فى موقف على، وقال له: كما قال لعلى، فقال عثمان: اللهم نعم. فرفع عبد الرحمن بن عوف رأسه إلى

(١) أخرجه ابن سعد (٢٦١/٣-٢٦٢) وقال الحافظ فى الفتح (٤٣٠/٧): إسناده صحيح. وينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٢٨١-٢٨٢).

سقف المسجد ويده في يد عثمان، ثم قال: اللهم اشهد، اللهم إني جعلت ما في رقبتي في رقة عثمان. قال: فازدحم الناس على عثمان يبائعونه حتى غشوه عند المنبر، فأقعد على الدرجة الثانية من المنبر، وعبد الرحمن قاعد في مقعد النبي ﷺ من المنبر فوقه، قال: وتلكأ على، فقال عبد الرحمن: ﴿فَمَنْ نَّكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠]، فرجع على، وشق الناس حتى وصل إلى عثمان، وباعه وهو يقول خدعة، وأى خدعة^(١)!!.

وبقى عمر - رضى الله عنه - بعد طعنه ثلاثة أيام، وكان طعنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة^(٢).

قال العلامة الشامي في سيرته: أرسل عمر - رضى الله عنه - وهو جريح ابنه عبد الله إلى عائشة - رضى الله عنها - فقال له: قل لها يقرأ عمر عليك السلام - ولا تقل أمير المؤمنين؛ فإنى اليوم لست أميرهم - وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فجاء إليها عبد الله بن عمر، فسلم، واستأذن؛ فدخل، فوجدها تبكى، فقال لها؛ فأذنت وقالت: كنت أردته - تعنى مكان القبر - لنفسى، ولأثرته اليوم على نفسى.

فلما أقبل عبد الله من عندها قيل لعمر: هذا عبد الله. قال: ارفعونى، فأسنده رجل، فقال لعبد الله: ما لديك؟ فقال عبد الله: الذى تحب، أذنت عائشة. قال: الحمد لله، ما كان شيء أهم إليّ من ذلك، فإذا أنا قبضت فاحملونى، ثم سلم وقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلونى، وإن ردت فردونى إلى مقابر المسلمين^(٣).

(١) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٣٠٤)، وينظر كذلك تاريخ الطبري (٢٣٧/٤-٢٣٩) وقال ابن كثير في البداية (١٦٥/٧): وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير، وغيره من رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن: خدعتي، وإنك إنما وليته، لأنه صهرك، وليشاورك كل يوم في شأنه، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن: ﴿فَمَنْ نَّكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائلها وناقليها والله أعلم والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة، وأغبياء القصاص الذين لا تميز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها ومبادهها وقويمها، والله الموفق للصواب. ا. هـ.

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٢٧٨/٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٢) من حديث عمرو بن ميمون الأودي.

وأوصاهم أن يقصدوا في كفته، ولا يتغالوا.
 وغسله ابنه عبد الله، وحمل على سرير رسول الله ﷺ، وصلى عليه صهيب في
 مسجده ﷺ، وكبر عليه أربعاً، ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين
 وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح، فنزل في قبره ابنه عبد الله، وعثمان بن
 عفان وسعيد بن زيد.

كانت مدة خلافته عشر سنين، وستة أشهر، وخمس ليال.
 قال الذهبي: لما توفي عمر أظلمت الأرض، فجعل الصبي يقول: يا أمه أقامت
 القيامة؟ فتقول: لا يا بني، ولكن قتل عمر.

ذكر أولاده رضى الله عنه

كان له ثلاثة عشر: تسعة ذكور، وأربع أناث^(١)، الأول عبد الله، وكان يكنى
 أبا عبد الرحمن، أسلم مع أبيه صغيراً بمكة، وصاحب مع أبيه وأمه وهو ابن عشر
 سنين، وشهد المشاهد كلها بعد أحد.

قال الدارقطني: استصغره النبي ﷺ يوم أحد، وشهد الخندق وهو ابن خمس
 عشرة سنة^(٢) فشهد المشاهد كلها. كان عالماً مجتهداً عابداً لزوماً للسنة فاراً من
 البدعة ناصحاً للأمة، روى في الكعبة ساجداً يقول في سجوده: يا رب، ما يمنعني
 من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك. أثنى عليه رسول الله ﷺ، فقال: «إن
 عبد الله رجل صالح»^(٣).

قال نافع: أعتق ألف نسمة أو زاد، عاش إلى زمان عبد الملك بن مروان.
 قال أبو اليقظان: زعموا أن الحجاج دس له رجلاً قد سم زج رمحه، فزحمه في
 الطريق، وطعنه في ظهر قدمه، فدخل عليه الحجاج، فقال له: يا أبا عبد الرحمن
 من أصابك؟ قال: أنت أصبتني. قال: ولم تقول هذا يرحمك الله؟! قال: حملت

(١) ينظر طبقات ابن سعد (٢٠١/٣) وصفة الصفوة (١/١٤٢)، وتاريخ الإسلام: عهد الخلفاء
 الراشدين (٢٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٦٤)، ومسلم (١٨٦٨-٩١) من حديث ابن عمر قال: عرضني رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في القتال، وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يجزني،
 وعرضني يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة سنة، فأجازني.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٤٠، ٣٧٤١)، ومسلم (١٣٩-٢٤٧٨) من حديث ابن عمر عن حفصة.

السلاح فى بلد لم يكن يحمل السلاح فيه، فمات، فصلى عليه عند الردم، ودفن فى حائط أم خرمان^(١).

قلت: هذا الحائط لا يعرف اليوم بمكة ولا حولها، وإنما بالأبطح موضع يقال له: «الخرمانية» فلعله نسب إلى أم خرمان. وقال غير أبى اليقظان: دفن به «فخ» وهو موضع مشهور وهو ابن أربع وثمانين سنة، وله عقب منهم: عبد الرحمن، وسالم^(٢)، وكان عبد الله هذا من الصلاح والدين والعقل عن أحوال الدنيا على الجانب الأعظم، فمن ذلك ما نقله العلامة الصفدى فى تذكرته، فقال: هجت عاتكة بنت عبد الرحمن زوجها ابن أبى عتيق بهذين البيتين: [من الكامل]

دَهَبَ إِلَهُ بِمَا تَعِيشُ بِهِ وَقَمَرَتْ لَبْدَ أَيْمًا قَمَرِ
أَنْفَقْتَ مَالَكَ غَيْرَ مُخْتَشِمٍ فِي كُلِّ زَانِيَةٍ وَفِي الْخَمْرِ

وكان ابن أبى عتيق هذا صاحب دُعاة وفكاهة، فأخذ البيتين المذكورين فى رقعة، وخرج فإذا هو بعبد الله بن عمر المشار إليه، فقال له: يا أبا عبد الرحمن اقرأ هذا وأشر عليّ برأيك، فلما قرأها قال له: ما ترى فيمن هجاني بهذا؟ قال له ابن عمر: أرى أن تغفو عنه، وتصفح، فقال ابن عتيق: والله لئن لقيت قاتلهما لأ.. كنه، فاربّد لون عبد الله بن عمر، وأخذته رعدة واختلاط، فقال لابن أبى عتيق: ما هذا غضب الله عليك؟! فقال له: هو ما قلت لك، والله لأفعلنها. واقتربا.

فلما كان بعد أيام لقيه عبد الله بن عمر، فأعرض عنه موليا، فقال ابن أبى عتيق: علمت يا أبا عبد الرحمن أنى لقيت قاتل ذلك الشعر ف.. كته، فصعق ابن عمر، وليط به، فلما رأى ابن أبى عتيق ما ناله دنا منه، وسارّه فى أذنه، وقال: والله إن الشعر لامرأتى وهى التى فعلتُ بها، فقام ابن عمر - رضى الله عنهما - وقبل بين عينيه. انتهى ما ذكره الصفدى.

(١) ينظر المعارف لابن قتيبة (١٨٥) وأخرج البخاري (٩٦٦) عن سعيد بن جبيرة قال: كنت مع ابن عمر حين أصابه سنان الرمح فى أخمص قدمه فلزقت قدمه بالركاب. فتزلت فتزعمتها، وذلك بمنى. فبلغ الحجاج فجعل يعوده. فقال الحجاج: لو نعلم من أصابك، فقال ابن عمر: أنت أصبتني. قال: وكيف؟ قال: حملت السلاح فى يوم لم يكن يحمل فيه، وأدخلت السلاح الحرم، ولم يكن السلاح يدخل الحرم.

(٢) ينظر الرياض النضرة (٤٢٤/٢).

قلت: رأيت في كتاب أنساب قريش للزبير بن بكار: ابن أبي عتيق هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، رضى الله عنهم^(١).

وقريب من هذه ما وقع لولده سالم بن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهم - ، وهو ما رأيته بخط العلامة: نجم الدين بن عمر بن فهد القرشي، ما نصه: أخبرنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، وذكر سنداً، انتهى فيه إلى الزبير بن بكار قاضي مكة قال: حدثني عمي عن أشعب الطماع قال: كان عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان شفيعي وبسخني ويدعوني، فأحدثه وألهيه، فمرض، ولهوت عنه في بعض جرياتي أياماً، ثم جئت منزلي، فقالت لي زوجتي بنت رومان: ويحك أين كنت؟ عبد الله بن عمرو كان ينفحك، مرض، فهو يقلق بالنهار ويسهر بالليل، أرسل إليك؟ تلهيه وتعلله فلم يجده. قلت: إنا لله، ثم فكرت ساعة، ثم قلت: هات لي قارورة دهن خلوفية ومنديل الحمام، ففعلت، وخرجت أريد الحمام، فمررت بسالم بن عبد الله بن عمر؛ فقال لي: يا أشعب، هل لك في هريس أهديت إلي؟ قلت: نعم، جعلني الله فداك، فدعا بها؛ فأتني بصحفة كبيرة فأكلت حتى شبع، فجعلت أتكاره عليها، فقال: ويحك يا أشعب لا تقتل نفسك!! فإن ما فضل عنك نبعث به إلى بيتك. قلت: وتفعل؟ قال: ما أردت إلا ذاك، فكففت يدي، فبعث بها إلى بيتي، وخرجت فدخلت الحمام فاطليت، ثم صببت على دهن الخلوفية، ثم سكبت على ماء، وخرجت وعليّ صفرة الدهن، وقد صار لوني أصفر كأنه الزعفران. قال فلبست أطماري، وعصبت رأسي، وأخذت معي وصبة، ثم خرجت أمشي متكناً عليها حتى جئت باب عبد الله بن عمرو بن عثمان، فلما رأيته حاجبه قال: ويحك يا أشعب ظلمناك، وغضضنا منك، وأنت قد بلغت ما أرى من العلة. قال: قلت: أدخلني على سيدي أخبره، فأدخلني عليه، فإذا عنده سالم بن عبد الله بن عمر، أتى إليه، يعوده، وعبد الله بن عمرو بن عثمان المذكور: ابن أخت سالم بن عبد الله المذكور، فقال لي عبد الله بن عمرو بن عثمان: ويحك يا أشعب ظلمناك، وغضضنا عليك، وقد بلغت من العلة ما أرى؟ قال: فتضاعفت، ثم قلت: أي سيدي، كنت عند بعض من أغشاه فأصابني قىء ويطن، فما حملت إلى

(١) ينظر طبقات ابن سعد (١٤٩/٥) .

منزلى إلا جنازة، فبلغنى عنك، فخرجت أدب إليك. قال أشعب: فنظر إليّ سالم، ثم قال لى: أشعب؟ قلت: أشعب. قال: ألم تكن عندى آنفا. قلت: ومن أين أكون عندك جعلنى الله فداك، وأنا أموت؟! فجعل سالم يمسح عينيه، ثم يقول: ألم تأكل الهريس آنفا عندى؟ فأقول: هل بى أكل جعلنى الله فداك مع العلة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، يا أشعب إنى لأرى الشيطان يتمثل على صورتك، وما أرى مجالستك تحل. قال أشعب: وفطن بى عبد الله بن عمرو، فقال لى: يا أشعب، أتخدع خالى؟! اصدقنى خبرك. قال: قلت: بالأمان؟ قال: بالأمان، فحدثته حديثى، فضحك ضحكا شديدا طويلا، انتهى. والحديث شجون، يجر الفن منه إلى فنون.

والثانى من أولاده الذكور - رضى الله عنه - عبد الرحمن الأكبر شقيقه^(١)، أمهما: زينب بنت مظعون، أخت عثمان بن مظعون الجمحى.

والثالث: زيد الأكبر، أمه: أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، رمى بحجر فمات، وقد تقدم ذكره عند ذكر أمه أم كلثوم هذه، رضى الله عنها.

والرابع: عاصم، أمه: أم كلثوم جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح، حمى الدبر، وهى التى كان اسمها: عاصية، فسمها عمر: جميلة، فذهبت إلى النبى ﷺ ليغير لها اسمها فسمها كما سماها عمر: جميلة، وقد تقدم ذكر ذلك. والخامس: زيد الأصغر. والسادس: عبيد الله، أمهما: مليكة بنت جروول الخزاعية:

كان عبيد الله شديد البطش، ولما قتل عمر قتل الهرمزان، وقتل جفينة وهو رجل نصرانى وقتل ابنة صغيرة لأبى لؤلؤة؛ فأخذ عثمان عبيد الله ليقصص منه، فاعتذر بأن عبد الرحمن بن أبى بكر أخبره أنه رأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة - وهو الرجل النصرانى من أهل الحيرة - يدخلون يتشاورون، وبينهم خنجر له رأسان، مقبضه فى وسطه، فقتل عمر صبيحة تلك الليلة. فاستدعى عثمان عبد الرحمن بن أبى بكر فسأله، فقال: انظروا إلى السكين، فإن كانت ذات طرفين؛ فما أرى القوم إلا قد

(١) ينظر ترجمته فى الإصابة (٤/ ٢٨٥).

اجتمعوا على قتله. فنظروا إليها فوجدوها كما وصف عبد الرحمن، فقال عمرو بن العاص: قتل أمير المؤمنين بالأمس، ويقتل ابنه اليوم؟! والله هذا لا يكون أبدا! فترك عثمان قتله.

ثم لحق عبيد الله بمعاوية حين أفضت الخلافة إلى على - كرم الله وجهه - خشية أن يقيده على بالهرمزان وصاحبه والبنت. ولما كان يوم صفين، خرج مع معاوية، فقتل يومئذ^(١).

والسابع: عبد الرحمن الأوسط، أمه أم ولد اسمها: لهية، وهو المكنى بـ «أبى شحمة» المحدود فى الخمر، الميت به؛ جزم بذلك الدارقطنى^(٢).

والثامن: عبد الرحمن الأصغر، أمه أم ولد.

والتاسع: عياض بن عمر، أمه: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وهى أخت سعد بن زيد؛ أحد العشرة، زوج أخت عمر: فاطمة بنت الخطاب، وهى التى قتل عنها - رضى الله عنه - فتزوجها بعده الزبير بن العوام^(٣).

وأما البنات الأربع:

فحفصة زوج النبى ﷺ، وقد تقدم ذكرها فى باب أزواجه - عليه الصلاة والسلام - وهى شقيقة عبد الله وعبد الرحمن الأكبر.

والثانية: رقية بنت أم كلثوم، وهى شقيقة زيد الأكبر.

والثالثة: فاطمة، أمها: أم حكيم بنت الحارث بن هشام.

والرابعة: زينب، أمها: أم ولد اسمها فكيهة؛ ذكر ذلك كله ابن قتيبة وصاحب «الصفوة»^(٤).

وهنا حكاية ظريفة، وقعت لسيدنا عمر مع عمرو بن معدى كرب الزبيدى، أحببت إيرادها، وهى ما ذكره المسعودى فى كتابه «مروج الذهب» ومنه نقلت؛ قال: بعث عمر بن الخطاب إلى عمرو بن معدى كرب: أن أرسل إليّ سيفك الذى

(١) ينظر ترجمة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، فى الطبقات (٥/١٠-١٤)، وينظر الطبقات (٣/٢٧١).

(٢) وينظر الإصابة (٥/٣٥).

(٣) ينظر تاريخ الطبري (٤/١٩٩).

(٤) ينظر صفة الصفوة (١/١٤٢).

تحضر به الحروب، المسمى بـ «الصمصامة»، فأرسل إليه به فى قراب خَلَقٍ بالٍ، فأخذه عمر ثم ضرب به فى الضريبة، فلم يَحْكُ، فرماه من يده، ثم بعث إلى عمرو يستدعيه، فلما حضر قال له عمر: إن هذا سيفك، ضربت به فلم يحك. فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أرسلت تطلب السيف فأرسلت إليك بالسيف، ولم أرسل إليك بالزند الذى تضرب به، فعلاه عمر بالدرة، فقال عمرو: الحمى أضرعتنى به. ثم قال له عمر: أخبرنى عن السلاح، قال: ما تريد منه؟ فقال عمر: ما تقول فى الرمح؟ فقال: أخوك، وربما خاتك فانقصف. قال: فما تقول فى السهام؟ قال: رسل المنايا: فمنها طائش، ومنها مصيب. قال: فما تقول فى الدروع؟ قال: لا ترد أجلا قد حضر، وإنها لحصن حصين. قال: فما تقول فى الترس؟ قال: نِغَمُ الجُنة، وعليه تدور الدوائر. قال: فما تقول فى السيف؟ قال: عنده تبيك أملك. قال: صف لى الحرب. فقال: الحرب مرة المذاق؛ إذا كشفت عن ساق، من صبر فيها عرف؛ ومن تهور فيها تلف، ثم أنشد: [من الكامل]

أَلْحَزْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فَتِيَّةٌ تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ
حَتَّى إِذَا حَمِيَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ خَلِيلٍ^(١)
شَمَطَاءَ جَرَّتْ شَعْرَهَا^(٢) وَتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلثَّمِ وَالْتِقَابِ

ثم قال: إني سائلك يا عمرو، هل انصرفت عن فارس قط؟ فقال عمرو: لأحدثك حديثا لم أحدث به أحدا غيرك؛ خرجت فى خيل بنى زبيد أريد بنى كنانة، فأتينا قوما سراة، فقال عمر - رضى الله عنه - : كيف علمت أنهم سراة؟ قال: رأيت مرابط خيل، وقدورا تكفأ، وقبابا حمرا جديدة، ونعما كثيرة وشاء. قال عمرو: فأهويت إلى أعظمها قبة، بعد ما حوينا السبي، وكان بيتا متنبذا من البيوت، فنظرت إليه، وإذا بامرأة بادية الجمال على فرش لها. قال: فلما نظرت إليّ وإلى الخيل، استعبرت، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: والله! ما أبكى على نفسى؛ ولكن أبكى حسدا لبنات عمى، سلمن وابتلى أناس دونهن. فقلت أنا - فى ظنى - : والله! إنها لصادقة. فقلت لها: وأين هن؟ قالت: فى هذا الوادى وراءك. فقلت

(١) فى مروج الذهب: خليل.

(٢) فى مروج الذهب: رأسها.

لأصحابي: لا تحدثوا شيئاً حتى آتيكم. ثم همزتُ فرسى حتى علوت كثيراً، فإذا غلام أصهب الشعر أهدب أقنى، يخصف نعلاً له، وسيفه بين يديه، وفرسه عنده، فلما نظر إليّ نبذ النعل من يده، ثم أخذ سلاحه وأشرف على الكتيب، فلما نظر إلى الخيل محيطةً ببيته، أقبل نحوي ثم حمل على يقول: [من الرجز]

أَقُولُ لَمَّا مَنَحْتَنِي فَاَهَا
وَأَلْبَسْتَنِي بُكْرَةً رِذَاهَا
إِذْنُ سَاجُوِي الْيَوْمَ مَنْ جَوَاهَا^(١)
فَلَيْتَ شِعْرِي الْيَوْمَ مَا ذَهَاهَا
الْخَيْلُ تَبْغِيهَا عَلَى خَوَاهَا
حَتَّى إِذَا خَلَا بِهَا خَوَاهَا

قال عمرو: فقدمت عليه، وأنا أقول: [من الرجز]

عَمْرُو عَلَى طُولِ الْوَجَا^(٢) ذَهَاهَا
بِالْخَيْلِ يَبْغِيهَا عَلَى خَوَاهَا
حَتَّى إِذَا خَلَا بِهَا خَوَاهَا

وحملت عليه، فإذا هو أروع من نهر؛ فراغ عني، ثم حمل على فضربنى بسيفه ضربة صرعتني بها؛ فلما أفقت من صرعتي، حملت عليه، فراغ عني، ثم حمل على فصرعتني، واستاق ما في أيدينا من الغنيمة. ثم أفقتُ واستويت على فرسي، فلما رآني أقبل، وهو يقول: [من الرجز]

أَنَا ابْنُ عَبْدٍ^(٣) اللَّهُ مَحْمُودُ الشَّيْمِ
وَخَيْرُ مَنْ يَمْشِي بِسَاقٍ وَقَدَّمَ
عَدُوَّهُ يَفْدِيهِ مِنْ كُلِّ السَّقَمِ

قال عمرو: فحملت عليه، وأنا أقول [من الرجز]

أَنَا ابْنُ ذِي الثَّقَلِيدِ فِي الشَّهْرِ الْأَصَمِ
أَنَا ابْنُ ذِي الْإِكْلِيلِ قَتَالَ الْبُهَمِ

(١) في مروج الذهب: ساحوي... حواها.

(٢) في المروج: الردي.

(٣) في مروج الذهب: أنا عبيد.

مَنْ يَلْقَنِى يَزْدَى كَمَا أَزْدَتْ إِرْمَ
أَنْزَلُهُ لَحْمًا عَلَى ظَهْرِ وَضَمَّ

فراخ - والله - عنى، ثم ضربنى، ثم صرخ صرخة، فرأيت الموت - والله؛ يا أمير المؤمنين - ليس دونه شيء، وخفته خوفاً لم أخف أحداً قط قبله مثله، فقلت له: من أنت؛ فوالله! ما اجترأ عليّ أحد قط إلا عامر بن الطفيل؛ لإعجابه بنفسه، وعمرو بن كلثوم؛ لسنه وتجربته؟! قال: بل من أنت، أخبرنى وإلا قتلتك. قال عمرو: فقلت: أنا عمرو بن معدى كرب. فقال: وأنا ربيعة بن مكرم.

ثم قلت: اختر منى إحدى ثلاث: إن شئت اجتلدنا بالسيف حتى يموت أعجزنا، وإن شئت اصطرعنا، وإن شئت السلم؛ فإنك حدث ويقومك إليك حاجة. فقال: بل هذه الثلاث إليك. قال عمرو: فاخترت السلم. فقال لى: ألق سيفك، وانزل عن فرسك. قال عمرو: فقلت يا بن أخى، قد جرحتنى جرحين، ولا يزال بى، فوالله: ما كف حتى نزلت عن فرسى، فأخذ بعنانه، ثم أخذ بيدي فى يده فانصرفنا إلى الحى، وأنا أجر رجلى، حتى طلعتنا على الخيل، فلما رأونى همزوا خيولهم إلى نحوى، وأرادوا ربيعة، فناديتهم: إليكم عنه، فمضى - والله - كأنه ليث، حتى شقهم ثم أقبل إلي، وقال: كأن أصحابك يريدون غير الذى أردت، فصمت والله القوم لم يتكلم أحد، وأعظموا ما رأوا. فقلت: يا ربيعة بن مكرم، لا يريدون إلا خيراً؛ وإنما سميت ليعرفه القوم، ومضينا معه حتى نزل، فقامت إليه صاحبتة وهى ضاحكة فمسحت وجهه، ثم أقبل بإبل فنحرت، وضرب علينا القباب، فأقمنا عنده يومين وانصرفنا.

قال عمرو: ثم غزوت بعد زمان فى صناديد قومى بنى كنانة فأخذنا عيالهم، ومنهم امرأة ربيعة بن مكرم وكان غائباً، فبلغه ذلك فأقبل فى الطلب على فرس عري ومعه رمح بلا سنان، فلما لحق بنا قال لى: يا عمرو، خل عن الطعينة وما معك، فلم ألتفت إليه، ثم أعادها فلم ألتفت إليه. ثم قال: يا عمرو، إما تقف لى أو أقف لك، فوقفت، وقلت: قد أنصف القارة من رامها؛ فقف لى يا ابن أخى، فوقف، فحملت عليه وأنا أقول: [من الرجز]

أَنَا ابْنُ ثَوْرٍ ثُمَّ فَتَّاقَ الدَّلَقُ

لَسْتُ بِمَأْمُونٍ وَلَا فِي حَرَقٍ (١)
وَأَسْتُرُ الْقَوْمَ إِذَا أَحْمَرُ الْحَدَقُ
إِذَا الرِّجَالُ عَضُّهُمْ فَوْقَ التَّرَقِّ (٢)
وَجَدْتَنِي بِالسَّيْفِ فَتَّاقَ الْحَلَقُ

حتى إذا ظن أن قد خالطه السنان إذا هو نقب لفرسه، ومر السنان على ظهر الفرس، ثم وقفت له، فحمل على وهو يقول: [من الرجز]
أَنَا الْكِتَانِيُّ الْعُلَامُ لَا بَرْخُ كَمَ مِنْ هَزِيرٍ رَأَيْتِي قَدْ انشَرَخَ (٣)
فقرع رأسى بالرمح، ثم قال: إليك يا عمرو، فلولاً أنى أكره قتلك لقتلتك.
فقلت: لا ينصرف إلا أحدنا. فحملت عليه، حتى إذا ظن أن قد خالطه السنان إذا هو حزام لفرسه، ثم إنه حمل على فقرع رأسى بالرمح ثانية وقال: خذها إليك ثانية، وإنما العفو مرتان. فصاحت به امرأته: السنان له درك. فأخرج سنأنا من بين إزاره كأنه شعلة نار، فركبه على رمحه، فلما نظرت إليه وذكرت طعته بغير سنان، قلت له: خذ الطعينة. فقال: دعها وانج بنفسك. فقالت بنو زبيد: تتركها لغلام؟ فقلت: والله لقد رأيت الموت الأحمر في سنانه وسمعت صريه في تركيبه. فأنصرفنا، ورجع بالطعينة والغنيمة (٤).

ومثلها ما رأيته في كتاب « المحاسن والمساوى »، قال: وَقَدْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عمر بن الخطاب أعرابي يستحمله، فقال له: خذ بعيراً من إبل الصدقة، فنظر إلى
بعير منها استحسنته واختاره فتعلق بذنبه، ونازعه البعير نفسه ونقر فاقتلع ذنبه في يده،
فقال له عمر: يا أبا العريب، هل رأيت أشد منك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين،
خرجت بامرأة من أهلى أريد بها زوجها، فتزلت منزلاً أهله خلوف، فأنخت بها إلى
جانب، ودنوت من الحوض، فإذا رجل قد أقبل معه ذود له، فصرف ذوده إلى

(١) البيت في المروج:

أنا أبو ثور ووقاف الزلق لست بمأفون ولا في خرق.

(٢) البيت في المروج:

وأسد القوم إذا أحمر الحدق إذا الرجال عضهم ناب الفرق.

(٣) البيت في المروج:

أنا الغلام ابن الكتاني لا بدخ كم من هزير قد رأي فانشدخ.

(٤) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٣٣-٣٣٩).

الحوض، وأقبل نحو المرأة لا أدري ما يريد، فلما قرب منها ساورها، فنادتني، فلما انتهيت إليه إذا هو قد خالطها، فجئت لأدفعه، فأخذ رأسي ووضع بين ذراعي وجنبه؛ فما استطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد، ثم قام عنها فأطلقني بعد، ثم احتلب من ذوده فروى، ثم ذهب فاضطجع، وقالت المرأة: نعم الفحل هذا، لو كانت لنا منه سخلة. فأمهلتني حتى امتلأ نوماً، ثم قمت إليه فضربت ساقه بالسيف فقطعت، فوثب، فهربت وعليه الدم، فرماني بساقه، فأصابت بعيري فقتلته، فقال عمر: فما فعلت المرأة؟ فقال الرجل الأعرابي: هذا حديث الرجل. فكرر عليه عمر السؤال مراراً في كلها يقول: هذا حديث الرجل.

خلافة أمير المؤمنين، عثمان، ذي النورين، رضى الله عنه^(١)

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشى، الأموى، العبشمى. يجتمع مع رسول الله ﷺ فى جده عبد مناف، فهو أقربهم إلى رسول الله ﷺ بعد على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، أسلمت، رضى الله عنها، رواه أبو بكر بن مخلد. وأما البيضاء، أم حكيم بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ. اسمه فى الجاهلية والإسلام عثمان، ويكنى أبا عمرو، وأبا عبد الله، والأولى أشهر. قيل: إنه ولد له رقية ولداً أسماه عبد الله فاكتنى به فمات، وولد له عمرو فاكتنى به إلى أن مات، ويدعى بـ «ذو النورين»؛ لأنه تزوج بابنتى رسول الله ﷺ، رقية وأم كلثوم، ولم يعلم أحد تزوج بابنتى نبي غيره. وقيل: إنه إذا دخل الجنة زفت له برفيتين، وقيل: لأنه كان يجمع القرآن فى الوتر؛ فالقرآن نور، وقيام الليل نور، وقيل غير ذلك.

وهو من السابقين الأولين، وصلى إلى القبلتين، وهاجر الهجرتين، وهو أول من هاجر إلى الحبشة فأراً بدينه، ومعه زوجته رقية، رضى الله عنهما. وعد من البدرين، ومن أهل بيعة الرضوان، ولم يحضرهما. وكان سبب غيبته عن بدر أن زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ مرضت، فأذن له رسول الله ﷺ فى الجلوس

(١) ينظر ترجمته فى الاستيعاب (١٧٩٧) أسد الغابة (٣٥٨٩) الإصابة (٥٤٦٤) الطبقات الكبرى (٨٤-٥٣/٣) فضائل الصحابة لأحمد (١/٤٤٨-٥٢٧) التاريخ الكبير (٦/٢١٩١) التاريخ الصغير (١/٥٨-٧١) تلقيح فهوم أهل الأثر (٨٤) الكامل فى التاريخ (٥٩/٢).

ليمرضها، وقال له: لك أجر رجل شهد بدرًا، وضرب له بسهمه من غنيمتها.
وأما غيبته عن بيعة الرضوان؛ فبعثه رسول الله ﷺ من الحديبية إلى مكة^(١). عن
أنس رضي الله تعالى عنه قال: «لما أرسل رسول الله ﷺ عثمان إلى أهل مكة، دعا
رسول الله أصحابه إلى البيعة، وقال: إن عثمان في حاجة لله ورسوله، فضرب
بإحدى يديه على الأخرى، وقال: هذه عن عثمان، فكانت يد رسول الله ﷺ له
خيرًا من أيديهم لأنفسهم». أخرجه الترمذي^(٢). وإنما أرسله عليه الصلاة والسلام
لعزته فيهم، ولو كان أحد أعز بيطن مكة من عثمان لبعثه؛ لأنه كان له في قريش
محبة وعزة لا توصفان، حتى ضربوا بذلك المثل فقالوا:
أحبك الرحمن، حب قريش عثمان.

وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ، وبشره بالجنة، ودعا له بالخصوص غير
مرة؛ فأثرى وكثر ماله، وكانت له شفقة ورحمة ورأفة على المسلمين. فلما ولى
زادت رحمته وتواضعه ورأفته برعيته، وكان يُطعمُ طعامَ الإمارة، ويأكل الخل والزيت.
وجهزة جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرًا بأحلاسها وأقتابها، وأتم الألف
بخمسين فرسًا، وقال قتادة: حمل على ألف بعير وسبعين فرسًا، واشترى بثر
«رومة» بخمسة وثلاثين ألفًا وسبُلها. وله من أفعال الخير وأنواع البر ما يطول
ذكره^(٣).

ولد بمكة. قلت: لم أظفر بتعيين موضع ولادته في كلام أحد ممن يعتمد كلامه.
افتتح في أيامه الإسكندرية، وسابور، وإفريقية، وقبرص، وسواحل الروم،
واصطخر الآخرة، وفارس الأولى، وخوزستان، وطبرستان، وكرمان، وسجستان،
وساحل الأردن، ومرو، والأساورة^(٤).

ذكر إسلامه رضي الله تعالى عنه

قال في «الرياض النضرة، في مناقب العشرة»: «عن عمرو بن عثمان - رضي الله

-
- (١) كل هذه المناقب مذكورة في المصادر التي ذكرناها آنفا.
(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٠٢) من طريق الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس، وقال
الترمذي: حسن صحيح غريب.
(٣) سيأتي ذلك عند ذكر فضائل عثمان.
(٤) تنظر هذه الفتوحات في تاريخ الإسلام (٤٢٩، ٣١١) جزء «الخلفاء الراشدون».

عنهما - قال: كان إسلام عثمان أبى فيما حدثنا عن نفسه قال: كنت رجلاً مشتهراً بالنساء، وإنى ذات ليلة بفناء الكعبة قاعد فى رهط من قريش، إذ أتينا فليل لنا: إن محمداً أنكح عتبة بن أبى لهب رقية، وكانت رقية ذات جمال رائع. قال عثمان: فدخلتني الحسرة، لم لا أكون أنا سبقت إلى ذلك، فلم ألبث أن انصرفت إلى منزلى، فأصبحت خالة لى قاعدة، وهى سعدى بنت كريض، وكانت قد ظرفت وتكهنت عند قومها، فلما رأتنى قالت: [من الرجز]

أُبَشِّرُ وَحُيِّتَ ثَلَاثًا تَشْرَى أَتَاكَ خَيْرٌ وَوُقِيَتْ شَرًّا
أُنْكِحْتَ وَاللهَ حَصَانًا زَهْرًا وَأَنْتَ بَكْرٌ وَلَقِيَتْ بِكْرًا
وَأَفِيَتْهَا بِنْتُ عَظِيمٍ قَدْرًا اللهُ أَمْرٌ قَدْ أَشَادَ ذِكْرًا
قال عثمان: فعجبت من قولها فقلت: يا خالة ما تقولين ؟ فقالت: يا عثمان،

[من الرجز]:

لَكَ الْجَمَالُ وَلَكَ اللِّسَانُ هَذَا نَبِيٌّ مَعَهُ الْبُزْهَانُ
أَرْسَلَهُ مُحِبُّهُ الدِّيَّانُ فَاتَّبَعُهُ لَا يَعْأُ لَكَ الْأَوْتَانُ

قال: قلت يا خالة، إنك لتذكرين شيئاً ما وقع ذكره فى بلدنا فأبينيه لى. قالت: محمد بن عبد الله، رسول من عند الله، جاء بتنزيل الله، يدعو إلى الله، ثم قالت: مصباحه مصباح، ودينه فلاح، وأمره نجاح، وقرنه نطاح، دانت له البطاح، ما ينفع الصياح، لو وقع الذباح، وسلت الصفاح، ومدت الرماح، قال: ثم انصرفت ووقع كلامها فى قلبى، فجعلت أفكر فيه. وكان لى مجلس عند أبى بكر، فأتيته، فأصبته فى مجلس ليس عنده أحد، فجلست إليه؛ فرأى منكسراً؛ فسألنى عن أمرى، وكان رجلاً شايئاً، فأخبرته بما سمعت من خالتى، فقال: يا عثمان، ويحك!! إنك رجل حازم لا يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأوثان التى يعبدها قومنا؟! أليست من حجارة لا تضر ولا تنفع، صم لا تبصر ولا تسمع؟ قلت: بلى والله، إنها كذلك. فقال: والله صدقتك خالتك. هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى خلقه، فهل لك أن تأتية فتسمع منه؟ قلت: بلى. فوالله ما كان بأسرع من أن مر رسول الله ﷺ ومعه على بن أبى طالب يحمل ثوباً، فلما رآه أبو بكر قام فسار به فى أذنه بشيء، فجاء رسول الله ﷺ فقعده ثم أقبل على فقال: يا عثمان أجب الله إلى

جته؛ فإنني رسول الله إليك وإلى خلقه. قال: فوالله ما تما لكُ حين سمعت قوله أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، ثم لم ألبث أن أتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ. وفي إسلام عثمان تقول خالته سعدى المذكورة [من الطويل] :

هَدَى اللَّهُ عُمَانًا بِقَوْلِي إِلَى الْهُدَى وَأَرْشَدَهُ وَاللَّهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ
فَتَتَابَعَ بِالرَّأْيِ السَّدِيدِ مُحَمَّدًا وَكَأَنَّ بَرَأً لَا يَحِيدُ عَنِ الصَّدَقِ
وَأَنْكَحَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْحَقِّ بِنْتَهُ فَكَأَنَّ كَبْدَرِ مَازَجِ الشَّمْسِ فِي الْأَفْقِ
فَدَى لَكَ يَا بَنَ الْهَاشِمِيِّينَ مُهْجَتِي فَأَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ أُرْسِلْتَ لِلْخَلْقِ
وَأَسْلَمْتَ أَخْتَ عُثْمَانَ آمَنَةَ بِنْتَ عَفَانَ، وَأَسْلَمَ إِخْوَتَهُ لَأَمَةِ الْوَلِيدِ وَخَالِدٍ وَعِمَارَةَ،
أَسْلَمُوا يَوْمَ الْفَتْحِ، خَرَجَهُ الْفَضَائِلِيُّ^(١).

صفته رضي الله تعالى عنه

كان رضي الله عنه رجلاً مربعاً، ليس بالقصير ولا بالطويل، حسن الوجه، بوجته نكات جدري، أفتى الأنف، من أجمل الناس، رقيق البشرة، خفيف الجسم، عظيم اللحية طولها، أسمر اللون، كثير الشعر، ذو جمة أسفل من أذنيه، ضخم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، أصلع، وبكثرة شعر رأسه ولحيته كان أعداؤه يسمونه نعثلاً^(٢)، كما سيأتي ذكر ذلك.

عن أسامة بن زيد قال: « بعثني رسول الله ﷺ بصحفة فيها لحم إلى عثمان، فدخلت عليه فإذا هو جالس مع رقية ما رأيت زوجاً أحسن منهما، فجعلت مرة أنظر إلى عثمان ومرة أنظر إلى رقية. فلما رجعت إلى رسول الله ﷺ قال: دخلت عليهما؟ قلت: نعم. قال: هل رأيت زوجاً أحسن منهما؟ قلت: لا ». خَرَجَهُ الْبَغَوِيُّ فِي مَعْجَمِهِ، وَالْحَافِظُ الدَّمَشْقِيُّ^(٣).

(١) ينظر الرياض النضرة (٣/٧-٩).

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٣/٤٢)، وصفة الصفوة (١/١٥٤)، ومجمع الزوائد (٩/٨٣)، والرياض (٣/٦-٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١/٧٦) رقم (٩٧) والخطيب في تاريخ بغداد (٩/٣٩) من طريق مولى لعثمان بن عفان عن أسامة بن زيد به وذكره الهيثمي في المجمع (٩/٨٣) وقال: وفيه راو لم يسم وبقيته رجاله رجال الصحيح.

وفى سيرة الشامي: لما بويع عثمان رقى المنبر بعد العصر أو قبل الزوال يومئذ، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثم قال: أيها الناس، إنكم فى بقية آجالكم؛ فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. واعتبروا بمن مضى من القرون وانقضى، ثم جدوا ولا تغفلوا. أين أبناء الدنيا وإخوانها؟ أين الذين شيدوها وعمروها وتمتعوا بها طويلاً، ألم تلفظهم؟ ارموا بالدنيا خير رمى، واطلبوا الآخرة حيث رغب الله عز وجل فيها؛ فإنه سبحانه ضرب لكم مثلاً فقال: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا لِّحَيَوَاتِ الدُّنْيَا كَمَلٍّ أُنْزِلَتْهُ مِنْ السَّمَاءِ...﴾ إلى ﴿... مُقْنِدًا﴾ [الكهف: ٤٥] فاتقوا الله، إن تقوى الله غنم، وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. إن الله أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها. إن الدنيا تفنى، والآخرة تبقى؛ فلا تشتغلوا بالفانية عن الباقية؛ فإن الدنيا منقطعة والمصير إلى الله تعالى، واتقوا الله؛ فإن تقواه جنة من سأل، ووسيلة عنده ﴿وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ [آل عمران: ١٠٣] الآية. ثم نزل^(١).

أخرج ابن سعد عن الزهرى قال: ولى عثمان اثنتى عشرة سنة فلم ينقم الناس عليه شيئاً مدة ست سنين، بل كان أحب إلى قريش من عمر؛ لأن عمر كان شديداً عليهم، فلما ولى عثمان لان لهم ووصلهم، ثم تواني فى أمورهم، واستعمل أقاربه وأهل بيته فى الست السنين الأواخر، وأعطاهم المال متأولاً فى ذلك الصلة التى أمر الله بها، وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإنى أخذته فقسمته فى أقبائى. فكان ذلك مما نقم عليه^(٢).

وأخرج ابن عساكر عن الزهرى قال: قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبرى كيف كان قتل عثمان، ما كان شأن الناس وشأنه ولم خذله أصحاب محمد ﷺ؟ فقال ابن المسيب: قتل عثمان مظلوماً، ومن قتله كان ظالماً، ومن خذله كان معذوراً. قلت كيف قال: لأنه لما ولى كره ولايته نفر من الصحابة؛ لأنه كان يحب

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/٢٧٧-٢٧٨).

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (٤٧/٣) عن الزهرى وينظر تاريخ الإسلام (٣/٤٣١-٤٣٢).

قومه، وكان كثيرًا ما يولى بنى أمية ممن لم يكن له صحبة، [وكان] من أمرائه ما ينكره الصحابة، فكان يستعقب فيهم فلا يعزلهم، فلما كان فى الست الأواخر استأثر بينى عمه فولاهم دون غيرهم، وأمرهم بتقوى الله.

ولما كانت سنة خمس وثلاثين خرج المصريون وغيرهم على عثمان، قال إسماعيل بن أبى خالد: لما نزل أهل مصر الجحفة وأتوا يعاتبون عثمان فى هذه الأشياء، صعد عثمان المنبر فقال: أياكم يذهب إلى هؤلاء القوم فيسألهم ما تقموا منا وما يريدون؟ وكان القوم الذين من مصر نحو أربعمائة، فقال المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص: نحن نذهب، فلما وصلا إليهم ردوهم أقبح رد. فقام على فقال: أنا أذهب إليهم، فذهب فقال: ما الذى تقمت على عثمان؟ فذكروا الأمور الستة عشرة المذكورة، فأجابهم عن الأول بأن دعواهم إسرافه فى بيت المال فإنما كان من مال نفسه.

وأما عن الثانى وهو الحمى، فأجاب بأنى إنما حميته لإبل الصدقة كما حمى رسول الله ﷺ لذلك؛ فقالوا: إنك زدت. فقال: إنما زدت لإبل الصدقة لما زادت، ولم أحم بإبلى ولا لغنى، وليس هذا مما يتقم على الإمام.

وأما الثالث وهو حمى سوق المدينة، فأجاب بأنه افتراء عليه ولا أصل له. وأما الرابع وهو حمى البحر، فليس كذلك، وإنما لما كان متسعًا فى المال منبسطة فى التجارات حمى سفينه أن يحمل فيها متاع غير متاعه.

وأما الخامس وهو ضربى لابن مسعود، فإنه إنما كان للأدب حين امتنع من إتيانه بالمصحف ليجمع الناس على مصحف واحد؛ فكان لى ذلك؛ فأحرقت مصحفه وكان من أكبر المصالح؛ فإنه لو بقى فى أيدى الناس أدى ذلك إلى فتنة كبيرة فى الدين؛ لكثرة ما فيه من الشذوذ، ولحذفه المعوذتين مع شهرتهما. وأما هجرى له فلم تزل هذه سيمة الخلفاء قبلى.

قلت: وهجره إياه ليس بأعظم من هجر على أخاه عقيلًا وأبا أيوب الأنصارى حين فارقه بعد انصرافه من صفين، وذهب إلى معاوية ولم يوجب ذلك طعنًا عليه ولا عيبًا فيه. وقد روى عن أعرابى من همدان دخل المسجد فرأى ابن مسعود وحذيفة وأبا موسى يطعنون على عثمان فقال: أشدكم الله لو أن عثمان ردكم إلى

أعمالكم وعطاياكم أكنتم ترضون ؟ قالوا: اللهم نعم. فقال الهمدانى: اتقوا الله يا أصحاب محمد ولا تطغوا على أئمتكم. ولما كان تلقيه به مما يكره؛ فإن منصب الخلافة لا يحتمل ذلك، وليس هذا بأعظم من ضربِ عُمَرَ سَعْدَ بنِ أبى وقاص بالدرة على رأسه حين لم يقم له، وقال له: إنك لم تهب الخلافة، فأردت أن تعرف أن الخلافة لم تهبك. ولم يغير ذلك سعدًا ولا رآه عيبًا. وكذلك ضرب أبى بن كعب حين رآه يمشى وخلفه قوم، وقال: إن هذه مذلة للتابع وفتنة للمتبع. وأما السادس وهو قصة عبادة، فهي دعوى باطلة وكذب مخلتق.

وأما السابع وهو قولهم: إن عبد الرحمن ندم على توليته فكذب صريح، ولو كان كذلك لصرح بخلعه إذ لا مانع له؛ فإن أعيان الصحابة على زعمهم منكرون ناقمون أحداثه، والناس تبع لهم، فلا مانع من خلعه. فكيف يصح ما وصفوا به كل واحد منهما فى حق الآخر؟ وإنما الذى صح فى قصته أن عثمان استوصى منه، فإن عبد الرحمن كان ييسط عليه من القول لا يبالى ما يقول. ويروى أن عثمان قال له: إنى أخاف يا بن عوف أن ييسط من دى.

وأما الثامن وهو ضرب عمار فقد حلف أنه لم يكن ذلك عن أمره، وذلك أن عمارًا جاء هو وسعد إلى المسجد، وأرسلوا إليّ أن اتنا، فلما نريد أن نذكرك أشياء فعلتها. فأرسلت إليهما إنى عنكم اليوم مشغول فانصرفا وموعدا يوم كذا وكذا. فانصرف سعد وأبى عمار أن ينصرف، فأعدت إليه الرسول فأبى، فتناوله رسولى بغير أمرى، والله ما أمرته ولا رضيت بضربه، وهذه يدى لعمار فليقتص منى إن شاء.

وأما التاسع وهو انتهاك حرمة كعب ابن عبدة الفهرى، قال: فقد استرضيته؛ إذ كتبت إليه، فلما دخل على قلت: يا كعب، كتبت إليك كتابًا غليظًا، ولقد كتبت إلى بعض الذى هتكت مشورتك، ولكنك خدشتنى وأغضبتنى حتى نلت منك ما نلت، ونزعت قميصى ودعوت بسوط ودفعته إليه، وقلت: قم فاقتص منى ما ضربتك، فقال كعب: أما إذ فعلت فأنا أدعه الله لا أكون أول من اقتص من الأئمة. ثم صار بعد من خواصى.

وأما العاشر وهو تركى إقامة الحد على عبيد الله بن عمر؛ فما ذاك إلا بخوفى ثوران فتنة عظيمة من قبله؛ لأنه كان بنو تميم وبنو عدى مانعين من قتله ودافعين

عنه، وكان بنو سهم أيضًا مانعين من ذلك، حتى قال عمرو بن العاص: قتل أمير المؤمنين بالأمس فيقتل ابنه اليوم؟! لا يكون والله هذا أبدًا، ومال فى بنى سهم. فلما رأيت ذلك اغتنمت تسكين الفتنة، وقلت: أمره إليّ وسأرضى أهل الهرمزان منه.

وأما الحادى عشر وهو انفرادى بأقوال شاذة، فلم يزل أصحاب رسول الله ﷺ على نحو ذلك ينفرد الواحد منهم بما يقول ويخالفه الباقيون؛ وهذا على بن أبى طالب فى مسألة بيع أم الولد على مثل ذلك، وفى الفرائض عدة مسائل على هذا النحو لكثير من الصحابة، فلم أنفرد بهذا المعنى.

وأما الثانى عشر فهو هتكى حرمة الأشر - فهل أثار الفتنة فى هذه القصة إلا فعل الأشر بالكوفة من هتك حرمتى وتسليط العامة على ضرب عاملى بلا اعتذار عن الأمر بنفيه بل ذلك أقل ما يستوجب، ثم لم ينفعه ذلك حتى سار من الشام إلى الكوفة وأضرمت نار الفتنة.

وأما الثالث عشر وهو إتمامى الصلاة بمنى؛ فعذرى فى ذلك ظاهر؛ لأننى ممن لا يوجب القصر فى السفر وأنا أبيحه فيه، وأيضًا هى مسألة اجتهادية، فقولى لا يوجب تكفيرًا ولا فسقًا.

وأما الرابع عشر وهو نفى لأبى ذر؛ فلتجاسره عليّ وتجيهى بالكلام الخشن ومفسدة عليّ، وإثارة الفتنة، وتأدية ذلك التجاسر لإذهاب هيبتى وتقليل حرمتى؛ ففعلت ما فعلت؛ صيانة لمنصب الشريعة، وإصابة لحرمة الدين.

قلت: كان عذر أبى ذر فيما كان يدعوه عثمان - رضى الله تعالى عنه - إلى ما كان عليه أصحابه من التجرد عن الدنيا والزهد فيها - مخالفة عثمان إلى أمور مباحة من اقتنائه الأموال، وجمعه الغلمان الذين يستعان بهم على الحروب، وكل منهما على هدى من الله تعالى.

وأما الخامس عشر وهو ردى الحكم، فقد استأذنت النبى ﷺ فى رده إلى المدينة فوعدنى بذلك، فلما ولى أبو بكر سأله فى ذلك فقال: كيف أردته إليها وقد نفاه رسول الله ﷺ؟! فقلت له: بوعد رسول الله ﷺ إياى بذلك، فقال أبو بكر: لم أسمعته يقول لك ذلك، ولم يكن لى أنا بينة على ذلك. ثم لما ولى عمر سأله ذلك فأبى ولم يردده بقول الواحد، فلما وليت قضيت بعلمى، وكان قد تاب وأصلح عما

كان طرد لأجله مما تقدم ذكره، وإغاثة التائب مما يحمد.

وأما السادس عشر وهو عزل ابن مسعود وعمر بن العاص ونحوهما، فأما عمرو ابن العاص فإنما عزله؛ لأن أهل مصر أكثروا شكايته، وأما ابن مسعود فلما بلغني عنه، ولم تنزل الأئمة على مثل ذلك، ولم يكن قصدي من منع عطائه حرمانه ألبته، وإنما التأخير إلى غاية اقتضى نظري التأخير إليها، فكان لما قضى الله وصلت به ورثته، ولعله كان أنفع لهم فأزال عنهم وعشهم، وأرسل إلى ابن أبي سرح يتهدده، ورجعوا إلى أوطانهم^(١).

قلت: وأحسن ما يقال في الجواب عن جميع ما ذكر أنه عليه الصلاة والسلام قد أخبر عن وقوع فتنة عثمان، وأنه على الحق في حديث كعب بن عجرة كما سيأتي، وفي رواية على الهوء أخرجها أحمد، وأخبر أنه يقتل ظلمًا كما في حديث ابن عمر الآتي أيضًا، وأمر باتباعه عند ثوران الفتنة كما في حديث مرة بن كعب كما يأتي، فمن شهد له عليه الصلاة والسلام أنه على الحق وأنه يقتل ظلمًا وأمر باتباعه - كيف يتطرق الوهم إلى أنه على الباطل؟ ثم قد ورد في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام أخبره أن الله يقمصه بقميص، وأن المنافقين يريدونه على خلعه، فأمره ألا يخلعه، وأمره بالصبر فامثل أمره ﷺ وصبر على ما ابتلى به، وهذا من أدل دليل على أنه كان على الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ فمن خالفه يكون على الباطل، فكيف وقد وصف النبي ﷺ الذين أرادوا خلعه بالنفاق؛ فعلم بالضرورة أن كل ما روى عنه مما يوجب الطعن عليه أمر بين مفترى عليه مختلق وبين مجهول، وعلى تقدير صحته يحمل على أحسن الحالات، فيكون معه على الحق تصديقًا لخبر النبوة المقطوع بصدقه^(٢).

ولما بلغ عبد الرحمن بن عوف قول عثمان فيه ما قال أرسل إلى عثمان يقول: ما تخلفت عن بدر، ولا فررت يوم أحد، ولا خالفت سنة عمر؛ فأرسل إليه عثمان: تخلفت عن بدر لأن بنت رسول الله ﷺ شغلتنى بمرضها. أما يوم أحد فقد عفا الله عني. وأما سنة عمر فوالله ما استطعتها أنا ولا أنت^(٣).

(١) ينظر العواصم من القواصم (٥٦-٦٠) تاريخ الإسلام (٣/٤٢٩-٤٣٠).

(٢) سيأتي تخريج كل هذه الروايات عند ذكر فضائل عثمان.

(٣) ينظر تاريخ الإسلام (٣/٤٣٢-٤٣٣).

ثم لما كان شوال من السنة المذكورة خرجوا كالحجاج حتى نزلوا بقرب المدينة، فخرج أهل مصر فى سبعمائة. وأمرأؤهم: عبد الرحمن بن عديس البلوى، وكنانة ابن بشر اللبى، وسودان بن حمران السكونى، وقتيرة السكونى، والغافقى بن حرب العكى، ومعهم ابن السوداء.

وخرج أهل الكوفة فى مائتين، فيهم: زيد بن صوحان العبدى، والأشتر النخعى، وزباد بن النضر المسمعى، وزباد بن النضر الحارثى، وعبد الله بن الأصم، وهو مقدمهم.

وخرج أهل البصرة فى نحو مائة وخمسين، فيهم: حُكيم بن جبلة، وذريح بن عباد العبدى، وبشر بن شريح القيسى، وعليهم: حرقوص بن زهير السعدى.

فأما أهل مصر فكانوا يشتهون عليا. وأما أهل البصرة فكانوا يشتهون الزبير. وأما أهل الكوفة فكانوا يشتهون طلحة، فخرجوا ولا تشك كل فرقة أن أمرها يتم دون الأخرى حتى كانوا من المدينة على ثلاث فقدم ناس من أهل البصرة فتلوا « ذا خشب »، وتقدم ناس من أهل الكوفة فتلوا « الأعوص ». وجاء زياد بن النضر، وعبد الله بن الأصم ليكشفوا خبر المدينة فدخلوا فللقيا أزواج النبى ﷺ، وطلحة والزبير، وعليا، فقال: إنما نؤم هذا البيت ونستعفى من بعض عمالنا واستأذنوهم للناس، فكلهم أبى ونهى، فرجعا فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا عليا. ومن أهل البصرة [نفر] فأتوا الزبير. ومن أهل الكوفة نفر فأتوا طلحة وقال كل فريق منهم: إن بايعنا صاحبنا وإلا كدناهم، وفرقنا جماعتهم ثم كررنا حتى نبغتهم. فأتى المصريون عليا وهو فى عسكر عند « أحجار الزيت » وقد سرح ابنه الحسن إلى عثمان واجتمعوا عليه فسلم المصريون على عليٍّ وعرضوا له، فصاح بهم وطردهم وقال: لقد علم الصالحون أنكم ملعونون فارجعوا لا صحبتكم الله تعالى. فأنصرفوا وفعل طلحة والزبير نحو ذلك. وأزال عثمان شكواهم وعزل عنهم ابن أبى سرح، وكتب لمحمد على مصر بعد أن اختاروه، فذهب القوم وأظهروا أنهم راجعون إلى بلادهم، فذهب أهل المدينة إلى منازلهم، فلما بلغ القوم إلى عساكرهم كروا بهم وفجأوا أهل المدينة فدخلوها وضجوا بالتكبير ونزلوا فى مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان. وقالوا: من كف يده فهو آمن، ولزم الناس بيوتهم، فأتى عليٌّ رضى الله عنه

وقال: ما ردكم بعد ذهابكم؟ قالوا وجدنا مع بريد كتابا بقتلنا.
وقال الكوفيون والبصريون: نحن نمنع إخواننا المصريين وننصرهم، فعلم الناس أن ذلك مكر منهم.

وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمد بهم فساروا إليه على الصعب والذلول فبعث معاوية إليه حبيب بن مسلمة الفهري. وبعث إليه ابن أبي سرح معاوية بن خديج، وسار إليه من الكوفة القعقاع بن عمرو.

فلما كان يوم الجمعة صلى عثمان بالناس وخطب فقال: يا هؤلاء اتقوا الله، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فامحوا الخطأ بالصواب فإن الله لا يمحو السيئ إلا بالحسن، فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا أشهد بذلك، فأقعدته حكيم بن جبلة. فقام زيد بن ثابت فقام إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قتيبة فأقعدته وتكلم فأفطع.

وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد. وحصبوا عثمان حتى صرع نحو المنبر فغشى عليه فاحتمل وأدخل الدار.

وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن ينصرهم إلا ثلاثة فإنهم كانوا يراسلونهم: محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر، وعمار بن ياسر. قال: واستقبل أناساً منهم: زيد بن ثابت، وأبو هريرة، وسعد بن مالك، والحسن بن علي، فنهضوا لنصرة عثمان، فبعث إليهم عثمان يحلف عليهم: أن ينصرفوا فانصرفوا.

وأقبل عليٌّ حتى دخل على عثمان هو وطلحة والزبير يعودونه من صرعته، ثم رجعوا إلى منازلهم.

قال الواقدي: وقولهم: « وجدنا بريداً معه كتاب بقتلنا »: هو أنهم لما كانوا بـ« البويب » وفي رواية بـ« ذي خشب » رأوا جملاً عليه ميسم الصدقة فأخذوه فإذا عليه غلام أسود لعثمان ففتشوا متاعه بعد أن سألوه فتارة يقول: أنا عبد لمروان، وتارة: لفلان، فلما فتشوه وجدوا قصبة من رصاص فيها كتاب في جوف الإداوة في الماء ففتحوه فإذا هو: إلى عبد الله بن أبي سرح أن: افعل بفلان كذا واقتل فلاناً واقطع رجل فلان ويده، وعدد جماعة من القوم واثبت في عملك حتى يأتيك

أمرى: وعلى الكتاب ختم بخاتم عثمان. قال الواقدي: فحدثنى عبد الله بن الحارث عن أبيه لما رجعوا إلى المدينة أتوا عليًا فقالوا له ألم تر إلى عدو الله؟ فقم معنا. قال: والله ما أقوم معكم.

قالوا: فلم كتبت إلينا؟

قال: والله ما كتبت إليكم. فنظر بعضهم إلى بعض وخرج عليٌّ من المدينة. فانطلقوا إلى عثمان فقالوا: كتبت فينا بكذا، فقال: إنما هما اثنتان: تقيمون رجلين من المسلمين، يعنى شاهدين، أو يمينى بالله الذى لا إله إلا هو - ما كتبت ولا علمت. قالوا: كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به؟ وزعموا أنه خط مروان وسألوه أن يدفعه إليهم فأبى وعلموا أنه لم يحلف كاذبًا ولزموا بيوتهم.

فقال عثمان: قد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم. فقالوا: قد أحل الله دمك ونقض العهد والميثاق. وحصلوه فى الدار^(١).

وروى بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام قال: بينما عثمان يخطب إذ قام إليه رجل فنال منه، فوذاته فاتدأ. فقال رجل: لا يمنعك مكان ابن سلام أن تسب نعثلا فإنه من شيعته. فقلت له: لقد قلت عظيمًا فى الخليفة من بعد نوح^(٢).

أقول: وذاته: زجرته، وقمعته. وقالوا لعثمان نعثلا؛ تشبيهًا له برجل مصرى اسمه: نعثل، كان طويل اللحية. والنعثل فى اللغة: ذكر الضباع.

وكان عمر يشبه بنوح فى الشدة. ولما أخذت من يد عثمان العصا وهو قائم يخطب وكان الآخذ لها جهجاه بن عمرو الغفارى، وكسرها بركبته وقعت الآكلة فى ركبته والعياذ بالله تعالى^(٣).

ثم إنهم أحاطوا بالدار وحصلوه.

قال الزبير بن بكار: حدثنى محمد بن الحسن قال: لما كثر الطعن على عثمان تنحى عليٌّ إلى ماله بالبيقع، فكتب عثمان: أما بعد فقد بلغ الحزام الطُّبيين، وجاوز

(١) تنظر هذه الرواية بطولها فى البداية والنهاية (١٩٤/٧) وينظر الطبقات الكبرى (٣/٤٧-٤٨) وتاريخ الطبري (١١٩/٥) والكامل لابن الأثير (١٦٨/٣).

(٢) ينظر تاريخ الإسلام (٤٤٣/٣-٤٤٤).

(٣) ذكر ذلك الحافظ فى الإصابة (٦٢٢/١) وعزه للبواردي وابن السكن.

السليل الزبى، وبلغ الأمر فوق قدره، وطمع فى الأمر من لا يدفع عن نفسه [من الطويل]

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَذْرِكُنِي وَلَمَّا أُمِرَ^(١)
وعن أبان بن عثمان: لما ألحوا على عثمان بالرمى خرجت حتى أتيت عليا
فقلت: يا عم أهلكتنا الحجارة. فقام معى فلم يزل يرمى حتى فتر كتفه ثم قال: يا بن
أخى اجمع حشمك ثم يكون هذا شأنك^(٢).

وعن أبى إدريس الخولانى أنه قال: أرسل عثمان إلى سعد فأتاه فكلمه فقال له
سعد: أرسل إلى على. فإن أتاك ورضى صلح الأمر. قال: فأنت رسولى إليه. فأتاه
فقام معه عليٌّ فمَرَا بمالك الأشتر، فقال الأشتر لأصحابه: أين يريد هذا ؟ قالوا:
يريد عثمان. فقال: والله لئن دخل على عثمان لتقتلن عن آخركم. فقام إليه فى
أصحابه حتى اختلجه عن سعد، وأجلسه فى أصحابه وأرسل إلى أهل مصر: إن
كنتم تريدون قتله فأسرعوا. فدخلوا عليه فقتلوه^(٣).

وعن أبى حبيبة: لما اشتد الحصار على عثمان قالوا له - يعنى الذين عنده فى
الدار فكانوا قريباً من ستمائة فيهم مروان بن الحكم - : ائذن لنا فى القتال. قال:
أعزم على من كانت لى عليه طاعة أن لا يقاتل، أيما عبد من عبيدى أعمد سيفه فهو
حر^(٤).

وعن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعث عثمان المسور بن
مخرمة إلى معاوية أنه محصور، ويأمره أن يجهز له جيشاً سريعاً. فلما قدم على
معاوية ركب معاوية لوقته هو وسالم بن عقبة، ومعاوية بن خديج فساروا من دمشق
إلى عثمان عشرا فدخل نصف الليل على عثمان وقبل رأسه وقال له عثمان: أين
الجيش ؟ قال ما جئت إلا ثالث ثلاثة، فقال عثمان لا وصل الله رحمك ولا أعز
بعيرك ولا جزاك خيراً، فوالله لا أقتل إلا فيك ولا ينقم على إلا من أجلك.
فقال: بأبى أنت وأمى لو بعثت إليك جيشاً فسمعوا عاجلوك بالقتل ولكن معى

(١) ينظر تاريخ الإسلام (٤٤٨/٣) .

(٢) ينظر أنساب الأشراف (١٤٥٦) وتاريخ الإسلام (٤٤٩/٣) .

(٣) ينظر تاريخ الإسلام (٤٤٩/٣) .

(٤) ينظر تاريخ خليفة (١٧٣) وتاريخ الإسلام (٤٤٩/٣-٤٥٠) .

نجائب فاخرج معي، فما شعر بي أحد فوالله ما هي إلا ثلاث حتى ترى معالم الشام، فقال: بثسما أشرت به وإني لن أحسمه. فأسرع معاوية راجعاً، وورد المسور يريد المدينة ولقى معاوية بـ « ذى المروة » فقدم على عثمان وهو رام لمعاوية غير عاذر له. فلما كان في آخر حصره بعث المسور ثانياً إلى معاوية يستنجد به فقال معاوية: إن عثمان أحسن فأحسن الله به، ثم غير فغير الله به. فشدد المسور عليه، فقال معاوية: تركتم عثمان حتى إذا كانت نفسه في حنجرته قلت: اذهب فادفع عنه الموت وليس ذاك بيدي. ثم أنزله في مشربة على رأسه فما دخل عليه داخل حتى قتل عثمان. ولما أنكر عثمان، وحلف بعد أن أحضروا الكتاب ونصوه بمحضر من الصحابة فيهم طلحة، وعلى، والزبير، وسعد - لم يبق أحد إلا حنق على عثمان وزاد ذلك غضباً وحنقاً أعوان أبي ذر، بما فعله بأبي ذر، وقبيلة هذيل، بما فعله في ابن مسعود، وبنى مخزوم، بما فعله بعمار بن ياسر.

قلت: قد تقدم ذكر ما فعله مع أبي ذر، وابن مسعود، وعمار، وأرسل عليّ بالحسين وأرسل الزبير بابنه عبد الله، وطلحة بابنه، وأبناء غيرهم وأمروهم وهم شاكوا السلاح أن يحرسوا عثمان رضى الله عنه، فلما دخلوا على عثمان قال لهم أعزم عليكم إلا ما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم، فقال ابن الزبير: نحن نعزم على أنفسنا ألا نبرح^(١).

قال الأوزاعي: حدثني محمد بن عبد الملك بن مروان أن المغيرة بن شعبة دخل على عثمان فقال: إنك إمام العامة، وقد نزل بك ما ترى، وإني أعرض عليك خصالاً: إما أن تخرج فتقاتلهم فإن معك عددًا وقوة. وإما أن تخرق لك باباً آخر فتقعد على ركائبك فتلحق بـ « مكة » فإنهم لن يستحلوا دمك وأنت بها. وإما أن تلحق بـ « الشام » ففيها معاوية. فقال عثمان: أما أن ألحق بـ « الشام » فلن أفارق دار هجرتي، وأما أن أقاتل، فلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فإني سمعت من رسول الله ﷺ يقول: يلحد رجل من قريش بـ « مكة » يكون عليه نصف عذاب العالم^(٢).

(١) ينظر تاريخ الإسلام (٣/٤٥٠-٤٥١).

(٢) أخرجه أحمد (١/٦٧) من طريق الأوزاعي، به.

وروى نافع عن ابن عمر: أصبح عثمان يحدث الناس أنه رأى النبی ﷺ فى المنام يقول له « أفطر عندنا » فأصبح صائماً وقتل يومه^(١).

وقال ثمامة بن حزن القشيري يوم الدار وأشرف عليهم عثمان، فقال: اتنوني بصاحبيكم اللذين ألباكم. فدعيا له كأنهما جملان أو حماران، فقال: أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس فيها ماء عذب غير بئر رومة فقال: من يشتريها فيكون دلوه كدلاء المسلمين وله فى الجنة خير منها؟ فاشتريتها، وأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من الماء المالح؟! قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ: من يشتري بقعة بخير له منها فى الجنة؟ فاشتريتها وزدتها فى المسجد وأنتم تمنعوني اليوم أن أصلى فيه؟! قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير بـ « مكة »، فتحرك وعليه أبو بكر، وعمر، وأنا، فقال: اسكن ثبير، فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان؟ قالوا: اللهم نعم. فقال: الله أكبر شهدوا ورب الكعبة أنى شهيد. ثم قال: ولكن طال عليكم أمرى واستعجلتم وأردتم خلع سربال سربلنيه الله، وإنى لا أخلعه حتى أموت أو أقتل^(٢).

ثم أشرف عليهم ذات يوم، قال ابن عمر: فقال: عَلَامَ تقتلوننى؟ فإن رسول الله ﷺ قال: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو رجل قتل نفساً^(٣). فوالله ما زينت فى الجاهلية ولا فى الإسلام، ولا قتلت نفساً، ولا كفرت قال الحسن: حدثنى وثاب قال: بعثنى عثمان فدعوت له الأشر فقال: ما يريد الناس؟ قال: ثلاثاً يخبرونك بين الخلع وبين أن يقتص منك فإن أبيت فإنهم قاتلوك. فقال: ما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله، ويدنى ما يقوم بقصاص. ثم حاصره أولئك القوم حتى منعه الماء، فأشرف عليهم يوماً فقال: أفيكم عليّ؟ قالوا: لا. قال أفيكم سعد؟ قالوا: لا. فسكت ثم قال: ألا أحد

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (٥٥/٣) والبلاذري فى أنساب الأشراف (١٤٦٩) من طريق نافع عن ابن عمر.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (٧٤/١) والترمذي (٣٧٠٣) والنسائي (٢٣٥/٦) وابن خزيمة (٢٤٩٢) من طريق أبي مسعود الجريدي عن ثمامة بن حزن، به.

(٣) أخرجه أحمد (٦٣/١) والنسائي (١٠٣/٧) من طريق نافع عن ابن عمر عن عثمان.

يسقينا ماء ؟ فبلغ ذلك عليًا فيعث إليه بثلاث قرب فجرح بسببها جماعة من موالى بنى هاشم حتى وصلت إليه . وبلغ عليًا أن عثمان يراد قتله فقال : إنما أردنا منه مروان ، فأما عثمان فإننا لا ندع أحدًا يصل إليه^(١) .

ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب بالدماء على بابه فأصاب مروان سهم وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى على ، فخشى محمد بن أبى بكر أن يغضب بنو هاشم لشأن الحسن فلا يتم لهم ما أرادوه ، فاتفق هو وصاحبه وتسوروا من دار حتى دخلوا عليه ولا يعلم أحد ؛ لأنهم كانوا فوق البيوت ولم يكن مع عثمان إلا امرأته ، فدخل محمد فأخذ بلحيته ثم قال بها حتى سمع وقع أضراسه ، وقال : يا نعثل قد أخزأك الله . فقال : لست بنعثل ، ولكنى عبد الله وأمير المؤمنين ، فقال : ما أغنى عنك معاوية ، ما أغنى عنك عبد الله بن عامر ، ما أغنى عنك فلان وفلان ، فقال له عثمان : أرسل لحيتي ، فوالله لو يراك أبوك لساء مكانك منى ، فقال : إن ما يراد بك أشد من ذلك . وطعن جنبه بمشقص ، وقيل : إنه أطلق لحيته وتراخت يده فرجع وقال : اللهم إني أشهدك أنى برىء من دم عثمان . وكذلك قالته امرأة نائلة وقالت : لكنه هو الذى أدخلهما يعنى الرجلين كنانة بن بشر ، وسودان بن حمران ، ورفع كنانة مشاقص فوجأ بها فى أذن عثمان فمضت حتى دخلت حلقه ثم علاه بالسيف وضرب جبينه بعمود حديد وضربه سودان بن حمران المرادى ، فقتله ووثب عليه عمرو بن الحمق وبه رمق قطعته تسع طعنات وقال ثلاث لله ، وست لما فى نفسى عليه^(٢) .

وعن ربيعة مولاة أسامة قالت : جاء رجل من خلف عثمان بسعفة فضرب بها جبهته ، فرأيت الدم يسيل وهو يمسه ، ويقول : اللهم لا يطلب بدمى غيرك . وجاء آخر فضربه بالسيف على صدره فأفقصه ، وتعاوروه بأسيا فهم فرأيتهم يتهبون بيته^(٣) . وقال الشعبي : جاء رجل من « ثجيب » من المصريين والناس حول عثمان فأسبل سيفه ثم قال : أفرجوا ، ففرجوا له فوضع ذباب سيفه فى بطن عثمان فأمسكت

(١) ينظر تاريخ الإسلام (٤٤٦/٣) وتاريخ خليفة (١٧٠) .

(٢) ينظر الطبقات الكبرى (٥٤/٣) تاريخ الطبري (٣٩٣/٤) أنساب الأشراف (١٤٧٠) تاريخ الإسلام (٤٥٥/٣ - ٤٥٦) .

(٣) ينظر تاريخ الإسلام (٤٥٤/٣ - ٤٥٥) .

زوجته نائلة بنت الفرافصة السيف ل تمنع عنه فجز السيف أصابعها . وقيل الذى قتله رجل يقال له حمار . ووجدوه وعنده زوجته نائلة وهو يقرأ فى المصحف صائماً^(١) . وعن الزهرى قال قتل عند صلاة العصر ، وشد عبد لعثمان على كنانة بن بشر فقتله ، فشد سودان بن حمران على العبد فقتله^(٢) .

وقال أبو نضرة : عن أبى سعيد ضربوه فجرى الدم من المصحف على قوله : ﴿ سَيَكُونُ لَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] قال فإنها فى المصحف ما حكى ، فإن أبا خريت ذكر أنه ذهب هو وسهيل المرى فأخرجوا إليهما المصحف فإذا قطر الدم على الآية المذكورة^(٣) .

وعن الزهرى قلت لسعيد بن المسيب : هل أنت مخبرى كيف كان قتل عثمان ؟ قال : قتل مظلوماً ومن خذله كان معذوراً ومن قتله كان ظالماً . إنه لما استخلف كره ذلك ناس من الصحابة الذى يحب قومه ويوليهم وكان يكون منهم ما يكره الصحابة فيستعجب فيهم فلا يعزلهم ، فلما كان فى الست السنين الأواخر استأثر ببنى عمه فولاهم وما اشترك معهم فولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح مصر ، فمكث عليها ، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه . وقد كان قبل ذلك منه هنات إلى ابن مسعود وأبى ذر وعمار ، فحنق عليه قومهم .

قلت : قد ذكرت فيما تقدم أسباب ذلك . انتهى .

وجاء المصريون يشكون ابن أبى سرح فكتب إليه يتهدده فأبى أن يقبل وضرب بعض من أتاه ممن شكوا فقتله فخرج من أهل مصر ستمائة رجل وقيل سبعمائة فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة صنع ابن أبى سرح بهم فقام طلحة فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت إليه عائشة تقول : أنصفهم من عاملك ودخل عليه على وكان متكلم القوم فقال : إنما يسألونك رجلاً مكان رجل ، وقد ادعوا فتكه دما فاعزله واقض بينهم . فقال : اختاروا رجلاً أوليه عليكم ، فأشاروا عليه بمحمد بن أبى بكر فكتب هذه وخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر ، وبين ابن أبى

(١) ينظر تاريخ خليفة (١٧٥) وتاريخ الإسلام (٤٥٥/٣) .

(٢) ينظر تاريخ الطبري (٣٩١/٤) وتاريخ الإسلام (٤٥٧/٣) .

(٣) ينظر أنساب الأشراف (١٤٩٠) وتاريخ الإسلام (٤٥٦-٤٥٧) وتاريخ خليفة ص ١٣٠ ،

سرح، فلما كان محمد ومن معه على مسيرة ثلاث من المدينة وقيل بعد أن وصلوا إلى « عقبة أيلة » إذا هم بـغلام أسود على بعير مسرعا فسألوه فقال وجهنى أمير المؤمنين إلى عامل مصر، فقالوا: هذا عامل مصر يعنى محمد بن أبى بكر ففتشوه فإذا إداوة تقلقل فشقوقها، فإذا فيها كتاب عثمان إلى ابن أبى سرح فجمع محمد من عنده من الصحابة فكفوا الكتاب بمحضر منهم فرجعوا إلى المدينة، وكان ما كان فيما تقدم ذكره. انتهى.

ثم لما قتلوه هربوا من حيث دخلوا ثم صرخت المرأة فلم يسمع صراخها، لما فى الدار من الجلبة فصعدت إلى الناس وأخبرتهم، فدخل الحسن والحسين وابن الزبير وغيرهم فوجدوه مذبوحا. وبلغ عليا وطلحة والزبير الخبر فجاءوا وقد ذهبت عقولهم ودخلوا عليه فرأوه مذبوحا. فقال على: كيف قتل وأنتم على الباب؟! ولطم الحسن وضرب صدر الحسين وشم ابن الزبير وابن طلحة، فقالوا لم يؤت من جهتنا بل تسور عليه من الدار، وخرج على غضبانا إلى منزله فجاء الناس يهرعون إليه ليبايعوه فقال: ليس ذلك إليكم إنما ذاك إلى أهل بدر، فمن رضوه فهو خليفة، فلم يبق أحد من البدرين إلا أتى عليا. ثم خرج إلى المسجد فصعد المنبر فكان أول من صعد إليه طلحة فبايعه بيده اليمنى وكانت شلاء لأنه وقى بها رسول الله ﷺ من سهم يوم أحد فشلت، فكانت كالفأل السوء لخلافة على، فإنه لم يتهن فيها بل من حرب إلى حرب إلى أن قتل - رضى الله تعالى عنه - كما سيذكر جميع ذلك فيما يأتى قريبا، ثم بايعه الزبير وسعد والصحابة جميعا، ثم نزل فدعا الناس وطلب مروان فهرب منه هو وأقاربه^(١).

قال الإمام الذهبى فى تاريخه « دول الإسلام »: كان قاتلوا عثمان يدا واحدة فى الشر، وكان حثالة من الناس قد ضلوا إليهم، وكان أصحاب النبى ﷺ الذين خذلوه كرهوا الفتنة فظنوا أن الأمر لا يبلغ قتله، فلما قتل ندموا على ما صنعوا فى أمره. ولعمري لو قاموا أو قام بعضهم فحشا فى وجوه أولئك التراب لانصرفوا خاسئين، لكن الفتنة لها أسباب، نعوذ بالله منها ومن أسبابها.

وعن الشعبى قال: ما سمعت فى مرأى عثمان أحسن من قول كعب بن مالك

(١) ينظر تاريخ الإسلام (٤٥٧/٣)، أنساب الأشراف (١٤١٩)، تاريخ الخلفاء (١٥٧-١٦١).

[من الطويل] :

وَأَيَقِّنَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ
عَفَا اللَّهُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ لَمْ يُقَاتِلْ
عِدَاوَةً وَالْبَغْضَاءَ بَعْدَ التَّوَاصُلِ^(١)

فَكَفَّ يَدَيْهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ
وَقَالَ لِأَهْلِ الدَّارِ: لَا تَقْتُلُوهُمْ
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ صَبَّ عَلَيْهِمُ الْ
وَقَالَ حَسَانُ يَرِثُهُ [من الخفيف] :

ت وَعَابَتْ وَلَاتُهُ الْأَنْصَارُ
حَتَّى هَاجَا أَمْرًا لَهُ مِقْدَارُ
رِ عِيَانًا وَخَلْفَهُ عَمَّارُ

خَذَلَتْهُ الْأَنْصَارُ إِذْ حَضَرَ الْمَوْتُ
مَنْ عَذِيرِي مِنَ الزُّبَيْرِ وَمَنْ طَلَدُ
قَوْلِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ
وَقَالَ أَيْضًا [من البسيط] :

فَلَيَأْتِ مَأْسَدَةٌ^(٢) فِي دَارِ عَثْمَانَا
يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنَا
قَدْ يَنْفَعُ الصَّبْرُ فِي الْمَكْرُوهِ أحيانَا
اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عَثْمَانَا^(٤)

مَنْ سَرَّهُ الْمَوْتُ صِرْفًا لَا مِرَاجَ لَهُ
ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُثْوَانُ السُّجُودِ بِهِ
صَبْرًا فِدَى لَكُمْ أُمَى وَمَا وَلَدَتْ
لَتَسْمَعُنَّ وَشِيكَا فِي دِيَارِكُمْ^(٣)

ورثته زوجته بنت الفرافصة التي كفها [من الطويل] :

قَتِيلُ التَّجِيبِ الَّذِي جَاءَ مِنْ مِضِرٍ
وَقَدْ عَيَّيُوا عَنَّا فُضُولَ أَبِي عَمْرٍو

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ
فَمَا لِي لَا أَبْكِي وَتَبْكِي قَرَابَتِي
وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ [من الطويل]

كَصَدْعِ الصَّفَا مَا يَرْمِضُ الدَّهْرُ شَائِبَةً
وَسَيْفِ ابْنِ أَرْوَى عِنْدَكُمْ وَخَزَائِنُهُ
وَلَا تَنْهَبُوهُ لَا تَحِلُّ نَهَابُهُ^(٥)

بَنِي هَاشِمٍ إِنَّا وَمَا كَانَ بَيْنَنَا
بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ الْمَوَدَّةُ بَيْنَنَا
بَنِي هَاشِمٍ رُدُّوا سِلَاحَ ابْنِ أُخْتِكُمْ

(١) وبعد هذا البيت في تاريخ الإسلام: [من الطويل]

وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس إديار النعام الجوافل

ينظر تاريخ الإسلام (٤٦١/٣-٤٦٢) والبدية والنهاية (١٩٦/٧) والاستيعاب (٣/

٨٢)، وديوان كعب بن مالك (٣٠٩)، والأغاني (٢٣٣/١٣) .

(٢) في تاريخ الإسلام: مادة.

(٣) في التاريخ: ديارهم.

(٤) ينظر ديوان حسان (٩٦/١) وتاريخ الإسلام (٤٦٢/٣) .

(٥) في أنساب الأشراف: مناهبه.

عَدَزْتُمْ بِهِ كَيْمَا تَكُونُوا^(١) مَكَانَهُ كَمَا عَدَرْتُ يَوْمًا بِكِسْرَى مَرَايِبَهُ^(٢)

فأجابه عتبة بن أبي لهب - رضى الله عنه - [من الطويل] :

فَإِنْ تَسْأَلُونَا سَيْفَكُمْ إِنَّ سَيْفَكُمْ أَضْيَعُ وَأَلْقَاهُ لَدَى الرُّوعِ صَاحِبُهُ

سَلُّوا أَهْلَ مِصْرٍ عَنْ سِلَاحِ ابْنِ أُخْتِنَا فَهُمْ سَلَبُوهُ سَيْفَهُ وَخَزَائِبُهُ

وَكَانَ وَلِيَّ الْأَمْرِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَلَيْنَا وَفِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ صَاحِبُهُ

عَلَيَّ إِلَى أَنْ أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَأَنْتَ مَعَ الْأَشْقِيَيْنِ فَيَمَنْ يَحَارِبُهُ

وَأَنْتَ أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ صَنْوَانَ نَازِحٌ فَمَا لَكَ فِينَا مِنْ حَمِيمٍ تُعَاتِبُهُ

وَقَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ أَنَّكَ فَاسِقٌ فَمَا لَكَ فِي الْإِسْلَامِ سَهْمٌ تُطَالِيَهُ

قال ابن لهيعة: عن يزيد بن أبي حبيب قال: بلغني أن الركب الذين ساروا إلى

عثمان عامتهم جُتُوا والعياذ بالله^(٣).

وروى عمر بن علي بن الحسين عن أبيه قال: قال مروان: ما كان في القوم أذفع

عن صاحبنا من صاحبكم، يعنى: عليا عن عثمان. قال فقلت: ما بالكم تسبون عني

المنابر؟ قال: « لا يستقيم الأمر إلا بذلك »^(٤). رواه ابن خيثمة بإسناد قوى عن

عمر وكان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثون ألف ألف درهم وخمسون ومائة ألف

دينار.

وقال الليث بن أبي سليم: عن طاوس، عن ابن عباس سمع عليا يقول: والله

ما قتلت عثمان ولا أمرت، ولكن غلبت. يقول ذلك ثلاثا. وجاء نحوه عن علي من

طرق. وجاء عنه أنه لعن قتلة عثمان^(٥).

وقال قتادة: ولي عثمان ثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يوما^(٦).

وقال السدّي: قتل يوم الجمعة لثمان خلون من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين

بعد العصر، ودفن به « البقيع » بين العشاءين ليلة السبت وهو ابن اثنتين وثمانين سنة،

(١) ويروي في أنساب الأشراف: هم قتلوه كي يكونوا .

(٢) ينظر أنساب الأشراف (٢٢٨/٦) .

(٣) ينظر تاريخ الإسلام (٤٦١/٣) .

(٤) ينظر تاريخ الإسلام (٤٦١-٤٦٠/٣) .

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦٠/٣) من طريق الليث . وينظر تاريخ الإسلام (٣/٤٦١) .

(٦) ينظر سبل الهدى والرشاد (٢٧٧/١١) وتاريخ خليفة (١٣٢) .

وهو الصحيح^(١)، وقيل: ست وثمانين. واختلف في مدة الحصار فقليل أكثر من عشرين يوما^(٢)، وعن عبد الله بن فروخ شهادته دفن في ثيابه بدمائه ولم يغسل، رواه عبد الله بن أحمد في «زيادات المسند»^(٣)، وخرجته نائلة وهي تصرخ ومعها سراج فقال لها جبير بن مطعم: أطفئي السراج لا يُفطن لنا. ثم انتهوا إلى البقيع، فصلى عليه جبير بن مطعم، وخلفه أبو جهم بن حذيفة، ونيار بن مكرم وزوجاته نائلة وأم البنين وهما دلياه في حفرة على الرجال الذين نزلوا في قبره، ولحدوا له وغبوا قبره وتفرقوا^(٤).

والمكان الذي دفن فيه يقال له: حش كوكب، أى: بستان رجل يسمى: كوكبا، خارج البقيع أو في طرفه الأقصى. وروى أن نائلة بنت الفرافصة كانت مليحة الثغر جدا فكسرت ثناياها بحجر، وقالت: والله لا يجتليكن أحد بعد عثمان، رضى الله تعالى عنه.

وقال حسان بن ثابت [من البسيط]:

يَا لِلرَّجَالِ لِأَمْرِ هَاجَ لِي حُزْنًا لَقَدْ عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْكِي عَلَى الدَّمَنِ
إِنِّي رَأَيْتُ وَلِيَّ اللَّهِ مُضْطَهَدًا عُثْمَانُ يَهْوَى إِلَى الْأَجْدَاثِ فِي كَفَنِ^(٥)
[ومن المتقارب]:

لَعَمْرُ أَبِيكَ فَلَا تَكْذِبْنَ لَقَدْ ذَهَبَ الْخَيْرُ إِلَّا قَلِيلًا
لَقَدْ سَفِهَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ وَخَلَّى ابْنُ عَقَّانَ شَرًّا طَوِيلًا^(٦)

قال العلامة ابن الجوزي في «المنتخب»: قال شعبة: أخبرني عبد الرحمن، سمعت أبي يقول: سمعت عليا - رضى الله تعالى عنه - يقول: قتل الله عثمان وأنا معه، قال أبو حمزة: فذكرته لابن عباس فقال صدق علي، يقول: الله قتل عثمان ويقتلني معه.

(١) ينظر تاريخ خليفة (١٣١) والطبقات الكبرى (٥٧/٣).

(٢) وقال الواقدي: حاصروه تسعا وأربعين يوما وقال الزبير: حاصروه شهرين وعشرين يوما. ينظر الاستيعاب (١٧٩٧).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٢٧/١).

(٤) ينظر الاستيعاب (١٧٩٧) والطبقات (٥٧/٣).

(٥) ينسب هذا لكعب بن مالك. ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١٧٩٧).

(٦) ينظر المصدر السابق.

وقد روى شعبة عن حبيب بن الزبير عن عبد الرحمن بن الشرود أن عليا - رضى الله عنه - قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣] ^(١)، وقال عبد الله بن شاذب: حدثني زهدم الحرمي، قال: كنت في سمر عند ابن عباس فقال: لأحدثنكم حديثا: إنه لما كان من أمر هذا الرجل - يعني: عثمان - ما كان. قلت لعلي: اعتزل هذا الأمر فوالله لو كنت في جحر لأتاك الناس حتى يبائعوك وايم الله ليتأمرن عليه معاوية، ذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا ﴾ [الإسراء: ٣٣] ^(٢) الآية، كما قال في «الرياض». وعن محمد بن عبد الله أن الحكم بن عبد الملك بن مروان قال: لما قتل عثمان ألقى على المذيلة. قال سهم بن حبيش - وكان ممن شهد مقتل عثمان - : فلما أمسينا قلت لئن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به فلما كان من الليل أتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى، وحكيم بن حزام، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن الزبير، وجدى مروان بن الحكم، فاحتملوه فلما ساروا به إلى المقبرة ليدفنوه فإذا هم بقوم من بنى مازن فقالوا: والله لئن دفنتموه هنا لنخبرن الناس غدا فاحتملوه وكان على الباب وإن رأسه يقول طق طق حتى صاروا به إلى «حش كوكب» فاحتفروا له، فلما أخرجوه ليدفنوه صرخت ابنته عائشة وكان مصباح في حق، فقال لها ابن الزبير: لئن لم تسكتي لأضربن الذى فيه عينك، فسكتت فدفنوه خرجه القلعي ^(٣).

قال: ولما حملناه وسرنا غشيننا سواد من خلفنا فهبناهم حتى كدنا نفر منهم فإذا مناد: لا روع عليكم اثبتوا، فإنا جئنا نشهده معكم. وكان ابن خنيس يقول: هم الملائكة. أخرجه ابن الضحاك ^(٤). وعن هارون بن يحيى أن عثمان جعل يقول حين ضرب والدماء تسيل على لحيته: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم إني أستعينك وأستعذك على جميع أمورى، وأسألك الصبر على بليتى ^(٥).

(١) له طرق أخرى عند الطبري في تفسيره (٢٥٠/٧) وينظر الدر المنثور (١٨٨/٤-١٨٩) والرياض النضرة (٤٨/٣).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٢٨/٤) وعزاه للطبراني وابن عساكر.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (١٦١/٣) وينظر الرياض النضرة (٧٤/٣).

(٤) ينظر الرياض النضرة (٧٥/٣).

(٥) ينظر الرياض النضرة (٧٢/٣).

الآيات في شأن عثمان رضى الله عنه

منها قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مِمَّا وَلَا أَدَى ﴾ [البقرة: ٢٦٢] الآية، عن أبي سعيد الخدرى: أنها نزلت في عثمان، رضى الله تعالى عنه^(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. الآية، عن محمد بن حاطب قال سمعت عليا - رضى الله تعالى عنه - يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى ﴾ [الأنبياء: ١٠١] عثمان. خرجه الحاكمى^(٢).
ومنها عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦] هو عثمان. خرجه البخارى^(٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَاتَاءَ الْإِنِّلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةً رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٩] عن ابن عمر قال: إنها نزلت فى عثمان - رضى الله تعالى عنه - . خرجه الواحدى فى « الفضائل »^(٤).

الأحاديث فى شأن عثمان رضى الله تعالى عنه

الحديث الأول: عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال: هاجر إلى أرض الحبشة عثمان - رضى الله عنه - وخرج معه بابة رسول الله ﷺ رقية، فلما أبطأ عليه خبرهما جعل يتوكف الأخبار، فقدمت امرأة من قريش من الحبشة، فسألها رسول الله ﷺ عنهما فقالت: أنا رأيتهما. فقال - عليه الصلاة والسلام - : على أى حال رأيتهما ؟ قالت: رأيتهما وقد حملها على حمار وهو يسوق بها. فقال النبى ﷺ : « صحبهما الله ، إن كان عثمان أول من هاجر إلى الله عز وجل » . أخرجه خيشمة بن

(١) ينظر أسباب النزول للواحدى (١٧١) .

(٢) أخرجه الطبري فى تفسيره (٩٠/٨) رقم (٣٤٨٣٠) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤/٦٠٩) وزاد نسبه إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد .

(٣) ليس عند البخارى فى صحيحه كما يوهم كلام المصنف بل هو فى التاريخ الكبير كما عزاه إليه السيوطى فى الدر المنثور (٤/٢٣٥) . وعزاه أيضا لابن سعد وابن أبى شيبة وابن أبى حاتم وابن مردويه والضياء فى المختارة .

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٥٦) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٥/٦٠٤) وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه وابن عساكر .

سليمان والملا في « سيرته »^(١).

الحديث الثاني: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله أوحى إلي أن أزوج كريمتي عثمان بن عفان » خرجه الطبراني. وفي رواية: « بنتي »، يعني: رقية، وأم كلثوم^(٢).

الحديث الثالث: عن أبي هريرة قال: لقي النبي ﷺ عثمان بن عفان عند باب المسجد فقال: « يا عثمان هذا جبريل أخبرني أن الله قد أمرني أن أزوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها ». أخرجه ابن ماجة القزويني، وأبو سعيد النقاش^(٣). وفي رواية ابن عباس: « والذي نفسى بيده لو أن عندى مائة تموت واحدة بعد واحدة زوجتك أخرى حتى لا يبقى من المائة شيء »^(٤).

الحديث الرابع: عن أبي هريرة قال: دخلت على رقية بنت رسول الله ﷺ امرأة عثمان وفي يدها مشط فقالت خرج من عندى رسول الله ﷺ أنفاً رجلت رأسه فقال: كيف تجددين أبا عبد الله ؟ قلت: خير الرجال. قال: أكرمه فإنه من أشبه أصحابي بى خلقاً^(٥).

الحديث الخامس: أخرج الملا عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: « إن عثمان بن عفان أشبه الناس بى خلقاً وخلقاً وديناً وسمتاً وهو ذو النورين، زوجته ابنتى وهو معى فى الجنة كهاتين » وحرك السبابة والوسطى^(٦).

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٥٩٦/٢) رقم (١٣١١) من حديث أنس .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥٠١) من طريق محمد بن حرب النشائي نا عمير بن عمران الحنفي عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس به وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج إلا عمير بن عمران تفرد به محمد بن حرب وقال الهيثمي في المجمع (٨٦/٩): رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه عمير بن عمران الحنفي وهو ضعيف بهذا الحديث وغيره . وينظر مجمع البحرين (٣٦٧٥) .

(٣) أخرجه ابن ماجة (١١٠) من طريق عثمان بن خالد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة، به . وقاله البوصيري في الزوائد (٦٦/١): هذا إسناد ضعيف فيه عثمان بن خالد وهو ضعيف باتفاقهم . ١ هـ وعبد الرحمن بن أبي الزناد لين الحديث أيضاً .

(٤) ذكره الهندي في كثر العمال (٣٢٨١٤) وعزاه إلى ابن عساكر عن ابن عباس .

(٥) ذكره الهيثمي في المجمع (٨٤/٩) وقال: رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الله يروى عن المطلب ولم أعرفه وبقيّة رجاله ثقات .

(٦) ذكره المحب الطبري في الرياض النضرة (١٢/٣) وعزاه للملا في سيرته .

الحديث السادس: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «عثمان أحب أمتي وأكرمها»^(١).

الحديث السابع: عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعا في بيته كاشفا عن فخذه أو عن ساقه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال فحدثه، ثم استأذن عمر فأذن له، وهو على تلك الحالة فحدثه، ثم استأذن عثمان، فجلس - عليه الصلاة والسلام - وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرجوا قلت: يا رسول الله، دخل أبو بكر فلم تهش له ولم تبال به، ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تبال به، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك. فقال - عليه الصلاة والسلام -: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» خرجه أحمد ومسلم وأبو حاتم^(٢).

الحديث الثامن: عنها أيضًا قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «وددت لو أن عندي بعض أصحابي. قالت: فقلت: يا رسول الله ألا ندعو لك أبا بكر؟ فسكت. قالت: فقلنا: عمر؟ فسكت. قالت: فقلنا: عثمان؟ قال: «نعم» فأرسلنا إلى عثمان. خرجه الترمذي^(٣).

الحديث التاسع: عن عبد الرحمن بن خباب قال: شهدت رسول الله ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان فقال: يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض - عليه الصلاة والسلام - على الجيش، فقام عثمان فقال: يا رسول الله مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. فأنا رأيت رسول الله ﷺ عند المنبر وهو يقول: «ما على عثمان ما فعل بعدهن، ما على عثمان ما فعل بعدهن» خرجه الترمذي^(٤).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥٦/١) وينظر كثر العمال (٣٢٨٠٦).

(٢) أخرجه أحمد (٧١/١، ١٥٥/٦) وفي الفضائل (٤٩٣) وأخرجه مسلم (٢٤٠١) وأبو يعلى (٤٨١٥) وابن حبان (٦٩٠٧) والبيهقي (٢٣٠-٢٣١) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧١١) وابن ماجه (١١٣) والحاكم (٩٩/٣) وابن سعد (٦٦-٦٧/٣) وأحمد (٦٩، ٥٨/١) وابن حبان (٦٩١٨) وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٠٠) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٧٥/٤) وعبد بن حميد في المنتخب من المسند (٣١١) من حديث عبد الله بن خباب وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

وقال أبو عمر: جهز عثمان جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا وأتم الألف بخمسين فرسا. وفي رواية عن قتادة: حمل على ألف بعير وسبعين فرسا^(١).
 الحديث العاشر: عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بعشرة آلاف دينار في كفه حين جهز جيش العسرة؛ فصبها في حجره - عليه الصلاة والسلام -، فرأيته - عليه الصلاة والسلام - يقلبها في حجره ويقول: « ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ». خرجه الترمذي وأحمد^(٢).

الحديث الحادي عشر: عن بشر بن بشير السلمي عن أبيه قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكان لرجل من بني غفار بئر يقال لها: « رومة » يبيع القرب منها بمد، فقال له رسول الله ﷺ: تبيعها يبئر في الجنة؟ فقال: يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي بئر غيرها، ولا أستطيع ذلك. قال: فبلغ ذلك عثمان، فاشتراها منه بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال اجعل لي مثل الذي جعلت له عينا في الجنة، فإني قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين^(٣).

الحديث الثاني عشر: عن الأحنف بن قيس قال: انطلقت حاجا فمررت بالمدينة، فبينما نحن بمنزلنا إذ جاءنا جاء، فقال: الناس مجتمعون في المسجد، فانطلقت أنا وصاحبي، فإذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد، قال الأحنف: فتخللتهم حتى قمت عليهم وإذا على بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعد، فلم يكن أسرع مما جاء عثمان عليه مائة صفراء قد قنع بها رأسه فقال: أهنا على؟ قالوا: نعم. قال: أهنا الزبير؟ قالوا: نعم. قال: أهنا طلحة؟ قالوا: نعم. قال: أهنا سعد؟ قالوا: نعم. قال: أنشدكم الله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يتاع مربد بنى فلان غفر الله له فابتعته بعشرين ألفا فأتيت النبي ﷺ فقلت: قد ابتعته، فقال اجعله في مسجدنا وأجره لك؟ فقالوا اللهم نعم. ثم قال:

(١) ينظر الاستيعاب (١٥٧/٣).

(٢) أخرجه أحمد (٦٣/٥) والترمذي (٣٧٠١) من طريق عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة، به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع (١٣٢/٣) وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور وهو ضعيف.

أنشدكم الله الذى لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يتابع بئر رومة غفر الله له فابتعتها بخمسة وثلاثين ألفا فقال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك؟ فقالوا: اللهم نعم. ثم قال: أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر فى وجوه القوم فقال: من يجهز هؤلاء غفر الله له - يعنى جيش العسرة - فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالا ولا خطاما؟ قالوا: اللهم نعم. قال اللهم اشهد ثلاثا. أخرجه الدارقطني وأبو حاتم وأحمد^(١).

الحديث الثالث عشر: أخرج أحمد أن رسول الله ﷺ كان على « حراء » ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك الجبل حتى سقطت حجارته بالحضيض، فركضه - عليه الصلاة والسلام - برجله وقال « اسكن حراء، فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان ». ومثله فى الترمذى إلا أنه ذكر « ثيرا » مكان « حراء »^(٢).

الحديث الرابع عشر: أخرج الترمذى عن أنس قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة فبايع الناس بيعة الرضوان فقال النبى ﷺ: « إن عثمان فى حاجة الله وفى حاجة رسوله » فضرب - عليه الصلاة والسلام - إحدى يديه على الأخرى، وقال: « هذه عن عثمان » فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم^(٣).

ونسبة الحاجة إلى الله تعالى على طريق الاستعارة والتمثيل المعروف فى علم البيان.

الحديث الخامس عشر: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ قوموا بنا نعود عثمان. قلنا: عليل يا رسول الله؟ قال: نعم. فقام ﷺ واتبعناه حتى أتى منزل عثمان فاستأذن فأذن له فدخل ودخلنا فوجدنا عثمان مكبوا على وجهه، فقال له: مالك يا عثمان لا ترفع رأسك؟ فقال: يا رسول الله إني أستحيى يعنى من الله تعالى. قال: ولم ذاك؟ قال: إني أخاف أن يكون على غضبان. فقال - عليه

(١) أخرجه أحمد (٧٠/١) وابن أبي شيبة (٣٩/١٢-٤٠) والنسائي (٢٣٤-٢٣٥) والطبري في: تاريخه (٤٩٧/٤) وابن حبان (٦٩٢٠) عن الأحنف بن قيس.

(٢) أخرجه أحمد (٥٩/١) وفي فضائل الصحابة (٧٥١) والترمذى (٣٦٩٩) والنسائي (٢٣٦/٦) والدارقطني (١٩٩/٤) وابن أبي عاصم في السنة (١٣٠٩) وابن حبان (٦٩١٦).

(٣) تقدم تخريجه فى بداية ترجمة عثمان.

الصلاة والسلام - ألت صاحب بئر رومة، ومجهز جيش العسرة، والزائد فى مسجدى، وباذل المال فى رضا الله ورضائى، ومن تستحى منه ملائكة السماء؟ هذا جبريل يخبرنى عن الله عز وجل أنك نور أهل السماء، ومصباح أهل الأرض، وأهل الجنة.

خرج الملاء عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت فرأى قومًا فقال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. فقال الرجل: يا بن عمر إنى سائلك فحدثنى هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال نعم. قال: تعلم أنه تغيب عن بدر؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدا؟ قال: نعم. قال الرجل: الله أكبر وقام. فقيل لابن عمر إن هذا يقول إنك وقعت فى عثمان. قال: أو قد فعل ذلك؟ قالوا إنه يقول ذلك. قال: فردوه، فردوه. فقال: أعقلت ما قلت لك؟ قال الرجل: نعم سألتك: أشهد عثمان بيعة الرضوان فقلت: لا، وسألتك: أشهد بدرا، فقلت: لا، وسألتك: أكان ممن استرله الشيطان، فقلت: نعم. فقال ابن عمر: أبين لك: أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله تعالى عفا عنه وغفر له.

قلت: يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ إلى قوله ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥] وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته ابنة رسول الله ﷺ رقية وكانت مريضة فتخلف ليمرضها بأمره ﷺ وقال له: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه.

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز بمكة منه لبعثه مكانه فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال - عليه الصلاة والسلام - بعد أن وضع إحدى يديه على الأخرى: «هذه يمينى عنى وشمالى عن عثمان»، قال عثمان - رضى الله عنه -: كانت بيعة الرضوان فى وضرب ﷺ عنى بشماله على يمينه وشمال رسول الله ﷺ خير من يمينى^(١).

قلت: وقول عثمان كانت بيعة الرضوان فى أى يمينى، وذلك أنه قد ورد أن

(١) حديث عثمان بن موهب: أخرجه البخاري (٣٦٩٨) والترمذي (٣٧٠٦) وأحمد (٢/ ١٠١، ١٢٠).

سببها أنه أشيع أن عثمان قتل بمكة قتله المشركون فكان هذا هو السبب في أن دعاهم - عليه الصلاة والسلام - إلى المبايعة فمعنى الظرفية هنا السببية مثل « دخلت النار امرأة في هرة ».

وَزَيْدٌ وَالظَّرْفِيَّةُ اسْتَبَنَ بَا وَفَى وَقَدْ يَبِينَانِ السَّبَبَا
فدخل في جوار أبان بن سعيد بن العاص ابن عمه وحمله على السرج وأردف خلفه، فلما قدم به إلى مكة قال له: طف يا بن عم، فقال عثمان: يا بن عم إن لنا صاحباً لا نبتدع أمراً حتى يكون هو الذى يعمل به فنتبع أثره ﷺ.

الحديث السادس عشر: عن إياس عن أبيه أن النبي ﷺ لما بايع لعثمان بإحدى يديه على الأخرى قال الناس: هنيئاً لأبى عبد الله الطواف بالبيت. فقال - عليه الصلاة والسلام - : « لو مكث عثمان كذا كذا ما طاف حتى أطوف ». أخرجه ابن الضحاك^(١). قلت: قد أشار إلى ذلك البوصيرى صاحب الهمزية بقوله: [من الخفيف]

وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ يَذُنْ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فِنَاءُ
فَجَزَتْهُ عَنْهَا بَبِيعَةٌ رَضُوا نَ يَذُ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْنُضَاءُ
أَذَبَ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الْأَغْ مَالُ بِالتَّرِكِ حَبْدًا الْأَذْبَاءُ

الحديث السابع عشر: عن فاطمة بنت عبد الرحمن عن أمها أنها سألت عائشة وأرسلها عمها فقالت: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان فإن الناس قد شتموه، فقالت عائشة: لعن الله من لعنه، والله لقد كان قاعداً عند نبي الله ﷺ، وإن رسول الله ﷺ مسند ظهره إليّ، وإن جبريل ليوحى إليه القرآن وإنى لأمسح العرق عن جبين رسول الله ﷺ وإنه يقول له: اكتب يا عثيم، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريماً على الله ورسوله. أخرجه أحمد والحاكم^(٢).

الحديث الثامن عشر: روى ابن عساكر وأبو نعيم والطبراني في « الأوسط » عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: « اللهم ارض عن عثمان (ثلاثاً) وفي رواية: « رضيت عن عثمان فارض عنه »، وفي لفظ: « غفر الله لك يا عثمان ما قدمت

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩٠/٩١) رقم (١٤٤) وقال الهيثمي في المجمع (٨٧/٩) وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف وينظر كنز العمال (٣٢٨٧٥).
(٢) أخرجه أحمد (٢٥٠/٦) وابن أبي عاصم في السنة (٥٩٢/٢).

وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائن إلى يوم القيامة»^(١).
الحديث التاسع عشر: أخرج ابن عدى فى «الكامل»، وابن عساكر،
والديلمى، عن ابن عمر: رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «إنا والله لنشبه
عثمان بأينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام»^(٢).

الحديث العشرون: روى ابن عساكر، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن
رسول الله ﷺ قال: «والله ليشفعن عثمان فى سبعين ألفا من أمتى قد استوجبوا النار
حتى يدخلهم الله الجنة»^(٣).

الحديث الحادى والعشرون: روى أبو نعيم، وابن عساكر، عن جابر - رضى الله
تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «عثمان ولى فى الدنيا والآخرة»^(٤) رضى
الله عنه.

الحديث الثانى والعشرون: أخرج ابن عساكر، عن جابر - رضى الله عنه - أن
رسول الله ﷺ قال: «عثمان فى الجنة»^(٥).

الحديث الثالث والعشرون: أخرج الترمذى عن طلحة، وابن ماجة عن أبى هريرة
أن النبى ﷺ قال: «لكل نبى رفيق فى الجنة، ورفيقى فيها عثمان بن عفان»^(٦).
الحديث الرابع والعشرون: أخرج الترمذى وابن ماجة والحاكم وصححه عن

(١) ذكره الهندي فى كنز العمال (٣٢٨٤٢) وعزاه إلى ابن عساكر عن يوسف بن سهل بن يوسف
الأنصاري عن أبيه عن جده . أما اللفظ الثانى فذكره الهندي فى الكنز (٣٢٨٤١) وعزاه لابن
عساكر عن عائشة، ولأبى نعيم وابن عساكر عن أبى سعيد .

(٢) أخرجه ابن عدى فى الكامل (١٧٨٣/٥) والعقيلي فى الضعفاء الكبير (١٧٣/١-١٧٤) وابن
الجوزى فى العلل المتناهية (١٩٦/١) من حديث ابن عمر وضعفوه وذكره الهندي فى كنز
العمال (٣٢٨٣٤) وعزاه إلى ابن عدى والعقيلي وابن عساكر والديلمى .

(٣) ذكره الهندي فى كنز العمال (٣٢٨٧٤) وعزاه إلى ابن عساكر عن ابن عباس .

(٤) ذكره الهندي فى الكنز (٣٢٨٠٣) وعزاه إلى أبى يعلى عن جابر وذكره الحافظ فى المطالب
العالية (٣٩٣٨) وعزاه لأبى يعلى .

(٥) ذكره الهندي فى كنز العمال (٣٢٨٠٤) وعزاه لابن عساكر عن جابر .

(٦) أخرجه الترمذى (٣٦٩٨) من طريق شيخ من بني زهرة عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبى
ذباب عن طلحة بن عبيد الله به وقال الترمذى: هذا حديث غريب ليس إسناده بالقوى وهو
منقطع وأخرجه ابن ماجة (١٠٩) من طريق عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن أبى
هريرة.

مرة بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة فقر بها، فمر رجل مقنع في ثوب، فقال: « هذا يومئذ على الهدى » فقامت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت إليه بوجهي فقلت: هذا ؟ قال: نعم^(١).

الحديث الخامس والعشرون: عن الحسن بن علي - رضى الله عنهما - قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام متعلقا بالعرش، ثم رأيت أبا بكر آخذًا بحقوى رسول الله ﷺ، ثم رأيت عمر آخذًا بحقوى أبي بكر، ثم رأيت عثمان آخذًا بحقوى عمر، ثم رأيت الدم منصبا من السماء إلى الأرض فحدث الحسن بهذا الحديث وعنده ناس من الشيعة فقالوا: ما رأيت عليا ؟ قال: ما كان أحد أحب إليّ أن أراه آخذًا بحقوى النبي ﷺ من علي، ولكن إنما هي رؤيا: فقال لهم أبو مسعود - عقبة ابن عمرو - : إنكم لتجدون على الحسن في رؤيا رآها، لقد كنت مع رسول الله ﷺ في غزاة وأصاب المسلمين جهد حتى عرفت الكآبة في وجوه المسلمين والفرح في وجوه المنافقين، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: « والله لا تغين حتى يأتيكم الله برزق. فعلم عثمان أن الله ورسوله تصدقا، فوجه راحلته فإذا هو بأربعة عشر راحلة فاشتراها وما عليها من الطعام فوجه منها سبعا إلى رسول الله ﷺ ووجه سبعا إلى أهله. فلما رأى المسلمون العير قد جاءت عرف الفرح في وجوههم، والكآبة في وجوه المنافقين، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا ؟ فقالوا: أرسل به عثمان هدية إليك. قال أبو مسعود: فرأيت - عليه الصلاة والسلام - رافعا يديه يدعو لعثمان بدعاء ما سمعته يدعو لأحد قبله ولا بعده مثله: اللهم أعط لعثمان وافعل لعثمان، رافعا يديه حتى رأيت بياض إبطيه. خرجه القزويني الحاكمي^(٢).

الحديث السادس والعشرون: عن أبي سعيد الخدري قال: رمقت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر يدعو لعثمان: « اللهم إني رضيت عن عثمان فأرض عنه » فما زال رافعا يديه يدعو حتى طلع الفجر^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦/٤) والترمذي (٣٧٠٤) من حديث كعب بن مرة .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤٩/١٧) رقم (٦٩٤) . وقال الهيثمي في المجمع (٨٨/٩) وفيه سعيد بن محمد الوراق وهو ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط وفيه رؤيا رآها الحسن ابن علي رضي الله عنهما .

(٣) تقدم تخريجه قريبا .

الحديث السابع والعشرون: عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: مكث آل محمد ﷺ أربعة أيام ما يطعمون شيئاً حتى تضاغوا صبياننا. فدخل رسول الله ﷺ، فقال: يا عائشة هل أصبتم شيئاً بعدى؟ فقلت: من أين إن لم يأتنا الله عز وجل به على يديك؟ فتوضأ وخرج مستخفياً يصلى ههنا مرة وههنا مرة. قالت: فأتى عثمان من آخر النهار فاستأذن، فهممت أن أحجبه، ثم قلت: هو رجل من مكائير الصحابة لعل الله عز وجل إنما ساقه إلينا ليجرى على يديه خيراً، فأذنت له فقال: يا أماء، أين رسول الله ﷺ؟ فقلت: يا بنى ما طعم آل محمد منذ أربعة أيام شيئاً، دخل علي رسول الله ﷺ متغيراً ضامر البطن، فأخبرته بما قال لى وما رددت عليه. قالت: فبكى عثمان، وقال: مقتاً للدين. ثم قال: يا أم المؤمنين ما كنت بحقيق أن ينزل بك بعض الأمر ثم لا تذكرينه لى، ولعبد الرحمن بن عوف، ولثابت بن قيس، ثم خرج فبعث إلينا بأحمال من دقيق، وأحمال من حنطة، وأحمال من التمر وبملوح وثلاثمائة درهم فى صرة. ثم قال: يبطئ هذا عليكم. ثم بعث بخبز وشواء كثير فقال: كلوا أنتم واصنعوا لرسول الله ﷺ حتى يجىء، ثم أقسم على أن لا يكون مثل هذا إلا أعلمته به. قالت ودخل رسول الله ﷺ فقال يا عائشة: هل أصبتم بعدى شيئاً؟ قلت: يا رسول الله قد علمت أنك إنما خرجت تدعو إلى الله عز وجل، وقد علمت أن الله لا يرد سؤالك. فقال: ما أصبتم؟ قلت: كذا وكذا حمل بغير دقيقاً، وكذا وكذا حمل بغير حنطة، وكذا وكذا حمل بغير تمر وثلاثمائة درهم فى صرة، وخبزاً وشواء كثيراً. قال ممن؟ قلت: عثمان بن عفان.

قلت: قد بكى وذكر الدنيا بالمقت وأقسم عليّ أن لا يكون مثل هذا إلا كلمته. فلم يجلس رسول الله ﷺ حتى خرج إلى المسجد فرفع يديه وقال: «اللهم قد رضيت عن عثمان فارض عنه» وكررها ثلاثاً ودعا له كثيراً. أخرجه الحافظ أبو القاسم الدمشقى فى «الأربعين»^(١).

الحديث الثامن والعشرون: عن جابر قال: أتى رسول الله ﷺ بجنازة رجل ليصلى عليه فلم يصل عليه، فقيل: يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا. قال: «فإنه كان يبغض عثمان، فأبغضه الله عز وجل». أخرجه الترمذى^(٢).

(١) ذكره الهندي فى كنز العمال (٣٢٨٤١) وعزاه لابن عساكر عن عائشة.

(٢) أخرجه الترمذى (٣٧٠٩) من طريق محمد بن زياد عن محمد بن هجلان عن أبي الزبير عن =

الحديث التاسع والعشرون: عن عمر - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يوم يموت عثمان تصلى عليه ملائكة السماء » قلت يا رسول الله: عثمان خاصة أو الناس عامة؟ قال: « عثمان خاصة ». خرج الحافظ الدمشقى^(١).

الحديث الثلاثون: أخرج الحافظ ابن بشران عن على بن أبى طالب أنه قال: قلت يا رسول الله من أول من يحاسب يوم القيامة؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: عمر. قلت: ثم من؟ قال: أنت يا على. قلت: يا رسول الله أين عثمان؟ قال: « إنى سألت عثمان حاجة سرا فقضاها سرا، فسألت الله أن لا يحاسب عثمان إلا سرا ».

عن عبد الرحمن بن مهدي قال: كان لعثمان شيثان ليسا لأبى بكر ولا لعمر: صبر نفسه حتى قتل ظلما. وجمعه الناس على مصحف.

عن أنس بن مالك أن حذيفة قدم على عثمان وكان يتمارى أهل الشام فى فتح « أرمينية »، و« أذربيجان » مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أذكر هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفصة: أن أرسلنى بالمصحف ننسخها فى المصحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما أنزل بلسانهم. ففعلوا. وأرسل إلى كل أفق مصحفا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن على كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. خرج البخارى^(٢).

الحديث الحادى والثلاثون: عن عقبة بن عامر الجهنى قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسرى بى دخلت جنات عدن فناولنى جبريل تفاحة فانفلقت عن حوراء عينا مرضية كأن مقادع عينيها أجنحة النسور، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: للخليفة

= جابر به وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ومحمد بن زياد صاحب ميمون بن مهران ضعيف فى الحديث جدا .

(١) أخرجه ابن عساكر (٥/٣٦٤-تهذيب) وذكره الهندي فى الكتز (٣٢٨٧٢) وعزاه إلى أبى نعيم فى فضائل الصحابة وأبى بكر الشافعي فى الغيلانيات والديلمي وابن عساكر .

(٢) أخرجه البخارى (٤٩٨٧) من طريق الزهري عن أنس، به .

المقتول ظلما عثمان بن عفان. خرجه خيثمة بن سليمان، والحاكمي^(١).

الحديث الثاني والثلاثون: عن مرة بن كعب النمري قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة إذ قال: كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي البقر؟ قالوا: فنصنع ماذا يا رسول الله؟ قال عليكم بهذا وأصحابه فاتبعوا هذا وأصحابه. قال فأسرعت حتى عقلت الرجل فقلت: هذا يا نبي الله؟ قال هذا. فإذا هو عثمان بن عفان. خرجه أبو حاتم وأحمد وقال فيه: فأسرعت حتى غبت فلحقت بالرجل، فقلت: هذا يا نبي الله؟ ثم ذكر ما بقى^(٢).

الحديث الثالث والثلاثون: عن أبي حبيبة قال سمعت أبا هريرة وعثمان محصور يستأذن في الكلام فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها تكون فتنة واختلاف. قلنا: يا رسول الله فماذا تأمرنا؟ قال: عليكم بالأمر وأصحابه» وأشار إلى عثمان ابن عفان. خرجه القزويني والحاكمي^(٣).

الحديث الرابع والثلاثون: عن زيد بن أبي أوفى أنه - عليه الصلاة والسلام - دعا عثمان وقال: ادن أبا عمرو فلم يزل يدنو منه حتى ألصق ركبتيه بركبتيه، ثم نظر - عليه الصلاة والسلام - إلى السماء وقال: سبحان الله ثلاث مرات، ثم نظر إلى عثمان وكانت أزراره محلولة فزرها ﷺ بيده ثم قال: اجمع عطفني ردائك على نحرك. قال: إن لك لشأنا في أهل السماء أبا عمرو، وترد عليّ الحوض وأوداجك تشخب دما، فأقول لك: مَنْ فعل بك هذا؟ فتقول فلان وفلان. وذلك كلام جبريل. خرجه أبو الخير الحاكمي، وأبو القاسم الدمشقي^(٤).

الحديث الخامس والثلاثون: أخرج الصوفي عن عبد الله بن عمر أنه - عليه الصلاة والسلام - قال لعثمان: «يا عثمان إن كساك الله قميصا وأرادك المنافقون

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٤٦٤/٩) وابن الجوزي في الموضوعات (٦١٤) من طريق عبد الله بن سليمان ثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر به وله طريق آخر عند ابن الجوزي في الموضوعات (٦١٥) وينظر اللآلئ المصنوعة (٣١١/١-٣١٢) والضعفاء الكبير (٣٢٠/٢) واللسان (٤٠٢/٣).

(٢) تقدم تخريجه قريبا.

(٣) أخرجه الحاكم (٤٣٣/٤-٤٣٤) من حديث أبي هريرة وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) ذكره الهندي في الكنز (٣٢٨٦٠) عن عائشة بنحوه وعزاه لابن عساكر.

على خلعه فلا تخلعه، فوالذى نفسى بيده لئن خلعته لا ترى الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط ^(١).

الحديث السادس والثلاثون: عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع عثمان يوم القيامة فى مثل ربيعة ومضر». خرجه الحاكمى القزوينى ^(٢).

الحديث السابع والثلاثون: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يؤتى بعثمان وأوداجه تشخب دمًا، اللون لون الدم، والرائحة رائحة المسك، يكسى حلتين من نور، فينصب له منبر على الصراط فيجوز المؤمنون بنور وجهه وليس لمبغضه منه نصيب». خرجه الملاء فى «سيرته» ^(٣).

الحديث الثامن والثلاثون: عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: رأيت رسول الله ﷺ وضع يده على كتف عثمان فقال: «كيف أنتم إذا قتلتم إمامكم وتجالدتم بأسيا فكم، وورث دهماءكم شراركم، فويل لأمتى إذا فعلوه». خرجه الحاكمى.

الحديث التاسع والثلاثون: عن أبى سهيلة قال: قال عثمان يوم الدار: «إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهدا وإنى صابر عليه» أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح. خرجه أحمد فزاد: قال قيس فكانوا يرونه ذلك اليوم ^(٤).

الحديث الأربعون: عن عبد الله بن سلام قال: أتيت عثمان وهو محصور أسلم عليه، فقال: مرحبًا بأخى مرحبًا بأخى، أفلا أحدثك ما رأيت الليلة فى المنام؟ قلت نعم. قال: رأيت رسول الله ﷺ فقال: حصروك؟ فقلت نعم. فقال عطشوك؟ فقلت نعم. فأدلى دلوا من ماء فشربت حتى رويت، فإنى لأجد بردا بين كتفى وبين قدمى. فقال: إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا. قال ابن سلام: فأصبح صائما وقتل من يومه، رضى الله عنه ^(٥).

(١) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (٥٥٨/٢) رقم (١١٧١) وذكره الهندي فى كتر العمال (٣٢٨٧١) وعزاه للطبراني.

(٢) ذكره الهندي فى كتر العمال (٣٢٨٧٣) وعزاه إلى ابن عساكر عن الحسن مرسلًا.

(٣) ذكره المحب الطبري فى الرياض النضرة (٤٧/٣) وعزاه للملاء فى سيرته.

(٤) أخرجه أحمد (٦٩، ٥٨/١) والترمذى (٣٧١١) وابن حبان (٦٩١٨) وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه الترمذى (٣٨٠٣، ٣٢٥٦) عن عبد الله بن سلام بنحوه.

الحديث الحادى والأربعون: عن أبى ذر عنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال لعثمان: « كيف أنت يا عثمان إذا جئتنى وأوداجك تشخب دما، فأقول من فعل هذا بك ؟ فتقول: بين خاذل وآمر، إذ نادى مناد من تحت العرش: إن الله تعالى قد حكم عثمان فى القاتل والخاذل ». أخرجه الديلمى فى « مسند الفردوس »^(١).

قلت: هذا ما ظفرت به مما ورد فى شأنه خاصة. وأما ما ورد فى شأنه مع الاثنين أو مع الثلاثة أو مع الأربعة أو مع العشرة فلم أورد منه. وكذلك ما ورد فى نعتة ومناقبه من الأحوال الجميلة، والمناقب الجليلة، وصلاته وصيامه، وإعتاقه الألوف رجالا ونساء، وختمه القرآن فى ركعة واحدة وغير ذلك، فلم أورد منه شيئا، وكذا ما قيل فيه من الثناء من الصحابة، والسلف فلم أورد منه شيئا؛ لكثرة وشهرته فى موضعه من الكتب المفردة لذلك.

ذكر أولاده رضى الله عنه

كان له من الولد ستة عشر: تسعة ذكور، وسبع إناث. أما الذكور فعبد الله الأكبر أمه فاختة بنت غزوان وبه كان يكنى. وعبد الله الأصغر أمه رقية بنت رسول الله ﷺ هلك صغيرا، وقيل بلغ ست سنين فنقره ديك فى عينه فكان سبب موته. وعمرو وكان أسنهم وبه كان يكنى بعد عبد الله الأكبر، وهو - يعنى عمرا - أكثرهم عقبا، وتوفى بمنى. وخالد وهو الذى كان بيده المصحف الذى قطر عليه دم عثمان حين قتل. وأبان شهد الجمل مع عائشة، وعقبه كثير. وعمرو له عقب أيضا أمهم بنت جندب بن الأزد. وسعيد والوليد أمهما فاطمة بنت الوليد وعبد الملك أمه أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارى. وأما الإناث فمريم أخت عمرو لأمه. وأم سعيد أخت سعيد لأمه وعائشة. فأم أبان وأم عمرو وأمهن رملة بنت شيبه بن ربيعة، ومريم أمها نائلة بنت الفرافصة، وأم البنين وأمها أم ولد^(٢).

وفى « دول الإسلام » كانت مدة خلافته رضى الله عنه اثنتى عشرة سنة وأحد عشر يوما أو أربعة عشر يوما.

(١) ينظر فردوس الأخبار (٤٩١٥).

(٢) ينظر صفة الصفوة (١/١٥٤-١٥٥).

وقال فى « الرياض » : قال ابن إسحاق كانت مدة خلافته اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يومًا، وقيل : وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل : ثمانين سنة، وقيل : ست وثمانين سنة، قال قتادة : وقيل ثمان وثمانين، وقيل : ابن تسعين .
قال الواقدى : لا خلاف عندنا فى القول الأول أنه الأصح رضى الله عنه^(١) .

* * *

(١) ينظر الرياض النضرة (٣/ ٧٦) .

خلافة أمير المؤمنين أبى الحسين على بن أبى طالب رضى الله عنه^(١)

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أقربهم إلى رسول الله ﷺ نسباً يجتمع معه - عليه الصلاة والسلام - فى عبد المطلب الجد الأدنى، وينسب إلى هاشم، فيقال: القرشى الهاشمى، ابن عم رسول الله ﷺ لأبويه، وأخوه بالمؤاخاة، وصهره على ابنته، وأبو السبطين، وأول هاشمى ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بنى هاشم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين، والسابقين إلى الإسلام، لم يسجد لصنم قط، وبات ليلة الهجرة على فراشه ﷺ يقيه بنفسه، وخلفه بمكة؛ ليرد الودائع التى كانت عنده ﷺ، وكان يحمل راية رسول الله ﷺ العظمى فى القتال فيتقدم بها فى نحر العدو، وشهد معه المشاهد كلها وأبلى فيها بلاءً حسناً، وبايعه على الموت، وكان أشجع الناس ما بارز أحداً قط إلا قتله، وكان إذا ورد عليه مال لم يترك منه شيئاً حتى يقسمه، وكان يكنس بيت المال ليصلى فيه، ولا يخص بالولايات إلا أهل الديانات، وكان - عليه الصلاة والسلام - إذا لم يغز بنفسه لم يعط سلاحه إلا علياً، وشهد له - عليه الصلاة والسلام - بالشهادة فى تحريك جرّاء.

روى أن معاوية قال لضرار يا ضرار، صف لى علياً. قال: أعفنى يا أمير المؤمنين. قال معاوية: لتصفته. قال ضرار: أما إذ لابد من وصفه: كان - والله - بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، وتتفجر ينابيع العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس إلى الليل ووحشته، كان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيئنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هية له، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله ولا يئأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته فى بعض

(١) ينظر: طبقات ابن سعد (١٣/٣) وتاريخ البخاري الكبير (٢٥٩/٦)، وتاريخ بغداد (١/ ١٣٣-١٤١) والاستيعاب ت (١٨٧٥)، وأسد الغابة ت (٣٧٨٩)، وصفة الصفوة (١/ ١٦٢) وتهذيب الكمال (٤٧٢/٢٠)، وتهذيب التهذيب (٣٣٤/٧)، والإصابة (٤/٤٦٤)، وغيرها كثير.

مرافقه - وقد أرحى الليل سدوله، وغارت نجومه - قابضاً على لحيته، يتململ
تتململ السليم، ويبكى بكاء الحزين، ويقول: « يا دنيا غرى غبرى، ألى تعرضت أم
إلى تشوقت، يا صفراء اصفرى، ويا بيضاء بيضى، هيهات قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة
لى فيك، فعمرك قصير، وخطرك حقير، آه، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة
الطريق ». قال: فبكى معاوية، وقال: « رحم الله أبا حسن كان - والله - كذلك،
فكيف حزنكم عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح واحداً في حجرها^(١).

أخرج الدولابى وأبو عمرو قال ابن عباس: أعطى عليّ تسعة أعشار العلم، والله
لقد شاركهم فى العشر الباقي، وإذا ثبت لنا الشيء عن على لم نعدل عنه إلى
غيره^(٢).

روى ابن المنذر وابن أبى حاتم عن بعجة بن عبد الله الجهنى قال تزوج رجل
امراً [فولدت له غلاماً لسته أشهر، فاتهما]؛ فأمر عثمان برجمها فبلغ ذلك علياً -
رضى الله عنه - فأتاه فقال له: ما تصنع؟ قال عثمان ولدت غلاماً لسته أشهر وهل
يكون ذلك؟! فقال له على: أما سمعت الله يقول: ﴿ وَحَلَّمْ وَفَصَلَّمْ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾
[الاحقاف: ١٥]، وقال ﴿ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]،
فلم نجده بقى إلا ستة أشهر، فقال عثمان: والله ما فطنت لهذا، عليّ بالمرأة،
فوجدما قد فرغ منها، وكان من قولها لأختها: يا أختى لا تحزنى، فوالله ما كشفت
ثوبى لأحد قط غيره. وقال: فشب الغلام بعد فاعترف به الرجل، وكان أشبه الناس
به قال: فرأيت الرجل بعد يتساقط عضوا عضوا عياذا بالله^(٣).

قال سعيد بن المسيب: لم يكن أحد يقول: « سلونى » غير على بن أبى طالب
رضى الله عنه^(٤)، وهو أول من أسلم وأول من صلى، وأجمعوا أنه صلى إلى
القبليتين، وهاجر، ولم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام علياً، وكان يكنى أبا حسن،

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/٨٤-٨٥) وابن عبد البر فى الاستيعاب (٣/٢٠٩) وذكره ابن
الجوزي فى صفة الصفوة (١/١٦٦).

(٢) ذكره الحافظ فى الإصابة (٤/٤٦٧) مختصراً وكذا ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب (٣/٢٠٧).

(٣) ذكره السيوطي فى الدر المنثور (٦/٩) وعزاه لابن المنذر، وابن أبى حاتم.

(٤) أخرجه ابن عبد البر فى الاستيعاب (٣/٢٠٦).

وسماه رسول الله ﷺ صديقاً، وكان يكنى أبا قثم وأبا تراب كناه النبي ﷺ بهما، وكانت أحب الكنى إليه. وما أحسن قول بعضهم [من الوافر] :
 إِذَا مَا رَمَدَتْ عَيْنِي فَكُحِّلِي تُرَابٌ مَسَّ نَعْلَ أَبِي تُرَابٍ
 هُوَ الْبُكَاءُ فِي الْمِحْرَابِ لَيْلًا هُوَ الضَّحَاكُ فِي يَوْمِ الضَّرَابِ
 أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. قال أبو عمرو: هي أول هاشمية ولدت هاشمياً، أسلمت ودفنت بالمدينة، وشهدها رسول الله ﷺ، وتولى دفنها، وأشعرها قميصه، وأضجعها في قبرها.

وروى الطبراني في الكبير والأوسط برجال الصحيح عن أنس بن مالك قال: ماتت فاطمة بنت أسد: أم علي بن أبي طالب - رضى الله تعالى عنه - فَدَخَلَ عَلَيْهَا رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها، فقال: رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني، تريدن بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثم أمر أن تغسل ثلاثاً ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكب رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلماً أسوداً يحفرون قبرها، فلما بلغوا اللحد حفر رسول الله ﷺ فأخرج ترابه، ثم لما فرغ اضطجع فيه، ثم قال: الله الذي يحيى ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين، وكبر عليها أربعاً، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق^(١).
 قال ابن عباس فلما سوى عليها التراب قيل: يا رسول الله، رأيناك صنعت شيئاً لم نرك صنعته لأحد، فقال: إني ألبستها قميصي؛ لتلبس من ثياب الجنة، واضطجعت في قبرها؛ لأخفف عنها من ضغطة القبر، إنها كانت أحسن خلق الله إليّ صنعاً بعد أبي طالب^(٢).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣١٥/٢٤) رقم (٨٧١) وفي الأوسط [٣٨٤١-مجمع البحرين] ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١٢١/٣) وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٠/٩) وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان، والحاكم، وفيه ضعف، وبقيته رجاله رجال الصحيح .
 (٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٨٤٠-مجمع البحرين) . وقال الهيثمي (٢٦٠/٩): فيه سعدان بن الوليد ولم أجده وبقيته رجاله ثقات .

ولد - رضى الله عنه - وأبوه غائب، فسمته أمه حيدرة: وهو اسم الأسد، فلما قدم أبوه كره هذا الاسم، وسماه: عليًا.

صفته - رضى الله عنه -: كان رضى الله تعالى عنه فوق الربعة من الرجال، أدهج العينين عظيمهما، حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر، ضخم البطن، عظيم المشاش، ضخم الذراعين، عظيم اللحية قد ملأت صدره، إن عاينته من قريب قلت أسمر، أصلع شديد الصلع^(١).

عن أبى سعيد الرسمى قال: كنا نبيع الثياب على عواتقنا فى السوق، فإذا رأينا عليًا قد أقبل قلنا « بَزْزَكَ شَكَم » فيقول عليّ: ما تقولون ؟ قلنا نقول: عظيم البطن. قال أجل، أعلاه علم وأسفله طعام^(٢).

وكان عظيم المنكبين لمنكبيه مشاش كمشاش السبع الضارى، لا يبين عضده من ساعده قد أدمج إدماجًا، شثن الكفين، عظيم الكراديس، أصلع ليس فى رأسه شعر إلا من خلفه.

وعن أبى لييد قال: رأيت على بن أبى طالب يتوضأ، فحسر العمامة عن رأسه، فرأيت رأسه مثل راحتي، عليه مثل خط الأصابع من الشعر.

وعن الشعبى أنه قال: رأيت على بن أبى طالب ورأسه ولحيته قطنة بيضاء، وكان إذا مشى تكفأ، وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بنفسه، فلم يستطع أن يتنفس، وهو قريب إلى السمن، شديد الساعد واليد، وإذا مشى إلى الحرب هروا، ثبت الجنان، ما صارع قط أحد إلا صرعه، ما اعتلى ضريبة إلا قد، ولا اعترض إلا قط، شجاع منصور على من لاقاه رضى الله عنه.

عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن: أنه بلغه أن على بن أبى طالب والزبير أسلما، وهما ابنا ثمان سنين^(٣).

وقال ابن إسحاق: أسلم وهو ابن عشر سنين، وعن الحسن أسلم على، وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل: أربع عشرة، وهو يختلف إلى الكتاب له ذؤابة. حكاها

(١) ينظر طبقات ابن سعد (٣/١٨-٢١) ومعجم الطبراني الكبير (١/٩٣-٩٥) وصفة الصفوة (١/١٦٢)، ومعجم الزوائد (٩/١٠٣-١٠٤).

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٣/١٩).

(٣) ينظر الاستيعاب (٣/٢٠٠).

الجندي^(١).

عن عاصم بن عمر قال: لقي عمر بن الخطاب على بن أبي طالب، فقال: يا أبا الحسن، نشدتك بالله هل كان رسول الله ﷺ ولاك الأمر؟ قال: إن قلت لك، فماذا تصنع أنت وصاحبك؟ فقال: أما صاحبي فقد مضى، وأما أنا فوالله لأخلعنها من عنقي في عنقك، فقال على: جدع الله أنف من أبعدك من هذا، ولكن رسول الله ﷺ جعلني علمًا، فإذا أنا مت فمن خالفني ضل. أخرجه السمان في الموافقة.

عن محمد ابن الحنفية قال: أتى رجل وعثمان محصور، فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة. قال: فقام على، قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفًا، فقال: حل لا أم لك، قال فأتى على الدار وقد قتل الرجل، فأتى داره فدخلها وأغلق بابها، فأتاه الناس فضربوا على الباب ودخلوا، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من خليفة، وإنه لم تر أحدًا أحق بها منك، فردد، فأبوا. قال: فإذا أبيت على فإن بيعتي لا تكون سرًا، ولكن اتتوا المسجد، فمن شاء أن يبايعني بايعني، فخرج إلى المسجد، فبايعه الناس^(٢).

وعن المسور بن مخرمة قال: قتل عثمان وعلى في المسجد، فمال الناس إلى طلحة، قال: فانصرف على يريد منزله، فلقيه رجل من قريش عند موضع الجنائز، فقال: انظروا إلى رجل قتل ابن عمه وسلب ملكه، قال: فولى على راجعًا لرقى المنبر، فقيل: ذاك عليّ على المنبر، فمال الناس إليه، فبايعوه وتركوا طلحة. أخرجه في المناقب وغيره.

ولا تضاد بين هذا وما قبله، بل يحمل على أن طائفة من الناس أرادوا بيعه طلحة، والجمهور أتوا عليًا في داره، وسألوه فأجابهم على ما تقدم تقريره، فخرج بعد انصرافهم عنه في بعض شتونه، فلما سمع كلام ذلك الرجل خشي الخلف بين الناس، فصعد المنبر في وقته ذلك وبادر إلى البيعة لهذا المعنى لا لحب المملكة، وخشية فواتها؛ فإنه الزاهد فيما سوى الله، ولا قيمة لسماع كلام ذلك الرجل.

(١) ينظر طبقات ابن سعد (٣/١٥)، ومعجم الطبراني الكبير (١/٩٥)، والاستيعاب (٣/١٩٩)، ومعجم الزوائد (٩/١٠٥-١٠٦).

(٢) ينظر تاريخ الطبري (٤/٤٢٧).

قال ابن إسحاق: إن عثمان لما قتل ببيع على بن أبى طالب بيعة العامة فى مسجد رسول الله ﷺ، وبائع أهل البصرة، وبائع له أهل اليمن وبالمدينة طلحة والزبير، واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار، وتخلف عن بيعته نفر، فسئل عنهم، فقال: أولئك قوم قعدوا عن الحق، ولم يقوموا مع الباطل.

ببيع - رضى الله تعالى عنه - يوم السبت تاسع عشر ذى الحجة الحرام من سنة خمس وثلاثين من الهجرة.

قال العلامة الحافظ الذهبي: روى عن أبى حارثة، وأبى عثمان النهدي قالا: لما أتى معاوية الخبر أرسل إلى حبيب بن مسلمة الفهري، فقال: أشر عليّ برجل ينفذ بأمرى ولا يقصر، قال: ما أعرف لذلك غيرى. قال: أنت لها، وجعل على مقدمته يزيد بن شجعة الحميرى فى ألف، وقال: إن قدمت يا حبيب، وقد قتل فلا تدعن أحدًا أشار إليه ولا أعان عليه إلا قتلته، وإن أتاك الخبر قبل أن تصل فأقم حتى أنظر، وبعث يزيد بن شجعة فى ألف على البغال، يقودون الخيل معهم الإبل عليهم الروايا، فأغذ السير فأتاه خبر قتله بقرب خيبر، ثم أتاه النعمان بن بشير معه القميص الذى قتلوه فيه بالدماء، وأصابع نائلة امرأة عثمان قد قطعها السيف حين أرادت الدفاع عنه، والخصلة الشعر من لحية عثمان، أرسلت ذلك أم حبيبة بنت أبى سفيان ابن حرب زوجته عليه الصلاة والسلام، فرجعوا، فلفه معاوية فى القميص على منبر دمشق والأصابع معلقة فيه، فآلى رجال من أهل الشام لا يأتون النساء، ولا يمسون الغسل إلا من حلم، ولا ينامون على فراش حتى يقتلوا قتلة عثمان أو تفنى أرواحهم، وبكوه^(١) سنة فلما كانت سنة ست وثلاثين، كانت فتنة الجمل.

قال العلامة المسعودى فى كتابه المسمى « مروج الذهب ومعادن الجوهر »: قال ابن عباس: قدمت من مكة إلى المدينة بعد قتل عثمان بخمسة أيام، فجئت لأدخل على علي، فقيل لى: عنده المغيرة بن شعبة، فجلست بالباب ساعة، فخرج المغيرة على، وقال: متى قدمت؟ قلت: الساعة، فدخلت على علي، فسلمت عليه، فقال لى: أين لقيت الزبير وطلحة؟ قلت: بالمرافق، وكانا قد استأذنا عليًا فى العمرة،

(١) ينظر تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٥١ - ٤٥٢) وينظر البداية والنهاية (٧/ ٢٥٥).

فقال لهما: لعلكما تريدان البصرة أو الشام، فأقسما أنهما لا يقصدان غير مكة للعمرة، وكانت عائشة بها قد خرجت من قبل حاجة، ثم قال على: ومن معهما؟ قلت: أبو مسعود بن الحارث بن هشام المخزومي في فتية من قريش، فقال على: أما إنهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون: نطلب بدم عثمان، والله يعلم إنهم قتلة عثمان، فقلت له: أخبرني عن شأن المغيرة ودخوله عليك، فقال: جاءني بعد مقتل عثمان بيومين، فقال: إنني ناصح لك، وإنني أشير عليك بإبقاء عمال عثمان، فاكتب إليهم بإبقائهم على أعمالهم، فإذا بايعوك، واطمأن أمرك - عزلت من كرهت، وأبقيت من أحببت، فقلت: والله لا أداهن في ديني، ولا أعطى الرياء في أمري. قال فإن كنت قد أبيت فانزع من شئت، وأثبت معاوية فإن له جرأة وهو في أهل الشام مسموع منه، ولك حجة في إيقائه فقد كان عمر ولاء الشام كلها، وعثمان بعده، فقلت: والله لا أستعمل معاوية يومين، فخرج من عندي على إشارته، ثم عاد إلي بعد يوم، فقال: إنني أشرت عليك بما علمت، فنظرت في الأمر فإذا أنت مصيب لا ينبغي أن تأخذ أمرك بخدعة، ولا يكون لك فيه دلسة.

قال ابن عباس، فقلت لعلني: أما أول ما أشار به عليك: فقد نصحك، وأما الآخر: فقد غشك. وإنني أشير عليك بتثبيت معاوية فإن بايع لك فلك على أن أنقله من منزله. فقال على: والله لا أعطى معاوية إلا السيف حتى يدخل في الحق، وتمثل بقول القائل: [من الطويل]

فَمَا مِثْنَةٌ إِنْ مِثْنَهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بِعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ غَوْلَهَا
فقلت: وهو والله لا يعطيك إلا السيف حتى يغلب بباطله حقك، قال على: وكيف ذاك؟ قلت: إنك تطاع اليوم، وتعصى غدا، وإنه يطاع، ولا يعصى. فلما انتشر على على أصحابه وكان ابن عباس إذ ذاك بالبصرة قال على - كرم الله وجهه - : لله در ابن عباس !! كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق.

وفي رواية: فقلت له بعد تمثله بالبيت: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع، أما سمعت قوله ﷺ: «الحرب خدعة»^(١)؟ قال: بلى، فقلت: أما والله لئن أطلعني

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (١٧-١٧٣٩) من حديث جابر بن عبد الله وأخرجه ابن ماجه (٢٨٣٤) من حديث ابن عباس .

لأصدرن لهم بعد ورد، ولأتركهم ينظرون فى أدبار الأمور كما لا يدرون ما كان وجهها فى غير نقض ولا إثم، فقال لى: يا بن عباس، لست من هناتك ولا هنات معاوية فى شيء، تشير على برأى فيه فإذا عصيتك، فأطعنى، فقلت فأنا أفعل، وأيسر مالك عندى الطاعة، فقال: سر إلى الشام فقد وليتكها. قلت: ما هذا برأى، يضرب عنقى بعثمان؟ وأدنى ما هو صانع أن يخلصنى. قال على: ولم؟ قلت: لقرابتى منك، فإن كل من حمل عليك حمل على، ولكن اكتب إلى معاوية: فمنه، وعذته، فأبى على، وقال: والله لا كان هذا أبدا، ثم تلا ﴿وَمَا كُنْتُمْ مِّنْهُ مَنصُورِينَ﴾ [الكهف: ٥١].

وروى الواقدى عن رجاله قال: كان يعلى بن منية التميمى عامل عثمان على اليمن، فوافى الموسم عام قتل عثمان، فجاء إلى عائشة وهى بمكة للحج، فقال: قد قتل خليفتك الذى كنت تحرصين عليه، فقالت: برئت إلى الله من قاتله. وعن الوليد بن عبد الله قال: قال يعلى بن منية: أيتها الناس، من خرج يطلب بدم عثمان فعلى جهازه، وكان معهم بمكة عبد الله بن عامر بن كريز عامل عثمان على البصرة، فهرب منها لما أخذ البيعة بها لعل على الناس جارية بن قدامة السعدى، وأعطى يعلى بن منبه عائشة أربعمائة ألف درهم، وقال: هذه من عين مالى أقوى بها من طلب بدم عثمان، فبلغ علياً قوله، فقال: من أين له، سرق اليمن، ثم جاء وأعطاهم كراعاً وسلاحاً، والجمل الذى عليه هودجها واسمه عسكر، فلما انكشفوا يوم الجمل هرب يعلى المذكور^(١).

قال الذهبى: لما قتل عثمان سقط فى أيدى أصحاب النبى ﷺ، فبايعوا علياً رضى الله عنه، ثم إن طلحة، والزبير، ومروان، وعائشة، ومن تابعهم من بنى أمية - رأوا أنهم لا يخلصهم مما وقعوا فيه من توانيهم فى نصرته عثمان إلا أن يقوموا فى الطلب بدمه، والأخذ بثأره ممن قتله، فسار طلحة والزبير من المدينة^(٢)، واستأذنا علياً فى العمرة، فقال لهما ما تقدم، فأقسما أنهما يريدان مكة للعمرة، وكانت عائشة بمكة حاجّة، فاجتمعوا ومعهم يعلى بن منية عامل اليمن،

(١) ينظر مروج الذهب (٢/٣٦٣-٣٦٥) وينظر البداية والنهاية (٧/٢٥٥).

(٢) ينظر البداية والنهاية (٧/٢٥٧)، ومروج الذهب (٢/٣٦٦).

(٣) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٣).

وعبد الله بن عامر عامل البصرة، فأرادوا الشام، فصدهم عبد الله بن عامر، وقال: إن معاوية لا ينقاد إليكم ولا يعطيكم من نفسه الظنة، لكن هذه البصرة لى بها صنائع وعدة، فجهزهم بألف ألف درهم، وسار القوم نحوها فى نحو ستمائة راكب، فانتهبوا بالليل إلى ماء لبنى كلاب يعرف بالحوأب، فعوت كلابه على الركب، فسألت عائشة عن اسم هذا الماء، فقيل لها: «الحوأب» فذكرت قوله ﷺ لنسائه وعائشة معهن: «أيتكن صاحبة الجمل الأدب أو الأدب تنبجها كلاب الحوأب تنجو بعد ما كادت؟» فاسترجعت، وقالت: ردونى إلى حرم رسول الله ﷺ، لا حاجة لى فى المسير هذا، فقال لها الزبير: تالله ما هذا بـ «الحوأب» وأشار إلى جبل هناك، ولقد غلط من أخبرك.

فأتوا إلى البصرة، فخرج إليهم عثمان بن حنيف الأنصارى عامل على عليها، فمانعهم، وجرى بينهم قتال، ثم اصطلحوا على ترك الحرب إلى قدوم على، فلما كان بعض الليالى أسروا عثمان، ونبثوا لحيته، وقتلوا سبعين رجلاً، فهم أول من قتل فى الإسلام ظلمًا^(١).

وتشاح الزبير وطلحة فى الصلاة بالناس، ثم اتفقوا لهذا يوم وللآخر يوم، وسار على - رضى الله عنه - من المدينة بعد أربعة أشهر معه أربعة آلاف، حتى انتهى إلى الربرة، وفاته طلحة والزبير، وكان أرادهم، فانصرف حين فاتوه إلى العراق، وأرسل ابنه الحسن وعمار بن ياسر إلى الكوفة؛ يستنفران له الناس، وكتب من الربرة إلى أبى موسى الأشعرى - وكان ولاءه على الكوفة - فقال أبو موسى: إنما هى فتنة،

(١) ينظر مروج الذهب (٣٦٦-٣٦٧/٢) وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم «أيتكن صاحبة الجمل الأدب أو الأدب تنبجها كلاب الحوأب». أخرجه أحمد (٩٧، ٥٢/٦)، وأبو يعلى (٤٨٦٨) وابن حبان (٦٧٣٢)، والبيهقي (٣٢٧٥) والحاكم (١٢٠/٣)، والبيهقي (٤١٠/٦) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلا نبحت الكلاب، قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب قالت ما أظنني إلا أني راجعة فقال بعض من كان معها بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها ذات يوم: «كيف بإحداكن تنبج عليها كلاب الحوأب» وقال ابن كثير فى البداية (٢٣٦/٦) وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجاه. وله شاهد من حديث ابن عباس باللفظ المذكور فى المتن رواه البزار كما فى المجمع (٢٣٧/٧)، وقال الهيثمي رجاله ثقات.

فثبط الناس، فبلغ ذلك عليًا فولى على الكوفة بدله قرظة بن كعب الأنصارى، وكتب إلى أبي موسى: اعتزل عملنا يا بن الحائك مذمومًا مدحورًا، فما هذا أول يومنا منك، وخرج مع الحسن وعمار نحو سبعة آلاف وخمسمائة وستون رجلًا فيهم الأشتر النخعي، وقال عمار لأهل الكوفة: أما - والله - إنى لأعلم أنها - يعنى عائشة - زوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها لينظر أتبغونه أم إياها؟ فخرج القوم مع الحسن وعمار حتى قدموا على على بنى قار - اسم مكان - فسار فى نحو عشرة آلاف، حتى أتى البصرة^(١).

قال أبو عبيدة: كان على خيل علي يوم الجمل عمار بن ياسر، وعلى الرجل محمد بن أبى بكر الصديق، وعلى الميمنة علي بن الهيثم السدوسى، ويقال: عبد الله بن جعفر، وعلى الميسرة الحسين بن على، وعلى المقدمة عبد الله بن عباس، ودفع اللواء إلى ابنه محمد ابن الحنفية، وكان على خيل طلحة والزبير طليحة، وعلى الرجل عبد الله بن الزبير، وعلى الميمنة عبد الله بن عامر بن كريب، وعلى الميسرة مروان بن الحكم، وكان اللواء مع عبد الله بن حكيم بن حزام المخزومى^(٢)، وقال المطلب بن زياد [عن السدى]: شهد مع علي يوم الجمل مائة وثلاثون بدرًا، وسبعمائة من الصحابة، رضى الله تعالى عنهم^(٣).

قلت: ورأيت نقلًا عن الشعبي: أنه بالغ، فقال: لم يشهد الجمل من الصحابة إلا على وعمار وطلحة والزبير^(٤)، وهو مخالف لما نقله الثقات غيره، وذكر عن المنذر ابن أبى الجارود فيما حدث به الفضل بن الحباب الجمحى عن ابن عائشة عن معن ابن عيسى: أنه لما قدم على البصرة دخل مما يلي الطف، قال ابن الجارود: فخرجت، أنظر إليه، فورد فى موكب عظيم وله ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب عليه قلنسوة وثياب بيض متقلدًا سيفًا معه راية، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض مدججين فى الحديد والسلاح، فقلت: من هذا؟ فقيل لى:

(١) ينظر مروج الذهب (٢/٣٦٧-٣٦٨).

(٢) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٤٨٥).

(٣) ينظر السابق ص ٤٨٤، وما بين القوسين منه.

(٤) نقل ابن كثير فى البداية (٧/٢٦١) عن الشعبي قوله: ما نهض معه فى هذا الأمر غير ستة نفر من البدرين ليس لهم سابع، وقال غيره: أربعة.

هذا أبو أيوب الأنصارى خالد بن زيد، وقيل: ابن زيد صاحب رسول الله ﷺ الذى نزل عليه مقدمه المدينة، وأقام فى بيته إلى أن عمر المسجد النبوى، وبيوت نسائه، وهؤلاء الأنصار معه، ثم تلاه فارس آخر عليه عمامة صفراء، وثياب بيض متقلداً سيفاً متنكباً قوساً معه راية على أشقر فى نحو ألف فارس، فقلت: من هذا؟ فقيل لى: هذا حذيفة بن ثابت الأنصارى ذو الشهادتين، ثم تلاه فارس آخر على فرس كميت معتماً بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة بيضاء، وعليه قباء أبيض، متقلداً سيفاً، متنكباً قوساً فى نحو ألف فارس من الناس، ومعه راية، فقلت: من هذا؟ فقيل: أبو قتادة بن ربعى الأنصارى، ثم تلاه فارس آخر على فرس أدهم عليه ثياب بيض، وعمامة سوداء قد مد لها بين يديه، ومن خلفه شديد الأدمة عليه سكينه ووقار رافعاً صوته بالقرآن معه راية فى ألف فارس من الناس مختلفى الألوان والتيجان من شيوخ، وكهول وشيب وشباب عليهم السكينه والوقار، كأنما أوقفوا ليوم الحساب، وأثر السجود فى جباههم فقلت: من هذا؟ فقيل لى: هذا عمار بن ياسر المخزومى فى عدة من الصحابة المهاجرين والأنصار وأبنائهم، ثم تلاه فارس على فرس أشقر، وعليه ثياب بيض، متقلداً سيفاً، تخط رجلاه فى الأرض طولاً فى ألف من الناس الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض، معه راية صفراء، فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى الخزرجى فى عدة من الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان، ثم تلاه فارس آخر على فرس، أشكل ما رأينا أحسن منه عليه ثياب بيض، وعمامة سوداء، أسدلها بين يديه، ومن خلفه، ويده لواء، فقلت: من هذا؟ فقيل لى: هذا عبيد الله بن العباس أخو عبد الله، ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين قبله، فقلت: من هذا؟ قيل: هذا قثم بن العباس.

ثم أقبلت الرايات والمواكب يتلو بعضها بعضاً، واشتبكت الرماح، ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفى الرايات، فى أوله راية عظيمة، فى أوله فارس كأنه قد كسر، وجبر نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، حوله أمم كأنما على رءوسهم الطير، عن يمينه شاب حسن الوجه، وبين يديه شاب مثلهما، قلت: من هؤلاء؟ فقيل لى: هذا على بن أبى طالب، وأما من عن يمينه فالحسن وعن شماله الحسين، وهذا محمد ابن الحنفية بين يديه معه الراية

العظمى، وهذا الذى خلفه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وهؤلاء أولاد عقيل وغيرهم من فتيان بنى هاشم، وهؤلاء المشايخ من أهل بدر الذين شهدوها مع النبى ﷺ من المهاجرين والأنصار، فسار على - رضى الله تعالى عنه - حتى نزل بالموضع المعروف بالزاوية، فصلى أربع ركعات، وعفر خديه فى التراب، وقد خلط ذلك بدموعه، ثم رفع يديه يدعو، ثم بعث رجلاً من أصحابه يقال له: مسلم معه مصحف يدعوهم إلى الله تعالى، فرموه بسهم، فقتلوه، فحمل إلى على، فقالت أم مسلم: [من الرجز]

يَا رَبِّ إِنَّ مُسْلِمًا أَتَاهُمْ يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ لَا يَخْشَاهُمْ
فَحَضَّبُوا مِنْ دَمِهِ لِحَاهُمْ وَأُمُّهُ قَائِمَةٌ تَرَاهُمْ^(١)

ثم إن علياً - رضى الله عنه - راسل القوم وناشدهم، فأبوا إلا القتال فكانت وقعة الجمل.

قال الإمام الذهبى فى « تاريخه »: اصطف الفريقان - وليس لطلحة ولا لعلى رأسى الفريقين قصد فى القتال، بل ليتكلما فى اجتماع الكلمة - فترامى أوباش الطائفتين، وشبت نار الحرب، وثارَت النفوس، وبقي طلحة يقول: أيها الناس أنصتوا. والفتنة تغلى، فقال: أف فراش النار وذباب طمع، وقال: اللهم خذ لعثمان منى اليوم حتى ترضى، إنا داهتاً فى أمر عثمان، كنا بالأمس يدًا على من سوانا، وأصبحنا اليوم جبلين من حديد يزحف أحدهما إلى صاحبه، وقد كان منى فى أمر عثمان ما لا أرى كفارته إلا بسفك دمي^(٢).

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: لما كان على ب « الربذة » متوجهًا إلى البصرة للقتال قام إليه ابنه الحسن، فبكى بين يديه، وقال له: ائذن لى فأتكلم.

قال: تكلم، ودع عنك أن تحن حنين الأمة.

فقال: لقد كنت أشرتُ عليك بالمقام، وأنا أشير به عليك الآن، إن للعرب جولة، ولو رجعت إليها عواذب أحلامها لضربوا إليك آباط الإبل حتى يستخرجوك، ولو كنت فى مثل جحر الضب.

(١) ينظر مروج الذهب (٢/٣٦٨-٣٧٠) وينظر تاريخ الطبري (٤/٥٢٩).

(٢) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٦).

فقال علي: أتراني - لا أبا لك: - كنتُ منتظرًا كما ينتظر الضبع اللدم^(١).
وعن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عم له: أنه لما كان يوم الجمل نادى عليُّ
في الناس: لا تراموا أحد بسهم، وكلوا القوم فإن هذا مقام من فلج فيه فلج يوم
القيامة.

ثم إن القوم نادوا بأجمعهم: يا ثارات عثمان.
قال: وابن الحنفية أماننا برتوة معه اللواء، فمد علي - رضى الله عنه - يديه،
وقال: اللهم كب قتلة عثمان لوجوههم.

ثم إن الزبير قال لأساورة معه: ارموهم ولا تبلغوا، فكأنه إنما أراد أن ينشب
القتال، فلما نظر أصحاب علي إلى الشباب لم ينتظروا أن يقع إلى الأرض وحملوا
عليهم فهزموهم^(٢).

وخرج علي رضى الله عنه بنفسه حاسرًا على بغلة رسول الله ﷺ فنادى: يا زبير
أخرج إلى. فخرج شاكي السلاح حتى التقت أعناق دوابهما فقبل ذلك لعائشة،
فقلت: واخفرتك يا أسماء!

فقبل لها: الزبير شاكي السلاح وعلي حاسر، فاطمأنت قليلًا، فقال له علي:
ويحك يا زبير ما الذى أخرجك؟! قال: دم عثمان.

فقال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان، ثم قال له: أتذكر يا زبير يوم لقيت رسول الله
وضحكك إليه وأنت معه، فقلت: ما يدع ابن أبى طالب زهوه، فقال لك: ليس به زهو،
أتحبه يا زبير؟ فقلت: والله إنى لأحبه، فقال لك: إنك ستقاتله، وأنت له ظالم^(٣).

(١) ينظر تاريخ الطبري (٤/٤٨٥) وتاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٧) والبداية
(٧/٢٦١-٢٦٢) وينظر مستدرک الحاكم (٣/١١٥). واللدّم: صوت الحجر أو الشيء يقع
بالأرض. وكانوا إذا أرادوا صيد الضبع ضربوا جحرها بحجر أو بأيديهم فتحسبه شيئًا
تصيد، فتخرج لتأخذه، فتصايد والمراد: إنى لا أخدع. ينظر: النهاية (لدم).

(٢) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٧ - ٤٨٨).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٦٦٦)، والعقيلي في الضعفاء (٣/٣٥)، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل
المتناهية (٢/٨٤٧) رقم (١٤١٨)، والبيهقي في الدلائل (٦/٤١٥) من طريق عبد الملك بن
مسلم عن أبي جرو سمع عليا وهو يناشد الزبير فذكره وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢٣٨)
فيه عبد الملك بن مسلم قال البخاري: لم يصح حديثه. وأخرجه العقيلي (٣/٦٥) ومن
طريقه ابن الجوزي (١٤١٧) عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد السلام رجل من حية به
وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح فإن عبد السلام مجهول ولم يدرك الزبير وأخرجه =

فقال الزبير: أستغفر الله، لو ذكرتها ما خرجت، فكيف أرجع الآن، وقد التقت حلقتا البطان، هذا والله العار الذى لا يغسل أبداً. فقال على: يا زبير ارجع بالعار قبل أن يُجمَعَ العار والنار، فرجع الزبير وهو يقول: [من البسيط]

إِخْتَرْتُ عَارًا عَلَى نَارٍ تُؤْجِجُهُ أَنَّى يَقُومُ بِهَا خَلْقٌ مِنَ الطِّينِ
نَادَى عَلِيٌّ بِأَمْرِ لَسْتُ أَجْهَلُهُ عَارٌ لَعَمْرُكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ
فَقُلْتُ حَسْبُكَ مِنْ عَذْلِ أَبَا حَسَنِ فَبَعْضُ هَذَا الَّذِي قَدْ قُلْتُ يَكْفِينِي

فقال له ابنه عبد الله بن الزبير: إلى أين تذهب؟ فقال أذكرنى عليّ أمراً كنت نسيته. قال: ليس الأمر كذلك، لكن فررت من سيوف بنى هاشم، فإنها حداد يحملها فتية أنجاد. فقال راويه: قال له: جينا جينا.

فقال لا والله، ولكنه أذكرنى أمراً أنسانيه الدهر فاخترت العار على النار، أبالجين تعيرنى لا أبا لك؟! ثم قلع سنان رمحه وسار فى ميمنة عليّ، فقال عليّ: أفرجوا له فقد هاجوه، ثم رجع فشد فى الميسرة، ثم رجع فشد فى القلب، ثم رجع وقال لابنه: أيفعل هذا جبان؟! ثم مضى منصرفاً بوادى السباع.

والأحنف بن قيس التميمي منحاز فى قومه من بنى تميم، فأتاه رجل فقال: هذا الزبير مار، فقال ما أصنع بالزبير وقد جمع بين جيشين عظيمين يقتل بعضهم بعضاً وها هو صار إلى منزله سالماً، فلحقه عمرو بن جرموز بوادى السباع، وقد نزل الزبير للصلاة، فأتاه من خلفه قطعنه، وهو فى الصلاة.

ثم استسقى الزبير لبنا فشربه فخرج من جرحه، فمات رحمه الله، فاحتز رأسه وأتى به وسيفه وخاتمه إلى على رضى الله عنه فقال على: يا أعرابى تبوأ مقعدك من النار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قاتل ابن صفية فى النار»^(١).

= الحاكم (٣/٣٦٦) من حديث أبي حرب بن الأسود الديلي عن أبيه به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. قلت: وقد وهما فى ذلك، ففيه عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي، مقبول كما فيه جده عبد الملك بن مسلم تقدم قول البخاري: إن حديثه لا يصح ثم أخرجه من طريق آخر، هو والبيهقي فى الدلائل (٦/٤١٤) وقال ابن كثير فى البداية (٦/٢٣٨): غريب.

(١) ذكره ابن كثير فى البداية (٧/٢٧٤) دون أن يعزوه. وأخرجه ابن سعد فى الطبقات (٣/٨١) موقوفاً على عليّ. وقال الحافظ فى الإصابة (٢/٤٦٠): إسناده صحيح.

وقال علي: طالما جلا الكروب عن وجه رسول الله ﷺ، ولكن حلول الحين ومقدار السوء!

وقال قاتله لما قال له علي ما قال : [من المتقارب]
 أَتَيْتُ عَلِيًّا بِرَأْسِ الزُّبَيْرِ وَقَدْ كُنْتُ أَزْجُو بِهِ الزُّلْفَةَ
 فَبَشَّرَ بِالنَّارِ قَبْلَ الْعِيَانِ وَلَيْسَتْ بِشَارَةَ ذِي التُّحَفَةِ
 لَسِيَّانٍ عِنْدِي قَتْلُ الزُّبَيْرِ وَضَرْطَةُ عَيْرٍ بِذِي الْجُحْفَةِ^(١)
 وقال حسان بن ثابت يرثيه : [من الطويل]

أَقَامَ عَلَى هَذِي النَّبِيِّ وَهَذِيهِ حَوَارِيَهُ وَالْقَوْلُ بِالْفِعْلِ يَكْمُلُ
 أَقَامَ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَطَرِيقِهِ يُوَالِي وَلِيَّ الْحَقِّ وَالْحَقُّ أَغْدُلُ
 هُوَ الْفَارِسُ الْمَشْهُورُ وَالْبَطْلُ الَّذِي يَصُولُ إِذَا مَا كَانَ يَوْمَ مُحْجَلُ
 إِذَا كَشَفْتَ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ حَثَّهَا بِأَبْيَضِ سَبَاقٍ إِلَى الْمَوْتِ يَرْفُلُ
 فَمَا مِثْلُهُ فِيهِمْ وَلَا كَانَ قَبْلَهُ وَلَيْسَ يَكُونُ الدَّهْرُ مَا دَامَ يَذْبُلُ
 ثَنَّاؤُكَ خَيْرٌ مِنْ فِعَالِ مَعَاشِرِ وَفِعْلُكَ يَابَنَ الْهَاشِمِيَةِ أَفْضَلُ
 فَكَمْ كَرْبَةً دَبَّ الزُّبَيْرُ بِسَيْفِهِ عَنِ الْمُضْطَفَى وَاللَّهُ يُعْطِي فَيُجْزَلُ^(٢)
 وفيه يقول بعض بني آل الزبير : [من الكامل]

جَدِّي ابْنُ عَمَّةٍ أَحْمَدٍ وَوَزِيرُهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَفَارِسُ الشُّعْرَاءِ
 وَعَدَاةَ بَذْرِ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ شَهِدَ الْوَعَى فِي اللَّأَمَةِ الصُّفْرَاءِ
 تَرَكْتُ بِسِيمَاهُ الْمَلَائِكُ نُصْرَةً بِالْحَوْضِ يَوْمَ تَأَلَّبِ الْأَعْدَاءِ^(٣)
 وقال جرير يرثيه : [من الكامل]
 إِنَّ الرِّزْيَةَ مَنْ تَضَمَّنَ قَبْرَهُ وَادِي السَّبَاعِ، لِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعُ

- (١) ينظر: القصة بطولها والشعر في مروج الذهب (٣٧١/٢ - ٣٧٣) وتنتظر الأبيات في الاستيعاب ترجمة رقم (٨١١)، وأسد الغابة ترجمة رقم (١٧٣٢) .
 (٢) ينظر ديوان حسان (٢٩٤)، ومستدرک الحاكم (٣٦٢-٣٦٣)، والاستيعاب ترجمة رقم (٨١١)، وأسد الغابة ترجمة رقم (١٧٣٢) ومجمع الزوائد للهيتمي (١٢٨/٨)، و (٩/١٥٥) وسير أعلام النبلاء (٥٦/١)، وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٠٠)، وحلية الأولياء (٩١/١)، والإصابة ترجمة رقم (٢٧٩٣) .
 (٣) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٠١) .

لَمَّا أَتَى خَبْرُ الزَّبِيرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشْعُ^(١)
وقالت زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، أخت سعيد بن زيد أحد العشرة
الكرام رضى الله تعالى عنهم: [من الكامل]
عَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِقَارِسٍ مُهَجَّةٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَذِّرٍ
يَا عَمْرُو لَوْ تَبَهْتُهُ لَوَجَدْتُهُ لَا طَائِشًا رَعِشَ الْبَنَانِ وَأَبْتَرِ^(٢)
ونادى عليّ رضى الله عنه بعد رجوع الزبير طلحة فقال: يا أبا محمد، ما الذى
أخرجك؟ قال: الطلب بدم عثمان.

قال على: قتل الله أولانا بدم عثمان، أما سمعته عليه السلام يقول: « اللهم وال من
والاه »^(٣)، وأنت أول من بايعنى ثم نكثت، وقد قال الله تعالى ﴿ فَمَنْ نَّكَثَ فَإِنَّمَا
يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ [الفتح: ١٠] فقال طلحة: أستغفر الله، ثم رجع.
فقال مروان: رجع الزبير ويرجع طلحة، والله لا أطلب ثأرى بعد اليوم.
فرمى مروان طلحة بسهم شك ساقه بجانب فرسه، فما زال ينشج حتى مات.
وفى رواية أنه قال: هذا ممن أعان على قتل عثمان. والتفت إلى أبان بن عثمان
وقال له: قد كفيناك بعض قتلة أبيك^(٤). ثم اقتتلوا فقطعت على خطام الجمل
سبعون يدا مختمة، كُلَّمَا أَخَذَ رَجُلٌ بِخَطَامِهِ قَطَعَتْ يَدَهُ، وكلهم من بنى ضبة، وهم
يرتجزون بقولهم:

نَحْنُ بَنُو ضَبَّةٍ أَصْحَابُ الْجَمَلِ لَا نَرَهْبُ الْمَوْتَ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ
رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ عُثْمَانُ رُدُّوهُ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ^(٥)
قال العلامة إبراهيم البيهقي فى كتابه « المحاسن والمساوى »: لما سارت عائشة

(١) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٠٧)، وينظر طبقات ابن سعد (٨٣/٣) وهناك نسبها إلى جرير بن الخطفي.

(٢) ينظر طبقات ابن سعد (٨٣/٣)، والاستيعاب ت (٣٤٥٨)، وأسد الغابة ت (٧٠٨٧)، والبداية (٢٧٨/٧).

(٣) سيأتي فى مناقب علي بن أبي طالب.

(٤) ينظر مروج الذهب (٣٧٣/٢)، وينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٦) - (٤٨٧) وطبقات ابن سعد (١٦٧/٣)، والإصابة ترجمة رقم (٤٢٨٥).

(٥) ينظر تاريخ خليفة ص (١٤٢)، وتاريخ الطبري (٥١٨/٤، ٥٣٠)، والبداية (٢٧١/٧) ومروج الذهب (٣٧٥/٢).

أقبلت في هودج من حديد، وهى تنظر من ينظر قد صير لها فيه، فقالت لرجل من ضبة وهو آخذ بخطام جملها: أين ترى على بن أبى طالب؟ فقال لها هو ذاك رافعاً يديه إلى السماء فنظرت عائشة إليه ثم قالت: ما أشبهه بأخيه، فقال الضبى ومن أخوه؟ قالت: رسول الله ﷺ، فنبذ خطام جملها من يده، ومال إلى على، كرم الله وجهه^(١).

وعن الحسن البصرى أن الأحنف بن قيس قال لعائشة - رضى الله عنها - يوم الجمل: يا أم المؤمنين هل عهد إليك رسول الله ﷺ هذا المسير؟ قالت: اللهم لا. فقال: هل وجدتيه فى كتاب الله تعالى؟ قالت: ما نقرأ إلا ما تقرأون. قال: فهل رأيت رسول الله ﷺ استعان بشيء من نسائه إذا كان فى قلة والمشركون فى كثرة؟ قالت: اللهم لا. قال الأحنف: فإذا [ما] هو ذنبنا^(٢)؟!

وحمل أصحاب الجمل على ميمنة على وميسرته فكشفوها، فأتى عليا بعض ولد عقيل، وهو يخفق نعاسا فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا النعاس؟ فقال له على: اسكت يا بن أخى إن لعمرى يوماً لا يعدوه، والله ما يبالي عمك أوقع على الموت أو الموت وقع عليه.

ثم بعث إلى ولده محمد ابن الحنفية، وكان صاحب رايته، كما تقدم ذكره وقال له: احمل على القوم، فأبطأ محمد بالحملة، وكان يلازمه قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم، فأتاه على، فقال: هلاً حملت على القوم؟ فقال: ما أجد متقدماً إلا على سنان، وإنى أنتظر نفاد سهامهم. فقال له على: احمل بين الأسنة فإن للموت عليك جنة.

فحمل محمد فشك بالرماح والنبيل، فأتاه على فضربه بقائم سيفه وقال له: أذر عرك عِرْق سوء من أمك؟! وأخذ الراية من يده، وحمل وحمل الناس معه، فما كان القوم إلا كرماد اشتد به الريح فى يوم عاصف، ورمى اليهودج بالنشاب حتى صار كأنه قنفذ، وصرخ صارخ: اعقروا الجمل فعقره رجل اختلف فى اسمه، وكان

(١) ينظر المحاسن والمساوى ص ٤٥ .

(٢) ينظر السابق ص ٤٥، ٤٦ وما بين القوسين منه .

الهودج ملبسًا بالدروع وداخله أم المؤمنين، وهى تشجع الناس الذين حول الجمل، فلا قوة إلا بالله!

ثم إنها ندمت وندم على ما وقع.

ثم أتى على - كرم الله وجهه - إلى الهودج فضرب أعلاه بقضيب فى يده فقال: أبهذا أملك رسول الله ﷺ يا حميراء؟! والله ما أنصفك الذين أخرجوك إذ أبرزوك، وصانوا حلاتهم.

فسمع صوت من الهودج: ملكت فأسجح.

ولما سقط الجمل بعد الوقعة أتى محمد بن أبى بكر، فحط هودجها عن الجمل فأدخل يده، فقالت: مَنْ؟ قال: أقرب الناس إليك قرابة، وأبغضهم إليك محمد بن أبى بكر، يقول لك أمير المؤمنين: هل أصابك شيء؟ فقالت: ما أصابنى إلا سهم لم يضر فى شيئًا. والتقى الأشتر مالك بن الحارث النخعى من فرسان على، هو وعبد الله بن الزبير من فرسان الجمل فاعتركا وسقطا عن فرسيهما، وطال اعتراكهما فعلاه الأشتر ولم يجد سبيلا إلى قتله، والناس يجولون وعبد الله بن الزبير ينادى ويقول: [من مجزوء الخفيف]

أَقْتُلُونِي وَمَالِكَا وَأَقْتُلُوا مَالِكَا مَعِي

فلا يسمعه أحد لشدة الصياح ووقع الحديد على الحديد، ولا يراهما راء لظلمة النقع وترادف العجاج. وكلم خزيمة بن ثابت عليًا فقال يا أمير المؤمنين: لا ينكس اليوم برأس محمد واردد إليه الراية، فدعا به ورد إليه الراية ثم قال له: [من الرجز]

إِطْعَنَ بِهَا طَعَنَ أَبِيكَ تُحْمَدُ
لَا خَيْرَ فِي الْحَزْبِ إِذَا لَمْ تُوقَدْ
بِالْمَشْرِفِي وَالْقَنَّا الْمُسَدِّدِ

ثم استسقى على، فأتى بعسل وماء، فحسا حسوة فقال: هذا الطائفى^(١)، وهو غريب بهذا البلد، فقال له عبد الله بن جعفر: أما يشغلك ما نحن فيه عن علم هذا؟! فقال: والله يا بنى ما ملأ صدر عمك شيء من أمور الدنيا^(٢).

(١) فى ط: الولاثفى .

(٢) ينظر مروج الذهب (٣٧٥-٣٧٦) والبداية والنهاية (٢٧٢/٧) وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٤٩٠ .

ثم جهز على - رضى الله عنه - عائشة وبعث معها أخاها عبد الرحمن بن أبى بكر، وثلاثين رجلا وعشرين امرأة من ذوات الدين والشرف من نساء عبد القيس، وهمدان، وألبسهن العمامم وقلدهن السيوف، وقال: لا تعلمن عائشة [أنكن نسوة]. فكن هن اللاتى يلين جملها وخدمتها^(١). وبعث على ابن عباس إلى عائشة يأمرها بالخروج إلى المدينة مع من هياهم للخروج بها، فدخل عليها ابن عباس بغير إذنها وأخذ وسادة فجلس عليها، فقالت: يا بن عباس أخطأت السنة، دخلت بغير إذنا وجلست على رحلنا بغير أمرنا. فقال لها: لو كنت فى البيت الذى خلفك ﷺ فيه ما دخلنا إلا بإذنك، ولا جلسنا إلا بأمرك، إن أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة، والتأهب للرجوع للمدينة، ثم خرج ابن عباس من عندها.

ثم أتاها على فى اليوم الثانى، ومعه الحسن والحسين وباقى أولاده وأولاد إخوته، ونساء من بنى هاشم وغيرهم من شيعته من همدان، فلما بصرن به النساء صحن فى وجهه: يا قاتل الأحبة. فقال: لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من فى البيت، وأشار إلى بيت من البيوت كان قد اختفى فيه مروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عامر وغيرهم، فضرب من كان مع على - رضى الله عنه - بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لما علموا أن فى البيت ناسا حذرا من الاغتيال، فقالت له عائشة بعد كلام طويل كان بينهما: إنى أريد أن أكون معك فأسير إلى قتال عدوك عند مسيرك، فقال: ارجعى إلى البيت الذى تركك فيه رسول الله ﷺ. فسألته تأمين ابن أختها عبد الله بن الزبير؛ لأنه ابن أسماء بنت أبى بكر أخت عائشة. وتكلم الحسن والحسين فى مروان فأمنه، وأمن الوليد بن عقبة، وولده عثمان وغيرهم من بنى أمية، وأمن الناس جميعا وقال - رضى الله عنه - كما قال - عليه الصلاة والسلام -: « من دخل داره فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن »^(٢).

ثم ارتحلت عائشة فلما وصلت المدينة الشريفة، قالت: كنت بخير فى مسيرى، وقد أعطى ابن أبى طالب فأكثر، ولكنه بعث معى رجلا أنكرتهم، فعرفها النسوة

(١) ينظر مروج الذهب (٣٧٩/٢) وتاريخ الطبري (٥٤٤/٤) والبداية (٢٧٤/٧) أنه أذن لمن نجا ممن جاء فى الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفة، وسير معها أخاها محمد بن أبى بكر.

(٢) ينظر مروج الذهب (٣٧٧-٣٧٨/٢). وأما الحديث فقد تقدم فى فتح مكة.

حالهن حيثئذ فقالت: ما ازددت والله يا ابن أبي طالب إلا كرماً، وددت أنى لم أخرج هذا المخرج وأنى أصابنى كيت وكيت، من أمور شاقة ذكرتها، وإنى قيل لى: تخرجين فتصلحين بين المسلمين فكان ما كان^(١).

ثم ولى على البصرة ابن عباس وسار إلى الكوفة، ثم بعث إلى الأشعث بن قيس فعزله عن أذربيجان، وأرمينية وكان عاملاً لعثمان عليها، وصرف جريراً عن همدان، وكان عاملاً لعثمان عليها، وكان فى نفس الأشعث عليه من ذلك شيء، فكان منه الميل إلى خديعة عمرو بن العاص قد أراد به تحكيم أبى موسى الأشعرى^(٢)، كما سيأتى.

روى ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: كان بين العباس، وعلى بن أبى طالب مباحدة، فلقيت علياً فقلت له: إن كان لك فى النظر إلى عمك حاجة فإنه وجع، وما أراك تلقاه. فوجم لها عليّ، وأقبل على يده ورجله يقبلهما ويقول: يا عم، ارض عني رضى الله عنك. قال: قد رضيت عنك. ثم قال: يا بن أخى كنت قد أشرت عليك بأشياء فلم تقبل منى، فرأيت فى عاقبتها ما كرهت، وهأ أنا الآن أشير عليك برأى آخر، فإن قبلته وإلا نالك ما نالك، فقال على: وما الذى أشرت به عليّ يا عم؟ قال: أشرت عليك لما مرض - عليه الصلاة والسلام - أن تسأله فإن كان الأمر فينا أعطانا، وإن كان فى غيرنا أوصى بنا، فقلت: إن منعناها لم يعطناها أحد؛ فمضت تلك؛ فلما قبض عليه الصلاة والسلام أتانا أبو سفيان بن حرب تلك الساعة فدعوناك إلى أن نبايعك، فقلت: أبسط يدك لنايعك؛ فإنا إن بايعناك لم يختلف عليك منافى، وإن بايعك بنو عبد مناف لم تختلف عليك قريش، وإن بايعتك قريش لم يختلف عليك أحد من العرب، فقلت فى جهاز النبى شغل وليس على ثوب، فلم نلبث أن سمعنا التكبير من سقيفة بنى ساعدة فقلت: ما هذا يا عم؟ قلت: هذا ما دعوناك إليه فأبيت، فقلت: سبحان الله ويكون هذا؟! قلت: وهل يرد مثل هذا؟ ثم أشرت عليك حين طعن عمر ألا تدخل نفسك فى الشورى؛ فإنيك إن اعتزلتهم قدموك، وإن ساويتهم تقدموك، فدخلت معهم فكان ما رأيت.

(١) ينظر مروج الذهب (٣٧٩/٢).

(٢) ينظر مروج الذهب (٣٨١/٢).

وها أنا أقول لك : أرى هذا الرجل - يعنى عثمان بن عفان - يأخذ فى أمور، وكأنى بالعرب وقد سارت إليه حتى ينحر كما تنحر الجزور، والله لئن كان ذلك وأنت بالمدينة ليرمينك الناس بدمه، ولئن فعلوا لا تنال من هذا الأمر شيئاً إلا بعد شر لا خير معه انتهى. قال ابن عباس: فكان الأمر كما قال أبى رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

وعن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قال: كان إياس بن معاوية لى صديقاً، فدخلنا على عبد الرحمن بن القاسم بن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وعنده جماعة يتذكرون السلف؛ ففضّل قوم أبى بكر وقوم عمر وقوم علياً - رضى الله عنهم -؛ فقال إياس: إن علياً يرى أنه كان أحق الناس بالأمر، فلما بويع أبو بكر، ورأى أنهم قد اجتمعوا عليه، وأن ذلك قد أصلح العامة - اشترى صلاح العامة بنقض رأى الخاصة - يعنى بنى هاشم - ثم لما ولى عمر فعل مثل ذلك به وبعثمان، فلما قتل عثمان، واختلف الناس، وفسدت الخاصة والعامة، وجد أعواناً فقام بالحق ودعا إليه - رضى الله عنه وكرم وجهه - . كذا فى « المحاسن » للبيهقى^(١).

قال المسعودى: وكانت وقعة الجمل يوماً واحداً، وقتل من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً، ومن أصحاب على سبعة آلاف، وقيل: خمسة آلاف. وقال العلامة الذهبى: قتل بينهما ثلاثون ألفاً^(٢). وكانت يوم الخميس^(٣) لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين المذكورة، قتل فيها المشاهير: طلحة بن عبيد الله القرشى التيمى أحد العشرة المبشرة، وهو أول قتيل يوم الجمل بعد مسلم الجهنى الذى أمره على أن يدعو القوم بالمصحف إلى ما فيه فرمى بسهم فقتل^(٤)، وقد ذكرنا أن مروان من جيش طلحة والزبير، وأنه القاتل له بسهم رماه به. وقال مجالد عن الشعبى قال: رأى على - رضى الله عنه - طلحة ملقى قتيلاً، فنزل فمسح التراب عن وجهه

(١) ينظر المحاسن والمساوى ص (٤٤).

(٢) نقل الذهبى هذا القول عن السدي، ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٤).

(٣) فى تاريخ الإسلام: وكانت الوقعة يوم الجمعة.

(٤) تقدم قريباً، وتقدم رثاء أمه إياه.

ولحيته وهو يترحم عليه ويقول: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة^(١). ثم قال: عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مجدلاً في الأودية. ثم قال: إلى الله أشكو عُجْرِي وُبُجْرِي. قال الأصمعي: معناه: سرائري وأحزاني^(٢). ولها معانٍ أخر مذكورة في اللغة. وقال الليث عن طلحة بن مصرف: دفدنا طلحة على شاطئ « الكلاء » بالمد والتشديد، وهو مرسى المراكب، فرآه بعض أهله في المنام يقول له: ألا ترى؟ نجوني من هذا الماء قد غرقت - ثلاث مرات يقولها - فنبشوه فإذا هو أخضر كأنه السلق، فزحوا عنه الماء فاستخرجوه، فإذا ما يلي الأرض من لحيته ووجهه قد أكلته الأرض، فاشتروا له داراً من دور أبي بكرة بعشرة آلاف فدفنوه بها^(٣).

وَمِمَّن قتل فيها محمد بن طلحة، وكان زاهداً عابداً، صالحاً ديناً قواماً. ذكر ابن سعد أن محمد بن طلحة بن عبيد الله تقدم فأخذ بخطام الجمل، فحمل عليه رجل، فقال له: أذكرك حاميم، فطعنه فقتله، ثم قال: [من الطويل]

وَأَشَعَتْ قَوَامَ بآيَاتِ رَبِّهِ قَلِيلِ الْأَدَى فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ مُسْلِمِ
هَتَكْتُ لَهُ بِالرُّمَحِ جَنِبَ قَمِيصِهِ فَخَرَّ صَرِيحاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
يُذَكِّرُنِي « حَامِيمٌ » وَالرُّمَحُ شَاجِرٌ فَهَلَّا تَلَا « حَامِيمٌ » قَبْلَ التَّقْدَمِ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعاً عَلِيّاً وَمَنْ لَا يَتَّبِعُ الْحَقَّ يَنْدَمِ

فسار على ليلته في القتلى معه النيران، فمر بمحمد بن طلحة هذا قتيلاً فقال لابنه الحسن: يا حسن، محمد السجّاد ورب الكعبة! ثم قال: أبوه صرعه هذا المصرع، ولولا بره بأبيه ما خرج. فقال له الحسن: ما كان أغناك عن هذا يا أبت؟! فقال: ما لي ولك يا حسن^(٤).

-
- (١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٣/١) رقم (٢٠٢)، والحاكم في المستدرک (٣/٣٧٢-٣٧٣) من طريق ليث عن طلحة بن مصرف أن علياً رضي الله عنه انتهى إلى طلحة . . . فذكره وقال الهيثمي في المجمع (١٥٣/٩): إسناده حسن. وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٧/١): مرسل وينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٢٧-٥٢٨).
(٢) ينظر سير أعلام النبلاء (٣٦/١)، وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٢٧).
(٣) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٢٨).
(٤) ينظر الاستيعاب ترجمة رقم (٢٣٦٢)، وطبقات ابن سعد (٤٠/٥-٤١)، ومستدرک الحاكم (٣/٣٧٥)، وتاريخ الطبري (٥٢٦/٤) والبدایة (٧/٢٧١)، وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٨٨-٤٨٩)، ومروج الذهب (٢/٣٧٤).

وممن قتل حُكيم بن جبلة العبدى، كان متدينًا عابدًا، شريفًا مطاعًا بطلاً، وهو أحد من سار إلى الفتنة وألب على عثمان، وهو من جماعة على، ولم يزل يقاتل حتى قطعت رجله فأخذها وضرب بها الذى قطعها فقتله، ثم أخذ يقاتل ويقول: [من منهوك الرجز]

يَا سَاقُ لَنْ تُرَاعِي إِنَّ مَعَى ذِرَاعِي
أَخْمِي بِهِ كُرَاعِي

حتى نزفه الدم فاتكأ على المقتول الذى قطع رجله فمر به رجل فقال: من قطع رجلك؟ فقال: وسادتى هذه. ثم أتاه [سحيم الحداني]^(١) فقتله. وذكر المدائنى أنه رأى رجلا مصلم الأذنين، فسأله عن قصته، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر القتلى، فنظر إلى رجل منهم يخفق رأسه وهو يقول: [من الطويل]

لَقَدْ أَوْرَدْنَا أُمَّنَا حَوْمَةَ الرَّدَى فَلَمْ نَنْصَرِفْ إِلَّا وَنَحْنُ رِوَاءُ
أَطْعْنَا بَنِي تَيْمٍ لَشِقْوَةٍ جَدْنَا وَمَا تَيْمٌ إِلَّا أَعْبُدُ وَإِمَاءُ
فقلت: سبحان الله!! تقول هذا عند الموت، قل لا إله إلا الله. فقال يا بن اللخناء، أأمرنى بالجزع عند الموت؟ فوليت عنه متعجبا، فقال: ادن منى لقنى الشهادة، فصرت إليه فلما قربت منه استدنانى، ثم التقم أذنى فذهب بها، فجعلت ألعنه وأدعو عليه، فقال: إذا صرت إلى أمك فقالت لك: من فعل هذا بك؟ فقل: عمير بن الأهلب الضبى، مخدوع المرأة التى أرادت أن تكون أمير المؤمنين^(٢).

ثم كانت فى سنة سبع وثلاثين وقعة « صفين »؛ اسم مكان كانت به الوقعة. وذلك أن سيدنا عليا - كرم الله وجهه ورضى الله عنه - وجّه جرير بن عبد الله رضي الله عنه وهو المقول فيه: [من الرجز]

لَوْلَا جَرِيرٌ هَلَكْتَ بِجَيْلِهِ نِعَمَ الْفَتَى وَيُسْتِ الْقَبِيلَةَ^(٣)
إلى معاوية، وقد كان الأشتر النخعى حذر عليا من إرساله جريرا وخوفه من

(١) في ط: مسجم الجذامي، والتصويب من تاريخ الإسلام، وسير الأعلام وينظر تاريخ الطبري (٤/٤٧١)، والاستيعاب ترجمة رقم (٥٥٨)، وأسد الغابة (١٢٣٣)، وتاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٤٩٥)، والبداية والنهاية (٧/٢٦٠).

(٢) ينظر مروج الذهب (٢/٣٧٨-٣٧٩).

(٣) ينظر الاستيعاب ترجمة رقم [٣٢٦] ونقل ابن عبد البر قول عمر: ما مدح من هجا قومه.

ذلك، فقال جرير: ابعتني فإنه لم يزل بي مستنصحا وداذا، فأتته فأسأله أن يسلم إليك هذا الأمر، وأدعو الشام إلى طاعتك. فقال الأشتر لسيدنا علي: لا تبعته فوالله لأظن هواه هواهم ونيتهم نيتهم، فقال علي: دعه حتى ننظر ما يأتي إلينا به، فبعث به، وكتب إلى معاوية يعلمه بمبايعة المهاجرين والأنصار واجتماعهم عليه، ونكث الزبير وطلحة وما أوقع الله بهما، وأمره بالدخول في طاعته، وأعلمه أنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة. فلما قدم عليه جرير دافعه وسأله الإقامة أياما، وقد كان كتب معاوية إلى عمرو بن العاص فقدم إليه، وأعطاه مصر طعمة، فأشار عمرو بالبعث إلى وجوه الشام، وأن يلزم عليا دم عثمان ومقاتلته. فقدم جرير على علي فأخبره خبرهم، واجتماع أهل الشام مع معاوية على قتاله، وأنهم سيكون على عثمان ويقولون: إن عليا قتله، وإنهم لا بد لهم من قتاله حتى ينفوه ومن معه أو يعينهم، فقال الأشتر لعلي: قد كنت أخبرتك بعداوتة وغشه، يعني جريرا، ولو أرسلتني لكنت خيرا من هذا الذي أرخى جناحه، وأقام حتى لم يدع بابا يرجو معاوية فتحه إلا فتحه، ولا بابا يخافه إلا غلقه. فقال له جرير: لو كنت ثم لقتلوك، لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان، فقال: لو رأيتهم والله يا جرير لم يغينني جوابهم، ولا ثقل على خطابهم، ولحملت معاوية على خطة أعجلته فيها عن الفكر، ولو أطاعني أمير المؤمنين فحبسك وأشباهك في مجلس فلا تخرجون منه حتى تستقيم هذه الأمور. فخرج جرير إلى الرحبة من شاطئ الفرات، وكتب إلى معاوية يعلمه بما نزل به، وأنه أحب مجاورته فكتب إليه معاوية يأمره بالمسير إليه، وبعث معاوية إلى المغيرة ابن شعبة يقول له: قد ظهر من رأي ابن أبي طالب وما كان تقدم من توعده لك في طلحة والزبير، فما الذي بقي من رأيه فينا؟^(١)

وذكر يحيى بن عبيد قال^(٢): قال أبو مسلم الخولاني وجماعة لمعاوية: أأنت تنازع عليا أم أنت مثله؟ فقال: لا والله، إني لأعلم أن عليا أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما وأنا ابن عمه، وإنما أطالب بدمه؟ فأتوا عليا فقولوا له فليدفع إلي قتلة عثمان وأسلم له. فأتوا عليا فكلموه بذلك فلم يدفعهم إليه^(٣).

(١) ينظر تاريخ الطبري (٤/ ٥٦١)، والبدية والنهاية (٧/ ٢٨٢)، ومروج الذهب (٢/ ٣٨١).

(٢) في تاريخ الإسلام: وحدثني يعلى بن عبيد ثنا أبي قال.

(٣) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٤٠.

وحدث يحيى الجعفي أن معاوية قال لجريز بن عبد الله البجلي المذكور: اكتب إلى علي أن يجعل لي الشام وأنا أبياعه. وقال: وبعث الوليد بن عقبة إلى معاوية يقول: [من الطويل]

مُعَاوِيَ إِنَّ الشَّامَ شَأْمُكَ فَاعْتَصِمْ بِشَاْمِكَ لَا تُدْخِلْ عَلَيْنَا الْأَقَاعِيَا
وَحَامَ عَلَيْنَهَا بِالْقَنَابِلِ وَالْقَنَا وَلَا تَكُ مَحْبُوسَ الذَّرَاعَيْنِ دَانِيَا
فَإِنَّ عَلِيًّا نَاطِرٌ مَا لِحَيْشِيهِ فَأَهْدِ لَهُ حَرْبًا تُثِيبُ التَّوَاصِيَا^(١)

وعن جابر الجعفي، عن الشعبي قال: لما ظهر أمر معاوية دعا علي - رضى الله عنه - رجلاً وأمره أن يسير إلى دمشق فيعقل راحلته على باب المسجد ويدخل بنية السفر؛ ففعل الرجل، فسألوه: من أين جئت؟ قال: من العراق. قالوا: ما وراءك؟ قال: تركت علياً قد حشد إليكم ونهد في أهل العراق. فلما بلغ الخبر معاوية نودى: الصلاة جامعة، وامتألاً المسجد، فصعد معاوية المنبر فتشهد ثم قال: إن علياً قد نهد إليكم في أهل العراق، فما الرأي؟ فضرب الناس بأذقانهم إلى صدورهم، ولم يرفع أحد طرفه إليه، فقام ذو الكلاع الحميري فقال: عليك امرأى [يعنى الرأى] وعلينا امفيعال - يعنى الفعال - فنزل معاوية ونودى في الناس: اخرجوا إلى عسكركم، ومن تخلف بعد ثلاث أدخل بنفسه. فخرج رسول علي حتى وافاه فأخبره بذلك، فأمر على فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن رسولى الذى أرسلته إلى الشام قد قدم على، وأخبرنى أن معاوية قد نهد إليكم في أهل الشام، فما الرأي؟ فقال أهل المسجد: يا أمير المؤمنين، الرأى كذا، الرأى كذا. فلم يفهم على كلامهم من كثرة من تكلم وكثرة اللغط، فنزل وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب بها ابن أكلة الأكباد - يعنى معاوية^(٢) - فسار على وكان مسيره من الكوفة إلى صفين لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين، واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عمر الأنصارى، واجتاز على المدائن ثم الأنبار، ثم سار حتى نزل الرقة، وسار معاوية من الشام فسبق علياً إلى صفين، فالتقوا بصفين؛ فكانت وقعة « صفين » لسبع بقين

(١) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٣٩).

(٢) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٤٠-٥٤١).

من المحرم من سنة سبع وثلاثين، وشبَّت الحرب بينهم أول صفر من السنة المذكورة^(١)، وكان على ميمنة على الأشعث بن قيس الكندي، وعلى الميسرة عبيد الله بن العباس، وعلى الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقتل يومئذ، ومن أمراء على الأحنف بن قيس التميمي، وعمار بن ياسر، وعدى بن حاتم الطائي، والأشتر مالك بن الحارث النخعي، وعمر بن الحنظل الخزاعي، وشبَّت^(٢) ابن ربيع الرياحي، وسعيد بن قيس الهمداني؛ فكان رئيس همدان، والمهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي، وغيرهم. فكان على في خمسين ألفاً، وقيل: تسعين ألفاً. وقيل: مائة ألف، وكان على ميمنة معاوية عمرو بن العاص، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وكان لواؤه مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي، ومن أمرائه أبو الأعور السلمي، وزفر بن الحارث، وذو الكلاع الحميري، ومسلمة بن مخلد، وبسر بن أرطاة العامري، وحابس بن سعد الطائي، ويزيد بن أبي هبيرة السكوني، وغيرهم. وكان معاوية في سبعين ألفاً، وقيل: في مائة ألف وعشرين ألفاً، فاقتتلوا أياماً^(٣)، ووقع القتال وعليّ على بغلة رسول الله ﷺ وهو يقول: رضى الله عنه: [من الرجز]

مِنْ أَيِّ يَوْمَيَّ مِنَ الْمَوْتِ أَفَرَّ أَيَّوْمَ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمَ قُدِرَ
وحمل وحملوا معه؛ فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض، وعلى لا يمر بفارس إلا قده وهو يقول: [من الرجز]

أَضْرِبُهُمْ وَلَا أَرَى مُعَاوِيَةَ
الْأَمْرَةَ الْعَيْنِ الْعَظِيمِ الْحَاوِيَةَ
تَهْوِي بِهِ فِي النَّارِ أُمَّ هَاوِيَةَ

وقيل: إن الشعر لبديل بن ورقاء الخزاعي^(٤).

قال الزهري: اقتتلوا أياماً حتى قتل خلق كثير، قتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً، واقتتلوا قتالاً لم تقبَل هذه الأمة مثله

(١) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٨٤).

(٢) في ط: شبيب والمثبت من تاريخ الإسلام.

(٣) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٤١-٥٤٢ وينظر تاريخ خليفة ص ١٤٦-١٤٧.

(٤) ينظر مروج الذهب (٢/ ٣٩٦).

قط، وغلب أهل العراق على قتلى حمص، وغلب أهل الشام على قتلى أهل العالية^(١). وفي كتاب « المحاسن والمساوي » كتب أمير المؤمنين يوم صفين إلى معاوية بن أبي سفيان: ما لك تقتل الناس بيننا ؟ ابرز إليّ، فإن قتلتنى استرحت منى، وإن قتلتك استرحت منك. فقال له عمرو: أنصفك الرجل فابرز إليه، قال: كلا يا عمرو، أردت أن أبرز إليه فيقتلنى وتثب على الخلافة بعدى ؟ قد علمت قريش أن ابن أبى طالب أشدها وأسدها، ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

يَا عَمْرُو قَدْ أَسْرَزْتَ تَهْمَةً غَادِرٍ بِرِضَاكَ لِي تَحْتَ الْعَجَاجِ بِرَازِي
مَا لِلْمُلُوكِ وَلِلْبِرَازِ وَإِنَّمَا حَتَفُ الْمُبَارِزِ خَطْفَةً مِنْ بَازِي
إِنَّ الَّذِي سَوَّلْتَ نَفْسَكَ طَالِبًا قَتَلِي جَزَاكَ بِمَا نَوَيْتَ الْجَازِي
فَلَقَدْ كَشَفْتَ قِنَاعَهَا مَذْمُومَةً وَلَقَدْ لَبَسْتَ لَهَا ثِيَابَ الْحَازِي
فأجابه عمرو بقوله [من الوافر]

مُعَاوِيَ إِنِّي لَمْ أَجِنِ ذَنْبًا وَمَا أَنَا بِالَّذِي يُدْعَى بِحَازِي
فَمَا ذَنْبِي بِأَنْ نَادَى عَلِيٌّ وَكَبَشُ الْقَوْمِ يُدْعَى لِلْبِرَازِ
فَلَوْ بَارَزْتُهُ لَلْقَيْتُ قِرْنًا حَدِيدَ الثَّابِ سَهْمًا ذَا اغْتِزَازِ
أَجَبْنَا فِي الْعَشِيرَةِ يَا بَنَ هِنْدٍ وَعِنْدَ الْبَاهِ كَالْتَّيْسِ الْجِجَازِي^(٢)

ثم إن معاوية أقسم على عمرو بمبارزة عليّ؛ فبرز، فلما التقيا سل على سيفه فكشف عمرو ثوبه عن عورته وقال: مكره أخاك لا بطل، فحول على - رضى الله عنه - وجهه عنه، وقال: قبحت^(٣). قال السهيلي: جاء عمرو بن العاص إلى معاوية فقال له: إن عمار بن ياسر قد قتل، قال معاوية: فماذا ؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: « تقتلك الفئة الباغية ». فقال معاوية لعمرو: رحضت فى بولك، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله الذى أخرجه. فبلغ قوله عليًا فقال: إذا ما قتل حمزة إلا النبی ﷺ؛ لأنه الذى أخرجه^(٤).

(١) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٤١).

(٢) ينظر المحاسن والمساوي ص (٤٨) وذكره المسعودي في مروج الذهب (٣٩٧/٢) دون الشعر.

(٣) ينظر مروج الذهب (٣٩٧/٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٢٤٠/١١) رقم (٢٠٤٢٧)، ومن طريقه أحمد (١٩٩/٤) عن معمر بن =

واختلط الناس بالناس، وبطل النبل، وقصفت الرماح، وأجنهم الليل، وتنادوا بالشعار، وتكادم القوم؛ فكان يعتنق الفارسان فيقعان فى الأرض جميعاً عن فرسيهما^(١). قلت: التكادم: التعاضض، من الكدم، وهو العض.

وفى ليلة الجمعة - وهى ليلة الهرير - كان جملة من قتله علىّ فى يومها وليلتها خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً، أكثرهم فى اليوم، وكان إذا قاتل رجلاً لم يكن يضرب إلا قتل. وانكسفت الشمس، وتقطعت الألوية والرايات، ولم يعرفوا مواقيت الصلاة؛ فقال معاوية لعمرو: هات مخبأتك وأدركننا مما نحن فيه، ولك مصر طعمة. فقال: ناد فى العسكر برفع المصاحف، فنودى فوجد فى العسكر أكثر من خمسمائة مصحف، فأمر برفعها على الرماح وأن ينادوا: بيننا وبينكم كتاب الله.

وفى ذلك يقول النجاشى بن الحارث: [من الطويل]

فَأُضْبِحَ أَهْلُ الشَّامِ قَدْ رَفَعُوا الْقَنَّا عَليْهَا كِتَابُ اللَّهِ خَيْرُ قَرَانٍ
وَنَادَوْا عَلِيًّا: يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ أَمَا تَتَّقِي أَنْ يَهْلِكَ الثَّقَلَانِ

فلما رأى أهل العراق ذلك؛ قالوا: نجيب إلى كتاب الله، وأحب القوم الموادة، وقال لعلّى كثير من أصحابه: قد أعطاك معاوية الحق، دعاك إلى كتاب الله فاقبل منه. وكان أشد القوم فى ذلك الأشعث بن قيس الكندى؛ فقال على: يا أيها الناس، إنه لم ينزل بى من أمركم ما أحب حين قدحتكم الحرب، وقد - والله - أخذت منكم وتركت، وإنى كنت بالأمس الأمير فأصبحت اليوم مأموراً، وقد أحببتكم البقاء^(٢). قال الأعمش: حدثنى من رأى علياً يوم صفين يصفق بيديه، ويعض على إبهامه، ويقول: يا عجباً أعصى ويطاع معاوية!!^(٣) فقال له الأشر: يا أمير المؤمنين، إن معاوية لا خلف له من رجاله، ولك بحمد الله الخلف، ولو كان له مثل رجالك لما كان له مثل صبرك ولا نصرك، فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله. فقال الأشعث: يا أمير المؤمنين، إنا لك اليوم على ما كنا بالأمس، وليس ندرى كيف

= طاوس عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه به وينظر طبقات ابن سعد (٣/ ١٩١). وينظر تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٧٨.

(١) ينظر مروج الذهب (٣٩٩/٢).

(٢) ينظر مروج الذهب (٣٩٩/٢-٤٠٠).

(٣) ينظر تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٤١.

يكون غداً، وقد والله فل الحديد وكلت البصائر - وتكلم بكلام كثير - ولكن إن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ؟ قال علي : اذهب إليه . فأتاه فقال له معاوية : نرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله في كتابه، تبعثون رجلاً منكم ترضون به وتختارونه، ونبعث رجلاً منا، ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملوا بكتاب الله . فصوب الأشعث قوله . وذهب إلى علي ؛ فقال أكثر القوم : رضينا وسمعنا وأطعنا . فاختار أهل الشام عمرو بن العاص ، وقال الأشعث ومن ارتد بعد ذلك إلى رأى الخوارج : رضينا نحن بأبي موسى الأشعري . فقال علي : عصيتموني أولاً فلا تعصوني الآن ؛ إني لا أرتاح إلى أبي موسى . فقال الأشعث : لا نرضى إلا أبا موسى . قال علي : ويحكم ليس هو بثقة ، فعل كذا وكذا ، وقد فارقتني وخذل الناس عني ثم هرب شهراً حتى أمتته ، ولكن هذا عبد الله بن عباس . فقال الأشعث وأصحابه : والله لا يحكم فينا مضريان . قال علي : فالأشتر . فقالوا وهل أشعل ما نحن فيه إلا الأشتر . فقال علي : فاصنعوا ما أردتم وافعلوا ما بدا لكم . فبعثوا إلى أبي موسى وأفهموه بالقضية ، وقيل لأبي موسى : قد اصطالح الناس ، فقال الحمد لله . قيل : وقد جعلوك حكماً ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون^(١) . فافترقوا بعد أن صيروا الأجل إلى شهر رمضان من العام القابل على اجتماع الحكمين في موضع عدل بين الكوفة والشام يسمى « دومة الجندل » ، وكان الوقت الذي كتبت فيه الصحيفة بالرضا بالحكمين لأيام بقين من صفر سنة سبع وثلاثين ، وقرأ الأشعث الصحيفة على الناس ماؤاً بها فرحاً وسروراً ؛ فقال عروة بن أديه : أتحكمون يا أشعث في دين الله وأمره ونهيه الرجال ؟ لا حكم إلا لله . وهو أول من قالها ، ونبذ سيفه على الأشعث فهزم فرسه عن الضربة فأصاب عجز الفرس ، ونجا الأشعث . وفي فعل عروة بالأشعث يقول رجل من تميم : [من الخفيف]

غَرَوْ يَا عَرَوْ كُلْ فِثْنَةَ قَوْمٍ سَلَفْتُ إِنَّمَا تَكُونُ فُتْنَةً^(٢)
ثُمَّ تَثْمُو وَيَعْظُمُ الْخَطْبُ فِيهَا فَاخْذَرْنَ غِيبَ مَا صَنَعَتْ عَرِيَّةُ
أَعْلَى الْأَشْعَثِ الْمَعْصِبِ بِالنَّارِ جِ حَمَلْتُ السَّلَاحَ يَابْنَ أَدِيَّةِ

(١) ينظر مروج الذهب (٢/٤٠٠-٤٠٢) وليس فيه قول علي : إني لا أرتاح إلى أبي موسى وينظر تاريخ الطبري (٥/٩١) ، والبداية والنهاية (٧/٣٠٦) .

فَانْظُرِ الْيَوْمَ مَا يَقُولُ عَلِيٌّ وَاتَّبِعْهُ فَذَاكَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ^(١)
 عن صعصعة بن صوحان قال: خرج يوم صفين رجل من أصحاب معاوية يقال
 له: كريض بن الصباح الحميري، فوقف بين الصفين وقال: من يبارز؟ فخرج إليه
 رجل من أصحاب علي فقتله، فوقف عليه فقال: من يبارز؟ فخرج إليه آخر من
 أصحاب علي فقتله وألقاه على الأول، فقال: من يبارز؟ فخرج إليه الثالث فقتله
 وألقاه على الأولين وقال: من يبارز؟ فأحجم الناس عنه، وأحب من كان في الصف
 الأول أن يكون في الآخر، فخرج إليه عليٌّ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فشق
 الصفوف، فلما انفصل منها نزل عن البغلة وسعى إليه فقتله، وقال: من يبارز؟
 فخرج إليه رجل آخر فقتله وألقاه على الأول، ثم قال: من يبارز؟ فخرج إليه رجل
 فقتله وألقاه على الأولين ثم قال: من يبارز؟ فخرج إليه آخر فقتله وألقاه على
 الثلاثة، ثم قال: يا أيها الناس، إن الله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا يَكُونُوا أَعْدَاءً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١٩٤]، ولو لم تبتدئوا هذا ما ابتدأناه. ثم رجع إلى
 مكانه.

عن ابن عباس وقد سأله رجل أكان علي يباشر القتال يوم صفين؟ فقال ابن
 عباس: والله ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه في متلف من علي، ولقد كنت أراه يخرج
 حاسر الرأس بيده السيف إلى الرجل الدارع فيقتله. أخرجها الواحدى. ذكر
 أبو مخنف لوط بن يحيى، عن ابن الأغر التميمي قال: بينا أنا واقف بصفين إذ مرَّ
 العباس بن ربيعة بن الحارث بن المطلب مكمل في سلاحه، وعينه تبرقان من تحت
 المغفر كأنهما شعلتا نار أو عينا أرقم، وبيده صفيحة يمانية يقلبها والمنايا تلوح في
 شفرتيها، وهو على فرس صعب. فبينما هو يبعثه ويلين من عريكته، إذ هتف به
 هاتف من صف معاوية يقال له: عزاز بن أرقم لزهل الشامي: يا عباس، هلم إلى
 النزول. قال فنزل العباس إلى الشامي وهو يقول: [من البسيط]

اللَّهُ يَغْلَمُ أَنَّا لَا نُحِبُّكُمْ وَلَا نَلُومُكُمْ إِذْ لَمْ تُحِبُّوْنَا
 ثم زحف كل منهما إلى صاحبه، وكفَّ الفريقان عنهما ينظرون ما يكون من
 الرجلين فتكافحا بسيفيهما نهارهما، لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لأمته،

(١) ينظر مروج الذهب (٢/٤٠٣-٤٠٤)، وتاريخ الطبري (٥/٥٥).

إلى أن لحظ العباس فتقاً فى درع الشامى فأهوى إليه بيده وهتكه إلى ثنودته، ثم عاد لمجاولته وقد انفرج له بعض الدرع فضربه العباس ضربة انتظم بها جوائح صدره؛ فحول وجهه وكبر الناس تكبيرة ارتجت الأرض من تحتهم بها، فإذا قائل يقول ﴿ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [التوبة: ١٤] الآية. قال ابن الأغر: فالتفت فإذا على بن أبى طالب، فقال لى: يا بن الأغر من المبارز لعدونا؟ قلت ابن أخيكم، هذا العباس بن ربيعة، فقال على للعباس: ألم أنهك وعبد الله بن عباس أن تحلا بمركز كما لو تناشر آخرنا؟ قال العباس: إن ذلك كما قلت. قال على: فما عدا مما بدا؟ قال العباس أفأدعى إلى البراز باسمى فلا أجيب؟ فقال على: طاعتك إمامك أولى من إجابة عدوك. وتغيظ واستطار، ثم تطامن وسكت ورفع يديه مبتهلاً وقال: اللهم اشكر للعباس واغفر ذنبه. وتأسف معاوية على عزاز بن أرقم ثم قال: ألا رجل شرى نفسه يطلب بدم عزاز؟ فانتدب له رجلاً من لحم من أهل البأس من صناديدهم، قال: فاذهبا فأيكما قتل العباس فله مائة أوقية من التبر، ومثلها من اللجين، وبعدها من برود اليمن؛ فأتياه فدعواه للبراز وصاحا بين الصفين: يا عباس اخرج إلى الداعى، فقال العباس: إن لى سيداً أريد أوامره، فأتى علياً وهو فى جناح الميمنة يخوض الناس فأخبره الخبر، فقال على: والله لود معاوية أنه ما بقى من بنى هاشم نافخ ضربة إلا طعن فى بطنه؛ إطفاء لنور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. ثم قال: يا عباس، ناقلنى سلاحك بسلاحى؛ فناقله على، ووثب على فرس العباس، وقصد اللخميين فلم يشكا أنه العباس، فقالا له: أذن لك صاحبك؟ فخرج أن يقول نعم؛ فقال: ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ﴾ [الحج: ٣٩] الآية، وكان العباس أشبه الناس فى جسمه وركوبه بعلى - رضى الله تعالى عنه - فبرز له أحدهما فكأنما أخطأ رأسه، ثم برز الآخر فالحقه بالأول، ثم أقبل يقول: ﴿ أَشْهَرُ لَكَرَامٍ بِالشَّهْرِ لَكَرَامٍ ﴾ [البقرة: ١٩٤] الآية، ثم قال: يا عباس، خذ سلاحك وهات سلاحى، فإن عاد لك أحد فعذ لى. ونمى الخبر إلى معاوية. فقال: قبح الله اللجاج، وما ركبت قط إلا خذلت، فقال عمرو بن العاص: المخذول - والله - اللخميان، فقال له معاوية: اسكت أيها الرجل؛ فليس هذا من شأنك، قال عمرو: فإن لم يكن الله رحم اللخميين ولا أراه يفعل، قال معاوية: ذاك

والله أضيق لحجتك، وأخسر لصفقتك، قال عمرو: قد علمت ذلك، ولولا مصر وولايتها لركبت المسحاة عنها؛ فإنني أعلم أن ابن أبي طالب على الحق، وأنا على هذه، فقال له معاوية: مصر والله أعمتك، ولولا مصر لألفيت بصيرًا. وكان مع على من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ألفان وثمانمائة، قتل منهم خمسة وعشرون صحابيًّا.

ولما تفرقوا - على إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام - كثر اختلاف الكلمة بين أصحاب على، وتفاوت الرأي، وعدم انتظام الأمور، وتبرأ الأخ من أخيه، وتضارب القوم بنعال السيوف، وقيل بالنعال، وتسابوا، ولام كل الآخر. ولما وصل على الكوفة انحاز عنه ستة آلاف، وقيل اثنا عشر ألفًا من القوم وغيرهم؛ فنزلوا «حَرْوَرَاءَ»، قرية من قرى الكوفة، وجعلوا شبيب بن ربيع التميمي عليهم، فخرج إليهم على وأدخلهم جميعًا الكوفة، فجعلوا ينادون عليًا وهو على المنبر: جزعت من البلية، ورضيت بالقضية، وقبلت الدنية، لا حكم إلا لله. فقال على: حكم الله انتظم فيكم، فيقولون: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبُنَّ عَمَلَكَ﴾ [الزمر: ٦٥] الآية، فيقول على - رضى الله عنه - : ﴿إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].



فهرس موضوعات الجزء الثانى

الموضوع	الصفحة
الباب السادس	٣ - ٢٥
ذكر موالیه ﷺ	٣
ذكر خدامه ﷺ	٥
ذكر كُتَّابه ﷺ	٨
ذكر أمرائه ﷺ	١٣
ذكر مؤذنيه ﷺ	١٣
ذكر خطبائه وشعرائه	١٤
ذكر خُدَّاته ﷺ	١٦
ذكر حراسه ﷺ	١٨
ذكر خيله عليه الصلاة والسلام	٢٠
ذكر سلاحه ﷺ	٢٢
ذكر أرماحه وأدراعه ﷺ	٢٢
ذكر غنمه ولقاحه ﷺ	٢٣
ذكر فسطاطه وأدواته المنزلية	٢٤
الباب السابع	٢٦-٣١٧
الحوادث من الهجرة حتى الوفاة	
حوادث السنة الأولى من الهجرة	٢٦-٣٢
البعوث والسرايا	٢٦
بعث حمزة أول بعوثه ﷺ	٢٧
سرية عبيدة بن الحارث	٢٧
سرية سعد بن أبى وقاص	٢٨
الزيادة فى صلاة الحضرم	٣١

- ٣١ إسلام عبد الله بن سلام
- ٣٢ إسلام سلمان الفارسى
- ١١٨ - ٣٣ حوادث السنة الثانية
- ٣٣ غزوة الأبواء وغزوة بواط
- ٣٤ غزوة بدر الأولى وغزوة العشيرة
- ٣٥ غزوة العسرة
- ٣٦ سرية عبد الله بن جحش
- ٤٠ تحويل القبلة
- ٤١ فرض الصيام وزكاة الفطر
- ٤١ غزوة بدر الكبرى
- ٤٤ عدد المسلمين فى بدر
- ٤٥ عدد المشركين فى بدر
- ٤٦ دعاء النبى ﷺ بالنصرة
- ٥٢ نزول قریش بالعدوة القصوى ونزول النبى ﷺ بطن الوادى
- ٥٧ مبارزة حمزة وعلى رضى الله عنهما لعتبة وشيبة ابني ربيعة
- ٥٨ فى تعديل النبى ﷺ الصفوف ودعائه بالنصرة
- ٦٠ النبى ﷺ يأخذ حفنة الحصباء ويقول: شأهت الوجوه
- ٦٤ الملائكة تقاتل مع المسلمين فى بدر
- ٦٥ شعار المسلمين يوم بدر
- ٦٦ مقتل عدو الله أبى جهل
- ٦٨ نداء النبى ﷺ على أهل القليب من المشركين
- ٧٢ رجوع النبى ﷺ إلى المدينة بعد النصر
- ٧٤ وصية النبى ﷺ بالأسارى
- ٧٥ قدوم النذير بمصاب قریش فى بدر

٧٩	تسمية من شهد بدرًا من المسلمين
٩٣	تسمية من قتل من المشركين يوم بدر
٩٨	تسمية من أسر من المشركين يوم بدر
١١٦ - ١٠١	ما قيل من الشعر فى بدر
١١٧	أمر بنى قينقاع
١٦٣-١١٩	حوادث السنة الثالثة
١١٩	غزوة غطفان
١٢٠	غزوة نجران، وسرية زيد بن حارثة
١٢١	سرية محمد بن سلمة
١٢٢	غزوة أحد
١٢٤	عقد الألوية لغزوة أحد
١٢٥	عدد المسلمين فى أحد
١٣٦	استشهاد حمزة رضى الله عنه
١٤٠	عدد الشهداء من المسلمين فى أحد
١٤٠	حكم وفوائد من غزوة أحد
١٤١	ما قيل من الشعر فى يوم أحد
١٦١	غزوة حمراء الأسد
١٦٢	تحريم الخمر
١٧٤-١٦٤	حوادث السنة الرابعة
١٦٤	غزوة بنى النضير
١٦٧	غزوة بدر الأخيرة
١٦٨	غزوة ذات الرقاع
١٧٢	غزوة دومة الجندل
١٧٣	سرية أبى سلمة
١٧٤	قصر الصلاة وفرض التيمم

١٧٥-١٩٩	حوادث السنة الخامسة
١٧٥	غزوة المريسيع
١٧٩	غزوة الخندق
١٧٩	نزول آية الحجاب
١٨٣	من أعلام النبوة فى غزوة الخندق
١٩٠	المسير إلى بنى قريظة
١٩٥	تحكيم سعد بن معاذ فى بنى قريظة
١٩٦	استشهاد سعد بن معاذ
٢٠٠-٢١٩	حوادث السنة السادسة
٢٠٠	غزوة بنى لحيان وغزوة الغابة
٢٠٣	غزوة الحديبية
٢٠٨	صلح الحديبية
٢١٧	سرية محمد بن مسلمة إلى القرظاء
٢١٨	سرية عبد الله بن عوف إلى دومة الجندل
٢٢٠-٢٤٢	حوادث السنة السابعة
٢٢٠	غزوة خيبر
٢٢٥	تزويج النبى ﷺ بصفية بنت حى رضى الله عنها
٢٢٦	تحريم لحوم الحمر الأهلية
٢٣٢	خبر سم اليهودية للنبي ﷺ
٢٣٦	عمرة القضية
٢٤١	تزويج النبى ﷺ بميمونة رضى الله عنها وهو محرم
٢٤٣-٢٨٩	حوادث السنة الثامنة
٢٤٣	غزوة مؤتة
٢٤٦	فتح مكة
٢٤٧	غزوة حنين

٢٤٩.....	نجدة الرسول ﷺ لعمر بن سالم
٢٥١.....	عدد المسلمين فى غزوة الفتح
٢٥٣.....	إسلام أبى سفيان
٢٥٨.....	دخول النبى ﷺ مكة فى كتيته الخضراء
٢٦٢.....	خطبة النبى ﷺ يوم الفتح
٢٦٥.....	تحطيم الأصنام حول الكعبة
٢٧٠.....	ما قيل من الشعر فى يوم الفتح
٢٧٣.....	غزوة حنين
٢٧٩.....	قتال الملائكة مع المسلمين فى بدر وحنين
٢٧٩.....	ما قيل من الشعر فى غزوة حنين
٢٨٣.....	غزوة الطائف
٢٩٠-٣٠٤.....	حوادث السنة التاسعة
٢٩٠.....	غزوة تبوك
٢٩١.....	الاستعداد للخروج للغزوة
٢٩٣.....	مرور النبى ﷺ بديار ثمود
٢٩٥.....	عودة النبى ﷺ من تبوك وخروج المسلمين لتلقيه
٢٩٧.....	ما قيل من الشعر فى يوم تبوك
٣٠٠.....	سرية عبد الله بن عوسجة إلى بنى حارثة
٣٠١.....	حج أبى بكر بالناس وموت النجاشى
٣٠٤.....	إيلاء النبى ﷺ من نسائه
٣٠٥-٣٠٧.....	حوادث السنة العاشرة
٣٠٥.....	سرية خالد إلى بنى عبد المدان، وحجة الوداع
٣٠٧.....	عدد المسلمين فى حجة الوداع
٣٠٨-٣٢٣.....	حوادث السنة الحادية عشرة
٣٠٨.....	ذكر صفاته الحسية ﷺ

٣٠٩.....	صفاته المعنوية وأخلاقه ﷺ
٣١٢.....	ذكر خصائصه ﷺ
٣١٤.....	فى معجزاته ﷺ
٣١٧.....	ما قيل من الرثاء لرسول الله ﷺ
١٠٤/٣-٣٢٤.....	المقصد الثالث
٣٢٤.....	ذكر الخلفاء الراشدين وخلافة الحسن بن على رضى الله عنهم
٣٢٤.....	خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه
٣٢٦.....	استخلاف النبى ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه فى الصلاة بالمسلمين
٣٢٧.....	يوم وفاة النبى ﷺ
٣٢٨.....	موقف الصحابة من موته ﷺ
٣٢٩.....	ثبات أبى بكر رضى الله عنه يوم الوفاة
٣٣٠.....	أمر سقيفة بنى ساعدة
٣٣١.....	بيعة أبى بكر رضى الله عنه بالخلافة
٣٣٧.....	قتال أبى بكر رضى الله عنه المرتدين
٣٣٨.....	إنفاذ أبى بكر رضى الله عنه جيش أسامة بن زيد رضى الله عنه
٣٣٨.....	موقف على من بيعة أبى بكر رضى الله عنهما
٣٤٤.....	خبر رسالة أبى بكر المزعومة إلى على رضى الله عنهما
٣٥٤.....	شرح ما وقع فى الرسالة من الغريب
٣٦٠.....	قصيدة فى أبى بكر وعلى رضى الله عنهما
٣٦٥.....	أحاديث واردة فى خلافة أبى بكر واستحقاقه لها رضى الله عنه
٣٧٠.....	رد على بعض الشبهات فى أحقية أبى بكر رضى الله عنه للخلافة
٣٨١.....	رد على الرافضة فى رفضهم الإجماع لأبى بكر رضى الله عنه بالخلافة
٣٨٩.....	فى ترضى أهل البيت وثناؤهم على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما
٣٩٧.....	ذكر أفضلية أبى بكر رضى الله عنه
٤٠١.....	الرد على الشيعة والرافضة فى بعض افتراءاتهم

٤٠٣.....	إنصاف أهل السنة فى موقفهم من الصحابة
٤٠٩.....	نسب أبى بكر رضى الله عنه
٤١١.....	مولده رضى الله عنه
٤١٢.....	صفته رضى الله عنه
٤١٤.....	ما نزل من آيات القرآن فى شأنه رضى الله عنه
٤٥٧ - ٤١٨	الأحاديث فى شأن أبى بكر رضى الله عنه
٤٥٨.....	موقفه من حوادث الردة وحزمه فى ذلك
٤٦٢.....	ذكر أولاده رضى الله عنه
٤٦٤.....	ذكر وفاته رضى الله عنه
٤٦٧.....	خلافة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه
٤٦٨.....	ذكر أول خطبة خطبها عمر رضى الله عنه
٤٧٠.....	ذكر نسبه رضى الله عنه
٤٧١.....	ذكر إسلامه
٤٧٨.....	صفته رضى الله عنه
٤٧٩.....	الآيات النازلة بما أشار به رضى الله عنه
٤٨٨.....	الأحاديث الواردة فى شأنه رضى الله عنه
٤٩٩.....	وفاته شهيداً رضى الله عنه
٥٠٥.....	ذكر أولاده رضى الله عنه
٥١٤.....	خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه
٥١٥.....	ذكر إسلامه رضى الله عنه
٥١٧.....	صفته رضى الله عنه
٥١٨.....	ما جاء فى بيعة عثمان رضى الله عنه
٥٣٦.....	الآيات فى شأن عثمان رضى الله عنه
٥٣٦.....	الأحاديث فى شأن عثمان رضى الله عنه
٥٤٩.....	ذكر أولاده رضى الله عنه

- ٥٥١ خلافة أمير المؤمنين على رضى الله عنه
- ٥٥٤ مولده وصفته رضى الله عنه
- ٥٥٦ بيعته رضى الله عنه
- ٥٥٨ فتنة يوم الجمل
- ٥٧١ قتلى وقعة الجمل
- ٥٧٥ ما جاء فى وقعة صفين
- ٥٧٨ ما جاء فى أمر التحكيم بين على ومعاوية رضى الله عنهما



